

دبر القديس أنبا مقار

القديس يوحنا البعلبعل

حياته . لاهوته . أعماله

الأب متى المسكين

المطبعة القبطية

كتاب القديس بولس الرسول : حياته . لاهوته . أعماله

المؤلف : الأب متى المسكين

الطبعة الأولى : ١٩٩٢

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون .

ص . ب . ٢٧٨٠ القاهرة .

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : ١٩٩١/٨٠٤٩

رقم الإيداع الدولي : 6 - 014 - 240 - 977 ISBN

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف .

الطبعة الأولى

اعتراف بالفضل لنويه

لقد طُبع هذا الكتاب في مطبعة دير القديس أنبا مفار بوادي النطرون، وقام بالإشراف على مراحل طبع الكتاب بداية من النسخة الخطية وإعادة تنقيحها وإصلاح الأخطاء فيها، ومراجعة القواعد العربية ونحو الكلام، ومراجعة الآيات بالعربية، ثم اليونانية، وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله، ثم إخراجها على آلة الطبع التصويري ودخوله تحت المونتاج (عملية القص واللصق وضبط مقاسات الصفحات وترقيمها)، بالإضافة إلى عمليات التصوير للوحات الواردة بالكتاب من تصوير وتعميض وتكبير وتصغير، ثم الحفر على اللوحات المحسنة للطباعة، ثم دخوله للطبع على آلة الطباعة الأوتومات، ثم تطبيق أفريخ الورق المطبوعة كملازم، ثم تحبيط الملازم معاً والتجليد؛ كل هذا قام به الآباء الرهبان الأعزاء الأجلاء، بما استلزم من جهد وصبر ودقة وفن بلغ على أيديهم أقصى إتقانه.

ونحن إذ نذكر أسماءهم وهم في غنى عن الذكر والذكرى، فسيرتهم مكتوبة في السموات؛ ولكن يطيب لقلب الكاتب أن ينسب الفضل لأصحابه، فلولاهم ما خرج هذا الكتاب، وما استمتع القارئ بهذا الإخراج البديع. كان هذا في فاتحة كتاب: «شرح إنجيل القديس يوحنا»، وقد تابعوا إخراج هذا الكتاب لحياة القديس بولس الرسول بنفس الروح وبدافع شركة المحبة التي تجمعنا.

(الآباء بحسب ترتيب أقديمتهم الرهبانية، ودور كل راهب في إخراج الكتاب)

الأب إرميا	مراجعة البروفات والقواعد العربية ونحو الكلام.
الأب يوحنا	نسخ النسخة الخطية ومراجعة البروفات.
الأب وديد	تنقيح النسخة الخطية ومراجعة الآيات باليونانية وإعادة تبويب الكتاب وتنسيق فصوله.
الأب باسيليوس	المراجعات الفنية في مراحل جمع وطبع الكتاب.
الأب ديمتري	نسخ النسخة الأولى من الموشة التي بخط المؤلف.
الأب ويصا	تصوير الأفلام الشفافة عن الورق الحساس للصفحات المجموعة للنص.
الأب برتي	جمع النص على آلة الجمع التصويري، وتقديم البروفة الأولى.
الأب لونيستوس	آلة الطباعة الأوتومات — آلة تطبيق الملازم — آلة خياطة الملازم — آلة القص — التجليد.
الأب أنطوني	جمع النص على آلة الجمع التصويري.
الأب سوريال	المونتاج وتصوير الأفلام، وتجهيز لوحات الطباعة.
الأب بطرس	جمع النص على آلة الجمع التصويري.
الأب دوماديوس	مضاهاة بروفات الجمع التصويري على الأصول الموشة للكتاب.
الأب زكريا	تجهيز لوحات الطباعة.
الأب إبيفانيوس	مونتاج الورق الحساس للصفحات المجموعة للنص وعمل فهرس الآيات وفهرس أقوال الآباء.

وأخيراً — نستودع هذا الكتاب بالمجهود المبذول فيه ليد القارئ، داعين له بالبركة، راجين الله أن يستخذه لزيادة المعرفة والتقوى وتمجيد اسم الله القدوس.

الثلاثاء ٢٤ مارس سنة ١٩٩٢

دير القديس أنبا مفار

الأسبوع الرابع من الصوم الأربعيني المقدس

محتويات الكتاب

(ما بين قوسين) هو أرقام صفحات العناوين الجانبية)

مراجع الكتاب :

I - المراجع الآبائية.

II - المراجع الأجنبية الحديثة

تمهيد : نظرة عامة على حياة القديس بولس ورسائله ١٧

الجزء الأول : القديس بولس : حياته وصفاته ومنهجه العام ٣٣

الباب الأول : حياة القديس بولس الأولى ودخوله الإيمان ٣٥

الفصل الأول : طفولة بولس ٣٧

[شاول المدعو بولس (٣٧) طرسوس (٣٨) يهودي عبراني من العبرانيين (٤٠) من

سبط بنيامين (٤٠) التعلم والصناعة (٤٢) الناموس يبدأ بحفظ خطوطه في نفسية بولس

الصبي (٤٤) بولس في أورشليم عند دجلي عمالئيل (٤٥)]

الفصل الثاني : شاول الفريسي مضطهد الكنيسة ٤٩

١ - الفريسي ابن الفريسي ٤٩

٢ - حال الكنيسة قبل دخول بولس الإيمان ٥٣

[ماذا حدث بعد موت الرب (٥٣) الإيمان المسيحي حصيلة امتنعانات

وتجليات (٥٥) علاقة الكنيسة الأولى باليهود والمبكل (٦٠) قتل إستفانوس أول

شهد في المسيحية (٦٢)]

٣ - شاول يضطهد الكنيسة ٦٦

[عودة إلى القديس إستفانوس لبدء سيرة بولس الرسول (٦٦) عشرة بولس في المسيح

التي دفعته لاضطهاد الاسم (٦٨) بولس يحصل على خطابات توصية من رئيس

الكنيسة (٦٩)]

الفصل الثالث : حادث طريق دمشق ٧١

[ظهور المسيح لبولس ودعوته للخدمة (٧١) ثلاث سنوات في العربية (٧٦) التغيير

الكبير في حياة بولس (٧٧) « شاول شاول لماذا تضطهني ؟ أنا يسوع الذي أنت

تضطهده » (٧٧) « صعب عليك أن ترفض مناحس » (٧٩) عمل المسيح في القديس

بولس (٨٢)]

[ما هي المسيحية أولاً ؟ (٨٧) بولس يدخل المسيحية من بابها الأول (٨٨) المسيح الذي استعلن لبولس الرسول وحل فيه (٨٩) مسيحية القديس بولس غنية ومعطاءة (٩٦) الله في مسيحية القديس بولس (٩٩) القديس بولس يتأمل ويعكف عن مسيحه، فكان اللاهوت (١٠١) القديس بولس وشركة دم المسيح (١٠٣) الأخلاقيات عند القديس بولس تنبع من ظهور الرب له (١٠٤)]

١٠٩ الباب الثاني: صفات القديس بولس ومنهجه العام

١١١ الفصل الأول : صفات القديس بولس الشخصية واتجاهاته العامة

١١١ أ - الانتقال الدائم من الجسد إلى الروح

١١٢ ب - المتناقضات في حياة القديس بولس

[١. الضعف يقابله القوة (١١٢) ٢. الاتضاع يقابله الشموخ (١١٥) ٣. الرقة

تقابلها الحدة (١١٦) ٤. الحزن يقابله الفرح (١١٨) ٥. الخوف والضييق واليأس

يقابله الرجاء والعزاء والفرح (١١٩)]

١١٩ ج - بولس الرسول مواطن العالم كله : Cosmopolitan

[المنهج السياسي عند بولس الرسول (١٢٠) الانتخاض على الأمم (١٢١) حكم

الضمير الإنساني عند الأمم (١٢٢) ماذا بقي من يهودية بولس (١٢٣)]

١٢٩ الفصل الثاني : أدوات الفكر اللاهوتي عند القديس بولس

١٢٩ أولاً: أسلوب بولس الرسول في الكتابة والتعبير

[البلاغة الروحية عند بولس وعشق المؤمنين لها (١٢٩) استخدام وسائل التعليم

بالتشبيه والتمثيل (١٣٢) المنهج التأملّي الحر عند بولس الرسول (١٣٥)]

١٣٧ ثانياً: المصادر التي يستند إليها بولس الرسول في تعليمه

١٣٨ أ - التوراة :

[التوراة السبعينية وتقوى القديس بولس (١٣٨) استخدام «الرمزية» للخروج من

ضييق الحرف (١٤٣) استنباط مبادئ وأفكار وأوصاف جديدة في المسيحية (١٤٤)

التوراة الجديدة المستمدة من نور وجه المسيح (١٥٠)]

١٥٣ ب - تعاليم المسيح :

[شدة التقابل بين تعاليم بولس الرسول والأناجيل الثلاثة (١٥٣) « اذهبوا وتلمذوا

جميع الأمم... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » (١٥٩)]

الجزء الثاني: لاهوت بولس الرسول

تمهيد : المدخل للاهوت بولس الرسول

الباب الأول: المسيح والثالث في لاهوت بولس الرسول

الفصل الأول : شخص المسيح في لاهوت بولس الرسول

أ - المسيح حكمة الله (كما جاء في سفر الأمثال)

ب - شخص المسيح عند بولس الرسول يعترف كل شيء

ج - سبق وجود المسيح

د - المسيح رب

[المسيح رب مستحق المجد والكرامة والعبادة (١٨٧)]

هـ - ألوهية المسيح

وقفه قصيرة ومراجعة حقيقة المسيح

الفصل الثاني : الثالث في لاهوت بولس الرسول

مفردات الثالث

أ - المسيح «ابن الله»

ب - «الله» أبورثنا يسوع المسيح

ج - الروح القدس بين المسيح (الابن) والله (الآب)

الباب الثاني: الخلاص والفداء في لاهوت بولس الرسول

تمهيد : [كلمة عامة عن الخلاص (٢٢٧) الخلاص في العهد القديم (٢٢٧) الخلاص في العهد

الجديد (٢٢٩)]

الفداء عند بولس الرسول

الفصل الأول : ما قبل الفداء

أولاً: سلطان الخطية والموت المحيط بها

١ - خطية آدم وآثارها فينا

٢ - عدم نفع التاموس

٣ - كيف ملكت الخطية وكيف تُخلع

ثانياً: المشورة الإلهية الأزلية وخطة خلاص الإنسان

نبضات قلب الله من نحو خلاص الإنسان وجهه منذ الأزل

الفصل الثاني : الإرسالية للفداء

١ - موضوع الإرسالية (غل ٤: ٥٤)

٢ - بولس يركز في إرسالية الفداء

على عنصر الخطيئة لعزلها والقضاء عليها (رو ٨: ٣)

وقفة قصيرة لمعاودة النظرة إلى المسيح كوسيط لجميع الخيرات

الفصل الثالث : ذبيحة الصليب

١ - معنى الذبيحة

٢ - مفاعيل ذبيحة الصليب

أولاً : سر دم هذه الذبيحة

ثانياً : موت المسيح وآثاره الفدائية

٣ - ذبيحة الصليب في ضوء ذبائح العهد القديم

أ - ذبيحة الفصح (١ كو ٥: ٧)

ب - «ذبيحة العهد» و «دم العهد» (خر ٢٤: ٨ و ١ كو ١١: ٢٥)

ج - ذبيحة الكفارة (٢ كو ٥: ٢١ و رو ٣: ٢٥)

د - ذبيحة رائحة سرور للرب (عد ٥: ١-٤ و أف ٥: ٢)

٤ - ذبيحة الصليب ذبيحة طوعية : المسيح الكاهن والذبيحة معاً

الفصل الرابع : المقدِّيون : «مع المسيح» و «في المسيح»

١ - اصطلاح «مع المسيح»

٢ - اصطلاح «في المسيح»

٣ - مقارنة بين «مع المسيح» و «في المسيح»

٤ - الامتداد بالاصطلاح «في المسيح» :

أ - نحن «في المسيح» و «المسيح فينا»

ب - الكنيسة كجسد للمسيح

ج - امتدادات أخرى

الفصل الخامس : القيم الأخلاقية التي ورثناها من الفداء

الفصل السادس : النظريات اللاهوتية عن سر الفداء

الفداء بين الفكر النظري والواقع العملي

تعدد التعبير عن ما هو الفداء بتعدد موقف الخطاة أمام الله

ثلاث نظريات لاهوتية عن سر الفداء

أولاً : نظرية الفدية بدفع الثمن

- الانحراف بنظرية الفدية إلى القول بدفع الثمن للشيطان

- الوضع الصحيح لنظرية الفدية : الثمن مدفوع لنا

ثانياً : نظرية التكفير بالإحلال : عقوبة بدل عقوبة

- «مات عنا»

تصحيح نظرية التكفير : ١ - التكفير بالاتحاد وليس بالإحلال

٢٨٩ ٢ - بذبيحة حب وليس بذبيحة عقاب

٢٩٤ ثالثاً: نظرية استرضاء وجه الله

ضعف النظريات الثلاث السابقة وضرورة «الفداء الشمولي»

٢٩٦ أي اعتبار المسيح يشمل ويجمع البشرية كلها في ذاته

٢٩٨ «الفداء الشمولي» ببر المسيح تجاه الخطية

٣٠١ الفصل السابع : تكميل الفداء بالقيامة والروح القدس

٣٠٩ أولاً: تكميل الفداء بالقيامة من الأموات - التبرير

٣٠٥ ثانياً: تكميل الفداء بالروح القدس على طول المدى

٣٠٦ وقفة قصيرة لمراجعة مراحل الفداء

٣٠٩ الفصل الثامن : النتائج المباشرة التي ترتبت على الفداء

٣٠٩ أولاً: المصالحة

[إيجابية الله المطلقة (٣٠٩) الخطية حالة عداوة لله (٣٠٩) كيف تعاملت إيجابية

الله المطلقة مع خطية الإنسان (٣١٠) بدء المصالحة (٣١٣) خدمة

المصالحة (٣١٤)]

٣١٧ ثانياً: إبطال عوائق المصالحة

٣١٧ ١ - الخطية (والموت التابع لها)

٣٢٠ ٢ - الناموس

[احترام بولس للناموس (٣٢٠) لماذا وضع الله الناموس بيد موسى؟ (٣٢٠)

الناموس أكمل مهمته (٣٢٣) عجز الناموس (٣٢٤) مجيء المسيح يكمل ما عجز

عنه الناموس (٣٢٦) كيف انتهى الناموس؟ (٣٢٧)]

٣٣٠ صراع بولس الرسول مع اليهود المنتصرين من أجل الناموس

[مقدمة (٣٣٠) بدء الصراع وجميع أورشليم (٣٣١) عودة للمقاومين (٣٣٤)

الزيارة الثانية التي قام بها بولس الرسول إلى غلاطية (٣٣٦) تجديد المقاومة بشكل

آخر في كورنثوس (٣٤٠) تصفية حساب الناموس في رسالته إلى روما (٣٤٣)]

٣٥٠ وسائل الفداء :

الباب الثالث: الإيمان والتبرير والتقديس

٣٥٤ في لاهوت بولس الرسول

٣٥٣ الفصل الأول: الإيمان

[أصل الإيمان في العهد القديم (٣٥٣) أساس الإيمان في العهد الجديد (٣٥٦)

معنى «الإيمان في المسيح» و «إيمان المسيح» باعتباره هبة (٣٥٧) معنى «الإيمان

على” المسيح» (٣٦٣) الإيمان كمصدر لنوال كل مفاعيل الخلاص

والفداء (٣٦٥) الإيمان المسيحي تسليم بالخير وليس اجتهداً فكرياً (٣٦٧) قيمة الإيمان عند الله (٣٦٨)]

٣٧١

الفصل الثاني : التبرير

[مفهوم البر في العهد القديم (٣٧١) البر في لاهوت بولس الرسول (٣٧٢) علاقة البر بالإيمان (٣٧٥) عمل الروح القدس في التبرير (٣٧٩) التبرير والملكوت في لاهوت بولس الرسول (٣٨٠) سلطان قوة التبرير على جسد الإنسان وفكره في لاهوت بولس الرسول (٣٨١) البر والأخلاق المسيحية عند بولس الرسول (٣٨٢)]

٣٨٣

الفصل الثالث : التقديس

[في العهد القديم (٣٨٣) في العهد الجديد (٣٨٤) المسيح القدوس (٣٨٥) علاقة التقديس بالتبرير (٣٨٦)]

٣٨٩

الباب الرابع : الأسرار في لاهوت بولس الرسول

٣٨٩

تمهيد

٣٩١

الفصل الأول : المعمودية

[معنى «المعمودية» (٣٩١) اصطلاحات أخرى للتعبير عن المعمودية (٣٩٣) المعمودية استنارة (٣٩٤) المعمودية الكنيسة (أف ٥: ٢٥-٢٧) (٣٩٥) سر الموت والقيامة في المعمودية (٣٩٦) المعمودية «في المسيح» (٤٠٠) المعمودية «في اسم» المسيح (٤٠٢)]

٤٠٥

الفصل الثاني : سر المسحة أو التثبيت

٤١١

الفصل الثالث : الإفخارستيا

[النص الإفخارستي في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (٤١١) الإفخارستيا ذبيحة بحد ذاتها (٤١٨) سر الإفخارستيا يعبر عن هيئة الصليب وقداسة جسد الكلمة وكرامة دم ابن الله (٤٢١) وقفة قصيرة في نهاية الإفخارستيا (٤٢٨)]

٤٢٩

الفصل الرابع : سر وضع اليد للرسامات

[وضع اليد في العهد القديم (٤٢٩) وضع اليد في العهد الجديد (٤٣٠) وضع اليد للرسامة (٤٣٢) الظروف التي أحاطت بالرسامات عند بولس الرسول (٤٣٥) رسامة القسوس بوضع يد الأسقف (٤٣٧) درجة الشموسية العامة (٤٣٨) مراجعة لما نعرفه عن الرسامات في عصر بولس الرسول (٤٣٩)]

٤٤١

الفصل الخامس : سر الزيجة

[سر الزيجة وعلاقة المسيح بالكنيسة (٤٤١) الطلاق في نظر بولس الرسول (٤٤٤) الموت يفصم عقد السر (٤٤٤) قداسة الزواج تنتقل لتشمل غير المقدس (٤٤٥) حقوق الطرفين وواجباتهما بحكم سر الزيجة المسيحي (٤٤٥) الزواج والبتولية عند القديس بولس (٤٤٧)]

[الكنيسة هي جسد المسيح (٤٥١) الكنيسة والكنائس (٤٥٩) المعايير اللاهوتية الأربعة للكنيسة (٤٦٠) ١ - كنيسة واحدة (٤٦١) ٢ - كنيسة كاثوليكية (جامعة) (٤٦٢) ٣ - كنيسة رسولية (٤٦٦) ٤ - كنيسة مقدسة (٤٦٧) الكنيسة وشخص المسيح (٤٦٩) الروح القدس والكنيسة (٤٧٤) الروح والمسيح في الكنيسة (٤٧٧) الكنيسة كهيكل الله (٤٨٣)]

[١ - الأسقف (٤٨٧) الشروط التي يلزم توافرها في الأسقف أو القس (٤٨٨) ٢ - الشماس (٤٩٢) الشروط التي يلزم توافرها في الشماس (٤٩٢) نظرة عامة إلى الدرجات الكنسية في عصر بولس الرسول (٤٩٢)]

[قوة الضبط والربط في الكنيسة (٤٩٦) أصناف التأديب وأنواع العقوبة (٤٩٧) نظرة عامة لحياة الكنيسة الفشية (٤٩٩) صورة الكنيسة الروحية في ذهن بولس الرسول (٥٠٠)]

[ضابط الحرية في ناموس المسيح : الضمير (٥٠٥) ملامح ناموس الحرية في المسيح (٥١٠) الخضوع الحر لناموس حرية أولاد الله (٥١٢) أسلحة الدفاع الأخلاقي (٥١٣) ذخيرة الكنيسة من تعاليم الرسل الأخلاقية (٥١٦)]

[العلاقات بالأقنائيم الثلاثة التي يخرج بها المسيحي من المعمودية لتقوم منهجه الأخلاقي (٥٢٤)]

[الإيمان (٥٣٦) الرجاء (٥٣٦) المحبة (٥٣٧)]

[التواضع ومعه الوداعة (٥٤٢) الصلاح ومعه اللطف (٥٤٣)]

٥٤٥ الفصل الخامس : الرذائل الأخلاقية المرفوضة في المجتمع المسيحي عند بولس الرسول

[١ - الفرقة (٥٤٥) ٢ - الطمع (٥٤٥)]

٥٤٧ الفصل السادس : عناصر أخلاقية أخرى

[الصلاة كمصدر أخلاقي (٥٤٧) العمل والنظام واللباقة كمفضائل أخلاقية (٥٤٩)]

العمل (٥٤٩) الثريب (النظام) (٥٥١) اللباقة (٥٥٢)]

٥٥٣ الفصل السابع : الكمال الأخلاقي عند القديس بولس

أ) المسيح نموذج الكمال الأخلاقي الذي نأخذ منه لنتحول إليه

٥٥٣ ب) الفعل الإفخارستي يرقى إلى الكمال الأخلاقي

٥٥٥ الباب السابع : أمور آخر الزمان عند القديس بولس

الأخرويات Eschatology

٥٥٧ الفصل الأول : ما هي الإسخاتولوجيا

٥٥٩ أ - معنى هذا الاصطلاح واستخداماته

٥٥٩ ١ - المعنى العام لكلمة «إسخاتوس»

٥٥٩ ٢ - الاستخدام اللاهوتي لكلمة «إسخاتوس»

٥٦٠ ٣ - تعبيرات إسخاتولوجية أخرى

٥٦١ ٤ - محاولة لحصر المعنى

٥٦٢ ٥ - الدهر الحاضر والدهر الآتي

٥٦٢ ٦ - أوضح تعبير عن الإسخاتولوجيا في العهد القديم

٥٦٣ يطابق إسخاتولوجيا العهد الجديد

٥٦٥ ب - قيمة التطلع نحو أمور الأخرويات

٥٦٧ الفصل الثاني : المصوص الأخروية في رسائل القديس بولس

[هل نتصارب الإسخاتولوجيا مع حركة الزمن عند القديس بولس (٥٧١)]

٥٧٥ الفصل الثالث : الموت وما بعد الموت عند القديس بولس

٥٧٥ ١ - قيمة الموت في الاعتبار الإسخاتولوجي عند القديس بولس

٥٧٧ ٢ - وأين تذهب النفس ؟ وماذا يكون حالها ؟

٥٧٨ ٣ - قيامة الأبرار

٥٨١ ٤ - جسد القيامة

٥٨٣ الفصل الرابع : مجيء المسيح - «يوم الرب» والظروف الملازمة له

٥٨٣ ١ - كلمة «الباروسيا» ومرادفاتها

٥٨٧ ٢ - قرب مجيء المسيح

٥٩٠ الشعور باختزال الزمن عند القديس بولس

٥٩٤ ٣ - الظروف المحيطة بالمجيء - الباروسيا

٥٩٦ ٤ - الضد للمسيح الذي بظهوره تبدأ النهاية

٥٩٦ أ - العائق الذي يحجر الآن ظهور الضد للمسيح Antichrist

٥٩٩ ب - ظهور الضد للمسيح

٦٠٥ ج - كيف سيظهر الرب

٦٠٦ ٥ - الدينونة الأخيرة

[مع الاستعلان ومجيء المسيح تبدأ الدينونة للأحياء والأموات (٦٠٦) لإيمان والأعمال في الدينونة الأخيرة (٦٠٩) فصل لمختارين عن لمفوضين وصيب كل منهما في الدينونة (٦١٠)]

٦١٣ الفصل الخامس : الدهر الذي يتبع مجيء المسيح

٦١٣ أ - ملكوت الله والمسيح

٦١٦ ب - نهاية كل شيء

الجزء الثالث: رحلات بولس الرسول التبشيرية

٦١٩ وظروف كتابة رسائله

٦٢١ تمهيد

٦٢٢ خدمة بولس الرسول قبل أن يبدأ رحلاته التبشيرية

[بولس لرسول في أنطاكية (٦٢٢) بولس الرسول في أورشليم سنة ٤٤م (٦٢٣)

العودة من أورشليم: مرقس مع برنابا وشاول (٦٢٣) اعتماد الروماني الكاثوليكي

عن نشاط بطرس الرسول في أنطاكية ثم في روما (٦٢٤)]

٦٢٥ الفصل الأول : رحلة بولس الرسول التبشيرية الأولى

[بولس الرسول ومن معه في رحلة بمسلة (٦٢٦) بولس الرسول في أنطاكية بيسيدية

(٦٢٦) بولس الرسول في يقونية (٦٢٧) بولس الرسول في لسرة ودرنة لكثاونه

(٦٢٧) تعميد تيموثاوس في لسرة على يدي بولس الرسول (٦٢٨) طريق العودة إلى

أنطاكية سوريا (٦٢٩) بولس الرسول في أورشليم سنة ٤٩م (٦٢٩)]

٦٣٣ الفصل الثاني : رحلة بولس الرسول التبشيرية الثانية

[الرحلة الثانية : بولس الرسول وسبلا (٦٣٣) بولس الرسول في درنة ولستره

(٦٣٤) الروح القدس يتدخل في توجيه مسيرة التبشير (٦٣٤)]

٦٣٤ بولس الرسول في فيلبي

[بولس الرسول في بيت ليذية بياعة الأرجوان (٦٣٦) بولس الرسول في سجن فيلبي

(٦٣٦) بولس السجين في نصف الليل (٦٣٧) جرح بولس الرسول وقيوده تلد

السجان وعائلته (٦٣٧)]

[تسالونيكي (٦٣٩) بولس الرسول في مجمع تسالونيكي (٦٣٩)]

[أشرار اليهود في تسالونيكي يتعقبون بولس الرسول في بيرية (٦٤١)]

+ رسالة الأول إلى تسالونيكي [في بداية سنة ٥٢م (*)]

+ لرسالة الثانية إلى تسالونيكي [أوائل سنة ٥٣م]

[بولس الرسول في طريق العودة من كورنثوس إلى أنطاكية سوريا (٦٥٠) بولس

الرسول في أورشليم - على هامش لرحلة (٦٥١) ثم انحدر إلى أنطاكية سوريا

[(٦٥٢)]

[حط سيرة لرحلة (٦٥٣) المرافقون للرحلة (٦٥٣) الكنائس المرحب به ررها في

الطريق (٦٥٣)]

[أفسس المدينة الوثنية (٦٥٤) بولس الرسول يحاجج اليهود في المجمع (٦٥٨)]

بولس الرسول في مكدونوية (فيلبي) لثالث مرة

ويكتب لكورنثوس لثالث مرة

[أحبار حريصة من كورنثوس وبعثة في المقدمة (٦٦٠) الأمور في كورنثوس أسوأ مما

سمع (٦٦١) البعثة التي انطلقت إلى مكدونوية (فيلبي) وأخائية (كورنثوس) قبل

ذهاب بولس الرسول (٦٦١)]

+ الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس

[سفيرة الرحلة التبشيرية الثالثة من أفسس إلى شاطئ اليونان (٦٦٣) بولس الرسول

في ترواس (٦٦٥)]

بولس الرسول في مكدونوية (فيلبي) تنفرج أزمته بمحيي تبطس

+ الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس

يكتبها لقسيس بولس من فيلبي بيد تبطس

[بعثة تحمل الرسالة إلى كورنثوس وتكمل سعيها لجمع التبرعات لأورشليم (٦٦٩)

بولس الرسول يتعوق قصداً في تجاونه في شمال بيوتان حتى إليريكون للخدمة

و يستنظر تهذبة الحمار في كورنثوس (٦٧٠) وأخيراً بولس لرسول في طريقه إلى

كورنثوس في بواذر الشتاء (٦٧٢)]

(*) ورود الرسائل هنا هو بحسب ترتيبها الزمني التاريخي.

[سحابة قائمة آتية من الشرق وصلت إلى كورنثوس قبل أن يصلها بولس الرسول]
[(٦٧٣)]

+ بولس الرسول يكتب في بدء إقامته في كورنثوس لثالث مرة

خطابه الأول للفلاطين

[أعمال بولس الرسول الأخيرة في كورنثوس (٦٧٤)]

+ بولس الرسول يكتب من كورنثوس

رسائله الكبرى إلى روما ويرسلها على يد فوبي

[المكيدة من اليهود والعودة السريعة من كورنثوس (٦٧٨) ترواس والعلية وأفتيخوس (٦٨٠) ترتيب السفر من ترواس حتى أورشليم (٦٨١) في ميلتس: الوداع الأخير «لن تروا وجهي» (٦٨٢) إلى كوس ثم رودس ثم سيرا (٦٨٢) سعة أيام في صور وإتذارات نبوية بالمخاطر المحدقة (٦٨٢) إلى تولايس عكا ثم قيصرية (٦٨٣) بولس الرسول في قيصرية عند فيلس الرسول المبشر (٦٨٣) بولس الرسول يوجه النبوات عن مستقبله في القيص واقبود ولسي ومحكمة الأمم بكل ثقة (٦٨٤)]

لفصل الرابع : بولس الرسول في أورشليم للمرة الأخيرة

[بولس الرسول ينزل في أورشليم عند رحل قبرسي اسمه مناسون Mnason (٦٨٥)]

بولس الرسول في حضرة تلاميذ الرب والرسل القديسين (٦٨٥)]

تشيلية خاسرة، وخطة مبيتة، وفريسية حاقدة متمردة

والذين صلبوا المسيح قتلوا بولس

[رعية التعصب وقسوة الفريسيين المنتصرين ملكت على كنيسة أورشليم (٦٨٦) ستديس يعقوب وتبرنة ذمته أمام الله وبولس الرسول (٦٨٦) حل وسط ليهو بولس بجده وما نجى (٦٨٨) عيد الخمسين: دخول بولس الرسول الهيكل مع التذراء (٦٨٨) القبض على بولس داخل الهيكل «هذا هو الرجل» (٦٨٩) بولس الرسول حارج الهيكل بين أيدي غرمائه: فكانت ساعتهم وسلطان الظلمة، ونجدة أمير الكتبية (٦٩٠) تأثير بولس الرسول العجيب بشخصيته وحكمته على لساس (٦٩١) بولس الرسول يحتاج من فوق أعلى سلم قلعة لدى الشعب المتجمهر حارج القلعة أسئل (٦٩١) «أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده ... لماذا تضطهدي؟» (٦٩١) «خذ مثل هذا من الأرض لأنه كاد لا يجوز أن يعيش» (٦٩٢) «وإذا كانوا يصيحوه ويطرحون ثيابهم ويرمون غاراً إلى الجو» (٦٩٣) بولس لرسول في غرفة المحاكمات باهيكل (لجارت) للاستجواب أمام المدعين عليه (٦٩٤) «يسفي أن تشهد في روما» (٦٩٦) مؤامرة جديدة لاغتتيال بولس الرسول (٦٩٦) مغامرة ابن أخت بولس الصبي الشجاع النبيل (٦٩٧) بولس الرسول يعط فيليكس الوالي ومرأته اليهودية المفاجرة (٦٩٧) ستان في سجن قيصرية (٦٩٨) فستوس الوالي الجديد على اليهودية يتسلم من فيليكس (٦٩٨) بولس الرسول يشهد للمسيح أمام أغريباس الملك

وسريكي أخته وعظماء المدينة (٦٩٩) شهادة بولس رسول للمسيح آدم أكرم حشد
[(٧٠٠)]

الفصل الخامس : السفر إلى روما

٧٠٣

٧٠٣ بولس الرسول في البحر من قيصرية إلى روما

[أدوت الرحمة ومدى صلاحيتها (٧٠٣) رهيقا بولس في سفر لبحر إلى روما
(٧٠٤) صيدون أولاً (٧٠٤) «تحت قمرس» (٧٠٥) اسرون على أرض مير ليكية
(٧٠٥) إلى ملواني الحسنة (٧٠٦) إبدارت من بولس الرسول دي العيين الروحيتين
المستوحشين لقائد لثة والبحارة بلا فائدة (٧٠٧) لعاصفة العاتية (٧٠٨) بشرى
السحة (٧١٠) بعد أربعة عشر يوماً (٧١٠) حركة قرد للبحارة أقمعت في وقتها
(٧١١) «أخذ حبراً وشكر» (٧١١) مزيد من تخفيف حموة السفينة لإمكانية دخول
لشاهىء (٧١١) قائد. المثة ينقذ حياة بولس الرسول (٧١١) وقعة قصيرة لتقييم
اسرحنة (٧١٢) صياغة أهل مالطة (٧١٢) «يحملون حيات ون شربوا شيئاً ميثاً لا
يصبرهم» (٧١٣) سولسيوس السطيف المصيف و «يوم من أيام بن الإنسان»
(٧١٣) في الطريق إلى روما محمدين بالهديا (٧١٤) على جريرة صقلية «سيسلي»
(٧١٤) في صياغة أهل بوطيوني Putcoli (٧١٤) «وهكذا، أنيا إلى روما» (٧١٦)
هورن أبوس والإحوة المستقبلون على طريق أنيا حتى مشارف روما (٧١٦) في روما:
تسليم وتسلم وتقديم التكريم للأسير (٧١٩) المكان الذي يقيم فيه بولس الرسول
(٧١٩) استدعى بولس الرسول وحموه اليهود (٧١٩) من أين ومتى جاء اليهود
يسنوطسوا روما؟ (٧١٩) «معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يذوم في كل
مكان» (٧٢١) بولس الرسول يشرح نوحهاء يهود روما شاهداً عندكوت الله بأمر يسوع
من النصباح إلى مساء (٧٢١) نهاية كررة المسيح هي بعينها نهاية كرازة بولس
ارمول: تنتهي عند إشعياء (٧٢٢) بولس الرسول يكرس الفاصل الدهري بين الذين
يسمعون والذين لا يسمعون (٧٢٢) ستان وبولس الرسول يكرر وفي يديه اسلاسل
«بلا ماع» (٧٢٣) الأسباب والطروف التي عطلت نظر القضية سنين (٧٢٣)
نشيد اسسلة (٧٢٥) المرافعون لبولس رسول وهو في روما (٧٢٦)]

الرسائل التي كتبها بولس الرسول وهو في الأمر الأول في روما

٧٢٧

حُملت من روما سنة ٦٢م

٧٢٧

١ . الرسالة إلى فيليمون

٧٢٨

٢ . الرسالة إلى كولوسي سنة ٦٢م

٧٢٩

٣ . الرسالة إلى أفسس — بيد تيغيكس سنة ٦٢م

٧٣٢

٤ . الرسالة إلى فيلبي بيد أبفروتس سنة ٦٢م

٧٣٥

الفصل السادس : بقية حياة بولس الرسول بعد نهاية سفر أعمال الرسل

[متى أطلق سراح بولس رسول؟ (٧٣٥) شهادة لكنيسة بإطلاق سراح بولس
الرسول تصير معتمدة باعتقادها رسائله تراعية أنها مسونة إليه (٧٣٧) تاريخ

كتابة الرسائل الراعية المنسوبة لبولس الرسول (٧٣٧) ما ترتب على خروج بولس الرسول من السجن الأول (٧٣٩) محاكمة بولس الرسول الأولى والتطرق بالبراءة (٧٤٠) رحلات بولس الرسول بعد صدور الحكم ببراءته واستعادة حريته (٧٤٣) [

٧٤٤ رسائل بولس الرسول بعد خروجه من روما

٧٤٤ + الرسالة الأولى إلى تيموثاوس

٧٤٧ + من مكثونية إلى أنفس إلى كريت وكتابة الرسالة إلى تيطس

[بولس الرسول يشتت في نيكوبوليس ... ولم يشتت! سنة ٦٧م (٧٤٨) نص

التسجيل التاريخي لتاسيتوس (سنة ٥٥-١٢٠م) (٧٤٩) أصدقاء أيام السجن الأخير

لبولس الرسول (٧٥٤)]

٧٥٥ + رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس

[هل جازف تيموثاوس وذهب إلى بولس الرسول في روما وقُبص عليه وسُجن ثم

أُفرج عنه؟ (٧٥٥)]

٧٥٦ + الرسالة إلى العبرانيين

[الإنعام الرسولي والنسبي في هذه الرسالة يرفعها فوق كل الطنون (٧٥٦) إلى من

كتب بولس الرسول هذه الرسالة؟ (٧٥٩)]

٧٦١ بولس الرسول تألم خارج الباب

٧٦١ مات بولس! مات الرسول الإنجيلي والنبي والشهيد!

٧٦٢ بولس الرسول وعالم اليوم

٧٦٥ فهرس الكتاب

٧٦٦ ١ - فهرس الآيات الواردة في نص الكتاب

٧٨٢ ٢ - فهرس الاقتباسات من كتابات آباء الكنيسة

مراجع الكتاب

I - المراجع الآبائية

II - المراجع الأجنبية الحديثة

Bibliography I

Ancient Literary Sources

أ — المراجع الأبائية :

AUGUSTIN, St., *On the Trinity*, NPNF, 1st Ser., Vol. III, Eerdmans, Grand Rapids, 1956.

CHRYSOSTOM, J., *Commentary on Romans*, NPNF, 1st Ser., Vol. XIII, Eerdmans, Grand Rapids, 1956.

CYRIL of Jerusalem, *Catecheses Mystagogicae*, PG XXXIV & NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, Eerdmans, Grand Rapids, 1956.

CLEMENT of Rome, *First Epistle Ad Corinth*, in *The Apostolic Fathers*, by J.B. Lightfoot, Part One, Vol. II, Baker Book House, Grand Rapids, 1981.

Doctrina Apostolorum, ANF, Vol. VII, 1956.

EPIPHANIUS, *Ancoratus*, PG XLIII.

EUSEBIUS, *Historia Ecclesiastica* (= Hist. Eccl.), or *Church History*, NPNF, 2nd Ser., Vol. I, Eerdmans, Grand Rapids, 1971.

HILARIUS, St., *De Trinitate*, NPNF, 2nd. Ser., Vol. IX, 1956.

ISIDORE of Pelusium, *Epistle IV*, P.G. LXXVIII

JEROME, *Commentary on Galatians*, PL II.

JOSEPHUS, *The Antiquities of the Jews* (Abbr. Ant.).

JUSTIN, *Apology*, ANF, vol I, Eerdmans, Grand Rapids, 1956.

PLINY, *Epistle to Trajan*.

TACITUS, *The Annals*.

TERTULLIAN, *De praescriptione*, ANF, Vol. III, pp. 243ff.

Bibliography II

ب - المراجع الأجنبية الحديثة : Modern Works

BARCLAY, WILLIAM, *The Mind of St. Paul*, London, 1958.

BARRETT, C.K., *First Epistle to the Corinthians*, the Black Series, 1968.

BORNKAMM, G., *Paul*, 1969 (German, Stuttgart), translated by D.M.G. Stalker, London, 1971.

BRUCE, F.F., *New Testament History*, Oliphantes, 1970.

BRUCE, F.F., *Paul: Apostle of the Heart Set Free*, The Paternoster Press, London, 1985.

CONYBEARE, W., *Life and Epistles of Paul*, reprinted edition, Grand Rapids, Michigan, 1987.

CULLMANN, O., *The Christology of the New Testament*, E.T. 2, 1963.

DAVIES, W.D., *Paul and Rabbinic Judaism*, London, 1948.

DEISSMANN, Adolf, *Paul. A Study in Social and Religious History*, translated by W.E.Wilson, 1957, reprinted 1972.

DIBELIUS, M., *From Tradition to Gospel*, London, 1934

KITTEL, G., *Theological Dictionary of the New Testament*, Eerdmans, Grand Rapids, 1964.

LIDDELL, H.G. and Scott, R. *An Intermediate Greek-English Lexicon*, Oxford, 1986.

LIGHTFOOT, J.B., *St. Paul's Epistles to the Colossians and to Philemon*, Zondervan, 1965.

LIGHTFOOT, J.B., *St Paul's Epistle to the Philippians*, Classic Commentary Library, 1965.

MILMAN, H., *History of the Jews*, London, 1909

NEANDER, AUGUST, *General History of the Christian Religion and Church*, Edinburgh, vol. I, 1847.

Oxford Dictionary of the Christian Church, ed., F.L. Cross and E.A. Livingstone (2nd ed., 1974).

PAX, Wolfgang E., *In the Footsteps of St. Paul*, Nateev Publishing, 1977.

PFLEIDERER, O., *The Influence of the Apostle Paul on the Development of Christianity*, London, 1885 (*Hibbert Lectures*).

PRAT, F., *The Theology of St. Paul*, 2 vols., translated from the 11th French edition by John L. Stoddard, The Newman Bookshop, Westminster, 1958.

The Pulpit Commentary, edited by H.D.M. Spence and Joseph S. Exell, WM. B. Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan, 1981.

RIDDERBOS, Herman, *Paul, An Outline of His Theology*, Grand Rapids, 1975.

WESTCOTT, Brooke Foss, *The Epistle to the Hebrews*, The Greek Text with notes and essays, WM.B. Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, 1980.

تمهيد

نظرة عامة على حياة القديس بولس الرسول

القديس بولس الرسول هو الرسول الثالث عشر بحسب الإنجيل ، وهو الرسول الذي حمل نور المسيح للأمم تنميماً لنور سمعان الشيخ وهو حامل الطفل يسوع على ذراعيه : «الآن تطلق عندك يا سيد حسب قوتك سلام ، لأن عبيتي قد أبصرت خلاصك الذي أعددتَه قدام وجه جميع الشعوب ، نور إعلان للأمم...» (لوقا ٢٩: ٢٢-٣٢).

والقديس بولس هو ألمع شخصية بعد المسيح في الأناجيل ، وفي نية الأسفار في العهد الجديد .

وحياة القديس بولس مستمدة من حياة المسيح ، بحسب تعبيره هو : «... فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في» (غل ٢: ٢٠) ، هذا بالنسبة لنفسه ؛ أما بالنسبة لنا فيقول : «كونوا متمثلي بي ، كما أنا أيضاً بالمسيح» (١ كور ١١: ١). بهذا يكون القديس بولس ليس هو بولس على قاعدة مؤهلانه ، بل على قاعدة المسيح ومعظياته . هذا التقييم كان يحثه بولس الرسول في نفسه ، ومن هذه القاعدة انطلق يكرر ويعلم ويشرح ويمطع بكلمه الحق ، ييقن وتبار واعتد ، بالروح لدى كان يتحرك فيه ويتحرك هو على هداه .

لهذا كان لقديس بولس هو الفوه المقالة المحركة للكنيسة في العصر الرسولي . وهذا أيضاً بعد تعبيره : «ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ، وبعمة المعطاة لي لم تكن باطلة ، بل أنا تعبت أكثر منهم جميعهم (ارسل) . ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي.» (١ كور ١٥: ١٠)

هو أكثر ارسل قاطبة من تكشف لنا صفاته الشخصية وأمره الخاصة بحياته ، سواء تلك التي ذكرها هو عن نفسه مباشرة ، أو التي يشهد استخلاصها من كتاباته وأعماله . ويكمي لكي نبرز شخصية القديس بولس في ذهن لقارئ — كما هي في التاريخ الكنسي — أن يعرف أنه من بين السبعة والعشرين سراً التي يصممها العهد الجديد والتي احتفظت بها الكنيسة في قانونها ، له منها

أربع عشرة رسالة: ثلاث عشرة تحمل اسمه وإمضاءه، والأخيرة وإن لم تحمل اسمه فهي تحمل روحه وفكره، وهي منسوبة له كنسياً. وهذه الرسائل في مجموعها تزيد عن رُبع مدونات العهد الجديد برُمته.

هذه الأسفار المدموغة باسمه وبروحه، هي كلها على مستوى الرسائل تصعنا في مواجهة مكشوفة وقريبة للعاية مع شخصية القديس بولس الرسول، سواء من جهة حياته أو جهاده العيف الذي فُرض عليه، بكل نجاحاته المذهبة وإخفاقاته المريرة، ومن هذه وتلك تتضح لنا علاقته الصميمة ولحميمة بالمسيح، وإيمانه الذي كانت تحركه قوة داخلية لا يُشق لها غبار.

وحياة بولس الرسول بكل الزخم الروحي الذي يقبض منها، مع عراكه ضد العالم الذي لم يهدأ لحظة، إما تصوّر لنا صفحة من صفحات تاريخ المسيحية المشرق في عصرها المبكر جداً.

وهذه الرسائل التي كتبها في أوائل الخمسينات من القرن الأول المسيحي والتي تركها وراءه ذخراً وكنزاً لا يفنى للكنيسة، هي بأن واحد وثائق تاريخية بالدرجة الأولى، على أعلى ما يمكن من الأصالة، والتي تفوق في أصالتها التاريخية كل ما عداها من الأسفار.

وليسنته الفارء، فإن رسائل بولس الرسول كُتبت وقرئت في الكنيسة، وتسجّلت في فكر المؤمنين، قبل كتابة الأناجيل الثلاثة الأولى وبعشرات السنين^(١).

وإد نحن بصدد سرد حياة بولس الرسول التي نستخلصها من رسائله التي كتبها في زحمة الحوادث، وسط مشقة الأسفار والأسفار، ونمت وطأة السلاسل والقيود، وفي عتمة السجون، ينبغي أن نلتفت إلى أنها تقدم لنا صفحة واحدة ولكنها من أجد صفحات حياته، حيث كانت حوادثها إما تجري نحو خاتمتها باستشهاد.

ومع رسائل القديس بولس الرسول، وجباً إلى جنب — من جهة ترجمة حياته — يقف سعر أعمان الرسل ليحتل المكانة الثانية بعد رسائله، سواء في الأصالة التاريخية أو الأهمية الكنسية، باعتباره التقليد الرسولي الأول الذي يحوي نشأة وحركة الكنيسة الأولى، مع صور ومضابط جسات أول مجمع للكنيسة بواسطة الرسل أنفسهم وبحضور القديس بولس وبدعوة من الله.

وهذا السفر، وإن كان قد قدّم أعظم حوادث الكنيسة على مدى تاريخها كله، فهو يقدم وصفاً

حيون الروح القدس على التلاميذ ولبدء ظهور كنيسة المسيح متتبعاً أولى حركاتها. إلا أنه عندما بلغ
 ن تسجيل حوادث دحون بولس (شاول) إلى الإيمان المسيحي، بدأ يشتغل كنيةً تتحرك بولس
 لرسول، وكشف عن ذكر أي شيء آخر عدا ذلك، وحتى حادثة السفر! فهو يقدم شخصية بولس
 رسول مركز شديداً، كجسم تألق في سماء المسيحية فجأة، ولكن ملتجماً مع قيام الكنيسة ككل.
 سادي جعل سفر الأعمال في التقليد الكنسي ذا وزن عال لا يقل عن لرسائل من جهة التأريخ
 لشخصية بولس الرسول، هو أنه كُتِب بيد القديس لوقا الإنجيلي كملحق لإيجيه لدي كنه بن
 سبعينات والثمانينات من القرن الأول^(٢). وقد صاغه على خلفية تاريخية مدعومة بالتاريخ للمدني
 الروماني والتاريخ الديني العبري معاً.

والقديس لوقا لأنه كان رفيق القديس بولس في الأسفار، وشريكه في خدمة، وصديقه
 محبوب «لوقا الطبيب خبيب» (أنظر كو: ٤: ١٤ و٢ تي: ٤: ١١ و١ فل: ٢٤)، استطاع أن يُشهِب في
 تسجيل أحوال بولس الرسول وتحركاته وكيفية دخوله إلى المسيحية.

ولكن على ضوء الأبحاث الحديثة التي يقدمها علماء التاريخ الكنسي، يعود سفر لأعمال
 سجلت المكاة الأقص والأضعف بالنسبة للرسائل على أساس أن القديس لوقا تأخر في تدوين إيجيله
 وسفر الأعمال. ولكن من وجهة نظرنا نسأل ما قيمة بضع سنين بالنسبة لشاهد عيان ورميل خدمة
 وأسفار، دي وعي وإلهام، كان ينتش الأخبار أولاً بأول ويسجلها في ذاكرته ومدكراته؟ علماً بأنه
 كان يستقي أخباره دائماً من الذين عاينوها وحدهموا، ويوقعها على زمنة الملوك واحكم وسجلات
 الشخصيات المعاصرة، بمعنى أنه كان يؤثق التاريخ بشهادات ثابتة فوق شهادته هو، رعة منه لنوع
 سيفي لدى القارئ كغاية يهتم بها أيما اهتمام: «إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في
 الأمور المشيئة عندنا، كما سلّمها إبننا الذين كانوا منذ لبدء معانين وحُذاماً للكلمة؛ رأيت أن
 أيضاً، إذ قد تثبت كل شيء من الأول تدقيق، أن أكتب على التوالي...» (لو: ١: ٣-١)

ومن حياة بولس الرسول التي ستقيها من رسائله، ندرك أنه قد أوقف هو لآخر كل مواهبه
 وملكانته على إرسالته التي استغرق في خدمتها استعراقاً، انتع كل ما بقي له من عمر بعد أن
 معرّف على المسيح وأمر به. فهو لم يشغل بتأليف إنجيل كبقية لتلاميذ، كما لم يداو ولا مجرد

2. Oxford Dictionary of Christian Church, p. 13.

يقول العلامة كسبر Longbeare أن القديس لوقا كتب إيجيله سنة ٦٠م أثناء ما كان بولس رسول في سجن قصره مدة
 سنين، بمساعدة بولس. هكذا أن القديس مرقس كتب إيجيله بمساعدة بطرس، هكذا القديس لوقا كتب إيجيله بمساعدة بولس
 رسول

محاولة أن يصيغ مؤلفاً يسودع فيه معرفته الجديدة مُنْشَقَّة ومُبوَّبة على مستوى الشرح العقائدي أو اللاهوتي كما فعل الإنجيليون والكتاب المسيحيون الأوائل، وهو أقدر من يكون على ذلك؛ ولكن على العكس من ذلك، إذ نحن لا نعثر له على شرح معين لسفر من الأسفار. وحتى من جهة تصنيف الشخصيات من الوجهة الكسبية، فإننا لا نعثر له على ما يَصَوِّرُهُ بأنه اللاهوتي المحترف بفضايا اللاهوت، فكما نراه يفتح كل قصايا اللاهوت في كل رسائله بكل اقتدار. فكل ما كان يعلم به، بل كل ما كان يكره فيه ويردُّ عليه، كان يقبسه على إيمانه بالله والمسيح، بل إن حياته وعمله وتنقلاته كان قد سلَّمها لتدبير النعمة لتكون كلها مثلاً لرجل الإيمان الصحيح، أو حتى لتحاكي المسيح: «كونوا متمثِّلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح.» (١ كو ١١: ١)

وقد كانت قناعته أنه مختار ومُفَرَّز من البطن (غل ١: ١٥) للشهادة للمسيح حافراً له لأن يعتبر المسيح حياته، وأن الموت من أحبه ربح (١: ٢١). كما أن ظهور المسيح له من السماء، جعل وجه المسيح يستطيع في قلبه بإشراف نور دائم وهيب لا ينطفئ (٢ كو ٤: ٦)، وقد صاعته النعمة سيكون ما كان (١ كو ١٥: ١٠)، لذلك كان يشعر أنه رسول لا يقل عن فاضلي الرسل (٢ كو ١١: ٥)، فقد دعاه الرب من السماء بالاسم لحمل الاسم (غل ١: ١٥).

هذا كله أعلمه بولس الرسول عن نفسه، ليدرك القارئ أنه إن تكلم عن المسيح والله، فالمسيح والله هو المتكلم فيه: «سعى كسراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا» (٢ كو ٥: ٢٠)، «برهان المسيح المتكلم في.» (٢ كو ١٣: ٣)

لقد كان بولس الرسول شاهداً ومُشْراً، كما تلقَّاها من الله على فم حنانيا: «لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس بما رأيته وسمعت.» (اع ٢٢: ١٥)
«لأن المسيح لم يرسلني لأعقد بل لأُشْر.» (١ كو ١٧: ١)
«لِي أُنْصِرَ جميع القديسين أُعْطِيَتْ هذه النعمة أن أُشْر بين الأمم بمعنى المسيح الذي لا يُسْتَقْصَى.» (أف ٣: ٨)

وقد استزم بحفلة التبشير هذه واحترمها وقَدَّسها تقديساً، فقد سلَّمت إليه من فم الرب ليملاها في أقل حيز ممكن من الاختيار: «هو يَلِيَّ لِي إِنْ كُنْتُ لَا أُبْشِر.» (١ كو ٩: ١٦)

ولكن تبشير بولس الرسول اقتصر على الأمم، وكأنما الله وهب لليهود الأحد عشر رسولاً، وخصَّص للأمم أو بالحري للعالم كله، بولس وحده. وبفد ما تعثر الرسل في خدمتهم لليهود بسبب قساوتهم، أطلق القديس بولس يقدم ذبائح الأمم (رو ١٥: ١٦) بلا عدد ولا حصر أمام

عرش نعمة المسيح، حتى امتلأ كل البيت حسب إرادة صاحب الوليمة (لو ١٤: ٢٣). وفي حين
وعشرين سنة غداً، نولس الرسول أعتى إمبراطورية وثنية في العالم وأخضعها لمكر المسيح. وكما
كان سيده يجول في مدن اليهودية والجليل يصنع حيراً ويجمع خراف إسرائيل الصالة، أنفن المقدس
نولس فن الارتحال حول العالم الوثني بأمنه وشعوبه، يهدم أنصاته، ويجمع للمسيح اخراف لأخر
(يو ١٠: ١٦) ليضئها للحظيرة تحت لواء الراعي الصالح والوحيد.

ثلاثون عاماً قضاها نولس الرسول في الترحال، يصرب بعصاته فوق الطرف الوعرة، تحت رحمة
النصوص واسيوس، ويمحر البحار سفن الشراع التي طالما تكثرت به ليفضي ليايله في لعمق. ثم
يلتقط فيها أنفاسه إلا في السحون تحت المفطرة والقيود.

وهكذا يرى كم كانت إرسالية لقيس نولس موسومة بأنساب تفوق الحصر وتفوق انتصو
يضاً، ومنذ أول لحظة حمل فيها نير المسيح! فقد استلم نولس لرسول إرسالية من هم المسيح محتومة
بالألم والمعاناة، ليس في تعدد أنواعه وحسب، بل وعلى مستوى «الكَم»: «سأريه كم ينبغي أن
يتألم من أجل اسمي.» (أع ٩: ١٦)

أما هو فكان يستمرى هذا اعناء المأسوي، بل وتقادى في التلغني بشدنده الخاصة حتى إلى
الافتحار، بل وكان يطلب منها المزيد. كل ذلك عن ضمير مجروح من حراء ما عدب به المسيحيين
الذين وقعوا تحت سطوة فيريسته قبل أن يُداهمه الرب في مشواره الأخير إلى دمشق!

أما يمرّ عتذره بالألم، واحتساب آثار الجروح في جسده — من صُرب الشياطين والعصى، كأنها
سمات أو أوسمة للفخر — فهو الصليب. فصليب المسيح كان يسطع في قمة إدراكاته ووعيه
(١ كو ٢: ٢)، حتى قنّب له معنى الألم والمعاناة والاصطهادات والمؤديات، حتى الموت نفسه بكل
تهديداته صار عنده مسرة وشهوة يشتهيها.

- + «أفرح في آلامي...» (كو ١: ٢٤)
- + «ي شتاء أن أنصق، وأكون مع المسيح ذلك أفصح جداً.» (في ١: ٢٣)
- + «في الحياة هي المسيح، والموت هو روح.» (في ١: ٢١)
- + «وأما من جهتي، فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلبت
العالم لي وأنا للعالم.» (غل ٦: ١٤)
- + «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه، منتشياً بموته.» (في ٣: ١٠)
- + «إني بافتحاركم الذي لي في يسوع المسيح ربنا، أموت كل يوم.» (١ كو ١٥: ٣١)

وهكذا، مع تزامم الآلام وعناء السفر، والسمر في تلك الأيام كان عناء في عاء، لم يتق
لقديس بولس فسحة يمارس فيها موهبة التأمل في الإلهيات التي كانت تتأجج فيه كشعلة متقدة
تداعبها الرياح فلا تتركها تهدأ لحظة!

فكان القديس بولس يُطَوِّع لَهَب اللاهوت المتأجج في روحه لخدمة الخلاص وإنارة طريق الحياة
أمام المؤمنين. فمره - في لاهوته - يتألق بالروح إلى آية أو آيتين، يعود بعدها ليستغرق في التطبيق
الأخلاقي، فيستحول اللاهوت إلى مسائل، بحثٌ ويعتف، يُرْعَب ويحذر، لأن عيه كانت مسيطرة
دائماً على تهذيب النفوس التي اؤمن على خلاصها. فكلما دخل إلى العمق اللاهوتي من أوسع
أنواره، نحسبه قادماً لا محالة إلى بحث حطير، فإد به يعود ويجرّه الحماس نحو تصحيح الأفكار
وتعديل امبادئ عند الكنائس التي كادت ترتد عن الإيمان المستقيم. وهذا بعد ذاته يكشف عن
الخط الصكري والروحي الأكثر تمكناً على نفسية هذا القديس، فهو معتم أحد فيه روح التهذيب
كل مأحد، واستحود عليه روح الخلاص وتحرير عقول وقلوب وأرواح الناس. وإن لَرَم اللاهوت،
فهو لحساب النفوس المتعة والثقية الأحمال، ليعيد إليها أصالتها وحريرتها في الله تحت نير المسيح
الحين ويحييه الخفيف.

ولكسا حيسا بجمع شوارد لاهوتياته في رسائله معاً، فإننا نكون أمام أضخم مُعْجَم لاهوتي ظهر
في حياة الكنيسة كلها. ويكفي أن يعترف أعظم اللاهوتيين، حتى والنقاد، أن لاهوت القديس
بولس قدّم إيماناً مسيحياً نقيّاً من الخرافات والشوائب، بعيداً عن التأملات المستغرقة فيما وراء
الطبيعة، وتركز في فتح وعي الإنسان المسيحي لمعرفة ذاته، وكشف حقيقة العالم الذي تحكمه
حكمة الله المحفمية مد الدهور، وأعطى أعظم وأجل صورة عن الله التي استُعِلَّت بكاملها في
المسيح: «نتكلم بحكمة الله في سر، الحكمة المكتومة التي سق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا،
التي لم يعلمها أحد من عطاء هذا الدهر (يفصد الفلاسفة والشعراء وحكماء إسرائيل)... فأعلنه
الله لنا بحن بروحه، لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله» (١ كو ٢: ٧-١٠)؛ بل
وأرجع معرفتنا لذواتنا لمصدرها الحقيقي، وهي معرفة الله حتى أعماق الله بالروح، لأننا معروون
له. وقد عتسر بولس الرسول هذه المعرفة أنها نعمة موهوبة: «لأن من بين الناس يعرف أمور
الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه، هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله. ونحن لم
سأحد روح العالم (فلسفة اليونان)، بل الروح الذي من الله يعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله.»
(١ كو ٢: ١١ و١٢)

ثم استطاع الرسول بولس أن يربط بين معرفة الإنسان لذاته وانفتاحها على معرفة الله مصدرها.

ثم يربطهما باخضوع والطاعة لله لنبوع الإيمان والمحبة إلى واقع وجودي حيّ فعال. وهكذا تنفي معرفة الإنسان لدته مؤمنة — بالتصاقها بالله، والثقة بالواقع احيى لما جح المسنود بالنعمة — صد رلل لإنسان وراء أوهام العالم وحرافات التعاليم غير المؤشّة على الحق الإلهي.

هذا من جهة الفرد، أم من جهة الجماعة فقد شدّت الكيسة من أروهم وربطت أروهم، وصهرت أفكارهم وعقائدهم وآملهم ورجاءهم في حياة والموت وما بعد الموت؛ فقد سئلهم بولس برسول من المسيح حليفة الكيسة كروح يجمع شمل كل روح وكجسد لمسيح اندي يجمع لمسيحيين ويعمرهم فيه أعضاء. فانبثقت الكيسة كذت تحيا وتشعر وتفرح وتألّم ككيون من العالم. وكأتمّ تجمع أولادها في حصصها، ها فكر المسيح وقوته، ولها صليب المسيح ومعتمه، حصرها مستعمل دائم، ومستعملها حاصر قائم. تعيش احياء الأبدية كل يوم، ويمارس انقيامة في آلامها وموتها، كمن تحيا فوق الموت.

وإنّ أجرّ خدمة صنعها لعديس بولس بكيسة المسيح، ولتي تدكّر له بدموع، نه عطفه من ساموس. وسكن لا يزال يؤلّسا حليفة أن لاهوب بولس الرسول لا يزال يحتاج لمن يفهمه ويشرحه!! وبولس الرسول لاهوتي على مستوى رسائل. ورسائل بولس الرسول هي إشارة حارة تسمد حرارتها من إيمان ويقيس كاتبها، يدغمها للاهوت بين السطور كجواهر مرشعة.

بولس الرسول كان يكتب رسائله عن ضطرار — وفي السحور — حيسا كبت تحجف به الطروف، ويضئ عبيه الرمان، فلا يستطيع الحصور بمسه ليتكلم ويعلم. ولكن يا لخسن هذه الطروف! وجرى الله هاذي الشدائد كل خير! فقد أنحفنا رسائل لم نمنّ علينا السماء بتلها.

وبن كد قد دقه أهل كورنثوس، بسبب شدة أسلوب رسائله بالسسه لصعب حصوره: «في حصرة دليل سيكم، وأما في العيبة ممجس عيكم» (٢ كو ١٠: ١)، وعلى حد برديد قوهم: «الرسائل ثقيلة وقوية؛ وأما حصور جسد فصعيف، والكلام حير» (٢ كو ١٠: ١٠)؛ كل هد يوضح أنه حينما كان يتخذ بعد عناء لسفر إلى رقوقه ليكتب، كان يأتيه الفكر محمولاً على لروح، صافياً كالسما، عميقاً غمق المسيح والله!

ورسائله تحكي لنا وتصور العلائق الحميمة لتي كبت تربط هد المشّر بكنائسه، فهي حية تنص بالحب والحياة، وبالعضب أيضاً وابعيد ولتهديد: «من يصعب ونا أضعف؟ من يعثر ونا لا ألتهب؟» (٢ كو ١١: ٢٩). وإد بقرأ حن هذا أيضاً في رسائنه، ندخل حسه من خلال نديله لمديسيه ولحييه أو تعيقه لندين صدهم العدو عه بعروره، فتعيش رسائنه، بن وعيش

كنائسه، بل ونعيش أنفاسه ونتحسس دقات قلبه وبديع مشاعره.

والآن وبعد ألفي سنة، وعندما تُقرأ رسائله في الكنيسة، يصمت السامعون لأن بولس يتكلم!! تأمينا كلماته حياة مدوية نفس بريقها الأول يوم نُطفها، فدخل معه طرفاً في الحوار، نفس الحوار الذي انشغلت به كنائسه في القرن الأول، فالتمس هي التمس وعطشها الآن هو هو كما كان عطشها في ذلك الزمان، والحاجة إلى الروح هي الحاجة دائماً.

رسائل بولس الرسول تُجسد الكنيسة الأولى، وتُحضرها حضوراً أماماً عبّر هذه الألفي سنة، كواقع حيٍّ ملموس، نُعاشره معايشة الحيّ للحي. فعندما يذكر القارئ اسم الكنيسة التي لها رسالة يحسُّ بحضورها على التو، ماثلة في الدهس بالروح. وإذاتمعص الحوار، فإذا هو حوارنا، فهو حوار أميسا ويومنا. هكذا تجمع رسائل بولس بين الأجيال وتُجسد الكنيسة الأولى عبّر الزمان، تعيش الكنيسة الآن عصر بشارتها الأولى كل يوم.

ورسائل بولس الرسول هي أقدم وثائق مكتوبة بلّغتنا عن مسيحيتنا. بيد بولس أول يد كتبت عن المسيح وللمسيح!!

إمضاء بولس في الرسالة ليس هو الدليل الوحيد على صحة الرسالة، فرسائله تحمل روحه وأنفاسه ولعته، بل وقسمات وجهه مع أبيته ومرضه، وما أقل استقاماته.

رسائل بولس الرسول فريدة بين الرسائل والأسفار قديمها وحديثها، فهي تحدد معالم إيمان الكنيسة الأولى، ليس بالكلمات وحسب؛ بل إنها بالحرارة والغيرة والرهبة، مع جسامه الخدمة ومسئولية الكرامة، تكشف لنا إلى أي مدى بلغ المسيحيون الأوائل من فهم دقائق الإيمان، ومواضيع الخلاص. ويكفي إلقاء نظرة على الرسالة إلى أهل رومية أو إلى كورنثوس أو أفسس أو كولوسي، لنندرك ما بلّغته هذه الكنائس من إدراك لسر الإيمان والخلاص والتبرير والفداء، كل ذلك لمدح مجد المسيح واته، وكيف قبلوا، بل وفرحوا في آلامهم، لتحلّ عليهم قوة المسيح، وكيف استساغوا أن يكونوا شركاء لآلام المسيح ليكونوا شركاء مجده.

ثم تكشف لنا رسائله مدى غُتو عناصر المقاومة، اليهودية تارة، والوثنية تارة أخرى، وأصحاب العلم الكادب (الفنوسيين) تارة أخرى، وكيف اجتت بولس هذه الحركات العاتية شرقاً وغرباً. والتاريخ يشهد له كيف أحمّد أصواتها جميعاً، وليس عن قدرة علمية أو فلسفية حارب بولس الرسول هذه الحركات والفلسفات والبذع فأسكتها، فعلامات الروح والسمة والإلهام قائمة في رسائله ناطمة

تشهد لكتابها ولموضعه الأثيل (*) عند المسيح .

وأنت لا تعثر في رسائل بولس الرسول على فلسفات فارغة، أو تأملات ناعسة، تفحص فيما وراء الطبيعة، أو نظريات يعوزها الواقع العملي؛ بل إن كلمات بولس الرسول تتخذ من أذن السامع بصيراً لصدق دعاها، ومن ضميره شهادة على إصابة مرماها، وإن خصوع الملايين التائبين على هداها هو بحد ذاته شهادة للروح القدس الذي أُمسك بروح بولس وفكره وأملاها!!

لقد افتتح بولس الرسول برائله منبراً جديداً وسط الأسفار، فهو الذي رفع الرسالة إلى مستوى الشُّرف، قداسة وهيبة وتعليماً ونوراً وخلاصاً. فكل رسالة هي بحد ذاتها سِفْرٌ، ورسائله حتى اليوم تشدو ولها كافة كنائس العالم، وكأنها نبيّ متجول أو مُبَشِّر لا يَسْقُطُ مكان، فالرسول بولس معشوق عند الذين يقرأونه وعند الذين يسمعون، سواءً بسواء. وما ذلك إلا لأن الرسول بولس أرادها، وأرادها له الله أن تعوض عن حضوره، فصارت رسائله حضرة له دائمة، تحفظت حدود زمانه، وتحذت انقطاع صوته ومماته. فبولس الرسول حاضرٌ برسائله أينما قُرئت، حيٌّ يطاع، فصارت وسيلة فعالة للكراسة لم يستطع أن يحاكيها على مدى الدهر مُحَاكِ!

والرسالة عند بولس تحمل كل سمات الرسالة العادية، من بادئة يُذكر فيها اسمه، ثم يُقرىء فيها السلام ويُهدى من لَدُن الله والمسيح والروح لأحبائه والمؤمنين، ويختتمها بالدعاء، ثم يستودعهم دائماً أبداً نعمة المسيح.

ولكن الذي يرفع رسائل بولس الرسول فوق كل رسالة ويفر كُتِبَ في القديم أو في الحديث، هو أنها تحمل أعمال المَبَشِّر بكل أسرارها ومقوماتها: فسدأة الرسالة نصائح ووصايا ولاهوت، ولُحْمَتُهَا عَرَقُ الخدمة ودموعها مع مسرّت وأفراح، يتخللها صرب العصي وجَلْد السياط، مع أهوال في البحر ومخاطر، والزَجْ في غياهب السجون في قيود ومقاطر، ثم تنقش العيوم عن نجاة وشكر، ثم مرة أخرى مزيد من الأسفار، وهكذا من مدينة إلى أخرى ومن رسالة إلى رسالة، إلى أن أكمل السعي تحت سيف نيرون.

فلغة بولس في الرسالة روح وعمل معاً، ليس من السهل العبور عليها من آية إلى آية دون أن نصيب ضمير القارئ في موضع موجه، فهو مبشِّر يستصرخ الضمير، ويستنفر الإرادة ليوقع فريسته في دائرة التوبة. والتوبة عند بولس الرسول تغييرٌ من الأساس، يحفر ويمقّق لِيُرْسِي الحياة الأبدية

(*) الأثيل يعني المنار والأقرب .

على بَيْعٍ كاملٍ للذِّنيا، على ضَلْبِ العالمِ للنفسِ، فلا يعودُ شيءٌ منه يسهوُ بها، وعلى ضَلْبِ النفسِ للعالمِ فلا تعودُ النفسُ تصلحُ لِلْهُوِ العالمِ أو لمجده الكاذبِ.

والكلماتُ أحياناً كالخِرابِ المصوَّبَةِ، من الصعبِ جداً تحاشي مرماها، لأنَّ الروحَ هو الذي يصوَّبُها ويدفعها. فالكلمةُ عند بولس الرسولِ مسنونةٌ بروحِ الله، تتعدَّى إلى مفارقِ النفسِ والروحِ حتى إلى مخاخِ العظامِ، تكشفُ وتُعْري وتُبكِّتُ ثم تضمِّدُ.

وبولس الرسولِ لا يكتبُ الرسالةَ بفكرٍ يستعيره من خارجِ نفسه، بل يكتبُ فيصفِ نفسه وما يدورُ في قلبه وروحه دون أن يدري، فتسمعُ منه صوتَ ضميره؛ وتحسُّ بخلجاتِ نفسه، فتشعرُ بحزنه ومراره وبأسه وأمله وغبضه ورضاه. ولكن من المسيرِ كل المسيرِ أن تقعَ العينُ أو الأذنُ على كلمةٍ لا تسندها النعمةُ.

والرسولُ بولس يكتبُ وعيسته على القاريءِ والسامعِ، يصوَّبُ نحوه الكلماتُ ويحددُ المعاني والآيات. فهو لا يستغرقُ في الكتابةِ عندما يستهويه الحديثُ عن اللاهوتِ، أو يأخذه الحماسُ للنوعِ أو يسزلقُ وراءَ التفسيرِ أو التأويلِ بل يختارُ ويختارُ، ويرحُّ هذا دذاك، وهو يحاصرُ القاريءِ والسامعِ من كلِّ الجهاتِ ليبلغَ به إلى الغايةِ التي بلغها هو، ويستعلنُ بالروحِ ما استعلنه!

وبولس الرسولِ يحذِّرُ من الرَّجَّةِ إلى القديمِ الذي عَثَقَ وشاح، والذي كاد يودي بحياته هو، ويستجلي الجديدَ في سورِ المسيحِ الذي بهرناظرته حتى أعماهها من فرطِ لمعانه. فهو يمدِّمُ خبراتِ إيمانه الثمينِ كميراثِ الحكيمِ يود أن يورثَ بنيه أعزاً ما يملكُ، فيحكِّي كيف باعَ وفرطَ في كل ما كان له، وحسبَ أن كل ما باعه كان تلفاً وخسارة، ذلكَ ليشتريَ فضلَ معرفةِ المسيحِ الذي حبيبته الربِّ كل الربِّ، وكان غايةً مثاه أن يوجدَ فيه!

بولس الرسولِ جذوةٌ من نارٍ اختطفها المسيحُ من فوق طريقِ دمشقَ ليشعلَ بها قلوبَ العالمين: «إلهَ آبائنا انتخبك لتَقُمَ مشيئته، وتُبصرَ النارَ، وتسمعَ صوتاً من فمه، لأنك ستكونُ له شاهداً لجميعِ الناسِ بما رأيتهُ وسمعتُ» (أع ٢٢: ١٤ و١٥). «لأن هذا لي إناءٌ مختارٌ ليحملَ اسمي أمامَ أممٍ وملوكٍ وبنِي إِسْرَائِيلَ.» (أع ١٥: ١٥)

لقد اختصَّه المسيحُ بمسحةِ النعمةِ أكثرَ من رفائه، فظلَّ يكررُ بها طولَ حياته، كرَسُولٍ مُنْصَحٍ لنعمةِ المسيحِ المجانيةِ، حتى دمعَ العهدِ الجديدِ كله بحتمِ النعمةِ، وجعَ كلِّ الخلاصِ بين دفتيها: «لأنكم بالنعمةِ مَخْلُصُونَ» (أف ٢: ٨). فبولس الرسولِ أولُ من جَمَعَ ابركُله في «اللهِ بالمسيحِ»، فاللهُ وحده هو البارُّ الذي يعطي برّه فيبرِّرُ من يشاء، جمعَ كل أعمالِ الله وعطاياه تحتِ النعمةِ،

فبالنعمة وحدها — في المسيح — تُنال كل عطايا الله. فليس من قال قط إن «الله يبرّر الفاجر»
إلا بولس الرسول (رو٥: ٥)، برعم ما قاله الله نفسه في سفر الخروج: «لأنني لا أترّر المذنب.»
(حر٢٣: ٧)

المسيح ارتضى بالمحبة أن تكون هي، لوصية الأولى والعظمى في الناموس؛ فجاء بولس لرسول
ليجعل المحبة هي تكميل الناموس (رو١٣: ١٠)!

المسيح جاء ليلقي باراً على أرض الإنسان، وبولس الرسول حملها بين صوعه: «مَنْ يَصْغَفُ
وَأَنَا لَا أَصْغَفُ. مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لَا أَتْهَبُ.» (٢كو١١: ٢٩)

المسيح تخفّى عن مجده الإلهي ليظهر في صورة إنسان بلا جمال نشتهيه، وبولس الرسول تخفّى عن
مجد فرئيسيته ليظهر في الصورة كأمني بلا ناموس.

المسيح حمل خطايا العالم، وبولس الرسول حمل همّ أمم العالم الوثنية. ولسان حال بولس تجاه
الأمم كان على مستوى ما قاله المسيح بالنسبة لزكّا اعشار الخاطيء: «اليوم حصل خلاص لهذا
البيت، إذ هو أيضاً ابن إبراهيم» (لو١٩: ٩)؛ وبولس وقف على مشارف الأمم وقال اليوم حصل
خلاص لكل الأمم إذ بالإيمان هم أولاد إبراهيم حسب الوعد أيضاً.

المسيح بحسب نبوة سمعان الشيخ: «ها إن هه قد وُضع لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل
ولعلامة تُقاوم» (لو٢٤: ٢٤)؛ وبولس الرسول ليس من يب جميع الرس وخذّم المسيح قاطبة من
صار مثله سبباً في سقوط إسرائيل وناموسها وقيام الكثيرين في إسرائيل الجديدة ونورها، وكان أكثر
من تقبّل عُنف مقاومة من سي جنسه ومن لأمم ومن الشيطان نفسه.

المسيح تألم بالجسد؛ وبولس الرسول كُتِلَ نفاًنص شدائد المسيح في جسده.
المسيح مات مرة فأُثِمَّ الموت؛ وبولس الرسول عَمِيتَاب كثيرة أكمل حياته في المسيح.
المسيح بالهدية رُفِعَ في مجد؛ وبولس الرسول أخيراً وُصِعَ له إكليل البر.

ولا يُعْثَانِي بولس الرسول حينما يرى أن إرساليته للأمم هي على التوازي — وإن لم تكن على
لتساوي — مع إرسالية موسى بالنسبة لشعب إسرائيل، فإن كان موسى قد استقبل لناموس القديم
من فم الله مباشرة دون وسيط مسجلاً على لوح حجر؛ فالرسول بولس بالمقابل استقبل الإنجيل
من فم المسيح مباشرة ودون وسيط مسجلاً على صفحات قلبه ومقوَّشاً في وعيه المسيحي. اسمعه
وهو يعرر ذلك: «فنبتهدى عدو أنفسنا؟ ... أنتم رسالتنا مكتوبة في قلوبنا، معروفة ومقروءة من

جميع الناس، طاهرين أنكم رسالة المسيح غدومة مناء مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي، لا في ألواح حجرية، بل في ألواح قلب لحمية» (٢ كور ٣: ١-٣). وإن كان نور وجه الله قد انقطع على وجه موسى الرائل فالتجأ إلى البرقع ليستر نوره عن أعين الشعب، فبولس انقطع نور وجه المسيح في قلبه لإبارة معرفة مجد الله، فأنكشف له سر الله المكتون منذ الأزل.

وإنه وإن لم يصُرح بولس أنه قام بالفعل بعملية خروج عظمى للأُمم من عبودية الخطية وسُخرة الشيطان على مستوى خروج إسرائيل بيد موسى من عبودية فرعون، إلا أنه سجّل كل مفرداتها. وقد ألح المسيح نفسه إلى هذا الخروج عيه كهممة عظمى ألقاها على كتفيه حينما قال: «قد أقمتك سوراً للأُمم لتكون أنت خلاصاً إلى أقصى الأرض» (أع ١٣: ٤٧). «قم وقف على رحيك (اصعد إلى الجبل)، لأني لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت، وبما سأظهر لك به مُنقذاً إياك من الشعب (فرعون) ومن الأُمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم لتفتح عيونهم، كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان (سُخرة فرعون مصر) إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غصن الخطايا ونصيباً (في كنعان) مع المقدسين» (أع ٢٦: ١٦-١٨). والفصح هو الفصح، هناك حروف وهنا أس الله: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبِح لأجلنا». (١ كور ٥: ٧)

وإن كان موسى قد تَهَدَّب بكل حكمة المصريين. فبولس الرسول تَرَبَّى عند رحبي عمّالائيل أعظم حكماء إسرائيل. وكما ابتدأت قصة موسى بقتل المصري؛ ابتدأت قصة بولس بقتل إستفانوس. وكما تعرَّب موسى أربعين سنة في سيناء العربية قبل أن يبدأ خدمته؛ تعرَّب بولس الرسول ثلاث سنوات وفي العربية أيضاً قبل أن يبدأ مبادئه بالإبجيل. وكما أنه بموسى ابتدأ ناموس العهد القديم؛ كذلك يرى بولس في نفسه كناية لخدمة ناموس المسيح وللعهد الجديد: «الذي جعلنا كُفَّاءً لأن نكون خُدّام عهد جديد» (٢ كور ٣: ٦). «نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله!» (٢ كور ٥: ٢٠)

وليس ذلك فقط بل بنى من العمق والمتابعة يرى كل مصطلحات العديس بولس اللاهوتية موقّعة على خدمة الخروج؛ فنسمع عن الفداء والحرية والتبني والميراث والراحة. فحروف «الفصح» الأول كان الدبيحة التي اقتدي بها شعب إسرائيل من حكم الهلاك الصادر على أبكار مصر، وكان «دم» الفصح وسيلة العبور التي يراها ملاك الهلاك فيجتار، وبالفصح صار «الفداء» وصار شعب إسرائيل الشعب «المُفْتَدَى»، وبالفداء ثم الخروج ثم «التحرُّر» من «العبودية» والسُخرة المُرّة، وبال شعب لأول مرة «حرية»، وبال شرف «تبني» الله له، وأحد «الوعد بالراحة» في «ميراث» أرض كنعان. وباحتصار، كانت عملية الخروج عملاً

وجدان القديس بولس وروحه وكل تأملاته وحتى لغته، وعلى هذا الأساس وقَّع كل دائرة لاهوته على هذه الخنفسية الحية في قلبه فكشف جوهر الرمز. فلو لا بولس ولاهوته وسفر العبرانيين المسبوب إليه فكراً وروحاً، لظلَّ العهد القديم قصة تُحكى ورمزاً يحتاج إلى مفسر، ولكن بسبب صدق رؤية بولس المسنودة بالروح، وقوة وحرارة النعمة المتدفقة في قلبه وتحلِّي المسيح أمام عينيه على الصليب كذبيحة الفصح الحقيقي، جاءت تعابيره اللاهوتية عن الخروج المسيحي بقوة وأصالة وعمق روحي أراح صورة الخروج العبري الأول من ذهننا وأرغم الفصح الأول على الدخول إلى لطل محبوساً في دائرة لتاريخ القديم وحسب، فاستظهر المسيح على يدي بولس على كن أسفار العهد القديم، كمور بعد ظلال، واستعلن كحقيقة، وكسماء، بعد أشياء وأشباح.

على أن مجمل سطرنا للقديس بولس في استخداماته العديدة للعهد القديم بكل صورته، نستطيع أن نرکزها فيما قاله: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في» (غل ٢: ٢٠). فالقديس بولس هنا يقني في المسيح، على أنه كان بدلت يعبر في حقيقة الأمر عن بلوغ اليهودية فيه إلى نضجها بل اضمحلالها، بنفس ما بلغت اليهودية في المعبدان عندما قال: «يسمي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص» (يو ٣: ٣٠). لقد توثَّ القديس بولس كل إلهامات العهد القديم وكل ما تحصَّل عليه — كقرَّسي — من علوم التوراة وإلهاماتها، عندما وضعها جميعاً تحت رجلي المسيح المصلوب لتأخذ معناها النهائي.

لقد أحرَّح القديس بولس إلى النور أعظم أسرار الله، التي كانت مخفية منذ الدهور في ضباب رؤى الأنبياء وما هو شبه السماويات وفي ظلها كأشباح، التي كانت في أعظم وأجل أشكالها أنفجاراً. استدأ من خروف الفصح، وخروج شعب من عبودية، وعبره بحر الموت على القدمين، ومسيرة تيه تحت السحابتين الواحدة للظل بالنهار والأخرى للنور بالليل، وصخرة تتابعهم تسفيهم من بطسها، وحيمة من حلود ودبائح وبحور! همرة واحدة يرفع ارسول بولس استار لرى في هذه الرواية المحبوكَة: المسيح فصحا مذبوحاً، وخروجنا لعتيد من عبودية الشيطان وسُخرة الخطية، وانتضاء ليل الخطية وظلامها، والعماد لموت المسيح، والدخول في نور قيامته خميفي والارتحال تحت قيادة الروح في الكنيسة سفينة لجاة لوح الحديد عبر ببدء العالم في نور لمسيح وطن نعمته نحو الوطن الدائم والأبدى والميراث المعد. وكشف سر الله على يدي بولس أن عبور اليهود لم يكن سوى إرهاب في لغز لسر المسيح على مستوى التاريخ، عمده لعبور أمم اعالم أجمع للدخول إلى الراحة العليا ومجد السماوات العلا، واستعلان المسيح فصحا مذبوحاً وقائماً حياً لنعالم كنه خلاصاً عدياً إلى أقصى الأرض. ولبولس الرسول أعلنت أعماق السر المخفي منذ الدهور أن مسيئاً من ليهود لم يكن إلا المسيح رجاء الأمم، وأن الأمم شركاء بامتيار الإيمان لدي طهر قلوبهم، شركاء في العهد

وإن كان القديس بولس يؤكد أنه لم يستلم إنجيله من إنسان ولا علّمه من أحد وربما كان ذلك بإعلان؛ لكنه يؤكد أيضاً أنه عرّضه على الرسل لقيديس أعمدة الكنيسة الذين كانوا قبله في الإيمان. فستحسنوه وأعطوه بين الشركة، وهكذا يؤكد الرسول بولس أنه خدم وبشر بالإبجيل الواحد، بإبجيل الرسل. والرسولية عنده هي أساس الكنيسة. لمسيح فيها حجر الزاوية! كما أنه استلم من الرسل مجموعة أقوال المسيح وتعاليمه التي وضعها عنده كأساس، يُحرّجها من كنز قلبه خُذداً وعتماء: «فإنني سلّمْتُ إليكم في الأول ما قَبِلْتُهُ أنا أيضاً، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب...» (١ كور ١٥: ٣)، والمفسّر لمدقّق ينتهي إلى أن بولس الرسول فسر وشرح الإبجيل بنفسه منهج الرسل، والكل كان بالروح الواحد، والمثورة كلها هي مشورة الله: «لأنني لم أؤخّر أن أنبئكم بكل مشورة الله.» (أع ٢٠: ٢٧)

وهكذا سَمَّ بولس الرسول كنيسة الأمم سرّاً بالإبجيل كما استلم، وستودعها كل كنوز الروح لتكرّر بالمسيح جهاراً ولكل العالم، ليس في الأرض وحده بل وفي السموات ثلثاً: «إني أنا أصغر جميع القديسين أُعْطِيتُ هذه النعمة، أن أُبَشِّرَ بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأُثْبِرَ الجميع في ما هو شركة السرِّ المكتوم منذ الدهور في الله، خالق الجميع يسوع المسيح، لكي يُعْرَفَ الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد اندهور الذي صممه في المسيح يسوع ربنا.» (أف ٣: ٨-١١)

والكنيسة حتى ليوم لم تستوعب بعد كل هذه المرتفعات التي حلّق فيها بولس الرسول وصوّرها واستودعها رسائله، ليس لصعف الفكر فيها بل بسبب العمق الذي فيه. ونحن نقعدنا عن الغوص وراء لآلئها، وطال قعودنا، وكثفياً بما تلقّيه أمواج بحره لذا حرّ على شواطئ أفكارنا الضحلة. فأعماق بولس الرسول تحتاج إلى سباح أعمق، والمتعرّض لحياته يحتاج حياة كحياته التي مزج فيها النسك التقويّ: «أقنُحْ جسدي واستعبده» (١ كور ٩: ٢٧). بالروح النبويّ: «لأن الروح يمحّص كل شيء حتى أعماق الله» (١ كور ٢: ١٠). فطار وحلّق في الإعلانات والرؤى، وكان مرعي بولس كانت على قمم حبال الله، هناك فوق الآكام لدهرية التي دَعَى بها يعقوب ليوسف بنير إخوته (تك ٤٩: ٢٦)، فأصبح الذي يريد أن يتعلّم على رسائل بولس. عليه أن يتدرّب كيف يتسبّق حبال إبجيل الله ومرتفعات مواعيده، ولا يكتفي بالابطحاح على سهول الأسفار: «كلّمونا بالساعات» (١ش ٣٠: ١٠). فالدنيس تسلّقوا مرتفعات بولس الرسول امتلأوا بماء الله، فاستؤمنوا على منابر القيادة، وهزّوا قلوباً، وداروا شعوباً، وغزّوا مدناً، وأيقظوا العالم من رقاد.

وإن كان القديس أغسطينوس^(٣) قد قاد الكنيسة إلى نهضة لاهوتية، مع معرفة وتصوُّف وعشق إلهي بقيت كلها تجلجل في عالم الغرب حتى يكور العصر الحديث، فإن القديس بولس الرسول هو الذي ولد أغسطينوس برائله، وصاع بحكمته روحه ليكون فيلسوف المسيحية من بعده. ثم إن القديس أغسطينوس هو الذي فتح باب لعرب المسيحي بالتالي على بولس الرسول، فتوالت من بعده النهضة ولم تَكُفْ.

أما اشرف الذي لم يحظَ بخدمة بولس الرسول، إذ للأسف لم تحتد أسفار بولس وخدمته نحو الجنوب قط، فكان أن تأخر الشرق كله عن الانفتاح على رسائله، وظلَّ «الأخذ منها وشرحها في الشرق بشغور، وربما ذلك أيضاً بسبب العراك اللاهوتي مع المراطفة الذي ستنذ بكنيسة الشرق، فأشعلها عن بولس لرسول، عندما كرَّست كل موهبتها للدفاع عن لاهوت ابن الله وذلك على مدى خمسة قرون طوال، وإن كانت قد خرجت منها منتصرة ولكن منهوكة القوى.

لذلك لم تشرق علينا نحن بني المشرق رسائل بولس الرسول ذات البريق الرسولي المنبعث من المسيح إلا بعد أن وضعت الكنيسة أقدامها في ميدان الخدمة والوعظ؛ فانفتحت على رسائله «ثما انفتاح، وفاقته العرب في تقييمها لبولس وحُبها له. فاكشفت أسرارها في رسائله ككنوز مكنونة: فليس مثل بولس نَحْنُ في معموديتها، كما انطبع إفحارستية على روح الكنيسة وفهمها، والرواج ارتفع سرُّه فيها على مستوى سِرِّ بولس من جهة المسيح والكنيسة، واقتفت الكنيسة خطوات بولس في الرسامات والدرجات.

وإن كان ليس مثل القديس بولس من ارتفع وحلَّق بالروى والإعلانات، فليس مثله من ربط سطنه بالجوع والعطش وقمع الشهوات، وهكذا مزج مجد لروح العالي بمجد النسك المتفاني، كما

(٣) كذ ذلك في صيف سنة ٣٨٦، وأغسطينوس من لانيث وثلاثين سنة حلياً بيكي في حديقة صديق أليبيوس Alypius في مدينة ميلان الإيطالية كان أغسطينوس يعمل كمد أستاذ البلاغة في تلك المدينة، وكذب له كل أسباب الفناء وارضى باستدينته خفيه اشأن. ولكن ما كذ أبعد فضاة وارضى عن قلبه وصميره، كذ يحده في دخله عاولاً أن يبد حياة جديدة يرضى عنها صميره، ولكن كان يحوره لمرعة وقد حذته فدره أن يكسر قيود الخطية ينخلص من ماضيه. وبما هو حلياً هكذا يسكني، سمع ولد صميراً يصبح معياً وعله كذ يردد وصية أمه Tolle lege Tolle lege (أي خذ وقرأ، خذ وقرأ). فأحد يتحسس حوله، فوجد نسخة من مفسيات صديقه ملفوفة كدخج، وأد هي رسائل بولس رسول، وفي الحان وقعت عيناها على حزام الأصحاح الثالث عشر من رسالة إلى رومية والعدد اثنت عشر أيضاً: «سلك بياقة كما في النهار لا يابظر (عربة) كَوَمويس وسكر، لا تصاحب (الدعة) كَوَمويس ومهر، لا بالحصام والحد؛ من يسو رب يسوع المسيح ولا تصنعو بدير محمد لأحق شهوات» وقال أغسطينوس: «فم أُنزِلَ على هذه الكلمات كلمة ولا احتجت بها» إلى المريخ؛ من لي الحان ونهارة الآية هذه، عمر قلبي نور وضاء، فانضعت عبي ظلمة شكوك. (اعترافات أغسطينوس ٢٩: ٨).

استفت كنيسة الشرق من منابع تأمده الكثير وتفتئت في أساليب نسكه بغير حدود.

وأنت إن رأيت كنيسة مصر والتقليد فيها يراحم الإنجيل سواء في المجال الليتورجي أو التدبير النسكي أو الدستور الأخلاقي أو تعاليم المسنين، فهذا كله هو بعينه تعاليم الرسل مضافاً إليها إنجيل بولس غير المكتوب الذي استلمته الكنيسة بالتعاليم اسرية^(٤): «وأما الأمور الباقية فعندما أجيء أرتبها» (١ كو ١١: ٣٤)^(٥)، هذه التعاليم التي انتقلت من فم لعم ومس يد ليد عثر الدهور.

هإن كانت كنيسة العرب قد عاش فيها بولس الرسول على مدار الوعظ مسموعاً يهر العقول والعروش، فهو يعيش عندنا بروحه في الليتورجيا والنسك واللاهوت يهز بكلماته المبوب والأرواح.

4. *Disciplina arcani*.

(٥) مصر كتاب «سعيد وأهميته في الإيمان المسيحي»، لألف مني اسكي، طبعة ١٩٧٨، وعن الخصوص ص ٢٢ وم

الجزء الأول : القديس بولس
حياته وصفاته ومنهجه العام

الباب الأول

حياة القديس بولس الأولى ودخوله الإيمان



صورة القديس بولس الرسول

لوحة للفنان الهولندي رمبرانت (حوالي ١٦٣٥ م)

والمحفوظة في متحف

Kunsthistorisches Museum فيينا .



«أنا رجل يهودي وُلدت في طرسوس كيليكية.» (أع٢٢:٣)

بقايا قناطر مائية من العصر الروماني في مدينة طرسوس

حيث وُلد القديس بولس الرسول

(أنظر صفحة ٣٨)

شجرة حياة الفديس بولس الرسول

المواحل الأخيرة لحياتنا

الرحلة الى روما
٧٣ ٧١

41 48

۷۱ اورشليم ۷۲

29 7. 71

الخيشم

٤٩

13 37 17

2014

المسألة ٥٧

50
51

52 53

مرکز تجار و...

۱۰۵۷

100

روز طرسوس

املاوة

نیسیا مدیہی

الطَّقُولَةُ

العائلة

آخت عاشرت ی اورشلیم

ایمانی

مجلسه

مواطن رومانی

سُئِلَ الْمُنْتَظَرُ الْيَهُودِي

قریبی

في روما
v1 v2 v3 v4

تسلیت

في قصصهم

76

بقدر المتاح

حلت الشبثية

of 10

10

٢٩ - التفسيرية

٢٧ ٢٨ ٢٩

— 3 8 0 2 1

مع عمارات



الحياة

طوبى

ملفوظات الميرزا محمد باقر

توضيح لشجرة حياة القديس بولس

الشجرة توضح للناظر إليها الخط العام لحياة القديس بولس. وتوضح حياته العائلية، ومراحل تطوره حياته. وشئ الأرقام، متبداً من جذر الشجرة ثم الفروع ثم الدوائر (التي تمثل الثمار)، يحصل القارئ على سجل مرتب لحياة القديس بولس. الأرقام الموجودة في الشجرة متطابقة مع الموجودة في الجدول المقابل لها.

جدول (مفتاح) لشجرة حياة بولس الرسول

التنصوص معظمها من سفر الأعمال

I. العائلة:

٧١. بعد اهتدائه إلى المسيحية:

- ١ - الأب - فريسي.
- ٢ - فريسي - أع ٢٣:٦.
- ٣ - مواطن روماني - أع ٢٢:٢٥-٢٨.
- ٤ - الأم - غير معروفة.
- ٥ - أخت تيمش في أورشليم - أع ٢٣:١٦.
- ٦ - أبها ساعد بولس الرسول - أع ٢٣:١٦.
- II. الطفولة:
- ٧ - سبامسي.
- ٨ - ولد في طرسوس - أع ٢٢:٣.
- III. التعليم:
- ٩ - تعلم عمل الخيام - أع ١٨:٣.
- ١٠ - درس على يد عمالائيل - أع ٢٢:٣.

IV. شابه:

- ١١ - مضطهد الكنيسة - أع ٩:١-١٠:٣:٢٢:٤.
- ١٢ - كان شاهداً رجم إستفانوس - أع ٧:٥٨.
- ١٣ - حافظ على الساموس - أع ٢٦:٥.

V. تحول إلى المسيحية:

- ٣٥ - في بئرسة بمغلبية - يوحنا مرقس يعود إلى أورشليم - أع ١٣:١٣.
- ٣٦ - يخط في أنطاكية - أع ١٤:١٣-١٤:٤١.
- ٣٧ - في إيقونية - أع ١٣:٥١.
- ٣٨ - في لسرة - رثيم ق. بولس ب. أع ١٤:١٨-١٩.
- ٣٩ - في ذرته - آخر مدينة يزورها - أع ١٤:٢٠.
- ٤٠ - رحلة العودة - أع ١٤:٢١-٢٦.
- VIII. الرحلة التبشيرية الثانية:
- ٤١ - في سورية كيليكية - أع ١٥:٤١.
- ٤٢ - لسيثرة - تسيموناس يهضم إلى الرهفة - أع ١٦:١-٣.

- ١٤ - على طريق دمشق - أع ٩:٣.
- ١٥ - رأى نوراً عظيماً - أع ٢٢:٦.
- ١٦ - أصيب بالعمى - أع ٩:٨.
- ١٧ - توبيع المسيح له - أع ٢٢:٧ و ٨.
- ١٨ - رد شاول - أع ٩:٦.
- ١٩ - اقتيد إلى دمشق - أع ٢٢:١١.
- ٢٠ - صام وصل - أع ٩:٩-١١.
- ٢١ - أرسل أناتاس إلى - أع ١١:٩ و ١٢.
- ٢٢ - تعمّد - أع ٩:١٨.

٤٣ - في هريجة وعلاطية - أع ١٦: ٦.

٤٤ - الرؤيا في ترواس - أع ١٦: ٩.

٤٥ - في فيلي - اعتداء ليديا وحافظ السجى إلى الإيمان - أع ١٦: ١٣-٣٤.

٤٦ - تأسيس كنيسة تسالونيكي - أع ١٧: ٤.

٤٧ - تلاميذ مدرسة بيرية يتعلمون الإنجيل - أع ١٧: ١١ و١٢.

٤٨ - أتيينا - العظة على أريوس باعوس - أع ١٧: ١٦ و٣٣.

٤٩ - الرؤيا في كورنثوس وتأسيس الكنيسة هناك - أع ١٨: ١-١٨.

٥٠ - زيارة قصيرة إلى أفسس - أع ١٩: ١٩ و٢٠.

٥١ - العودة إلى أنطاكية - أع ١٨: ٢٢.

IX. الرحلة التبشيرية الثالثة:

٥٢ - بروز علاطيه وهريجة - أع ١٨: ٢٣.

٥٣ - مكث في أفسس سنتين ونصف. ثورة الصناعات وحرق الكتب - أع ١٩.

٥٤ - في مكيدونية وثلثاس (اليونان) - أع ٢٠: ١ و٢.

٥٥ - العظة في ترواس - أع ٢٠: ٦-١٢.

٥٦ - وداع فسوس كنيسة أفسس - أع ٢٠: ١٧-٣٥.

٥٧ - في صور - أع ٢١: ١-٤.

٥٨ - في قيصرية - أع ٢١: ٨.

X. في اورشليم:

٥٩ - استقباله بواسطة الكنيسة - أع ٢١: ١٧.

٦٠ - اليهود يقضون عليه - أع ٢١: ٢٧.

٦١ - دفاعه الأول - أع ٢٢: ١-٢١.

٦٢ - الرومان يقضون عليه - أع ٢٢: ٢٤-٢٩.

٦٣ - دفاعه أمام المجمع اليهودي - أع ٢٣: ١-١٠.

٦٤ - رؤيا الليل - أع ٢٣: ١١.

٦٥ - مؤامرة اليهود - أع ٢٣: ١٢.

٦٦ - إرساله إلى قيصرية - أع ٢٣: ٣٣-٣٤.

XI. في قيصرية:

٦٧ - الدفاع أمام هيلكس - أع ٢٤: ١٠-٢١.

٦٨ - سجن في السجن - أع ٢٤: ٢٧.

٦٩ - رفع دعواه إلى قيصر - أع ٢٥: ١٠ و١١.

٧٠ - الدفاع أمام الملك أغريباس - أع ٢٦: ١-٢٩.

XII. السفر إلى روما:

٧١ - العاصفة - أع ٢٧: ١٤-٢١.

٧٢ - الرؤيا - أع ٢٧: ٢٣ و٢٤.

٧٣ - انكسار السفينة - أع ٢٧: ٢٦-٤٤.

٧٤ - على جزيرة مليطة - أع ٢٨: ١-١٠.

XIII. في روما:

٧٥ - الوصول إلى روما - أع ٢٨: ١٦.

٧٦ - لشاره في روما - أع ٢٨: ٣٠ و٣١.

٧٧ - كتب ست رسائل.

٧٨ - كلماته الأخيرة - تي ٢: ٦-٨.

الفصل الأول طفولة بولس

شاوُل المدعو بولس:

اسم «شاوُل» $\lambda\alpha\upsilon\lambda\omicron\varsigma$ يعني بالعبرية «المشتهى — شوقي» أو «المطلوب في الصلاة» The desired Prayed for، مما يفيد أن والديه كانا يشتهيان أن يُررَقاً ولدأً وكانا يصليان من أجل ذلك، مما يوحي بأنه كان الابن البكر، وعلى هذا فيكون أبواه قد ندره الخدمة لله، خصوصاً وأن أباه كان هريسياً، ولهذا أرسله مبكراً وهو في سن الثالثة عشرة لدراسة التاموس والتوراة في أورشليم على يدي رابونيه^(١).

ومعروف عند اليهود في الشتات أن كل ولد يولد يُعطى اسمين: الأول عبراني مثل شاوُل، والثاني يتناسب مع لغة أهل البلاد، ويسم «بولس» Paulus هو روماني^(٢).

ولكن بلغة الروح يقول بولس إنه أفرز لخدمة الله وإعلان المسيح وهو في بطن أمه:
«ولكن لما سرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بعمته أن يعس ابنه فيَّ لأُبشِّر به بين الأمم...» (غل ١: ١٥-١٦)، بل ويقول الروح على فم بولس الرسول نفسه إنه كان ضمن الدين

1. Neander, Aug., *General History of the Christian Religion and Church*, Edinburgh, 1847, vol. I, p. 80.

(٢) احتضنت آراء الآباء والشرح في اردواج الاسم «بولس» و«شاوُل»، فالعلامة أوريجانوس يقول إن الاسم أعطى بولس منذ الولادة، واحد ليكون بين اليهود والآخر بين الأمم.

والقديس أنطوني يقول إن شاوُل أحد اسم «بولس» في بداية عمره كمبشر، ولقديس يوحنا ذهبي الفم يقول إن بولس استم اسمه لحفيد «بولس» في أنطاكية كما استم بطرس اسمه بدن «كيد» أي «الصعد»، وذلك عند تكريسه وقت اعماد في أنطاكية.

وعبرهم يقول إنه هو الذي أعطاه لنفسه بعد أن عمَّد سرجيوس بولس. وخيروم يقول به تسمى بهذا الاسم عند تعرضه أيضاً. وبكس يتمتع السماء محذون على صحة رأي أوريجانوس، وذلك من وقع رسائل القديس بولس نفسه، إذ لا يذكر فيه اسمه لقديم الأول، لأن مركزته كانت بين الأمم.

W. Conybeare, *Life and Epistles of Paul*, p. 39 n. 1.

اختارهم المسيح قبل خلفه العالم: «... كما اختارنا فيه (في المسيح) قبل تأسيس العالم» (أف: ١: ٤)، بل ويريد على فم بولس أيضاً أن اختيار بولس ليس فقط قبل تأسيس العالم، بل وأعماله أيضاً بكل ظروفها وملابساتها: «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها.» (أف: ٢: ١٠)

ولا ننسى أن المسيحية أخذت طابعها العالمي بكل معنى ومبى يوم أمر بيلاطس أن يوضع فوق رأس المسيح المصلوب عنواناً مكتوباً ثلاث لغات العالم: الرومانية واليونانية والعبرية، ومن تحت هذا العنوان وُلدت المسيحية، وُلد المدعو بالرومانية «بولس» الذي هو بالعبرية «شاو»، وبالمولد مواطن طرسوسي من المدينة اليونانية اللغة والتراث التي أهدته أن يكون قارئاً في السبعينية!! «أنا رجل يهودي طرسوسي من أهل مدينة غير دنية من كيليكية» (أع: ٢١: ٣٩): طرسوس:

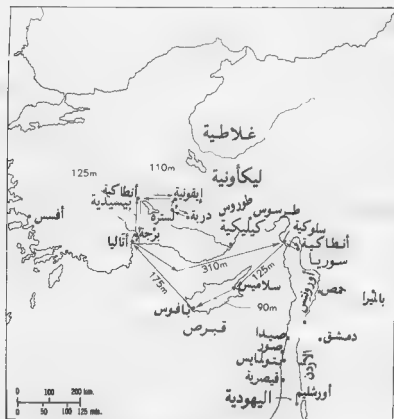
وُلد بولس في مدينة طرسوس^(٣) وهي عاصمة إقليم كيليكية جنوب آسيا الصغرى، وهي تقع في السهل الشرقي من جبال كيليكية وعلى نهر سيدنوس Cydnus الذي يخترقها مندفعاً إلى البحر حيث كانت ترسو سفن التجارة من كل بقاع العالم (أنظر الخريطة). وكانت المدينة أيام القديس بولس تحت الحكم الروماني، ولكنها فازت بالحكم الذاتي كمدينة حرة سنة ٦٧ ق.م. ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم ربما عن وثائق كانت تحت يده، إن بولس وُلد سنة ٢ ميلادية^(٤).

(٣) هذه المدينة كانت ذات شأن عظيم في أيام بولس الرسول، فهي «ولا نغير من أقدم المدن، فتاريخ تأسيسها يرقى إلى سنة ٢٠٠٠ ق.م. وقد ستممرها الإغريق. واندعها الإمبراطور الإسكندر الأكبر من حريق مدثر أشعه فيها الجيش فارسي المتفهم اسمه سنة ٣٣٣ ق.م. وقد ضلكت مفاود باسمها في زمن حكم أنطيوخس الرابع سنة ١٧١ ق.م. كما صدرت عاصمة كيليكية وحاربت على الحكم الذاتي أيام بولس سنة ٦٧ ق.م. وقد اتحدوا بشيرون خطيب اللاسي المدع نصبت معزاً له أثناء حكمه كوبي عن مقاطعة كيليكية سنة ٥١-٥٠ ق.م. وقد رادها يوبوس في سنة ٤٧ ق.م. فأحدث لقب «يوبوبوليس» على شرفه. وعندما حصل أنطيوخوس فيهر على القسم الشرقي للإمبراطورية الرومانية سنة ١٨٠ ق.م. وهذا في طرسوس تقابل أنطيوخوس مع كليوباترة (والية مصر). وعندما اعلى أغسطس فيهر على كل الإمبراطورية الرومانية بالت طرسوس مريداً من لامتيازات، منها إعصاؤها من الحرية. وقد وهب أغسطس فيهر هذه المدينة «طرسوس» في أحد أسنائه. يوطيبيس الحلصين وهو أنثودوروس Athenodorus وهو أفسيسوف لرومي شهير، وقد كان معزاً لفيهر. وفي هذه الأيام اندفعت المدينة في نهضة ثقافية عالية، فحسرت السليم لأكاديمي ولغلسه ودرسه الإسكليونيد، حتى فاقت طرسوس كلاً من أثينا والإسكندرية، حسب قول مؤرخين. وقد سمع عدد لروا وروود لهذه المدينة طلباً للغة أكثر من تمدد أهلها، وصارت طرسوس في عُرف علماء هذه المدن جامعة أكاديمية بعد داتها.

بذلك، فيحسب قال بولس: «أنا رجل يهودي طرسوسي من أهل مدينة غير دنية من كيليكية» (أع: ٢١: ٣٩) كان على حق!! وكاتب طرسوس مشهوره بفتح اصوف من شعر الأحمر وكان يصنع منه خيام و يسمى كيليكيوم Cilicum.

F F Bruce, Paul: Apostle of the Heart Set Free, p 32-36

4. Conybeare, *op. cit.*, p. 37.



خريطة تبين موقع مدينة طرسوس
حيث وُلد القديس بولس الرسول

وبولس الرسول بمولده، حصل على الجنسية الرومانية. وهذا كان يُحسب في ذلك الرمان امتيازاً كبير الشأن، كان الكثيرون يحاولون نواله إنما مقاس ثمن باهظ: «قُل لي، أنت روماني؟ فقال: نعم. فأجاب الأمير: أما أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية، فقال بولس: أما أنا فقد وُلِدْتُ فيها.» (أع ٢٢: ٢٧ و٢٨)

ويبدو أن والد القديس بولس أو أحد أجداده نال هذه الرعوية الرومانية نظير عمل مجيد قام به أثناء حرب من الحروب لحساب الدولة أو الإمبراطور^(٥).

يهودي - عبراني من العبرانيين:

«من جهة الختان محتون في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين.» (في ٣: ٥)

بولس الرسول يؤكد في المقابل أنه «عبراني من العبرانيين»، وهذا يفيد وضعاً مميزاً عن كونه يهودياً، ولمعى يصبُّ على حالة معينة من المستوى الاجتماعي واللغوي والثقافي أيضاً كانت تعيش عليها الأسرة. لأن يهود الشتات (Diaspora) كانوا قسمين: قسم يتكلم لغة أهل البلاد التي تغربوا فيها واستوطوا، كال يونانية مثلاً، وذلك في بيوتهم وفي مجامعهم وصناعاتهم، وقسم آخر كان محافظاً على تراث أجداده يتكلم ويصلي بالعبرية (الأرامية)، وقد وُحِدت في أنحاء روما وكورنثوس بقايا مجامع يهودية تحوي نقوشاً محفورة بأحرف عبرية^(٦).

وكلمة «عبراني» تعيد من حيث الهوية الشخصية قدرة التكلم باللغة العبرية الأرامية الأصلية باتقان. لذلك فتؤكد بولس الرسول على أنه «عبراني من العبرانيين» - ولو أنه مواطن روماني يتنسف اليونانية - يفيد أنه من أسرة عربية في يهوديتها لم يدخلها دمٌ أُمِّي، وكانت محافظة على تراث أجدادها. هذا برهن عليه بولس عموماً عندما وقف يخطب في الشعب اليهودي المتجمهر ضده في تحفُّس لرجه: «علما أيدنَ له، وقف بولس على الدَّرَج وأشار بيده إلى الشعب فصار سكوت عظيم، فنأى باللغة العبرانية قائلاً...» (أع ٢١: ٤٠)

من سبط بنيامين:

حيثما يشدد بولس الرسول على أنه من سبط بنيامين، يكون ذلك ذا اعتبار خاص عنده وبالتالي عندنا.

5. Ibid., p 38

6. B. Powell, cited by F.F. Bruce, *op. cit.*, p. 42

١ - فمن سبط بنيامين قام أول ملك على إسرائيل وهو المدعو «شاول» وعلى اسمه سُمِّي بولس.

٢ - لقد ظاهَر سبط بنيامين زَجَنَامَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ وانضمَّ إلى سبط يهوذا ليكوِّنَ جيشاً من ١٨٠ ألف محارب غتَرَطَ السيف ليردُّوا المملَكةَ إلى رحبعام ابن سليمان، فاحتُيِستَ هذا الأمرُ شرفاً لسبط بنيامين (١ مل ١٢: ٢١).

٣ - عندما دخل إسرائيل في حرب مع الكنعانيين وكان سيرا هورئيس جيشهم، برر سبط بنيامين لمعونة سبط نفتالي بقيادة دثورة قاصية إسرائيل ومعها باراق. وانتصر إسرائيل وغنَّتْ دثورة أغنية نصرتها (قض ٥: ١٤).

٤ - بعد رجوع بني إسرائيل من السبي، استطاع سبط بنيامين أن يستردَّ معظم أرض ميراثه، واقتسم أورشليم مع سبط يهوذا، وكانت أسوار هيكل أورشليم هي الحدود الفاصلة بين السطين (إر ١١: ٧ و ٩ و ٣٠ و ٣٦).

٥ - بنيامين رأس السبط، كان هو الوحيد من أولاد يعقوب الاثني عشر الذي وُلِدَ في أرض الميعاد بالقرب من أفراتة بيت لحم (تك ٣٥: ١٦ و ١٨).

ونحن نرى في انتماء بولس لسبط بنيامين، الذي هو الابن الأصغر بين الاثني عشر سبطاً، مناسبة ليست عادية في قول بولس: «لأني أصغر الرسل» (١ كو ١٥: ٩). كذلك نحن نرى في تسمية راحيل لأنها وهي متعسرة في ولادة بنيامين، وقد جاءت غاضبة الموت، فسَمَّته «بن أنوي» أي «ابن عنائي»، ثم حوَّله أبوه إلى ابن يميني (= بَنِيَامِينَ) (تك ٣٥: ١٨).

هذه مناسبة أيضاً ليست عادية في بولس، الذي انتقل من «ابن عناء» ومقاومة للمسيح، «شاول شاول لماذا تضطهدني» (أع ٩: ٤)، إلى «إناء مختار يحمل اسمه إلى ملوك وأمم» (أع ٩: ١٥).

ثم نحن نرى في قصة بني يعقوب عند عودتهم من مصر بعد ضيافة أخيه يوسف لهم ووضَع كَأْسِ يَوْسُفَ الْفُضِيِّ الْحَامِلِ لِاسْمِ فِرْعَوْنَ في زكية القمح الخاصة بنيامين مع ثمن القمح مردوداً، مناسبة ليست عادية أيضاً في بولس الذي حثَّاهُ الربُّ إِنْاءاً خاصاً له يحمل اسمه إلى ملوك وأمم!

أما بركة موسى الأخيرة التي سارك بها الأسباط، فتحمل لبنيامين هذا الدعاء المبارك: «ولسيامين قال: حبيب الرب، يسكن لديه آمناً يستره طول النهار وبين مثكبيه يسكن» (تث ٣٣: ١٢). وفي هذا نرى مناسبة ليست عادية في قول بولس الرسول عن المسيح: «الذي

ولقد قرأ بولس الرسول كل هذه القصص الممتعة الخاصة بسبطه ورجال سبطه من عظماء إسرائيل، كشاول ومردخاي البنياميني الذي أنقذ بواسطة أستير بني إسرائيل من الهلاك، وقصص جبابرة الماضي هذه ملائمة بالآمال العراض في مستقبل حياته، لأنه لا يخفى أن بولس بعد أن أخذ التكليف الإلهي من فم الرب: «ليحمل اسمي أمام أمم وملوك» (أع ٩: ١٥)، ملأ الحماس قلبه وآل على نفسه أن لا يهدأ حتى تصل الرسالة إلى روما وإلى قيصر، وقد كان، وإن كان في قيود وسلاسل: «يسلم عليكم جميع القديسين ولا سيما الذين من بيت قيصر.» (في ٤: ٢٢)

«إن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل (بولس يكتب هذا وهو في روما محبوس) حتى إن وُثِّقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية (قيصر)» (في ١: ١٢ و١٣). لقد كانت الآمال نجيش في صدر بولس الرسول أن يفور ليس بأقل من روما كلها للمسيح، وقد كان، ولكن ليس في حياته!! لقد دشَّنها بدعائه فكان الأساس، وجاء الرمان فبتى!!

التعليم والصنعة (٧):

+ كانت عادة اليهود أن يبدأوا التعليم للطفل وهو ابن الخامسة حيث يتمرن على قراءة الأسفار.

+ وفي سن العاشرة يبدأ التعليم على كتب شرح التاموس مثل الذي عُرف فيما بعد باسم المِشْنا. و«المِشْنا» بالعبرية (٨) تعني «التعليم»، وهو كتاب شرح التاموس بالوصايا التي أُضيفت شفاهاً، وهي أساس التلمود = (التلمذة). والمِشْنا جَمَعُها وألَّفها رابي يوداهاناسا، وذلك في حياته ١٣٥-٢٢٠م، وقد جمع فيها كل ما سبق من اجتهادات، وهي مكتوبة بالعبرية؛ ويعتبر التلمود هو الكتاب الذي له التأثير الأول على حياة اليهودي.

+ وفي سن الثالثة عشرة من عمره يتعاطى التاموس، وحينما ينتهي منه يُعمل له احتمال تدشينه ويُعطى لقب «ابن التاموس»، ويقول أبوه معلناً أن «ابنه أصبح كامل السن في معرفته للتاموس وبالتالي يصير هو المسئول عن خطايا» (٩).

وعندما نقرأ لبولس الرسول وهو يكتب لتيموثاوس، نستطيع أن نكوّن صورة حية صادقة لطفولة بولس وهو منكبٌّ على المِشْنا والأسفار يحفظ ويردد ويُسأل ويجيب: «وإنك منذ الطفولة تعرف

7. Conybeare, *op. cit.*, p. 42.

8 Oxford Dictionary of Christian Church, p. 906

9. Conybeare, *op. cit.*, p. 42 (n. 5).

الكتب المقدسة القادرة أن تُحكِّمَتْ لخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع» (٢ تي ٣: ١٥)، كما نستطيع أن نكون صورة حيَّة لأُم بولس وهي تدرب ابنها على التقوى والتمسك بالإيمان الصادق من قول بولس الرسول لتيموثاوس: «إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لونيْس وأُمك أفنيكي، ولكنني موقن أنه فيك أيضاً» (٢ تي ١: ٥). وبولس الرسول لم يذكر لنا شيئاً عن أمه إلا حينما ذكر دعوة الله له وهو في بطنها: «الله الذي أفرني من بطن أمي...» (غل ١: ١٥)

والمعتقد أن بولس، وبعد اكتمال تعليمه في الثالثة عشرة، أرسله أبوه إلى أورشليم ربما مع أحد أقاربه أو أحد الحجاج ليدرس الناموس بدقائه والتوراة ككل على يد رهبوني ذلك الزمان، وهو أشهر معلمي إسرائيل قاطبة: «غمالانيل» الكبير. ونحن نستنتج ذلك من قول بولس الرسول: «ولكن رَبَّيْتُ في هذه المدينة (أورشليم) مؤدباً عبد رجلي غمالانيل على تحقيق الناموس الأبوي» (أع ٢٢: ٣)، حيث لا يجوز أن يقول إنني «تربَّيتُ في هذه المدينة عبد رجلي غمالانيل» إذا كان في سن يتجاوز الثالثة عشرة، وذلك بحصر معنى الكلمة «تربَّيتُ»^(١٠).

وكانت عادة الأب أن يعلم ابنه صنعة^(١١) تقوم بأوْد حياته، إن هو اعتار إلى المعيشة عن فقر أو كارثة، أو في غربة. ويقول التلمود في ذلك: ماذا يُطلب من الأب نحو ابنه؟ ويجب التمدد: أن يَحْتَسِنَ في اليوم الثامن، ويعلمه الناموس حتى الثالثة عشرة، ثم يسقيه صنعة تقوم بأوْد حياته. وراي يودا يقول: الذي لا يعلم ولده صنعة يعلمه السرقة!

وغمالانيل الكبير يقول: بماذا نشبّه الذي في يده صنعة؟ شبّهه بكرمة ذات سياج!

وقد تهيأ لبولس أن يتعلم صنعة خيام في طرسوس، لأن اشتهار المدينة وكل كيليكية كان بنسيج شعر الماعز الذي يُصنع منه خيام، وكان يُسمى Cilicium "كيليكوم"، ولا يرال هذا الاسم لهذا القماش متداولاً ليس في آسيا وحدها بل وهرسا وأسباني وإيطاليا أيضاً، ربما من بقايا اسم الصنعة التي احترفها بولس وذاعها وأذيعت عنه.

ونحن نعلم من سرد قصة القبض على بولس ومكيدة اليهود التي دبّرها جماعة حرّموا على أنفسهم الأكل حتى يقتلوا بولس، وكيف أن ابن أخت بولس علم بالمكيدة فأحبر لأمير وبها نجا بولس (أع ٢٢: ١٢-١٦)، ومنها نعلم أنه كان لبولس أخت متروجة ولها أولاد كبار في أورشليم، من هذا نستنتج أن بولس كان يقيم عند أخته في أورشليم، ولعل أمه كانت قد ماتت وهو طفل

10. Conybeare, *op. cit.*, p. 39.

11. *Ibid.*, p. 43

فأحسَّ بقوة الأمومة، لذلك نسمعه بعد ذلك يقول: «سَلِّمُوا عَلَى رُؤُوسِ الْمُخْتَارِ فِي الرَّبِّ وَعَلَى أُمِّه أَتِّي.» (رو١٦: ١٣)

أما غير أخته من نَفِيَّة عائلته فلا نسمع إلا عن سيبية للذين سَفَّاه في الإِيمَان: «سَلِّمُوا عَلَى أَنْدَرْبِيكُوسَ وَيُونْيَاسَ سِيبِيَّيْ لِمَاسُورِينَ مَعِي، الَّذِينَ هُمَا مَشْهُورَانِ بَيْنَ الرُّسُلِ، وَقَدْ كَانَا فِي لَمْسِيحٍ قَبْلِي.» (رو١٦: ٧)، وَإِنْ كَانَ أَغْلَبُ الظَّنُّ أَنَّهُمَا أَنْسَاءٌ بِالرُّوحِ لَا بِالْجَسَدِ.

أما صِمتُه لِخَرِينِ عَنْ ذِكْرِ أُتِّي مِنْ عَائِلَتِهِ، سِوَاهُ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ أَوْ إِخْوَتِهِ وَبَاقِي أَهْلِهِ، فَكَانَ هَذَا جَرَاءً مِنَ الْخُسَارَةِ الْعَاصِدَةِ الَّتِي خَسَرَهَا عَنْ طَيْبِ خَاطِرِهِ، وَحَسَنَتِهَا دَلِّهَاةِ نَآيَةِ لِيَرِيحِ الْمَسِيحِ وَيُوجَدُ فِيهِ. فَقَدْ هَجَرَ الْجَمِيعَ، وَالْجَمِيعَ هَجَرُوهُ، مِنْ أَهْلِ الْمَسِيحِ!!

الناموس يبدأ بِخُطْطِهِ فِي نَفْسِيَةِ بُولْسِ الصَّبِيِّ:

يَقُولُ الْيَهُودُ الرَّبِّيُّونَ أَنَّ الطِّفْلَ يَبْقَى رِبِيئاً حَتَّى سِنِ التَّاسِعَةِ، وَبِمَجْرَدِ أَنْ تَسْتَمِظَ فِيهِ غَرَائِزُ الْجَسَدِ (وَيِ الْشَّرْقَ تَبْدَأُ مَبَكَّرَةً جِداً عَنْ لَعَرٍ) بِمِوَاهَا الْخَانِجَةِ بِحُجُوعِ الْخَطِيئَةِ، تَبْدَأُ الْإِنْفِعَالَاتِ السَّفْسِيَّةُ تَتَضَارَبُ دَاخِلَهُ مُؤَثِّرَةً فِي الْفِكْرِ وَالشُّعُورِ وَالصَّمِيرِ، وَفِي هَذَا السَّنِ يَبْرُمُ أَنْ يَبْدَأَ الطِّفْلُ يَتَلَقَّنَ تَعْلِيمَهُ عَنِ الْخَطِيئَةِ فِي النَامُوسِ، إِمَّا عَنْ طَرِيقِ وَالِدَيْهِ أَوْ مُعَلِّمِ الْجَمْعِ أَوْ فِي مَدْرَسِ الشَّتَاتِ الَّتِي يُحَذَّرُ فِيهَا مِنْ قِرَاءَةِ كُتُبِ الْوَتْنِيِّينَ^(١٢).

وَقَدْ أَمَدَّنَا بُولْسُ الرُّسُولِ بِصُورَتَيْنِ صَادِقَتَيْنِ مَعْبُورَتَيْنِ عَنْ ذَلِكَ أَعْظَمَ تَعْبِيرٍ، فِيهِ الطُّفُولَةُ لِبَرِيئَةٍ يَقُولُ: «لَمَّا كُنْتُ طِفْلاً كُطِفْتُ كُنْتُ أَنْكُمُ، وَكُطِفْتُ كُنْتُ أَطْفُلَ، وَكُطِفْتُ كُنْتُ أَفْطُلَ، وَلَكِنْ لَمَّا صُرْتُ رَجُلًا أَبْطَلْتُ مَا لِلطِّفْلِ» (١ كُور١٣: ١١). هُنَا يَقْصِدُ الْقُدَيْسُ بُولْسُ بِسَاطَةِ الطُّفُولَةِ وَبِرَأْيِهَا وَسَعَادَتِهَا، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَذَكَّرُ الْقُدَيْسُ بُولْسُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ الَّتِي فِيهَا فَقَدَ مَرَحَهُ وَفَرَحَهُ وَسَعَادَتَهُ، الَّتِي اسْتَقْبَلَ فِيهَا مِنْ مَرَحِ الطُّفُولَةِ وَلَهْوِهَا السَّعِيدِ الْبَرِيِّ، إِلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ النَامُوسِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مَوْقِفِ الْمَدْنِبِ، وَكَلِمَاتِهِ تَسْتَحِبُّ عَلَى لَهْوِ الرِّيَاءِ السَّعِيدِ فَتَقْفِي عَلَيْهِ غِمَامَةٌ سَوْدَاءَ مِنَ الْإِثْمِ وَالْخَطِيئَةِ وَالتَّعَدِّي، فَتَمْسَحُ عَنْ مَاضِيهِ السَّعِيدِ سَعَادَتِهِ وَتَضَعُ عِوَضَهُ الْهَمَّ وَالنَّدَمَ!

وَيَعُودُ بُولْسُ الرُّسُولِ إِلَى ذِكْرِ هَذِهِ اللَّحْظَاتِ وَهُوَ فِي حَرِيَةِ الْمَسِيحِ وَحُوءِهَا الْمَحَادِدِ الصَّرِيحِ لِيُعْتَرِفَ بِمَا فَعَلَهُ النَامُوسُ فِيهِ: «فَإِنِّي لَمْ أَعْرِفِ الشَّهْوَةَ لَوْلَمْ يَفْعَلِ النَامُوسُ لَا تَسْتَه» (رو٧: ٧). كَانَتْ لِحْظَةٌ جِدًّا حَاسِمَةً فِي حَيَاةِ بُولْسِ الصَّبِيِّ وَصَفَهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَصْفًا عَمَلِيًّا مَكْتَبًا بِالْأَسَى:

12 The "Tanchuma" - a Comment on Pentateuch on Gen III, Cited by A. Deissmann, in *Paul, a Study in Social and Religious History*, p. 32 (n. 3).



بقايا نوابات مدينة طرسوس موطن القديس بولس
(أنظر صفحة ٣٨)



«وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا. فقال له الرب في رؤيا ... قم واذهب
إلى الزقاق الذي يُقال له المستقيم واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً
اسمه شاول.» (أع ٩: ١٠-١٢)

كنيسة صغيرة تحت الأرض في مكان منزل حنانيا. وفي يسار الصورة أيقونة
هروب بولس الرسول مدلياً في سل.
(أنظر صفحة ٧٢)

«فكست مدون الناموس عائشاً قبلاً (حيّاً سعيداً)، ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية فمِت أنا.» (رو٧:٩)

لقد أدرك القديس بولس بعد ذلك، وفي نور المسيح، كيف أن هذا كله كان حتمياً لكي تأتي النعمة ومعها السعادة الكاملة لدائمة ومدون الخطية!!! لقد ألقى بولس نظرة من نحو صُوبَتِهِ لأولى قبل المسيح بسنيها المشرقة على حافية الناموس، فإذا هي تعدّ وعقوق مستوجب في غالبية الموت في نظر الناموس!! فدخلت نفسه في صراع بين صدق سعادته البريئة الأولى وبين صدق الناموس الذي ينعتها بالتعدي ويحكم عليها بالموت!! فلا يُثَمِّها ينحار؟ وأيهما يصدق؟ وكان عليه، مُرغمًا، أن يخلص سعادته البريئة وينطوي تحت الناموس الفاتل.

ثم كان عليه أن يتطلع — بواقعية لناموس — نحو حاضره ومستقبله لدى نفسه، وقد وقع أسيراً في يد ثلاثة أعداء: الخطية والناموس والموت: «ويحيى الإنسان الشقي مَنْ يَنقُذني مِنْ جسد هذا الموت» (رو٧:٢٤). لقد عرِبت في ذلك اليوم شمس حريته، ورصى أن يعيش أسيراً للخوف، كما عثر هو تماماً عن ذلك وهو في حرية أولاد الله: «إد لم تأخذوا روح العبودية (لِلناموس) أيضاً للخوف (كما أخذ هو سائفاً)، بل أخذتم روح التبسي لدي به تصرّح يا أنا لآب.» (رو٨:١٥)

ولكن — وبعد ذلك — وهو قائم في إشراق نور حرية المسيح، وحيماً ألقى بولس الرموس بنظراته على ما صمعه الناموس فيه منذ فتحت عينه على المعرفة واستيقظت فيه مشاعر الإنسان وغرائزه، رأى لناموس على حقيقته كمؤذّب ومعلم قارس ألفاء، إلى حين، تحت العبودية والخوف ولرعة من الخطية ليعثّه للنعمة في المسيح، المسيح الذي قتل له الخطية ورفع عنه نعمة لناموس، إذ أصبح وكأن الناموس لا وجود له عندما أُنطقت الخطية!! فدخل القديس بولس أسيراً لنعمة الحياة في المسيح يسوع، بعد أن كان أسيراً لناموس الخطية والموت.

بولس في أورشليم عند رجلي غمالاتيل:
كان والد بولس فريسيّاً، ونشأ الابن معتزّاً بفريسيّة أبيه شاخصاً إلى نفس المهنة: «فريسي ابن فريسي.» (أع٢٣:٦)

كان من أثر الاصطهاد السياسي الضاغظ الذي مارسه الولاة والحكام الرومان وخاصة أثناء حكم فاسبسيان Vespasian وهادريان Hadrian، أن ازداد اليهود تمركزاً حول الناموس والتصاقاً به كعنصر يجمعهم ويوحدهم ويكثّلهم معاً ضد خطر انحلال الأمة وسقوطها. وكان ذلك تدير

نعمة الله وعنايته، ليمدّه كخميرة محافظة على عهدھا الأول مع الله. كذلك في أيام هيرودس الكبير الذي مارس سلطانه لتفتيت وحدة الأمة بأن تسلّط على نظام رئاسة الكهنوت، وعرل وأقام ورفع وأسقط، حتى لم يعد أحد يعرف من هو رئيس الكهنة على التحقيق، فكان يُكتفى عن رئيس الكهنة برؤساء الكهنة (بالجمع) لغياب شخصية رئيس الكهنة الحقيقي: «فقال الواقفون أنشتم رئيس كهنة الله؟ فقال بولس لم أكن أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كهنة.» (أع ٢٣: ٥٤ و٥٥)

وبسبب ذلك أيضاً، ازداد اليهود أكثر فأكثر في التمسك بالتوراة التي بقيت لهم، يفتشون فيها باجتهاد جنوني عن سبب ما هم فيه وعن متى يحقق لهم الله الخلاص. كذلك ازدادوا انكباباً على العبادة وطقوس الهيكل وازدادوا تدقيقاً على تنفيذ الوصايا (شكلياً). وهكذا ازداد شأن الكتبة والفريسيين وعلماء الناموس (الناموسيون هم بمثابة دكاترة في القانون). وابتدأ ظهور وظيفة الربيين الذين بلغوا أعلى مراكز الأمة بعد خراب أورشليم والهيكل وكانوا العنصر الوحيد الذي يضم الأمة ويعمل بأقصى طاقته لتوحيدهم وجمع شملهم. وفي العصر الحديث الآن هم أصحاب الصوت المعبر عن اليهودية والمنشغل بحالها ومستقبلها (١٣).

وفي أيام بولس الرسول تبلور عنصر الربيين في مدرستين متنافستين يرأسهما هيليل Hillel، وشماي Schammai، وهم من حكماء الناموس (حاخامات). وقد انتشرت تعاليمهم وفتاويهم في الشعب، فدخلت تعاليمهم كعنصر أساسي في تكوين التلمود. والرييون هم أصلاً فريسيون، ومدرسة كل من هيليل وشماي تُحرّج فريسيين، ولكن مدرسة هيليل كانت صاحبة صيت أنها على أعلى مستوى من التقاليد وصاحبة ولاية على الناموس؛ أما مدرسة شماي فكانت تقاوم التقاليد، خاصة إذا تعارضت مع ناموس موسى الحرفي. وقد ازداد التنافس والنزود بين المدرستين، إلى أن قيل: «حتى ولو جاء إيليا التشي فلن يستطيع أن يصالح بين تلاميذ هيليل وتلاميذ شماي».

ولكن كان لهيليل وتلاميذه التأثير الأكبر على فكر الشعب، وكان لفتاويهم سلطان أخذ به لدى كل الربيين بعد ذلك، وهيليل يُسمع صوته في التلمود بقوة. وقد أنجب هيليل ابناً احتل مركزه، وهو سمعان Semeon؛ وسمعان هذا هو الذي أنجب غملائييل. ويُقال أن سمعان هذا هو سمعان الشيخ الرجل البار الذي أخذ الطفل يسوع على ذراعيه: «أخذه على ذراعيه وبارك الله، وقال: الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عيني قد أبصرنا خلاصك الذي أعدته قدام وجه جميع الشعوب، نور إعلان للأمم وعبداً لشعبك إسرائيل» (لوقا ٢٨: ٢٢-٣٢). فلا عجب

أن يكون ابنه غمالاتيل هو الذي دافع عن الرسل وأُفْتُي بإطلاقهم من السجن واستُجيب لصوته (أع ٥: ٣٤-٤٠).

وكانت كلمة غمالاتيل مسموعةً وموقرةً لدى كل الهيئات، إذ هو واحد من حكماء إسرائيل السبعة المشهورين الذين لهم لقب «رابان»، وهو اللقب «رابوني» Rabboni الذي خاطبت به المجدلية الرب يسوع بعد القيامة. وقد أُطلق على غمالاتيل — وهو جالاتيل — لقب «جمال ناموس»، كما نقول نحن جمال الدين! ويقول عنه التلمود: [منذ أن رقد الربان غمالاتيل انطلقاً مجد الناموس]. كما يقال عنه أيضاً أنه دخل مرةً حثاماً عاماً في عكا به تمثال لإلهة من الآلهة الرومانية، فسُئل كيف توقع بين هذا (أي استحمامه في حثام وثني)، وبين الناموس اليهودي؟، فردّ أن الحثام بُني قبل التمثال، فالحثام لم يُبَن من أجل التمثال ولكن التمثال صُنِع من أجل الحثام^(١٤). وهذا يوضح سعة عقلية هذا الحاخام الأكبر، فهو في نظر العلماء الدرسين يوضع في مصاف الفريسيين المستيرين مثل نيقوديموس ويوسف الرامي. ويُقال في التقليد إنه تنصّر وصار مسيحياً^(١٥). ويُلاحظ أن تعليق سفر الأعمال عليه جاء هكذا: «رجل فريسي اسمه غمالاتيل معلّم للناموس مكرم عند جميع الشعب» (أع ٥: ٣٤). وقد مات قبل خراب أورشليم بثماني عشر سنة.

ومعروف أن بولس الرسول استقى من هذا المعلم ثلاث خصال:

- (١) الصراحة مع الصدق، مع أمانة الحكم على الأمور.
- (٢) الاستعداد للدراسة باللغة اليونانية والاستشهاد بالكُتَاب اليونانيين.
- (٣) البقظة والغيرة على الناموس اليهودي^(١٦).

ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي عن غمالاتيل: «إن الشعب كان يشهد لهذا الحكيم، الذي كان يُعتبر أنه متمكّن تماماً من وصايا ناموسنا، وكان قادراً أن يشرح كل معانيها»^(١٧).

وعليّنا أن نتصوّر بولس وهو جالس عند أقدام غمالاتيل مع أقرانه المخلصين، يسمع ويسأل، ويجابوب ويتعلم يوماً بعد يوم مطبقاً قول سفر حكمة يشوع (والترجمة من عندنا): «الذي يُسَلَّم عقله للناموس العليّ، مُكَبِّباً على التأمل فيه، يمتش عن كل حكمة القدماء وينشغل بالنبوات، يحفظ

14. Tholuck (E.T.), p. 17.

15 Oxford Dictionary of Christian Church, citing Clementine Recog. 1 65.

16. Conybeare, *op. cit.*, p. 48.

17. Jos., Ant. XX, 11.2.

أقوال مشاهير الرجال، ويبحث عن أماكن الأمثال العميقة، ويضع قلبه هناك يبحث عن أسرار المسائل المعوية، ويتكلم بخفيات الأمثال. فإنه بذلك سيخدم بين عظماء الرجال، ويظهر بين الأمراء، ويرحل مسافراً بين البلاد الغربية، لأنه اختبر ما هو الصالح والردىء بين الناس.» (حكمة يشوع ١: ٣٩-٤١)

والآن نحن نعرف ماذا كان يقصده بولس الرسول حينما قال: «وكنتم أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أتريائي في جنسي، إذ كنت أوفر غيرة في تقديرات آبائي» (غل ١: ١٤). وهو لا يقول هذا عن نفسه إلا بعد أن أحذه كتقرير من معلمه الرابان المشهور، وأيضاً عن مديح زملائه وهو يتألق بينهم كنجم يشرق مرتفعاً في ظلام ليل طال على اليهود، وكان كمن يقول لنفسه بسان كاتب سمر الحكمة: «فرحتُ أن أحدها معي (الحكمة) لأعيش معها، لأنني عارف أنها تكون لي ناصحة في الصالحات، وتكون حديث فكري في ضجري، ويكون لي منها بهاء في المجامع، وكرامة قدام الشيوخ في شبابي، وأوجد متمكناً من القضاء، وأوجد مكرماً عند عظماء الرجال، حينما أمسك لسانني وأصمت، يترقبون حديثي، وإذا تحدثت يصفون لي بانتباه.» (الحكمة ٨: ٩-١٢)

وبينما بولس منغمس في الدراسة والتحصيل، يسعى باجتهاد يفتش الكتب، ويستذكر، ويضيف الليل على النهار؛ كانت القامات الكبرى الإيجلية من حوله تأخذ طريقها نحو النور: المعمدان في البراري، والتلاميذ في صيد السمك. كل ذلك على خلفية المسيح في تجارته في حانوت الناصرة يصنع الأنبياء (جمع نبي) الخفيفة. وكان الهيكل يجمعهم جميعاً من سنة إلى سنة، تتقابل العيون ولا تتقابل العقول، فكل في طريقه يسير بانتظار ساعة الصفر.

وفي الجانب الآخر، كان طيباريوس قيصر يتمرغ على سرير الشهوات والفجور في جزيرة كابري، وبيلاطس البنطي يمزج دبائح الجليليين بدمائهم (لوقا ١٣: ١). وحين بدأ الرب خدمته العلنية ونادى باقتراب ملكوت الله، كان شاول بولس قد بلغ الخامسة والعشرين أو الثلاثين على أقصى تقدير.

الفصل الثاني

شاؤل الفريسي مضطهد الكنيسة

١ - فريسي ابن فريسي (أع ٢٣: ٦) (١)

إن أفضل شرح لهذه الوظيفة يقدمه بولس نفسه:

«فسيرتي منذ حدثتي التي من البداة كانت بين أمتي في اورشليم، يعرفها جميع ليهود، عالين بي من الأول، إن أرادوا أن يشهدوا، أنني حسب مذهب عبادتنا الأضيق عشت فريسيًا» (أع ٢٦: ٥٤)؛ «من جهة الناموس فريسي، من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة، من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم.» (في ٣: ٥ و٦)

«فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أنني كنت أصطهد كنيسة الله بإفراط وأنفها، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أتباعي في جنسي، إذ كنت أوفر غيرتي في تعليقات آباي.» (غل ١: ١٣ و١٤)

(١) اعبريسيون، ظهر اسمهم أولاً في مطلع القرن الثاني قبل الميلاد في أيام حكم بونتات (١٦٠-١٤٣ ق م) والذي كان أحاداً يهوداً المكاسب والذي حل محله والمؤرخ اليهودي يوسيفوس يقول إنه في هذا الوقت ظهرت ثلاث مدارس اعبريسية، والصدوقية، والأشسية. وكان الأشسيون فريسيين. مشددون، في يؤمنون بأعضاء والصدوقية على أن كل مدبر لله معين سابقاً، وتقدر وقعه بغير (وهم غناد وادي القفران المشهور ببردياته).

والصدوقية، على الفريسيين، يؤمنون أن كل الأشياء لله، ثم تحدث بعض حرية إرادة لإسرائيل. واعبريسيون، يعقون الموقف الوسيط حيث يؤمنون بأنهم ليسوا كلاً لوصفين من قبل الله الإلهي، مع حرية اختيار لإسرائيل. هذا بحسب تحليل لعلامة والمؤرخ اليهودي يوسيفوس (Jos., Ant. XIII 171f)، الذي يقول إن عددهم في أيامه كان حوالي ستة آلاف. ونكس لعلامة نروس يعتقد أن التوزيع لروحي اعبريسيين يرمي، على عاصيه لاجتماع، إلى حاجة الحسيديم hauidim في حاجة «الأشياء» المذكورين في لمزيد لكثرة وهم المذكورين في سفر ملاحي «معوا رب» (ملاحي ٣: ١٦)، وهم المذكورون في مز ١١٩ أنهم ذوو تقوى وغيره على وصايا الله.

وكلمة «فريسي» التي تكتب φαρισαίος «بارودي» هي مأخوذة من الازمنة peris'ayy وهي من اصل فريسي من كلمة «فريسي» وهي تعني تماماً جماعة المعزلة، بمعنى عندهم كل ما هو غير صاهر، سواء كان حلالاً أو في عبادة، وهذا

وبلاحظ أنه يحاول أن يوضح أن الفريسيّة هي التي دفعته لكل هذه الأعمال الجنونية:

«فإن ارتأيت في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أموراً كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري، وفعلت ذلك أيضاً في اورشليم. فحبستُ في سجون كثيرين من القديسين، آخذاً السلطان من قِبل رؤساء الكهنة. ولما كانوا يقتلون، أُلقيت قرعة بذلك (يعني من الذي يبدأ بالرجم). وفي كل المجامع كنت أعاقبهم مراراً كثيرة وأضطربهم إلى التجديف، وإذا أفرط حقني عليهم، كنت أطردهم إلى المدن التي في الخارج.» (أع ٢٦: ٩-١١)

واليك أيها القاري العزيز كيف يصير ايهودي فريسيّاً (٢):

+ عليه أن يحفظ عن طهر قلب، ستمائة وثلاثة عشر قانوناً، أو حكماً بمقتضى التاموس الذي وضعه موسى، أي مُطَقّاً عليه أو مستحراً منه، ثم يلتزم بها في حياته الخاصة والعامة.

+ ثم تعود هذه الأحكام بعددها هائل لتأخذ صيغاً ذات أحكام إضافية مسلمة بالتقليد من كبار معلمي التاموس السابقين على مدى العصور.

+ أما التطهيرات (هالاكاه)، فإن عددها يملأ فصولاً بأكملها في التلمود، ويتبعها تفسيرات في آخر كتاب المِشْنَا من اثني عشر فصلاً.

+ وهكذا يصبح عقل الفريسي وتصبح حياته مردحة إلى أقصى حد بالتاموس وأحكامه، وكأنها شبكة ضيقة الفتحات، دخلها فالتفت عليه حتى لم يُعَدَّ يرى ضوء الله.

يُعتبر الحزب السني بعدائه سي عترو أنفسهم أنهم إليه مدسوب. وفي عُرفهم - الله قدوس، يحس معز أو مغرور parus، وهم اسد ما يكون حرصاً على حفظ نسب ونحس لأطعمه محرمة بكل مدس. وهم سس صدقو على ساموس تدليم ووصد. وحمود في مدس لناموس. ورب ونحهم على دس (٢٣)، د حَسُو سس حلالا عسره، وارمومهم بوصد هي تدليم - سس. واسمومها كم هي في الإبحس «الوصد السبوح» (٥.٧). وأغريسيون هم الذين احتسبو بعدد في مدمع وقد حَسُو جوع اشعب وتلمدومهم يكونو هم سماعاً، حصه أولئك مدس أُلحِنُو تديفدهم وبهيمهم عن معالجة الأعم وكمرهم بظلمه لكهنة١١ ومدد بهم لحكام الأعمس، وأعرض اعشور حتى عن لأعشب التي تظهر في حقل.

وقد أحدث هذه التسعة على نفسها مودة المسيح ومدومعه، وصادروه في موضوع معفره خطيأ، ولي كسر اسبب، ومعسره لنحظه. وكانوا عتس في لشهدريم كآفبه، ولكن مسومعه انصوب. ورب بكر عليهم عبادهم سكيه وعسكهم بظاهرات ناموس (٢٣ ١٣-٣٦)، واحد عميمهم الأعداد مَرُ أنفسهم (١٨، ٩، ١٤). وبكن عند بدء وقوع الآلام على مسيح اسسحو، وه يكونو مسعسب دإجرات، وبركو الجد بخصوميس، أي رؤساء الكهنة مد بعد اعبيمة، مكنو أُن عده من رؤساء الكهنة لكهنية ابوروده (حديث)، ودسب سبب سيهم معظم مبدية الكهنة المسيحية. لأهه كونا يؤمبون سعيهم من الأعموات وبارره في ساعس الآخر، كم كونا يؤمبون بوجود الاملاكة وحرية حبر لاسد وبعديّة لإهيه. من وقد دفع عدلايل عن برس بعد اتيامة أمام المشهديم (أع ٥: ٣٤-٤٠).

ولقد حبست سبعة عشرين عاماً بعد حرب ورسيم سنة ٧٠م وعجت اعددهم، وب رسول ناحيون مكسهم سعيهم

والفريسي لا يكاد يتحرك من بيته إلى الخارج ويتقرب من الطعام ويعود إلا ويتعرض لمحاذير ووصايا تُعدُّ بالآلاف.

وبجرد الخوف من أن يسقط الفريسي في واحدة من هذه المحاذير، نجعله في حالة استنفار ويقظة بل ورَبْكة ذهنية، كفيلة أن تشلَّ عقله، وهكذا تتلف حواسه الأخلاقية الطبيعية.

فالديانة عند الفريسي مصبوبة في قوالب شكلية عديدة، تحتاج إلى مهارة لكي يستطيع أن يستوفيها ويخرج منها سالماً.

وهكذا تضمحل روح العبادة في خِصَمِ الشكليات، وتذوب حاسة التقوى الروحية الصحيحة.

والفريسي يُجربُّ، أشد ما يُجربُّ، باعتداده بنفسه وبرَّه الشخصي، فلا يعود قادراً أن يحس سالاتضاع أو يفهمه، كيف ذلك وقد صار هو القوام على أمور الله؟ ولماذا تكون التوبة وهو بارٌّ في عين نفسه، وكيف تأتية روح الصلاة الخاشعة وهو يصوم لله الاثنين والخميس ويعشُر كل شيء حتى النعناع والكمون والشبث، وهو الذي يحفظ كل الفرائض ويؤديها؟

لذلك فالفريسيَّة تغدي النفس بروح الذاتية والغطرسة، بخداع الذات والرياء!

+ وعندما يُخفق الفريسي في تأدية كل واجباته، هنا يشعر بالفراغ ولا يعوِّضه إلا التطاهر وإتيان الأعمال العنيفة والغيرة الرائدة لإرضاء ضميره، كالاضطهاد والتعنيف وملاحقة الخطاة في نظره (الذي نسميه في علم النفس مُركَّب النقص).

وبحن نرى حال شاول بالنسبة للاعتراف الذي قدَّمه في رسالته إلى أهل رومية الأصحاح السابع، كيف أنه أخفق أن يكون على مستوى الناموس أو برَّ الناموس: «ويحي أنا الإنسان الشقي! مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت؟» (رو ٧: ٢٤)

«فإنني أَسْرُ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن، ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني، ويسببني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي.» (رو ٧: ٢٢ و٢٣)

فأين هذا التقرير الحزين الأليم، بل هذا الصراخ من عمق نفس ممزَّقة من جراء العجز عن تأدية الصلاح بروح الناموس، أين هذا من عجرفة الفريسي التي نادى بها بولس عن نفسه أنه «من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم» (في ٣: ٦)!! كيف نصلح هذا بذلك؟؟

لذلك لما صار بولس مسيحياً أصبحت فريسيته التي كانت في عينه أعظم ربح، صارت في نور الحق الإلهي أعظم خسارة وأعظم ثقل يجبره وراءه، لأنه كان قد انصبغ بها. ولكن، وبانتقام من

عس الناموس وحداعه، أحد يتعقب فريسته بلا رحمة في نفسه وفي الآخرين. اسمعه يوتج الفريسين — الدين شغلوا تعليم الدحلاء — بعد أن صار في نور إيمان الحق والحياة:

«هوذا أنت نُسّي يهودياً، وتتكلم على الناموس وتفتخر بالله، وتعرف مشيئته، وتميز الأمور المتحالفة، متعلماً من الناموس (هذه كلها أوصاف الفريسي من وقع دراسته ومهنته)، وتنبأ أنك قائد للعميان، ونور للدين في الظلمة، ومُهدّب للأغبياء، ومعلّم للأطفال، ولك صورة العلم والحق في الناموس. (إنها يكون قد استوى بولس كل مؤهلات الفريسي. والآن بدأ ليكشف وبفصح جميع هذه المؤهلات مُثبِتاً من تحرته في نفسه أن مؤهلات الفريسي هي في الظاهر فقط لدعاء الآخرين)، ... الذي تكرر أن لا يُسرق أتُسرق؟ الذي تقول أن لا يُزنى أتُزنى؟ الذي تُشكّره الأوثان، أتُسرق الهياكل؟ الذي تفتخر بالناموس، أتُعذّي الناموس تهين الله؟ لأن اسم الله يُجذّف عليه سببكم بين الأمم.» (رو ٢: ١٧-٢٤)

ومن هذا السريير المرير لفريسين والفريسية على وجه العموم، ولفسه أيضاً في السر، نفهم عاماً لماذا ساق الله هذا الشاب العبور المتفدّ غير في الناموس. لكي يبلغ من التعليم على مستوى الفريسية أقصاه، وعلى يد عملائيل أشهر معلمي الناموس ربما في كل العصور، وذلك بقصد من الله وتذير، لكي يكون بولس على دراية، أكمل دراية، عدى تغرّب افكر ايهودي عن الحق وحروح عبادهم عن التقوى الصادقة. ويكون على نيّة من أسباب عدم إيمان أقربائه وأنسانه حسب الحسد، بل وبالأكثر لكي يكشف كيف ولماذا صلبوا المسيح، ثم بعد ذلك يستطيع أن يقيم ناموس روح الحياة في المسيح يسوع وينادي بحرية أولاد الله. ويكرر بالمسيح الذي: «صار لنا حكمة من الله وبراً وقداً وفداء» (١ كو ١: ٣٠). ويصرح: «لأنكم بالنعمة مُخلّصون بالإيمان، وذلك ليس منكم، هو عطية الله.» (أف ٢: ٨)

٢ - حال الكنيسة قبل دخول بولس الإيمان

يبرز منا قبل أن نسرّد قصة دخول بولس الكنيسة مُعتمداً من المسيح كرسول للأمم، أن نوضح أمام القارئ حال الكنيسة بعد انقيامة وبعد حلول الروح القدس ونسكاب النعمة والمواهب والنشاط الرسولي وحالة المؤمنين الجدد من اليهود المتضرّين، وخاصة يهود الشتات المتعبرين أنهم يهود يونانيون، وكيف كانت تنمو وتتموّى وتتشدّد بالروح وينصم إليها كل يوم الدين يخلصون ميثاق وألوفاً. وقصدنا من ذلك أن يكون القارئ على وعي أن بولس ارسلوا انضم إلى الكنيسة وهي في أوج إيمانها وقوتها وروحانيتها.

ماذا حدث بعد موت الرب:

حينما أُرسل يوسف ونيفوديموس الحسد المقدس من فوق الصليب، واستودعاه العر، تنفّس رؤساء الكهنة مع أتباعهم الصعداء. لقد رتاحت نفوسهم، لتي ظلمت وعلى مدى ثلاث سنوات ويزيد معلّقة بين المهادة والقتل؛ وهذه هي إحدى لصور التي كانت مثل حالهم:

«فاحتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تُعلّق أنصبا؟ إن كنت أنت المسيح هُمل لنا حهراً؟ أحبهم يسوع: إني قدت لكم ولستم تؤمنون... أنا والآب واحد. فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه.» (يو: ١٠: ٢٤-٣١)

وأحيراً أصمروا على فعل ما كانوا أضمره منذ البدء. وتحت إدعاءات كذبة لإراحة الضمير، تهيأ لهم أنهم عملوا عملاً حسناً إزاء الذي كان يكدّ عيهم حاهم ويهدد كيانهم ويستخف بناموسهم وسبتهم.

لقد مات الناصري مُدعي المسيانية. وهد وحده كان كميلاً لانتهاه كابوس الشك والخيرة، لأن الناموس عند ليهود يقول إن المسيا لا يموت: «نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد» (يو: ١٢: ٣٤)، وعلى هذا الأساس تحدّى رؤساء الكهنة المسيح وهو عن الصليب: «والرؤساء أيضاً معهم يسحرون به قائلين: خلّص آخري، فليخلص نفسه إن كان هو لمسيح غنار الله» (لو: ٢٣: ٣٥)، «ليسر الآن المسيح ملك إسرائيل عن الصليب لترى وتؤمن» (مر: ١٥: ٣٢)، «إن كنت ابن الله، فانزل عن الصليب.» (مت: ٢٧: ٤٠)

وهكذا لما مات ودُفن، انتهت مسكنة المسيح من أذهاب اليهود ورؤساء الكهنة أو هكذا طُور!!

ولما التفتوا نحو تلاميذه وجدوهم قد انكمشوا عتبيين وراء أبوابهم المغنقة، تركوهم وحاهم إذ لم يثد لهم وجود. أما حاضته من الدين أحبوه وآموا به وتبعوه من الشعب رجالاً ونساءً، فيكفهم أنهم رأوا معلمهم معلقاً على حشبة العار محكوماً عليه باللعنة من الشاموس: «لأن المعلق ملعون من الله» (تث ٢١: ٢٣). وهذه إحدى الصور البائسة التي كانت تبدو على الجميع:

«كان إنساناً بيباً مفترداً في الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب، كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصدبه!! ونحن كما نرجو أنه هو المرمع أن يعدي إسرائيل. ولكن مع هذا كله اليوم به ثلاثة أيام منذ حدث ذلك» (لوقا ٢٤: ١٩-٢١)، إذأ قد سارت الأمور بالنسة لرؤساء الكهنة — ومن معهم — إلى أفضل مما كانوا يتمنون!!

ولكن في صبيحة الأحد الخالد، اليوم الثالث من موت الرب ضجّت أوساط التلاميذ والمقرّبين بخبر قيامة الرب من بين الأموات:

«هجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب.» (يو ٢٠: ١٨)
«ولما كانت عشية ذلك اليوم، وهو أول الأسبوع، وكانت الأبواب مغلقة حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع ووقف في الوسط. وقال لهم: سلام لكم!! ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه، ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب.» (يو ٢٠: ١٩-٢٠)
«ثم قال لتوما هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدي، وهات يدك وضعها في جنبي، ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً، أحاب توما وقال له: ربي وإلهي.» (يو ٢٧: ٢٨-٢٨)

«فلمسا اتكأ (المسيح) معهما أحد حراً وبارك وكسر وناولهما، فانفتحت أعينهما وعرفاه، ثم احتفى عنهما... فقاما في تلك الساعة ورجعا إلى أورشليم، ووجدا الأحد عشر مجتمعين هم والذين معهم، وهم يقولون إن الرب قام بالحقيقة، وظهر لسمعان» وأما هما فكانا يخبران بما حدث في الطريق وكيف عرفاه عند كسر الخبز.» (لوقا ٢٤: ٣٠-٣٥)

ويوجد تسجيل عن حوادث القيامة استلمه القديس بولس من الرسل عندما تقابل معهم: «بطرس ويعقوب ويوحنا» وذلك في أورشليم بعد أن ظهر له الرب، ويعتبر أقدم وثيقة كُتِبَتْ في الكنيسة عن حوادث القيامة:

«فإنني سلّمت إليكم في الأول ما قِيلَتْه أنا أيضاً، أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنه ظهر لصفنا (بطرس)، ثم للاثني عشر، وبعد ذلك ظهر دفعة واحدة لأكثر من خمسمئة أخ أكثرهم باقي إلى الآن، ولكن بعضهم قد رقدوا، وبعد ذلك طهر يعقوب ثم للرسول أجمعين، وآخر الكل — كأنه للبيط — ظهر لي أنا، لأنني

وظلَّ يتراءى لتلاميذه والمقرَّين أربعين يوماً: «لديس أراهم أيضاً نفسه حياً ببرهين كثيرة بعد ما تألم، وهو يظهر لهم أربعين يوماً، ويتكلم عن الأمور المحتصة ملكوت الله.» (أع ١: ٣)

الإيمان المسيحي حصيلة استعلانات وتحليات:

ليستبه القارىء، فالإيمان المسيحي لم يبدُ «القيامة» كبرهان أن يسوع هو المسيح ابن الله، لكن القيامة كانت خاتمة أو حصيلة تجليات سابقة واستعلانات متولية، أعلن فيها المسيح نفسه لتلاميذه منذ أول يوم تعرَّفوا عليه: فاسمع نشائيل أحد التلاميذ الأوس، وفي أول مقابلة للمسيح، وفي أول يوم لخدمة المسيح يقول: «أجاب نشائيل وقال له: يا معلم أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل» (١٥: ٤٩)؛ ذلك لأن المسيح بادره بكشف حقيقة كانت في قلب نشائيل لم يكن يعلم بها أحد، أرفقها المسيح في نفس اللحظة بكشف عن نفسه، فجاء رد المسيح عن اعترافه ليقيد أنه ليس من فراغ يشهد لنشائيل، بل عن مشاهدة سرِّية انفتحت عيناه من قِبل الله ليرى حقيقة المسيح: «سوف ترى أعظم من هذا، وقال له الحق الحق أقول لكم: من الآن ترون السماء مفتوحة (كناية عن انفتاح البصيرة ورؤية الأخرويات)، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان.» (يو ١٥: ٥١ و٥٠)

ومعروف أن المسيح بهذه الكلمات يُحيل السامع إلى حتم يعقوب إسرائيل: «ورأى حلماً وإدا سُلِّم منصوبة على الأرض، ورأسها يس السماء، وهذا ملائكة الله صاعدة وبارلة عيها، وهودا الرب واقف عليها فقال: أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحق...» (تك ٢٨: ١٢ و١٣). وهكذا كان قصد المسيح بقوله هذا لنشائيل لكي يفت نظره إلى عمق الاستعلان الذي رآه في المسيح، وكأنه يقول له سوف تفتح عيونكم وترون الله هي!

كذلك اعترف بطرس في أوائل أيام أتباعه للمسيح: «فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح ابن الله الحي» (مت ١٦: ١٦)، وكان ردُّ المسيح عليه أيضاً وعلى نفس مستوى نشائيل هكذا: «طوبى لك يا سمعان بن يوسا، إن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبني الذي في السموات، وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيسةي، وبواب الجحيم لن تقوى عليها» (مت ١٦: ١٧ و١٨). ومعنى قول المسيح هو أن اعتراف بطرس بأن يسوع هو المسيح ابن الله إنما جاء بإعلان مباشر من الله! ثم تأكيد المسيح أنه سيبني كنيسة على هذه الصخرة أي على صخرة الإيمان القائم على الاستعلان السماوي!

كذلك ومن أول آية صنعها المسيح في إنجيل يوحنا، وكأول عمل في خدمته بتحويل الماء إلى خمر سرّي، يشير إلى ذبيحته المستقلة، يقول القديس يوحنا هكذا: «هذه بداية الآيات التي فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر (استعلن) مجده.» (يو: ١١)

وعلى مدى جميع الآيات أي المعجزات التي صنع — وآخرها إقامته لعازر من الموت بعد أربعة أيام في القبر — التي في مجملها كانت تشير بقوة إلى الاستعلان الذي تحمله حولاهوته: «أنا هو القيامة وأحياة... أتؤمنين بهذا؟ قالت له: نعم يا سيد أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتي إلى العالم.» (يو: ١١: ٢٥-٢٧)

بهذا نفهم أن التلاميذ وخواص المسيح تربّت عندهم حاسة الاستعلان بحقيقة المسيح منذ أول يوم عرفوه وتبعوه، وتربى فيهم الإيمان على مستوى هذه الاستعلانات المتوالية، حتى صارت ذخيرة ملأت الوعي الروحي فيهم. صحيح أن عقبة الصليب جاءت كصدمة عنيفة أوقعت كل امتداد لهذا الوعي، فانشغل وتوقف وأندر بالخطر، إلى أن جاءت القيامة، لا كخبر؛ بل استعلاناً منظوراً وملموساً تقبّله وعي التلاميذ عن الرب، وكان من قوته أن ألغى عقبة الصليب؛ بل تجلّى بها وتجلّت كل الإعلانات السابقة معاً منذ أن بدأ المسيح كرازته لتبلغ به، وهو قائم أمامهم حياً، نصّ الإيمان الكامل به الذي سبق وأن نطقه بطرس حرفاً بحرف: «أنت هو المسيح ابن الله الحي» والذي صرخ به توما «ربي وإلهي».

كذلك فالإيمان بالمسيح الذي بلغ أوج نضجه في قلوب التلاميذ بالقيامة، بجده يأخذ نوعاً جديداً من الحركة والاندفاع في التعبير والشهادة، بسبب القوة التي حلّت عليهم من السماء عياناً بياناً، بصورة حية وملموسة ومنظورة، لأن المسيح بعد القيامة كلّمهم بوضوح أن ينتظروا معونة أخرى نصيغ إيمانهم صياغة روحية تفوق الفكر والنطق العادي.

+ «حينئذ فتح ذهنهم (قوة الاستعلان لمعرفة الحقائق الإلهية والأخرويات) ليفهموا الكتب... وها أنا أرسل إليكم موعداً أبي (الروح القدس)، فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعلي.» (لو: ٢٤: ٤٥-٤٩)

واضح هنا أن إيمان الرسل كان يحتاج إلى قوة سماوية أعطاها لهم الله بواسطة الروح القدس الذي حلّ عليهم يوم الخمسين.

بهذا نفهم أن الإيمان المسيحي، الذي هو حصيلة استعلانات متواترة قدّمها المسيح لهم عن نفسه على مدى ثلاث سنوات ويريد، اختتمت بعد موته باستعلان قيامته وظهوره حياً؛ هذا الإيمان

المسيحي كمثل الله لهم بقوة خاصة من عنده هي قوة الروح القدس، فأصبح عمل الروح القدس في الإيمان عنصراً أساسياً. فهو كما عرفناه الآن أنه:

- + «قوة من السماء ليسها التلاميذ» بمعنى أنهم يعملون ويتحركون بها.
- + وأنه كما سبق المسيح وعرفهم أنه «روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق.» (يو: ١٦: ١٣)
- + «وأما المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويُذكركم بكل ما قلته لكم.» (يو: ١٤: ٢٦)
- + «ذاك يجذني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم.» (يو: ١٦: ١٤)
- + «روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي، وتشهدون أنتم أيضاً.» (يو: ١٥: ٢٦ و٢٧)
- + «ويخبركم بأمور آتية.» (يو: ١٦: ١٣)

هكذا دخل عمل الروح القدس ليرفع الإيمان المسيحي إلى مستوى الحق كل الحق، وليستمر الإنسان تحت قيادة الروح للامتداد والنمو في التعليم بكل شيء بلزم الإيمان، ولكي يظل الإنسان يستمد بواسطة الروح القدس كل ما للمسيح، حيث الروح يلقّنه للتلاميذ؛ بل يسبق ويسبق الزمن ويُعرّفهم بأمور قادمة يحسبون حسابها ويتلافون صدامها.

كذلك فإن حلول الروح القدس بعلامات واضحة من السماء وتأثيرات فعّالة، كان إثباتاً ضمنياً أن المسيح أكمل بالفعل رحلته صعوداً إلى الآب كما قال واعداً: «ولكن إن ذهبتُ (إلى الآب) أُرسله إليكم» (يو: ١٦: ٧). هذا معناه أن المسيح ارتفع إلى الآب، وأخذ كامل مجده الذي له: «والآن مجذني أنت أيها الآب عند ذاك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كَوْنِ العالم.» (يو: ١٧: ٥)

أما عن الإيمان بجلوس المسيح عن يمين الله بعد قيامته وصعوده، ففوق أنه تحقق عياناً بياناً بالرؤية المنظورة التي رآها إستفانوس وهو تحت الرحم: «وأما هو فَنَحْصُ إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله» (أع: ٧: ٥٥)، فإن المسيح نفسه سبق وألمح عن هذه المكانة التي له بقوله لتلاميذه:

- + «سأُهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح ابن مَنْ هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح رباً؟ قائلاً قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.» (مت: ٢٢: ٤١-٤٤)

فانظر معي، أيها القارئ، هذه الدرجات العجيبة في بناء الإيمان المسيحي:

الدرجة الأولى سالوة في المزمور التي قالها داود بالروح قبل المسيح بألف سنة. وقالها وهولا يدري ما يقول، وذلك كتسجيل إلهي، حسب قول الرب: «قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون.» (يو ١٤: ٢٩)

ثم الدرجة الثانية تفسير المسيح نفسه لمزمور داود الذي تسأله عن المسيح، وهما رفع المسيح النبوة إلى نور الاستعلان مشيراً إلى نفسه.

أما الدرجة الثالثة فتتميم النبوة وتتميم الاستعلان بالجلوس الفعلي.

أما الدرجة الرابعة ففتح عين إسماعانوس الشهيد ليرى الواقع الإلهي مطوراً بالرؤيا. وهكذا تمت العوامل الأساسية في تكوين الإيمان بجلوس المسيح عن يمين الله.

ولكن لا يزال حلول الروح القدس بالقوة العلنية من السماء كتتميم لوعده الله والمسيح يحمل استعلاناً آخر ذا شأن بالغ الأهمية.

فأصل النبوة عن حلول الروح القدس تحمل إشارة إلى نوع الرمن الذي سيحل فيه الروح القدس: «يقول الله (في سوة يونيل النبي كما ذكرها بطرس الرسول): ويكون في الأيام الأخيرة أنني أسكب من روحي على كل بشر فينبأ بنوكم وبناتكم...» (ع ١٧: ٢). أي أن حلول الروح القدس تصاحبه «الأيام الأخيرة». هما الأيام الأخيرة كما نحيها الآن تعني «الرمن الروحي». فحللوا الروح القدس على الكنيسة يوم الخمسين، انفتح سفر الحياة الأخرى، أو انفتح «الزمن السماوي»، أو «زمن الخلاص»، حيث نعيش الآن سيرتنا الروحية المسجلة في السماء: «إن سيرتنا نحن هي في السموات» (في ٣: ٢٠)، وهي التي عبّر عنها القديس يوحنا في رسالته الأولى «نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة، لأننا نحن الإخوة» (١ يو ٣: ١٤). وهذا الإيمان هو طبق الأصل وموقع على قول الرب: «إن من يسمع كلامي ويؤمن بإيدي أرسنني، فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى ديسونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.» (يو ٥: ٢٤)

هذه «الأيام الأخيرة» أو لرمن الأخروي، يسميها أيضاً القديس بولس في سفر العبرانيين: «ذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتي» (عب ٦: ٥). هنا «ذاقوا قوات الدهر الآتي» تعني استعلانها، أي أعمال وموهب وطبائع الحياة الأبدية، ليس مجرد معرفة بل ذوق، أي إدراك فعلي لحياة آتية لم تستعلن كاملاً بعد، هذه هي عطية الله بالإيمان (٣).

أي أنه بحلول الروح القدس يوم الخمسين، ابتدأ الإيمان يتمد ليحتوي قوة وبركات الحياة الآتية. فالإيمان المسيحي بحلول الروح القدس ونوال مواهبه دخل دخولاً عملياً في عمق الحياة الأبدية.

هذا المفهوم تؤيده أشد التأييد، نظرة القديس بولس إلى الروح القدس بالنسبة للإيمان المسيحي أنه بمثابة «عربون» أخذناه أحياناً فعلياً ملموساً بقوة حياة جديدة، وبمفاعيل واضحة جديدة «عربون حياة حياة»، أي هو «عربون» على مستوى حياة يعيشها الآن جزئياً وبصورة مصغرة (كما في مرآة) حياة كلبية آتية في ملء الحضور الإلهي. هنا كلمة «عربون» تعني «مقدم» الدفوع كصمان، أو صك لدفع بقية المتعق عليه أي نصيب الميراث الكامل كسبين مع المسيح في الله. فالروح القدس هو عربون ميراثنا «إذ آمنتم، حُتِمْتُمْ بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا.» (أف ١: ١٣ و ١٤)

ونودُ لو نوضح للقارئ القيمة الفعلية الثمينة لمعنى أخذنا الروح القدس هنا أخذاً فعلياً، بمفهوم «عربون خلاصنا»، الذي نعيشه الآن جزئياً لنحياه ههنا كلياً.

فالكنيسة لما أخذت الروح القدس يوم الخمسين، دخلت فعلاً بالإيمان المسيحي الكامل في «الأيام الأخيرة»، و«ذاقت قوات الدهر الآتي»، وعاشت «باكورة أزمنة الخلاص»، وكانت كل العلامات تنطق بذلك الإيمان، فالإيمان كان حياً فعلاً ناطقاً وشاهداً عماعيل أذهبت العالم.

+ «كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب، مُسَبِّحِينَ الله، ولهم نعمة لدى جميع الشعب.» (أع ٤: ٤٦ و ٤٧)

+ «فلما رأوا مجاهرة بطرس وبوحنا، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان، تعجبوا فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع.» (أع ٤: ١٣)

+ «وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدّون الشهادة بقيامة الرب يسوع، ونعمة عظيمة كانت على جميعهم.» (أع ٤: ٣٣)

+ «وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع، لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه.» (أع ٥: ٤١)

+ «وأما إسماعانوس، فإذا كان مملوءاً إيماناً وقوة، كان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب.» (أع ٦: ٨)

+ «ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به.» (أع ٦: ١٠)

هذه الأمثلة توضح نوع الحياة الفائقة على الطبيعة التي عاشتها الكنيسة بإيمانها الفائق على الطبيعة أيضاً، وكان يفعل الروح القدس «كقوة من الأعالي» عنصراً يعزّي الإيمان والسلوك والشهادة بميزاتها الفائقة. هذا غير ما يقابله في الرسائل كلها على مستويات غير عادية، تشهد بنوع الحياة الفائقة التي كانت تحياها الكنيسة بإيمانها الحي بالمسيح، سواء في سجل المحبة الفائقة في (١كو١٣)، أو احتمال الأحزان والضيقات والآلام بتهديد، أو احتمال سلب الأموال بفرح، أو مواقف الصلاة التي فتحت أبواب السجود وأسقطت السلاسل من أيدي المقيدين بها، وأقامت المرضى أصحاء؛ بل الموتى أحياء. لقد عاشت الكنيسة في ملء قوات الدهر الآتي وشرت بمودح سلوكها وحبها وبذلها.

كان إيمان الكنيسة حاراً، يتأجج كالنار في قلوب المؤمنين، إذ تم وعد الرب «جنت لألقي ساراً على الأرض، فماذا أريد لو اضططرت؟» (لو١٢: ٤٩). وصحّتها: «ولا أريد إلا اضطرامها». هذه هي النار التي هطت من عند الله على الأرض بالروح القدس فأشعلت القلوب وأثارت العالم.

أصبح الآن واضحاً، أن الإيمان المسيحي، الذي بدأ كحvisلة استعلانات للمسيح متوالية تكثّلت وتأكّدت بالقيامة من الأموات، أخذ حركة وحياة وقوة هي من صميم الدهر الآتي، انفتحت بها الكنيسة بالفعل على حياة الدهر الآتي، تعيش عربونه بالإيمان والروح، وتشهد له بقوة ليست من هذا العالم.

علاقة الكنيسة الأولى باليهود والهيكل:

لم يكن في حياة الكنيسة الأولى من حيث مظاهر العادة والصلاة أو من حيث السلوك العام، ما يُفلس اليهود في شيء. فكان التلاميذ والمؤمنون المسيحيون يؤدون الصلوات الطفيسية اليهودية مع اليهود، دون أن يكون هم أي مظهر مفرد أو مثير، الصلوات في ميعادها، والمناسبات والأعياد أيضاً:

«وكانوا كل حين في الهيكل يُسبحون ويباركون الله.» (لو٢٤: ٥٣)

«وصعد بطرس ويوحنا معاً إلى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة.» (أع٣: ١)

«وبسما كان الرجل الأعرج الذي سُمي متمسكاً بطرس ويوحنا، تراكص إليهم جميع

السمع إلى الرواق الذي يُقال له رواق سليمان، وهم مندهشون...» (أع٣: ١١)

«وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات... مُسبّحين الله (في

الهيكل)، وهم نعمة لدى جميع الشعب (اليهودي).» (أع٢: ٤٢ و٤٧)

«وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب، وكان الجميع بنفس واحدة (الاجتماعات المسيحية) في رواق سليمان، وأما الآخرون (اليهود المتعصبون) فلم يكن أحد منهم يجسر أن ينتصق بهم، لكن كان الشعب يعظمهم، وكان مؤمنون يصمون لرب كثر، جاهل من رحان ونساء حتى إنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً (خارج هيكل) في الشوارع ويضعونهم على قُرُش وأسرّة؛ حتى إذا جاء بطرس، يجيم ولو ظلَّه على أحد منهم. واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى أورشليم حاملين مرضى ومعذّبين من أرواح نجسة، وكانوا يראون جميعهم.» (أع ١٢: ٥-١٦)

وإلى هنا لا نحس بأية حركة مصادرة من اليهود عامة تجاه الكيسة الجديدة، ولا حتى من الفريسيين، لأن تعاليم الرسل لم يكن فيها ما يتعارض مع تعاليم الفريسيين في شيء. حتى القيامة من الأموات، فهذه كان يؤمن بها الفريسيون كمقيدة ولكن دون تحديد.

أما الصّدوقيون ومنهم رؤساء الكهنة، فلم يكونوا يؤمنون بالقيامة، فلما ابتدأ الرسل يكررون سفامة الرب من بين الأموات، ثم ركزوا على عملية المحاكمة والصلب متهمين رؤساء الكهنة علناً بسفك دم بريء، ابتدأوا يتحركون. وأخيراً، ألقوا القبض عليهم: «فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه، الذين هم شبيعة الصّدوقيين، وامتلاؤا غيرة، فألقوا أيديهم على الرسل، ووضعوه في حبس العامة» (أع ١٧: ٥ و ١٨)، وكانوا يظنون أنهم بهذا قادرون على إحداد صوتهم. ولكن لم يكن الرسل بلا شعين، فالرب كان باظراً إليهم من السماء بتابع خدمتهم وشهدتهم حسب وعده: «ولكن ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم، وقال اذهبوا، قفوا، وكلموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة.» (أع ١٩: ٥ و ٢٠)

وفعلوا ذهبوا. وفي الصباح، دخلوا الهيكل وابتدأوا يعلمون، مما حير رؤساء الكهنة وكل المجمع. وهنا بدأ واضحاً من كلام رئيس الكهنة أنهم بدأوا يدركون حرية سفك الدم البريء الذي اقترفوه: «حينئذ مضى قائد الجند مع الخدام، فأحصرهم لا يصف لأهم كانوا يخافون لشعب لئلا يُرحموا!! فلما أحضرهم، أوقفهم في المجمع. فسألهم رئيس الكهنة قائلاً: أَمَا أوصيناكم وصية أن لا تعلموا بهذا الاسم؟ وما أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان...» (أع ٢٦: ٥-٢٨)

وفي هذه المحاكمة تدخل عمالائيل معهم الناموس المشهور بكل ثفته للدفاع عن الرسل بحاسة حكيمة مع رجاحة عقل ومنطق: «والآن أقول لكم ننحّو عن هؤلاء الناس وتركوهم، لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقص، وإن كان من الله فلا تفقدون أن تقصوه لئلا توبّدوا محاربين لله أيضاً. فانقادوا إليه، ودعو الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم

يسوع ثم أطلقوهم. » (أع ٥: ٣٨-٤٠)

«وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع، لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسمه، وكانوا لا يزالون كل يوم في الهيكل وفي البيوت معلّمين ومبشّرين بيسوع المسيح. » (أع ٥: ٤١ و٤٢)

وبعدها بدأ يَحمد صوت رؤساء الكهنة بسبب التيار الشديد الذي بدأ يحرف الشعب بالآلاف: «فَقَبِلُوا كلامه بفرح، واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس. » (أع ٢: ٤١)

وابتدأت الكنيسة تنمو وقتد بسرعة هائلة: «وكانت كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً في أورشليم، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان. » (أع ٦: ٧)

قتل إستافانوس أول شهيد في المسيحية وبداية ظهور كنيسة الأمم: كان النظام المالي والاجتماعي في الكنيسة الأولى على مستوى الشركة، فالأموال تركزت في أيدي الرسل، أو على الأصح حسب التعبير الروحي «تحت أرجل الرسل». وكان التوزيع يتم بحسب احتياج كل واحد:

«وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة. ولم يكن أحد يقول إن شيئاً من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركاً ... إذ لم يكن فيهم أحد محتاجاً، لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل، فكان يوزّع على كل أحد كما يكون له احتياج. » (أع ٤: ٣٢-٣٥)

هنا يلزمنا أن نقف وقفة قصيرة لنوضح الآتي: فإنه بكرة الرسل بالإيمان بيسوع المسيح، دخل الإيمان المسيحي اليهود الذين من الشتات، أي من غير المستوطنين في أورشليم (وكانوا يسمونهم بالرجال الأتقياء أو بالأتقياء فقط). وهؤلاء كانوا من جنسيات كثيرة وبأعداد كبيرة، ونسمع عنهم بوضوح في سرد قصة حلول الروح القدس يوم الخمسين عندما بدأ الرسل يتكلمون باللسنة أي بلغات الأمم:

«وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء، ساكنين في أورشليم. فلما صار هذا الصوت (حلول الروح القدس) اجتمع الجمهور (جمهور اليهود) وتحيروا، لأن كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته. فهُتِ الجميع، وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض: أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين. فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التي وُلد فيها، قَرِيُون وماديون وعيلاميون والساكنون ما بين النهرين واليهودية، وكَنْدُوكِيَّة، وَبُثْنُس، وآسِيَا، وَفَرَسِيَّة، وَبَمَفِيلِيَّة،

ومصر ونواحي ليبيا التي نحو القبرون، والرومانيون المستوطنون، يهود ودخلاء، كريتيون، وغرب،
نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعبثائهم الله.» (أع ٢: ١١-١٢)

وكان لكل جماعة منهم مجمع (سيناجوج) للعبادة والصلاة التي كانت تُقام بلغة كل جنس.
فالذين آمنوا بالمسيح منهم، ظلت كل جماعة محتفظة بشكلها ولغتها.

ولما بدأ الرسل عملية تنظيم التوزيع ليومي للأكل والاحتياجات الأخرى، حدث بعض التمييز
بين المسيحيين اليهود من أصل وطني وكانوا يسمون بالعبرانيين وبين المسيحيين اليهود من الأمم،
مما نتج عنه إدخال تنظيم جديد في الكنيسة: «وفي تلك الأيام وذكثرت التلاميذ حدث تذمر من
اليونانيين على العبرانيين، أن أرامهم كُنْ يُغفل عنهم في الخدمة اليومية. فدعا الاثنا عشر جمهور
التلاميذ، وقالوا: لا يرضى أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد. فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال
مسيحيين مشهوداً لهم وممهورين من الروح القدس وحكمة، فنقيمهم على هذه الحاجة، وأما نحن
فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة» (أع ٦: ١-٤). وفعلاً، احتاروا السبعة من يهود الأمم
الرحال الأتقياء المتضررين، وكان أمرهم شحصال كان هما دور كبير في حياة الكنيسة الأولى،
الأول إستفانوس والثاني فيلبس.

وكان إستفانوس حكيماً ومتمثلاً بالروح القدس، قوي الحجّة، خطيباً ومجادلاً لاهوتياً مقتدر.
هذا بالرغم من أنه أقيم على دمة خدمة الموائد، إلا أنه نطق في البشارة يشهد للمسيح بقوة حيّرت
اليهود. ولأول مرة في الكنيسة بدأ يعلم جهاراً ببطلان الناموس وعوائد اليهود في ظل نعمة
المسيح وعدم التقيد بالعبادة في الهيكل، بعد أن نادى المسيح بالعبادة بالروح والحق، مشيراً
بذلك إلى مستقبل زوال الهيكل. فكانت هذه الأمور بمثابة أول هجوم سافر على اليهودية شكلاً
وموضوعاً، مما أثار حفيظة اليهود، وليس اليهود فقط بل أثارت حتى المسيحيين من اليهود
المتنصرين، سواء العبرانيين أصلاً أو أهل الشتات، الكلّ قام قوّة واحدة ضد إستفانوس، ودخلوا
معه في نقاش وحوار زداد عنفاً حتى بلغ نقطة الاشتعال:

«فنهض قوم — يهود — من المجمع الذي يُقال له مجمع السبيرتانيين (من روما) والقيروانيين
والإسكندرانيين، ومن الذين من كيليكيّا (موطن بولس) وآسيا، يناورون إستفانوس. ولم يقدروا
أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به. حينئذ دسّوا لرجال يقولون إننا سمعناه يتكلم
بكلام تجديف على موسى وعلى الله. وهجّوا الشعب والشيوخ والكتبة، فقاموا وخطفوه، وأتوا به إلى
المجمع (قرب الهيكل ومتصل به). وأقاموا شهوداً كذبة يقولون: هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم
كلاماً تجديفاً ضد هذا الموضع (الهيكل) المقدس والناموس. لأننا سمعناه يقول إن يسوع

الناصرى هذا سينقض هذا الموضع، ويغير العوائد التي سلّمنا إياها موسى. « (ع ٦: ١٤-٩)

وواضح من هذه الاتهامات أن المسيحية — على أيدي يهود الأمم المنتصرين — بدأت ترعرع الأسس الثابتة عند اليهود: موسى، والناموس، والهيكل، والعوائد. ومن دفاع إستفانوس، نعلم أنه أخذ خط المسيح، فلم يهاجم موسى أو الناموس، بل على النقيض مدح موسى وكرمه للغاية، وإبما هاجم آباء اليهود الذين عصوا موسى وتمردوا عليه. كما أنه لم يهاجم الناموس، بل هاجم اليهود الذين يحاكمونه، لأنهم لم يعملوا بالناموس أو يحفظوه. فهم الذين أثبتوا عدم نفعهم بأنفسهم له. وهو لم يهاجم الهيكل، بل هاجم فكرة أن يكون لله بيت على الأرض أو مكان يستريح فيه. كما هاجم العوائد ضماً التي أثبتت أن يقتلوا الأنبياء السابقين ويقتلوا المسيح نفسه، والمسيح هو روح النبوة!

وفي حقيقة يُعتبر دفاع إستفانوس من أقوى الدفاعات التي قدّمت في هذا الشأن، وهو يستمد روحه من تعميم المسيح عمارة تفوق قدرة شماس حديث استنصر (ع ٧: ٢-٥٣)!

وهجاء، تخطى القديس إستفانوس خط الدفاع وانقض على رؤساء الكهنة وأعضاء المجمع بهجوم عنيف على سلوكهم، واصفاً إياهم بأقذع الصفات، وألقى في وجههم بكلمات الله التي نطقها الروح على فم الأنبياء السابقين، وبما يستطاع يفوق سلطان الأنبياء: «يا قساة الرقاب وغير المحتوين بالقنوب والآذان، أنتم دائماً تقاومون الروح القدس — كما كان آباؤكم — كذلك أنتم، أي الأنبياء لم يصطهده آباؤكم؟ وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار، الذي أنتم الآن صرتم مسلّمينه وقائلينه، الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه. « (ع ٧: ٥١-٥٣)

ولم يكمل القديس الشهيد كلامه، ولا هم ساروا خطوة واحدة في المحاكمة، إذ كان كل شيء مدبراً.

فتدبر وهو رافع رأسه نحو السماء يرى مجد الله والمسيح قائماً عن يمين الله: «فكان ها أنا أنظر السموات مفتوحة — (كوعد المسيح تماماً) — وبن الإنسان قائماً عن يمين الله. « (ع ٧: ٥٦)

ويشدّ لك، أيها القارىء، أن تعلم أن كلمة «شهيد» بمعنى شهيد للمسيح تحت الموت وشاهده قد نُحِثَّتْ أول ما نُحِثَّتْ، وأطلقت أول ما أُنطقت في المسيحية على القديس إستفانوس (أنظر أع ٢٠: ٢٢: «إستفانوس شهيدك») (١).



بوابة القديس إسطفانوس

حيث يعتبر — تقليدياً — أنه الموضع الذي تم فيه استشهاد القديس إسطفانوس

وقبل أن يستودع روحه في يد المسيح نطق بالغفران لقائله: «وصرخ بصوت عظيم يا رب لا تُقِمْ لهم هذه الخطية، وإذ قال هذا رَقَدَ» (أع ٧: ٦٠). وعجيب حقاً هذا الشهيد، أيها الإحوة، أنه بغير نارية أخذ يعلِّد خطايا الذين جلسوا يحاكموه، وبنفس الغيرة صمَّح عن خطيتهم لما قتلوه!!

وفي هذه المقارنة الصارخة التي بغير قياس، يتأمل القديس أغسطينوس فيها ويقول (*) : [إن الكنيسة في رُبُحها لبولس، مَدِينَةُ لصلاة إستمانوس].

SI STEPHANUS NON ORASSET ECCLESIA PAULUM NON HABERET^(٦).

ولقد ظلَّت صورة هذا الشهيد وهوميوت، وصلاة مغفرة قائله اني هي آخر كلمات على شفّتيه، أقدس صورة في المسيحية بعد صورة المسيح على الصليب. وهكذا تحمَّل القديس إستمانوس أول شهداء المسيحية عبء أول وأقصى عمليّة جراحية مؤلمة لإخراج كنيسة المسيح حرّة منفصلة دون التصاقات من — بطن أمها — اليهودية، التي خرجت منها، وقد دفعت الثمن دماً بدم.

وعندئذ بدأ الاضطهاد العنيف والمنشّق ضد «كنيسة الأمم»، خاصة لتي كان يمثّلها هؤلاء الشمامسة. «حدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة — ما عدا الرسل» (أع ٨: ١)، لأن الرسل كانوا ملتصقين بالميكَل، ولهم هيئة بقية اليهود.

وظلَّ الرسل بقيادة الأعمدة الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا مركزين في أورشليم يفودون الكنيسة التي بدأت تتشر خارج أورشليم: «وأما الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام، وكانت تُسَمَّى وتسير في خوف الرب، وشعرية الروح القدس كانت تتكاثر» (أع ٩: ٣١). أما هم، فلم يتغير شيء في عبادتهم عن الحظ اليهودي العادي من حيث الصلاة والعبادة والتسبيح داخل الهيكل مع اليهود، ولم تكن كرازتهم لها أي اتجاه معاد بناموس أو الحُثان أو الهيكل أو موسى، ولكن اتّهامهم المتكرر لرؤساء الكهنة علناً أنهم المسئولون عن صلب المسيح وإهدار دم بريء هو الحظ المنتفد الوحيد المُعادي لرؤساء الكهنة، دون أي مساس بالميراث اليهودي من كل نواحيه. وقد دفعوا ثمن هذا الاتّهام بالسجن والضرب مرتين، ولكن الملاك أخرجهم في المرة الثانية، واستأنفوا كرازتهم داخل الهيكل بحسب أمر الملاك. وبعدها قُتِلَ القديس

5. Ibid., p. 62.

(٦) وترجمتها الخروية: [لو لم يصلَّ إستمانوس لما ربحت الكنيسة بولس].

يعقوب الرسول أنخريوحنا الرسول بيد هيرودس إرضاء لليهود، ثم بعده سُجِنَ القديس بطرس بنية قتله أيضاً ولكن الملاك أخرجهم من السجن. وبعد ذلك، لا نسمع عن أي صدام في أورشليم. وبقي الاضطهاد والضرب والسجن والتعذيب والقتل قاصراً على كنائس الأمم خارج أورشليم.

٣ — شاول يضطهد الكنيسة

«بنيامين ذئب يفترس، في الصباح يأكل غنمة، وعند المساء يُقَسَّمُ نهياً.» (تك ٢٧: ٤٩)
(نبوة يعقوب عن بنيه)

عودة إلى القديس إستفانوس الشهيد، لنبدأ سيرة بولس الرسول: قول حكيم، بل هو نبوي أن «دماء الشهداء بذار الكنيسة»، بمعنى أن دم الشهيد هو البذرة الكنسية التي إن سقطت على الأرض أقامت كنيسة، ولكن دم أول شهيد للمسيح كان بذرة تحمل شكل كل كنائس الأمم بطولها وعرضها.

لما كانوا يرحمون هذا الشهيد ذا الوجه الملائكي^(٧)، كان يحرس ثياب القاتلين شاب اسمه شاول. لم يكن ذلك مصادفة؛ بل كان تدبيراً متقناً من الإله الحكيم الذي أراد أن يطبع صورة هذا الوجه الملائكي لهذا الشاهد الشهيد القديس وهو يموت على ذاكرة ذلك القريسي العاتي، ويسجل في أعماق وعيه هذا الدفاع المسيحي الذي حلخل نوافل المعتقدات اليهودية التي كانت راسخة في عقلية اليهود كالجبال الرواسي.

كان اضطهاد رؤساء الكهنة وتحركهم قائماً على أساس سياسي وحقد ذاتي، وذلك بحكم وظائفهم. هكذا رأيناه في كل تصاريحهم العلنية والمُضمرة في اضطهاد المسيح والحكم عليه، كذلك أيضاً في امتداد الاضطهاد على تلاميذه والمؤمنين، فهي نفس القضية، وقد أضيف إليها اقتضاح جريمتهم في سفك دم بريء. وقد صار الشهود ضدهم عشرات الألوف. أما اضطهاد الفريسيين عامة فلا يأتي إلّا من دواعٍ عقيدية، فإن لم يتوفر لهم الدافع بقيت وعن اقتناع فهم لا يتحركون. هكذا وجدنا كيف انسحبوا من محاكمة المسيح في النهاية وتركوا الميدان للصدوقيين ورؤساء الكهنة ولم يحضروا الصليب^(٨). بل وكيف دافع غمالاتيل وهو كبيرهم عن موقف التلاميذ أمام المجمع

(٧) «ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك.» (أم ٦: ١٥)

(٨) أنظر كتاب «شرح إنجيل مذهب يوحنا، لأب متى النكيني، شرح لآيه ١١ و١٢، ص ٦٩٨-٧٠١

الملثم لمحاكمتهم، وأفتى بإخلاء ساحتهم وُضع له من أجل هيئته ورجاحة حكمه.

ولكن، وبعد أن أشعل إستفانوس شرارة الهجوم على الناموس والعوائد والسبت والهيكل وموسى نفسه، وضع الفريسيين — وشاول بولس بالذات — في موضع الحركة والهجوم المضاد، إذ وُفّر له من الأسباب العقائدية ما هو كفيّل للمقاومة. وبحسب ما تنبأ به يعقوب أبو الآباء عن طبيعة ومسلك بنيامين رأس السبط وهو جذُّ بولس الأول (أنظر النبوة على رأس الفصل)، فقد تحرك «الذئب» بعد أن سُفِكَ أمامه دُم أول حمل من خراف القطيع: «أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب.» (أع ٩: ١)

لقد أقام أول عاصفة هوجاء على جميع المؤمنين — من اليهود اليونانيين المنتصرين — في أورشليم حتى بذّدهم في أنحاء البلاد المحيطة: «وحدث في ذلك اليوم (يوم استشهاد إستفانوس) اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم، فشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل.» (أع ٨: ١)

وكان هذا الإعصار العصيب الذي انتزع المؤمنين من أحضان الهيكل، وكأنه هو الخطة الإلهية لخروج الكلمة والبشارة حرّة إلى كل أقطار الأرض: + «فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة، فانحدر فيليس (زميل إستفانوس) إلى مدينة من السامرة وكان يكرز لهم بالمسيح.» (أع ٨: ٤ و٥)

وفي الحال تحركت الكنيسة الأم ترعى أول وليد لها في السامرة: + «ولما سمع الرسل الذين في أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا.» (أع ٨: ١٤)

وإن كانت الفترة الزمنية التي خصصها القديس لوقا في سفر الأعمال لسرد أخبار هذا الاضطهاد الشرس الذي اضطلع به بولس جاءت ضيقة للغاية، بل ومبتورة، فم تتعدّ بعد استشهاد إستفانوس سوى آية أو اثنتين، إلّا أنه بالرجوع لما سجّله القديس بولس عن نفسه وعن اضطهاده المريع الذي صوّره هو بحسب رؤيته، فقال عنه أنه كان «بإفراط»، ونحيباً باليونانية ὑπερβολῆς وتعني أكثر من «عنف» حيث العنف هو βολῆς و«هيبربولي» تعني «فوق — أي — أكثر من عنف».

وهذه هي تعبيرات بولس التي عبّر بها عن مساحة وعمق وطبيعة اضطهاده: + «يا رب هم يعلمون أنني كنت أحبس، وأضرب في كل مجمع الذين يؤمنون بك. وحين

شُفِكَ دَمُ إِسْتِمَانُوسَ شَهِيدِكَ كُنْتُ أَنَا وَاقِعاً وَرَاضِياً بِقَتْلِهِ وَحَافِظاً ثِيَابَ الدِّينِ قَتْلَوْهُ. (أع ٢٢: ٢٠ و ١٩)

+ «اضطهدتُ هذا الطريقَ حتى الموت، مَقْبِداً ومُسَلِّماً إلى السجون رجالاً ونساءً». (أع ٢٢: ٤)

+ «فأنا ارتأيتُ في نفسي أنه ينبغي أن أصنع أموراً كثيرةً مضادةً لاسمِ يسوع الناصري، وفعلت ذلك أيضاً في أورشليم فحبست في سجون كثيرين من القديسين، آخذاً السلطان من قِبل رؤساء الكهنة. ولما كانوا يُقتلون أَلْقَيْتُ قرعةً بذلك» (أع ٢٦: ١٠ و ١١). الأصح بدل «قرعة» نحيء «صوت» أي أعطيتُ صوتي بالموافقة!

+ «وفي كلِّ المِجامع كنتُ أعاقبهم مراراً كثيرةً، واضطَّرتُّهم إلى التجديف. وإذا أفرط حنفي عليهم، كنتُ أطردهم إلى المدن التي في الخارج». (أع ٢٦: ١١)

+ «أنا الذي كنتُ قبلاً مَجْدُفاً، ومضطهداً، ومفترياً». (١ تي ١: ١٣)

+ «كنتُ أضطهد كنيسة الله بإفراط، وأتلفها». (عل ١: ١٣)

عشرة بولس في المسيح التي دفعته لاضطهاد الاسم:

يكشف لنا بولس الرسول عن العشرة التي اضطدم بها، والتي جعلته يقاوم المسيح ويحدِّف عليه، وبالتالي يضطهد الكنيسة بجنون وبلا رحمة، أو بحسب تعريفه: «حتى الموت». فقد قال عن هذه الفترة هكذا: «نحس نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عشرة، وديونانيين جهالة» (١ كو ١: ٢٣). فهو يرى أن اليهود إنما فقدوا فرصة الإيمان بالمسيح بسبب هذه العشرة: «أعلمهم عشروا لكي يسقطوا» (رو ١١: ١١). وهنا يفرِّق بولس الرسول بين العشرة والسقوط، بمعنى أن اليهود عشروا في المسيح، ولكن لم يسقطوا من رحمته بهائياً مثلما صنع المسيح فيه هو، أي في بولس.

كذلك يرى أن المسيح صار لليهود «حجر صدمة وصخرة عشرة» (ولكن) كل من يؤمن به لا يخزي» (رو ٩: ٣٣). وقد أوضح نوع هذه العشرة التي شخَّصها الناموس، ولكنهم أخطأوا فهمها: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار "لعنة" لأحنا لأنه مكتوب ملعون كل من غلَّق على خشبة» (غل ٣: ١٣). هنا يكشف لنا بولس الرسول كيف صار صليب المسيح هو محور العشرة عنده، إذ ترجمه على حياة المسيح وموته أنه مجرد إنسان أفرزه الناموس وصلبه وحكم عليه باللعنة. ولا يهم بعد ذلك إن كان الذين حكموا عليه كانوا خادعين أو محدوعين، فطالما رضي الله أن يتم فيه حكم الناموس باللعنة فقد صار مفزوقاً وملعوباً، فإن كان هؤلاء المسيحيون — أصحاب «الطريق» — ينادون به رباً ومسيحاً فهم مجتذفون على الله وعلى الناموس ويحلُّ دمه، وتصح فيهم كل عقوبة رادعة لإخراستهم أو لردِّهم للصواب. أما صورة المسيا التي يؤمن بها بولس ويتربها

كعلامة مهية ما جاء عنه: «ويحلُّ عليه روح الرب» (إش ١١: ٢)؛ وليس اللعنة، لذلك صارت كل حجج أهل الطريق ودفاعهم مرفوضة.

ولكن واضح أن بولس لم يجرؤ أن يبدأ الاضطهاد إلا بعد أن افتتح له رؤساء الكهنة — وبإجماع أصوات المجمع — الباب للاضطهاد وقتل قانوباً.

ولكن يُلاحظ الذي يتتبع أعمال بولس اجنونية وإفراط حنقه الزائد عن الحد، أن الشيطان كان يستخدمه ضد المسيح بصورة مكشوفة لم تُقْت عليه، بل أحسها بعد ذلك واعترف بقوله ناصحاً: «لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا (الآن) لا نجهل أفكاره» (٢ كو ٢: ١١). ومعللاً أن أعظم وصف لبولس، لقتال هو أنه كان قد طمع فيه الشيطان واستغفنه وسلمه عقله وسلطانه!

بولس يحصل على خطابات توصية من رئيس الكهنة
لمزيد من الاضطهاد خارج أورشليم:

وحينما أحس بولس أن جميع المؤمنين قرأوا خارج أورشليم، صمَّ أن يتعبَّهم: «تقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق، إلى الجماعات، حتى إذا وحد أناساً «من الطريق» رجالاً أو نساءً، يسوقهم موثقين إلى أورشليم.» (أع ٩: ٢٥)

نحن نعلم أن معظم المؤمنين بعد موت الشهيد إستفانوس خرجوا من أورشليم وانتشروا في البلاد المحيطة حتى لبنان وقبرص:

+ «أما لذين تشتتوا من حرء الضيق الذي حصل بسبب إستفانوس فاجتازوا إلى فينيقية (لبنان الآن)، وقبرص (أجيرية)، وأنطاكية (عاصمة سوريا)، وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط» (أع ١١: ١٩). وهكذا وصع بولس الخطة أن يتعبهم في المدن التي طردهم إليها: «وإذ أفرط حنقي عليهم، كنت أطردهم إلى المدن التي في الخارج.» (أع ١١: ٢٦)

وهكذا كانت رحلة بولس إلى دمشق! ولم يكن في تاريخ الكنيسة ما يضارع هذه الرحلة في أثرها الممتد عبر الدهور كلها! خرج بولس من أورشليم ميقماً شطر دمشق، محملاً بخطابات توصية لدوي الحثية، إن في مجامع دمشق الكثيرة أو لدى أصحاب النفوذ في إدارة شؤون الدولة على قدر ما ملككت أيدي حنان وقيافاً^(١) وزمرتهم من نفوذ، لكي يُسمح شاول سطات فائقة يستطيع بها أن يصنع بالمسيحيين كل ما اشتتهت نفسه، والقصد أن يطفىء النيران المشتعلة في قلوب أتباع يسوع،

(١) قباء مات سنة ٥٦ م.

ولم يَذَرِ هو أنها ستلتهمه، والذنب الذي اصطدم بالراعي الصالح سيحوّله إلى غنمة. أما رؤساء الكهنة الذين ظنهم بولس سنداً له وعضداً، فدارت الأيام ووقع تحت جلداتهم التسعة والثلاثين إلى ثلاث مرات، حتى تهرأ ظهره وحل سمات الرب!!

ولا نعرف هل كان في رحلته هذه راكباً أم مترجلاً، ولكن الذي نعرفه أنه كان يرافقه نفر من القوم، ربما من خَدم المجمع، بسيوف وعصي!!

اقترب بولس من دمشق المدينة ذات الألفي عام قبل الميلاد؛ فهي أقدم مدينة في العالم، قائمة مزدهرة بنفس شكلها وموقعها حتى الآن^(١٠). وقد تضاربت الأقوال في المسافة التي كان بلغها بولس مقترباً من المدينة، فمن قائل أنها اثنا عشر ميلاً إلى من قال أنها ستة أميال، إلى من يقول أنها ميلان اثنان. وأخيراً مَنْ يؤكد أنه كان على مسافة نصف ميل فقط، وهذا القول الأخير يعتمد على أقدم الحجج، وحجتهم في ذلك أن بولس وقد انعمت بصيرته، ما كان يمكن أن يسير أكثر من هذا وهم يقتادونه ممسكين بيديه، ولعل هذا أيضاً يتناسب مع رحمة الذي دعاه.

ويؤكد العالم المؤرخ ستانلي أن دخوله دمشق كان من الباب الشرقي وليس الجنوبي^(١١).

(١٠) هي أقدم من زمن إبراهيم. هادام إبراهيم عارر كان من دمشق (تك ١٥: ٢). ويُقال، عن شكبير، أن في هذا المكان قتل قابيل أخاه هابيل. عن: Conybeare, op. cit., p. 71 n. 1,2.

(١١) Ibid., p. 73.

الفصل الثالث

حادث دمشق

ظهور المسيح لبولس ودعوته للخدمة

- + «وسيف ماضٍ ذو حدين يخرج من فمه ووجهه كالشمس وهي تضيء في قوتها.» (رؤ: ١٦: ١٦)
- + «إله آتانا انتخيك ... وتبصر البار وتسمع صوتاً من فمه.» (أع: ٢٢: ١٤)
- + «أما رأيت يسوع المسيح ربنا؟» (١ كو: ٩: ١)
- + «ظهر لي أنا!!!» (١ كو: ١٥: ٨)
- + «أشرق في قلوبنا لإبارة معرقة مجد الله في وجه يسوع المسيح.» (٢ كو: ٤: ٦)

إن تسجيل رواية ظهور الرب لشاول، جاءت في سفر الأعمال على ثلاث مرات، مرة من قِبل القديس لوقا ومرتين على فم بولس الرسول نفسه. فالمساحة التي حثَّتها هذه الرواية لا يفوق اتساعها بين صفحات الإنجيل إلا رواية صلب المسيح. وهذا يوحي إيماناً بمقدار اهتمام الوحي الإلهي بالدور الذي قام به بولس الرسول في الإشارة بإبجيل الفداء، كما يبرر لنا استعمال قيامة المسيح من السماء بعد ثلاث سنوات من قيامته. حيث يظهر الرب شخصياً كمدنر لكنيسة، منفذاً لها وممارساً لعمله الأول في انتخاب رؤسائه.

كأن يوماً مشهوداً، السماء صحو، ولوقت ظهيرة، والشمس في قِبط الصيف في أشد لمعانها، والرحلة من أورشليم سلب نهايتها إلا قليلاً، فقد تركوا شواطئ بحيرة طبرية بحوها اللطيف وخصرتها لدكنة، ودخلوا في مرتفعات الجليل — الأعلى — «الجولان» بطرقها الصحيرية وصحرائها القاحلة. فكان الحدث الذي ارتبجت له حياة بولس وحسب وصفه:

- + «رأيت في نصف النهار في الطريق، أيها الملك، نوراً من السماء أفضل من لمعان الشمس، قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي. فلما سقطنا جميعنا على الأرض سمعت صوتاً يكمنني

ويقول باللغة العبرانية: شاول شاول لماذا تضطهمني (وتُنطق باللغة العبرانية هكذا: Saul saul ma'att radeppinni) صعب عليك أن ترفض متاخس. فقلت أنا: مَنْ أنت يا سيد؟ فقال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. ولكن قُمْ وقف على رجلك، لأنني لهذا ظهرت لك لأنتخبك حادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به، منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلت إليهم، لتفتح عيونهم، كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيياً مع المقدسين. «(أع: ٢٦: ١٣-١٨)

+ «فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرب إلى دمشق، أنه نحو نصف النهار بغتة، أ برق حولي من السماء نور عظيم، فسقطت على الأرض، وسمعت صوتاً قائلاً لي شاول شاول لماذا تضطهمني. فأجبت: مَنْ أنت يا سيد؟ فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني. فقلت ماذا أفعل يا رب؟ فقال لي الرب: قُمْ، واذهب إلى دمشق وهناك يُقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل. وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور، اقتادني بيدي الذين كانوا معي فبحث إلى دمشق. «(أع: ٢٢: ٦-١١)

وبحسب وصف القديس لوقا المختصر:

+ «وفي دهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق، فبغتة أ برق حوله نور من السماء فسقط على الأرض، وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول لماذا تضطهمني؟ فقال: مَنْ أنت يا سيد. فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفض مناخس. فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قُمْ وادخل المدينة فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل... فنهض شاول عن الأرض، وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحداً. فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق، وكان ثلاثة أيام لا يبصر، فلم يأكل ولم يشرب. «(أع: ٩: ٣-٩)

وفي نفس الوقت ظهر الرب يسوع في رؤيا لحنايا وهو من التلاميذ: «فقال له الرب قُمْ واذهب إلى الزقاق الذي يُقال له المستقيم، واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول لأنه هوذا يصلي... لأن هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل. لأنني سأريه كم

(١) معروف أنه في اكتشاف الحقائق السماوية، لا يمكن أن يرى كل واحد ما يراه الآخر أو يسمع ما يسمعه الآخر، لأن الاسمعان بأسرؤيه يعتمد أساساً على مقدار وعي وحى لإيمان الروحي، حيث لا يتساوى الشان في الممارك الروحية، ولا يتفق الشان على معنى واحد، لذلك نجد في وصف هذا الاختيار تعدد الشهادات من حيث الرؤيا والسمع ولإدراك (أع: ١٧: ٢٢: ٩).



«فَمَ، واذهب إلى الزقاق الذي يُقال له المستقيم،
واطلب... رجلاً طرسوسياً اسمه شاول.» (أع ٩: ١١)
بينما هو لا يبصر أحداً، اقتاد بولس رفقاؤه إلى داخل دمشق، إلى
زقاق المستقيم. وهذه هي بوابة دمشق القديمة التي تؤدي إلى زقاق
المستقيم.

(أنظر صفحة ٧٢)



سحت من الفن المسيحي من القرن الرابع ، ويمثل المسيح صاعداً بين ملاكين وهو يترك كتاباً للتلاميذ ، بينما القديس بطرس عن اليمين والقديس بولس عن اليسار ، أما الرجل في أسفل الصورة الممسك سنراً فيمثل العالم ، وفوقه السماء . رمزاً إلى سيادة المسيح على الكل (راجع عب ٢ : ٨ ، ١ كو ١٥ : ٢٥ - ٢٧) . أما الأعمدة فتمثل الهيكل ، وهي رمز للسماء موضع سكنى الله (عب ٩ : ٢٤) .

ينبغي أن يتألم من أجل اسمي.» (أع ١١: ١٥ و ١٦)

هنا نود أن نلفت نظر القارئ إلى أن كافة الشراح في الغرب ظنوا أن صوت الرب كان يسمعه بولس في داخله وحسب، ومنهم من يعتقد أن المسألة لا تخرج عن انفعال نفسي أو ربما مرض عصبي — كذا — ولكن هذه المناهات توضح عدم المعرفة بدرجات الاستعلان وأصوله واستعداداته، فاستعلان صوت الله يأتي بدرجات متفاوتة جداً.

منها ما يكون أشد من البوق وأرعب منه حتى إن سامعه لا يقوى على سماعه ويستعصي: «وهتاف بوق وصوت كلمات استعفى الذين سمعوه أن تزداد لهم كلمة.» (عب ١٢: ١٩)

ومنها ما يأتي خفيفاً هيناً ليناً: «... وبعد النار صوت منخفض خفيف، فلما سمع إيليا لفت وجهه بردائه وخرج ووقف في باب المغارة، وإذا بصوت إليه يقول ما لك ههنا يا إيليا؟» (١ مل ١٩: ١٢ و ١٣)

ومنها ما يأتي والإنسان يصلي كما سمعه بولس نفسه وعبر عنه وكأنه كان في عيبة إلى لحظة: «... وكنت أصلي في الهيكل، أني حصلت في غيبة، فرأيت قائلاً لي: أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم، لأنهم لا يقبلون شهادتك عني.» (أع ٢٢: ١٧ و ١٨)

ومنها ما يأتي في الرؤيا والإنسان شبه نائم يرى ويسمع ويتكلم: «فقال الرب لبولس برؤيا في الليل: لا تخف؛ بل تكلم ولا تسكت، لأنني أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك لأن لي شعباً كثيراً في هذه المدينة.» (أع ١٨: ١٠ و ١١)

ويلاحظ القارئ أن القديس بولس اختبر درجات الاستعلان جميعاً، فحينما يقول إنه رأى الرب وسمع صوته في وسط النهار وهو سائر على قدميه، ومن الرعدة سقط على الأرض، وسأل الرب والرب رد عليه، بعد كل هذا لا يصح ولا يجوز لأي شارح أن يكذب بخبرة مثل هذه، لم يذقْ هو منها شيئاً بالمرّة.

ولو لم تكن رؤية بولس للرب رؤية عينية متكاملة وواعية، والحواس متيقظة مع الروح معاً، ما قال بعد ذلك: «ألسْتُ أنا رسولاً. ألسْتُ أنا حراً، أما رأيتُ يسوع المسيح ربنا.» (١ كو ٩: ١)؛ ومرة أخرى حينما أخذ يعدد ظهور الرب حياً بالجسد بعد القيامة لبطرس الرسول ويعقوب: «وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لي أنا.» (١ كو ١٥: ٨)

ثم يجيء لنا شاهد على أعلى مستوى يشهد للرؤيا التي رآها بولس، ويشهد لما سمع، ويكرره

هو كما سمعه أيضاً من المسيح الذي كلمه: «مضى حنانيا (٢) ودخل البيت ووضع عليه يديه، وقال: أيها الأخ شاول، قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه، لكي تبصر وتقتل من الروح القدس.» (أع: ٩: ١٧)

وشاهد آخر يأتي من على بعد وله شهادة أيضاً: «فأخذ برنابا وأحصره إلى الرسل وحديثهم كيف أبصر الرب في الطريق، وأنه كلمه، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع.» (أع: ٩: ٢٧)

ويعمود بولس يسرد لنا ما قاله له حنانيا بأكثر تدقيق: «ثم إن حنانيا رجلاً نقياً حسب الناموس ومشهوداً له من جميع اليهود السكان (في دمشق)، أتى إليّ ووقف، وقال لي: أيها الأخ شاول أبصر. ففي تلك الساعة نظرتُ إليه. فقال: إله آبائنا انتحبك لتعلم مشيئته، وتبصر البار، ونسمع صوتاً من فمه، لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس بما رأيت وسمعت. والآن لماذا تتوانى؟ فم واعتمد، واغسل خطاياك، داعياً باسم الرب.» (أع: ٢٢: ١٢-١٦)

ونحن إذ نُعيد ونزيد فيما قاله ورآه وفيما سمعه وشهد له، فما ذلك إلا لأن هذه الرؤية بكل ظروفها الدقيقة للغاية صارت بالنسبة لبولس مصدر إشعاع لاهوتي لا حدود له، ومحور تحول هائل في حياته ومفهوماته ومعتقداته. وسوف نسمع كيف صاغ بولس من كلمات هذه الرؤية وظائفه ومسئوليته إزاء مَنْ كانوا يتحدّون رسالته ورسوليته.

- + «بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح والله الآب...» (غل: ١: ١)
- + «بولس عبد ليسوع المسيح، المدعوّ رسولاً المفرز لإنجيل الله...» (رو: ١: ١)
- + «بولس رسول يسوع المسيح بحسب أمر الله مخلصنا وربنا يسوع المسيح رجائنا.» (١ تي: ١: ١)

وكم مرّة انتعشت روحه فأخذ يزهو بدعوته لكرارة الأمم؛ بل ولتسمع السماء أيضاً لا عن افتخار جسدي بل باعتداد ووثوق بالصوت الذي دعاه وتبناؤه وقوّاه: «لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة، أن أبشّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأبشّر الجميع في ما هو سرُّ شركة السر المكتوم منذ الدهور، في الله خالق الجميع (يسوع المسيح)؛ لكي يُعرَف الآن عند

(٢) يقول التقليد أن حبيب كاد أحد السبعين رسولاً، وقد صار أسقفاً على دمشق، وأنهى خدمته ماشهادة عن يدي يوسابيوس اهاكم Lucianus. ولو أن القديس يوحنا ذهبي الفم يعتقد أنه لم يكن من مقامي الرسل السبعين، ولكن أن يختاره الله ليُعمّد رسولاً وهو بولس، هي تلك الكدابة كشهادة لعلّوا شأنه لدى الله. عن: Conybeare, op. cit., p. 78 n. 2,3.

الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا. » (أف ٣: ٨-١١)

وهكذا أخيراً دخل بولس دمشق مقبلاً من يديه، أعمى لا يبصر!! هذا الذي جاء ليقبّد حرية أولاد الله ويسلمهم بقيود، وعوض أن يقتحم بيوتهم كذذب يتلصص ليسبي رجالاً ونساء، دخل منحني الرأس في الزقاق الذي يُدعى «المستقيم» عند رحل مسيحي يُدعى يهوذا يلتمس رحمة!!

ولثلاثة أيام جلس بولس وحيداً في بيت يهوذا يتفكر فيما سمعه وفيما رآه، يحرث في ظلام وحدته شريط أحداث الماضي الطويل والطويل جداً، فأعمال الماضي وماطر الأمس لقريب بدأت تلاحقه، وبالأخص وجه إستفانوس؛ فلم يكف عن الصلاة، وكان لكل صلاة يصليها استجابة منذ ذلك اليوم.

وبعد ثلاثة أيام رأى رجلاً اسمه حنانيا قادماً إليه، وواضعاً عليه يديه وقال له أبصر! «وقد رأى في رؤيا رجلاً اسمه حنانيا دحلاً وواضعاً يده عليه لكي يبصر.» (أع ٩: ١٢)

وبالفعل (٣)، أوصى الله حنانيا في رؤيا أيضاً أن يمضي إليه: «فمضى حنانيا ودخل البيت، ووضع عليه يديه، وقال: أيها الأخ شاول، قد أرسلني الرب يسوع الذي طهر لك في الطريق الذي جئت فيه، لكي تبصر وتقتل من الروح القدس. فلوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور، فأبصر في الحال، وقام، واعتمد، وتناول طعاماً ففتق.» (أع ٩: ١٧-١٩)

نظر حوله فوجد الكل مرتاباً ووحلاً، ودخل شاول فترة من أعصب فترات حياته، فما كان يظن أبداً أن يأتي اليوم الذي يفق فيه موقف المبود! فلا المسيحيون جرأوا أن يعتبروا إليه. ولا اليهود رضوا أن يقترب منهم. أما المسيحيون، فمناظر وعلامات التعذيب كانت لا تترأى على أجسادهم، وأخبار الذين طرّحهم في السجون كلها ليست قصص الأمس البعيد؛ بل قصة اليوم، ولا تزال جروحهم عليهم: «ولما جاء شاول إلى أورشليم، حاول أن ينصق بالتلاميذ، وكان الجميع يخافونه غير مصدّقين أنه تلميذ» (أع ٩: ٢٦). ولما اليهود، فلما سمعوا شهادته بالمسيح هزعوا، وأخذتهم الحيرة والدهشة: «فبُهِت جميع الذين كانوا يسمعون وقالوا: أليس هذا هو الذي

(٣) ظهور اسرؤلية، نفس الرؤية، لاثني معاً بما سيحدث، كان هذا في الكنيسة لأول أحد عناصر سدرة الإلهي - كد احتفال السامية فيما يخص دعوى الأمم، تُطَرّ رؤيا بطرس وكريستوس لمشاركة بينهما (أع ١٠) وكلا لروبين إلهي - كد، سواء لكريستوس أو لبولس، ولكن عماد بولس كان مثله تكريس حرب معمودة كل كنائس الأمم في كل لعام من بولس حتى اليوم!

أهلك في أورشليم الذين يَدْعُونَ بهذا الاسم؟؟ وقد جاء إلى هنا (وهم على علم بذلك) لهذا، ليسوقهم موثقيّن إلى رؤساء الكهنة؟ وأما شاول، فكان يزداد قوة ويَجِيرُ اليهود الساكنين في دمشق، عَقَقاً أن هذا هو المسيح.» (أع ٩: ٢١ و٢٢)

«وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله» (أع ٢٠: ٩). لأنه لم يكن معانداً للرؤيا: «من ثم، أيها الملك أعرياس، لم أكن معانداً للرؤيا السماوية؛ بل أجبرت أولاً الذين في دمشق وفي أورشليم حتى جميع كورة اليهودية ثم الأمم أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله، عاملين أعمالاً تليق بالتوبة.» (أع ٢٦: ١٩ و٢٠)

ثلاث سنوات في العربية:

لم تكن حياة بولس كلها في خطر حميعي مُخْدِق به من كل الجوانب، كما كانت في هذه الأيام الأولى من اقتتاله المسيحية والمادة بالمسيح ابن الله، في مجامع اليهود!

يقول القديس بولس إنه انطلق إلى العربية — مملكة الباطنيين^(٤) — لكي يتوارى قليلاً عن أعين المتربّصين به. ولكن دهابه إلى العربية كان أساساً لإعادة بناء إيمانه.

«والعربية» هي المنطقة المتاخمة للبحر الميت من شرق حيث قر موسى، وتنتهي عند خليج العقبة. ومن مدنها الهامة بوسترا. وعاصمة تلك البلاد هي يثرا، وهي غالباً البلدة الذي استقر فيها، وليس من المعقول أنه لم يكرز هناك بالمسيح وسط العرب الفاطنيين في هذه الأماكن، لأنا نسمع عن يثرا أنها كانت مركز أسقفية في أوائل القرن الثالث، وأن العلامة أوريجانوس أوقف من قبل ديمتريوس بابا الإسكندرية لتصحيح تعاليم أسقفها المدعو بريثلوس وقد نجح في مهمته.

والعداء الذي نشأ بين «الحارث» والي دمشق، وهو نفسه ملك نثرا، وبين بولس حتى إنه أمر بحراسة أبواب دمشق للقبض عليه — غالباً بعد رجوعه من العربية — بكشف عن خلطه خدمة بولس في بلاده.

فحسب طمناً، أن رؤساء الكهنة تحركوا على عجل عند عودة بولس من العربية إلى دمشق، وأرسلوا قوة متخفية من الرجال الخطيرين ذوي الحيلة في الخطف، «انطلقت إلى دمشق، وبرسائل توصية إلى والي العربي الموالي لليهود وهو المدعو «الحارث» Aretas^(٥)، أحكموا الالتفاف حول

(٤) منكمها هو (أريثاس) الحارث الرابع (٩ ق.م. — ٤٠ ق.م.).
(٥) وهو الحارث الرابع ومات من سنة ٩ ق.م. — ٤٠ ق.م.

المدينة، واستدأوا يحرسون أبواب المدينة للقبض على بولس، الذي اعتُبر لديهم أخطر مرتدّ ظهر بين اليهود، ولكن خدمه بولس كانت قد أخرجت من اليهود أنفسهم غنصين ومساءً للمسح، فأمرعوا وعملوا كل الاحتياطات العاجلة. وإذ وجدوا أحد المؤمنين وكان منزله ملاصقاً للسور، وفي أعلاه طاقة تطل على الخارج، أسرعوا وأرلوا بولس بحبال وبالك نجاة من مكيدة اليهود والحارث معاً: «ولما تمت أيام كثيرة تشاور يهود ليعتلووه، فعلم شاوون عمكيدتهم، وكانوا يراهبون الأبواب أيضاً بهاراً وليلاً يقتلوه. فأحده التلاميذ ليلاً، وأرلوه من السور مُدْثِلِينَ إِيَّاهُ فِي سَلٍّ» (ع' ٩: ٢٣-٢٥) أما بولس فيحكى هذا الحادث هكذا:

«في دمشق، والي الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يسكني، فتدليت من طاقة، في رسل، من لسور، وبجوت من يديه.» (٢ كو ١١: ٣٢-٣٣)

وواضح من هاتين الروايتين أن اليهود استعانوا بالحارث، وكلُّ منهما كان له معه صغيته.

التغير الكبير في حياة بولس:

بعد أن أفاق بولس من لصدمة، وبها من صدمة مباركه!! استمر ثلاث سنوات لا نعلم عنه شيئاً بالمرة، «ولكن لما سَرَ لله، الذي أفرسي من بطر أمي، ودعاني بعصه، أن تطل اسمه في لأبشربه بين الأمم، للوقت سم استبشراً حملاً ودعماً، ولا صعدتُ إلى أورشليم إلى لرسول الدين علي، بل انطلقتُ إلى لعربية، ثم رجعتُ أيضاً إلى دمشق» (غل ١: ١٥-١٧). لقد كانت فترة مراعاة وتوبه ودراسة على يد الروح القدس، وانصاح وغي الإيمان على أعلى وأعنى إمكاناته.

ومن أحاديث لرسول بولس ونعاليمه، يمكن أن نستنتج خطوط التعبير التي حدثت في أفكاره ومبادئه وعقيدته.

«شاوون شاوون لماذا تضطهذي ... أنا يسوع الذي أنت تضطهذه»! (ع' ٩: ٤ و٥)

بمجرد أن سمع بولس هذا، وتحقق من أن الذي يحدثه من السماء بوجهه الأكثر لعناً من الشمس في الظهيرة هو يسوع الناصري، الذي اضطهده هو وأولاده وعذبهم حتى الموت، ارتدت نفسه فيه، وعلقت عليه أفكاره، بل ومادت لديها من تحت رحليه فماداً بقي له؟ إذا كان يسوع المصلوب هو الذي يكمنني بنفسه من السماء بوجهه اللامع الإلهي ودون أن يوجد أي شك في ذلك. إذاً، فقد سطت لعنة الصليب!! لقد أبطلها المسيح. إذاً، فهو حقاً وبالحقيقة المسيا الموعود. لقد تقبل اللعنة من الله لما عُلق على الصليب، وبقيامته من الموت أبطلها! إذاً، فهو تقبّلها لا لأنه كان مستحقاً لها وإلا ما كان يستطيع أن يقوم من الموت؛ ولكن لأنه قام وارتفع إلى السموات، فقد رفعها ليس عن نفسه قط، بل عن كل الذين تحت الناموس!! بل ورفعها نهائياً عن الناموس، فلم

يُعَدُّ الناموس قادراً أن يحكم بعد ضد كلٍّ من يكسر الناموس؛ إذًا، لقد أبطل الناموس!!!

إن بولس، كصيربي، كان قد درس في العلوم الأخروية عند الرابين^(٦) أن يحمي المسيء
ستظل صلاحية الناموس. لهذا كان بنوعه هذه النتيجة هو تطبيق الواقع أمام عينه على ما تعلمه،
فأيقن أنه بالمسيح صارت نهاية الناموس فعلاً. لذلك، وبالتالي، وعس ضرورة مطلقة، أصبح كلُّ
من يحاول أن يصرص الناموس على كل من يؤمن بالمسيح إرضاءً للناموس، فهو يكون قد جحد
المسيح!! هذا كان قلب الإيمان النابض عند بولس الرسول منذ أن رأى وجه الرب يسوع المسيح من
السماء وهو يدعو.

إن كل أعمال التعذيب والعقوبات التي أقصت إلى موت الكثير من أتباع المسيح، ظهرت الآن
أنها ضلالة وجهالة، تلك التي كرّس لها بولس حياته وظلّها قمة الشهادة للرب الذي له بالناموس!
فإذا بها أعمال تستوجب غضب الله وتستحق الدينونة بلا رحمة!! فماذا بقي له من أعمال الناموس
ليستند عليها وقد آلت كلها ضد الحق والله؟

حينما قال له المسيح: «لماذا تضطهذي؟»، أدرك بولس أن آلام المؤمنين باسمه حينما كانوا
يشنون من يُقِلُّ التعذيب، قد سرّت في جسد المسيح وهو في السماء، فارتاع بولس وأحسّ وكأنه
كان يعدّب المسيح؛ وامتد بروحه، فأدرك أن أحباء المسيح على الأرض هم حقيقة من لحمه
وعظامه، وكان هذا السرُّ ينطق بل يصرخ بحقيقته في أعماقه، فكان يريد رعباً، لأنه كاد بلمسه
لمساء، فهو الآن شريك في استعلان المؤمنين كجسم المسيح وعظامه. فالذين ضربهم ليس هم الذين
صرخوا، بل الذي صرخ هو المسيح!!! وبولس هو الوحيد الذي سمع!!!

امتد بولس بروحه، فأدرك سرَّ الوحدة والائتحام هذا القائم بين المؤمنين والمسيح بهذه القوة
والواقعية الحية، فاحتبرها وعاشها، ومجدها، وشهد بها:

- + «فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ.» (غل ٢: ٢٠)
- + «بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فيبي معلّم.» (مت ٢٥: ٤٠)
- + «من يقبلكم يُقبلني.» (مت ١٠: ٤٠)
- + «والذي يُرذلكم يُرذلي.» (لو ١٠: ١٦)

فحينما تكلم المسيح عن الذين كان يعدّبهم بولس، وكأنه هو لسان حالهم، أدرك بولس أن

المسيح هو رأس المؤمنين الذين هم جسده الصامت، يتوجع بوجعهم ويعبر هو عن شكواهم، يحمل أحزانهم ويقتسم ضيقاتهم: «في كل صيفهم تضايق» (إش ٦٣: ٩). فأدرك بولس حقيقة الجسد السري؛ فإن كان المسيح قد اشترك في جسدنا، فلنكي بعطينا الفرصة أن نشترك في جسده. وأدرك بولس على مستوى الواقع واليقين قول المسيح: «أنتم فيّ وأما فيكم» (يو ١٤: ٢٠). وظلّ يردد طول حياته قولته المشهورة: «في المسيح» ἐν Χριστῷ، «أستطيع كل شيء في المسح الذي هو يسي» (في ١٣: ٤)، لأنه لا يكون بولس هو الذي سيعمل وحده بل «الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا.» (في ١٣: ٢)

«صَغَبْتُ عَلَيْكَ أَنْ تَرْفُسَ قَتَاخِصَ (بالجمع) (٧)» (أع ٩: ٥):

كان قول الرب هذا إشارة واضحة إلى أن الرب قبل أن يدهمه على طريق دمشق لبيع ختاماً لمأساة الكنيسة والمؤمنين، كان قد دامه كثيراً في الضمير عندما كان يُمنع في تعذيب الأرباب وإيذاء نفوسهم رجالاً ونساءً ضعيفات. ولكن بولس كان يتجاوز النخسة تلو النخسة بعناد جاهل: «أنا الذي كنت قبلاً مجذفاً ومضطهداً ومفترياً، ولكنني رُحمتُ، لأنني فعلتُ بجهل في عدم إيمان.» (١ تي ١: ١٣)

وكان يرادف النحس سؤال ضمير صارخ مكتوم: ألا يمكن أن يكون يسوع الناصري هذا هو المسيح؟ كان قلبه يلتهب إلى لحظة، ثم يعود إلى تجلده. كان الرب يريد عليه النحس، ولكن عبثاً، فلم يرتدع. فكان يغطي على صراح ضميره بزيد من العنف. كان وحده إسماعانوس الملائكي وهو يصلي صلاته الأخيرة غافراً لخطية قاتليه هو أشدّ المناحس التي لاحقب ضميره وعذابه، لأن صلاة البار تُقَدَّر كثيراً في قفله (يع ٥: ١٦)، ألم يُضَلَّ إسماعانوس من أحل شاول، هذا الذي كان راضياً بقتله، فأين يغرّ بولس من حصار هذه الصلاة؟ يقول القديس أغسطينوس: [إن الكيسة في ربحها لبولس قدينة لصلاة إسماعانوس] (٨).

إن العداوة الحرة التي كانت تتمصر قلب بولس وهو يتعقب المؤمنين بلا رحمة، كان بفالمها منهم صفحٌ ودعاءٌ وعبءٌ خالصةٌ من قلب طاهر شده، فكانت هذه كلها تروّج روح بولس وتثير فيه الشكوك. فكانت أقوى المناحس المسئلة. وهل يمكن أن تكون هذه النفوس القديسة الوديدة تلاميذ إنسان مُضَلَّ؟ وحينما كان يخلو إلى فراشه كانت اعترافاتهم عن محبة المسيح ولطفه كسهام نارية

(٧) يحمل رعاة البقر قضيباً من حديد ذا من مدب ينخسونه به البقر المتواشي في السير، ومن عادة البقر أن يرفس أي شيء يقترب من جسمه، فعندما ينخسه الراعي بالمناخس يرفس البقر المناحس فيصرح من شدة الألم فيسرع في سيره.
(٨) انظر صفحة ٦٥.

مصنوبة نحوه تمذّب ضعيفه: ألا ربما يكون هو المسيح؟

وعندما أكمل المسيح كل المناخس اللارمة لضعضعة عناده وعتوّه وهو سائر على طريق دمشق، كان وكأنه على ميعاد مع صاحب هذه المناخس! وانفتح عليه المسيح:

مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟

أنا هو صاحب المناخيس!

فأدرك بولس في الحان أنه هو هو المسيح! لقد كان له في قلبه ألف شهادة وشهادة، صحيح أنه استطاع أن يطمسها طويلاً وبعناد، ولكن لم يستطع أن يطمسها إلى النهاية، وها قد جاء الميعاد.

والآن، وقد أناه بنفسه وبوجهه المضيء من السماء، وسمع صوته، فأنهى على كل الشكوك، فحدثت كلماته الحية أذنيه وقلبه فأخبتهما من موت، ونبع بها اليمين: هو الرب: «أما رأيت يسوع المسيح رَبَّنَا.» (١ كور ١٥: ١)

وهكذا جلس بولس يراجع توراتّه: هذا هو المسيح!! الذي انظرته كل الأجيال السالفة، ويا لطف الله ورحمته! كيف يظهر لي أنا الذي اضطهدته وألغيت كنيسته بإفراط، واقتربت وجذفت بلا حساب!!!

هذا هو المسيح بصليبه الذي تحوّل له إلى مجد؛ فحول لنا إلى خلاص وفداء. كان عشرة حياتي؛ والآن قد صار مصدر قوتي وخلاصي. لقد جذفت عليه في جهلي والآن: «حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح» (عل ١٤: ٦). لقد احتسبته صليب اللعنة والحزني به وللمؤمنين؛ وكنت لا أطيع سماع حتى اسمه؛ أما الآن «لم أعرف أن أعرف شيئاً بيسكم إلا بيسوع المسيح وإياه مصلوباً.» (١ كور ٢: ٢)

وكلمة «الصليب» التي كانت قمة الجهالة عند بولس، وتشر في قلبه مزداً من العداوة والاحتقار له ولكل المؤمنين به؛ تحوّلت له وفيه إلى مصدر قوة للخلاص: «هنا كنمه الصليب عند المالكين جهالة؛ وأما عندنا نحن المخلصين فهي قوة الله.» (١ كور ١٨: ١)

استعلان المسيح لبولس من السماء حياً، ممجّداً، مُدبّراً لكنيسته، متكديماً، داعياً بولس لخدمته، جعلته يقرن بسهولة، وبواقعية حيّة، بين موت المسيح وقيامته: «أنا هو الأول والآخِر، والحي وكنت ميتاً وها أنا حي إلى أبد الأبد.» (رؤ ١: ١٧ و١٨)

إن ظهور المسيح، أول ظهور لشاول وهو قائم من الموت في حياة ومجد لا يزول، جعلت القيامة



نحت من القرن الرابع ، يمثل صورة رمزية للمسيح الملك يسلم الإنجيل
إلى الرسولين القديسين بطرس وبولس ، هذا لأهل الختان وذلك
للأمم .

وتحت قدميه العالم مرموزاً إليه بإنسان يحمل سترأ يمثل تجدد
السماء .



«مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقيم
أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من
الأموات.» (كو٢: ١٢)
حزن معموديه على هيئة صليب في إحدى
الكنائس القديمة بآسيا الصغرى



الأسوار القديمة لمدينة دمشق المعاصرة فوق الأسوار الأثرية الأكثر قدمًا
في القرن الأول المسيحي كانت دمشق مدينة تتمتع بالحكم الذاتي
داخل الإمبراطورية الرومانية، ولكن لأن يهود أورشليم استطاعوا أن
يسألوا لأنفسهم فيها بعض الحقوق على نافي السعب اليهودي، فقد
كان بحق لهم القبض عليهم واقتيادهم للمحاكمة، كما صنع شاول
بالمسيحين قبل تجديده (أع ٩: ١-٣)

وفي روم السليم كاتب نترك بعض المنازل التي تخالف النظام وتبنى
فوق السور (مثل الذي يظهر في الصورة)، وقد تمكن بولس الرسول من
الهرب عن طريق أحد هذه المنازل (أع ٩: ٢٥).

(أنظر صفحة ٧٦-٧٧)



أسوار دمشق

أعيد بناؤها بالطريقة القديمة في نفس المكان الذي هرب منه القديس بولس (أع ٩: ٢٥).
(أنظر صفحة ٧٦-٧٧)



ثلاث سنوات في العربية
مدينة بتر حيت أمضى القديس بولس ثلاث سنوات
(أنظر صفحة ٧٦)

رحلات بولس الرسول في حياته المبكرة

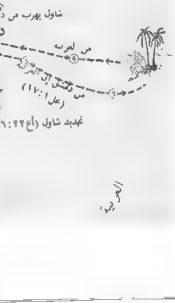
رحلات بولس الرسول في بكون حياته

(انظر مباحثه شهره حياته بولس: ارقام ١-٣٣)

(تحتوي مباحثه شاول خلال هذه الفترة)

أعمال الرسل ٣: ٢٢-٧؛ ١١-٥٨؛ ١٦-٢٩

- ١- من طرسوس إلى أورشليم للدراسة: أع ٣: ٢٢.
الرسوم التوضيحية: شاول تحت رجلي شمائل في أورشليم:
أع ٣: ٢٢؛ بولس يبرس تلاميذ واجبي إسماعيلوس في أورشليم:
أع ١٦: ٥٨؛ ١٦: ٢٩.
- ٢- من أورشليم إلى دمشق لاصطفاة السبعين: أع ١٦: ٩.
الرسوم التوضيحية: ظهور الرب له في طريق دمشق:
أع ٩: ٣-٩. شاول يهرب من دمشق في سبل: أع ٩: ٢٥.
٣- من دمشق إلى القريفة: خلاطيه ١: ١٧. هذه العودة عبر
مذكورة في أعمال الرسل ١.
- رسم توضيحي: بولس في القريفة: خلاطيه ١: ١٧.
- ٤- العودة من القريفة إلى دمشق: عل ١: ١٧.
- ٥- من دمشق إلى أورشليم: عل ١: ١٨.
- ٦- من أورشليم إلى طرسوس عبر قيصرية: أع ٩: ٢٩-٣٠.
رسم توضيحي: مدينة طرسوس.
- ٧- من طرسوس إلى أنطاكية: أع ١١: ٢٥-٢٩.
رسم توضيحي: بولس الرسول يسير في أنطاكية: أع ١١: ٢٦



في المسيح — عند بولس الرسول — تسود بقوة فوق الموت الذي سمع به ولم تَرَهُ. لذلك كان يَدُ لبولس الرسول أن يتحدث عن الحياة في المسيح: «عالمين أن المسيح بعد ما أُقيم من الأموات، لا يموت أيضاً؛ لا يسود عليه الموت بعد. لأن الموت الذي مات، قد مات له للخطية مرة واحدة؛ والحياة التي يحياها، فيحيها الله. كذلك أنتم أيضاً، احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا.» (رو: ٦: ٩-١١)

ظهر المسيح لبولس حياً من السماء، في ملء القيامة وقوتها وعدها وجلالها الدائم، جعل موت المسيح على الصليب مركز انبعاث للحياة هذه، في ملء قوتها وعدها، فاستمد منها بولس كل دقائق لاهوته، حيث صارت القيامة التي راها في المسيح هي بعينها استعلان الحقيقة الجديدة التي رأى فيها بولس نفسه كواحد من حلائقه التي لها باكورة الروح شعة وبقية: «إن كان أحد في المسيح، فهو حقيقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت (حياة الناموس المُدَلَّة). هوذا الكل قد صار جديداً.» (٢ كور: ٥: ١٧)

كذلك ظهر المسيح في السماء في مجد ربوبيته، وبوجهه الإنساني المتلألئ بالنور الإلهي، جعله يمسك بالعنصرين الإلهي والإنساني في المسيح عن واقعية مرتبة ومُستعملة بالروح مآل واحد. ولكن أي إنسانية هذه التي ملكت ملء اللاهوت وأدثرت بالنور كالثلج؟ لقد يثبُن بولس أن المسيح سمع في نفسه، لا العنصر الإنساني؛ بل الشرية «ككلٍّ وأمرؤ معاً»، ليرتفع بها أمام الله في دالة البُوة!

كان في مسطره «كإنسان»؛ وفي حقيقته كان هو «كلُّ إنسان»، «كلُّ الشرية»: «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا» (٢ كور: ٥: ١٤). لذلك قال عن بقاء القول والرؤية، أننا مُتَنَا معه، وقُفْنَا معه، وبمعنا نجلس في السموات!

وحينما أطلَّ المسيح في مجده على بولس من السماء، أدرك بولس الوطن السماوي المعدَّ للخلقة الجديدة للذين يمتنون في المسيح ويمحون له من الآن، أدرك نوع الحياة الممجة التي سيحيها مُتَّفَقُهُ، أدرك حتمية زوال لعالم الحاضر، بعد اكتمال التنبؤي فداء الأجساد لقبول مجد الحياة الأبدية. أدرك أن الرجاء الذي نرجوه الآن بالقيامة من الأموات يستمد اليقين من المسيح الناظر إليه من السماء.

عمل المسيح في القديس بولس:

إن الطبيعة الشرية لا تتحول إلى حياة جديدة مستقرّة حسب الروح فجأة أو كتنقّل واحد، ولكن التغيير يتم على مراحل حسب ما يعثر به بولس الرسول نفسه: «ونحن جميعاً ناطرين مجد الرب بوجه مكشوف (بدون الناموس كوسيط)، كما في مرآة، فنغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.» (٢ كور ٣: ١٨)

هكذا ظلّ المسيح يبني هذا الرسول لحساب خلاص الأمم، ويشكّل فيه بالروح على مدى السنين كهخاريّ حكيم يتعهد آنية مهياة لكرامة حتّل اسمه العظيم القدوس: «لأنّ هذا لي إباء مختار ليحمل اسمي...» (أع ٩: ١٤)، «لكي يبيّن عسى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد، التي أيضاً دعانا نحن إليها.» (رو ٩: ٢٣ و٢٤)

فإذاً كان الوعي اللاهوتي المسيحي عند بولس قد انفتح على مصراعيه بظهور المسيح له من السماء والتكلم معه، إلّا أنّ مهجته الروحي كان وليد حركة بطيئة، وقد استلهمه من المسيح رأساً: «لوقت لم أشتير لحماً ودماً، ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي؛ بل انطلقت إلى العربية، ثم رجعت أيضاً إلى دمشق، ثم بعد ثلاث سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرّف ببطرس، فمكنت عنده خمسة عشر يوماً» (عل ١: ١٦-١٨). معنى هذا أنه سلّم هداة استارته لله ولروحه. فليس من فراع يقول إنه لم يستم إنجيته من إنسان، ولا تحلّفه من أحد؛ بل بإعلان يسوع المسيح (عل ١: ١٢ و١١)، ولكنه طابقه على إنجيل المسيح بيد الرسل.

هذا أخذ من بولس في البداية ثلاث سنوات، منعزلاً وحده، يحترّف فيها معرفته ودراسته على حقائق استعلان المسيح ابن الله. رادها المسيح بعد ذلك على طول المدى باستعلانات مسالية وكثيرة، عرفنا منها الفليل الذي صرّح به هو موعماً في مواقف الطرح، ليثبت قوة رسوليته وصحتها، وصدق إنجيله، ودرايته بسر المسيح.

+ «قد صرت غيباً وأنا أفتخر. أنتم الأرتموني لأنه كان ينبغي أن أمدحكم إذ لم أنقص شيئاً عن فائتي الرسل، وإن كنت لست شيئاً. إن علامات الرسول ضيعت بكم، في كل صر، بآيات وعجائب وقوآت.» (٢ كور ١٢: ١٢ و١١)

+ «إنه لا يوافقني أن أفتخر. فإنني آتي إلى مآظر الرب وإعلاناته. أعرف إنساناً في المسيح قبل أربع عشرة سنة، أي الجسد لست أعلم أم خارج الجسد لست أعلم، الله يعلم، اختلّفت هذا إلى السماء الثالثة...» (٢ كور ١٢: ١٢ و١١)

يُلاحظ أن بولس الرسول يتكلم عن «مناظر وإعلانات» بالجمع، أي أنها كثيرة، والمطر غير الاستعلان. فالمناظر رؤيه بالعين الروحية بينما العقل الروحي يقطر بحس وبهم ويُشرّ أما الاستعلان فهو انكشاف فكري، حيث ينفّث العقل الروحي ليستوعب حقائق سماوية تدخّل في صميم خلاص الإنسان وحياته، وبالاتين تكوّن لدى بولس الرسول ما عبر عنه بإيجازه.

والبيت يحمل ما عرفناه من المواقف التي انفتحت فيها الروح على بولس، فدخل في محام الرؤيا والسمع والفهم الإلهي العائق، والتي فيها أعطاه المسيح كل ما كان لازماً لنسج الإيمان، وتوضيح الخلاص، وإثارة طريق الحياة أمام الأمم.

+ «فيغتنأ بُزقُ حوله نور من السماء، فسقط على الأرض، وسمع صوتاً قائلاً له: شاول شاول لماذا تضطهدينى؟ فقال: مَنْ أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، صعبٌ عليك أن ترفض مناخس. فقال وهو مرتعد ومتعير: يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قُمْ وادخل المدينة، فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل.» (أع ٩: ٣-٦)

+ «وحدث لي بعد ما رجعتُ إلى اورشليم وكنت أصلي في الهيكل، أنني حصلتُ في عسة، فرأيته قائلاً لي: أسرع واخرج عاجلاً من اورشليم، لأنهم لا يعملون سهادتك عني... اذهب فإنني سأرسلك إلى الأمم بعيداً.» (أع ٢٢: ١٧-٢١)

+ «فلما أتوا إلى ميسيا حاولوا أن يذهبوا إلى بتييه، فلم يذعنهم الروح.» (أع ١٦: ٧)

+ «وظهرت لبولس رؤيا في الليل، رجل مكدوني قائم يطلب إليه ويقول: اعبُر إلى مكدونية وأعنا. فلما رأى الرؤيا، لوقت طينا أن نرحل إلى مكدونيه محققين أن الرب قد دعانا لنسهرهم.» (أع ١٦: ١٠٩)

+ «فقال الرب لبولس برؤيا في الليل، لا تخف بل تكلم ولا تسكت، لأني أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك، لأن لي شعباً كثيراً في هذه المدينة.» (أع ١٨: ١٠٩)

+ «وفي الليلة التالية وقف به الرب وقال: ثوب يا بولس، لأنك كما شهدت بما لي في اورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً.» (أع ٢٣: ١١)

ويعود بولس الرسول ليدكر بنفسه ما قاله الرب في أول ظهور له:

+ «ثُمَّ وَقَفَ عَلَى رَجُلِيكَ، لَأَنِّي هَذَا ظَهَرْتُ لَكَ لِأَتَجَبِّكَ خَادِماً وَشَاهِداً بِمَا رَأَيْتَ، وَمَا سَأْظْهَرُ لَكَ بِهِ مُتَّقِداً إِيَّاكَ مِنَ الشَّعْبِ (اليهودي) وَمَنِ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَنَا الْآنَ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِمْ.» (أع ٢٦: ١٦ و١٧)

+ «إِنَّهُ لَا يَؤَافِقُنِي أَنْ أَتَخَرَّ... اخْتُطِّقْتُ هَذَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ... اخْتُطِّقْتُ إِلَى الْفَرْدُوسِ، وَسَمِعْتُ كَلِمَاتٍ لَا يُطَقُّ بِهَا، وَلَا يَسُوعُ لِإِنْسَانٍ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا...» (٢ كو ١٢: ١-٤)

وكاست هذه الرؤيا السماوية في بداية رحلاته الطويلة، لكي تكون أساساً يستقي منها كل تعاليمه الجديدة للأمم. وهو يؤكد ذلك بقوله:

+ «وَأَعْرِفُكُمْ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، الْإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. لِأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ، وَلَا عَلَّمْتُهُ؛ بَلْ بِإِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (غل ١: ١١ و١٢)

وتعتمد المرحلة التي تم فيها التحول في حياة بولس من اليهودية إلى المسيحية من أعظم مراحل حياته. ويلاحظ من قول بولس الرسول فيما يختص ببشارته الخاصة بالمسيح، والتي يمرُّ عنها بـ «إبجيلي»، باعتبار أن هذه التسمية تقوم على أساس أنه بَشَّرَ بِالْمَسِيحِ خُلُوعاً مِنَ النَّامُوسِ وَأَعْمَالِهِ وَالسَّبْتِ وَالتَّزَامَاتِهِ وَالْحَتَانِ وَحَتَمِيَّتِهِ، الأمور التي كان يعيش فيها بقية الرسل والتلاميذ جميعاً، معتبراً أن هذه تعلُّقات يهودية تختص باليهود الذين دخلوا إلى المسيحية وهم تحت أحكامها، ولم يستطيعوا أن ينفذوها عنهم بحكم إلزام البيئة ومكان العبادة، وهو الهيكل، مع الخوف من سطش رؤساء المجمع؛ أن هذه كلها استطاع بولس أن يتحرر منها رسمياً بمقتضى دعوته التي دعاه إليها المسيح رأساً من السماء، وليس عن طريق تسليم أو تعليم من الرسل والتلاميذ السابقين. وقد دفع بولس الرسول ثمن التحرر من هذه القيود الناموسية غالياً جداً من متعصبي اليهود، يهود ومسيحيي اليهود!!

وبعد هذه المرحلة، تأتي في الأهمية مرحلة اجتماعه بالرسل في أورشليم الذي حدث بعد أربع عشرة سنة من ظهور الرب له (غل ١: ٢)، حيث قابل أعمده الكنيسة الثلاثة بطرس ويعقوب ويوحنا. ولكي ندرك خطورة هذه المقابلة في تاريخ حياة بولس الكرازة، وبالتالي في تاريخ الكنيسة المسيحية وطقسها ولاهوتها، ينبّه بولس الرسول دهنتا بقوله: «وَأِنَّمَا صَعَدْتُ (إِلَى أُورُشَلِيمَ) بِمُوجِبِ إِعْلَانٍ!!» (غل ٢: ٢)، أي لنفهم أن الرب من السماء تدخل من أجل إتمام هذه المقابلة التي أعد لها منذ الذهور والتي فيها أخذ بولس الرسول من الكنيسة الأم في أورشليم بين الشركة للكرازة بالمسيح بين الأمم، خُلُوعاً مِنْ نَامُوسِ مُوسَى وَالْحَتَانِ وَالسَّبْتِ، وبذلك صارت خدمة الأمم رسولية، والكنيسة هاهنا واحدة حاملة، فيها اليهودي المُحتس الذي يحفظ الناموس والسبت، والأُمَمِيُّ غير المختون الذي لا يحفظ الناموس والسبت، على التساوي المطلق بالإيمان الواحد، كما عبّر عنه بطرس الرسول بعد خبرته في كرازته الأولى للأمم — قصة كرنيليوس أع ١٠ — وذلك بأمر الرب وإرشاد الروح القدس، وعن رؤيا أيضاً.

+ «وبينما بطرس مُتَعَمِّقٌ فِي الرُّؤْيَا، قَالَ لَهُ الرُّوحُ: هُوَذَا ثَلَاثَةُ رِجَالٍ يَطْلُبُونَكَ. لَكِنْ قُمْ وَانْزِلْ، وَاهْذَبْ مَعَهُمْ غَيْرَ مَرْتَابٍ فِي شَيْءٍ، لِأَنِّي أَنَا قَدْ أَرْسَلْتُهُمْ... وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَرَانِي اللَّهَ

أَن لا أقول عن إنسان ما إنه دنس أو نجس... ففتح بطرس فاه وقال: بالحق، أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه، بل في كل أمة الذي يتَّقِيه ويصنع البرمقبول عندَه. الكلمة التي رُسِمها إلى بني إسرائيل يُبَشِّرُ بالسلام يسوع المسيح، هذ هو ربُّ الكل... فبسم بطرس يتكلم بهذه الأمور، حلَّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة (أعمش). فاندھش المؤمنون الذين من أهل الختان، كلُّ من جاء مع بطرس، لأن موهبه الروح القدس قد سبكت على الأمم أيضاً لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلمون باللسنة، ويعظّمون الله. حينئذ أجاب بطرس: أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء، حتى لا يعمد هؤلاء الذين قَبِلُوا الروح القدس كما نحن أيضاً؟ وأمر أن يعتمدوا باسم الرب. « (أع ١٠: ١٩-٤٨)

وقد قامت على بطرس زوبعة كالتي عاناها بولس الرسول من يامي الرسل وبعية اليهود المنتصرين، إنما بصورة محدودة للغاية:

+ «فسمع الرسل والإخوة الذين كانوا في اليهودية أن الأمم أيضاً قبلوا كلمة الله. ولا صعد بطرس إلى أورشليم، خاصمه الذين من أهل الختان (اليهود المنتصرون) قائلين إياك دخلت إلى رجال ذوي عُلَمَةٍ (أنجاس) وأكلت معهم فابتدأ بطرس بشرح هم بالتنازع قائلاً:... فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسنة، مؤمنين بالرب يسوع المسيح، فمن أنا أقادر أن أُمْنع الله؟ فما سمعوا ذلك سكثوا، وكانوا يمجّدون الله قائلين: إذا أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة. « (أع ١١: ١-١٨)

ويقينا أن الله، بتدبيره الحكيم، قد سبق وأجر بطرس الرسول في إحتبار الكرامة للأمم رؤيته وسماع أمر التكليف من السماء بالدخول إليهم والأكل معهم ونبشيرهم بالمسيح، ثم رؤيته بعينه وسمع أذنيه كيف قبل الأمم الروح القدس وتكلموا باللسنة قبل المعمودية، حتى يتشجع ولا يرتاب، ويمعدهم، وذلك كله كتمهيد لانتحاب بولس الرسول رسولاً خاصاً للأمم، حتى يتزعّم بطرس الرسول الحركة الرسولية في أورشليم للدفاع عن بولس وقوله كرسول، وإعطائه بين الشركاء للكرامة باسم الكنيسة الواحدة بين الأمم.

وبقيام بولس لرسول بالخدمة الرسولية بين الأمم ذوي الغلظة هكذا، بأمر الرب وتدبيره، وموافقة لرسول وإعطائه بين الشركاء، انفتحت الكنيسة على العالم كله. وهنا يبيق بنا جداً أن نتعكر منياً، كيف أعدَّ الله بولس الرسول ليكون رئيساً ابن فريسي، متعصماً للناموس، ليقود حركة دخول الأمم العُلَف للآيمان بالمسيح بدون ناموس ولا ست ولا ختان ولا أي عادة من مدن اليهود، تتخذ على نفسه حمايتهم من سطوة الفريسيين، مما لديه من دراية وعلم ومقدرة للدفاع والإقناع. هذا أمر يندھش له العقل حقاً.

الفصل الرابع

مسيحية القديس بولس

ما هي المسيحية أولاً:

كان ذلك يوم أحد القيامة، يوم أن استُغنى المسيح حياً قائماً من الموت، يوم أن شمعث أول بشارة بعم إنسان. وللحال، تشكلت أول صورة للديانة المسيحية: «وهم يقولون إن الرب قام بالحقيقة، وظهر لسمعان» (لو ٢٤: ٣٤). فصف الآية بشكل قانون العبادة المسيحية، والنصف الآخر شهادتها العملية كخبرة إنسانية انتفتت من بطرس إلى جماعة التلاميذ مجتمعين: «أخيراً ظهر للأحد عشر وهم متكونون، ووبح عدم إيمانهم وقساوه قلوبهم، لأنهم لم يُصدقوا الذين نظروهم قد قام» (مر ١٦: ١٤). وهنا يدخل عصر الإيمان بسماع الخبر — كما ساءه عبد المسيح والله، للرؤية العينية. ثم انتقل من حاعة التلاميذ إلى العالم أجمع بالخبر المساوي للظفر. «وقال لهم اذهبوا إلى العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل (خبر القيامة المفرح) للحقيقة كلها، من آمن واعتمد، يخلص، ومن لم يؤمن يُدَنِّ» (مر ١٦: ١٥ و١٦)، «طوبى للذين آمنوا ولم يَرَوْا.» (يو ٢٠: ٢٩)

وهكذا صار الإيمان المسيحي مؤسساً على العقيدة المشهود لها بالرؤية، والسلمة بالخبر، أن المسيح قام، بالحقيقة، من الموت، مجد إلهي، وعمل فمه كلمات السلام، والوعد لكنيسة بالبقاء معهم كل الأيام، وإلى نهاية كل الأيام! «ها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر.» (مت ٢٨: ٢٠)

هذه هي المسيحية في أصولها الأولى، كيف قامت وكيف دامت. قامت بقيامة المسيح ودامت بحياته. أما قيامة المسيح فكانت أول فعل إلهي حديد يوحه الطبيعة البشرية. فالقيامة من الموت ليست من أفعال الطبيعة الشرية، فالطبيعة الشرية تنتهي جميع أفعالها بالموت. أما المسيحية فهي البشارة بأول فعل حياة دائمة يغزو الطبيعة البشرية المائتة، ليعطيها حياة جديدة أبدية. فالمسيحية هي طبيعة جديدة حية للإنسان، يأخذها من المسيح ليعيشها معه: «ها أنا معكم كل الأيام، إلى انقضاء الدهر.» (مت ٢٨: ٢٠)

بولس يدخل المسيحية من بابها الأول:

كان باب المسيحية الأول هو رؤية الرب يسوع قائماً من الموت متكلماً بالسلام، وواعداً بالحياة، وبوجوده على الدوام.

ومرة أخرى، وبطريقة أخرى، يظهر الرب، ليس على الأرض بل من السماء، ويمجد وبهاء، يظهر لبولس تأكيداً لدعوته الرسولية حصيصاً لكراسة الأمم. وما حدث لبولس هو تكرار لما حدث لبطرس: «ألسْتُ أنا رسولاً؟ ألسْتُ أنا حراً؟ أما رأيتُ يسوع المسيح ربنا؟» (١ كو ٩: ١). وكان ظهور المسيح لبولس ختاماً لكل المظهورات، وختاماً لتعيين الرسل للإرساليات: «وآخر الكل، كأنه للسَّيْط، ظهر لي أنا.» (١ كو ١٥: ٨)

وطهور المسيح لبولس، لأرّمه استعلاناً داخلياً: «ولكن لما سَرَّ الله، الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاسي بنعمته، أن يعلن ابنه فيّ لأبشّر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحمًا ودمًا.» (غل ١: ١٦ و ١٥)

كان هذا الاستعلان الداخلي للمسيح في كيان القديس بولس أعلى حبرة للمسيحية، اعتبرها بولس، فكانت بمثابة إحياء قائم بذاته، منه يأخذ، ومنه يتعلم، وبه يكرر ويُعلّم!! «وأعزّفكم أيها الاخوة الإنجيل الذي بَشَّرْتُ به، أنه ليس بحسب إنسان، لأنني لم أقبله (كخبير) من عند إنسان، ولا علَّمته، بل بإعلان يسوع المسيح.» (غل ١: ١٢ و ١١)

وهكذا فإن «سر المسيح» الخاص بخلّص الإنسان عامة، تَقَلَّه بولس من المسيح رأساً بالاستعلان الداخلي: «أنه بإعلان عرّفني بالسّر، كما سبقْتُ فكتبتُ بالإيجاز، الذي بحسه حينما تقرّأونه تقدرون أن تفهموا درايتي بيسر المسيح.» (أف ٣: ٣ و ٤)

على أن استعلان المسيح للقديس بولس (المسيح في بولس): «لما سَرَّ الله ... أن يعلن ابنه فيّ»، لم يَتَقَّ عند بولس مجرد استعلان بالعكر والمعرفة؛ بل استعلان حياة في حياة: «المسيح يحيا فيّ» (غل ٢: ٢٠). وكانت حياة المسيح مرْمَتها من الوضوح والتأثير، حتى صبغت حياة بولس كلها، فصارت كلها للمسيح: «فأحيا لا أنا؛ بل المسيح يحيا فيّ» (غل ٢: ٢٠)، حتى قال: «فما أحياءُ الآن في الجسد، فأما أحياء في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أَحْبَبَنِي وَأَسَلَّمَ نفسه لأجلي.» (غل ٢: ٢٠)

هكذا نشأت مسيحية القديس بولس «كردّ فعل»، لما فعله الله والمسيح فيه!! وهذه الحقيقة

واضح ناطقة على ضوء ما حدث لبولس على طريق دمشق: «من أنت يا سيد؟» «أنا يسوع الذي أنت تضطهده»، «ماذا تريد أن أفعل؟» «قم وادخل المدينة، فإنا لك ماذا ينبغي أن تفعل.» (أع: ٩: ٦٥)

وهكذا، وكرّد فعلي مباشر لفعل الله، نحول أكبر مضطهد للمسيحية إلى أكثر كراز باسم المسيح! وكان هذا هو محور الديانة المسيحية عند بولس الرسول: إنها رد فعل مباشر لفعل الله الذي عمله فيه المسيح! هذا عبّر عنه بولس الرسول بقوله: «مستيرة عيون أذهانكم، لتمسوا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة بعبادنا نحن المؤمنين، حسب عمل شدة قوته الذي عمله في المسيح، إذ أقامه من الأموات، وأجلسه عن يمينه في السماويات...» (أف: ١: ١٨-٢٠). واضح هنا أن الله هو صاحب المبادرة العظمى لخلاص الإنسان، كأعظم فعلي.

هكذا تأسست مسيحية بولس الرسول لا على كلمة حبر سمعها؛ بل على المسح الحي المتكلم معه من السماء، والمتكلم فيه، والعامل فيه. فمسيحية القديس بولس لم تُعَمَّ على مسيح التاريخ؛ بل الرب الروح، الحي، العامل والفعال في كل كيانه بقوة عمله وندبیره. وهكذا صارت ديانة القديس بولس، الاعتماد الكامل على شخص المسيح الحي العامل فيه.

وهكذا، ومنذ أن اكتسملت خبرة القديس بولس بالمسيح الحي الكائن في أعماقه والمنفكر له والعامل فيه، انطعت كرازته بظان خبرته، أي اختبار حلول المسيح الحي في القلب: «سب هذا أخيني ركبتني لدى أبي ربنا يسوع المسيح... لكي يعطيكم بحسب غنى مجده، أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحلّ المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأصلون ومتأسسون في المحبة، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض، والظن، والعمق، والثلو، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتثلوا إلى كلِّ مِلءِ الله.» (أف: ٣: ١٤-١٩)

المسيح الذي استغلين لبولس الرسول وحلّ فيه: واضح أن الذي رآه بولس الرسول هو «الرب الروح» الذي اشتمل بالمجد الذي له، الذي ارتفع فوق أعلى السموات ليصير الكل تحته، وليملأ الكل من ملته.

ومن الآية السالفة، يظهر أن الروح القدس يسبق وعهد حلول المسيح في القلب، حتى يستطيع الإنسان أن يدرك الرب حينما يحل في القلب: «يعطيكم... أن تتأيدوا بالقوة، بروحه، في الإنسان الباطن، ليحلّ المسيح - (الرب الروح) - بالإيمان في قلوبكم».

هنا بولس الرسول لما كان «في الروح»، أدرك «الرب الروح». لذلك يؤكد بولس الرسول عن خبرة يقينية أنه «ليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس» (١ كو ١٢: ٣). لهذا «الشركة في المسيح» لا تقوم إلا من خلال «الشركة في الروح القدس».

مسيحية القديس بولس قامت على أساس الحلول، أي حلول المسيح بالروح، كما صارت معرفة القديس بولس بالرب يسوع على مستوى «"الرب الروح" من السماء». فالمسيح لما أعلن نفسه لبولس كان في وضعه الروحي السماوي، كما كان حلول المسيح في قلب القديس بولس على مستوى الاتحاد، حتى إن بولس الرسول لم يُقَدِّ يمي نفسه بدون المسيح: «فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا في». (غل ٢: ٢٠)

ولقد جمع القديس بولس في وعيه المسيحي بين المسيح قائماً فيه، وبين المسيح الكائن في أعلى السموات، فأدرك بولس الرسول أنه لم يُقَدِّ «للمسيح الرب الروح» حدود.

«الرب الروح والرب من السماء» عند بولس هو المسيح المتجسد، ولكن جسد المسيح صار جسداً روحياً بالقيامة من الأموات، لقد جاز الجسد البشري «التغير» الداخلي والخارجي دون أن يفقد كل ما له:

+ «صار آدم الإنسان الأول نفساً حيّة (بعد أن نفخ فيه الله سمة الحياة)؛ وآدم الأخير روحاً محيياً (بالقيامة من الأموات بالروح القدس الذي فيه)... الإنسان الأول من الأرض ترابي؛ الإنسان الثاني الرب من السماء.» (١ كو ١٥: ٤٥ و٤٧)

وقد أسمى بولس جسد المسيح الآن، وهو الرب الروح في السماء، بـ «جسد المجد»، هكذا: «الذي سيفيّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء.» (في ٣: ٢١)

وعند بولس الرسول، الله الروح و«المسيح الرب الروح من السماء» هو حفيضة أشد يقيناً وإدراكاً من كل الحقائق الأخرى وذلك عن وعي روحي واختبار، مثلك عليه تفكيره ووجدانه وتدير حياته. وقد نَحَتَ بولس الرسول لنفسه اصطلاحاً يصوّر هذه الحقيقة العملية الاختبارية في علاقته بالمسيح، وهو اصطلاح «في المسيح»، الذي ورد في رسائله ١٦٤ مرة، والذي يعرّبه عن كل تفكير وحركة وعمل وحياة له «في المسيح». فإيمانه في المسيح، وهرّهُ هو في المسيح، وصلاته وهرجه وسروره وكل عطية نالها، ومحبة وسلام وقداصة وحتم روحي، وختانة، والجسد الواحد، كل ذلك يعيشه ويمارسه ويراه «في المسيح».

لقد صار هذا الاختبار عنده عقيدة ثابتة، وإيماناً لا يحيد عنه، ورسالة استلمها ليُسَلِّمها.

كذلك وفي نفس الوقت، كان يشعر وهو واثق أنه كما يحيا هوي المسيح، فالمسيح يحيا فيه. فهي شركة حيّة، فيها أخذ وعطاء، اغتنى بها بولس الرسول وأغنى كثيرين.

ونحن نسأل: هل يمكن أن نبلغ إلى هذا الاختبار، اختبار الإيمان بالمسيح قائماً بمجده في الخلاص؟ وهو بآن واحد هكذا مُحتوى داخلنا بشخصه، نراه بالروح، ونحسّه، ونعامل معه، وهو في مجده قائم عن يمين الله. إنها حبرة إيمان فائقة تُعتبر أغنى ما حصل عليه القديس بولس وما كرز به!!

وقد صار هذا الاختبار: «في المسيح» صفة خاصة بلاهوت بولس الرسول تُميّزه وترفعه إلى المستوى العملي. ولكن لا زلنا نلحّ على القارئ أن يستوعب مفهوم هذه الحقيقة، فبولس الرسول إن كان قد قال عن يقين أنه صُلب مع المسيح، ومات، وقام، وجلس في السماء معه، كتعبير عن الإلتحام بأعمال المسيح الخلاصية في الفداء، فما ذلك إلا أنه دخل في شركة حياة دائمة مع المسيح الممجّد، الرب الروح من السماء!

مسيح القديس بولس هو المسيح الرب، المسح الرب الروح، المسح الرب الروح من السماء، في ملء مجده!!

مرة أخرى نقول إن مسيح القديس بولس الذي يتعامل معه هو كما ظهر له، مسيح المجد من السماء، مسيح الواقع الروحي الحي الدائم العائق، ليس بصورته التاريخية على الصليب، كما نحاول نحن بإلحاحنا المادي أن نصوّره بألف صورة وهو مصلوب، أو حينما أنزلوه أو دفنوه أو حتى حينما قام، فهذا هو تاريخ الخلاص الذي أكمله المسيح لنا بالجسد على الأرض، وأكملناه نحن معه. لكن بولس الرسول كان يتعامل مع المسيح كما ظهر له حيّاً في السماء في ملء مجده، في وجوده مع الآب، المسيح الروح، والمُعطي الروح.

مرة أخرى، هناك فارق شامع بين أن نستحضر صورة المسيح من الماضي حينما صُلب أو قُبر أو قام، لنصنع معها علاقة أو شركة على مستوى التأمل، وبين أن يأتي المسيح بشخصه الحي ويُستعلن لنا بحاله الآن كما هو في السماء في المجد، لكي يصنع فينا منزلاً ويقم، ونصنع نحن معه شركة في المحبة بالإيمان الواعي.

بولس الرسول كان يحيا في مسيح المجد الرب الروح، وكان المسيح الرب الروح يحيا في القديس بولس، دون أي تصوّر للماضي أو استحضار مناظر بالجدد ليعيش بها بالتخيّل، ولكن

وبأن واحد، كان المسيح له هو هو المسيح التاريخ الذي وُلد من امرأة تحت الداموس وصُلب ومات وقام، وارتفع إلى العلاء. فلم تَبْقَ عن القديس بولس حوادث الصليب والآلام ثم الموت والدفن والقيامة، ولكن ليست — بعد — مناظر وصوراً تُستحضر في المخيلة، لكي تتحرر من المخيلة بعد قليل، ولكنها حوادث غير منفصلة عن المسيح الحي المجد في السماء الذي يحيا فيه. فالرب الروح من السماء يحس في كيانه كل أعماله السابقة دون أن تسقط منها حركة واحدة، ولكنها حية متجلية. فالآلام السالفة تتحلّى فيه ناطقةً ودمه المسفوك حي يتفطر. وموته الرهيب لا يزال يرلر اهاوية، قابضاً على مَنْ به سلطان الموت، وقيامته تطارد جحافل الظلمة وتبتر طريق الحياة والخنود؛ ليست هذه صوراً بعد؛ بل هي أفعالٌ حية متجلية، يَشْرِي فعلها في العقل والقلب والروح والجسد، فتقيم من الموت وتهب الحياة.

فمسيح القديس بولس ليس هو مسيح صور اتاريخ التي كانت؛ بل مسيح أفعال الخلاص حية متجلية فعالة في ملء كمالها وقوتها وجلالها. هكذا عاش بولس آلام المسيح وموته وقيامته، لَمَّا عاش في مسيح المجد الرب الروح من السماء وحياته متجلية فيه.

هنا كان القديس يوحنا حُسن في بدء تعرّفه على المسيح كتلميذ صدر يسوع، والأقرب إلى قلبه، والذي استطاع أن يحكي عنه، فبولس الرسول محسوبٌ شريك صاحب المجد المُقَلَّن من السماء، والمناش ليس على صدر المسيح بل فيه، وليس الأقرب إلى قلبه بل الحامل إياه، لهذا استطاع أن يحكي عنه بل يسلمه ويعطيه للآخرين، كما أخذ هو واستلم !!!

وليست به القارىء، فهذا كله كان على مستوى الروح، فلأن القديس بولس اخترع بواسطة الروح المسيح وكل ما للمسيح «الرب الروح الذي من السماء»، لهذا كان اختباره حالياً من تصور مادي كما تصور تصنعها المُخيلة، مخيلة الجسد المادي؛ بل كان حقائق روحية حية وفعالة يفحصها الروح حتى الأعماق ويقدمها كأفعال، فينقل بها الإنسان انفعالات حقيقياً روحياً أشد من انفعال الجسد. لهذا قال بولس الرسول عن صدق وقياس واختبار فعلي: قد صُلبت مع المسيح، قد مت مع المسيح، قد دُفنت مع المسيح، قد قمت مع المسيح، قد جلست في السموات مع المسيح. ويقولها بولس الرسول بصورة الجمع، معتبراً أن ما اختبره هو يتحتم أن يختبره الجميع كحقيقة! فهذه ليست صوراً ولا خيالات؛ بل هي أفعالٌ روحية تمت بالروح له ولكل إنسان آمن بالمسيح. لأن القديس بولس كان يحيا في المسيح الرب الروح من السماء، وفيه أعماله حية متجلية قائمة وفعالة، فالماضي في المسيح حاضر فيه لأن الزمن لا يفرق ما لله.

ومرة أخرى نودّ لو نبيّه دهن القارىء أن أعمال الروح القدس لا تختص ولا تحصر بالجسد أو

الأرض أو صور التاريخ المتحركة نحو الزوال، فالروح القدس يختص بالإلهيات ولسمويات، بالأليات والأبديات، بالخلود وأعمال الخلود، بكل ما هو مقدس وما هو حي وما يحيا حياة الأبد والروح القدس لا يأخذ من المسيح صورة السالفة لطعها على غثتنا ثم نزول؛ بل حقائق حياته الأزلية كأفعال دائمة وحالدة يعرضها في حياتنا فتتحول حياتنا فيه وتتكسر إلى أعمال الخلود التي أكمل.

هكذا يحول المسيح — مسيح المجد — تاريخ حياته إلى أفعال في مرء الحاضر، بواسطة الروح، الذي يأخذ مما له ويحيي، هذا لو كان تعاملنا مع مسيح المجد الرب الروح من السماء وليس مع مسيح التاريخ والماضي الحقيق، أو مسيح لعقيدة واللاهوت انطري والاصطلاحات التي تطرح بها في أرض الأفكار والحالات، أو في مقولات جامدة خشبية فابنة لسحت ولكن غير قابلة للحياة.

القديس بولس تأمنت معرفته بالمسيح، كما تأمنت حياته ضد لخداع الفكري ولزمني، حينما حل في قلبه المسيح الحي القائم في مجده في الآعاني، فصلاً دمه ووعيه الروحي بحقيقة داه الفاتقة على كل فكر والمتسامية عن قياسات الإنسان: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم... ويعرفوا محبه المسيح الفاتقة المعروفة، لكي تمتثلوا إلى كل ملء الله.» (أف ٣: ١٧ و١٩)

أنظر أيها القاريء، أي فكر بشري يستطيع أن يلاحق عمل المسيح هذا؟

لذلك قلب ونقول: إن بولس الرسول ليس صاحب فكر لاهوتي، ولا هو هاوي لاهوت أو محترف، إذ لم يعرف المسيح من إنسان ولا تعلمه على يد معلم، وهو لم يصنع مناهج تصلح أن تكون واسطة لمعرفة المسيح، ولا سئل اصطلاحات تعبر أو تعدد احقائق الإلهية. ولكن لما كشف لنا عن علاقاته بالمسيح، بينما كان يحكي لنا قصة نعرفه عليه وقوله، حرجت منه مقولات كلها حينه تعبر عن حياته وحياة المسيح فيه. فكان لاهوته هو قصة قبوله للمسيح وحديثه منه وتدهير إرسالياته التي اختاره ارب من أجلها، وعشرة المحبة الشديدة التي عاشها القديس بولس مع المسيح. ليس كأن القديس بولس اختار هذه العشرة؛ بل الله دعاه إليها مجاناً بالرغم من تعديبات بولس الشنيعة ضد المسيح وكيسته: «ولكن لما سَرَّ الله الذي أفرسي من بطل أُمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيَّ لأُشَرِّبه بين الأمم...» (عل ١: ١٥ و١٦)، «أنا الذي كُنتُ قَلْباً جَلْعاً ومضطهداً ومفترياً، ولكي رُحمتُ...» (١ تي ١: ١٣)

وكان اختبار بولس لشركة الحياة مع المسيح هو النموذج الأشد قُرْباً وصدقاً، والأقوى تعبيراً وقصداً لاختيار الأمم المنهمكين في أوثانهم! فلم تكن الأمم أشد قبحاً وجرمًا تجاه المسيح من ذلك

الفرّيسي المتعجرف الذي أهان المسيح وجذّف عليه واصطهده واقترب!! لذلك يقول بولس الرسول لأهل كورنثوس، وهم كانوا على أقيح مستوى من الجاساس اتني يعزّر من ذكرها الفكر ويتعوّق الفلم، نعم قال لهم بالحرف الواحد: «أَمِينُ هو الله الذي به دُعِيتُمْ إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا.» (١ كور: ١٠: ٩)

إذًا، فليس لميزة من الميزات احتار الرب بولس ليعلن شركته فيه ومعه؛ بل ربما كان باعتباره أكثر قُرْباً لمستوى الأمم. إذًا، هي «أمانة الله» ليس إلّا، التي يدعونها الله ويختار من كان مثل أهل كورنثوس، يبنالوا دعوة للشركة مع ابنه يسوع المسيح ربنا!!

ولكن عوداً بنا على بدء، فهذه الشركة ليست هي مع المسيح التاريخ المصوّر في الذاكرة؛ بل مع يسوع المسيح الرب الروح الذي من السماء بكل جلال مجده وفي ملء قوته وسيادته. فالشركة هنا تكون شركة مع «الله» مع الآب والابن في الروح — كما استعلنها القديس يوحنا في رسالته الأولى — وبواسطته، لذلك فهي شركة للتعبير والرفع من الحصى والمرحلة على مستوى ما كان لبولس في أول طريق دمشق، ليصير ما صار إليه في نهاية الطريق: تعبير أشد ما يمكن أن يكون التعبير، في الفكر والروح والقلب والصميم، في المبادئ والمثل والغايات، في الطباع والأخلاق والسلوك، في الرؤية والنظرة إلى الذات والعالم والحسد!

ولا تستكثر، يا صديقي القاريء، أن يكون هذا كله والقديس بولس واقف وقفته المذهولة — بعد أن كلّمه الرب ودعاه من السماء — على ما كان عليه من صياح وعلى ما آل إليه من ملء السلام والشفقة، لأن — وهنا بيت القصيد — الذي دعاه وأتى إليه بل ودخل فيه هو المسيح الرب الروح من السماء، في ملء مجده وقوته وسيادته فغير ما غير فيه: «بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في ٣: ٢١). فيولس الرسول حينما قال: «المسيح يحيا في»، كان هذا أقوى تعبير عن «حياة الشركة»، الشركة للإنسان الجديد في المسيح ومعه، التي نالها بولس كنموذج لأسوأ إنسان يمكن أن يختاره الله ليصبح في شركته مع ابنه يسوع المسيح ربنا ويحلّ فيه!! فالقديس بولس نال هذه الشركة بمقتضى «نعمة الله»: «بعمّة الله أنا ما أنا» (١ كور ١٥: ١٠)، ثم أتمسكّ النعمة بيده وأجارته في المعمودية كحتم وباب حتمي للدخول، وعبرت به على المائدة لتطعيمه حبر الشركة وتسفيه الدم للبقاء فيها والدوام!

ثم انظر، أيها القاريء، وتفكر ملياً: لماذا لم يكن بولس محتاجاً إلى مشجعات ليجور الصعاب والأهوال على طول المدى، ولا حتى احتاج إلى ما يسند في محمته الكبرى والأخيرة؟ فالرب الروح من السماء قد صنع عنده منزلاً وإقامة: «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي؛ بل الجميع

تركوني، لا يُحسب عليهم. ولكن الرب وقف معي وقواني.» (٢ تي ٤: ١٦ و١٧)

مسيحية القديس بولس لم تقم — إذاً — على العقائدية، وإلا ما كانت انتشرت بين الأمم بهذه القوة وأثمرت هذه الكنائس النشطة المنتهية بالروح!! مسيحية القديس بولس كانت خبرة روحية تسندها العقيدة الصحيحة، فكانت بكل صدق ويقين «شركة مجانية مع المسيح»، والرب الروح من السماء هو صاحب المبادرة، شركة في ملء قوتها وسرّفاعيتها، التي بمجرد أن يفتح لها وعي الإنسان الروحي، تغمره، ويسود المسيح ويملك ويفقد الروح ويُلهب؛ بل ويفرح ويمرّج؛ بل يكرز ويُتلمذ.

إن سر قوة مسيحية القديس بولس هو المسيح الرب الروح بشخصيته، ليس ما قال وليس ما فعل؛ بل ما يقول وما يفعل، المسيح الحي المحيي: «أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠)، كما اختبره القديس بولس: «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في ٤: ١٣). إن سر تقوى مسيحية القديس بولس وقداصة سيرته وأحلافه لم يكتسبها بعمل من الجسد؛ بل بالروح الناري الذي به أحرق ما للحسد: «إن كنتم بالروح تُعيثون أعمال الجسد فستحيون.» (رو ٨: ١٣)

إن مسيحية القديس بولس لم منحرف قط نحو التيه في مجالات الروح بعيداً عن واقع الحياة ومتطلباتها؛ بل مسيحية القديس بولس أخضعت لِرِزانه فكر المسيح وتُدبير حكمه الله: + «إن كنت أتكلّم بالسنة الناس والملائكة، ولكن ليس لي محبة، فقد صرْتُ نحاساً يطنُّ أو صنجاً يرنُّ».

+ «وإن كانت لي نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم، وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبة، فلست شيئاً».

+ «وإن أطعمتُ كل أموالي وإن سلّمتُ جسدي حتى أحترق، ولكن ليس لي محبة، فلا أنتفع شيئاً.» (١ كو ١٣: ١-٣)

فلا المواهب الروحية غرّت القديس بولس فأطلق لها العنان،

ولا المعرفة التي بلغت إلى أعماق أسرار الله استطاعت أن تُلهيه عن محبة الناس،

ولا النسك والتقشف وقمع الجسد أغناه عن أن يحب كل الناس!!

فبالرغم من أنه اعترف أن له كل هذه المواهب وأكثر، إلا أنه في المقابل لها يقول:

+ «ليس أنني قد نلتُ، أو صرْتُ كاملاً، ولكنني أسمى لعلّي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً

المسيح يسوع. أيها الإخوة، أنا لست أحسب نفسي أنني قد أدركتُ، ولكنني أفعل شيئاً واحداً، إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتدُّ إلى ما هو قدام، أسمى نحو الغرض، لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع.» (في ٣: ١٢-١٤)

مسيحية القديس بولس غنيّة ومقطّاة:

بولس الذي كان يحيا في المسيح، والذي كان المسيح يحيا فيه، امتلأ حقاً من قوة المسيح وغناه وبركاته وأفاض على الآخرين:

+ «أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحلَّ عليَّ قوة المسيح ... لأني حينما أنا ضعيف فحينئذٍ أنا قوي.» (٢ كور ١٢: ١٠ و ١١)

+ «باسم ربنا يسوع المسيح، إذ أنتمم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح.» (١ كور ٤: ٤)

+ «أعطيت هذه النعمة أن أبشرين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى.» (أف ٣: ٨)
+ «وأنا أعلم أنني إذا جئتُ إليكم، سأحيي في ملء بركة (إنجيل) المسيح» (رو ١٥: ٢٩).
ويلاحظ أن كلمة «إنجيل» مضافة في الترجمة العربية.

يلاحظ القارىء أن حياة الشركة التي كان يعيشها القديس بولس «في المسيح» هي التي فتحت عليه كنوز «قوة المسيح»، و«غنى المسيح» و«بركة المسيح»، فأصبح القديس بولس يمتلكها من واقع حياة المسيح التي يحياها فيه ومعه، أي حياة الشركة بالروح مع المسيح الرب الروح من السماء. وليست قوة وغنى وبركة المسيح فقط هي التي حارها بولس من واقع حياة الشركة «في المسيح»، بل وغيرها أهم وأعجب.

محبة المسيح:

+ «لأن محبة المسيح ἀγάπη τοῦ Χριστοῦ تحصرنا.» (٢ كور ٥: ١٤)

هنا المسيح ليس مفعولاً به ولكنه مضاف إليه، فهو صاحب المحبة التي تحصرنا.

+ «ليحلَّ المسيح بالإيمان في قلوبكم (وبناءً عليه) ... تعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة ...» (أف ٣: ١٧ و ١٩)

هنا محبة المسيح تتحلّى فينا وتعمل عندما يحلّ المسيح في قلوبنا.

+ «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟» (رو ٨: ٣٥)
طبعاً لا شدة ولا ضيق ولا اضطهاد ولا جوع ولا غري ولا خطر ولا سيف ولا ميتات كثيرة.

لماذا؟ لأن القديس بولس يحيا في المسيح، والمسيح يحيا فيه، فكيف يمكن لأي شيء أن يفصله عن المسيح وبالتالي عن المحبة التي للمسيح؟

رجاء المسيح:

وما قيل عن المحبة يُقال عن الرجاء حتماً:

«متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم، وتعب محبتكم، وصبر رحلتكم ربنا يسوع المسيح» (١ تس ١: ٣). الترجمة العربية سميحة وصحتها كالآتي:

«صبر رجاء ربنا يسوع المسيح» = ἡ εὐχὴ τῆς ἐλπίδος τοῦ κυρίου ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ

فمن أين يأتي صبر الرجاء الحقيقي والفعال، إلا عندما يكون بنا شركة في المسيح. فقال الله «صبر رجائه» الخاص!!

سلام المسيح:

كذلك سلام المسيح: «وليسملك في قلوبكم سلام (الله) المسيح الذي إليه دُعيتُم» (كو ٣: ١٥). يُلاحظ أن الترجمة العربية أوردت كلمة «الله» بدل «المسيح» خطأً. ومن أين يأتي السلام الذي يحفظ عقولنا وقلوبنا في الله؟ إلا من المسيح حينما نحيا في شركة سرّية بالروح معه فننال منه سلامه الخاص «سلاهي أعطيكم». (يو ١٤: ٢٧)

كذلك وداعة المسيح (٢ كو ١: ١٠)، وأحشاء (σπλάγχνα) المسيح (في ١: ٨)، وصبر المسيح (٢ تس ٣: ٥)، وطاعة المسيح (٢ كو ١: ٥)، وحق المسيح (٢ كو ١: ١٠)، وغفارة المسيح (أف ٥: ٢١)، وختانة المسيح (كو ٢: ١١)، وآلام المسيح (٢ كو ٥: ١٠ وفي ٣: ١٠)، وشدة المسيح (كو ١: ٢٤)؛ هذه الصفات التي للمسيح التي حصرها بولس الرسول لتكون هي صفات الإنسان المسيحي، لا يكتسبها الإنسان باجتهاده، فهي هي «صفات المسيح نفسه»، ولا نحورها إلا بالحياة مع المسيح في شركة الروح، حيث يتصل المسيح الرب الروح بنا في سر الشركة العجيب، فينال الإنسان صفات المسيح باسكاب حياة المسيح في داخل كيان الإنسان بكل ما لها: «المسيح يحيا في»!!

ثم نحن نتعجب إن كان القديس بولس قد حاز على حياة المسيح وإيمان المسيح ومحبة المسيح ورجاء المسيح وصبر المسيح ولام المسيح ووداعة المسيح وأحشاء وأفاته، وصبره وطاعته، وحفه وغفاته، وآلامه وشدائده، بالإضافة إلى قوة المسيح، وغنى المسيح، وبركة المسيح، فنحن نسأل ماذا بقي للمسيح لم يأخذه القديس بولس؟ عجيب حقاً أن الفائق في كل شيء، لكن في السماء.

ولكن هذه حقيقة المسيح الرب الروح من اسماء لذي سبق في الماضي أن أدخل دته ونفسه. فهو هكذا الآن وبصفاته التي لا تتغير يتنازل ويذل ويحيى ويحل ويملا حياة الإنسان.

و حبرة القديس بولس في حصوله على حياة الشركة في المسيح والتي من خلالها يقول: «فأحيا لا أن بل المسيح يحيا في» (غل ٢: ٢٠). وأن «بل الحياة هي المسيح والموت هوربح» (١: ٢٢)، وإن «حياتكم مستترة مع المسيح في الله» (كو ٣: ٣)، «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً وأنتم مملوؤون فيه» (كو ٢: ١٠ و ٩)؛ هذه في الحقيقة صدى التجسد العجيب، وصورة من صور تجلياته في حياة الإنسان، وامتداد سرّي مُذهِل لعمله لذي يحيه في وسط السنين!! (حب ٢: ٣)

القديس بولس يجمع هذا كله في مفهوم أن حياة «الشركة مع المسيح»، تعطيانا إيمان المسيح في صفات المسيح لنعيش بها ونعمل. ولكن أكثر من هذا، أن بهذه الشركة نقرب إلى الله ونقدم إليه، لا كغُرباء بعد، بل كأهل بيت الله!

+ «كنتم في ذلك الوقت (الأمم) بدون مسيح ... فلا إله في العالم.» (أف ٢: ١٢)
+ «ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قلاً بعيدين (عن الله) صرتم قريبين بدم المسيح.» (أف ٢: ١٣)

+ «الذي به (بالمسيح) لنا جرعة وقدم (إلى الله) بإيمانه عن ثقة.» (أف ٣: ١٢)
+ «لأن به لنا كليتنا قدوماً في روح واحد إلى الآب. فستتم بعد غُرباء وُزراً، بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله.» (أف ١٨ و ١٩)

ينتهي بولس الرسول إلى أن «في المسيح» بحياة الشركة في الروح، ننال حالة دخول إلى الله الأب عن ثقة، بل ونصير أهل الله بمعنى الاتحاد بالله. وقد عثر عنها بولس الرسول بقوله: «لأنكم قد مُتُّم (عن حياة الجسد والعالم والخطية) وحياتكم مستترة مع المسيح في الله.» (كو ٣: ٣)

أي أن إيماننا الذي ندسه بالشركة «في المسيح»، الذي هو إيمان المسيح، أهَّلنا لموت عن الخطية والعالم والجسد، وبالتالي هيئاًنا للاتحاد بالله، هذا معنى: «حياتنا مُستترة مع المسيح في الله».

فانظروا أيها القارئ وتعمَّق المعنى، كيف أن مسيحية القديس بولس كلها قائمة على اختصار

دخول المسيح الرب الروح الممجّد في السماء في حياته: «فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا في» (غل ٢: ٢٠). وهكذا استمرت حياة القديس بولس في حياة المسيح، فاتّحد بالله، عن حذارة حصوله على حياة المسيح: «لي الحياة هي المسيح»، بل وإيمان المسيح نفسه أي «إيمان ابن الله» الذي به تجرأ أن يبادي الله الآب: «يا أبأ الآب.» (رو ٨: ١٥)

بهذا نفهم أن قوة الإيمان المسيحي عند بولس ليست كنيجه لاحتهااد فكري، بل هي قوة نابغة من شركة حية بالروح مع المسيح، المسيح في هذه الشركة هو الذي يعطي لهذا الإيمان قوته، بل يهبه نفحة من إيمانه الخاص: «أنتم تؤمنون بالله فأهتوا بي» (يو ١٤: ١٠). أي أن إيمان القديس بولس نابغ من وجود المسيح الحي فيه، وقوته نابغة من الإعتماد على المسيح لموجود فيه والحي والفعال. فهو إيمان لا يهتز ولا يطفئ، لأنه إيمان حي يستمد حياته من لمسيح الحي: «إني أنا حي فأنتم ستحيون.» (يو ١٤: ١٩)

الله في مسيحية القديس بولس:

الله في اليهودية إله مُخْتَبِئ: «حقاً أنت إله مُخْتَبِئ يا إله إسرائيل» (إش ٤٥: ١٥). وهو محتجب عن الرؤيا، لأنه محتجب عن الفكر: «الله لم يَرَهُ أحد قط» (يو ١٨: ١٨)، «لأن الإنسان لا يراني ويعيش» (خر ٣٣: ٢٠). هكذا تغلّف الله في الضباب منذ لدهر، ضباب الفكر والرؤية عند اليهودي، فأحيط بالمخافة والمهابة، حتى إن كل من ينطق باسمه موتاً يموت! (لا ٢٤: ١٦ — حسب الترجمة السبعينية)^(١).

القديس بولس لما استغّلن له المسيح، عرفه أنه ابن الله، وأنه صورة الله، وبهاء شعاع مجد الله، بل والحامل لجوهر الله، فكان الوحيد الذي رأى ويرى الله لأنه المعادل لله.

والقديس بولس لما حلّ «المسيح الرب الروح من السماء» في قلبه، حلّ باعتباره ابن الله. هكذا ابتداء الله يأخذ في كيان فكر القديس بولس وقلبه وإحساسه موضع «الآب للمسيح»، ولا أصبح المسيح بالنسبة للقديس بولس في موضع الاستعلان بالروح القدس، دخل الله «أبوربنا يسوع المسيح» في موضع الاستعلان بصفته «أبوربنا يسوع المسيح» والروح القدس الذي استغّلن حقيقة وصيّة الابن، استغّلن حقيقة وصيّة الآب، وهكذا اضطلع الروح القدس بفحص الابن والآب في الله، وهي المعروفة عند بولس بـ «أعماق الله»، وهي حقيقة الله العظمى والسرية التي كانت محفية في الله منذ الأزل، واستغّلنت لرسله بالروح. هذا أدركه بولس وأكّده: «لأن الروح يفحص

(١) أنظر كتاب: «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، للمؤلف، ص ٢٢٠.

كل شيء حتى أعماق الله» (١ كو ٢: ١٠). وإذ سال القديس بولس روح الابن، نطق به بل صرح: «يا أبا الآب»، إذ رأى في الله ولأول مرة في تاريخ لإنسان أن الله صار واستغين أباً للإنسان «في المسيح يسوع»!!

القديس بولس ناد التسي، لما دخل في حبرة الشركة «في المسيح» الرب الروح من السماء لمُستقل أساً لله. والتسي هو هو الإعدام بأثوة الله على الدين يؤمنون بآبن الله، أي ينالون «إيمان من الله». من حلال حياة الشركة «في المسيح» الابن.

وهكذا صار ولأول مرة في فكر الإنسان وواقع حياته ووجوده، أن الله المجيد رب السماء والأرض القدوس المزهوب الساكن في النور غير المفترق إليه، والنار الآكنة، هو هو نفسه الله الآب المحب المعطف بأثوته ناحية الإنسان بالحلب، والمطوّر في ابنه الذي بدله من أجلكم أجمعين وأعطانا معه كل شيء: «الذي لم يُشفق على ابنه، بل بذله لأحماً أجمعين، كيف لا ينهض أيضاً معه كل شيء» (رو ٨: ٣٢)، بكل سرور، وأعدق على الخطاة بنعمته، وستعلو أنه منذ الدهر كان يحتمل الخطاة بطول أناة ويفتادهم للنوبة بأمهال ملاحق ويغنى لظمه العائق.

ولكن في كل ذلك، الله لم يغيّر نفسه ولا غير موضعه بالنسبة للقديس بولس وبالتالي كل إنسان، ولكن لما دخل الإنسان في علاقة الحب والاتصاف بالله، وارتضى المسيح أن يعيش ويحلّ في قلب لإنسان، صانعاً شركة بالروح، يتبادل فيها مع الإنسان غناه بفقرا، وقوته بضعفنا، وبسوته لله نعرسنا، اقترّب لإنسان من الله واجترأ في روح بقوة وحياة ابنه أن يدخل إلى الله ويصير من أهل بيت الله. إذ، فالإنسان هو الذي غير موضعه من الله لئلا تبني المسيح الابن موضعنا من الله!!

كانت حيرة بولس على طريق دمشق من جهة ما حدث في تغيير موضعه من المسيح وبالتالي من الله، هي أول حيرة للإنسان انتقل فيها من عدو محارب للمسيح والله، إلى محبوب مختار مدعو لمجد سم المسيح والله، لتي بعد أن دافها القديس بولس وتأكد منها تماماً، نطق باعترافه بإنسان الإنسان — الإنسان الذي تمادى في حقه وعداوته للمسيح حتى الموت — هكذا: «إني متيقن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ... ولا خليفة أخرى تغدر أن تفصلنا عن "محبة الله" التي "في المسيح" يسوع ربنا» (رو ٨: ٣٨ و٣٩)

وهكذا، وبعيداً بعيداً عن الاعتبار اللاهوتية وتعقيدات المفاهيم الوضعية عن كل ما قيل ويُقال عن العداء والخصام والغش والمصاحبة والترير والإيمان، عندما بدأت العشرة الروحية

الصادقة بالحب المتبادل بين المسيح والقديس بولس في شركة الروح، بدأ القديس بولس يشعر بالفداء والخلص والغفران والمصالحة والتبرر والإيمان، إيمان ابن الله الذي ملأ قلبه وفكره وروحه، وجعله يُحتمل على أحنحة نعمة الله التي أغدقت عليه في المسيح الذي حلَّ في فيه.

القديس بولس أحسَّ واحترير الفداء قبل أن يعرفه، وداق المصالحة قبل أن يفهمها، وتنبس روحه بحرية أولاد الله قبل أن يهتدي إلى معناها وشروطها.

القديس بولس داقَ ونشَّم بحب المسيح الفائق والآب، فل أن يدرك قدر اللازم ونشغف الصليب، لذلك وصح الحب قبل الموت في مصلوته مشهورة: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠)، ووضع الفداء قبل التوبة: «وبن بعد خطاة، مات المسيح لأجلنا.» (رو ٥: ٨)

القديس بولس أمسك بالمسيح قبل أن يمسك بالمسيحية، واجتاحه لاهوت ابن الله قبل أن يفهم كلمة واحدة عن لاهوت المسيح. لذلك قامت مسيحية القديس بولس على المسيح وليس على اللاهوت أو المفاهيم المسيحية، لذلك فالمسيحية، عند القديس بولس، لم تكن هي الطريق إلى التعرف على المسيح، بل المسيحية عند لقديس بولس بدأت كرؤية وخبراب وتعبيرات منسجمة عن المسيح، لما حلَّ المسيح في القلب.

فالمسيحية عند القديس بولس هي ذخائر فاحرة هو ما يتصور الإنسان، أعدت بالروح بانتظار الذين سيأتون قبل أن يأتوا: «ما لم تره عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعدّه الله للذين يحبونه» (١ كو ٢: ٩). ثم يضيف الرسول بولس مباشرة — وفي الآية التالية — أنه نال هذه لتي أعدّها الله حتى أعماق الله، لأنه كان له فكر المسيح وروحه: «فأعلنه الله لنا نحن بروحه، لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله ... أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله ... ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف لأشياء الموهوبة لنا من الله ... بما يعلمه الروح القدس ... وأما نحن فلنا فكر المسيح.» (١ كو ٢: ١٠—١٣ و١٦)

القديس بولس يتأمل ويحكي عن مسيحه، فكان اللاهوت:

بولس الرسول وهو في السجن في روما أراد أن يحكي لأهل فينبي عن يسوع المسيح، الرب الروح من السماء الذي هو موضوع عبادتهم، ومصدر سعادتهم وحياتهم، ورحاء فرحهم ومجدهم. تطلم القديس بولس نحو المسيح في أعباده العليا ووصف لهم المسيح، مسيح حبه، وسيد حياته، وولي نعمته. فوصفه بأوصاف حلت من أي صفة يهودية، حتى كلمة «ابن الإنسان» التي طرحها المسيح نفسه أمام اليهود، ليذكروا أو يتذكروا ما قاله عنه دنيال، أسقطها بولس الرسول

من حسابه؛ فهو لا يخاطب يهوداً؛ بل يشهد للعالم عن المسيح، فرآه ابن الله، رآه مسيح السماء من السماء كما رآه، فأعطاه أوصافه التي لله ليبراه كل إنسان أنه مسيح كل العالم!!

ولا تسمع في هذا النشيد الذي أنشده بولس الرسول للمسيح — ويداها في السلسلة — أي اصطناع من صنعة اللاهوتيين، ولا أي تعبير يفوق عن القدر أو يحط عن القدر. وواضح أن بولس الرسول قاله في معرض الكلام وبس كمنطوق حاصل للحفظ؛ بل للتأمل كما تأمناه هو، فهو كان يتحدث هم عن التواضع هكذا بدأ الحديث: «لا شيئاً يتحزّب أو يغضب؛ بل بتواضع حاسبين بعضكم البعض أفضل من أنفسهم» (في ٢: ٣)، الترجمة هنا سقيمة ومصللة والصحيح يقرأ كالآتي: «لا تصنعوا شيئاً بدافع الذاتية أو الافتخار إنما بالتواضع حاسبين الآخرين أفضل منكم». «فلا يسطر الواحد منكم إلى ما لنفسه بل أيضاً لما للآخرين. جاعلين فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً؛

+ الذي إذا كان في صورة الله، لم يحسب حلسة أن يكون معادلاً لله،
لكه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس،
وإذا وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه، وأطاع حتى الموت موت الصليب،
لذلك رَفَعَهُ اللهُ أيضاً وأعطاها اسماً فوق كل اسم،
لكي تنحوا باسم يسوع كل ركبة
مثنى في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض،
ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربّ لمجد الله الآب.» (في ٢: ٥-١١)

هذه نعمات موزونة بالروح دون أدنى نشار، منطوقة بالإلهام بكل إحكام، تُفصح عن رؤية شاملة مصبغة لمسيح القديس بولس في الأزل مع الله قائماً في الله، ثم وهو في طريقه من الألفية إلى الزمن، ومن حضن الله لخصن الإنسان (العدراء)، ومن صورة الله لصورة الإنسان، ومن مجد الألوهة إلى وضاعة إنسان؛ بل وما بعد الوضاعة من مهانة أَوْصَنَتْهُ لموت الصليب سرور الطاعة.

ثم انتهاء المأساة، يرفقة مقتدرة حتى أعلى السموات وباسم يسود على كل الأسماء، تتوجّب له العادة، لا من دون الله؛ بل لمجد الله لأن مجد الابن هو لمجد الآب.

هذا هو مسيح القديس بولس، وهذا هو لاهوته، نعم سماوي عالي المستوى ينطفئ القلوب، يُبهر أعظم العقول، ويثير أحكم الحكماء، وبآن واحد لا يتعثر فيه طفل.

وللغاري أن يراجع هذه الآيات بتؤدة ليحسّ بعمق ما فيها من تقوى، وكأنا كان بولس

الرسول ينطقها وهو راكع، ناظراً إلى فوق حيث المسيح جالس، وينطقها لا لفلاسفة أوروبا ولا هونتييها، بل لفقراء فيليبّي الذين كانوا أول من انفتحت آذانهم لسماع أوصاف مسيح بولس واستودعوها بأمانة خزانة قلوبهم والكنيسة والتاريخ.

وفي وصح آخر، يقدّم بولس الرسول مسبحه لأهل كورنثوس في أسلوب من يحكي هائماً بثقله الأعلى، وفي جملة واحدة يجمع أغنى مواقف اللاهوت في المسيح مع أصدق حقائق فقر الناسوت الذي بدغه، مُعطياً العلة والسبب في النزول من هذا إلى ذاك: «لأنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم افتقر وهو عني لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢ كور ٨: ٩). من يصدق أن هذه الجملة تحمل أخطر قضايا اللاهوت؟ وهكذا يحكي بولس الرسول عن مسيحه، فيصير حكّيه هو اللاهوت!!

القديس بولس وشركة دم المسيح:

دخل الصليب والدم المسفوك على القديس بولس بعد أن أدرك القيامة، بعد أن أطلّ عليه الرب من السماء وهو في أوج بهاء مجده، فلما انعكس شعاع نور وجهه المضيء على صليب الآلام، أضاء الصليب عند القديس بولس وتجلّى وتعظّم وارتفع حدّاً، حيث صار عنده قوة الله للخلاص، ولما انعكست صورة حياة المجد الأسنى على الدم المسفوك، نطق الدم عند القديس بولس وتكلم وتسامى بروح أزلي. وهكذا ظلّت الآلام وظلّ الصليب والدم والموت، تأخذ قيمتها ومعناها وفعلها ودوامها وخلودها ومجدها — عند القديس بولس — من القيامة، من السماء، من الرب الروح الممجّد، كل هذا من واقع شركة القديس بولس الحية «في المسيح» الرب المحيي، التي امتدّت هي بعينها لتصير شركة في الآلام وشركة في الصليب والموت وشركة في الدم، أي في كل الحياة السالفة التي لرب الخلاص.

شركة الدم عند القديس بولس: «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح» (١ كور ١٠: ١٦)، أدركها من داخل شركته «في المسيح» الرب من السماء قبل أن يمسك الكأس في يده. القديس بولس لما تناول أول ما تناول، تناول سر الدم من يد الرب الممجّد ودمه فيه، فنال بالدم من يد الرب الممجّد شركة في صليبه كحقيقة قائمة فيه، مع آلامه وموته، وحتماً قيامته. وهكذا شرب القديس بولس الدم كحقيقة محددة سماوية، مُستغلّ فيها دم ابن الله، بروحه الأزلي القائم في المجد حنباً إلى حنب مع حقيقة صليب التاريخ والدم المسفوك في ذلك اليوم الحزين، وهكذا أعطت الحقيقة الأولى عند القديس بولس الحقيقة الثانية قوتها ومعناها وسرّها الإلهي الأزلي.

لهذا أصبح دم المسيح عند القديس بولس مساوياً في المجد والكرامة والأزلية للمسيح نفسه كابن الله الممجّد في السماء، وأيّ مساس بالدم — صار عند القديس بولس — مساوياً بالمسيح نفسه وهو في أوج مجده كابن الله القائم في السماء. «فكم عقاباً أشرّ تظنون أنه يُحسَب مستحقاً من داس ابن الله، وَحَيْثُ دم العهد الذي قُدّس به دنساً، وازدري بروح النعمة... فُخِيفَ هو الوقوع في يديّ الله الحي!!» (عب ١٠: ٢٩ و٣١)، «إذاً، أيّ مَنْ أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق، يكون مجرماً في جسد الرب ودمه.» (١ كو ١١: ٢٧)

فارق كبير وخطير جداً أن نتناول الجسد والدم، وخلفية التناول تكون مجرد شركة في جسد ودم على مستوى مسيح الآلام أو حتى مسيح العشاء السري، كانطباع لما هو في الصورة التي يرسمها لها رسام بفرشاة وأصباغ، وبين أن نتناولهما كالقديس بولس من داخل شركة حقيقية قائمة حيّة فعالة «في المسيح» الرب الروح الممجّد من السماء، حيث نتناول جسد ودم ابن الله من يد ابن الله بالروح في سرّ رهيب وحق يفوق حدود العقل والتصور.

إن الصليب والدم والموت والقيامة وشركة الدم والجسد انتقلت في ذهن القديس بولس ووجدانه — وذلك من خلال حياة الشركة «في المسيح» الرب المحيي من السماء — من حوادث وحقائق تاريخية إلى حقائق إلهية وأسرار روحية، لها القدرة على تجلّي التاريخ الذي يحملها لتعبّر عن حقائق أزلية كانت محقّقة ومكنونة عند الله منذ الأزل، واستعلنت لبدأ فعلها ولا ينتهي أبداً.

الأخلاقيات عند القديس بولس تنبع من ظهور الرب له:

لم يكن بولس الرسول معتم أخلاق، ولم يكن له منهج في ذلك، كذلك لم يحمل معه من اليهودية أخلاق اليهود، لا من قريب ولا من بعيد. ولكن الحقيقة الواضحة والناصعة جداً هي أن بولس الرسول غطّى الحياة المسيحية بنماذج من توجيهات أخلاقية عملية لم تنحرف ناحية الفكر النظري.

وكان المصدر الوحيد الذي استمد منه غيرته على الروح الأخلاقية التي يتحتم أن يتحلّى بها كل مسيحي، أو المسيحية ككل، هي «محبة للمسيح». لقد هامت روح بولس بالرب الروح من السماء، الذي أشرق عليه بوجهه المضيء اللامع والذي يبدو أنه كان متسماً، حبّاً سرق روحه منه، فلم يعد القديس بولس يشعر ببولس. إنها «وحدة الحب» أو اتحاد المحبة أو شركة المحبة؛ لأن المسيح الذي أظهر ذاته له هو هو بشخصه مسيح الجليل والبحيرة الذي أشبع تلاميذه من حبه، مسيح العشاء السري: «إذ كان قد أحبّ خاصته الذين في العالم أحبّهم إلى المنتهى» (يو ١٣: ١)، الذي في يوم من الأيام باح بسرّ حبه العنيف لتلاميذه، ولكنه أخفاه في صورة وصية:

«هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم. ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو: ١٥: ١٢)، ثم عاد وأكد: «اثبتوا في محبتي» (يو: ١٥: ٩)، «قد سمبتكم أحبباء» (يو: ١٥: ١٥)، وأجرّد دعاء قديمه كصلاة للآب كان: «وسأعرفهم سمك وسأعرفهم (بعد القيامة)، ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به، وأكون أنا فيهم.» (يو: ١٧: ٢٦)

هذا هو المسيح الرب الروح من السماء، يمارس أعجب وأعنف صور حبه، إذ احتار لحبه أشنع مشاكس وأجرأ مجذّف وأجرم مضطهد ليُظهر فيه أعماق أعماق محبة التي قال عنها نشيد الأنشاد: «لأن المحبة قوية كالموت!!» (نش: ٨: ٦)، «مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة والسيول لا تغمرها. إن أعطى لإنسان كل ثروة بيته بدل المحبة تُخفّر احتقاراً.» (نش: ٨: ٧)

لقد مارس مسيح الحب، حبه من جديد من السماء هذه المرة. فاحتطف قلب بولس من عبي طريق دمشق: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّد؟» «أنا يسوع الذي "أحبك"!! هُذِب بولس كمخطوف القلب يردد في الخفاء وفي العلن «أحبي» «أحني وأستمن نفسه لأجلي» (غل: ٢: ٢٠). لقد أوفى مسيح — يوحنا ١٧ — بوعده، فقد عرّف بولس اسم الآب الذي له «سأعرفهم اسمك»، فاستقرّ في قلب بولس حب الآب بعينه: «ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به»!! وزاد عليه — بحسب الوعد أيضاً — أن حلّ في قلب بولس: «وأكون أنا فيهم»! هذا هو قياس حب الله الآب والمسيح عند بولس الرسول بحسب تحقيق وعد المسيح!!

فإذا قرأت، أيها القارئ العزيز، في مطلع رسائل القديس بولس الرسول قوله: «بولس عبد ليسوع المسيح»، فاعلم أن هذه هي لغة الحب، فالمحبيب «يأمر» قلوب محبيه «ويستعبدهم»! فالحب إذا اشتدّ، صار عبادة، والعبادة لا تكون عادة إلا إذا ألهمها الحب. أما علاقة المحب بالمحبيب فمعروف أنها شركة بالروح واتحاد. وها هي شركة القديس بولس مع الآب وابنه يسوع المسيح في الحب، فحينما حلّ المسيح بالروح في قلب بولس حسب وعده السابق «وأكون أنا فيهم»، بدأت عند القديس بولس العبادة المسيحية، كشركة في حب الآب والابن يسوع المسيح بمنتهى الصدق والتحقيق، بدأت تأخذ قوتها وسماتها. وكانت أعظم سمات العبادة المسيحية عند بولس الرسول هي «أخلاق وصفات المحبوب»، التي استبذت بمشاعر بولس — وآلهته بكل ما قال وعلم عن الأخلاقيات في المسيحية.

ثم وقفة صغيرة لتنبيه الذهن إلى أن محبة المسيح الرب الروح من السماء كان لها نفس سمات حبه الشخصي العاطفي الجارف، ولكن كان يسند هذا الحب سلطان الألوهة الذي إذا انطرح على

النفس والمكر والروح أُنشِئَتْ؛ بل وجَدَّها تجديداً؛ بل طبع عليها صورته؛ بل سَرَّبَ إليها بهجة حضوره ونعمته، كلُّجج تكتنفها فتغمرها.

إذاً، فوحدة المحبة مع المسيح هي التي طبعت على قلب القديس بولس وفكره كل ما أخذ لنفسه، وكل ما أعطاه للآخرين من صلاح وأخلاق وسلوك المسيح، فحُيِّبَتْ لبولس أنها الأخلاق المسيحية.

ويكفي للتدليل على ذلك، أن النفس البشرية عند بولس الرسول؛ بل والجسد المسيحي، حُيِّبَتْ كـ «هيكل الله»، وأن الروح القدس يسكن فيه!! أنظر وتعجب مَنْ تكون هذه النفس، إذاً، إلا نفس المسيح!! أو النفس التي ينبغي عند بولس الرسول أن تكون كنفس المسيح؟

ثم انظر وتعجب، فالرجل والمرأة معاً هما في حالة الزواج كيف يسلكان وبأي أخلاق يتخلَّقان، عند بولس الرسول، وكيف رآهما بولس أو بَمَنْ قَيَّمهما؟ قَيَّمهما بالمسيح والكنيسة!! هكذا يرى بولس الرسول الرجل في الزيجة كيف يسلك كالمسيح والمرأة تسلك ككنيسة...

ثم انظر وتعجب، ماذا يرى بولس الرسول في جماعة اجتمعت معاً على الإيمان كيف يسلكون وبأي أخلاق يتخلَّقون وبماذا يشبَّههم؟ يشبَّههم بجسد له أعضاء كثيرة والمسيح فيه هو الرأس!!

ثم انظر وتعجب، إذا اجتمع يهوديٌّ، وأُمِّي، وعبد، وسيد، ورجل، وامرأة على إيمان واحد بالمسيح، فكل الفوارق والفواصل التي تفرِّق بين جنسياتهم ومراتبهم وجنسهم — عند بولس — تكون قد سقطت عنهم ليسلكوا بالروح كروح واحد في المسيح، لا فرق، لأن المسيح واحد في الجميع.

ثم انظر وتعجب، إن كان أَعْ ما ضعيفاً في الإيمان، فلا ينبغي — عند بولس الرسول — لأحد أن ينتقده أو يُثِرَّه لماذا؟ لأن المسيح مات من أجله!! (١ كور ٨: ١١)

واضح إذاً أن حب المسيح لبولس وحب بولس للمسيح على مستوى الشركة أو الوحدة أو الاتحاد، هو الذي صاغ فكر بولس؛ بل روحه ووجدانه الأخلاقي، فكل اتجاه أخلاقي تفرضه محبة المسيح وتسود عليه.

ثم إذا انسق إنسان فأخَذَ في زَلَّه ما (حطية مُدَّة أي فضيحة) فمادا يكون الأمر عند بولس؟ يقول: «فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروج الوداعة ناظراً إلى نفسك لئلا تُجَرَّب أنت

أيضاً. احمِلوا بعضكم أثقال بعض — (على أي أساس): وهكذا تمموا ناموس المسيح. » (غل ٦: ٢و١)

وأخيراً، بماذا يشبه بولس الرسول: «الكنيسة» — كجماعة المؤمنين؟ يشبهها بامرأة جميلة مقدسة لا عيب فيها ولا آثار شيخوخة أو أي شيء مثل هذا؛ بل عذراء عفيفة مخطوبة للمسيح!! (أف ٥: ٢٧، ٢ كو ١١: ٢). أيمكن أن يكون هناك تعبير عن حب المسيح للإنسان أعظم من هذا؟

وهكذا، وفي انحصار حب المسيح، يصوّر بولس الرسول لنفسه وللآخرين ما يفرضه هذا الحب لكل قضية جماعية أو فردية، أخلاقية أو سلوكية، ظهرت أينما ظهرت. فمحببة المسيح عند بولس الرسول هي منبع الأخلاق، وسيدة السلوك، وأصل كل صلاح، ومُلهمّة النسك والتقوى، وهي الناموس الجديد الذي يُملئ وصاياه في قلب المحبين.

عزيزي القارئ، بولس الرسول كان يحتسب نفسه غير مستحق لهذا الحب وهذه الشركة من أجل ما اقترفت يده، ولكن احتسب أن الله رحمه، لأنه في جهل وفي عدم إيمان صنع ككل ما صنع، ثم اختاره الله وانتخبه المسيح كخاطئء أسرف في خطاياها، وسكب في قلبه هذا الحب؛ بل سكب حياته فيه لكي يتجراً ويدعو كل الخطاة لهذا الحب بعينه وهذه الشركة عينها والحياة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح!! فهلأُبلّغْتُ؟

الباب الثاني

صفات القديس بولس ومنهجه العام

الفصل الأول

صفات القديس بولس الشخصية واتجاهاته العامة

وبعد أن استوفينا ظروف مولده ونشأته وتعليمه، ستعرض هنا صفاته الشخصية واتجاهاته العامة.

في اعتبارنا أن صفة التغير والقدرة على تخطي الماضي للإمساك بالأفضل هي من أهم صفات بولس الرسول: «أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسي أنني قد أدركت، ولكني أفعل شيئاً واحداً، إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام، أسعى نحو العرض لأجل جقالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع.» (في ٣: ١٣ و١٤)

أ - الانتقال الدائم من الجسد إلى الروح:

منذ ظهر الرب يسوع المسيح للقديس بولس في السماء، بوجهه المضيء جداً بلمعان أكثر من الشمس، وحيث نفذت أشعة بهاء مجد المسيح الحي واستقرت في أعماق نفسه، حفرت في روحه مجد الوجه الأقدس الذي ظل يشع عليه بنور استعلان إنجيله. لقد بدأت تسري في كيانه الروحي عناصر استعلان المسيح، وتسجل في وعيه صفحة وراء صفحة، كما بإصبع الله. ولقد نقل لنا خبرته هذه بأسلوب حي صادق: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف (بدون برقع الناموس)، كما في مرآة، تتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح.» (٢ كو ٣: ١٨)

وهكذا، ومن الرسائل التي ورثناها من خزانة بولس لرسول الروحية والتي استوعبتها الكنيسة، تأتينا شذرات متفرقة على مدى رسائله، أتت منه عفواً، ولكن لوجعناها معاً لأعطينا صورة لبولس الرسول، يسهل ترجمتها بحسب معايير الجسد والروح.

ولكن الذي يؤكد بولس الرسول هو استحالة بقاء الصورتين: الجسدية والروحية، على حال. فنمو الروح نحو الجمال والكمال بحسب صورة المسيح يستلزم تقهقر الجسد بأخلاقه وميوله وشهواته وانسحابه تدريجياً أمام متطلبات الروح: «إن كان إنساننا الخارج يعنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً» (٢ كو: ١٦). ويلاحظ هنا أن في حالة القديس بولس، ابتداء الجسد بتقهقر أولاً ليأخذ الروح مكانته. ويعود ويؤكد هذا مرة أخرى في صورة الخلع قبل البس: «لا تكذبوا بعضكم على بعض، إذ خلعتكم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديده الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه.» (كو: ٣: ١٠)

ووقوف الجسد تجاه الروح في عملية الحياة الجديدة يعطي حتماً متناقضات ولكنها بضبط الروح تبدو لصالح الحياة.

ب — المتناقضات في حياة القديس بولس:

المتناقضات في حياة بولس الرسول كثيرة وذات أهمية بالغة عند أي باحث في حياة بولس، لأنه يقيس عليها قوة التغيير الذي جازه ومدى اندفاعه!! فإذا لم يعمل لها الدارس من حساب، طوّحت به بعيداً عن حقيقة الرسول وأوقته في إعثارا!

١ — الضعف يقابله القوة:

إد أوضح مضادة في حياة بولس، هي المضادة التي أنشأها الله فيه كأساس للملاء والامتداد والارتفاع!! لأن أظهر ما في صفات القديس بولس الجسدية هو مرضه — الذي أصابه بعناية الله — والذي ألهم الضعف والشعور بالثقل على الآخرين: «ولثلا أرتفع بفرط الإعلانات أُعْطِيتْ شَوْكَةً في الجسد، ملائكة الشيطان، لِيَلْطَمَنِي لثَلا أرتفع. من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يعارقني، فقال لي تكفك نعمتي لأن قوتي في الضعف تُكْمَلُ» (٢ كو: ١٢: ٧-٩). هكذا بدأ التناقض لحساب حياة بولس الروحية.

لم ييأس بولس ولم يَشْكُرْ لضربة الشيطان، ولم يفرزها كألمها غرامة بلا مقابل، بل سلط عليها نعمة المسيح، فرآها جزءاً لا يتجزأ من خلاصه، وضماناً لنزيد من الارتفاع والتعمق، فهتف بروح الانتصار وهو تحت المرض: «فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي، لكي تحلَّ عليَّ قوة المسيح. لذلك أُسْرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح، لأنني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوي.» (٢ كو: ١٢: ١٠)

وليلاحظ القارئ هنا أن القديس بولس لم يرتفع فوق الأمراض والضيقات والاضطهادات

فقط، بل حوّلها إلى قوة في نفسه: «لأنني حينما أنا ضعيف، فحيث أنا قوي»، لأنه اعتبر أن المرض والضييق والاضطهاد هي عوامل مُرتبطة من الله لتأمين ما حصله من نعمة، وضمانات لمزيد من الإعلانات ذات الارتفاع! لذلك لم يتوقف عند الرضى بالضعف بل صيّرهُ مَسْرَةً: «لذلك أَسْرُّ بالضعفات». وفي هذا يتشبه القديس بولس بالمسيح الذي قيل عنه: «الذي من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب مستهيناً بالحزني فجلس في عِين عرش الله.» (عب ١٢: ٢)

ومن هذه الخبرة الحية التي خُطّت في جسده ونفسه وروحه خطأ تعليمياً لا يُمحى، استطاع بولس الرسول أن ينقله من نفسه إلى الآخرين في تعليم يفوق المطلق البشري، حتى إن العقل لا يمكن أن يصدقه لولا أنه قد أعطى النموذج من حياته: «لأننا نفرح حينما نكون نحن ضعفاء، وأنتم تكونون أقوياء» (٢ كو ١٣: ٩). هذا الشعور يستحيل على الإنسان أن يجده موقّعاً توقيعاً صادقاً إلا عند الآباء والأمهات من نحو الأبناء، ولكن أيضاً ليس كل الآباء ولا كل الأمهات، بل النخبة منهم التي بلغت الفطرة أو التقوى فيهم حدّها الناضج جداً في بذل النفس.

هذا هو القديس بولس الذي بعد أن بدأ علمه اليهودي عند رجلي غمالاتيل، أكمله بدرجة الشرف الأولى تحت الصليب.

لقد أنهكت الرسول بولس الاضطهاداتُ الجسدية، وأوصلته إلى حافة الموت عدة مرات، وكلّ منها كان هو الموت بعينه، فهو يعدّد أنواعاً عجيبة منتقاة من صنوف الآلام التي لا تخطر على بال، وهي التي لاقاها من كل جهة بصورة تهز العواطف هزاً:

+ «في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مراراً كثيرة، من اليهود خمس مرات قَبِلْتُ أربعين جلدة إلا واحدة، ثلاث مرات ضُرِبْتُ بالعصى، مرّة رُجِمْتُ، ثلاث مرات انكسرت بي السفينة (يضاف إليها كسر السفينة في رحلته الأخيرة إلى روما)، ليلاً ونهاراً (أي يومٌ بِلَيْلَةٍ) قضيتُ في العمق (البحر)، بأسفار مراراً كثيرة (مشقات السفر): بأخطار سيول، بأخطار لصوص، بأخطار من جنسي، بأخطار من الأمم، بأخطار في المدينة، بأخطار في البرية، بأخطار في البحر. بأخطار من إخوة كذبة، في تعب وكد، في أسفار مراراً كثيرة، في جوع وعطش، في أصوام مراراً كثيرة، في برد وعُري.» (٢ كو ١١: ٢٣-٢٧)

ولكن اسمع تقريره عن مستوى هذه التعاديب بل والمصائب في نظره: لقد احتسبها مُزَكِّيات للخدمة وبرهاناً لصحتها وتفوقها، واضعاً تقييمه لها على رأس القائمة: «أهلّم حدام المسيح؟ أقول كمختلّ العقل (بسبب الافتخار) فأنا أفضل: في الأتعاب أكثر ...» (٢ كو ١١: ٢٣)

وقد بصمت هذه التعذيب والأضرار بصماتها على جسده، فعاد يفخر بعلامات الضرب والجلد التي شوّهت جسمه: «فيما بعد لا يجب أحد عليّ أتعباً لأني حامل في جسدي سمات الرب يسوع» (عل ٦: ١٧)؛ بمعنى أنه لم يُعَد مزيد، فالجسد استوفى شهادته للمسيح، لأنه بالرجوع إلى عادات ذلك الزمان، نعرف أن السيّد، لكي يضمن عدم هروب العبد الذي يشتريه، فإنه يكويه بالسبخ المحمّي بالنار على شكل علامات أو شُرْط. وبولس الرسول يشير إلى أنه بهذه السمات قد صار عبداً ليسوع المسيح، مستوفي العلامات من ضَرْب العصي ولَسْع الجلدات وربما كسر العظام.

ثم يعود ويرتفع مفهوم هذه التعذيب التي عاناها في جسده ليضعها بجوار تعذيب صليب المسيح، ويصمها إليها بجرأة يُحسد عليها: «الذي الآن أفرح في الآمي لأحلكم وأكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأحل جسده الذي هو الكنيسة» (كو ١: ٢٤). وبولس الرسول هنا يضيف آلامه لحساب الكنيسة، ونحن قد حسناها فعلاً ذخيرة لنا، فالآلام القديسين التي عانوها على التقوى، تشدّدنا.

وبولس الرسول بعد هذا السرد المرعب لتعديبات التي نالها، وبهذا الجسد المنهوك، يظهر كعجبار عمل، وعملاق خدمة، وبطل رحلاتٍ يجوب فيها البلاد من الشرق إلى الغرب مرات ومرات! وكأنه يتحدى الضعف ويتخطى حاجز الموت: «إننا من أجلك نَمَاتُ كل النهار. قد حُسِبْنَا مثل غنم للذبح» (رو ٨: ٣٦)، بل يتحدى الشكوى ويصيّرُها افتخاراً!! ويتجاهل كل حقوقه في حياة هادئة مريحة ويدعونا إلى ذلك: «لا يترعزع أحد في هذه الضيقات، فإنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا ... إننا عتيدون أن نتصايق كما حصل أيضاً ...» (١ تس ٣: ٤٣).

وأيضاً لينتبه القارئ هنا إلى منهج بولس الأساسي في «التعويض»، فهو يرى أن كل تعذيب نجوزه، حتى إلى حد الموت، هو وبعينه قد وُهب لنا لينشئ فينا حياة: «حاملين في الجسد كل حين إمامة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا، لأننا نحن الأحياء نُسَلِّم دائماً للموت من أجل يسوع، لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت». (٢ كو ٤: ١١و١٠)

وبولس الرسول هو الذي احتسب الآلام في المسيحية هبة!!! «لأنه قد وُهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله». (في ١: ٢٩)

ثم وبعد هذا كله، من مرض وضعف وتعديبات جسدية فُرِصت عليه، يعود ليحكي عن شدته على جسده حتى أنه لا يعطيه راحة!! «أقمع جسدي وأستعبده» (١ كو ٩: ٢٧). فيا للقوة في هذا

الإنسان الذي سحقتة المحن وما ضُفِّفَ قط!!

٢ - الانضاع يقابله الشموخ:

ليس في الرسل جميعاً مَنْ ضاهى بولس في انضاعه وانسحاق روحه، وليس فيهم مَنْ رفع رأسه ببأس وشموخ بالنعمة التي فيه على نفس القدر.

+ «وآخر الكل، كأنه للثَّقُط (ما يولد مُبْتَسِراً قبل اكتمال زمان الحَمَلِ به) ظهر لي أنا، لأنني أصغر الرسل، أنا الذي لست أهلاً لأن ادعى رسولاً لأنني اضطهدت كنيسة الله، ولكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة، بل أنا تعبتُ أكثر منهم جميعهم، ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي.» (١ كو١٥: ٨-١٠)
+ «أهم خُذَام المسيح؟ أقول كمختل العصف فأنا أفضل!...» (٢ كو١١: ٢٣)

لاحظ كيف ينزل بولس الرسول إلى الخصييض في شعور صادق، ليأخذ الموضع الأخير في مصاف الرسل، ثم يعود ويحطُّ نفسه عن مستوى الكاملين في المدعوين كمن وُلِدَ في غير اكتمال (كالثَّقُط)، بل يتمادي ويرفع أهلية الرسولية عنه بالكلية، فهو لا يجيز ولا يستسيغ أن مَنْ يضطهد الكنيسة يُصبح ليكون لها رسولاً. ولكن، وبعد هذا التذليل لنفس التي صيرها الدُّلَى بين الرسل، يعود بعجب ما بعده عجب ليرفع قرنه على الرسل أجمعين مستنداً على النعمة التي أسقطت من عينيه كل ذلّة، ورفعته بالأتعاب كما على صليب ليرى أفضليته عن الجميع، في كلامه التي فاقت الكل!!

وبولس الرسول لا يدّعي لنفسه الانسحاق، ولا يدّعي لها الأفضلية، بل هذا هو واقع حاله، يصفه بغير رياء ولا كبرياء، فالنعمة هي التي سحقتة وهي نفسها التي رفعتة: «بنعمة الله أنا ما أنا... ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي». وهو يرى الانسحاق ويرى الارتفاع بآد واحد. وهكذا أُمْنَتُهُ النعمة من السقوط في حزن اليأس من جرّاء ما اقترف، كما أُمْنَتُهُ من كبرياء الافتخار من جرّاء ما استُعْلِلَ له وارتفع به.

+ «وأنا كنت عندكم في ضعف وخوف ورعدة كثيرة، وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة.» (١ كو٢: ٤٣)

فاظر أيها القارئ كيف يجمع الضعف والخوف والرعدة الكثيرة مع برهان الروح والقوة!

٣ - الرقة يقابلها الحدة:

هذه إحدى المتناقضات الحادة في طابع بولس الروحية. رفته المتناهية في حنو يفوق حنو الأم، عن واقع وعن دموع، وفي نفس الوقت يقابل هذا حدة تبلغ العضب المشتعل والانتهاز العنيف والتهديد بتعبير الصوت (الزئيق) وضرب العصي!!

ففي رفته ووليه وترفقه يقول:

+ «إن فرحي هو فرح جميعكم، لأنني من حزن كثير وكآبة قلب كتبت إليكم، بدموع كثيرة، لا لكي تحزنوا، بل لكي تعرفوا المحبة التي عندي ولا سيما من بحوكم.» (٢ كو٢: ٤٣)
+ «أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا كيف كنت معكم كل الرماة أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة.» (أع٢٠: ١٨ و١٩)

+ «لأن كثيرين يسиров، من كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم أيضاً باكياً وهم أعداء صليب المسيح.» (في٣: ١٨)

+ «كما تعلمون كيف كنا نعظ كل واحد منكم كالأب لأولاده ونشجعكم.» (١ تس٢: ١١)

+ «كأولادي الأحباء أذكركم. لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح، لكن ليس آباء كثيرون، لأنني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإبجيل.» (١ كو٤: ١٤ و١٥)

+ «يا أولادي الذين أتمخص بكم (كالوالدة) أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم.» (غل٤: ١٩)

+ «كسا متروفتين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها، هكذا إذ كنا حائنين إليكم، كنا نرضى أن نعطيكم، لا إبجيل الله فقط بل أنفسنا أيضاً، لأنكم صرتم محبوبين إلينا.» (١ تس٢: ٧ و٨)

+ «لأن من هو رجاؤنا وفرحنا وإكليل افتخارنا؟ أم لستم أنتم أيضاً أمام ربنا يسوع المسيح في مجيئه، لأنكم أنتم مجدنا وفرحنا.» (١ تس٢: ١٩ و٢٠)

+ «لأننا الآن نعيش، إن ثبتتم أنتم في الرب، لأنه أي شكر نستطيع أن نعوض إلى الله من جهتكم عن كل العرج الذي نفرح به من أجلكم قدام إلهنا.» (١ تس٣: ٩ و٨)

+ «سلموا على رؤوس المختار في الرب وعلى أمه أُمِّي.» (رو١٦: ١٣)

بل وتوجد رسائل بجملة تنضح بالرقة واللفظ والمشااعر الحميمة والمودة الشديدة مثل الرسالة إلى فيلبي أو التي إلى فلبيون، وهي رسائل من سجن وتحت القيود!!

- + «لأنني حافِظُكُمْ في قلبي، في وُثْقي، وفي المحاماة عن الإنجيل وتبشيره، أنتم الدين جميعكم شركائي في النعمة، فإن الله شاهد لي كيف اشتاق إلى جميعكم في أحشاء يسوع المسيح.» (في ١: ٨و٧)
- + «يا إحتوي الأحياء والمشتاق إليهم يا سروري وإكليبي اثبتوا هكذا في الرب أيها الأحياء.» (في ٤: ١)

ثم لوقرأ القارئ، وعلى مهل، الأصحاح الثالث عشر من رسالته الأولى إلى كورنثوس، يدرك أي أعماق من المحبة تجيش في صدر ذلك الرسول وتناجج تحت قلمه، فتفيض في حنو وصدق وأصالة ليس فيها أي اعتعال، ولا يشوبها تهويل!

ولكن في مقابل هذه الرقة واللفظ والمشاعر المزدحمة بالعواطف تجاه الصغفاء والمستجدين في الإيمان، يقف بولس الرسول مواقف الشدة مع العنف بتوبيخ وتهديد وكأن سماء الحب اكتمهت عن نوره شديد ورعد وغضب تجاه المخالفين والمرتدّين وأنصاف المسيحيين من اليهود...

- + «إني أنعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر... أيها الغلاطيون الأغبياء من رفاقكم (كتب لهم تعويذة سحر — رُقِيَّة) حتى لا تدعوا للحق... أهكذا أنتم أغبياء؟ أبعد ما ابتدأتم بالروح تكلمون الآن بالجسد؟» (غل ١: ٦، ٣: ١٧و١٨)

- + «فمن صدّكم حتى لا تطوعوا للحق؟ ... يا ليت الذين يقنقونكم يقطعونكم أيضاً.» (غل ٥: ١٢و١٣)

- + «ولكنني كنت أريد أن أكون حاضراً عندكم الآن وأُغيّر صوتي (ازعق)، لأني متحير فيكم.» (غل ٤: ٢٠)

- + «الآن أكتب للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين، إني إذا جئت أيضاً لا أشفق.» (٢ كو ١٣: ٢)

- + «ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان، متى كملت طاعتكم.» (٢ كو ١٠: ٦)

- + «ماذا تريدون؟ أبغضاً آتي إليكم...» (١ كو ٤: ٢١)

- + «لأن مثل هؤلاء هم رُسل كذبة، فعلة ماكرون، مُغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح، ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور...» (٢ كو ١١: ١٣و١٤)

بل لم يعمل بولس الرسول في غضبه لأجل حق الإنجيل اعتباراً للمواقف الحساسة، ولا اختشى من جهة من هم أقدم منه في الإيمان والرسولية، إذ انفجر في بطرس الرسول المحسوب أنه

يقدم الرسل وويخه جهاراً أمام المؤمنين:

+ «ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية، قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً.» (غل ١١: ٢)

ولكن بهذه الخلة والشدة وعدم الخشية من نومة لائم إزاء حق الإنجيل، وصلنا الإنجيل على يدي بولس خالياً من ملامة. وصارت به الكنيسة: «لا دنس فيها ولا غش أو شيء من مثل ذلك.» (أف ٥: ٢٧)

وسن الآل سدرك وماقتناع الروح، أن عنف بولس نجى الإنجيل من عثرة الختان ومن ثقل السيت وظلّ الداموس القاتم، لقد استلمنا الإنجيل من بعد بولس الرسول، والمسيح يتألق فيه بمجد الألوهة لنعبده خلواً من وصايا هي تعاليم الناس «وخرافات مصنعة» (٢بط ١: ١٦)، «ونوافل عبادة» (أنظر كو ٢: ٢٣).

٤ — الحزن يقابله الفرح:

تعتبر هذه المضادة في شكلها الخارجي شبه مستحيلة الوقوع، ولكن بعد اختبار التفريق بين ما هو للحسد وما هو للروح، وبعد التسامي بالروح فوق مشاعر الجسد والنفس، تصبح هذه المضادة متوقعة بل ومطلوبة. فالإنسان الطبيعي يمر عليه حينما يقع في الحزن أن يعتبر الفرح بأن واحد. أما الإنسان الروحي الذي احترق الحاجز ما بين الجسد والروح وعاش بالروح، واستوطن في مسرات السماء، ولو إلى زمن محدود، وذاق الفرح الإلهي، فإنه يسهل عليه أن وقع في أحزان الجسد الختمية، أن يتسرب بروحه ويتحصن في الرجاء بالسماءيات فيتدوق ويختبر أعجبت فترات العزاء والفرح السماوي وهو تحت ضغطة الآلام وثقل أحزان النفس. هذا نراه في أوج عظمتة عند القديسين والشهداء الذين كانوا يتهللون بابتهاج وهم يعانون الاضطهاد والتعذيب مهما بلغت سطوته حتى وإلى الموت.

لقد عاين بولس هذا المنظر، وإستفانوس يُرجم حتى أسلم الروح. فكان ذلك مصدر إلهامه فيما بعد: «فشخص إليه جميع الجالسين في المجمع ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك ... وأما هو فشخص إلى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس، فرأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله فقال: ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله ... فكانوا يرجون إستفانوس وهو يدعو ويقول: أيها الرب يسوع اقبل روحي ... وصرخ بصوت عظيم: يا رب لا تقيم لهم هذه الخطية. وإذا قال هذا رقد!!!» (أع ٦: ١٥، ٧: ٥٥-٦٠)

لقد ذاق بولس الرسول الفرح الروحي وهو تحت التعذيب، إن بالضرب أو الجلد أو الرجم،

وعن إختبار ينادي « كحراني ونحن دائماً فرحون ... » (٢ كو: ١٠)؛ « لأنكم رثيتم لقيودي أيضاً، وقبِلْتُمْ سَلْبَ أموالكم بفرح، عالين في أنفسكم أن لكم مالأً أفضل في السموات وباقياً. » (عب: ١٠: ٣٤)

٥ - الخوف والضيق واليأس بقباله الرجاء والعزاء والفرح:

+ «لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شيء من الراحة، بل كنا مكثيين في كل شيء، من خارج خصوصاً، من داخل مخاوف، لكن الله الذي يُعزِّي المتضعين عزَّانا ... الآن أنا أفرح. » (٢ كو: ٧: ٥ و ٦ و ٧)

+ «ظانين أنهم يُضيقُون إلى وُسْطَي ضيقاً ... بهذا أنا أفرح، بل سامح أيضاً ... حسب انتظاري ورجائي أنني لا أُخرى ... » (١ كو: ١٦ و ١٨ و ٢٠)

+ «لأننا لهذا نتعب ونُعبِّر، لأننا قد ألقينا رجاءنا على الله، الحي الذي هو غلَّص جميع الناس ولا سيما المؤمنين. أوْصِرْ بهذا وعِظْ. » (١ تي: ٤: ١٠ و ١١)

+ « (لحبة) تحمل كل شيء (صيق وحزن واحتناق)، وتصدِّق كل شيء (من وعود الله)، وترجو كل شيء (من يد الله). » (١ كو: ١٣: ٧)

ج - بولس الرسول مواطن العالم كله Cosmopolitan:

بولس احتسب نفسه - بعد أن نال الحرية في المسيح - مواطناً لكل العالم، فكان لليهود يهودياً، وللليوناني يونانياً، وللأمم أمياً، ولكل شعب ولون وجنس صار كذلك، لكل لنكل، كسيده، ليربح على كل حال قوماً لحساب الذي ربح لنا السماء وطناً أدياً: «فإني إذ كنت حراً من الجميع استعصدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين، فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود، وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس، وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع أنني لسب بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح لأربح الذين بلا ناموس، صرت للضعفاء كضعيف لأربح للضعفاء، صرتُ لنكل كل شيء لأحلَّص على كل حال قوماً، وهذا أنا أفسه لأجل الإنجيل لأكون شريكاً فيه. » (١ كو: ٩: ١٩-٢٣)

كان القديس بولس قانعاً أن تُقرأ رسائله في الكنائس التي أرسل إليها، ولم يَدْرِ أنه فرضها على العالم بكل قارَّاته وبلاده لملايين وملايين من الناس، من كل الأجناس، ولآلاف السنين!

وكانت الكتابة وحيدة لغة الرسائل يحسبها العالم القديم من الآداب ذات الأصول والقوالب المحفوظة والشابثة، ولقد أخذ بولس الرسول بطابع عصره، ولكن لم تكن رسائله أبداً قطعاً أدبية

دات صيغ فلسفية، وإلا لكانت قد دوت وعفا عليها الزمن بتغير العصر ولغة العصر وآدابه! ولكنها بغير حياة فتية في قمة حيويتها، بعد ألفين من السنين، ولدى كل العلماء والأدباء والمؤمنين على اختلاف مستوياتهم ومداركهم، لأنها روحية كُتِبَتْ بإلهام نفس اكتملت فيها عناصر الوعي الإنساني، المنفتح على الله، فلاقَ بها أن تكون على مستوى كل إنسان ولكل العالم.

وكان بولس الرسول يكتب على مستوى الذين يرعاهم، فكان يتمادى في التبسط أحياناً لينزل إلى مستوى الضعفاء منهم، ولكن بلغة الروح أيضاً: «وأنا، أيها الإخوة، لم أستطع أن أكلّمكم كروحيين، بل كجسديين، كأطفال في المسيح سقيتكم لبناً لا طعاماً، لأنكم لم تكونوا بعد نستطيعون بل الآن أيضاً لا نستطيعون.» (١ كور ٣: ١ و٢)

ولكن كان يرتفع بالتالي إلى مستوى «الحكمة» كما يقول وهو يقصد الفلسفة، ولكن على مستوى الروح، وليس على مستوى الفكر والكلام: «وأنا لما أتيتُ إليكم أيها الإخوة، أتيت ليس أسمو لكلام أو الحكمة مسادياً لكم بشهادة الله ... لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر ولا من عظماء (فلاسفة اليونان) هذا الدهر الذين يُظَلُّون (كل فلسفة لزمانها فقط) بل نتكلم "بحكمة الله" في سرّ. الحكمة المكتومة، التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا، التي لم يُعلّمها أحد من عظماء هذا الدهر.» (١ كور ٢: ١ و٦ و٨)

نفهم من هذا أن رسائل بولس الرسول لا تقتل في واقعها فكر بولس الفلسفي، بل هي وحي الروح وتذافُع من النعمة، استوعبها القديس بولس فملكته عليه ملكاته وصاغت لغته وأدبياته، واحتفظت بدماساته ويهوديته وتراث أجداده. ولكنها في خلاصتها، هي عطية الله للكنيسة، كنيسة الدهور لكل العالم، ليس لها وطن على الأرض تستقر فيه، لأن مصدرها ومقرّها السماء. لهذا بقيت رسائل بولس الرسول فعالة تجدد وجه الأرض.

المنهج السيامي عند بولس الرسول:

من أوضح التغييرات التي شملت بولس الفريسي والebraي، لتثقله من إنسان اليهودية المنحصر في أرضه وزمانه وكيانه إلى إنسان العالم كل العالم، ذلك التغير الذي حدث له في النظرة إلى الإمبراطور والحكومة الرومانية المسيطرة على البلاد التي كانت في اعتبار يهود فلسطين كعدو، وكأوا يصطّلون إلى الله صدها ويعبّثون المشاعر لمقاومتها بكافة الوسائل، إن بالمعصيان أو الحرب. وإذا ببولس الرسول في المسيح، الذي صار حراً من الجميع، مستوطناً السماء ومتغرباً على أرض الإنسان، لا يعود يرى الملك المستعمر إلا مختاراً من الله، ومعيناً من قبيله، يتحتم الخضوع له والصلاة من أجله، هذه النظرة التي ظلّت حتى اليوم وفي كل ممالك الأرض حصن أمان للمسيحي

أن يحيا في سلام مع الجميع. وفي آيتين جمع بولس المنهج المسيحي للسياسة: «لتخضع كل نفس للسلطين الفائقة (ἐξουσίας ὑπερεχούσας) بمعنى سلطات متسلطة فوق الناس) لأنه ليس سلطان (سلطة) إلا من الله، والسلطين الكائنة (القائمة الآن) هي مُرتبة من الله، حتى إن مَنْ يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة ... لذلك يلزم أن يُخضع له، ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير ... فأعطوا الجميع حقوقهم، الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية، والخوف لمن له الخوف، والإكرام لمن له الإكرام» (رو ١٣: ١-٧). وهذا في رسالته إلى أهل رومية عاصمة الإمبراطورية ومركز سيطرة الأباطرة على مقدّرات كل شعوب الأرض في ذلك الزمن.

+ «فأطلب أول كل شيء أن تُقامَ ظَلَبات وصلوات وابتهالات وتشكرات لأجل جميع الناس، لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب، لكي نقضي حياة مطمئنة هادئة في كل تقوى ووقار، لأن هذا حسن ومقبول لدى مُخلصنا الله.» (١ تي ٢: ١-٣)

وكان لتقنين بولس الرسول لسياسة التعامل مع الملوك والحكام أثره البالغ في حياة الشعوب المسيحية حتى إلى العصور الحديثة، ولكن للأسف قد اختلت العلاقات بين الشعوب وملوكها بسبب فقدان روح التقوى والصلاة، والإخلال بالشروط الروحية التي رسمها بولس في رسائله.

الافتتاح على الأمم:

إن العقبة الكأداء التي وقفت أمام اليهود — وحتى أنقاهم — حائلاً دون التعامل مع الأمم هي الناموس الذي قُدّس الحثان، فجعل غير المختونين أنجاساً لا يمكن الاختلاط بهم أو التعامل معهم بأي صورة. فالأُمم في الناموس هم بكلمة واحدة «خطاة»، وبالتالي بحسب التقليد اليهودي العام هم «كلاب»: «ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويُطرح للكلاب» (مر ٧: ٢٧)، باعتبار أن الكلب هو النموذج الأشد للنجاسة.

بولس الرسول عاش تحت هذه الاعتبارات، بل تغالى فيها بحكم «طريق عبادته الأضيق» أي الفرّسية. أما كيف يفتح على الأمم بعد ذلك، فهذه هي معجزة المسيح والمسيحية التي سكنت في روحه عوض الناموس والحثان! فقد استعلن في دم المسيح المنتصر الذي هدم هذا الحائط المتوسط والسياج الذي كان يحجز الشعب اليهودي عن شعوب الأرض. أي الناموس ومعه الحثان!:

+ «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين، وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشرته بالموت، ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه ... عاملاً الصلح بدم

+ «لذلك ادكروا أنكم الأمم قبلًا في الجسد المدعويين عُزْلَةً من المدعُوختاناً مصنوعاً باليد في الجسد، أنكم كنتم في ذلك الوقت بدون مسيح، أحنبيين عن رعية إسرائيل، وغرباء عن عهود الموعد، لا رجاء لكم، وبلا إله في العالم؛ ولكن الآن في المسيح يسوع، أنتم الذين كنتم قبلًا بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح. لأنه هو سلامنا (معاً) الذي جعل الاثنين (اليهود والأمم) واحداً، ونقض حائط السياج المتوسط أي العداوة، مُبْتَلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به.» (أف: ٢: ١٦-١١)

بهذا استطاع بولس الرسول أن ينقل ملكية الله لشعب إسرائيل دون سواه بوج الاحتكار، إلى ملكيته للأمم أيضاً بدون تمييز، وهذه معجزة المعجزات بالنسبة لرؤية اليهودي، أي يهودي.

+ «إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان (بالمسيح) بدون أعمال الناموس، أم الله لليهود فقط؟ أليس للأمم أيضاً؟ بلى، للأمم أيضاً!!!» (رو: ٣: ٢٨ و ٢٩)

هذه المقولة لو سمعها منه يهودي أرثوذكسي لقتلته.

حكم الضمير الإنساني لدى الأمم على مستوى حكم الناموس:

لقد استطاع بولس الرسول أن يدخل ضمير إنسان العالم كل العالم، وذلك من رؤية روحية غير متحيزة من جهة يهوديته السابقة، ليرى في الضمير البشري صدقاً واضحاً لصوت الله ليس أقل من مفردات الناموس!

+ «لأن الأمم الذين ليس عندهم الناموس، متى فعلوا بالطبيعة ما هو في الناموس، فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس، هم ناموس لأنفسهم، الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم، شاهدأ أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي يسوع المسيح.» (رو: ١٤-١٦)

هذا الفكر يُحتسب لبولس الرسول أرقى مستوى من أن يدفع إنسان حرّاً، فما بالك برجل يهودي وقرّيسي أيضاً؟ هذا شيء يُذهل العقل! وهذا يؤكد صدق احتسابنا لبولس الرسول أنه «مواطن كل العالم». بل ويعود بولس الرسول ويطالب ضمير الأمم بمستوى عالي من الأخلاقيات، فهو يخاطب أهل كورنثوس عن حادثة زنى يأبى عليهم أن تكون بينهم: «يُسْمَعُ مطلقاً أن بينكم رنى، وزنى هكذا لا يُسمى بين الأمم، حتى أن تكون للإنسان امرأة أبيه»

(١ كور ٥: ١). وصحة الترجمة هكذا: «بلغنا في الواقع أن بينكم زنا، وزنا مثل هذا أن يكون للإنسان امرأة أبيه لا يمكن أن يوجد حتى بين الوثنيين».

كذلك لا ننسى موقف بولس الرسول في أثينا وهو يخاطب الوثنيين بهذا الخطاب: + «فوقف بولس في وسط أريوس باغوس وقال: أيها الرجال الأثينيون، أراكم من كل وجه أنكم متدبِّنون كثيراً، لأنني بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه "لإله مجهول"، فالذي تَتَّقُونَهُ وأنتم تجهونونه هذا أنا أنادي لكم به» (أع ١٧: ٢٢ و٢٣). وبهذه الروح المنفتحة على الوثنيين بلا تحفظ استطاع بولس الرسول أن يحطم الوثنية!!

هكذا يقف بولس اليهودي أصلاً والغريسي مهنةً، يستدرج الأمم، بل يستعطفهم، ليأخذ منهم مدخلاً عساه يدخل بهم منه إلى المسيح. وهو نفسه يصف هذا الأسلوب في قوله: «إذ كنتُ محتالاً أخذتُكم بمكر» (٢ كور ١٢: ١٦). وهو تعبير آخر لقوله السابق: صرت «للذين بلا ناموس كأنني بلا ناموس ... لأريج الذين بلا ناموس.» (١ كور ٩: ٢١)

من هذا كله، نستطيع أن نقول أن القديس بولس هو رسول على مستوى العالم كله بالحقيقة، وهو من القلائل جداً الذين ظهروا في العالم لحساب العالم وليس لأمة دون أمة، وبسبب دافع تقواه الصادقة وخافته الحقيقية لله، استأمنه الله لتطويع عالم الإنسان وخفض كبرياء أوثانه، ووضع تشريعات روحية لإسعاد بني الإنسان كافة على مستوى الروح والسماء. ونحن إذا تبصّرنا في الأثر الروحي التَّقْوِي الذي طبعه هذا الرسول القديس على شعوب العالم، وخاصة أُمم الغرب، لانتبهنا إلى أنه كان حقاً نبيّ النعمة الذي تعيّن من السماء ليحُطّ بالروح القدس رسائله، التي صارت منهجاً للتقوى على مدى العصور.

ماذا بقي من يهودية بولس؟

حينما تنتهي كل حدود الإنسان بتبدىء حدود الله، وإن لم ينتهِ الإنسان مع نفسه حتى إلى حدود الموت لا تبتدئ حدود الحياة الأبدية، وعندما تفرغ قدرة الإنسان ويأس من كل إمكانياته تبدأ النعمة، وعندما تموت نفس الإنسان عن العالم يفتح عليه ملكوت الله من فوق. حينما اقتبل بولس روح المسيح فيه، وحلّ المسيح في قلبه — حسب تعبيره — انتهت حدود يهودية بولس الشكلية بكل مضامينها، بل وبحسب إيمان بولس، يكون قد انتهى من حدود إنسانه العتيق، وابتدأت حياته الجديدة بالروح في المسيح. وعيَّوضَ الناموس الذي كان متوقفاً فيه، ليس المسيح.

لقد كانت اليهودية، وكان الناموس، مدرسته التي تأدّب فيها لحساب المسيح. وبحسب تعبيره، فالله أفرره من بطن أمه لغاية واحدة هي أن يعلن ابنه فيه (غل ١: ١٦). فحينما استعلن المسيح ذاته لبولس على طريق دمشق، ابتدأت حياته الحقيقية حسب القصد الإلهي. أما كل حياته فيما قبل المسيح، فكانت بحسب التدبير الإلهي إعداداً للإبلاء الذي سيحمل الاسم المبارك إلى ملوك وأمم العالم وشعب إسرائيل. لقد اعتنى الله جداً أن يتقنه بالثقافتين اليهودية واليونانية: «ليقلع ويهدم؛ يبني ويغرس»^(١) على المستويين.

ولقد احتفظ بولس بسمات يهودية أساسية روحية وتقوية، عاش بها طول حياته في المسيحية، لذلك حينما نقول «يهودية بولس» أو «بولس اليهودي»، فالقصد ليس الاعتبار المميّزة لليهود كجنس أو حتى العبادة كطقس، بل هي السمات الروحية التي انطلق منها وبها — بعد أن نقّاه في نور المسيح وغسلها بالدم — لبني منهجه في المسيحية، فصارت هذه السمات عينها، وأهمها الغيرة والتقوى والالتزام، عناصر مسيحية بالدرجة الأولى.

فمسيحية بولس مدينة بالتقوى التي ورثها من يهوديته: من جدّته، من أمه، من أبيه الفريسي، من معلّمه غمالاتيل، من عبادة الهيكل وتساييحه، من حفظ التوراة بروحها المتسامي. اسمه يقول:

+ «إني أشكر الله الذي أعبدته من أجدادي بضمير طاهر.» (٢ تي ١: ٣)

وهنا تنددش من دقة تعبير بولس من جهة عبادته في العهد القديم التي هنا لا يذكر فيها «بروحي». أما عبادته في المسيحية فيؤكد أنها بروحه:

+ «فإن الله الذي أعبدته بروحي في إجيل ابنه ...» (رو ١: ٩)

+ «أيها الرجال الإخوة، إني بكل صميم صالِح قد عشتُ لله إلى هذا اليوم.» (أع ٢٣: ١)

وهو يشرح هذا الميراث اليهودي أيضاً في تلميذه تيموثاوس:

+ «إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لؤئيس وأمك

أفنيكي (صحتها أفنيسي التي عرّبها المصريون إلى «أنيسة») ولكنني موقن أنه فيك أيضاً.»

(٢ تي ١: ٥)

وبقيناً، فإن هذا الإيمان بالله عديم الرياء، في وضعه اليهودي الأول، هو الذي أعطاه فيما بعد النظرة الفاحصة ليفرق بين حذية الإيمان الصحيح بحسب الحق الذي استعلنه في المسيح وبين

(١) راسع إر ١: ١٠. «قد وكّلتك هذ اليوم على اشعوب وعلى الممات لتتبع وتهدم... وبني وترس».

تجاهات الإجراءات التاموسية ونوافل العبادة التي لا تُشبع روح الإنسان.

وعلى غير ما هو متوقع من هذا الفريسي المتمرس في مهنته والمتمسك بيهوديته أقصى ما يكون التمسك، فإننا نجد، وبعد أن عرف المسيح، يراهن على كل أبعاده الشخصية كفريسي مرموق، وعلى كل ما ربحه من وضعه الديني والاجتماعي المتميز كمعلم لليهود باعتباره الفريسي القوام على الديانة اليهودية، وذلك في سبيل الإيمان بالمسيح والتقرب إليه والبقاء في بوره العجيب. بعد أن احتواه نور المسيح في طريق دمشق وسكن قلبه وانطبع على روحه، «عثر» في موارنة مدهشة — أن كل ما كان مصدر مجد ورسخ في سيهودية لا يعدو أن يكون إلّا حسارة في ضوء أريج الحقيقي بالمسيح، اسمع كيف يوارن ويقارن: «عثون في اليوم الثامن، من جس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العرانيين، من حجة التاموس فريسي، ... من حجة البر الذي في التاموس بلا لوم!! لكن ما كان لي ربحاً فهذا قد حسبتُه من أجل امسيح خسارة!!!، بل إني أحسب كل شيء أيضاً حسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي، الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية (زبالة) skubala σκύβαλα لكي أربح المسيح وأوجذ فيه، وليس لي تربي الذي من التاموس بل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان.» (في ٣: ٥-٩)

وعجبي بعد ذلك على ادّعاء الشُّراح^(٢) المجحف بأن بولس لرسول ظلّ يهودياً وفريسياً في مسيحيته، على أساس أنه افتخر بأصل حسه اليهودي وسطه وفريسيته وفريسية أبيه وتعلّمه عند رجلي غمالاتيل!

وهكذا اقتطعوا من الموازنة التي عملها بولس الرسول الجزء الأول وهو يروي أرباحه من اليهودية، واكتفوا بها كدليل أنه بقي يهودياً كما كان، وأما المسيحية فقد أخذها عليها، مع أنه بعد أن ذكرها، ألغاهها إلغاءً وجحدها جحداً، بل وألقى بها في التراب حاسباً أنها نفاية أو «زبالة» إن قورنت بربح المسيح وأن يوجد فيه!

ولم يفرق العلماء بين ما يقوله بولس الرسول عن نفسه ليفتخر به وبين ما يقوله هنا لأعدائه المشركين به من اليهود الذين تضرّوا وبقوا كما هم متعصبين ليهوديتهم وتاموسهم وسبّتهم وخيّناتهم، والذين حاولوا باستماتة ردّ الأعميين، الذين اعتمدوا وصاروا مسيحيين، إلى اليهودية وحفظ التاموس وأحكامه وعوايد اليهود، وذلك بدعوى أن المسيحية بدون التاموس والسبت والختان باطلة، مستندين في ذلك على أن الرسل في أورشليم بقوا بعد المسيحية كما هم يحفظون التاموس

2. Deissmann, *op. cit.*, p. 96f, and William Barclay, *The Mind of St. Paul*, Complete chapter p. 9-19!!!

والسبت وهم محتنون. لهذا، ولهذا فقط، انبرى لهم بولس الرسول يقول: إنه وإن كانوا هم رسلاً، فهو رسول مدعو من الله والمسيح؛ وإن كانوا هم يهوداً محتنين، فهو يهودي محتن، وإن كانوا من جنس إسرائيل وطناً فهو كذلك، وإن كانوا هم يحفظون الناموس فهو فريسيّ ابن فريسيّ يحفظ الناموس عن ظهر قلب ويُعلّمه. ولكن كل هذه المفاخر والأرباح أصبحت في حقيقتها، وفي المسيحية، نفاية، ويلزم أن تكون نفاية حتى يصير اليهودي مسيحياً. وقد ارتأى بولس الرسول ذلك في نفسه وأعلنه ليكون مثلاً وغوّجاً للأمم حتى يُقبلوا إلى الإيمان بالمسيح بدون الناموس وأحكامه: «كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١ كو ١١: ١). وهذه هي خلاصة رسولية بولس الرسول بل وخلاصة إنجيله، الذي عرضه كما هو — بدون الناموس والسبت والختان — على الرسل في أورشليم فاستحسنوه ولم يضيفوا أو يحذفوا منه شيئاً، وأعطوه يمين الشركة ليعزز للأمم بالمسيح بدون الناموس!

وإلى هؤلاء العلماء الذين يصرون على أن بولس صار متمسكاً ومتفاخراً بيهوديته نقول: إن ليس بولس الرسول هو الذي استخدم ورقة يهوديته وهويته الفريسية ليصدّ هجمة اليهود المنتصرين الشرسة على إيمان الأمم لإتلاف الديانة المسيحية النقية من شوائب الناموس ومحاولة زعزعتها عن أساسها الحر كبتوثّة مباشرة لله وليس لإبراهيم وإسرائيل، نقول ليس بولس الرسول هو الذي استخدم هذه الورقة، بل المسيح هو الذي اختار عن قصد وسبق إصرار هذا اليهودي الفريسي المتعصب المغالي في فريسيته إلى أعلى حدودها، ومتى وأين اختاره ودعاه ليكون رسولاً؟ اختاره وهو ملوث بدماء المسيحيين، وسكين الفريسية في يديه تقطران دماً. إذًا، المسيح هو الذي أراد أن يستخدم ورقة يهودية بولس وفريسيته ليُخرّج بها الكنيسة من طوق اليهودية الحديدي ومن فكّ الناموس القاتل. لقد حارب بولس الرسول الفريسية بالفريسية، وصدّ أهل الختان بختانته، وطوّح بكبرياء الناموس المخيف بإتقانه الناموس، فاستخلص المسيحية من برائن اليهودية.

كما يقدم العلماء — خاصة وليم باركلي (٣) — تأكيداً على تمسك بولس الرسول بيهوديته من قوله: «أقول الصدق في المسيح، لا أكذب وضميري شاهد لي بالروح القدس، إن لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع. فإني كنت أودّ لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخواني أنسبائي حسب الجسد، الذين هم إسرائيليون وهم التّبيّي والمجد والمهود والاشتراخ والمعبادة والمواعيد، وهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين» (رو ٩: ١-٥)؛ وقوله: «إن مسرة قلبي ويطبتي إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص، لأنّي أشهد

هم أن لهم عيرة لله، ولكن ليس حسب المعرفة» (رو١٠: ٢٠١): مع أن هذا التصريح الذي قام بولس الرسول وهو محصر بالروح لا يمكن أن يؤخذ دليلاً على انحياز بولس نحو ليهودية أو التمسك بها شكلاً أو موضوعاً. فبولس الرسول هنا لا يفتخر بنفسه، بل يتحسر عليهم تحسراً، إذ بينما وهم هكذا أصحاب ميراث البَنُوِي الثمين، رفضوه، فرفضوا. وبينما هم أصحاب العيرة على الله، ولكن لانهاء المعرفة الروحية الصحيحة رفضوا ابنه، كما رفضه بولس الرسول وعادته وقتل أولاده، في جهل وعدم إيمان. فمن خبرته المرة، يعني حال منته التي ضطهدت المسيح، وقتنته، وقعدت تحترق حرمانها ونمن الدم الذي سكبوه، وهو الذي كان لخلاصهم.

أما قول بولس الرسول أنه يؤذ لو كان محروماً من المسيح في سبيل إيمان كل اليهود (رو٩: ٣) فهو قول «عشوائي»، إنها رؤية نسبي، وصرحة فداء يستعيرها من المسيح الذي مات من أجل الجميع ليحيي الجميع، إنها روح إبراهيم الذي أمسك السكين ليذبح وحيد طاعة لصوت الله اسفير، إنها تعف في الموارنة والتساوي مع قول موسى لله، عندما عزم الله أن يبد هذا الشعب ساجعه يوماً ما، فيرد عليه موسى مخذراً: «والآن إن غمرت خطيتهم، وإلاً فامحني من كتابك الذي كتبت» (خر٣٢: ٣٢)!!!

قول بولس الرسول هذا لا يمكن أن يُحسّن له انحصاراً في «العنصرية»، بل هو تسام بالروح المسيحية التي فيه، حتى إلى مستوى الصليب، ليفك عن شعب روح العنصرية التي أغتمته وكبّلته سلاسل الحقد والقتل. ثم كيف يحذف العلماء بقية الآية السابقة (رو٩: ٣) و(رو١٠: ٢٠١) التي تقول: «لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني (الأممي)، لأن رباً واحداً لجميع غنياً لجميع الذين يدعون به»؟ (رو١٠: ١٢)

كذلك كيف يؤخذ على بولس الرسول قوله: «إذاً ما هو فضل اليهودي أو ما هو نفع الختان، كثير على كل وجه، أما أولاً فلأنهم استؤمنوا على أقوال الله» (رو٣: ٢٠١)، وينفعلون بنية الآية: «فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء؟ أفقل عدم أمانتهم يُبطل أمانة الله؟ حاشا» (رو٣: ٣)، حيث ينتهي بالقول: «فماذا إذا؟ نحن (اليهود) أفضل؟؟ كلاً البتة، لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية، كما هو مكتوب، أنه ليس بار ولا واحد» (رو٣: ١٠٩). فهل هذا قول رسول متعصب ليهوديته؟ أم هو قول رسول قائم في نور المسيح، يطرح البشرية كلها منزهة عن كل عناصرها وألوانها تحت قدمي المسيح وهي مكبل بالخطية تطلب الفكالك؟

والأمر الذي نندهش له، كيف يؤخذ على بولس الرسول (٤) استخدامه للتاريخ اليهودي في تسجيل رحلاته مؤقتاً على الأعياد والأصوام في مواعيدها السنوية مثل قوله: «ولكنني أمكث في أفسس إلى يوم الخميس» (١ كو ١٦: ٨). وقوله: «ولما مضى زمان طويل وصار السفر في البحر خطراً إذ كان (زمان) الصوم» (٥) أيضاً قد مضى...» (أع ٢٧: ٩)

والسؤال مجازاً كان يؤرخ بولس لرحلاته إذاً وهو يكتب للكنائس؟ هل بالتقويم الروماني لإنشاء مدينة روما؟ أو من تاريخ تنصيب قيصر؟ هل يريد هؤلاء العلماء من بولس الرسول أن يبحر التاريخ اليهودي الذي يحيا به يوماً بعد يوم وشهراً بعد شهر، والذي عاشته الكنيسة من بعده أيضاً لأحقاب طويلة، والمعتبر حتى الآن أنه من أدقّ التواريخ؟ ثم لماذا يبحر تاريخ اليهود؟ هل هو تاريخ مختون؟ أو هل الاعتماد عليه يسيء إلى المسيح؟

ولكن الذي يحيرنا حقيقةً هو قول العلماء أن بولس الرسول كان يتمسك بتوراة اليهود كيهودي (٦). والسؤال: هل المسيح لم يكن يتمسك بتوراة اليهود؟ ألم يستشهد المسيح بالناموس والأنبياء والمزامير؟ ألم يقل عنه اليهود: «كيف هذا يعرف الكتب؟» (يو ١٥: ٧)، ألم يفتح المسيح دهن التلاميذ بعد القيامة ليفهموا الكتب؟ (لو ٢٤: ٢٤)؟ بل أليس تمسك بولس الرسول بالتوراة، هذا التمسك الذي جعله يستشهد في رسائله و يقتبس آيات حوالي ١٨٠ آية (٧) اقتباساً من العهد القديم، هو الذي يجعلنا نطمئن على تعاليم بولس الرسول؟

وأخيراً نقول، إن بولس الرسول لم يرتد عن اليهودية — كما رآه أهل دينه القديم — حتى يُطالب مثلاً ببحر يهوديته ويتجاهلها والإقلاع عن ذكرها، بل إن بولس الرسول امتد بيهوديته ليظهرها في نور استعلان المسيح بعسل الدم. ألم يقل المسيح: «ما جئت لأنقّص بل لأكمل» (مت ١٧: ٥)؟

4. W. Barclay, *The Mind of St. Paul*.

(٥) الصوم هب هو المصوم عنه في سفر اللاويين (٢٣: ٢٩-٢٩)، وهو صوم الكفارة و يفتح في شهر سيبر. والمعروف أن السفر في البحر بوسطه مراكب الشراع عطر في شهري سبتمبر ومارس بشدة الأنواء.

6. W. Barclay, *op. cit.*, p. 15.

7. F. Prat, *op. cit.*, vol. 1, p. 411-414.

الفصل الثاني

أدوات الفكر اللاهوتي عند القديس بولس

أولاً - أسلوب بولس الرسول في الكتابة والتعبير

البلاغة الروحية عند بولس وعشق المؤمنين لها:

بادئ كل ذي بدء، يلزم أن نعرف ونتيقن أن الإنسان الروحي ليس له عالم، ويستوي عنده العالم القديم والعالم الجديد؛ أو بالحري فإن الإنسان الروحي هو هو للعالم القديم كما هو للعالم الجديد، لأن الروح يسمو فوق القديم من العالم، والجديد فيه ليس جديداً. ولكن القديم والجديد في العالم هما معيار تُقاس به أو عليه أمور التاريخ والمعاملات. أما الحقائق التي طرحها بولس الرسول في رسائله فهي لنا الآن كما كانت لساكني تلك المدن السعيدة ببولس الرسول في تلك الأيام، الذين أخذوها مأخذ الإنجيل، وأحبوها وأحبوا صاحبها حباً يعبر عنه بولس الرسول نفسه: «كملاك من الله قبلتموني، كالمسيح يسوع، فماذا كان إذا تطويبكُم؟ لأنني أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتُم عيونكم وأعطيتُموني.» (غل ٤: ١٤ و١٥)

ويقص علينا العالم الألماني اللاهوتي والمؤرخ الكنسي هارناك (١٨٥١-١٩٣٠) (١) قصة شهداء سيبلي (صقلية) الأميين من عامة الشعب الذين استشهدوا في السابع عشر من يوليو سنة ١٨٠ م: سيراتس Speratus، نارتزالوس Nartzalus ودوناتا Donata وسكوندا Secunda وفستيا Vestia، كيف أجبروا إجباراً أمام الوالي ليعلموا ماذا كانوا يبحثون في كيسهم فلم يهتموا أن يُقشوا سر كنزهم السماوي فأجابوه: «إنها كتبنا الخاصة ورسائل القديس بولس» (٢).

هذا كان شأن أممي العالم القديم وتوقيعهم لرسائل بولس الرسول، تماماً وكأنها قصة اليوم.

1. A. Harnack, *The Mission and Expansion of Christ*, vol. II, p. 278 n. 2.

2. Cited by A. Deissmann, *op. cit.*, p. 76.

فالأُمِّيُّونَ وفي أقصى الصعيد، إن لم يكونوا قد اقتنوا رسائل بولس الرسول بعد، فهم يحفظونها وبعضهم يحفظها عن ظهر قلب، ولكن كثيرين منا ومن عِلْيَةِ القوم لا يعرفون من بولس إلا اسمه (٣).

رسائل بولس الرسول لم تقف بلاغتها حائلاً في اليونانية عند شعوب وأهل العالم القديم، تماماً كما لم تقف بلاغتها بالعربية حائلاً عند أحد في شرقنا العربي، خاصة عند الذين أحبوا الرب يسوع وتبعوه من كل القلب ويسعون وراء المزيد من النور ليستدفئوا بحرارة إيمان بولس.

كان العالم القديم له مظاهر المدنية بما يتناسب وقدمه، كما المدنية اليوم التي تتناسب مع عالمنا، ووجد بولس في أمورها آتئذ مجالاً خصباً للتشبيه كما شدّد عليها النقد والهجوم.

□ فتسمع منه عن ميادين السباق:

+ «ألستم تعلمون أن الذين يركضون في الميدان جميعهم يركضون، ولكن واحداً يأخذ الجعالة — الجائزة — τὸ βραβεῖον هكذا اركضوا لكي تنالوا.» (١ كور ٩: ٢٤)

□ وتسمع منه عن أدوات الحرب وأسلحته:

+ «فلنصُحْ لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص.» (١ تس ٥: ٨)
+ «البسوا سلاح الله الكامل، لكي تقدرُوا أن تثبتوا ضد مكاييد إبليس. فإن مصارعنا ليست مع دم ولحم.» (أف ٦: ١١ و١٢)

+ «بولس أسير يسوع المسيح، وتيموثاوس الأخ، إلى فليمون المحبوب والعامل معنا وإلى أفيقية المحبوبة، وأريخيُس المتجنّد معنا، وإلى الكنيسة التي في بيتك.» (فل ١ و٢)

+ «مَنْ تَجُنِّدُ قَطْ بِنَفَقَةٍ نَفْسِهِ.» (١ كور ٧: ٧)
+ «فإنه إن أعطى البوق (نداء الحرب) أيضاً صوتاً غير واضح فمن يتهاى للقتال.»

(١ كور ١٤: ٨)

+ «لأننا وإن كنا نسلك في الجسد، لسنا حسب الجسد نحارب.» (٢ كور ١٠: ٣)

□ ونسمع منه لغة المحاكم والقضايا، حيث نسمع كلمة «التبرير» وهي عيناها: «حكم

البراءة»، وكلمة «الدينونة» وهي «حكم إدانة»، و«الشفاعة» وهي «عمل المحاماة». وهذه الاصطلاحات تُعتَبَرُ عند بولس الرسول ركائز لاهوتية باعتبار أن الإنسان «مُحكومٌ» عليه بالموت

(٣) دخلت إحدى أكبر المكتبات الأدبية في لندن لأبحث عن كتب في شرح رسالة رومية، فتأدبوني إلى قسم اللاهوت، سألت رئيس القسم عن شرح رسالة رومية، فأجابني: «هن هي في العهد القديم أم في العهد الجديد؟» أظفر ونصت!

والمسيح «ألقى حكم» الموت. وبولس الرسول يُعتبر أقوى مَنْ أقامه المسيح ليدافع عن براءة الحياة التي اكتسبها لنا المسيح بموته على الصليب.

□ كما نسمع من بولس الرسول عن اصطلاحات التمثيل والمسرح وجهور النظارة:
+ «فإنني أرى أن الله أبرزنا (قدمنا للعرض) ἀπεδείξεν نحن الرسل آجرين (مشهد أخير)، كأننا محكوم علينا بالموت لأننا صرنا منظرًا (تياترو) θεατρον للعالم للملائكة والناس.» (١كو١: ٩)

□ كما نسمع عنه في شئون العمارة وتفاصيلها:
+ «حسب نعمة الله المعطاة لي كبناء حكيم ἀρχιτέκτον (بأشبههندس) قد وُضعتُ أساساً وآخر يبني عليه. ولكن فليُنظر كل واحد كيف يبني عليه.» (١كو٣: ١٠)

□ كما نسمع منه عن أبواب الحرف:
+ «أَمْ لَيْسَ لِلخَزَافِ سُلْطَانٌ عَلَى الطِّينِ أَنْ يَصْنَعَ مِنْ كِتْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ وَآخَرَ لِلْهَوَانِ» (رو٩: ٢١). علماً بأن بولس الرسول نفسه هو صاحب حرفة صناعة الخيام.

□ كما نسمع منه عن شئون التجارة:
+ «إِذْ آمَنْتُمْ، خُيِّمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُوسِ، الَّذِي هُوَ عَرَبُونَ مِيرَاثِنَا — لِفِدَاءِ — الْمُقْتَنِّي لِمَدْحِ مَجْدِهِ.» (أف ١: ١٣ و ١٤)
+ «الَّذِي خَتَمَنَا أَيْضاً وَأَعْطَى عَرَبُونَ الرُّوحِ فِي قُلُوبِنَا.» (٢كو١: ٢٢)

□ وعن لغة البحارة والأسفار بالبحار:
+ «وَلَيْكَ إِيمَانٌ وَضَمِيرٌ صَالِحٌ الَّذِي إِذْ رَفَضَهُ قَوْمٌ انْكَسَرَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ مِنْ جِهَةِ الْإِيمَانِ أَيْضاً»، وصحتها: «... مِنْ جِهَةِ الْإِيمَانِ أَيْضاً قَوْمٌ انْكَسَرَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ.» (١تي ١: ١٩)
+ «فإنني أنا الآن أسكب سكباً (مهياً للذبح) ووقت انحلالِي ἀναλύσεως (فكٌ رُبط المركب للسفر الطويل) قد حضر.» (٢تي ٤: ٦)
+ «الَّذِي هُوَ (المسيح) لَنَا كَيْسَرْتَاة (هَلْب) لِلنَّفْسِ، مُؤَمَّنَةٌ وَثَابِتَةٌ تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ الْحِجَابِ.» (عب ٦: ١٩)

ولكن الاصطلاحات الأكثر استخداماً، التي أدخلها بولس الرسول في لغته وكانت محببة إليه هي اصطلاحات القضاء والمحاماة، وكذلك الحرب والتسلُّح والتمرين. وفي العالم القديم — الذي عاش فيه بولس الرسول — لم نسمع منه على يد أي مؤرخ شيئاً عن بولس قط. لأن بولس كان في

الحقيقة هو «الإنسان الجديد» وسط هذا «العالم القديم». فعاش بولس ومات ولم يستشعره مؤرخ أو فيلسوف، وهذا لا يُحسَب قط حجةً ضد بولس، بل يُحسب حجة ضد الأرستقراطية الميتة التي كان يعيشها عالم بولس.

استخدام وسائل التعليم بالتمثيل والتشبيه :

كانت هذه صناعة المعلمين في إسرائيل، وقد اختص بها الفريسيون لتقريب الحقائق إلى الأذهان. وقد برع فيها بولس الرسول للكشف عن الحقائق الروحية الفائقة.

وأوضح مثل قلعه على ذلك، هو مثل حبة القمح وكيف تقع، وقوت أولاً، ثم يتغير شكلها من حبة مجردة إلى جسم آخر أخضر حي ينمو ويثمر، وينطبق ذلك على حقيقة الموت بجسد أرضي ثم القيامة بجسد آخر روحي غير الجسد المادي الأول :

+ «وأجسام سماوية، وأجسام أرضية.» (١ كور ١٥: ٤٠)

+ «يوجد جسم حيواني، ويوجد جسم روحاني.» (١ كور ١٥: ٤٤)

كذلك قدّم مثل الجندي في الحرب أنه يتحتم على الذي يجنّده لحسابه أن يكسبه ويطعمه (١ كور ٩: ٧)، كذلك طبّق هذا المثل الحربي على وضعه الروحي هو، كرسول متجنّد للمسيح، ولكن لحساب مَنْ يَعْظُمهم ويعلمهم، إذاً فعليهم، ولا محالة، أن يوفرّوا له المعيشة وتكاليفها، ثم يلتفت إليهم: «ألي أنكلم بهذا كإنسان (من عندياتي) أم ليس الناموس (التوراة) أيضاً يقول هذا؟» (١ كور ٩: ٨):

+ «مَنْ هو الرجل الذي غرس كرماً ولم يبتكره (ياكل باكورته).» (تث ٢٠: ٦)

+ «مَنْ يحمي (يحرس) تينة يأكل ثمرتها.» (أم ٢٧: ١٨)

+ «فإنه مكتوب في ناموس موسى لا تَكْتُم ثوراً دارساً، أَلَعَلَّ الله تهمة الثيران؟» (١ كور ٩: ٩) = (تث ٢٥: ٤).

(٤) بولس الرسول يقصد أن الله يهيمه الإنسان أكثر من انشراح دهبيل قرون المسيح عن المصغير:

«أليس عصموران يساعان معنيس، وواحد منها لا يسقط على لأرض بدون أيبكم؟ أما أنتم فحني شعور رؤوسكم جميعاً مُعَصاةً، فلا تحافوا. أنتم أفضل من عصافير كثيرة.» (مت ٢٩: ٣١-٣٠)

ومن الغرباء:

«تأملوا الغرباء. إنها لا تزعج ولا تحصد وليس ها مكد ولا غرن، والله يقيتها! كم أنتم بالحري أفضل من الطيور؟» (لو ١٢: ٢٤)

ومن زباني الحقل:

«تأملوا زباني الحقل كيف تنمو ولا تتعب ولا تغزل... ولا سليمان في كل محله كان يمس كواحدة منها. فإن كان العشب...

يُلبسَه هه هكذا، أفليس بالحري جداً يلبسكم أنتم...» (مت ٢٨: ٣٠-٣٠)

كذلك قدّم مثل الوريث: «ما دام الوارث قاصراً، فهو لا يفرّق شيئاً عن العبد مع كونه صاحب الجميع؛ بل هو تحت أوصياء ووكلاء إلى الوقت المؤجل من أبيه» (غل ٤: ٢١). وقد استخدم بولس الرسول هذا القانون الشرعي، فطبّقته على الذين كانوا تحت — قانون — الناموس مستعبدين للعالم والخطية، إلى أن جاء الموصي نفسه، المسيح صاحب الميراث، ليفك العبودية الأرضية ويدفع ثمن الديون المتراكمة، ليورث الحرية الروحية ومُلك السماء، وذلك طبعاً لما شُبّ الوريث عن الطوق وأصبح ذا أهلية ولانقاً بحرية البنين والتعامل مع الله بالروح: «هكذا نحن أيضاً لما كنا قاصرين، كنا مستعبدين تحت أركان العالم، ولكن لما جاء ملاء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني.» (غل ٤: ٥-٣)

كما استخدم بولس الرسول منطق الانتقال من صلاحية الأقل إلى حتمية صلاحية الأكثر، وذلك فيما يخص اليهود كأمة، كيف أنهم زلّوا وعثروا في المسيح، فكانت نتيجة زلّتهم وعثرتهم أن دخل الأمم إلى الخلاص. وحينئذ ينطلق فيطّبق: فماذا لو هم آمنوا بالمسيح؟ طبعاً يكون انقاذ عالمي ونقطة عظمى للإنسان على قياس القيامة من الأموات:

+ «بزلّتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم، فإن كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للأمم فكم بالحري **مِلْؤُهُمْ**... لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة للعالم، فماذا يكون اقتبالهم إلاّ حياة من الأموات؟ وإن كانت الباكورة مقدّسة (الرسول والتلاميذ من اليهود) فكذلك العجين، وإن كان الأصل مقدّساً (إبراهيم ويعقوب وداود) فكذلك الأغصان.» (رو ١١: ١٦-١١)

□ كذلك يستخدم منطق المناسبة بحكم العدل عند الله:

فلأن آدم، كإنسان أضعف وهو رأس جنسنا، قد دخل به الموت إلى عالم الإنسان، فقد توجب من طرف عدالة الله أن تتم الحياة من الأموات (القيامة) بواسطة إنسان أقوى! والسّر في هذه المبادلة قائم في منطق أن الطبيعة التي قبلت الموت يلزم بحسب العدل أن تكون هي التي تستقبل الحياة.

ثم لأنه بخطية آدم — كإنسان — شمل الموت جميع الناس، إذ دخلت الخطية إلى العالم، فأخطأ الكل. هكذا توجب لدى عدالة الله، أن يكون ببرّ إنسان واحد حائز على قدرة موازنة خطايا العالم ورفعها بعمل يأتيه، سبباً في أن يدخل البرّ المجاني عوض الخطية وتُغطّى الحياة عوض الموت.

+ «كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى

جميع الناس، إذ أخطأ الجميع.» (رو: ١٢: ٥)

+ «ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة (الخطية من الإنسان والهبة من الله). لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون؛ فبالأولى كثيراً (من جهة العدالة) نعمة الله والعطية بالنعمة (أقوى من الخطية) التي بالإنسان الواحد، يسوع المسيح، قد ازدادت (لأن النعمة أقوى من مجموع الخطايا) للكثيرين.» (رو: ٥: ١٥)

هنا، الطبيعة التي أدخلت اللعنة، يلزم بحسب العدل أن تكون هي التي تُدخِل البر:

+ «لأنه إن كان بخطية الواحد قد مَلَكَ الموت بالواحد (آدم)؛ فبالأولى (منطق العدالة عند الله) كثيراً الذين ينالون قَبِيضَ النعمة وعطية البر، سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح.» (رو: ٥: ١٧)

+ «فإذاً، كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا ببر واحدٍ صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة.» (رو: ٥: ١٨)

هذا منطق عدالة الله، وفي نفس الوقت هو منطق المناسبة لدى فكر الإنسان. ثم عاد بولس الرسول ليقارن بين سبب الخطية وعنصرها الأساسي وهو عصيان آدم، في مقابل سبب البر وعنصره الأساسي وهو طاعة المسيح لله، لتوازن عصيان آدم. ولكن كم تكون حدُّ المعادلة من طرف المسيح الإنسان بسبب لاهوته أقوى مئتين وملايين المرات والبر بالنعمة لحد المعادلة من طرف آدم؟

+ «لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد — الترابي — جُعِلَ الكثيرون خطاةً؛ هكذا أيضاً (مع الفارق الهائل) بإطاعة الواحد — السماوي الإلهي — سَيُجْعَلُ الكثيرون أبراراً!!» (رو: ٥: ١٩)

وخرج بولس الرسول من هذه المقارنة بموازنة بين الخطية والنعمة، فرأى أنه مهما ازدادت الخطية في العالم بالإنسان الأرضي، فالنعمة بالإنسان السماوي (المسيح) كفيلة باجتثاثها اجتثاثاً، لأنها أقوى بما لا يُقاس، على أساس أن عامل الخطية ضعف إنساني، أما النعمة فعاملها قوة إلهية!!

+ «ولكن حيث كثرت الخطية، ازدادت النعمة جُداً.» (رو: ٥: ٢٠)

ليس هذا حواراً جديلاً كما يراه العلماء؛ بل هو منطق روحي يغذيه الاستعلان وتُلهبه غيرة مقدسة، لإفناء الخاطيء أن لا يستكثر خطاياهم على كثرة وقوة النعمة الموهوبة بدم القداء المدفوع ثمناً لخطايا كل العالم!

إن أسلوب بولس الرسول في الإقناع ينطلق من هذه الغيرة المتقدة على خلاص الأمم الذين دُعي لخدمتهم. فلأنه، كإنسان خاطيء، كان يعيش في ملء نعمة المسيح بصدق، لذلك لم يستخدم الأسلوب التعليمي في قوالب فكرية حاملة. فالروح المتأجج فيه كان له صفة الخلق الإبداعي، تأتبه له النعمة لحظة أن يفكر في الموضوع لحساب الكنيسة التي في فكره والتي يرأسها حسب احتياجها. اسمعه وهو يصف هذا الجهد العميق الذي يبذله لهذه العاية:

+ «... ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم، الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد، الذي ننادي به مُبَشِّرِينَ كُلِّ إنسان، ومُتَعَلِّمِينَ كُلِّ إنسان، بكل حكمة لكي تُحضر كُلُّ إنسان كاملاً في المسيح يسوع، الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً، بحسب عمله الذي يعمل فيَّ بقوة.» (كو: ٢٧-٢٩)

المنهج التأمل الحر عند بولس الرسول:

الحوار في المنهج التعليمي عند الفريسيين أصيل، لإذكاء الفكر لقبول الحقيقة (*). ولكن مثل هذا المنهج يحتاج لمؤهلات ليكون المُحَاوِر مقتدراً، أهمها أن يتوفر له طول النَّفَس وهُدوء الأعصاب مع شيء من الدهاء، وهذه كانت تُعَوِّز بولس الرسول، فهو عاطفي، تأثري، مندفع، غيور. كذلك فإن المنهج الجدلي يحتاج إلى خطة ذات هدف محدد يسير نحوها المُتَحَاوِر دون أن يتوه في الطريق، وبولس الرسول عكس ذلك، فهو بعد أن يبدأ الشوط ويحدد الموضوع الذي سيقترحه، وإذا تنتظر منه السير في الاتجاه الذي حدده، تجده يعرج في الطريق على موضوع آخر، أو يشغله حماسه بخصوص الفضائل أو السلوك فيستغرق فيها، وقلماً يعود إلى ما بدأ به الحديث.

وهو في رده على المهاجمين والمتلصّصين على تعليمه وحرّيته في المسيح لا يحتاج، ولكنه بهاجم، ويفضح النيات الداخلية:

+ «بمعونتنا عن أن نكلّم الأمم لكي يخلصوا، حتى يتمموا خطاياهم كل حين، ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية.» (١ تس: ٢: ١٦)

كذلك يستخدم الدفاع المتدفق والمتلاحق، حتى لا يُبقي للفكر المضاد منفذاً، مستنداً في ذلك على النعمة التي تضيء ذهنه، وترفع أفق تفكيره إلى آفاق جديدة لم يطرّقها أحد قبله؛ فهو لم ينقل عن أحد قبله قط. لذلك فالمساهمة اللاهوتية المتسعة والمتفرعة والمتعددة المواضيع التي قدّمها بولس الرسول للمسيحية تقف على قاعدة عريضة، مُسْتَكَمِّلة بالبرهان واليقين، أتته في مناسبات كثيرة كدفعات إلهامية استوعبها من الله والمسيح مباشرة، وهي نفس الهبة التي تجلّ بها القديس يوحنا

الإنجيلي إما في مجال استعلان فكر المسيح وطبيعته.

لذلك من الخطأ أن يُدرس القديس بولس على خلفية أنه مُتأخِّرٌ لاهوتي معترف. فلاهوت بولس الرسول، مثل لاهوت يوحنا الرسول، ليس لاهوتاً نظرياً، بل هو لاهوتٌ إلهامي مسود بالنعمة، وعمقه لا يأتي عن عمق تفكير وتحليل بل عن استعلان تلو استعلان، والنعمة أُنْتَهتْ ضد مواطن الزلل ومواطن الانحدار، فجاء لاهوتاً صافياً صفاء السماء التي منها انحدَر.

مواقف كثيرة — سواء في رسالته إلى أهل أفسس أو كولوسي أو في رسالته إلى أهل رومية التي يعتبرها لُبُّ إنجيله — كشفت لنا كيف يستسلم بولس الرسول للقوة الروحية «التي تعمل فيه»، والتي تطير به من غلو إلى غلو لاستعلان حقائق وراء حقائق، وتفحص أمامه مجالات الروح حتى أعماق الله. لذلك لا نحيء المعارف اللاهوتية عند بولس الرسول في قوالب جامدة محدّدة مرصوفة ومبوبة، بل تأتي كسيل من التأملات الهادئة، تَحترق القلب قبل أن تستقر في الفكر، لتُحدث الضمير قبل أن تُحدث العقل، لتزُلزل النفس التي خرجت عن حدود اللياقة لتعيدها صاغرة إلى مواطن نعمتها الأولى.

وهكذا يجيء لاهوت بولس الرسول على هذا الوضع موزعاً، لا يضمُّه منهج، ولكنه موحد الهدف والفعل؛ لأنه نتاج نفس حساسة، مُستَقْبِلَةٌ، ومنفَعِلَةٌ بالمعرفة أولاً قبل أن تُرْكِبَهَا للآخرين. فمواقف الضعف عند الآخرين يَبْثُّها — من روحه — معرفة لاهوتية بنبرات القوة والتشجيع والمشاركة بالروح: «مَنْ يَضْعُفُ وَأَنَا لَا أَضْعَفُ؟ مَنْ يَعْثُرُ وَأَنَا لَا أَتْهَبُ؟» (٢ كو ١١: ٢٩). أما مواقف الكبرياء فيأخذها بالعنف: «هادمين ظنوناً وكل غلو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح، ومستعدين لأن ننتقم» («نفاضب» أصح) على كل عصيان متى كملت طاعتكم» (٢ كو ١٠: ٦و٥). ومواقف الضيق والحزن يعالجها بالتشجيع والصبر والثبات والمشاركة:

+ «فأرسلنا تيموثاوس أخانا وخادم الله والعامل معنا في إنجيل المسيح حتى يثبتكم ويعظكم لأجل إيمانكم، كي لا يتزعزع أحد في هذه الصيقات، فإنكم أنتم تعلمون أننا موضوعون لهذا ... لأننا الآن نعيش إن ثَبُتُمْ أنتم في الرب.» (١ تس ٣: ٢و٣ و٨)

وهكذا، فبولس الرسول يتكلم من روحه وليس من عقله.

ثانياً — المصادر التي يستند إليها بولس الرسول في تعليمه

بعد دراسة العلماء المتتابة لتعليم بولس على مدى مئات السنين أصبحت الآن أصولها أو الينابيع الصادرة منها واضحة فهي لا تخرج عن منبعين:

أ — التوراة.

ب — تعليم المسيح.

ومن واقع رسائله، يتضح أنه كان يعظ ويكتب باليونانية فكان يقرأ التوراة اليونانية ويستشهد بها.

وكانت التوراة عند بولس الرسول، كما كانت عند كل يهودي هي السلطة العليا التي لا يُتناقش فيها، فهي كلمة الله. وكان بولس الرسول يعبر عنها كالبقية بالقول المختصر «الكتاب» و«بالكتب». فهو الكتاب الذي يحوي كل ما هو حق إلهي، والوحيد الذي يليق به الحفظ والدراسة والتفتيش «فتشوا الكتب» (يوه: ٣٩:٥). والمعروف أن بولس الرسول لم يستخدم في حياته ورسائله كتاباً آخر. ومن كثرة القراءة والحفظ، انطبعت لغته بلغة التوراة، خاصة السبعينية، وليس لغته فقط بل ومعظم مداركه الدينية. ولكن لم تكن تحده النظرات النبوية في الأسفار، فلم يكن يحبس في محتواها، بل كان يستعيرها ليمتد بها ويشرح ويصور ويتجاوز معناها إلى أبعاد جديدة تخدم تعليمه المسيحي الذي يفوق في حدوده وأبعاده عن التوراة.

وبولس الرسول يشرح العهد القديم على ضوء الرؤية المتسعة التي اكتسبها بالروح من المسيح، ولهذا جاءت مُحْكَمَةً متكاملة.

ولو أن بعضاً من العلماء^(٦) يقولون إن بولس استلهم من الرسل مختصراً عن حياة المسيح وتعليمه فيما يسمى بالنسخة Q من الإنجيل، وهي التي على أصولها — كما يقولون — كتب الإنجيليون الأربعة، إلا أن هذا الرأي لا يستنده أي برهان. ولكن الاتفاقات الواضحة بين تعاليم بولس الرسول وبين ما جاء في الأناجيل، خاصة إنجيل يوحنا وبقية الرسائل لبطرس ويعقوب ويوحنا وبقية تعاليم الرسل، إنما يُفَرِّد للقل الشفهي الذي كانت تعتمد عليه الكنيسة كل الاعتماد، منذ صعود الرب وحتى كتابة أول إنجيل في حقبة زمنية لا تقل عن ثلاثين سنة — حيث كانت تعاليم

6. Resch, cited by F. Prat, *op. cit.*, vol. II, p. 43 n.1.

الرسول تُحط وتُكلى شفاهاً كقانون تعليمي Catechism. لذلك لا يوجد أي نشار أو أدنى نزاع في المسائل التعليمية وفي الممارسات الكنسية بين بولس الرسول وبقية الرسل، كذلك في كل ما يتعلق باللاهوت بالنسبة لله، والمسيح، والخلاص والأسرار والأشياء الأخرى. عندما بأن الأعمدة الثلاثة للكنيسة الأم في أورشليم أعطوا بين الشركة لبولس الرسول ليكرر بإنجيله، بعد أن قدّمه لهم، فاستحسنوه ولم يُضيفوا عليه، أو يحذفوا شيئاً منه (غل ٢: ٩).

ولقد أوضح بولس الرسول مراراً أنه استلم تعليمه وإنجيله من المسيح رأساً «بإعلان»، ونحن نعلم أنه «اعتمد» على يدي حانيا، وحلّ عليه الروح القدس. أما معرفته الممتازة والعائقة في أمور الخلاص التي اعتبرها «السّر» الأول الذي أعلنه الرب لرسله القديسين وله، فقد غرّى بولس ذلك للنعمة الفائقة التي وهبها له المسيح كنور فائق أصاء وغيه المسيحي، ليستعلن عليه كل إدراكاته التي فاقت الجميع: «ولكن لا أنا، بل نعمة الله التي معي.» (١ كو ١٥: ١٠)

أ — التوراة:

التوراة السبعينية وتقوى القديس بولس:

ميزة بولس الرسول في تعلّمه على التوراة، هي أنه تعلمها على النسخة السبعينية بروحها الثّقويّة!!^(٧). والسبعينية تُرجمت خصيصاً من أجل يهود الشتات الذين عاشوا بعيداً عن وطنهم وعن لغتهم العبرية والآرامية، فماتت منهم اللغة، ومعها كل موارثها القديمة من مفهومات واصطلاحات تقوية من التاريخ الروحي للآباء، بكل ما يحمل من تراث تعليمي وتوجيهي ومواعيد ورجاء، فجاءت السبعينية لتوصل وتربط يهود الشتات بميراثه وتراثه من جديد، وبتركيز زائد وتوضيح أكثر بكثير مما في التوراة العبرية التي حاءت فيها هذه الموضوعات في متفرقات ومواضيع مشتتة وبغير ترتيب أو تركيز، يصعب على القارئ بل وعلى العالم أن يلمّ بها. وهكذا عمدت التوراة السبعينية إلى التركيز والتوضيح وتبسيط الأصواء على سير الآباء القديسين والمواعيد التي رشحها الأنبياء نبياً بعد نبي، بترتيب روحي وليس زمنياً، وأبرزت شخصيات الأنبياء العظام الذين قرأوا المستقل، وجعلوا تاريخ إسرائيل موقعاً على نبضات روحية. كما اهتمت السبعينية بتقديم وحدانية الله في أجل صورة، لتكون نوراً بين ظلمات آلهة اليونان ليفتخر بها اليهودي ويتمسك.

(٧) أم المعروف والكبرى والكثيرة بين السبعينية والبحرية فلا شعر بها نحن قراء العربية، لأن نسخة العربية البيروتية تم اعتماد على لسمية، ولا في بعض كلمات معددة قليلة للعدة. وهذه الترجمة العربية أنشأت فاصلاً حطيراً بين الأجيال الحديثة التي قرأت العربية وبين الآباء الأوائل الذين درسوا على السبعينية، وهذا الصغر هو السبب بالدرجة الأولى في الفارق التقوي بين أجيالنا وأجيالهم.

ولقد زاد من جلال السبعينية ومضداقيتها ما كان يراه كل يهودي — وهو عائد إلى بلاده يبحر في مواسم العبادة الرسمية — في الهيكل وعبادته المُثَقَّنَة.

ومما يميّز بولس الرسول سواء في أسلوبه أو في روحه أو تعليمه، تعلّمه التوراة منذ نعومة أظفاره على النسخة السبعينية، فبقي بسببها شديد الصلة بروح الآباء القديسين الأوائل، وضياعاً في اللغة اليونانية بأن واحد. فوإن كان الخط الظاهر في حياة بولس الغريسي هو الناموس، إلا أن الدارس لشخصية بولس الرسول، خاصة بعد أن آمن بالمسيح واعتمد، يدرك أن الخط الأساسي الغائر في نفسية بولس وروحه وفكره هو الخط التقوي الذي ورثه من السبعينية!! لذلك سهّل عليه بعد أن أدركه المسيح وأدرك هو المسيح أيضاً، أن يدرك وبسهولة أن بالمسيح انتهى الناموس وفقد قوّته الأساسية في رُبُط اليهودي بالله، وخاصة عندما كملت في المسيح كل المواعيد التي في الناموس. كما أحس بروح التقوى التي يستمدّها من السبعينية، أن المسيح هو نهاية الخط التقوي المرسوم في التوراة وبالدرجة الأولى! بل ومنبعه أيضاً! لذلك جاءت تقوى بولس الرسول الحية في رسائله تعبّر أعظم تعبير عن تقوى العهد القديم بأجمعه، متوّجة بقداسة المسيح وجلال نقواه. وصحّ قول بولس الرسول: «كونوا متمثلين بي، كما أنا أيضاً بالمسيح.» (١ كور ١١: ١)

ويليق بنا هنا أن نوضح، أن معظم اللاهوتين البروتستانت لم ينتبهوا إلى هذا الخط التقوي التحفظي والتقليدي، خاصة عندما انهمكوا في تحليل عناصر تعليمه اللاهوتية. فجاء لاهوت بولس على أيديهم متحرراً فاقداً لعنصر التقوى الذي ينبع منه كل تعليمه، والذي يجمعه معاً في وحدة متألّفة.

وتحقيقاً لما نقول، يكفي أن نعرف أن بولس الرسول في رسائله القليلة استشهد بالعهد القديم ١٨٠ مرة^(٨). يقول العالم ثولوك Tholuck أن من بينها ٤٨ اقتباساً أورده من الذاكرة، فردّ عليه العالم بليك Bleek، بأن القديس بولس اقتبسها جميعاً من الذاكرة بدون استثناء وقدم الأدلة على ذلك^(٩).

هذا يوضح أن بولس الرسول في غيرته الروحية وجبه للعبادة والتقوى، كان ينكبّ على السبعينية ليلاً نهاراً، لا يقرأ ويستذكر فحسب، بل يتأمل ويسرح بروحه ليعيش التوراة بكل آياتها وقديسيها.

8. F. Prat, *op. cit.*, vol. I, p. 411-414.

9. Conybeare, *op. cit.*, p. 33 n 1.

والسبعينية، بحسب القانون الإسكندري للأسفار، تشمل سفر الحكمة الذي أُغرم به بولس واقتبس منه الكثير فيما يختص بالله ووجوده. لذلك فإن أوصاف الله التي جاءت في سفر الحكمة في الأصحاح ١٣ من عدد ١-١٧، نجدُها بروحها في الرسالة إلى رومية ٢٠: ١-٢٥ وفي مواضع أخرى كثيرة، حققها العالم الألماني جراف وسجلها في جدولته المعروف باسمه (١٠).

والمسألة ليست مجرد اقتباسات بأعدادها الكثيرة، بل العبارة بالروح، فنحن حينما نعود إلى مراجعة استشهادات بولس في مواضعها من السبعينية، نحس في الحال بأن وراءها روحاً من التقوى، كانت هي السر والسبب الأساسي عند القديسين الأوائل في استعمالها. هذه الروح عينها نحسها في بولس الرسول، فبولس الرسول لم يكن يستشهد بمحفوظات من السبعينية في ذاكرته، بل كانت تأتيه عندما يحتاجها، لأنه كان يعيش فيها وفي تجلياتها.

لذلك نشوق هنا وقفة قصيرة لتراجع أنفسنا، فإن ضعف استجلائنا لكنوز النعمة عند بولس الرسول راجع بالدرجة الأولى إلى عجزنا وقصورنا في معرفتنا للسبعينية، لأن عدم تمكننا من استجلاء الروح التقوية في السبعينية يقوّت علينا ما يريد أن يقوله بولس الرسول تماماً، ومن أين جاء بمقولته، وما هو عمقها وأهدافها.

والآن لا نندهش أن يقوم يهودي فريسي من أهل الشتات بعد أن يتعرف على المسيح في يوم وليلة ليَفْشَى المجمع اليهودية - عرين الأسد - لينادي بالمسيح حَقَّقاً أنه هو ابن الله !!! (أع: ٩: ٢٢)

وإليك أيها القارئ العزيز ما سجله القديس لوقا في سفر الأعمال:

+ «أيها الأخ شاول، قد أرسلني الرب يسوع الذي ظهر لك في الطريق، الذي جثت فيه، لكي تبصر وتمتليء من الروح القدس. فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور، فأبصر في الحال، وقام واعتمد، وتناول طعاماً فتقوى. وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أياماً. وللوقت جمل يكرز في المجمع بالمسيح أن هذا هو ابن الله. فبهت جميع الذين كانوا يسمعون، وقالوا أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم ...» (أع: ٩: ١٧-٢١)

وهذه التلقائية السريعة في الإيمان ثم الكرازة التي لا تبلغ في مدتها الزمنية أكثر من أسبوع حسب الرواية، يكرس أن تُقرأ قراءة صحيحة لوقارنا بين الرسول بولس وأي رسول من الاثني

عشر، حيث استغرق إعداده للكراسة ثلاث سنين ونصف، يتعلم على يد الرب يسوع، ثم بالقيامة ونوال نمخة الروح القدس، وبعدها خمسين يوماً بانتظار حلول الروح القدس، وبعدها انطلقوا يكرزون.

هنا نقرأ هذه التلقائية السريعة في الإيمان والكراسة والتعليم على خلفيتها الحقيقية وهي التوراة السبعينية التي جهّزت هذا الرسول ليوم الكراسة. لأن كل العوامل الأخرى، سواء الاستعلان أو رؤية قيامة الرب أو نوال النعمة أو ملء الروح القدس، هي واحد وبالتساوي بين بولس الرسول وبقية الرسل. هذا يقرره بولس الرسول بقوله:

+ «إذ رأوا أنني أُؤْتِمِثُ (من قِبَل الرب) على إنجيل الغرلة (الكراسة للأمم) كما بطرس على إنجيل الختان (اليهود). فَإِنَّ الَّذِي عَمِلَ فِي بَطْرُسَ لِرِسَالَةِ الْخَتَانِ (نعمة المسيح والروح القدس) عَمِلَ فِيَّ أَيْضاً (نعمة المسيح والروح القدس) لِلأُمَمِ. فَإِذْ عَلِمَ بِالنِّعْمَةِ الْمَعْطَاةِ لِي بِعَقُوبٍ وَصَفَا وَيُوحَنَّا الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّهُمْ أَعْمَدَةُ، أُعْطُونِي وَبِرَنَابَا يَمِينَ الشَّرْكَاءَ لِنَكُونَ نَحْنُ لِلأُمَمِ وَأَمَّا هُمْ فَلِلْخَتَانِ.» (غل ٢ : ٧-٩)

إدأ، فكل التعاليم اللاهوتية الجديدة والقائمة على التوراة ومواعيد الله التي تقدم بها بولس الرسول هي أكثر من باقي الرسل بشهادة القديس بطرس نفسه عند قوله في رسالته:

+ «كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور.» (٢بط ٣ : ١٥ و١٦)

هذه التعاليم — التي صارت بحد ذاتها منهجاً لاهوتياً كاملاً — هي من واقع الامتياز الوحيد المتبقي لبولس الرسول على باقي الرسل، كونه درس التوراة السبعينية ككُفْرِيْسِي، أي كعالم، أو على حد قولنا كـ «دكتور في اللاهوت»، دراسة روحية عميقة بقصد البحث عن الحياة الأبدية كقول المسيح: «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية» (يوه ٣٩)، وكما أوضح ذلك بطرس الرسول وأكدّه: «وعندنا الكلمة النبوية (التوراة) وهي أثْبَتُ (أثبتت من الكلام الشفاهي الذي كان يعظ به بطرس الرسول عن لاهوت المسيح في الآيات السابقة، أنظر النص ٢بط ١ : ١٦-١٨، إذ يضيف) التي تفعلون حسناً إن انتهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح (المسيح) في قلوبكم. عالِمِينَ هَذَا أَوَّلًا أَنَّ كُلَّ نُبُوَّةِ الْكِتَابِ لَيْسَتْ مِنْ تَفْسِيرٍ خَاصٍّ، لِأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمُشِئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أَنَاثَا الْقَدِيسُونَ مُسَوِّقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقَدِيسِ.» (٢بط ١ : ١٩-٢١)

والعلماء المدققون يفهمون الآن السر وراء التعاليم الأخلاقية المكثفة في رسائل بولس الرسول

وتنظيمها وتقنيها، وسرد عيوب السلوك وإصلاحها، وتوعية الضمير، وأعمال السك الروحي، وإماتة الأعضاء التي على الأرض: «ولكن إن كنتم بالروح تُمتتون أعمال الجسد فستحيون» (رو٨: ١٣)، وواجبات العبادة الصادقة، فهذه كلها انطباعات تقوية من واقع روح التوراة، التي كان يعيش عليها القديس بولس ويتحرك، والتي سُلط عليها نور المسيح الذي هو المثل والنموذج الأعلى للتوراة الروحية الحقيقية!

ونعيد تأسفاً الشديد أننا لسنا على دراية بالتوراة السبعينية، حتى نلاحظ هذه العلاقة ونتابعها. وما يريد شعورنا باحزن والأسى أننا لا زلنا متأخرين جداً عن الغرب الذي حصص فصولاً ودورات خاصة في كل مدارس اللاهوت لدراسة السبعينية وشرحها؛ لأنه بدون معرفة التوراة السبعينية وشرحها، فإنه يكون عسيراً كل العسر على المسيحي التقى أو الدارس أن يُلثم بروح وتقوى العهد القديم ساعته الجذر الذي انبثق منه العهد الجديد: «ويخرج قضيب من جذع (وصحتها جذر ἡ ῥίζη) يسى، ويسبت غضب من أصوله، ويحل عليه روح الرب ...» (إش ١١: ١ و٢). ومرة أخرى نقول إن تقوى آباء الكنيسة الأول القديسين ودرائتهم العالية بالأسفار واللاهوت كان مرجعها التوراة السبعينية التي درسوا العهد الجديد عليها.

وعلى القارئ أن يميز بين تقدير بولس الرسول العالي للتوراة وبين مناداته بإلغاء الناموس (وهو الجزء من التوراة الذي أبطله المسيح بظهوره، بالفداء الذي أكمل به الناموس). قالناموس عند بولس الرسول قد أبطل، لا لأنه كان خاطئاً في شيء، فبولس الرسول يشهد للناموس أنه مقدس وصالح: «إذاً الناموس مقدس والوصية مقدسة وعادلة وصالحة ... فإننا نعلم أن الناموس روحي ...» (رو ٧: ١٢ و١٤). ولكن الناموس في صرامته وحكمه بالموت على جميع الخطاة: «أغلق على الجميع معاً في العصيان» (رو ١١: ٣٢)، رشح في الذهن ضرورة الخلاص والفداء، والخروج من سجن العصيان. فلما جاء المختص^(١١) والفادي^(١٢)، انتهى دور الناموس وأطلق سراح المحبوسين^(١٣). وهكذا لما أكمل المسيح العلة والحاجة من الناموس، أبطل الناموس. أما فيما عدا الناموس، وهو الجزء من التوراة الذي كان يتعامل مع الخطية والتعدي بكل أصوله

(١١) المختص: «هوذا الرب قد أحبر إلى أقصى لأرض، قوبوا لاسية صهيون هوذا خلصت آيت. ها تحربه معه (نفس العبدية والعدوك) وجزاؤه أمامه.» (إش ٦٢: ١١)

(١٢) الفادي: «ويأتي الفادي من صهيون وإلى التائبين عن المعصية ...» (إش ٥٩: ٢٠)

(١٣) مُطلق الأمرى: «روح سيد الرب علي، لأ رب مسحي لأشتر المساكين، أرسلني لأعصب مكسري القلب، لأمادي للمسيبين باليقين، وللمأسورين بالإطلاق ...» (إش ٦١: ١)

وهي نفس الآية التي أشار بها المسيح على نفسه أنه هو هو الآتي الذي أتى ليأدي سأسورين بالإطلاق (لوقا ١٨: ١).

وفروعه، فقد دأب بولس الرسول يستشهد بالتوراة ويتمسك بكل دقائقها.

وحينما تعرّص بولس الرسول للتوراة في مواضع كثيرة بالشرح والتوضيح لمواقف ومعاين كثيرة، ظهر بوضوح نفوذه في إدراك المعاني الخفية، وكان شرحه يكشف، بروح رئاسية، أكثر عن سلطان الكلمة في التوراة.

وكان يعبر عن التوراة بـ «الكتاب» فهو عنده، الكتاب الوحيد الذي يحمل الحق والنور، ويشير إلى ما يفتسسه منه بكلمة «مكتوب» وهي لا تحتمل النقاش، لذلك فكل اقتباس يحمل برهانه ويستمد صدقه من صوت الله الناطق فيه. وبولس الرسول يرفع «الكتاب»، أي التوراة، إلى مستوى الشخص المعنوي الذي يتكلم ويرى ويأمر: «والكتاب إذ سبق فرأى أن الله بالإيمان يبرر الأمم، سبق فبشّر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم. إذًا، الدين هم من الإيماني يتباركون مع إبراهيم المؤمن» (غل ٣: ٩٨). كما يرى التوراة كديان قائم يقضي بسطانه: «لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون» (غل ٣: ٢٢). هنا التوراة عند بولس الرسول شخص له سلطان القطع بالكلمة وحكم الإغلاق على الخطاة، والرؤية المستقبلية من على بُعد. فشيء من الامتداد بهذا الإدراك الذي كان عند بولس الرسول بالنسبة للتوراة، ندرك كيف امتد بولس الرسول من التوراة إلى المسيح الذي له نفس السلطان، ولكن على إيجابية أعلى من التوراة، فهو جاء يقطع بالكلمة حقاً ولكن بالأكثر ليفك أسر الخطاة ويطلق سراح المسجونين. أما بالنسبة للرؤية المستقبلية والتنبؤية التي في التوراة، فالمسيح استحضرها من المستقبل إلى الواقع: «ها ملكوت الله داخلكم» (لوقا ١٧: ٢١)، أو بحسب فكر بولس الرسول: «كما هو مكتوب ما لم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان ما أعدّه الله للذين يحبونه (المستقبل). فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله.» (١ كور ٢: ١٠٩)

وكما التزم بولس الرسول بكلام التوراة ألزمه على المؤمنين: «لكي تعملوا فينا أن لا تفتكروا فوق ما هو مكتوب، كي لا ينتفخ أحد لأجل الواحد على الآخر» (١ كور ٤: ٦). يلاحظ القارئ أن كلمة «الواحد» في هذه الآية تعني بولس نفسه «والآخر» هو أبولوس، وترجمتها تكون هكذا: «كي لا ينتفخ أحدكم لأجل بولس على آخر يتمسك بأبولوس».

استخدام «الرمزية» للخروج من ضيق الحرف في الناموس:

أول من استخدم الرمزية في التعليم هم «أنبياء»، بل ربما الله نفسه، ليقرب إلى ذهن الإنسان وحواسه استعمال شخصه وصفاته، فظهور الله كنار مشتعلة في غليظة هو أقوى رمز أو تشبيه للتعبير

عن طبيعة الله التي صيغت بالكلمة بعد ذلك في القول: «لأن إلهنا نار آكلة» (عب ١٢: ٢٩). لم يحرق العليقة ولكن الإحراق يتعدى من المادة إلى الضمير، فهو مرعب ولكن رعبه تنفذ إلى الضمير والنفوس. وقد برع بولس الرسول في استخدام الرمزية أو التشبيه أو المحاز لشرح ما أغلق فهمه في التوراة. فخرج من حدود القصة الضيقة إلى معاني أعلى وأوسع ومن حدود الحرف إلى الروح. وعلى سبيل المثال، فقد استعار من التوراة قصة زواج إبراهيم بسارة وإنجاب إسحق ابن الموعد ليرث الموارد، ثم هاجر العبد أي الجارية وإنجاب إسماعيل المطرود من البيت، ليوضح الفارق بين حرية أولاد الله بالمسيح في روح الإنجيل ليراث أبدي، وبين عبودية إسرائيل لناموس موسى الذي أبطل في المسيح، وانتهى بالقول: «اطرد الجارية وابنها (الناموس) والتمسكين به وأورشليم (الأرضية)، لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة (الإيمان بالمسيح وأورشليم السماوية). إذًا، أيها الإخوة، لسنا أولاد جارية (ناموس موسى ومركزه أورشليم الأرضية) بل أولاد الحرة (أولاد النعمة ومركزها أورشليم السماوية)». (غل ٤: ٢٢-٣١)

وهكذا استطاع بولس الرسول أن يحبس قصة سارة وهاجر في حيز الرمز ليخرج بالتوراة إلى حيز الروح والحرية والحقيقة التي من أجلها كان الرمز في العهد القديم.

كذلك، وبصورة أكثر وضوحاً، نرى أنه كما أن المسيح وقف في عيد المطال الذي يُحتفل فيه بالشرب من الصخرة في البرية وقال: «إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب، مَنْ آمَن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حيّ» (يو ٧: ٣٧ و٣٨)؛ كذلك وفي هذا المعنى بالذات استعلن بولس الرسول حقيقة المسيح بالنسبة للصخرة أن الصخرة كانت هي رمز المسيح الآتي ليسقي شعب الله في برية الأرض كلها، فاختزل الرمز وأطلق الحقيقة وقال: «والصخرة كانت المسيح»!! (١ كو ١٠: ٤) وهكذا انكشف الرمز في أمر صخرة التوراة التي أخذت قيمتها الروحية العظمى في المسيح.

هذا الأسلوب الإبداعي في إخراج الروح من الرمز هو بمثابة إعطاء كلمة التوراة المغلقة والضيقة أجنحة تطير بها في سماء الروح لتحفظ على الحقائق الأزلية.

استنباط مبادئ وأفكار وأوصاف جديدة في المسيحية مستوحاة من التوراة:

الأمثلة لذلك عديدة فمثلاً ندرس عليه الآتي:

+ فهو يستلهم من موقف إبراهيم الإيماني الأول كيف ورثه إبراهيم لنسله من بعده فيقول الآتي:

«لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين في المسيح لكن ليس آباء كثيرون، لأنني أنا ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل» (١ كو٤: ١٥). هنا اعتبر بولس نفسه مثال الأم (الكيسة) التي تلد بالروح أولاداً للمسيح، إذ أدخلهم إلى المسيح بالإيمان وسقاهاهم الروح القدس. وواضح هنا التوازي بين توارث أولاد إبراهيم للإيمان عن طريق نسل الجسد مع توارث أولاد المسيح عن أيدي بولس الرسول، الذي اعتبر نفسه كمؤلد، ولكن التوارث هنا يجيء بولادة الروح كخليقة جديدة وليس بالنسل الجسدي.

+ وفي موضع آخر يشبه نفسه بالماخض أي الحُبلى التي تتوجع بالجنين في بطنها إلى أن تكمل خلقته؛ حيث يحتمل بولس الرسول ضعف إيمانهم وغاوتهم أحياناً وجهلهم إلى أن تكمل صورة المسيح فيهم: «يا أولادي الذين أنمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم» (غل٤: ١٩). وبولس الرسول يستعير صفة المرأة الماخض من إشعياء النبي حيث يتكلم الرب على فمه عن صهيون وكيف تتممخص بشعب إسرائيل، والرب وشيك أن يولدها حتماً: «هل تمحض بلاد في يوم واحد، أو تولد أمة دفعة واحدة، فقد منحضت صهيون (كأنم)؛ بل ولدت بنيتها (باعتبار المستقبل الحاضر في النبوة). هل أنا أنمخض (أخبرت الماخض) ولا أولد، يقول الرب.» (إش٦٦: ٩٥٨)

+ وفي موضع آخر يشبه نفسه بالأم المرضعة التي تُرضع صغارها اللبن قبل أن يتهياؤوا للطعام البالغ وكيف يحنو عليهم حنو المُرضع: «كنا مترفعين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها؛ هكذا إذ كنّا حانين إليكم كنا نرضى أن نعطيكم، لا إنجيل الله فقط، بل أنفسنا أيضاً، لأنكم صرتم محبوبين إلينا.» (١ تس٢: ٨٧)

وبولس الرسول يستعير صفة المُرضع من إشعياء النبي أيضاً، الذي يتكلم الله على فمه كيف يحنو على صهيون أكثر من حنين الأم على رضيعها الذي ولدته!! «هل تنسى المرأة رضيعها فلا ترحم ابن بطنها؟ حتى هؤلاء يَتَسَيِّقُون، وأنا لا أنساك.» (إش٤٩: ١٥)

+ ومن التعبيرات الجديدة لبولس الرسول قوله عن كل رسومات الخدمة في العهد القديم أي التوراة من خيمة الاجتماع وبعدها الهيكل، وكل ما يتعلق بخدمة الهيكل من مديح ومنارات، ودم، وتطهير، وآنية، وذبائح، وخبز وجوه، إلى آخر كل ما يختص بالخدمة، حيث اعتبرها جميعاً أنها لا تختص بالحقائق السماوية؛ بل هي مجرد شبه فقط، معتمداً في ذلك على النص القديم الذي فيه يقول الله لموسى: اصنع حسب «المثال»، وليس حسب الواقع.

«الكهنة الذين يقدمون قرابين حسب الناموس الذين يخدمون شبه السماويات وظلّها، كما

أوحى إلى موسى وهو مزعم أن يصنع المسكن، لأنه قال انظر أن تصنع كل شيء حسب المثال الذي أظهر لك في الجبل» (عب ٨: ٥٤)، «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد، أشباه الحقيقية؛ بل إلى السماء عنها، ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا.» (عب ٩: ٢٤)
وقد أسماها بولس الرسول مرة أخرى أنها ظل الحقائق: «فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة، وأما الجسد فللمسيح.» (كو ٢: ١٦ و١٧)

+ ومبدأ تزويج المسيح للكنيسة، ومنها يستخرج بولس سر الزيجة المقدسة في المسيحية أنه على مستوى زواج المسيح بالكنيسة؛ هكذا يستوي سر زواج الرجل بالمرأة، لأنه في كلا الوضعين ينشأ أولاد للإيمان أو مؤمنون.

هذا المبدأ يطبقه بولس الرسول على ما جاء في التوراة بالنسبة لله وشعب إسرائيل:
«اذهب وناد في أذني أورشليم قائلاً: هكذا قال الرب: قد ذكرتُ لكِ غير صباك، محبة خطبتكِ، ذهابكِ ورائي في البرية في أرض غير مزروعة، إسرائيل قُدس للرب أوائل غَلَّتْه...» (إر ٢: ٢٢ و٣)

«ورأيتكِ وإذا زمنكِ زمن الحب، فبسطتُ ذيلي عليكِ وسترْتُ عورتكِ، وحلفتُ لكِ، ودخلتُ معكِ في عهدٍ يقول السيد الرب، فصرتُ لي...» (حز ١٦: ٨)

«لا تخافي لأتلك لا تخزين... لأن بَعْلَكَ (زوجك) هو صانعك، رب الجنود اسمه، وَوَلِيُّكَ قدوس إسرائيل، إله كل الأرض يُدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الرب وكزوجة الصبا...» (إش ٥٤: ٤-٦)

«هكذا قال الرب: أين كتاب طلاق أمكم التي طَلَقْتَهَا... من أجل ذنوبكم طَلَقْتُ أمكم.» (إش ٥٠: ١)

«فإني أغار عليكم غيرة الله، لأنني خطبتكم لرجل واحد، لأتقدم عذراء عفيفة للمسيح.» (٢ كو ١١: ٢)

«كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه. فإنه لم ينفذ أحد جسده قط؛ بل يقوته ويربيه، كما الرب أيضاً للكنيسة. لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه، من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السر عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة!» (أف ٥: ٢٨-٣٣)

+ الفصح القديم والفصح الجديد:

استوحى بولس الرسول من ملاسبات الفصح القديم الذي كان فيه ومنه سر «الخروج» العظيم من «عبودية» فرعون (الخطية) ومصر إلى حرية شعب خرج بالتهليل يطلب وطناً، وإذ رأى في موت المسيح على الصليب ذبيحة فصحية — حيث كلمة «فصح» بالعبرية تعني عبوراً أو خروجاً — اعتبر المسيح فصحاً جديداً لخروج حقيقي أعظم بلا قياس، وخروج من عبودية الخطية بالناموس ومن التمسك بوطن أرضي زائل إلى تهليل الخروج ببر المسيح إلى حرية مجد أولاد الله الذين يطلبون وطناً أفضل أي سماوياً. فالمسيح كـ «فصح» أكمل لنا الخروج من عبودية الخطية (سُخرة فرعون) ومن أرض الخطية (مصر) إلى حرية مجد أولاد الله، لوطن سماوي دائم.

+ «لأن فصحننا أيضاً المسيح قد دُبِعَ لأجلنا. إذًا لنعيّد ... بفطير الإخلاص والحق». (١ كور: ١٥: ٨)

+ «واسلكوا في المحبة، كما أحبنا المسيح أيضاً وأسلم نفسه لأجلنا قُرباناً وذبيحة لله رائحة طيبة». (أف: ٥: ٢)

وعلى هذا النمط كتب بولس الرسول — أو أُمْلِيَ^(١٤) — كل سفر العبرانيين، واضعاً أساس الإيمان المسيحي بكل تطبيقاته على الأصول الأولى التي في التوراة والناموس عقارة شديدة الدقة وعميقة ورتبية، وحكيمة، ومستنيرة، مقارنة من الشبه إلى الحقيقة، من الظل إلى النور، من المثال القديم الصامت المُضَمَّت إلى الواقع الحي المتكلم، من الأشياء والوصايا والطقوس الجسدية المصنوعة بالأيدي التي هي من تعاليم الناس إلى ما هو غير مصنوع بيد، إلى صنع السماء، إلى الروح الأزلي، من تطهير بدم حيواني وغسل الجسد بماء إلى تطهير الضمير بدم إلهي وغسل الكيان الروحي كله بالروح القدس.

+ المنُّ النازل من السماء الذي لا ينقص ولا يزداد:

هي لفظة من لفتات بولس الرسول ذات العمق التأملي الذي يشهد له كدارس للتوراة لا يُشَقُّ له غبار. فقد لمح من وصية الله بالنسبة «لجمع» المن اليومي هكذا:

+ «ففعل بنو إسرائيل هكذا والتفتطوا (المن) بين مكثّر ومقلّل. ولما كالموا بالمُعر (نوع من المكيال) لم يفضل المُكثّر، والمقلّل لم ينقص». (خر: ١٦: ١٧ و١٨)

بمعنى أن الطَّمَاع الذي جمع كثيراً، فقد وجد بعد ما أكل منه على قدر طاقته أنه لم يُفْضِلْ عنه

(١٤) الكتيبة القبطية تصح سفر العبرانيين ضمن كتابات القديس بولس الرسول.

شيئاً بعد ما أكل!!! وانمكتفي الذي جمع قليلاً، لما أكل منه على قدر طاقته وحد أنه لم يُنقص شيئاً بعد ما أكل عما احتاجه فعلاً!! كان هذا قديماً درساً موجعاً للطَّمَاع ليردعه عن طمعه، وإلهاماً بديعاً للمكتفي ليزداد في اكتفائه.

ابهر بوس الرسول من هذا المثل الإلهي في التعليم، فاقبسه عندما كان يوصي الكنائس الغنية أن تسحي في عطائها — بقدر وتبسيط معاً — لفقراء أورشليم هكذا:

+ «فإنه ليس ليكون للأحرين راحة ولكم ضيق (أي لا يعطوا من أموالهم فيصيروا في ضيق)؛ بل بحسب المساواة (أصل روح الاشتراكية) لكي تكون في هذا الوقت فضالتكم (المالية) لإعوازمهم (الجسدية)، كي تصير فضالتهم (الروحية بالدعاء) لإعوازمكم (الروحية) حتى تحصل المساواة كما هو مكتوب: "الذي جمع كثيراً لم يُفْضِلْ والذي جمع قليلاً لم يُنْقَصْ."» (٢ كور: ٨: ١٣-١٥)

بمعنى أن الله سيتكفل بأن يريدكم غنى مادياً لتزدادوا في العطية والروح بمؤازرة القديسين. وبالتالي سيزيد القديسين نعمة بمؤازرتكم ليزدادوا في الصلاة من أجلكم، فلا أنتم ينقص عنكم المورد المالي ولا هم يجوعون!!!

+ السموات تحدّث، والفلّك يُخبر:

هذا مزموّر لداود النبي فيه يتغنّى بدور السموات في اشتراكها في التحدّث لبني آدم بعظمة الله وعجائبه، وحديثها بلغ العالمين، والفلّك يخبر، بمجراته ونجومه وشمسه وأقماره، بقدرة الصانع وجبروت ضابط الكل، وخبره طبّق الآفاق:

+ «السموات تحدّث بمجد الله، والفلّك يخبر بعمل يديه، يوم إلى يوم يذيع كلاماً، وليل إلى ليل يُبدي علماً. لا قول ولا كلام، لا يُسمع صوتهم (صحتها صوتها)، في كل الأرض حرح مسطّهم (صحتها منطقها)، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم (صحتها كلماتها).» (مز: ١٩: ٤-١)

وداود النبي يقصد أن أعمال الله تعلن عنه بدون كلام، وصنائه تنطق بلاهوته بلا نطق. وهذه الآيات العظيمة لخلق الله يأخذها بولس الرسول على وجهين، الوجه الأول يستخدمها باعتبارها إعلاناً رسمياً من الله، يتحتم على بني البشر وعلى كافة أنواعهم وأجناسهم أن يستشعروا بها قوته وسلطانه ولاهوته الفائق. هكذا يكتب إلى أهل رومية:

+ «إذ معرفة الله ظاهرة فيهم، لأن الله أظهرها لهم، لأن أموره غير المنظورة، قدرته السرمديّة ولاهوته، تُرى منذ خلق العالم مُدْرَكَةً بالمصنوعات، حتى إنهم بلا عذر.» (راجع

أما الأخذ الثاني لمفردات هذه الآية من هذا المزموّر فيقتطف منه قول دود عن السموات والفضك أن «في كل الأرض خرج منطقها وإلى أقصى المسكونة كماتها»، وينسب إلى الرسل القديسين بصفتهم أنهم أذاعوا بالكلمة المسموعة كل الذي دأعته السموات والأفلاك بصمتها:

+ «ليس الجميع قد أطاعوا الإنجيل لأن إشعياء يقول يا رب من صدق خبرنا؟ إذا الإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله. لكسي أقول ألعلمهم لم يسمعو؟ بئى، إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصي المسكونة أقوالهم.» (روا: ١٦-١٨)

+ نور التوراة على وجه موسى،
ونور وجه المسيح الذي أشرق في قلوبنا بالإنجيل:

حينما استؤمن موسى على التوراة واستلمها من الله، نزل من الجبل ووجهه يلمع بالنور:

+ «وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة في يد موسى عند نزوله من الجبل أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع في كلامه معه (مع الله). فنظر هرون وجميع بني إسرائيل موسى، وإذا جلد وجهه يلمع... ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعاً.» (خر: ٣٤: ٢٩ و٣٠ و٣٣)

لقد أثر هذا الخبر في ذهن بولس لرسول تأثيراً كبيراً، فربط بين التوراة والنور حسب تحليل كل المدارس الفريسية، على أساس أن التوراة هي التي أعلنت الله، وعرفت إسرائيل به. فلما ظهر الرب يسوع لبولس بوجهه الأكثر لمعاناً من الشمس في وقت الظهيرة، ربط بولس في الحال بين المسيح والله على أساس أنه الاستعلان الحقيقي لطبيعة الله وبالتالي هو التوراة الحقيقية. وما راد من يفين بولس الرسول بهذه الحقيقة هو المقارنة بين النور الذي لمع في وجه موسى ثم خبا وانطفأ وزال بجمته، وبين نور وجه المسيح اللامع في السماء قبالة الشمس وهو قائم حي دائماً أزلي.

وبالتالي أقام بولس الرسول المقارنة بين خدمة لحرف في التوراة في ظل الخطية والناموس الذي يحكم بالموت وبين خدمة البر في الروح للمجد، وبالتالي بين نور وجه موسى الزائل وبين نور المسيح الدائم في المجد.

+ «إن كانت خدمة الموت المنقوشة بأحرف في حجارة (لوحى الشهادة) قد حصت في مجد، حتى لم يقدر بنو إسرائيل أن ينظروا إلى وجه موسى لسبب مجد وجهه الرائل، فكيف لا تكون بالأولى خدمة الروح في مجد.» (٢ كو: ٣: ٧ و٨)

ثم يعود بولس الرسول ويطبق هذا على خدام البرّ «التوراة» العهد الجديد، ليس كما كان ينظر بنو إسرائيل إلى وجه موسى (الناموس) من خلال برقع؛ بل بوجه مكشوف يستمدون معرفتهم بالله من إشراق وجه المسيح عليهم — كما أشرق هذا الوجه الأقدس عليه في طريق دمشق، فعرف الرب واستعلن الله فيه.

+ «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب "بوجه مكشوف (بدون برقع) كما في مرآة"، نتغير إلى تلك الصورة عينها (وجه المسيح) من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (٢ كو ٣: ١٨)
حيث وجه الرب هنا هو المقابل لموضع التوراة والناموس!

وإن كانت مدارس الفريسيين قد قالت بعلاقة صميمية بين التوراة وبين تكوين النور كأول أعمال الله، والنور الطبيعي الأول خُلِق أولاً ليكشف للإنسان ما تم بعد ذلك من خلقه كل شيء حتى خلقته هو، فقد قال بولس الرسول بأكثر صحة وبكل الحق أن إشراق نور الحياة في الإنسان كان في استعلان وجه المسيح:

+ «لأن الله الذي قال أن يُشرق نور من ظلمة (بده أعمال الله) هو الذي أشرق في قلوبنا لإزالة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح.» (٢ كو ٤: ٦)

فالمسيح هنا هو نور الحياة في مقابل نور الخليقة الأول لمعرفة الله بالروح عوض معرفة الله بالحواس والعقل.

هنا يمكن تجميع رؤية بولس الرسول في القول بأن تَطَّلَعْنَا في إنجيل المسيح هو في حقيقته تَطَّلُع دائم في وجهه الإلهي الذي يصي قلوبنا بحضرته، فيغيّرنا إلى مجد، ومن مجد إلى مجد، شريطة أن يكون تَطَّلَعْنَا في الكلمة قوياً لصيقاً كما في مرآة، بدون برقع الخطية، نعدّل عليها صورتنا كل مرة لتكون على «صورة مجده».

كما لا يفوتنا أن نكرر أن في قول بولس الرسول هنا إشارة أن المسيح هو التوراة الجديدة الحقيقية بصمته الحامل لطبيعة الله والمُطْلَق عنها.

التوراة الجديدة المستمّدة من نور وجه المسيح:

واضح في منهج بولس الرسول التعليمي، أنه يستمد كل تعاليمه ومُثُلُه العليا من نور مجد المسيح الذي أشرق في قلبه، وكأنه يعكس فصول توراة جديدة على مستوى ما جاء في إنجيل القديس متى في قول المسيح: «سمعت أنه قيل للقدماء ... أما أنا فأقول لكم...» (مت ٥: ٢١)

+ فهو يريد فوق كل شيء أن يطبع فكر المسيح على قلوب المسيحيين ليكون لهم حياة بحسب المسيح: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً، الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً في شبه الناس. وإذا وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب.» (في ٢: ٥-٨)

هنا وإن كان بولس الرسول يكشف لنا — باستعلان — عن هويّة المسيح وطبيعته قبل التجسد معادلاً لله، إلا أن القصد هو أن يوضح مدى تنازل المسيح من علوّ هذا المثال الفائق جداً إلى حالة إنسان عبد، ثم استعلان الصليب بعد ذلك أنه لم يكن إلّاماً عليه ولا جاء عقاباً، بل نتيجة طاعة وهدفاً لها، مُعطياً بذلك مثلاً لنا نعيشه في روح التنازل الشديد بعضنا لبعض، ثم روح الطاعة للمصدر الروحي الذي نستقي منه مهما كان فيها من خسارة أو آلام، لأن هذا هو بداية الحديث: «حتى تفتكروا فكراً واحداً ولكم محبة واحدة بنفس واحدة مفتكرين شيئاً واحداً، لا شيئاً بتحزّب أو بعُجب، بل بتواضع ... لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً.» (في ٢: ٢-٤)

«لا يطلب أحد ما هو لنفسه بل كل واحد ما هو للآخر.» (١ كو ١٠: ٢٤)
 «لذلك اقبلوا بعضكم بعضاً كما أن المسيح أيضاً قَبِلَنا لمجد الله.» (رو ١٥: ٧)
 وبالنهاية يقول إن كل التعليم هو بحسب المسيح، هو بفكر المسيح: «أما نحن فمنا فكر المسيح.» (١ كو ٢: ١٦)

هذه هي وصايا التوراة الجديدة عند بولس الرسول، معطاة لا من أوامر ونواهي بل من مثال المسيح الحي وحياته. فحياة المسيح هي التوراة الجديدة عند بولس الرسول. وغايتها وحدة القلوب والأفكار والمشيات بحسب المسيح في المسيح، والأمثلة كثيرة:

+ «فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء، ولا نُرضي أنفسنا، فلنُرضِ كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنين، لأن المسيح أيضاً لم يُرضِ نفسه. بل كما هو مكتوب: تعبيرات معيترك وقعت عليّ (مز ٦٩: ٩).» (رو ١٥: ١-٣)

و يلاحظ القارئ أن التوراة الجديدة (الإنجيل) عند بولس الرسول لا تنتهي عند برّ الإنسان الفردي بالناموس، بل إن قصدها دائماً وهدفها الوحيد «لأجل البنين»، وهذا ما أوضحه أكثر في قوله: «لأجل تكميل القديسين (الكنيسة)، لعمل الخدمة، لبنيان جسد المسيح (الكنيسة)، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح.» (أف ٤: ١٣ و١٢).

+ وبولس الرسول يحاول جاهداً أن يقنع الكنائس المشاكسة (كورنثوس) أنه يسقيهم روح التعليم بحسب توراته الجديدة (المسيح بدون ناموس وبدون ختان) على مستوى المسيح نفسه ومتمثلاً به، وبولس الرسول يعرف ما قاله المسيح موازناً تعليمه بتعليم التوراة: «إحملوا نيري عليكم وتعلموا مني ... لأن نيري هين وحلي خفيف.» (مت ١١: ٢٩ و ٣٠)

ذلك في مقابل نير التوراة وحلها التي قال عنها بطرس الرسول: «لمادا تجربون الله بوضع "نير" على عنق التلاميذ (المسيحيين الجدد من الأمم) لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله» (أع ١٥: ١٠). فعل ضوء وصف المسيح لنيره مقابل نير الناموس وحل تعاليمه مقابل حل تعاليم الناموس ووصايا الناس، ثم وصف وداعة المسيح مقابل عنف الناموس وتواضعه مقابل عتو الناموس، يتوصل بولس الرسول إلى أهل كورنثوس أن لا يرتدوا للتهود ونير الناموس، بل أن يتمسكوا بداعة المسيح وحلّه: «ثم أطلب إليكم بدواعة المسيح وحلّه ...» (٢ كو ١٠: ١)

+ حينما ابتدأ بولس الرسول يجمع التبرعات المالية لفقراء أورشليم حسب قانون وتوصية الرسل، أراد أن يرفع عملية جمع الأموال إلى مستوى روحي، ليجعل من عطية الكنيسة للفقراء عمل بدلي روحي، قال: «هاتكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢ كو ٨: ٩). وهنا وهو بصدد أعمال التبرعات يرفع فكرهم إلى مستوى تجسد المسيح وبذله، هكذا يمزج بولس تعليمه باللاهوت معطياً المسيح مثلاً وغودجاً.

+ يلاحظ قارىء رسالة كورنثوس الأولى الأصحاح الثالث عشر أن بولس الرسول يصف المحبة، رؤية وراء رؤية، وعينه على المسيح نفسه. فالمحبة التي يستعلنها بولس الرسول في هذا الأصحاح هي من صفات المسيح، وبالمسيح وحده ينالها من يريد امتلاكها. فالتوراة أصبحت عند بولس الرسول هي المسيح وكلماته.

«نُسْتَم فَنبَارِك، نَضْطَقْد فَنَحْتَمَل، يُفْتَرَى عَلَيْنَا
فَنَعْظُ».

(رو١٢: ١٧):

«لَا تَجَاوِزُوا أَحَدًا عَنْ شَرِّ بَشَرٍ».

(٢١: ١٢):

«لَا يَغْلِبُكَ الشَّرُّ بَلْ اغْلِبِ الشَّرُّ بِالْخَيْرِ».

(٧: ١٣):

«فَاعْطُوا الْجَمِيعَ حَقُوقَهُمْ. الْجُزْيَةُ لِمَنْ لَهُ الْجُزْيَةُ،
الْجَبَايَةُ لِمَنْ لَهُ الْجَبَايَةُ، وَالْخُوفُ لِمَنْ لَهُ
الْخُوفُ، وَالْإِكْرَامُ لِمَنْ لَهُ الْإِكْرَامُ».

(١٣: ٨-١٠):

«لَا تَكُونُوا مَدْيُونِينَ لِأَحَدٍ بِشَيْءٍ إِلَّا بِأَنْ يَحِبَّ
بَعْضُكُمْ بَعْضًا. لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ
النَّامُوسَ، لِأَنَّ لَا تَزْنِي، لَا تَقْتُلْ، لَا تَسْرِقْ، لَا
تَشْهَدْ بِالزُّورِ، لَا تَشْتَعِ، وَإِنْ كَانَتْ وَصِيَّةٌ أُخْرَى
هِيَ مَجْمُوعَةٌ فِي هَذِهِ الْكَلِمَةِ: أَنْ تَحِبَّ قَرِيبَكَ
كَنَفْسِكَ. الْمَحَبَّةُ لَا تَصْنَعُ شَرًّا لِلْقَرِيبِ. فَالْمَحَبَّةُ
هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ».

(رو١٤: ١٠):

«وَأَمَّا أَنْتَ فَلِمَاذَا تَدِينُ أَحَاكَ، أَوْ أَنْتَ أَيْضًا
لِمَاذَا تَزْدَرِي بِأَخِيكَ، لِأَنَّنَا جَمِيعًا سَوْفَ نَقْفُ
أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ».

(مت ٥: ٣٩):

«أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تَقَاوِمُوا الشَّرَّ. بَلْ مَنْ
لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضًا».

(مت ٥: ٣٩):

«وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ لَا تَقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ
لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ، فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ
أَيْضًا».

(مر ١٢: ١٧):

«أَعْطُوا مَا لِقَيصرَ لِقَيصرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ».

(مت ٢٢: ٣٦-٤٠):

«يَا مَعْلَمُ آيَةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعَظْمَى فِي النَّامُوسِ،
فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: تَحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ
وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ
الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعَظْمَى، وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تَحِبُّ
قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ
النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ».

(مت ٧: ٢١):

«لَا تَدِينُوا لِكُلِّ لَا تَدَانُوا، لِأَنَّكُمْ بِالْدِينُونَةِ الَّتِي
بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ
يُكَالُ لَكُمْ».

(رو ١٤: ١٣):

(مت ١٨: ٦):

«فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً، بل بالحري احكموا بهذا أن لا يوضع لئلاخ مصدمة أو معثرة».

«وَمَنْ أَغْشَرُ أَحَدٍ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي، فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ الرَّحَى وَيُفْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ».

(رو ١٤: ١٤):

(مر ٧: ١٥):

«إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجساً بذاته إلا مَنْ يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس».

«ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه، لكن الأشياء التي تخرج منه هي التي تنجس الإنسان».

تسالونيكي الأولى

(١ تس ٤: ٨):

(لو ١٦: ١٠):

«إِذَا مَنْ يُرْذَلُ (بولس) لَا يُرْذَلُ إِنْسَانًا بَلِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا أَيْضاً رُوحَهُ الْقُدُّوسَ».

«الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني (الله)».

(١ تس ٤: ٩):

(يو ١٣: ٣٤ و ٣٥):

«وَأَمَّا الْمَحَبَةُ الْأَخَوِيَّةُ فَلَا حَاجَةَ لَكُمْ أَنْ أَكْتُبَ إِلَيْكُمْ عَنْهَا لِأَنَّكُمْ أَنْفُسَكُمْ مَتَعَلِّمُونَ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً».

«وصية جديدة أنا أعطيتكم أن تحبوا بعضكم بعضاً، كما أحببتكم أنا تحبوا أنتم أيضاً بعضكم بعضاً، بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي، إن كان لكم حب بعضاً لبعض».

(١ تس ٥: ٢):

(لو ١٢: ٣٩ و ٤٠):

«لِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِالتَّحْقِيقِ أَنَّ يَوْمَ الرَّبِّ كُلُّهُ فِي اللَّيْلِ هَكَذَا يَجِيءُ».

«وَأَمَّا اعْلَمُوا هَذَا، أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيْةِ سَاعَةٍ يَأْتِي السَّارِقَ لَسَهَرَ وَلَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ. فَكُونُوا أَنْتُمْ إِدَاً مُسْتَعِدِينَ، لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ».

(١ تس ٥: ٣):

(لو ٢١: ٣٤):

«لِأَنَّهُ حِينَمَا يَقُولُونَ سَلَامٌ وَأَمَانٌ، حَيْثُذُ

«فاحترزوا لأنفسكم، لئلا تثقل قلوبكم في

يفاجئهم هلاكٌ بغتة كالْمَخاضِ لِلْحَبْلِى فلا
ينجون». .

(١ تس ٥: ٦):

«فلا نَتَمَّ إِذَا كَالْباقين بل لنسهر ونَصُحْ» .

(مت ٢٤: ٤٢):

«اسهروا إداً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي
ربكم» .

(مر ٩: ٥٠):

«... سالموا بعضكم بعضاً» .

(١ تس ٥: ١٣):

«... سالموا بعضكم بعضاً» .

(لو ٦: ٢٣):

«افرحوا في ذلك اليوم وتهللوا» .

(١ تس ٥: ١٦):

«افرحوا كل حين» .

كولوسي

(مت ٦: ١٢):

«واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن أيضاً
للمذنبين إلينا» .

(كو ٣: ١٣):

«محتملين بعضكم بعضاً ومسامحين بعضكم
بعضاً، إن كان لأحد على أحد شكوى، كما
غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً» .

(مت ٢٩: ٣٠ و ٤٥: ٤٥):

«فإن كانت عينك اليمنى تُعثرُك فاقطعها وألقها
عنك. لأنه خيرٌ لك أن يهلك أحد أعضائك ولا
يُلْقَى جسدك كله في جهنم. وإن كانت يديك
اليمنى تُعثرُك فاقطعها وألقها عنك، لأنه خيرٌ
لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلْقَى جسدك
كله في جهنم» .

(كو ٣: ٥):

«فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض» .

«وإن أعثرتك رجلُك فاقطعها. خيرٌ لك أن
تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان
وتُطرح في جهنم في النار التي لا تُطفأ» .

(كو٣:١٢):

(مت١١:٢٩):

«فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعةً وطول أناقة».

«احملوا نيري عليكم وتعلموا مني . لأني وديع ومتواضع القلب».

(كو٢:٤):

(مت٢٦:٤١):

«واظبوا على الصلاة ساهرين فيها بالشكر» .

«اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة» .

(كو٤:٣):

(لو٨:١٠):

«... لتتكلم بسر المسيح» .

«فقال: لكم قد أعطيت أن تعرفوا أسرار ملكوت الله ...»

(كو٦:٦):

(مت٥:١٣، مر٩:٥٠):

«ليكن كلامكم كل حين بنعمة مُضَلحاً بملح» .

«أنتم ملح الأرض ...»

«ليكن لكم في أنفسكم ملح ...»

(كو٦:٤):

(لو١٢:١٢):

«لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد» .

«لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه» .

كورنثوس الثانية

(٢ كو١١:٧):

(مت٢٣:١١):

«أم أخطأت خطية إذ أذلت نفسي كي ترتفعوا أنتم ، لأني بشرتكم مجاناً بإنجيل الله» .

«وأكبركم يكون خادماً لكم» .

كورنثوس الأولى

(١ كو٧:١٠):

(مر١٠:١١ و١٢):

«وأما المتزوجون فأوصيهم ، لا أنا بل الرب ، أن لا تفارق المرأة زوجها» .

«مَنْ طَلَّق امرأته وتزوج بأخرى يزيي عليها ، وإن طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني» .

(١ كو٩: ١٤):

(لو١٠: ٧):

«هكذا أيضاً أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون». .
«وأقيموا في ذلك البيت آكلين وشاربين مما عندهم، لأن الفاعل مستحق أجرته» .

(١ كو٩: ١٩):

(مر١٠: ٤٣-٤٥):

«فإني إذ كنت حراً من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأكثرين». .
«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ عَظِيماً يَكُونَ لَكُمْ خَادِماً، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيرَ فِيكُمْ أَوَّلاً يَكُونَ لِلْجَمِيعِ عَبْدًا، لِأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضاً لَمْ يَأْتْ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيُخْدَمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» .

(١ كو١١: ٢٣):

«لأنني تسلمت من الرب ما سلَّمْتُكُمْ» .

(أع٢٠: ٣٥):

«متذكرين كلمات الرب يسوع أنه قال مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» .

(١ كو١٤: ٣٧):

«إن كان أحد يحسب نفسه نبياً أو روحياً فليعلم ما أكتبه إليكم أنه وصايا الرب» .

(١ كو٧: ٢٥):

«وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهنَّ ولكنني أعطي رأياً كمن رَحِمَهُ الرب أن يكون أميناً» .

(١ تس٤: ١٦):

«لأن الرب نفسه، بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله، سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً» .

(١ كو٥: ٥):

«إدأ لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويُظهر آراء القلوب» .

كل هذه الاستشهادات المباشرة بوصايا الرب التي عثرنا على المرادف لها في الأناجيل الثلاثة الأولى أو التي ينسبها بولس للمسيح ولا يوجد لها مقابل في الأناجيل، أو التي يطلقها بولس الرسول

دون الإشارة إلى أي مرجع ولكنها تحمل الروح الرئاسية سلطان كقوله: «لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذوناً لمن أن يتكلمن» (١ كو١٤: ٣٤)، يتضح منها أن بولس الرسول إما أنه كان يقرأها من بعض التسجيلات المكتوبة كأساس للأناجيل (Q) التي حصل عليها من الرسل^(١٦)، أو التي التقطها من شفاه الرسل أو من القديسين الأتقياء الذين عاصروا المسيح والذين استم منهم العماد ووضع اليد بالروح القدس^(١٧). وهذه الوصايا التي ذكرها جميعاً يُجملها في النهاية بقوله: «... فيعلم (أن) ما أكتبه إليكم أنه وصايا الرب» (١ كو١٤: ٣٧)، وهذا يمتهى الوضوح.

ويقول العالم جوانس فايس أن بولس الرسول كان يرجع إلى أقوال لمسيح في الوصايا السلوكية والأخلاقية والتنظيمية للمؤمنين ذات الطابع التقني باعتبارها معياراً مسيحياً ثباتاً ينبغي الالتزام به. أما فيما يخص حياة المؤمنين فإنه كان يستوحي الروح القدس مباشرة بحسب غنى نعمة الله التي منحه الله إياها بوفرة^(١٨).

«اذهبوا وتعلموا جميع الأمم ... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به»: كذلك يلزم أن ننبه أن الوظيفة التي قام بها الرب قبل أن يتم عملية الفداء بالصليب كانت التعليم. فاللقب الأول للرب هو «المعلم» والرسل كانوا تلاميذ، باعتبار أنه كان يضع لهم بتعليمه وصايا ذات طابع قانوني على مستوى الناموس، ولكن أعلى منه، لكل نواحي الحياة السلوكية والتي جاءت بسلطان رئاسي هكذا: «قد سمعتم أنه قيل للقديماء — (سلطان الناموس) — وأما أنا فأقول لكم (بسلطان أعلى من الناموس)» (مت ٥: ٢١)، حيث يُستشف من كلام المسيح أن الناموس وضعي من مستوى بدائي، أما وصايا الرب فهي من فوق بسلطان الله.

وليلاحظ القارئ أن مصدر التعليم عند اليهود اسمه «التلمود»، وهي كلمة عبرية موازية وذات نفس الأصل من كلمة «تلمذة» و«تلميذ» بالعربية. فوصايا الرب وتعليمه لتلاميذه هي التلمود الجديد الذي صار الإنجيل.

وهنا بولس الرسول يكاد يكون هو أول من قام يتم أمر الرب الذي جاء في نهاية الأناجيل: «فاذهبوا وتعلموا جميع الأمم ... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (مت ٢٨: ٢٨).

(١٦) راجع صفحة ١٣٧.

17. M. Dibelius, *From Trad. to Gospel*, p. 242.

W.D Davies, *Paul and Rabbinic Judaism*, p. 138-146

18. *Hist. of Prim. Christ.*, pp. 153f, 459f.

١٩ و٢٠). وهنا بقية الآية هي رأس مال بولس الرسول: «وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠)، أي من يد معلم إلى يد معلم.

ثم إعادة وعد الرب بالنسبة لعطية الروح القدس التي نالها بولس الرسول أيضاً: «أما متى جاء ذلك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق ... يأخذ مما لي ويخبركم» (يو ١٦: ١٣ و١٤)، كذلك: «وأما المعزّي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويدّركم بكل ما قلته لكم.» (يو ١٤: ٢٦)

وواضح من كلام بولس الرسول أنه يرجع في كل أمور تقنين السلوك والتنظيم للمؤمنين إلى أقوال الرب بمستوياتها الثلاثة المعروفة:
في مذكرات الرسل،
وتلك المسلمة شفاهاً،

وتلك المستوحاة من فم الرب بالروح القدس «الناطق في الأنبياء»، والمتكلم فيهم حسب الوعد.

لذلك نستشف في كل مرة يعثر فيها بولس الرسول على مصدر تعليمي مباشر من الرب أن الكلام يأتي بسلطان وبروح رئاسي: «أنت بلا غدر أيها الإنسان كلٌّ مَنْ يدين» (رو ١٦: ١٢؛ راجع مت ٧: ١)، أما إذا لم يكن أمامه هذا المصدر فنسمعه في الحال ينزل إلى مستوى نفسه بانضاع كثير: «وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن، ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً.» (١ كو ٧: ٢٥)

كذلك في سياق الوصايا التي يعطيها بولس الرسول حينما يقول: «احملوا بعضكم أثقال بعض»، يوضح أنه ليس من نفسه يعطي وصايا العهد الجديد في مقابل التاموس، ولكنه يأخذ من المسيح، إما نقلاً أو سمعاً بالروح، فيقول: «وهكذا تمّموا ناموس المسيح» (غل ٦: ٢)، مما يفيد أن هذه الوصية مأخوذة من ناموس المسيح التعليمي. وكلمة «ناموس المسيح» تكشف أعماق فكر بولس من جهة المسيح أنه صاحب التوراة الجديدة بأجل بيان، فهي ليست كناموس موسى، أي عبارة عن قوانين حرفية محددة للتعامل مع الجسد والعبادة بالجسد دون التعامل روحياً مع الخطية قط، بل إن «ناموس المسيح» عند بولس الرسول هو «ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد اعتقني من ناموس (موسى) الخطية والموت!!» (رو ٨: ٢). فإذا كان التاموس (القانون) روحياً (رو ٧: ١٤)، فقد تلاشى فيه الحرف القاتل ليحل محله الروح المحيي الذي لا تحدّه الكلمات ولا يمكن أن يصاغ في بنود تُطبّق تطبيقاً أعمى على كل الحالات كناموس موسى، بل هو عبارة عن

معايير روحية: محبة، وداعة، لطف، تحنن، شفقة، مشاركة، مغفرة، مسامحة، يأخذ منها كل إنسان ما يحتاجه أو ما ينقصه منها ليتغير إلى أفضل «تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم». (رو١٢: ٢)

كذلك فإننا كثيراً ما نعثر في سياق سرده الوصايا والتعاليم التي يقدمها على اصطلاح يقوله: «بحسب المسيح يسوع» أو «بحسب الرب»^(١١). وكلمة «بحسب» هنا لا تفي بالمعنى، فالكلمة اليونانية الأصلية هي κατά، وتفيد هنا «بمقتضى فعل»، فيصبح المعنى «بمقتضى فعل المسيح» أو «بمقتضى فعل الرب»، أو «بمقتضى فعل الله»، مثل: «لأن الحزن الذي بحسب (الأصح بمقتضى فعل) مشيئة الله يُنشئ توبةً، لخلاص بلا ندامة، وأما حزن العالم فينشئ موتاً» (٢كو٧: ١٠)، وواضح هنا أن مثل هذا الحزن ينشأ من فعل مشيئة الله!!

وهذا يعني أن المؤمن الذي اعتمد وليس المسيح واتخذ به، أصبح — في الحقيقة — ليس في حاجة لوصية يتعلمها، لأنه يكون متعلماً من الرب كقول العهد القديم: «ولا يُعلمون بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه قائلين اعرفوا الرب، لأنهم كلهم سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم، يقول الرب» (إر٣٤: ٣١). الرب هنا هو التوراة والتلمود والمعلم معاً. والقديس يوحنا الرسول يضعها هكذا: «وأما أنتم فالمسحة التي أخذقوها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يُعلمكم أحد، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء، وهي حق وليست كذباً، كما علمتكم تثبتون فيه» (١يو٢: ٢٧ و٢٩)، وهو الذي يشير إليه بولس الرسول في قوله، بعد ما أعطى رأيه: «ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط، ولكنها أكثر غبطة إن لبثت هكذا بحسب رأيي، وأظن أنني أنا أيضاً عندي روح الله». (١كو٧: ٣٩ و٤٠)

وهنا يتضح بقوة فكر بولس الرسول المنحصر في الرب يسوع المسيح باعتباره أنه هو التوراة الجديدة — الحكمة — سواء بالتعليم المباشر أو بالتعليم التوجيهي في الضمير بالروح.

الجزء الثاني
لاهوت بولس الرسول

تهيد

المدخل للاهوت بولس الرسول

كما سبق وقلنا في المقدمة أن بولس الرسول لم يحسب نفسه لاهوتياً متفرغاً، بل حصر ذاته في الكرازة والتبشير: «لأن المسيح لم يرسلني لأعْمُد بل لأُبَشِّر» (١ كو: ١٧)، «لما سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيَّ لأُبَشِّر به بين الأمم، للوقت لم أَسْتَشِرْ أحداً ودماً» (غل ١: ١٥ و١٦). لهذا جاء لاهوت القديس بولس الرسول حسب متطلبات البشارة ولا منهج له، لذلك فمن العبث أن نحاول وضع المناهج للاهوت، الذي جاء متفرقاً موزعاً على رسائله، ومعظم مقولاته اللاهوتية جاءت عفوية. ويكفي للتدليل على ذلك أن أعظم وأشمل مقولة لاهوتية لبولس الرسول، هي تلك التي قالها بصدد تعليمه أهل فيليبي التواضع وتكريم الآخرين!! إذ أعطى ما عمده المسيح في نفسه نموذجاً، وهنا أورد ملخص حياة المسيح في سبق وجوده قبل التجسد ومساواته لله، ثم وصف التجسد وكيف تمَّ، وما هو، ثم كيف تأقَّل للصليب وما نتج عن الموت بالقيامة ثم الصعود، ثم تقييم المسيح كَرُبِّ واجب العبادة والسجود من السمايين والأرضيين (في ٢: ٥-١١).

هذا الكشف العالي المستوى للمسيح في لاهوته وتجسده وموته وقيامته وارتفاعه، قاله بولس ليعلم أهل فيليبي التواضع وتكريم بعضهم بعضاً!!!

إذاً فمدخل اللاهوت عند بولس لا يتبع أي منهج بأي مستوى، بل هو المسيح والمسيح نفسه الذي يتوهج نوره في فكر بولس وروحه فيأخذه نموذجاً لكل شيء، ومن هنا يأتي لاهوت بولس الرسول. فلاهوت بولس الرسول ليس تعليم المسيح ولا تقييم المسيح ولا تقييم أعمال المسيح، بل المسيح نفسه منظوراً في حياته وأعماله.

فأعظم ما عرفه بولس عن المسيح وكل ما حصل عليه من المسيح وكل ما استعلنه بالروح هو شيء واحد: أن المسيح أحبه، ثم مات من أجله: «أحبني وأسلم نفسه لأجلي». (غل ٢: ٢٠)

إن الفكر اللاهوتي للقديس بولس الرسول، إذا أردنا أن نحيط به ونحصره، فيمكن ذلك في آية واحدة: «أما نحن فلنا فكر المسيح» (١ كو٢: ١٦). إن العمق اللاهوتي عند بولس الرسول، إذا أردنا أن نفحص أبعاده ونردّه إلى أصوله في المسيح لنثق في أصالته، فهذا يمكن من آية واحدة: «فأحيا، لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ» (غل ٢: ٢٠). وهكذا فإن كل شيء وكل عمل وكل توجيه وتفتين في لاهوت بولس الرسول هو: «في المسيح» و«مع المسيح». فإذا أردت أن تعرف من هو الإنسان المسيحي، فإن بولس الرسول يرد: هو الذي مات مع المسيح وقام مع المسيح. وإذا أردت أن تعرف ما هي الكنيسة، فإن بولس الرسول يرد: هي جسد المسيح، من لحمه وعظامه، ولها روح المسيح. وإذا أردت أن تعرف كيف ينبغي أن يعيش المؤمنون الآن، يرد بولس الرسول: لا يعيشون لأنفسهم بل لأجل المسيح الذي مات من أجلهم وقام. وإذا أردت أن تعرف ما هي نهاية كل شيء، وما هو مصيرنا فوق، يرد بولس الرسول: نكون معه كل حين.

هذا هو لاهوت بولس الرسول، وهذا هو منهجه إن صحّ هذا التعبير: المسيح بشخصه الحي القائم من الأموات، منظوراً في حياته السابقة على تجسده، وفي تجسده، وفي موته وقيامته وارتفاعه وحلوسه عن بين الآب في السموات؛ على أن لا يلتفت لأي عمل عمله المسيح منفصلاً عن المسيح أو بدون المسيح، بل ولا قيمة لأي تعليم أو مبدأ قال به المسيح بدون المسيح. وكأن لسان حال لاهوت بولس الرسول هو «أعطني المسيح» وأنا سأكون أعظم لاهوتي في العالم. والعكس يكون صحيحاً: إن كنت أعظم لاهوتي في العالم وأنا لا أحوز شخص المسيح في حياتي، فأنا لست من اللاهوت في شيء، وسأعثر في بولس وفي المسيح والله وكل الناس.

وكل ما كان يملأ فكر بولس الرسول وقلبه عن أهدافه في الكرازة بإنجيل المسيح لم يكن هو الفداء ولا الخلاص ولا المصالحة ولا التبرير بالإيمان، فهذه كلها بدون المسيح لا تُفهم ولا يكون لها عمل ولا أثر في الحياة، ولكن كان كل هدفه ورجائه وصلاته ودموعه وآلامه لكي يقبل الأمم «المسيح» قبولاً شخصياً في قلوبهم:

+ «الذي الآن أفرح في آلامي لأجلكم، وأكمل نقائص شوائب المسيح في جسمي لأجل جسده، الذي هو الكنيسة، التي صرت أنا خادماً لها حسب تدبير الله المعطى لي لأجلكم، لتشميم كلمة الله. السرُّ المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أظهر نقديسيه، الذين أراد الله أن يُعرفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم، الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد» (كو١: ٢٤-٢٧). والمعنى واضح أن «السر» هو «المسيح فيكم»، وأن «رجاء المجد» هو «المسيح فيكم».

والآن ربما يسهل علينا أن نقنع القارئ لماذا يصبح لاهوت بولس الرسول في الوقت الذي دوّخ فيه أعظم لاهوتيي الغرب، هو عند البسطاء والأتقياء والشباب المتقّدين بالروح يصبح ترنيمة عذبة، هو قصة حب، هو بنود عقد قران بين النفس العاشقة وإلهها المحبوب. والسبب يقوله بولس الرسول ويطلبه منا بحرارة لنحصل ليس على معرفة لاهوت بولس فقط بل على كل ملء الله !!

+ «أحني ركبتنيّ لدى أبي ربنا يسوع المسيح ... لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متأسلون ومتأسسون في المحبة، حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعُلُو، وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكي تمتثلوا إلى كل ملء الله.» (أف ٣: ١٤-١٩)

هذا في رأينا هو المدخل الوحيد للاهوت بولس الرسول: «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم»!! والمسيح عندما يحل في قلب إنسان أحبه وآمن به، يحل «بلاهوته» (لاهوت المسيح وليس لاهوت بولس الرسول)، بمعنى يحل بكل غنى مجده، يحل بوجوده السابق على التجسد، يحل بتجسده، يحل بكل تعليمه، يحل بآلامه، يحل بصليبه، يحل بموته، يحل بقيامته، يحل بارتفاعه وجلوسه عن يمين الآب، يحل بشفاعته الدائمة لدى الآب، يحل بنعمته وروحه القدوس.

ولكن أول ما يعلمه المسيح لمن أحبه هو كيف مات من أجله! لأن أعظم وأجلّ عمل قام به الآب من أجل العالم وتممه المسيح هو بذل ابنه لكي لا يهلك كل من يؤمن به. الفِدية التي قدّمها المسيح بموته هي أعظم هبة وهبها الله للإنسان، لأن بموت المسيح أنقذنا من لعنة الخطية والموت ونلنا حياة جديدة. وموت المسيح باعتباره أعظم هبة وهبها الله للإنسان، فإن هذه الهبة تحمل بالضرورة كل الهبات الأخرى والمطايا وكل شيء: «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجبتنا أجمعين، كيف لا يَهَبُنَا أيضاً معه كل شيء» (رو ٨: ٣٢)؛ ويلاحظ القارئ هنا كلمة «معه».

الباب الأول

المسيح والثالوث في لاهوت بولس الرسول

الفصل الأول

شخص المسيح في لاهوت بولس الرسول

من الفصول السابقة^(١) يتضح لنا أن بولس الرسول استعلن في كلمات المسيح، سواء المنقولة أو المعلنة له بالروح، أنها الناموس الجديد أو التوراة الجديدة، الذي دَمَّغَهُ بالروح وليس الحرف فأسماء: «**ناموس روح الحياة في المسيح**» (رو٨: ٢)، ولكنه لم يفرّق في كل تعامله مع وصايا المسيح بين كلمات المسيح وتعليمه وبين شخص المسيح. فقد ربط بولس الرسول بين تعاليم المسيح وشخصه، فبقدر ما نأخذ عن المسيح، بقدر ما نأخذ منه شخصياً. وأوضح مثلاً على ذلك بجعل صفات المسيح وسلوكه هي بحد ذاتها أساس تعليمه الأخلاقي، كقوله: «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً» (في ٢: ٥)، «أطلب إليكم بدواعة المسيح وحلمه» (٢ كو ١٠: ١)، «لأن المسيح أيضاً لم يُرِض نفسه» (رو ١٥: ٣)، «... أنه من أجلكم افتقر وهو غني» (٢ كو ٨: ٩). وهكذا يتراءى لنا أن حياة المسيح وصفاته وكلماته كانت عند بولس الرسول وحدة واحدة يأخذ منها لنفسه أولاً ثم يعطي الآخرين. وهذا تماماً هو ما كانت عليه صناعته في الفريسية تجاه التوراة والناموس. فالمسيح ملأ كل فراغ الناموس (التوراة)^(٢) في قلب بولس الرسول عندما اكتشف نهاية الناموس وعدم نفعه؛ الأمر الذي كشفه المسيح للتلاميذ منذ بدء خدمته، عندما قدم عظمته على الجبل — في إنجيل متى — في مقابل عظمة موسى بالناموس على الجبل أيضاً، بل واعتنى المسيح بقوة وتأكيد أن يبيّن أن هذه جاءت لتحل محل تلك بقوله بتكرار مقصود: «قيل للقدماء ... وأما أنا فأقول لكم». فإن كان القديم قد قيل بفم موسى عن تلقين من فم الله، إذاً فبكل مقياس يقف المسيح هنا كمشرّع يتكلم بفم الله مباشرة ليضع نهاية للقديم ليحل محله الجديد. الأول كان للجسد والأرض كوطن، والثاني للروح والسماء كوطن.

وكما كانت التوراة («الناموس» في السبعينية) تعني لليهودي كل ما استعملته الله لمعرفة

(١) راجع صفحة ١٥٠.

(٢) يلزم أن سه عاية الانشاء أن السحة السبعينية لتوراة عبرت كلمة «التوراة» Tōrah إلى «الناموس» νόμος.

طبيعته الشخصية وأفكاره وأغراضه وعن ما يريده للإنسان أن يكون عليه وأن يعمل^(٣)؛ هكذا عرّف القديس بولس المسيح، الذي استعلن طبيعة الله وأفكاره ومشيته من نحو تجديد خلقة الإنسان وميراثه السماوي، بأنه هو التوراة الجديدة. ومن هذا ندرك كيف رأى بولس الرسول في المسيح وأقواله وأعماله كل ما كان يراه الفريسيون في التوراة القديمة.

أ — المسيح حكمة الله (كما جاء في سفر الأمثال):

يجيء النص الذي أورده بولس الرسول في رسالته لكوLOSسي وهو يصف المسيح من حيث طبيعته وأعماله السابقة على تجسده مطابقاً لما جاء في سفر الأمثال عن الحكمة هكذا:

+ « الذي هو صورة الله غير المنظور، "بكر كل خلقه"،

فإنه فيه خُلِقَ الكل ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى.

سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلِقَ،

الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل. وهو رأس الجسد الكنيسة

الذي هو "البداءة" ἀρχή بكر من الأموات،

لكي يكون هو متقدماً في كل شيء. لأنه فيه سرُّ أن يحل كل الجيل^{١٥}. » (كو: ١٩)

(١٩-١٥)

ثم سورد هنا ما جاء في سفر الأمثال بخصوص الحكمة التي استرعت فكر بولس الرموز موقّعة على نفس التغم:

+ « أنا الحكمة ... الرب قناني أول ἀρχή طريقه من قبل أعماله

منذ القدم منذ الأزل مُسَحَّتْ، منذ البدء

منذ أوائل الأرض إذ لم يكن غمر أبدتْ

إذ لم تكن ينابيع كثيرة المياه، من قبل أن تقرررت الجبال قل التلال أبدتْ.

إذ لم يكن قد صنع الأرض معد ولا البراري ولا أول أعفار المسكونة.

لما ثَبَّتَ السموات كنت هناك أنا

لما رسم دائرة على وجه الغمر

لما أثبت السحب من فوق

لما تشدّدت ينابيع الغمر

3. Moose G.F., vol. 1, p 263 quoted by W.D.Davies, *op. cit.*, p 149

لما وضع لبحر حذّه فلا تتعلّى المياه تُخّمه

لما رسم أسس الأرض

كنت عنده صانعاً،

وكنت كل يوم لذته، فَرِحَة دائماً قدامه

فَرِحَة في مسكونة أرضه، ولذّاتي مع بني آدم!» (أم: ٨: ١٢ و ٢٢-٣١)

ومن أغنى المفهومات الإلهامية عند الربيين اليهود اعتبار ما جاء في سفر الأمثال هو عن التوراة. هذا كان يدركه بولس قبل أن يشتغل بالإيمان المسيحي ويعترف على الرب من السماء، فلما دخل الإيمان المسيحي ابتدأ الروح القدس يفتح ذهنه ليعلم المكتوب ويطبق ما درسه في التوراة على المسيح وبالأخص هنا سفر الحكمة.

وفي دراسة الربيين كانوا قد استخلصوا من سفر الأمثال قوله: «الرب قناني أول ἀρχὴ طريقه»، حيث كلمة «أول» تأتي بالعبرية *rēshîth*، إن «أول» هنا أي الـ «رشيّت» هي نصّها «الأول» التي جاءت في أول كلمة في سفر التكوين: «في البدء خلق الله السموات والأرض» (تك: ١: ١)، حيث «في البدء» تأتي في العبرية *Berēshîth* برشيّت. إذاً، فمطلع سفر التكوين هو بعينه: «الرب قناني أول طريقه». من هنا خرج الحكماء اليهود بحقيقة أطلقوها كأحد أسرار التوراة، أن التوراة هي أول خلقه الله؛ وأن سر الأمثال في هذه الآية يعطي مفتاح حل لغز سفر التكوين.

يقول معلم الناموس رابي هوشايا تعليقاً على سفر الأمثال ٨: ٢٢: [كنت أداة الصنعة عند الواحد القدوس ... فالواحد القدوس كان ناظراً إلى الناموس عندما خلق العالم، لأن الناموس يقول: «في البدء = برشيّت = *Berēshîth* خَلَقَ الله» (تك: ١: ١) ولا يوجد «رشيّت» = بدء، لأن الناموس. وعليك أن تعود إلى قول سفر الأمثال ٨: ٢٢ لتقرأ: الرب قناني = صنعني أول رشيّت *Rēshîth* طريقه (٤)].

إذاً علمنا أن المتكلم في سفر الأمثال: «الرب قناني أول طريقه» هو الحكمة: «أنا الحكمة» (أم: ٨: ١٢)، يسهل علينا أن ندرك ما استقر عليه فهم الربيين أن التوراة هي الحكمة التي «كانت في البدء»، والتي بها خلق الله السموات والأرض وكل شيء.

والآن بمراجعة سريعة على الفصل السابق (ص ١٥٠)، يرى أن بولس الرسول حينما أدرك سر

4 C F Burney, *JTS* (1926), vol XXVII, cited by Davies, *op cit.*, p. 172

التوراة الحقيقية «برشيت» و «الحكمة» في المسيح، استقر بالضرورة على أن المسيح هو حكمة الله (١ كوا: ٢٤).

ولكن ليست المسألة هنا مجرد استقراء استقرؤه بولس بفكره، ولكن الأمر أخطر وأعمق بكثير من مجرد استقراء، فالمسيح نفسه هو الذي اعتبر نفسه الحكمة في سفر الأمثال، وما عينا إلا أن نضع هاتين الآيتين تحت عيني القارئ ليستقرىء بنفسه الحقيقة دون عناء:

إنجيل القديس لوقا ١١: ٤٩: حيث الحكمة هي المتكلمة:
«لذلك أيضاً قالت حكمة الله إني أرسل إليهم أنبياء ورسلاً فيقتلون منهم ويطردون».

إنجيل القديس متى ٢٣: ٣٤: حيث المسيح نفسه هو المتكلم:
«لذلك ها أنا (المسيح) أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم يقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة».

بدلك فرؤية بولس الرسول أن المسيح هو حكمة الله هي رؤية حقيقية إلهية مستلنة على خلفية اجتهد ومعرفة وإلهام، ولكن لها أصل وترديد من فم المسيح نفسه!!

من أجل هذا جاء الوثوق والسلطان والشهادة في تقرير بولس الرسول لهذه الحقيقة مع تكرار وتوضيح:

«بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداً وفداء» (١ كوا: ٣٠)

«فبالمسيح قوة الله وحكمة الله» (١ كوا: ٢٤)

«المسيح المدخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم» (٢ كوا: ٣)

والذي يقرب إلى الذهن كيف اعتبر بولس الرسول «الحكمة» باعتبارها التوراة، منطبة على المسيح بحسب ما جاء في الأمثال «كنت عنده صانعاً»، أن الحكمة تأتي في بعض الأسفار الثانوية الأخرى مشخصة — تجاوزاً — بشخص دي تميز، وحيث تظهر من بعد أن كانت «صانعاً» (مذكر سالم) للخليقة كلها في السماء والأرض، «ولدتها» (مؤنث) في بني آدم» ككل، تعود هذه الأسفار الأخيرة وتحدد عمل الحكمة وسكنها في إسرائيل فقط دون جميع الشعوب. ونعطي مثلاً لذلك:

سفر أخنوخ وهو سفر عبري يعتبر من الأسفار الثانوية للعهد القديم؛ وهو مصدر من المصادر الرؤية في التعظيم اليهودي، وكان ذا أهمية كبرى لدى الربيين. يأتي فيه قول الحكمة:

+ « خرجت من قم العلي وكالضباب غطيت كل الأرض،
ووحدي أحطت بكل دائرة السموات،
وفي أعماق الهاوية تمشيت،
على أمواج البحر وفوق الأرض،
وعلى كل إنسان وأمة جعلت سلطاني،
وفيهما كلها بحثت عن مكان لراحتي،
وقلت: لِمِراث مَنْ يكون سكنائي؟
حيثنذا أعطاني خالق الكل
والذي خلقتني حدد مكان سكنائي قائلاً
ليكن سكنائي في يعقوب وفي إسرائيل ميراثك. »

وفي الآخر يأتي التعقيب ليوضح أنها التوراة هكذا:
+ « هذه كلها هي كتاب عهد الله العلي، الناموس الذي أوصى به موسى ميراثاً لجماعة
يعقوب. » (أخنوخ ٢٤: ٢٣)

وهذا السفر (أخنوخ) يصور هنا الحكمة بأنها، وبعد أن خلقت السماء والأرض، أخذت تجول
في كل السماء والأرض لتحدد لنفسها مكاناً للسكنى وشعباً تورثه نفسها فاختر الله لها إسرائيل.
وهذا في الحقيقة ينطبق على قول سفر التثنية لإسرائيل:

«أنظر قد علمتكم فرائض وأحكاماً كما أمرني الرب إلهي، لكي تعملوا هكذا في الأرض التي
أنتم داخلون إليها لكي تملكوها، فاحفظوا واعملوا لأن ذلك حكمتكم وفطنتكم أمام أعين
الشعوب. » (تث ٤: ٦٥)

فاليهود أدركوا أن الحكمة التي أبدع بها الله الكون لإخراج بديع صنائعه في السموات والأرض
الناطقة بحكمته ولاهوته (كما يراها بولس الرسول في روم ١: ٢٠ و٢١)، استودعها في النهاية
كتابته، أي في التوراة، ليستعلن بالتوراة المقروءة والمفهومة ما تستعلنه السماء والأرض وكل ما فيها
من حكمة الله. بهذا أدرك اليهود أن الناموس الذي استودعه الله في أيديهم واستأمنهم على سر
حكيمته فيه إنما هو تجسيدٌ فكريٌّ لحكمته الفائقة (*)، التي بها خلق السموات والأرض.

5 E.Bevan *Jerusalem under the High Priests*, pp 60f, cited by Davies, *op. cit.*, p. 169

والآن إذا عدنا إلى ما قاله بولس الرسول بعد أن استعلن له المسيح فأدرك فيه التوراة الحقيقية،
حكمة الله وقوة الله، نجد التطابق على أشد ما يكون بكللياته وجزئياته:

+ «الذي هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة،
فإنه فيه خُلِقَ الكل ما في السموات وما على الأرض،
ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين،
الكل به وله قد خُلِقَ،
الذي هو قبل كل شيء، وفيه يقوم الكل،
وهو رأس الجسد الكنيسة (شعب الله الجديد):
الذي هو البداء بِكْرٍ من الأموات، لكي يكون هو متقدماً في كل شيء.
لأن فيه سرُّ أن يحل كل الملء.» (كو: ١٥-١٩)

+ «إذ عرّفنا بسر مشيخته حسب مسرته التي قصدها في نفسه، لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل
شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذلك.» (أف: ١: ١٠ و ٩)

وقد جمع بولس الرسول في إدراكه للمسيح — كحكمة الله الكلية — بين خلقه العالم القديم
الأولى بسمائه وأرضه والإنسان فيه، مع الخلقة الجديدة للإنسان.

فهو بداءة «برشيت» الخلقة الأولى: «بكر كل خليقة، فإنه فيه خُلِقَ الكل».
وبدءة (بكر) الخلقة الجديدة للحياة الأبدية بالقيامة من الأموات: «الذي هو البداءة بكر
من الأموات...».

إن هذه الإلهامات المتتابعة لبولس الرسول عن المسيح، بصفته حكمة الله الفائقة، تتجمع في
بؤرة واحدة، حيث يتركز نور الاستعلان على المسيح كغاية ونهاية وكمال لكل أعمال الله، جسدية
كانت أو روحية:

«لي ... أعطيت هذه النعمة أن أبشّر بين الأمم بغنى "المسيح" الذي لا يُستقصى، وأبشّر
الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله "خالق الجميع يسوع المسيح" لكي يُعرَف
الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة "بحكمة" الله المتنوعة حسب قصد
الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف: ٣: ٨-١١)

ب — شخص المسيح عند بولس الرسول يعلو فوق كل شيء:

بعد أن كان بولس يحسبه فخرًا له منتهى الفخر، أن يحفظ من قدر ذلك لناصري المصلوب وأن يضطهد أتباعه حتى الموت، هكذا ينقلب على نفسه ليقع صريعاً لحبه ويحسبه فخرًا لنفسه كل لفخر أن يُدعى عبداً ليسوع المسيح (رو ١: ١)، بل عبداً لكل الناس من أجل يسوع المسيح (٢ كو ٤: ٥).

إن بولس الرسول لا يسمح لفكر مهما كان أن يضع المسيح في مستوى مخلوق مهما علا وسما:
+ «إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً.» (أف ١: ٢٠ و ٢١)

+ «الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل.» (أف ٤: ١٠)
+ «لأن فيه سرٌّ — الله — أن يحل كل الملاء وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته، سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات.» (كو ١: ١٩ و ٢٠)
+ «لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تحثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض (الجحيم). ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الأب.» (في ٢: ٩-١١)

+ «ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين.» (رو ٩: ٥)
وهنا كلمة «الكل» تشمل مَن على الأرض ومَن في السموات، فهو رئيس جند الرب وحاقق الجميع.

هذه هي صورة يسوع المسيح عند بولس الرسول يطلقها شهادة مدوِّية على الأرض لتبغ عيان السماء؛ لا يمكن أن يزايد في هذا أحد على بولس قط، ولا مجال لإضافة حرف واحد على مصغف هذه التعبيرات اللاهوتية التي أحاط بها المسيح ليعلن الحق فيه قدر ما رأى وعلم وشاهد وشهد.

وعشاً يحاول أي معتمد أن يستقصي خط مو هذه المعرفة عند بولس الرسول وكيف أتته. فحالما استعلن المسيح ذاته لبولس على طريق دمشق، استوى المسيح إلهاً على عرشه عند بولس فلم يُدَّ يدانيه مخلوق، وهو هو بنفسه مسيح الناصرة، الجليلي المصلوب القائم من بين الأموات! كيف هكذا وبهذه السرعة السالفة القياس صار المسيح لبولس والعالم «إلهاً مباركاً على الكل»؟ فلا عشرة لصليب استوقفته، ولا قسوة ترائنه اليهودي في انحصاره بحدود «يهوه» حدّته، ولا سطوة لستهدريم أربهته. ومن ذا يعلم تماماً إلا بولس الرسول أن تأليه إنسان هو له بمثابة حكم بالإعدام،

كما أن حتى تأليه الملوك هو رِجْسة الخراب كما علّم دانيال النبي؟ بل وعند المسيحيين أيضاً، إذ يُحسَبُ كل سجود أو عبادة لغير الله وحده — كما قال الملاك ليوحنا في سفر الرؤيا (رؤ ٢٢: ٩) — هي رِدةٌ لعبادة الوحش.

وسولس الرسول حينما قال بألوهية المسيح لم يفترط قط في وحدانية الله، فهو صاحب الشهادة الأولى في الكنيسة: «لنا إله واحد، الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن له» (١ كور ٨: ٦). وهذه الشهادة التي شهد بها بولس الرسول لا تنزاع تشهد بها الكنيسة في كل أنحاء العالم إذ صارت «قانوناً للإيمان» الذي مطلعه: [بالحقيقة نؤمن بإله واحد الله الآب ... نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد ...].

والقول بالربوبية للمسيح أي «المسيح ربّ» عند بولس الرسول هو التقييم اللاهوتي عن سبق الوجود للمسيح قبل التجسد. و«الرب» بالمفهوم العبري القديم هو اسم «يهوه» مترجماً إلى «رب» = أدوناي^(١) = Κύριος «للتخلص من رهبة وخافة النطق باسم «يهوه»، وهذا يؤدي إلى قسّم مرر شخصية المسيّا عينها — كرّب — فهو الشخص الحامل لاسم يهوه المعبر عنه والحامل لصورة الله وكل صفاته وأعماله، الذي بالتجسد صار — لله غير المنظور — المنظور الذي يستطيع أن يتطلع إليه الإنسان ولا يموت: «الذي رآني فقد رأى الآب.» (يو ١٤: ٩)

ج — سبق وجود المسيح:

التعبيرات اللاهوتية التي عبّر بها بولس الرسول دون قصد عن سبق وجود المسيح قبل تجسده:

+ «صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن «المسيح يسوع جاء إلى العالم» ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا.» (١ تي ١: ١٥)

هنا يجيء المسيح إلى العالم لمهمة عامة بالنسبة للإنسان يفيد سبق وجوده قبل ظهوره.

+ «بالإجماع عظيم هو سر التقوى: الله ظهر في الجسد ...» (١ تي ٣: ١٦)

هنا ظهور الله في الجسد يعني تجسد المسيح. فالمسيح قبل تجسده كان بلا جسد في ملء لاهوته.

+ «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستفتوا أنتم

(١) انظر كتاب. «المدخل لشرح إنجيل القديس يوحنا»، للمؤلف، ص ٢٢٢.

بقره. » (٢ كو: ٨)

هنا احتساب التجسد أنه بئوغ فقر بعد غى، فالغنى يعني وجوداً سابقاً في مجد لاهوته.

+ «فأله إذ أرسل ابنه في شبه جسد خطية ولأجل الخطية دان الخطية في الجسد.» (رو: ٨: ٣)
هنا قبل أن يرسل الله ابنه ليتجسد في شبه (سبب كلمة خطية) جسد الخطية — كان الابن — المسيح — موجوداً دون تجسد.

+ «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولودٌ تحت الماموس.»
(غل: ٤: ٤)

هنا كالأية السابقة قبل أن يولد المسيح يهودياً كان موجوداً مع الله، الابن الوحيد المحبوب دون جسد.

+ «الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله لكنه أخلى نفسه
آخذاً صورة عبد...» (في: ٢: ٧)

هذا يعني أنه لم يكن فقط موجوداً قبل تجسده بل كان قائماً دائماً في صورة الله قبل أن يخلى نفسه من مجد لاهوته ليتجسد. وطعاً محال، ألف محال، أن يأخذ الإنسان لنفسه بنفسه صورة الله كما هو محال أن يفقدها.

+ «يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد.» (عب: ١٣: ٨)
هذا يعني أنه من الأزل وإلى الأبد، فكما أن له سبق وجود على تجسده فله الوجود الأبدي بالرغم من تجسده.

+ «الذي هو صورة الله غير المنظور، بكرٌ كل خليقة.» (كو: ١٥: ١)

في هذه الآية المحتصرة يوضح بولس الرسول علاقة المسيح بالله وعلاقته بالخليقة بأن واحد، فالنسبة لله هو المنظور الإلهي لغير المنظور الإلهي، صورة يمكن فيها ومنها رؤية الله غير المنظور، ككلمة مسموعة ومفهومة تُظهر ما خفي في فكر الله، وكصانع أعمال ومعجزات يُرى ويُحس منها الله صانع الأعمال والمعجزات التي تصوق التصور والإحساس. فإحدى خصائص المسيح أنه الشخص الواقف بين الآب الذي لا يُرى وبين الإنسان الذي لا يفهم ولا يمي إلا ما يَرى. فوجه المسيح المتجه إلى الآب إلهي محض، ووجهه الذي يترأى لذوي العيون المفتوحة «الله ظهر في الجسد»، هو بالنسبة لله حسب مداركنا ابن حقيقي في ذات الله المترفة عن الولادة، والنسبة لنا ابن حقيقي يفوق معنى الولادة ويتعدى ضعفها ومواتها. فهو بالرؤية المتسعة بكرٌ الله لأنه الابن

الوحيد الذي يمثل الآب ويتكلم باسمه، والرؤية المتميزة بكر الخلاق طُرّاً، لأنه يمثل الخلاق ويتكلم باسمها.

وهذا التعبير لا يحمل على وجه الإطلاق معنى أنه بكر بين الخلاق، بل بتحديد المعنى تماماً: بِكْرُهُ أي قبل أو على، كل الخلاق؛ لدي يحمل المعنى في الحال أنه ليس معدوداً بين الخلاق بل متقدماً ومترسباً، وأنه يحمل وجوداً فائقاً سابقاً على كل الخلاق — وهذا بحسب المنطق السليم؛ لأنه إذا كان قول بولس أنه بِكْر كل خليفة يحمل معنى أنه من الخليفة بالتبعية، فمادام يكون لو لم تكن الخليفة؟ هل كان يفقد ابن الله وجوده؟ بولس يحذر من ذلك فيكتمل بقوله مباشرة: «فإنه فيه خلق لكل ما في السموات وما على الأرض»؛ «الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (كو: ١٦ و ١٧). وهذه كلها تستلزم وجوده السابق على كل الوجود. فالآن إذا كان وجوده فائقاً وحرّاً من كل خليفة وسابها عليها وعنه وجودها وهذه حقيقة أكدها بولس الرسول قائلاً: «الكل به وله قد خلق» (كو: ١٦)، فماذا يكون معنى «بكر كل خليفة»؟ إلا أنه يعني كونه الممثل والمتقدم على كل ولكن الخلاق لدى الله، يحمل كيانها في ذهنه وفي قلبه لأنها أخذته من يديه، وهو الذي صنعها ولا يزال متكفلاً بها ويحمل همّها وعجزها إن عجزت ككل مخلوق، وكل حقيقة أثبت عجزها وقصورها عن بلوغ الكمال على طول المدى، إن كانت الملائكة، وإن كانت الشرية، لأن هذا هو الفارق بين الخالق والمخلوق. وهي — كما يقول بولس الرسول — تنتمي إلى الآن وتتمحض منتظرة كمال عمل المسيح لكمال فداء الإنسان وتصحيح موقفه النهائي أمام الله، باعتبار الإنسان المستول عن سقوطها بسقوطه، فيتصحح موقفها بتصحيح موقفه بالتالي وتتنحصر من عجزها: «لأن انتظار الخليفة يتوقع استعلان أبناء الله إذ أخضعت الخليفة للبطل، ليس طوعاً، بل من أجل الذي أخضعها (الإنسان) على الرجاء. لأن الخليفة نفسها أيضاً ستعش من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله. فإننا نعلم أن كل الخليفة تنتمي وتنحصر معاً إلى الآن، وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا مأكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نحن في أنفسنا متوقعين التبرني فداء أجسادنا.» (رو: ٨: ١٩ — ٢٣)

وهذا واضح من قول بولس الرسول بعد ذلك عن كيف أن الله أرسل ابنه متجسداً وهو في ملء لاهوته «ليصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته، سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات.» (كو: ٢٠)

واضح هنا أن المسيح لما تجسد، تجسد ليصنع صلحاً بين الخليفة كلها في السماء والأرض، منظورة وغير منظورة، يصالحها بالله معنى يكتمل من نفسه ونفسه عجزها. فإن كان دم المسيح ابن

الله قد جبر نقصان الخليقة كلها مَنْ في السماء وَمَنْ على الأرض وصالحها بالله، فكيف لا يُدعى بِكْرِها، ودمه أصبح الجزء الأساسي في جبر نقصانها وإصلاح فسادها، وصورته أصلحت صورتها بقدر ما في صورته من ألوهة؟!

إدأ، حقاً للمسيح سواء في وجوده السابق لتجسده (٧) أو بعد تجسده (٧) أن يُدعى: **أولاً: بكر الله**، هو كما هو، لأنه الابن الوحيد لا عن ولودة بل عن كيان ذاتي متأصل في كيان ذات الله، كآب وابن معاً لا ينقسمان ولا يفصلان. **وثانياً: بكر كل خليقة**، لا عن ولودة بل ككيانٍ يحمل في ذاته كل كيان الخليقة بكل صورها!

اسمع بولس وهو يصف كيانه الذي يحمل كل كيان: «وفيه يقوم الكل» (كو: ١٧)، «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته» (عب: ١: ٣). وعليك أن تتذكر أيها القارئ العزيز كيف قال المسيح عندما لمسته المرأة النازقة الدم فشُفِيَتْ في الحال: «إن قوة قد خرجت مني» (لو: ٨: ٤٦). فإن كانت قوة خرجت من صميم كيانه لتشفى مريضة، فكم وكَم خرجت منه قوة عندما خَلَقَ؟ فالخليقة كلها تمثل قوة المسيح كما يمثل المسيح قوة الآب.

وهكذا فإن بولس الرسول يستخدم صفة «بكر» بمعنى شديد الواقعية ولكن بعمق يتجاوز ظاهر الاسم وحدود التعبير البشري، فأنت ترى أن بولس الرسول، حتى بالنسبة للأموات، يعتبر المسيح بِكْرًا كأول من قام من الأموات. ولكن يتحتم أن تنتبه أيضاً أنه وإن كان بكرًا من بين الأموات بمعنى أول مَنْ قام، فهو ليس على مستوى الذين يقومون وسيقومون، بل هو ربُّ القيامة وقوتها ورب الحياة: «أنا هو القيامة والحياة» (يو: ١١: ٢٥)، وأن كل قيامة حدثت وتحدث وستحدث هي مستمدة من قيامته. وأنه وإن قال بولس الرسول: «لأن الذين سبق فعرّفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين» (رو: ٨: ٢٩)، فالعنى هو أنه بالتجسد والعداء وبإشراكنا في موته وقيامته أراد الله أن يعطينا صورة ابنه في كل شيء، إن في الموت أو القيامة أو حتى المجد، ليكون هو الأخ الأول كرأس البشرية الجديدة المُفْتَدية، وهو الذي يقودها نحو الآب في موكب نصرته لتشاركه ميراث بنوّه لله. ولكن حتى وبعد ذلك، فنحن لا نُحسب

(٧) لوحظ أن جميع الآباء القديسين فيما قبل نيقية قالوا بأن صفة البكر هي خاصة للمسيح قبل تجسده ومنهم: يوستين لشهيد، ثوميس الأنطاكي، اكسندس الإسكندري، نرثيان، هيبوتيس، أوريجانوس، كبريانوس. وفي عصر لوقت اعتراف نيقية وما بعد نيقية تنحصر البكر بالمسيح بعد التجسد ومنهم القديسون: أثناسيوس، اغريغوريوس النيسي، كيرلس الإسكندري، يوحنا ذهبي الفم، أغسطينوس.

أبدأً على مستواه في البسوة، بل مجرد متبئين. فنحن وإن بلغنا صورة ابنه وصرنا بالتالي إخوة له، فليس معنى ذلك أننا لما حملنا صورته صار هو أننا لنا على مستواها، بل هو إحلاء وتنازل نزل به إلينا ليرفعنا إليه، وحتى وإن صار متما في كل شيء إلا أنه يظل هو كما هو صورة الله، رباً تسجد له كل ركة مما في السماء وعلى الأرض.

وبولس أيضاً حينما يتكلم عن كنيسة الأبكار في السماء *ἐκκλησία πρωτοτόκων* (عب ١٢: ٢٣)، فهذا تلميح واضح أنها كنيسة البكر المخصصة للأبكار، بمعنى أن كل المسيحيين الذين نالوا حق القيامة من الأموات وانتقلوا من الموت إلى الحياة، نالوا بالتالي وبالبحري حق الاشتراك في الاسم والصفات، يظل هو المسيح وهم المسيحيين، وهو البكر وهم الأبكار، وهو الكاهن والملك وهم «الملوك والكهنة» لله العلي، وهو الابن وهم أبناء، أليس هذا قول بولس الرسول: «ليكون هو بكرًا بين إخوة كثيرين»؟

وداود النبي يراه بكرًا على كل ملوك الأرض بمعنى المتقدم في الملكية — على ذات النوع — المستفوق والمتولي والمدير: «وأجعل على البحر يده وعلى الأنهار يمينه، هو يدعوني أبي أنت، إلهي وصخرة خلاصي. أنا أيضاً أجعله بكرًا أعلى من ملوك الأرض» (مز ٨٩: ٢٥-٢٧). واضح جداً في هذا التعبير النبوي مدى التفوق النوعي للمسيح.

وعلى نفس هذا المعنى الذي تحويه كلمة «بكر» من الأولوية والسيادة والشمولية بأن واحد، يقول بولس الرسول أيضاً في سفر العبرانيين: «الله بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً ... كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثاً لكل شيء» (عب ١: ٢٠)، وهو نفس التعبير الذي قاله في رسالة أفسس: «لتدبير ملء الأمانة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذلك» (أف ١: ١٠). فكون المسيح يعوم على الكل ويرث الكل ويجمع الكل وذلك بالنهاية أمام الله، فهذه هي النتيجة الحتمية المباشرة لكونه هو «خالق الكل»، فالعلاقة بين خلقه كل شيء وتمثيل كل شيء أمام الله حتمية، وهو لا يمثل كل خلقه كغريب عنها بل كمن يحمل كياناتها في كيانه، وصورتها في صورته، وحبها في أحشائه، وقسمها في صميم عنايته وتدبيره. هذا هو بكر كل خلقه: «حامل كل الأشياء بكلمة قدرته.» (عب ١: ٣)

د - المسيح ربّ:

+ «أَمِينَ هو الله الذي به دُعِيتُمْ إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا.» (١ كور ١: ٩)
 + «وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات، يسوع المسيح ربنا.»
 (رو ١: ٤)

هذا هو التعبير الكامل عن المسيح عند بولس الرسول: «ابن الله يسوع المسيح ربنا».

+ وقد جاء التعبير المبسط «ربنا يسوع المسيح» أربعاً وأربعين مرة في رسائل بولس الرسول في مقابل إحدى عشرة مرة في الرسائل الأخرى (المسماة بالرسائل الكاثوليكية أي الجامعة)، وهي رسائل القديسين بطرس ويعقوب ويوحنا ويهوذا.

+ وجاء التعبير أكثر اختصاراً «الرب يسوع المسيح» ١٨ مرة في رسائل بولس الرسول في مقابل مرة واحدة في رسالة القديس يعقوب ومرتين في سفر الأعمال.

+ وجاء التعبير الأكثر اختصاراً «الرب يسوع» ٢٨ مرة في رسائل بولس الرسول في مقابل ١٠ مرات في سفر الأعمال ومرتين في الرسالة الثانية للقديس بطرس وواحدة في إنجيل القديس مرقس (١٩: ١٦). ولكن في مقابل صفة «الرب» في رسائل بولس تأتي صفة «ابن الله» بكثرة في بقية أسفار العهد الجديد.

هكذا نرى أن التعبير بالربوبية بمفهومها الإلهي ليس مقصوداً على رسائل بولس الرسول، فهو تعبير سابق عليه، وقد ورد على ألسنة الرسل والتلاميذ سواء في سفر الأعمال أو الأناجيل، التي وإن كانت قد دُوّنت بعد رسائل بولس الرسول إلا أن التعليم بها كان منذ حلول الروح القدس على التلاميذ. غير أن بولس الرسول هو الذي صبّ الربوبية كصفة إلهية في قالبها الإلهي التقليدي - والتقليد هنا هو تقليد العهد القديم باعتبار أن المسيح هو: «يهوه (الله) ظهر في الجسد»، في أقنوم أو شخص البنية القائم الدائم مع الآب. هذا يتضح جداً في استخدام بولس الرسول التعبير الكامل للربوبية بالسببة للمسيح أي «ابن الله يسوع المسيح ربنا»، حيث العارق بين الله الآب وبين الرب يسوع ينحصر ليس في الصفات والأعمال، سواء كانت خلقة أو هداء، ولكن في كيفية إتمام الأعمال^(٨):

فالله الآب «هنا جميع الأشياء» بدون استثناء «ونحن له» أي عبيد وخدام ومآلنا إليه،

«ورب واحد يسوع المسيح، به جميع الأشياء» أي خُلِقَتْ بواسطته، «ونحن به» (١ كو: ٨: ٦)، ليس فقط بمعنى الخلق، فمما مثل جميع الأشياء؛ بل وأيضاً بمعنى الفداء الذي ببسوع المسيح الذي جعلنا موجودين حقيقة.

هنا ربوبية المسيح في كلمة «رب» ليست هي بعينها «الله» في كلمة «يهوه» في القديم؛ بل هي عملها ومكملتة لها. فالمسيح أكمل مواعيد «يهوه»، «لأن مهمما كانت مواعيد الله، فهو (المسيح) فيه النعم (الاستجابة والعمل) وفيه الآمين (أي ختام كل وعد) لمجد الله بواسطتنا (كخليقة خُلِقَتْ من جديد لتسبيح ومجد الله: «لندح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب» أف: ١: ٦)» (٢ كو: ٢٠). ومرة أخرى نوضح العلاقة بين الله الآب وبين الرب يسوع المسيح في الحرفين: «هنة» و«له» (١) لله الآب، و«به» للرب يسوع المسيح.

وهكذا يكون بولس الرسول هو الذي أعطى التعبير الإلهي «المسيح رب» أهميته وطابعه بكامل مفهومه الإلهي الذي يُعتبر محور الإيمان المسيحي ومركز العقيدة الراسخ.

ولكن لا يفوتنا هنا أن نقرر أن المسيح هو أول مَنْ أشار بتركيز يوحى بفتح الوعي الإنساني لقبول الحقيقة بقوله في هذا الحوار الهادف للكاشف: «سأهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون في المسيح؟ ابن مَنْ هو؟ قالوا له ابن داود. قال لهم: (إداً) فكيف يدعوه داود بالروح «رباً»؟ قائلاً: قال الرب «لربي» اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه «رباً» فكيف يكون ابنه؟» (مت ٢٢: ٤١-٤٥)

فلو فسرنا قول المسيح بكل دقة وفهم، فيكون المسيح هنا يوضح أن داود يدعوه رباً، وأن داود أعاد بالروح أن المسيح «رب» معادل في ربوبيته لله بقوله: «قال الرب لربي». وقوله «اجلس عن يميني»، فالمقصود هنا هو التعادل اللاهوتي في الاسم والكرامة، الذي اعتمد عليه بولس الرسول في قوله: «لم يحسب خلصة أن يكون معادلاً لله» (في ٢: ٦)؛ والمسيح يصرح هنا أنه ليس ابن داود بل ابن الله: «فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه؟»، مع الانتباه للسؤال في أصله الذي يسأله المسيح: «ابن مَنْ هو؟»، لأنه إن لم يكن المسيح ابن داود، وداود يدعوه رباً على التساوي في الاسم مع الله، جالساً عن يمين الله على التساوي في رتبة الألوهة، إذاً يكون رد السؤال الذي سأله المسيح هو أنه ابن الله بالضرورة.

وحينئذ يقول بولس الرسول أن المسيح هو «ربنا» فهو يذكر بالضرورة ويتذكر أنه مات عنا

وبنا ليخضع الموت تحت قدميه بقيامته منتصراً على الموت وعلى كل ما يؤدي إلى الموت، وقام بنا وبجسدنا الجديد ليعطينا شركة حديدة باتحاد في حياته من فوق الموت ورغماً عنه. ومثلَّك بجسده المُقام مُلكه الأزلي والأبدي في المجد لِئُشْرِكنا في ملكه.

فالعمل الفائق الذي عمله يثبت أنه جاء من فوق،

وارتفاهه إلى فوق يثبت أنه رُتِبَ بالحق،

وجلوسه عن يمين الآب بالجسد الذي أحذه منا يكشف إلى أين نحن ذاهبون.

لقد حدّد المسيح هذه الثلاثة المستويات التي تحرك فيها في قوله: «خرجتُ من عند الآب، وقد أتيت إلى العالم، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب.» (يو: ١٦: ٢٨)

وبهذا الاتحاد وهذه الشركة التي دعانا إليها المسيح في جسده، أصبح المؤمنون «مسيحيين»، ومن «المسيح والمسيحيين» ظهر الوجود الجديد لجسد المسيح السري كخليقة جديدة ذات وجود وحقوق وكيان ومكان لدى الله في السماء وعلى الأرض.

هذا هو الجسد السري الجديد الكبير الذي يملأ السماء والأرض، يجمع الأجناس والألوان من بني الإنسان، بلا تمييز، بلا انشقاق أو تمزّق في «الأنا» الواحدة للمسيح، «إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة مرء المسيح» (أف: ٤: ١٣)، حيث «الأنا» الواحدة للمسيح نحن جزء فيها!!

هذا هو «ربنا» يسوع المسيح ابن الله عبد بولس الرسول، فهو ليس لقباً شخصياً وحسب، بل رباطاً جوهرياً، بالنسبة له هو قيادة: «يقودنا في موكب نصرته» (٢ كو: ١٤: ١٤)، وبالنسبة لنا تبعية، رفعتنا فوق كل ما هو للإنسان!

وواضح أن استخدام بولس الرسول تعبير «الرب» للمسيح بمفهومه الوارد في التوراة السبعينية للتعبير عن «يهوه»، هو بكامل أوصافه التي أعطيت لـ «يهوه». وفي الاصطلاحات التي يعبر فيها بولس الرسول عن أعمال المسيح كالتخلّق، ومنح النعمة، والتقديس، والدينونة، والمجازاة، نجد أنه يقترن المسيح مع الله جنباً إلى جنب وبالتبادل أحياناً. فما يعملهُ الله بعمله المسيح على مستوى تبادل التعبير أو الصفة الإلهية «رب». وبولس الرسول يفهم بلا أي حذر أو تفريق أن كل ما تُسبب إلى يهوه فهو للمسيح ومسبوبة إليه بالضرورة. وليس بولس الرسول فقط، بل وأيضاً الأنجيل، وعلى سبيل المثال ما جاء في إنجيل متى وما يقابله في إرميا:

يقول الله (يهوه): «أرسلت إليكم كل عبيدي الأنبياء مبكراً كل يوم ومُريراً فلم يسمعوا

لي ...» (إر: ٢٥: ٧)

يقول المسيح: «ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون...» (مت ٢٣: ٣٤)

أما بولس الرسول فيقول واصفاً المسيح موضع يهوه قديماً هكذا:
«ولا يجرب المسيح (الرب) كما جرب أيضاً أناس منهم فأهلكتهم الحيات.» (١ كو ١٠: ٩)
«وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين: لماذا أضعدنا من مصر لنموت في البرية، لأنه لا خبز ولا ماء وقد كرهت أنفسنا الطعام اسخيف، فأرسل "الرب" على الشعب الحيات المحرقة فلدعت الشعب، فمات قوم كثيرون من إسرائيل.» (عد ٢١: ٦ و٥)

كذلك يصع بولس الرسول الدعاء باسم الرب للخلاص بالنسبة لله في القديم كما هو تماماً بالنسبة للمسيح في الجديد:
«ويكون أن كل من يدعو باسم الرب يجو، لأنه في جبل صهيون وفي اورشليم تكون نجاة، كما قال الرب، وبين الباقين من يدعوهم الرب.» (يوئيل ٢: ٣٢)

وبولس الرسول يأخذ هذا العهد ويطبّقه على المسيح:
«لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني، لأن رباً واحداً للجميع، غنياً لجميع الذين يدعون به، لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص. فكيف يدعون بمن لم يؤمنوا به؟» (رو ١٠: ١٢-١٤)

أما الخلاص الذي كان معقوداً لواؤه على يهوه الإله الرحوم، هذا تمه المسيح فصار المسيح في اعتبار بولس الرسول «واحداً مع يهوه»:
«احترزوا إذ لا أنفسكم وجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع ٢٠: ٢٨)

فالله هو الذي اقتنى الكنيسة واقتناها بدمه حيث الدم هنا هو دم ابن الله. علماً بأن معظم النسخ القديمة أوردت كلمة «الله» بوضوح وليس «الرب». فبولس الرسول هنا ينسب «الخلاص بالدم» إلى «الله والمسيح» معاً بلا أي تفريق، وهذا يحتمه فعل الخلاص تحميماً. فلا المسيح وحده قد خلّصنا، ولا الله بدون المسيح خلّصنا، هنا بشرية ابن الله دخلت في المضمون الإلهي حتى يصير الدم المسفوك منها له فاعلية الخلاص، وإلا فدم إنسان لا يخلص إنساناً بأي حال!! الخلاص هنا فعل ربوبية بالدرجة الأولى!!

بولس الرسول يرفع ربوبية المسيح إلى استعلان إلهي بالروح القدس، وبدون الروح القدس يستحيل على إنسان ما أن يقول أن المسيح رب!! وكل من حار الروح القدس فهو لا يمكن إلا أن

ينطق برؤية المسيح ولا يستطيع أن يجحد ربوبية المسيح بأي حال:
«لذلك أعزفكم أن ليس أحد وهو يتكلم بروح الله يقول يسوع أناثيما (مرفوض من الله)،
وليس أحد يقدر أن يقول يسوع ربّ إلا بالروح القدس.» (١ كو ١٢: ٣)

وبولس الرسول يضع الإيمان بالمسيح على مستوى الإيمان بالله كما سبق أن قال به المسيح
بالحرف الواحد: «أنتم تؤمنون بالله فأمنوا بي» (يو ١٤: ١). وبولس الرسول يضمها هنا كمنطوق
قانون إيمان، جامعاً الخلاص والإيمان وربوبية المسيح وحدة واحدة لا تنقسم:
«لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلّصت.»
(رو ١٠: ٩)

فإذا رجعنا إلى إشعياء النبي عرفنا من أين أتى بولس الرسول بهذا القانون الإيماني المؤسس على
الصخر:
«لذلك هكذا يقول السيد الرب: هأنذا أؤسس في صهيون حجراً، حجر امتحان، حجر زاوية،
كريعاً، أساساً مؤسساً، من آمن به لا يخزي ... ويُعطي عهدكم مع الموت، ولا يثبت ميثاقكم
مع الهاوية.» (إش ٢٨: ١٦ و ١٨)

المسيح ربّ مستحق المجد والكرامة والعبادة:

لقد أدرك بولس الرسول العمق اللاهوتي الصحيح للمسيح كرب، بحيث أن كل كرامة ومجد
وتسبيح تُقدّم له فهي مقدّمة لله الآب حتماً، بل إن كل كرامة وتسبيح قدّمت إلى الله هي بأن
واحد مقدّمة للمسيح. فالمسيح والآب وحدة واحدة، وما يقال عن الواحد يقال عن الآخر لأن
«الواحد بالآخر» والاثنان هما واحد. اسمع بولس الرسول في مطلع رسالته إلى غلاطية يقول:
«بولس رسول لا منّ الناس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح، والله الآب ...» (غل ١: ١)، حيث
حرف «مين» = αὐτός يفيد المصدر، والباء في «بإنسان» تفيد الواسطة، هنا ينفي بولس
الرسول أن تكون دعوته إلى الرسولية من مصدر بشري ولا بواسطة بشرية. ثم يرتفع مرة واحدة
ليعلن: «بل بيسوع المسيح والله الآب». هنا تكون الإفادة جاهزة ومُسلّم بها أن المسيح فوق
مستوى البشر هذا أولاً؛ وثانياً الدعوة والعمل الرسولي في عمل واحد للمسيح والله، وهنا تكون
الإفادة منتهية أن المسيح والله هما عمل واحد. وقد أخذ الآباء الكنيستين والقديسون الأوائل هذا
التعبير من بولس الرسول برهاناً وتأكيداً على لاهوت المسيح، مبتدئاً من أوريغانوس ثم جيروم ثم
دهبي الفم الذي يقول في شرحه لرسالة غلاطية هكذا:

[بولس لم يترك أية فرصة للمحاكاة، فذكر مرة واحدة الابن والآب «يسوع المسيح والله

الآب»، جاعلاً الكلمة تجمعهما معاً. هذا فعله لا لكي ينسب عمل الابن للآب بل ليوضح بهذا التعبير أنه لا يوجد أي تمييز في الجوهر (الطبيعة الإلهية). [١٠]

هنا كون بولس الرسول يجمع بحرف *εἰς* — أي «بواسطة» — كلاً من عمل المسيح والله الآب في إعطائه الرسولية، وهو عمل من أعمال النعمة الفائقة بل هو أول أعمالها بالروح القدس: «أولاً رسلاً ثانياً أنبياء...» (١ كور ١٢: ٢٨). لذلك لا يعطي لأي فكر إمكانية تبعية أو مرؤوسية الواحد على الآخر في السلطان أو المكافة أو الكرامة، حتى إن المسيح يُذكر قبل الله الآب، فليس هناك أية فرصة للإعتراض على وحدة اللاهوت بينهما دون تمييز.

وليس هذا الاعتبار ي وضع المسيح والله الآب على درجة واحدة في العبادة أو الدعاء والتسبيح جديداً، بل نسمعها وقد ابتدأت بالقدّيس توما الرسول «ربي وإلهي» (يو ٢٠: ٢٨)، ورددها إستفانوس وهو في النفس الأخير على مستوى رؤية المسيح وهو في المجد الأسمى: «أيها الرب يسوع اقبل روحي». «يا رب لا تُقم هم هذه الخطية.» (أع ٧: ٥٩ و٦٠)

والملاحظ هنا أن ما رده المسيح على الصليب مخاطباً الآب، رده الشاهد الشهيد إستفانوس مخاطباً المسيح!

وعلى هذا المستوى أو من عمق هذا المعنى، قال بولس: «لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص» (رو ١٠: ١٣). وهكذا صار اسم الرب يسوع المسيح وكل من يدعو به أساساً لبنيان الكنيسة؛ اسم بولس الرسول وهو مخاطب أهل كورنثوس:

«إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح يسوع، المدعوين قديسين مع جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل مكان لهم ولنا.» (١ كور ١: ٢)

ثم يعود ويمنح لهم بالدعاء النعمة والسلام من الله والمسيح معاً وبالسواء!

«نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح.» (١ كور ١: ٣)

كذلك سمع بولس الرسول وهو في ضيقة مرضه يصلي للرب يسوع ثلاث مرات متوسلاً أن ينال منه نعمة الشفاء، فاستجاب له المسيح، ولكن أعطاه نعمة الاحتمال بالروح والقوة عوض نعمة الشفاء بالجسد.

هذا كان فكر الكنيسة المسيحية كلها ومنذ البدء أن تُقدّم الصلوات للمسيح كما تُقدّم لله. هذا يذكره لنا التاريخ المدني لتقديم حسب رواية بليني الحاكم الروماني الوثني لمقاطعة بيشينية بآسيا الصغرى في رسالته إلى الإمبراطور تراحان سنة ١٠٢ م، حيث يقول إن المسيحيين اعتادوا أن يَجتمعوا ليسبحوا تسابيح للمسيح كالله Christo quasi Deo (١١).

كذلك يسجل لنا المؤرخ يوسابيوس القيصري في تاريخ الكنيسة، أن لمسيحيين الأوائل كانوا يؤلفون التسابيح والأناشيد التي فيها يعظمون المسيح كالله (١٢).

وكان هذا رد فعل أو استجابة تلقائية لدعوة بولس الرسول نفسه: «امتثلوا بالروح، مكلّمين بعضكم بعضاً بزمائر وتسابيح وأغاني روحية مترنمين ومترنلين في قلوبكم للرب». (أف: ٥: ١٩)

«لتسكن فيكم كلمة المسيح بغيري وأنتم بكل حكمة معلّمون ومنذرون بعضكم بعضاً بزمائر وتسابيح وأغاني روحية، بنعمة، مترنمين في قلوبكم للرب. وكل ما عملتم بقول أو فعل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب به». (كو: ٣: ١٦ و١٧)

هـ — ألوهية المسيح:

في أربعة مواضع ظاهرة في رسالته نصّر بولس الرسول على ألوهية المسيح:

١ — «ولهم (لليهود) الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل إلهاً مشاركاً إلى

الأبد آمين». (رو: ٩: ٥) θεὸς εὐλογητὸς εἰς τοὺς αἰῶνας ἀμήν.

٢ — «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح». (تي: ٢: ١٣)

τοῦ μεγάλου θεοῦ καὶ σωτῆρος ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ.

٣ — «فإنه فيه يحمل كل ملء اللاهوت جسدياً». (كو: ٢: ٩)

κατοικεῖ πᾶν τὸ πλήρωμα τῆς θεότητος σωματικῶς.

٤ — «الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب حلسة أن يكون معادلاً لله ἵσα θεῷ لكنه أحل

نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وُجد في هيئة كاسان، وضع نفسه

وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رَفَعَهُ اللهُ أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم،

11. Epist. to Trajan. 96.

12 Hist. Eccl. V.XXVIII,5

لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض.»
(في ٢: ٦-١٠)

١ - الآية الأولى: (رو ٩: ٥)

فيها يشرح بولس الرسول الكيان الإلهي الذي للمسيح بوضوح، وقد صارت هذه الآية الهامة معترفاً بها بإيجابية مدعنة عند كل علماء اللاهوت بلا استثناء. كما أنها دخلت التقليد اللاهوتي والكنسي منذ البدء مبتدعاً من أوريجانوس ثم القديس ديونيسيوس الإسكندري في دحضه لبدعة بولس الساموساطي، ثم القديس أناسيوس الرسولي، والقديس باسيليوس الكبير، والقديس اغريغوريوس النيسي، والقديس إبيفانيوس، والقديس ذهبي الفم ثم القديس كيرلس الإسكندري. كما أخذ بها كل لاهوتي الغرب الكبار: القديس إيرينيئوس، العلامة هيبوليتس، ترتليان، نوقاتيان، القديس كبريانوس، القديس هيلاري، القديس أمبروسيوس، القديس جيروم.

فمن هؤلاء لم يصدر أي تعليق يشكك في صدق وأصالة هذه الآية بما تحمله من حقيقة لاهوتية^(١٣).

ويلاحظ أن بولس الرسول يصيف على كلمة «إلهاً» التمجيد اللائق باللاهوت «الذكصا» الذي للمسيح، الذي يصبح متوافقاً دائماً عند ذكر الإله: «الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين». وهي جملة تمجيدية يقصد بها أنه إله على إسرائيل والأمم وأنه بلاهوته باقٍ إلى الأبد. «وآمين» هي بحد ذاتها تمجيد ختامي.

أما القصد النهائي من هذه الآية، فهو تأكيد وضع المسيح الممجّد في العبادة. فإله ليس في حاجة هنا لتثبيت لاهوته، فبولس الرسول بصدد إظهار وتمجيد شخص المسيح الذي جاء من أجل اليهود واليهود رفضوه مع أنه كائن عليهم وعلى كل الأمم إلهاً ممجّداً.

كما يلاحظ في هذه الآية انتحاء بولس الرسول إلى اتجاهين ظاهرين بالنسبة للمسيح، الأول: «حسب الجسد»، أي الإنسان بقوله: «ومنهم المسيح حسب الجسد»، فأصبح الاتجاه الثاني حتماً وهو حسب اللاهوت أي الإله بقوله: «الكائن ... إلهاً»، وبذلك تكمل صورة المسيح.

كذلك يلاحظ خط ذكر التدرج الذي يسرده بولس الرسول من جهة الامتيازات بالنسبة

اليهود: فأولاً قيام إسرائيل، ثم حصولهم على التَّبَيُّيَّةِ لله، ثم تعرُّفهم على مجد الله بحضوره، ثم تسلُّم الناموس على يد ملائكة، ثم نظام العبادة وتشريعها، ثم الوعد بمجيء المَسِيَّا على أساس الآباء، ثم مجيء المسيح لتحقيق الملكية الموعودة من بيت داود جسدياً؛ وأخيراً استعلان مجد لاهوت المَسِيَّا على إسرائيل والأمم ككل.

هنا واضح أن لاهوت المسيح كان في ذهن بولس الرسول وهو يتدرج من أول استعلانات الله لينتهي به كخاتمة الاستعلانات جميعاً.

٢ - الآية الثانية: (تي ٢: ١٣)

كلمة «الله» هنا لا تعني أنه الله بالمشاركة أو بالمشابهة أو بالمجار، ولكن المقصود أنه في طبيعته الممجدة هو أعلى وأسمى من كل طبيعة أخرى دون الله.

هنا ينظر بولس الرسول إلى المسيح كابن الله، فطبيعته هنا التي يصفها بكلمة «الله»، المقصود بها أنها طبيعة الله التي فيها الابن والآب معاً. وهذا المقصود في ذهن بولس الرسول وتعبيره، نقرأه في الفكر الذي سبق هذه الآية، فهو بصدد حفْظ تيطس على حياة التقوى في هذا العالم بانتظار الرجاء الذي عليه يعيش ويجاهد، هذا الرجاء أعطاه صفة الذَّكْصَا التي لله وحده بقوله: «الرجاء المبارك»، لأنه مربوط باستعلان وظهور طبيعة المسيح في مجد لاهوته الذي هو لاهوت الآب بآن واحد:

«نعيش بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح.» (تي ٢: ١٢ و١٣)

بلاحظ هنا أن كلمة «العظيم» لا يكون لها محل ولا مناسبة إذا كانت تخص مجد الله الآب، فهذا تحصيل حاصل ليس موضعه هنا، فبولس الرسول ليس بصدد تعظيم مجد الله الآب في ذاته ولكنه بصدد ظهور المسيح في مجد لاهوته. فالعظيم هنا صفة تتجه ناحية سمو مجد لاهوت المسيح الذي سيظهر به. والترجمة يمكن أن تُقرأ هكذا: مُنتظرين الرجاء المبارك وظهور الإله والمخلص يسوع المسيح في مجده العظيم.

لأنه من الملاحظ أنه عند ذكر ظهور المسيح، ينص الوحي دائماً على أن ظهوره سيكون بمجد عظيم، وهذا المجد العظيم هو بالضرورة منسوب للاهوته: «الذين سيعاقَّبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته متى جاء ليتمجد في قديسه ويُبْتَغَب منه في جميع المؤمنين» (٢ تي ١: ١٠ و١١). فالظهور بالمجد العظيم للاهوت المسيح هو الخاص بالابن وليس الآب وهو بالفعل لرجاء

المبارك الذي ينتظره كل مَنْ آمَنَ بالمسيح.

في النص اليوناني يأتي كلٌّ من اللقبين: «العظيم والمخلص» معرّفين بـ «أَل» واحدة = τοῦ τῆς δόξης τοῦ μεγάλου θεοῦ καὶ σωτῆρος

وبالعربية تأتي هكذا «العظيم ومخلص» منسوبة لنا، فتكون «العظيم ومخلصنا». لذلك فبحسب النص اليوناني حينما انجمع اللقبان في «أَل» تعريف واحدة، تحدّد الاسم الموصوف بعظم المجد الإلهي والجلال بشخص واحد بالضرورة.

وهذه الآية التي نحن بصددّها وإن أتت كومضة مركّزة ومختصرة عن لاهوت المسيح، فهي لا تقف وحدها في لاهوت بولس بل تأتي مكتملة لما قبلها ومؤكّدة لما بعدها.

٣ - الآية الثالثة: (كو٢: ٩)

هي تابعة للأنشودة اللاهوتية الفريدة التي يقدمها بولس الرسول في الأصحاح الأول في الرسالة لكوكلوسي الغنية بالومضات المتلاحقة بقوة، التي انطلقت من وحي النعمة المتدفقة لتصف الملاء الأول والتقدم في كل شيء، في الزمن والأزلية، في الأرض وفي السموات، في المنظور وغير المنظور، وذلك لدحض إدعاءات المقاومين للاهوت المسيح في هذه المدينة. وآخر شطرة من هذا السفر الموسيقي غير الموزون (١٩: ١) تقول: «لأن فيه سرٌّ أن يحلَّ كلُّ الملاء»، حيث «الملاء» ها هو ملء النعم على مستوى الإنسان يسوع للمصالحة التي عاد وأوضحها على مستواها اللاهوتي كملء على مستوى الله^(١٤) بأكثر بيان في الآية (٩: ٢) من الرسالة بقوله: «فإنه فيه يحلُّ كل ملء اللاهوت جسدياً».

هنا ملء اللاهوت هو المؤهل الإلهي الذي جعله قادراً أن يملأ الآخرين، لأن بقية الآية: «وأنتم مملوؤون فيه» (كو٢: ١٠)، وذلك من ملء الله الذي له حسب قوله أولاً: «الذي صعد أيضاً فوق جميع السموات لكي يملأ الكل» (أف٤: ١٠). أما ثانياً، فمأذا يعطي للملاء؟ يوضح بولس الرسول أنه من ملء الله الذي فيه بقوله: «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» (أف٣: ٢٠) فـ «ملء اللاهوت» الذي في المسيح أصبح على مستوى العطاء، أو هو صار بالتجسد على مستوى العطاء للإنسان.

واضح أن ملء اللاهوت = πλήρωμα τῆς θεότητας الذي يقصده بولس الرسول هو

الطبيعة الإلهية بكل صفاتها وخواصها وقوتها واتساعها أيضاً^(١٥) التي هي نفسها طبيعة الآب، ولكن هنا في الابن المتجسد أصبحت ظاهرة وعلى مستوى العطاء للإنسان مباشرة بعد أن كانت في الله الآب محتجبة سواء على المعرفة أو على الأخذ وهذا كان صراخ الأنبياء على لسان إشعياء النبي: «حقاً أنت إله محتجب يا إله إسرائيل» (إش ٤٥: ١٥). إذأ، فحلول ملء اللاهوت في المسيح هو سر وساطته العظمى بين الله الآب والإنسان.

وأما قوله يحل فيه = κατοικεῖ فيفيد الإقامة الثابتة، والدائمة، وهي الكلمة المرادفة لكلمة «يسكن» في العبرية، وهي تعبر يليق فقط للكلمة بعد التجسد وليس قبله.

وأما قوله «جسدياً» فهذا يعني أن اللاهوت حل في الجسد، والفصد هنا خطير للغاية، فهو يقصد أن لاهوت المسيح ليس خيالياً ولا على مستوى الفكر أو لزم من ما محدود، ولكنه «حقيقة» كما يراها القديس أغسطينوس^(١٦). كما يشرح القديس إيسيدوروس البيلوزي (راهب مصري والأب الروحي للقديس كيرلس الكبير) كلمة «جسدياً» هكذا: οὐσιωδῶς Substantially^(١٧) بمعنى الاتحاد الطبيعي، وهذا في الحقيقة قول ذكي وعميق وفريد من نوعه!! أي أن اللاهوت بكل ملئه اتحد بالناسوت كطبيعة، ولم يكن مجرد حلول أو سُكُنِي في هيكل!! بمعنى أن الحلول لم يكن مجرد حادث (القديس كيرلس الإسكندري) ولا هو جزئياً (القديس جيروم على إشعياء)^(١٨)، ولا هو مؤقتاً (القديس هيلاري)^(١٩)، ولكن اتحاداً كلياً وجوهرياً! وينتهي هذا التعبير في معنى التجسد.

ويعلق القديس ذهبي الفم على القول «جسدياً» بقوله: [لم يقل إنه يحل في الجسد εν σώματι لأن الجسد لا يحتمله أو يحتويه ولكن قال يحل فيه εν αὐτῷ أي في شخصه، حيث شخصه متحد بجسده]^(٢٠). وهذا القول هو الآخر غاية في الذكاء والعمق. وهو المرادف تماماً لقول إنجيل القديس يوحنا: «والكلمة صار جسداً». وعلق على ذلك العالم اللاهوتي لايتفوت هكذا: [قوله جسدياً σωματικῶς يعني آخذاً شكل الجسد وهكذا صار جسداً]^(٢١)، وهذا إبداع حقاً في التعريف اللاهوتي.

15. J.B.Lightfoot, *On Colossians*, p. 179; Stevens, *The Pauline Theology*, p. 202.

16. Augustine, *Epist* CXLIX, cited by Prat, *op. cit.*, II, p. 152 n. (b).

17. Isidore of Pelusium, *Epist.* IV, 166.

18. St. Jerome, *In Isaiam*, XI, 1.

19. St. Hilarius, *De Trinit.* VIII, 54.

20. Cited by F. Prat, *op. cit.*, II, p. 152, n. (b).

فإذا جمعنا هذه المقولات للآباء القديسين السابقين تكون هكذا: حلول ملء اللاهوت جسدياً يعني: اتحاد بالطبيعة البشرية وليس حلول سَكْنَى، وهو لم يكن مجرد حادث ولا هو حلول جزئي، ولا حلول مؤقت، بل اتحاد كلي وجوهري. كما أنه ليس حلولاً في مجرد طبيعة جسدية بل حلولاً شخصياً في شخص!!

ونقول إنه بقدر ما كان الجسد ملموساً ومنظوراً، بقدر ما يعني أن التجسد الحادث من حلول ملء اللاهوت حدث في عمق الزمان والمكان، ثم بقدر ما تجدد الجسد بالقيامة من الأموات ليحيا إلى الأبد ولا يسود عليه الموت بعد، بقدر ما يعني أن الملء جسدياً كان **مِلْئاً حقيقياً منظوراً وملموساً ومُشَاهَداً**: «الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة ... ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا» (١ يوحنا: ١٠: ٢١)، وهكذا امتلأ الكلمة جسدياً بيبقى المسيح المتجسد ويدوم إلى الأبد!

٤ - الآية الرابعة: (في ٢: ٦-١٠)

وهنا نأتي إلى النص الأكثر تعمقاً في وصف لاهوت المسيح على مثال أخلاقي، يقدمه بولس الرسول لأهل فيلبّي، وكأنه يستنهض روحهم للتواضع وإنكار الذات (التحلية عن الذاتية) والتنازل بالفكر لحمل هموم الآخرين وخدمتهم، من تحت مستواهم وليس من فوقهم، وليهتموا بما للآخرين أكثر مما هو لهم. فيعطيهام مثلاً لذلك المسيح نفسه، فيصوّر لهم كيف وهو في قمة مجده الإلهي أحلّ نفسه وتواضع حتى الأرض إلى مستوى العبد لكي يقوم بخدمة عبيد الله حاملاً عبوديتهم المذلولة وعارهم، مذبوحاً على صليب الخلاص ليرفعهم إلى حرية بنوة الله. ثم يمعن بولس الرسول في تلقين الدرس ويعطيهم من ارتفاع المسيح إلى أعلى السموات نموذج المجازاة لخدمة البذل في اعتبار الله!

ولكن الذي يسترعي اهتمامنا هو أن يطرح بولس الرسول هذا الفكر اللاهوتي المرتفع والدقيق بدون أي سؤال من الطرف الآخر، بل ومن سياق الكلام نجد وكأنه يعطي هذه الحقيقة الإلهية عَرَضاً، وكأنها أمر معروف لا يحتاج إلى تذكير أو مقدمات، أو أنها معلومة معروفة ليس لدى هذه الكنيسة فقط بل وكل الكنائس، لأنه لم يذكر أنه يختص هذه الكنيسة بهذه العقيدة. ونستشف أيضاً أنه يقوله وكأنها أمر معروف منذ زمن وليست حديثة عليهم وإلا كان قد استطرد بالشرح.

ولأن لُبَّ هذه العقيدة ومحورها الذي تدور عليه هو سَبْقُ وجود المسيح في الأزلية وعيئته واتحاد اللاهوت فيه بالناسوت فينا، فإننا نعتقد أن هذه العقيدة هي جرة من تعاليم رسولية كانت تُلْقَنُ للمعمّد وقت دخوله الإيمان بالمسيح.

ونحن نعجب كيف استطاع بولس الرسول أن يقدم هذا اللاهوت الحُرّ الصافي بهذا التركيز في منهج أخلاقي؟

+ « فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً:

أ — الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله،

ب — لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس،

ج — وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب،

د — لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم،

هـ — لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض،

و — ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربُّ لمجد الله الآب. » (في ٢: ٥-١١)

هنا يقدم بولس الرسول المسيح على أربعة مستويات: مستوى الجلال الإلهي، مستوى الإخلاء الذاتي، مستوى الاتضاع البشري، مستوى الارتفاع إلى السموات العُلا (٢١).

(٢١) وقبل أن نشرح في شرح هذه الآية بمرم أن شرح المص لمحتفي وراء كلمتي «صورة» و«هيئة» لواردين في هذه الآيات وهما باليونانية: *μορφῇ*، *σχῆμα*

هما في الحقيقة قد وُضِعَ عليهما رماً أن يدخل في مفهوم فلسفي. «لكنهما هما حلقة تاريخية طوبية في اعتبار العاشقة، ولكن لأنها تصدر روحياً حاضرة، هل نحوص في الماضي لنفسه المدين الاصطلاحين، ولكن بعدم للمدى خلاصه أبحاث دفقة في معنى هذين الكلمتين في عهد الجديد لتمام لايتعوض، وهولاً تضارع من اللاهوتيين لمعنيين، في هذا المصدر، نقول لايتعوض

[١] *σχῆμα* = الهيئة أو الشكل: لا يوجد — بالتحصن لدقيق — أي شك في محبة هذه الكلمة من عدم الثبوت *instability* ولتعبير *changeableness* (عنى أن كلمة «هيئة» لا تعيد لثبوت على حال فاهية قد تتغير).

لذلك يُقَالُ: «لأن هيئة *σχῆμα* = fashion هذا لعالم نرسون» (١ كور ٧: ٣١). كذلك يُقال: «لا مشاكلوا *συσχηματίζεσθε* (أي تشتركوا في هيئة) هذا الدهر.» (رو ١٢: ٢)

كذلك يُقال: «كأولاد للخدمة لا تشكوا شهادتكم لخدمة في جهاتكم» (١ كور ١٤: ١٤). وهكذا فالعبر بالخدمة للهيئة أو الشكل هو في الحقيقة ليس تعبيراً بل هي عملية جارية حيث يطمس لشر حقيقة أو صورة خير، فيبطل لشر ماعداً على أنه حق وصالح، فانزل انكساره (عند بولس نرسون) يظهرهم وكأنهم رسل حقيقيون مثل لشيطنان يظهر كأنه ملاك نور. فمادم لشيطنان يظهرهم كخدام البر وكل عمليات التعبير للخدمة هذه يستخدم فيها بولس نرسون كلمة *σχῆμα* وبس *μορφῇ* وأي انحراف في استخدام *μορφῇ* بدل *σχῆμα* يكون حاداً

٢ — *μορφῇ* = الصورة (الطبيعية):

كل تعبير حقيقي إلى الصالح والحق يكون في الصورة *μορφῇ* كلقول ميلاد ثاني أو حقيقة احديّة، فهذا يعبر «تحويل» إلى لأصح (هناية) حيث يتبع نهائياً استخدام *σχῆμα* والأمثلة مع التصحيح كالآتي.

«سبق فحيثهم يكونوا مشبهين صورة به» (رو ٨: ٢٩)، ترجمة الكلمة إلى «مشابهين» ها لا تعيد المص لاصحح فالكلمة اليونانية المستخدمة من كلمة *μορφῇ* هي *συνμόρφους* ونأني بالبحيرية *conformable* عنى «مطابق» لصورة. بها قد جرى التعبير شيقاً بالخدمة لأولاد الله في الهيئة الأرية بأن يصيروا مطابقين لصورة به، أي

أ - مستوى الجلال الإلهي:

فقبل كل الدهور كان المسيح هو صورة الله $\epsilon\nu \mu\omicron\rho\phi\eta\ \theta\epsilon\omicron\upsilon$ الذي يعني تماماً أنه كان قائماً سابقاً في طبيعة الله، لأن كلمة $\mu\omicron\rho\phi\eta$ أي «صورة» لا تعني الظاهر بل تحمل معنى الطبيعة التي أعطتها صفة الصورة بخواصها، فالصورة الذاتية تنطق بطبيعتها.

ويلزم أن ننتبه إلى تركيب الجملة فهو لا يقول: «كان على صورة الله»، مثل ما قيل في خلقه آدم: «على صورتنا كشبهنا $\kappa\alpha\tau' \epsilon\iota\kappa\omicron\nu\alpha \kappa\alpha\iota \kappa\alpha\theta' \omicron\mu\omicron\iota\omega\sigma\iota\nu$ » (تك ١: ٢٦)؛ بل يقول بولس الرسول عنه: «الذي هو صورة الله» (٢ كور ٤: ٤، كوا ١٥). وجاءت هنا في رسالة فيلبي: «كان في صورة الله $\epsilon\nu \mu\omicron\rho\phi\eta\ \theta\epsilon\omicron\upsilon \upsilon\pi\acute{\alpha}\rho\chi\omega\nu$ »، حيث $\mu\omicron\rho\phi\eta$ باليونانية تعني الشكل الداخلي أو الكياني. والمعنى هو أنه يحمل وجوداً هو صورة الله. تماماً كما نقول أنه «أخذ صورة عبد»، فهل يمكن أن يأخذ صورة $\mu\omicron\rho\phi\eta$ العبد دون أن يحمل طبيعة العبد؟ لذلك حينما نقول إنه كان صورة $\mu\omicron\rho\phi\eta$ الله، فهذا يعني حتماً أنه يحمل طبيعة الله، «الصورة» لا تتغير إلى الأقل بحسب ما تعنيه الكلمة باليونانية، وخاصة إن هي كانت صورة الله.

حائرين هذه الصورة.

كذلك. «لأعرفه وقوه قبحته وشركة لاهه منشأه عوته $\sigma\upsilon\mu\mu\omicron\rho\phi\eta\zeta\omicron\mu\epsilon\nu\omicron\varsigma$ » (في ١٠.٣) بها أيضاً كلمة «منشأ» لا تعيد معنى لصحيح لأنه تطلق في صورة الموت الواحد. أي «حائراً على موب المسيح هي». كذلك: «ويحس جميعاً ما طربس عند الرب روحه مكسوف كما في مرآة تعبر إلى تلك الصورة عيها من عبد إن عبد كما من الرب بروح» (٢ كور ٣: ١٨). «تعبّر إلى تلك صورة عيها» $\mu\epsilon\tau\alpha\mu\omicron\rho\phi\omicron\upsilon\mu\epsilon\theta\alpha$ ، ه اسمعير يكون في صورت لتطابق صورة المسيح عيها، وفي هذا يتضح أن تعبيري الصورة بمعنى التحول في طبيعة الشخص إلى لاسمى ولا يعوب عيها أن كلمة $\mu\epsilon\tau\alpha\mu\omicron\rho\phi\omicron\upsilon\mu\epsilon\theta\alpha$ تعني اسحي أو ظهور الشيء على حقيقته. فإذا نظر إلى هذا اسحي أو اسمعير فالعين الشريفة سي لا يرى الحق في جوهره، فيكون التحلي تعبيراً في أهنية، وهذا حجاج نصر الإنسان لأن اسبح في التجلي ظهر على حقيقته.

كذلك: «تعبّروا عن شكلكم بتحديد دهاكم» (رو ٢٠١٢). «تعبّر هـ $\mu\epsilon\tau\alpha\mu\omicron\rho\phi\omicron\upsilon\theta\epsilon$ بمعنى التحول الداخلي في الطبيعة إلى طبيعة جديدة، وذلك بتحديد لدعى معنى تحديد الوعي مسيحي بالإحيل والصلاة. كذلك. «يا أولادي لليس تمحص بكم أيضاً إن أن يتصور اسبح فيكم» (غل ١٩.٤) «يتصور» $\mu\omicron\rho\phi\omega\theta\eta$ ، هـا لمعى موب تماماً لصول بولس رسول «ليحس لمسيح بالآيين في طوبكم» (أف ١٧) أي شكى مسيح بصفاته وطبيعته بمدة بانسة [Lightfoot, Ep. to the Philip, p. 130].

ثم يستهي لعائم لايعوت بالكون للعاطع. أن فور لأية. «إذ كان في صورة الله»، [بسم — must — أن يحصر في معنى الصفات الإلهية] (Ibidem. p. 132).

[أب نسبة كلمة «صورة» $\mu\omicron\rho\phi\eta$ إلى كلمة «هيه» $\sigma\chi\eta\mu\alpha$ هي نسبة ماني جوهرى الكنت في اعرضي ايراش] (Ibidem. p. 133).

ويقول الأسقف العلامة لايتفوت: [إن من يحمل الصورة μορφή يحمل الشركة في الطبيعة أيضاً، لأن كلمة «مورفي» لا تعني أعراضاً ظاهرة ولكن الصفات الأساسية] (٢٢).

ومن هنا يتضح أن كلمة «صورة» كترجمة للكلمة اليونانية مورفي μορφή مضلّة ولا تأتي بالمعنى الصحيح.

كذلك سقط في الترجمة أيضاً في جنة «كان هو صورة الله» كلمة «كائناً» ὁπαρχων وهي بحسب العلامة لايتفوت أيضاً: [تعني سَبَقُ الوجود، والجملة «كان هو صورة الله» تساوي تماماً قول القديس يوحنا: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله» (يو: ١: ١)، كما أنها تساوي التعبير الذي أضافه بولس الرسول على الصورة في رسالة كولوسي: «بكر كل خليقة ... الذي هو قبل كل شيء.» (كو: ١٥ و١٧)] (٢٣).

وإد هو في صورة الله فهو يحمل كل ما لجلال الطبيعة الإلهية من صفات التي هي بأن واحد صفات الله، أي «كان معادلاً لله» τὸ εἶναι ἴσα θεῷ ، تماماً كما نقول: لأن المسيح إذ كان في صورة إنسان لا يحسب خلصة أن يكون معادلاً للإنسان!!

ب - مستوى الإخلاء الذاتي:

ولكن هذه الجلالة الإلهية التي له خاصّة وطبيعة لم يتمسك بها كأنه أخذها خلصة أو اختطافاً أو هدية^(٢٤)، فلم تمتعه من أن يتعني ناحية الإنسان وينزل إلى مستواه، وهذا كلّفه أن يُخلي ذاته εαυτὸν ἐκένωσε . والإخلاء هنا ليس الترك أو الإلغاء لهيئة لاهوته، لأن ذلك هو المستحيل بعينه، لأن الأزليات لا تتغيّر ولا تبدّل ولا تتناقص ولا تُفنى بأي حال من الأحوال، لأن مثل هذه الأفعال هي للزمنيات الزائلة، ولكن التخلي أو الإخلاء هو تحجّب صفاته الإلهية الباهرة من نور وقوة مؤثرة ومجد عن العين البشرية، وذلك بإرادة مقتدرة، حتى يستطيع أن يظهر في صورة عبد في شبه الناس. وهذا يعني «تجسّد»، كما يشرحه جميع الآباء اللاهوتيين حيث اتحدت الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير، وكل طبيعة لم تفقد شيئاً من خواصها.

ج - مستوى الاتضاع البشري:

وبعد ما صار في هيئة إنسان، ابتدأ يأخذ على عاتقه تصحيح ما خرّبه الإنسان بكبريائه

22. Lightfoot, *St. Paul Epist. to the Phil.*, p. 110.

23. Ibid.

24. Cyril of Alex., Hilary of Poitiers, Chrysostom, quoted by Lightfoot, *op. cit.*, p. 135-136.

وعصيانته، سواء في آدم أو في كل سله، فعمل ما كان يتحتم على كل إنسان أن يعمل من آدم إلى آخر ذرية آدم وهو التواضع أمام الله، فتواضع: «وضع نفسه» εταπεινώσεν εαυτόν . وهنا لم يكتفِ المسيح بأن صار عبداً، بل أخذ المستوى الأقل فيما هو تحت العبد فقدم نفسه ليس لخدمة كخدمة العبيد، بل وأطاع كحروف يُساق للذبح وحمل الصليب ومات عليه ليكفّر عن خطايا العبيد!!

د - مستوى الارتفاع إلى السموات العُلا :

وإذ أكمل الاتضاع عن بني الإنسان، واستوى الطاعة منتهى الطاعة استيفاءً بلغ به الموت، وكفّر عن كل خطايا الإنسان بل والخليقة كلها، استحق أن يرتفع فوق كل خليقة في الأرض وفي السماء ليحتل - متجسداً - كامل مجده الأول، ويأخذ اسماً فوق كل الأسماء التي سُمّيت بها كل الخلائق المجددة، لأنه عمل ما لا يستطيع أن يعمل أيّ منها.

هـ - وهكذا إذ تحررت الخلائق طُرّاً من ماضيها الذي حبسها في العصيان أو العجز والقصور وتصالحت مع الله، صار حقاً للمسيح أن تنحني باسمه كل ركلة إن في السماء أو على الأرض أو في الهاوية (أي المنتقلين في عالم الأموات)، لأنه بغير اسم المسيح تمتنع صحة العبادة أو قبولها، إذ لا تكون مصالحة.

و - ومع احثناء كل ركلة يكون الاعتراف برؤية المسيح عن حق والتزام. أما عن حق، فالمسيح قبل أن يعمل عمله على الأرض كان في صورة الله مُعادلاً. أما عن التزام، فهو الذي وهب الخليقة العتيقة عُتقاً من عبوديتها ووهبها خلقة جديدة تليق بالسمايين. ولكن تبقى ربوبية المسيح وفقاً على تعجيد الله الآب لتزويد لاهوت الابن جلاءً ومجد الآب جللاً: «المسيح هورب، لمجد الله الآب.» (في ١١: ٢)

اتفاق الآباء القديسين الأوائل بلا استثناء بخصوص

هذه الآيات السبع من الرسالة إلى فيلبي (١١: ٢-٥):

بعد أن عرفنا في البداية أن هذه العقيدة المختصة بسبقي وجود المسيح، وبإخلائه لذاته من مجد لاهوته، وباتحاد اللاهوت فيه بالناسوت فينا، هي بحسب الظن من تعاليم الرسل كحقيقة كانت تُدعى للمعمّد. كذلك نجد هذا التعليم عند الآباء القديسين الأوائل حقيقة مُعترفاً بها باهتمام بالغ دون أن يكون هناك أي اشتباه أو اعتراض من أي من الآباء على أي بند فيها، سواء من آباء الشرق أو آباء الغرب بلا استثناء. بل إن الآباء المدافعين في كل العصور الأولى أخذوها كما هي

بحرفيتها وبدون أي شرح، وجعلوها المعيار اللاهوتي، الحَكَم، لدحض أية بدعة من كل البدع التي صدّعت رأس الكنيسة ما يقرب من خمسة قرون متلاحقة.

وكمثلي لذلك، نقدم وصفاً للقديس يوحنا ذهبي الفم قدّمه في إحدى عظاته حاثاً سامعيه أن يتصوّروا معه كيف أن هذه الآيات من الرسالة إلى فيلبي نزلت كالصاعقة على جموع المراطقة وذلك حينما استخدمتها الكنيسة في دفاعها ضدهم: أريوس، وسابيليوس، وماركيون، وفالنتينوس، وماسي، وبولس الساموساطي، وأبوليناريوس من لاوديكا، ومارسلوس من أنقرا، وصوفرينوس، وفوتينوس. ويقول:

[تماماً كما ترون في حلبة الملاعب في المصارعات بين العربات، فلا شيء يقارن بفرح الجمهور حينما يفتح أحد المصارعين عربات خصومه ذات الأربعة الخيول الواحدة تنو الأخرى طارحاً إياها أرضاً بخيولها وفرسانها منهياً السباق، ويخلوله الجوفيقطع الملعب جرياً من أوله إلى آخره. وفي وسط هياج الجمهور بالهتاف والتصفيق من كل ناحية حتى عنان السماء، يتطلّع إليهم ثملاً بانتصاره وكأنه يطير في الهواء، كيف لا يكون بالأكثر شعورنا عندما نطرح بنعمة الله ومرة واحدة — بهذه الآيات — كل حيل ودسائس هذه المهرطقات مع فرسانها] (٢٥).

وقفه قصيرة ومراجعة لحقيقة المسيح

سنورد هنا بعضاً من الآيات التي وردت في رسائل بولس الرسول لكي تلقى الضوء على لاهوت المسيح وصفاته واختصاصاته وأعماله:

أ - مكانة المسيح العليا: «فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً وأخضع كل شيء تحت قدميه.» (أف: ١: ٢١ و٢٢)

ب - المسيح خالق الكل: «الذي به أيضاً عمل العالمين.» (عب: ١: ٢) «فإنه فيه خُلِقَ الكل ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً (٢٦) أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلِقَ.» (كو: ١٦: ١)

«الله خالق الجميع يسوع المسيح.» (أف: ٣: ٩) «وأنت يا رب في البدء أسست الأرض والسموات هي عمل يديك. هي تبيد ولكن أنت تبقى وكلها كثوب تسلى وكرداء تطويها فتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تفنى.» (عب: ١: ١٠-١٢)

ج - المسيح يقيم العالم كله: «الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل» (١٧: ١) «hold together = συνέστηκεν»

من "أ"، "ب"، "ج" يتبعين أن يكون المسيح هو السبب الفعال والعلّة والفرض النهائي لقيام العالم وكل ما هو موجود في الأرض وفي السماء، وهذه هي مؤهلات لاهوته.

د - ١ - المسيح صورة الله الآب غير المنظور:

«المسيح الذي هو صورة الله.» (٢ كو: ٤: ٤) «الذي هو صورة الله غير المنظور.» (كو: ١٥: ١)

(٢٦) من ضمن أصحاب العروش الأربعة وعشرون شيئاً الخاسون على عروشهم في سمر الرزيا.

٢ — بهاء مجده ورسم جوهرة:

«الذي هو بهاء مجده ورسم جوهرة وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.» (عب ١: ٣)

هـ — المسيح ابن الله:

«ابن الله يسوع المسيح الذي كُرم به بينكم...» (٢ كو ١٩: ١٩)

«وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.» (عب ١: ٥)

الله أرسله:

«فإله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية...» (رو ٨: ٣)

الله بذله:

«الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهينا أيضاً معه كل شيء.» (رو ٨: ٣٢)

الله يحبه وأعطاه الملكوت:

«(الله) الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته.» (كو ١: ١٣)

وعرشه في السماء إلى الدهر:

«وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور.» (عب ١: ٨)

قضيب ملكه هو عدله:

«قضيب استقامة قضيب مُلكك.» (عب ١: ٨)

الله أعطى نعمته لنا فيه:

«لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب.» (أف ١: ٦)

الله يعلن ابنه فينا:

«ولكن لما سرَّ الله... أن يعلن ابنه فينا لأبشر به بين الأمم.» (غل ١: ١٥ و١٦)

الله كلمنا في ابنه:

«الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه.» (عب ١: ٢ و١)

و — المسيح إله وله المجد:

«الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين.» (رو ٩: ٥)

«الله الحكيم وحده يسوع المسيح له المجد إلى الأبد آمين.» (رو ١٦: ٢٧)

«وسينقذني الرب من كل عمل رديء ويخلصني للكوته

السمائي الذي له المجد إلى دهر الدهور آمين.»
(٢ تي ٤: ١٨)

«الله ظهر في الجسد (المسيح) تبرر في الروح نراى
لملائكة، كُرز به بين الأمم أو من به في العالم رفع في
المجد.» (١ تي ٣: ١٦)

ز - المسيح تُقدّم له الصلاة:

«من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات ... فقال
لي تكفيك نعمتي ...» (٢ كو ١٢: ١٥)
«لأن رباً واحداً (يسوع المسيح) للجميع غنياً للجميع
الذين يدعون به.» (رو ١٠: ١٢)
«لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص.» (رو ١٠: ١٣)
«جميع الذين يدعون باسم ربنا يسوع المسيح في كل
مكان لهم ولنا نعمة ...» (١ كو ٢: ٢)

ح - المسيح نستمد منه النعمة:
والسلام:

«نعمة ربنا يسوع المسيح معكم.» (رو ١٦: ٢٠)
«نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح.»
(رو ١: ٧)
«نعمة ورحمة وسلام من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا.»
(١ تي ١: ٢)

والرحمة:

ط - المسيح ننحنى أمامه كل ركبة:
وتسجد أمامه الملائكة:
«لكي تحشوا باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن
على الأرض ومن تحت الأرض.» (في ٢: ١٠)
«ومتى أدخل البكر إلى العالم يقول وتسجد له كل
ملائكة الله.» (عب ١: ٦)

ي - المسيح أزي قبل تأسيس العالم:
«كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لتكون قديسين
وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف ١: ٤)

«هي تبديد ولكن أنت تبقى ... كرداء تطويها فتتغير
ولكن أنت أنت وسنوك لن تغنى.» (عب ١١: ١٢)
«يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد.»
(عب ١٣: ٨)

ك - المسيح ثابت لا يتغير:

أمس واليوم وإلى الأبد:

ل - المسيح كلي القدرة:

«وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته.» (عب ١: ١٣)

م - المسيح ديان الجميع:

«لأنه لا بد أننا جميعاً نَظْهَرُ أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع حيراً كان أم شراً.» (٢ كو ٥: ١٠)

ن - ملكوت المسيح والله واحد:

«ملكوت المسيح والله.» (أف ٥: ٥)

س - روح المسيح والله واحد:

«وأما أنتم فليستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم، ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له.» (رو ٨: ٩)

ع - المسيح الرب الوحيد:

«ورب واحد يسوع المسيح» (١ كو ٨: ٦)، ومن هذا النص جاء نند قانون الإيمان: «نؤمن برب واحد يسوع المسيح».

ف - المسيح الله ظهر في الجسد:

«عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد.» (١ تي ٣: ١٦)

ص - وفيه كل ملء اللاهوت:

«الذي فيه يحمل كل ملء اللاهوت جسدياً.» (كو ٢: ٩)

ق - ناموس المسيح ناموس الله:

«مع أنني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموس للمسيح.» (١ كو ٩: ٢١)

عل أن اسم «الله» بدون إضافات احتجزه القديس بولس للتمييز عن الآب، وأحياناً يوضحه «الله الآب» أو «أبوربنا يسوع المسيح». أما كلمة «المسيح»، فإذا أوردناها تحت كلمة «الله» فلا تكون اسماً ذاتياً بل صفة جوهرية للابن أي بطبيعة الله. فقلوه «الله ظهر في الجسد»، يعني أن اللاهوت تجسد، وقوله عن المسيح: «الله العظيم»، يعني مجد لاهوته العظيم و«ظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح»، يعني ظهور المسيح مخلصنا بمجده الإلهي العظيم.

الفصل الثاني

الثالث في لاهوت بولس الرسول

القول «بالثالث» عند بولس الرسول لا يأتي حسب منهج معين، فهو لم يذكر كلمة «الثالث» ولكنها تأتي اضطراراً منه عندما يتعرض لعمل الله المتعدد الاتجاهات. ولكن من واقع التثليم الذي يقدمه بولس الرسول نستشف بوضوح أن الثالث في الله قائم في وعيه بصورة واضحة وثابتة، وبولس الرسول حريص أن يذكر عمل كل شخص في الثالث حسب اختصاصه، وأحياناً يأتي العمل الاحتصاصي لكل شخص في الله متقارباً جداً مع العمل الآخر فيبدو الثالث واضحاً للغاية: والذي منه نستدل على وجود المسيح السابق لتجسده.

٩ - «نعمة ربنا يسوع المسيح؛

ومحبة الله؛

وشركة الروح القدس مع جميعكم آمين.» (٢ كور ١٣: ١٣)

[المسيح، الله، الروح القدس]

والمعجيب حقاً أن بولس الرسول لا يضع هنا هذه الصيغة اللاهوتية في قالب تعليمي ولا يركز عليها كعنصر إيماني بالغ الأهمية، ولا يعتني أن يجعلها بترتيب تدرجها من الآب إلى الابن إلى الروح القدس، ولكنه يرسلها سهلة سلسة كتحية ودعاء في آخر رسالته إلى كورنثوس، هذا هو لاهوت بولس الرسول يأتيك عفواً وعليك أن تلتقطه كجوهرة من داخل أغلفة.

لقد التقطته الكنيسة، وبدل أن كان يرد عند القديس بولس في آخر الرسالة، جعلته الكنيسة دُكْصاً الافتتاح لأقدس ليتورجية فيها وهو القُداس الإلهي، وجعلت منطوقه هكذا: «محبة الله الآب، ونعمة الابن الوحيد، وشركة وموهبة الروح القدس تكون مع جميعكم آمين.»

ولكن الذي يُدهش القارئ حقاً أن بولس الرسول أورد في رسائله القليلة مثل هذا التعبير

الإلهي الذي ينتمى عن الثالوث ثلاثين مرة!! مما يفصح عن مدى الأهمية التي انطبعت في وعي بولس الرسول المسيحي عن علاقة المسيح بالله من داخل طبيعته الفعالة.

ويُلاحظ أن دِكْرَ بولس الرسول لله الآب وللمسيح الابن وللروح القدس، وإن جاء عن طريق عمل كل منهم في اختصاصه من حونا وبدون ترتيب التدرج هذا، إلا أنه بوعي شديد يرتفع بالثالوث في كيان فوق كل كيان مخلوق ليحجزه في مجال الله الختمي بانتباه وبدون أي خلل. وهذا بحسب عدم اللاهوت الثَّقَنِي والمَقْتَن والمحدد بمفاهيم الطبيعة والجوهر والأقنوم والكيان الخاص والاتحاد الجوهرى، إلى آخره من الاصطلاحات الدقيقة، نقول إن بولس الرسول كان في سرده لعلاقات الآب والمسيح والروح القدس من الدقة والتمييز والتحديد وإعطاء الأمثلة المتعددة جداً، وكأنه كان يوقر للاهوتي العصور القادمة برنامجاً فاعلاً زائراً بالمضامين الإلهية للثالوث لكي يفتنوا منه ما قننوه في هذا الشأن على أسس وقواعد لا تختل! ... وكان واضحاً في كل هذا عامل الإلهام بالروح القدس.

في الآية السابقة التي يدعو فيها لأهل كورنثوس — من لدن الله — بالنعمة والمحبة والشركة الروحية يتضح:

- (أ) أن أساس الدعاء هو أساس لاهوتي وهو «النعمة» فقد جمعها من اختصاص المسيح.
- (ب) ثم المحبة، وجاءت من اختصاص الآب كأساس للنعمة، فمحبة الآب هي التي تسببت في ظهور المسيح ونعمته. كذلك فإن المحبة تعبر عن الطبيعة الكلية لله الفعالة التي انبثقت منها النعمة.
- (ج) ثم ينتهي بعمل الروح القدس الذي بنعمة المسيح يؤسس الشركة في المؤمنين.

لذلك، فإن بولس الرسول، وبوعي شديد، وضع نعمة المسيح قبل المحبة لأننا بالنعمة التي في المسيح عرفنا المحبة التي في الآب؛ والكنيسة بتعديلها هذا التدرج من الابن للآب للروح القدس قصدت التدرج في الكيان اللاهوتي للثالوث حسب المنطق: الآب ثم الابن ثم الروح القدس بنوع من التقنين التعليمي الذي يوحى — خطأ — بأن هناك تدرجاً في الكرامة والمساواة، وضحت بالتدرج الفعلي والعمل على مستوى الاختبار عند بولس الرسول الذي يوحى بأنه لا يوجد هنا تفريق في الكرامة أو المساواة.

والثلاثة الأشخاص أو الأقانيم بعملهم المتفق والمتلاحق النعمة والمحبة والشركة هو تعبير عن عمل الخلاص وفعالته.

٢ — مثل آخر لعمل الثالث باتفاق مدهش، حيث يقدم بولس الرسول هنا الروح القدس ثم الابن ثم الآب من واقع الفعل العملي فيقول:
 «قأنواع مواهب موحدة ولكن الروح واحد،
 وأنواع خدّم موحدة ولكن الرب واحد،
 وأنواع أعمال موحدة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل.» (١ كو ١٢: ٤-٦)
 [الروح، الرب، الله]

بولس الرسول هنا لا يتدرج في الأقانيم من الروح إلى الابن إلى الآب، بل يتدرج في التخصص: يبدأ (أ) بنوع الموهبة، ثم ينتقل إلى (ب) نوع الخدمة (الوظيفة الكنسية)، ثم (ج) نوع العمل. فالموهبة يزكيها الروح القدس، والخدمة في الكنيسة يركيها المسيح، والعمل الكرازي يزكيه الآب. ولكن هذا التخصص هو توصيحي بالنسبة لنا وليس إلزامياً على الثالث، فأنت من الأقانيم يمكن أن تعمل ما يعمل الآخرون.

ومرة أخرى ننبه أنه عند القديس بولس لا توجد الفكرة التدرجية في الرئاسة بين الأقانيم، إنما التدرج يأتي في العمل، ولكنه أيضاً ليس إلزاماً. وقوله في نهاية الآيات بخصوص الله: «ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل»، يعني أن هنا عودة على التخصص المنفرد لكل منهم ليجمعه مرة ثانية في وحدة الله. وهو على مستوى التعبير: «الثلاثة واحد»، وكأنه يقول أنه ولو أن لكل أقنوم عمله ولكن الثلاثة واحد.

٣ — في المثليين السابقين جاء عمل الثالث متقارباً فوضع الثالث ذاته، ولكن في أمثلة أخرى لا يأتي عمل الثالث متقارباً لذلك يحتاج من الذهن نوعاً من التركيز لاستقطاب صورة الثالث من بين السطور.

+ «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله»، «ابنه» مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليتمّدي الدين تحت الناموس لننال التبني. ثم بما أنكم أناء أرسل الله «روح ابنه» إلى قلوبكم صارحاً يا أبا الآب. إداً لست بعد عبداً بل ابناً وإن كنت ابناً فوارث لله بالمسيح.» (غل ٤: ٤-٧)

[الله، ابنه، روح ابنه]

هنا لا يأتي بولس الرسول على ذكر الثالث بالنسبة لعمه فينا، ولكن بالنسبة للعلاقة التي يرتبط بها في طبيعة الله ذاته، فواضح غاية الوضوح أن «الله أرسل ابنه»، ثم «أرسل الله روح ابنه».

هنا يلزم أن نشرح كلمة «أرسل» فهي تأتي باليونانية في المرتين: ἀπέστειλεν التي تفيد «الخروج من». فهي بالنسبة للابن تفيد الخروج للتجسد «أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة»، كذلك بالنسبة للروح القدس فهي تفيد الخروج للملء: «أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم». وهكذا تنكشف العلاقة المتصلة الوثيقة بين الله والابن والروح القدس، سواء الوحدة التي تربط الابن والروح القدس في الآب أو الوحدة التي تربط الروح بالابن والآب.

٤ — «الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب، الروح نفسه أيضاً يشهد مع أرواحنا أننا أولاد الله، فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً ورثة الله ووارثون مع المسيح.» (رو: ٨: ١٤-١٧)
[روح الله، ورثة الله، مع المسيح]

هنا يذكر بولس الرسول الثالث موضحاً من جهة أعماله ومؤهلاته:

- (أ) ف «الروح القدس» يقود ويشهد وهو روح التبني،
(ب) و «الابن» وارث للآب ويورثنا معه،
(ج) و «الآب» أعطى «روح الله» وهو روح التبني ليكون هو أباً ونحن أبناء له مع المسيح.

ولكن بقراءة ما جاء في المثال الثالث مع ما جاء في المثال الرابع يتضح الآتي:

- الله الآب هو الذي يرسل الروح القدس.
— الروح القدس هو روح الله وروح الابن.
— التبني هو عمل الروح القدس، وهو عمل الابن وهو عمل الآب.
— التبني مع المسيح يجعلنا ورثة معه ومع الآب، يجعلنا وارثين للآب كأبناء.

وهنا يستحيل أن نقطع بأي من هذه الأعمال نفسه في الأول وأياها في الآخر. لأننا بالروح نعرف الآب والابن، وبالابن نعرف الروح القدس والآب، وبالآب نعرف الروح القدس والابن. لذلك لا نجد في لاهوت بولس الرسول تنسيقاً تدريجياً بين الأقانيم.

٥ — «ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه، لا بأعمالنا في بر عملناها نحن،

بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس ،
الذي سكبهُ بغنى علينا يسوع المسيح مخلصنا .» (تي ٣ : ٤ - ٦)

هنا توضيح للثالث بحسب عمله في المعمودية :

فالله (أ) « الآب » سكب (ب) « الروح القدس » بغنى بواسطة (ج) « يسوع المسيح » علينا .

والمعمودية ميلاد ثانٍ من رحمة الله الآب وإحساناته للخلاص .

والمعمودية تجديد بالروح القدس و يسوع المسيح الوسيط الأساسي .

ويراها اللاهوتيون في الكنيسة هكذا : الآب يقدّس في الروح القدس بواسطة الابن .

فعامل التقديس المباشر هو الروح القدس . والمعمودية هي حميم تجديد الخلقة ، لأنها تعطي ميلاداً ثانياً جديداً للإنسان على المستوى الروحي . فالروح القدس هو المسئول عن التجديد ، لأنه هو الذي يعطي ماء المعمودية القوة التقديرية للتجديد أي للميلاد الثاني جديداً . والمسيح هو الواسطة التي يأخذ منها الروح القدس الطبيعة الجديدة للخلقة الجديدة بكل صفاتها الجديدة . فالمسيح هو العنصر الوسيط الأساسي في الخلقة الجديدة لأننا بطبيعته وعلى صورته نُخلق ، وعلى صورته نتجدد ، وبحياته الجديدة نحيا .

وهذه الآيات التي جاءت في المثل الخامس يوضحها بولس الرسول بالنسبة للمعمودية بآية أخرى شديدة التعبير :

« وهكذا كان أناس منكم ، لكن اغتسلتم بل قدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا .» (١ كور ٦ : ١١)

وكقاعدة عامة ، فبولس الرسول لا يذكر نعمة المعمودية إلا تحت الأسماء الثلاثة الآب والابن والروح القدس باتحاد وتوافق .

٦ — « ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله ،

الذي ختمنا أيضاً وأعطانا عربون الروح في قلوبنا .» (٢ كور ١ : ٢٢ و ٢١)

[المسيح ، الله ، الروح القدس]

هنا لا يتكلم بولس الرسول عن المعمودية ولا عن المسحة العامة للمسيحيين بالروح القدس في المعمودية ، ولكنه يتكلم عن نفسه أولاً كرسول قد مسح الله للرسولية وختمه بختم الروح القدس ، ليس هنا بالمعمودية بل بالإتجيل فهو ختم الشهادة ، كما أعطاه الله قوة الروح القدس في قلبه

لتذليل كل الصعاب كعربون النصرّة الأخيرة.

هنا الأقسام الإلهية الثلاثة تعمل في بولس الرسول للبشارة باتفاق، فالله الآب أعطاه عمل الرسولية (مسحه)، والمسيح هو فيه موضوع البشارة (في المسيح)، الروح هو ختم الرسالة المقروء لدى السامعين.

ويلاحظ أن هذه الأعمال كلها يحتويها الله الآب في أربعة أفعال:
يُثَبِّتُنَا، مَسَحُنَا، خَنَمْنَا، أَعْطَى عَرَبُونَ الرُّوحَ.

٧ — «بسبب النعمة التي وَهَبَتْ لِي مِنَ اللَّهِ،
حتى أكون خادماً ليسوع المسيح لأجل الأمم،
مباشراً للإنجيل الله ككاهن،

ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدساً بالروح القدس.» (رو ١٥: ١٥ و١٦)
[الله، يسوع المسيح، الروح القدس]

هذه الآيات الثلاث لا تأخذ قوتها اللاتقة في الترجمة العربية فالكلمات: (أ) «خادماً»،
(ب) «مباشراً»، (ج) «قربان»، (د) «مقبولاً»، (هـ) «مقدساً»، تحوي في أصلها
اليوناني رُتَبَ لاهوتية ليتورجية طقسية خصائصية توحى بمهج فكري وراءها كالاتي:
أ — خادماً: λειτουργόν

وتفيد، ليس الخدمة، ولكن الذي يقوم بالمساعدة في تميم طقس مقدس، وتعني في العهد
القديم «لاوي»، فالخادم الحقيقي هو المسيح رئيس كهنة وحادم الأقداس (عب ٨: ٢١).

ب — مباشراً: λειτουργόντα

الكلمة هنا تشكون في اللغة اليونانية من مقطعين: المقطع الأول λειτουργεῖس أي مقدس —
كاهن — والمقطع الثاني يؤدي خدمة، وهي تفيد ممارسة طقس خدمة مقدسة، وهنا تحمل الكلمة
معنى خدمة كاهن بالنسبة للإنجيل ليعد الأمم مقدمة لله!

ج — قرباناً: προσφορά وتعني ذبيحة أيضاً.

ويكون المعنى أن القديس بولس يخدم المسيح كلاوياً بالنسبة لرئيس كهنة، ثم ككاهن
بالنسبة للأمم إذ يقدسهم بالكلمة، أي الإنجيل، ليقدمهم ذبيحة. وهم يصيرون ذبائح حقيقية
بالشركة في ذبيحة المسيح على الصليب.

د — مقبولاً: εὐπρόσδεκτος — باللاتينية تتضح أكثر acceptabilis وتعني مُرضياً أيضاً .
هذا بحسب طقس العهد القديم في الذبائح الذي ينص على أن كل ذبيحة تُقدَّم لله بالشروط
تصير مرضية ومقبولة عنده . وهذه الشروط في العهد الجديد هي حلول الروح القدس على الذبيحة
وتقديسها أي حفظها من العالم لتكون لله خاصة .

هـ — مقدساً: ἁγιασμένη

هنا العامل الجديد الذي لا يوجد في العهد القديم وهو حلول الروح القدس للتقديس بمعنى أن
يصير المعمّد خاصاً لله . إذ يأخذ ختم الروح السماوي كذبيحة مقبولة ومرضية تُخصّص لله .

وهكذا يا عزيزي القارئ بعد أن أعطي لكل كلمة معناها الدقيق بحسب الأصل اليوناني ،
يتضح المعنى ويتضح عمل الآب والابن والروح القدس :
فالآب هو الذي يقبل الذبائح المستوفاة الشروط ،
والابن هو الذي يعطيها لحمه ودمه ميّثاً ومُقاماً بالإنجيل ،
والروح القدس يستوفي بالتقديس شرط القبول للذبيحة والرضى لدى الآب .

مفردات الثالث

أ — المسيح «ابن الله»

إنها الحقيقة الثابتة التي استعلنها بولس الرسول في المسيح والتي سبق أن استوفينا مداخلها في
فصل «سبق وجود المسيح» ، أي وجوده السابق على التجسد ، هذه الحقيقة — «المسيح ابن الله»
— التي على صونها أدرك بولس الرسول عمق ومرمى عمل الصليب — أي الفداء العظيم — الذي
أكمله على أساس لاهوته ، والذي أوضحه في قوله الذي يُعتَبَر المحك لكل مخارج لاهوت بولس
الرسول : «ولكن لما جاء ملء الزمان ، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس .»
(غل ٤ : ٤)

وبولس الرسول هو أكثر من حدد شخصية المسيح كابن الله والوحيد الذي عدّد جميع تخصّصاته
التي تجسد من أجل تكميلها ، ثم هو الوحيد الذي شرح علاقة الابن بالآب من جهة الرسالة
العملية التي نزل لتكميلها ، ثم الوحيد الذي أطلع بالروح والنبوة والرؤيا العالية الأخروية على
كيف سيختتم الابن أعماله وبعدها يخضع الابن للآب ، فتنتهي رسالته بالنسبة لخلاص الإنسان
ويصير الابن في الله ، ليصير الله الكلّ في الكل : «ومتى أخضع له الكل — (حيث آخر عدو يُبطل
هو الموت) — فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل كي يكون الله الكل في

الكل» (١ كو ١٥: ٢٩). وتعتبر هذه الآية في لاهوت القديس بولس من أخطر الآيات التي تستعين دور ابن الله الذي كلفه الظهور العلني في جسد إنسان (مولوداً من امرأة)، الذي بعد أن يكمله سيمود للإحتفاء الكلي في الآب كما كان، وهذا يقابله في لاهوت القديس يوحنا استعلاناً للابن قبل تجسده وهو قائم في الله قبل أن يقوم برسالته: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله. هذا كان في البدء عند الله» (يو ١: ١). هكذا يستعلن لنا القديس يوحنا «ابن الله» في الأزل، ويستعلنه لنا القديس بولس في الأبد.

واليسك أيها القارئ العزيز مجمل الآيات التي وردت في لاهوت القديس بولس التي استعلن فيها «ابن الله» في شخصه وفي عمه الذي أذاه على مستويات الرسالة التي أرسله لها الآب:

١ — «بولس ... المُفَرَّز لإنجيل الله، الذي سبق فوعد به بأنبيائه في الكتب المقدسة عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد، وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات.» (رو ١: ٤—٤)

٢ — «فماذا نقول لهذا، إن كان الله معنا فمن علينا، الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء.» (رو ٨: ٣١ و٣٢)

٣ — «ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس لننال التبني، ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب.» (غل ٤: ٤—٦)

٤ — «لأنه إن كنا ونجن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مُصَالِحُونَ نَخْلُص بحياته.» (رو ٥: ١٠)

٥ — «ونتنتظروا ابنه من السماء الذي أقامه من الأموات يسوع الذي ينقذنا من الغضب الآتي.» (١ تس ١: ١٠)

٦ — «(الله) الذي أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته، الذي لنا فيه الفداء بدمه غفران الخطايا الذي هو صورة الله غير المنظور.» (كو ١٣: ١٥—١٥)

٧ — «لأن الذين سبق ففرههم، سبق فعيثهم، لبيكونوا مشابهي صورة ابنه ليكون هو بكرأ بين إخوة كثيرين.» (رو ٨: ٢٩)

٨ — «ابن الله يسوع المسيح الذي كُرِّز به بينكم.» (٢ كو ١٩: ١٩)

٩ — «فأله إدا أرسل ابنه في شبه جسد الخطية...» (رو٨: ٣)

١٠ — «وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور.» (عب ١: ٨)

١١ — «ولكن لما سَرَّ الله ... أن يعلن ابنه فيَّ لأشربه بين الأمم.» (غل ١: ١٥ و١٦)

١٢ — «الله بعد ما كَتَمَ الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه.» (عب ١: ١ و٢)

وإن كان من العسير أن نتابع منابع الإلهام عند بولس الرسول لكي نحصر مبادئ فكره عن بشوة المسيح لله، لأن عمل الروح القدس يستحيل ملاحظته. ولكن إذا وضعنا الآيات — التي ومضت في وعي القديس بولس فيما يخص المسيح — تباعاً، فإنه يمكن أن نستخلص لماذا المسيح هو ابن الله، لا كقلب ماسياني موروثة، ولكن كواقع حيِّ فعَّال.

«فإنه فيه خُلِقَ الكل، ما في السموات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى ...
الكلُّ به وله قد خُلِقَ،

الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل.» (كو ١٦: ١٧)

«الذي هو صورة الله غير المنظور...» (كو ١٥: ١٥)

«الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته...» (عب ١: ٣)

«الذي إذ كان في صورة الله، لم يحسب حيلة أن يكون معادلاً لله.» (في ٢: ٦)

«فبالمسيح قوة الله وحكمة الله.» (١ كو ١: ٢٤)

«فإنه فيه يحمل كل ملء اللاهوت جسدياً.» (كو ٢: ٩)

«لكي تهنئوا باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ... ويعترف كل لسان أن

يسوع المسيح هو رب لمجد الله الأب.» (في ١٠: ١١ و١٢)

«الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين.» (رو ٩: ٥)

«لنا إله واحد الأب الذي منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح، الذي به

جميع الأشياء، ونحن به.» (١ كو ٨: ٦)

«بالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد ... رُفِعَ في المجد.» (١ تي ٣: ١٦)

فهذه الآيات تنتهي إلى حقيقة واحدة أن المسيح واحد مع الأب — كما قال المسيح نفسه:

«أنا والآب واحد» (يو ١٠: ٣٠) واحد في الجوهر وفي ذات الله العظمى: «أنت أيها الأب فيَّ

وأنا فيك» (يو ١٧: ٢١)، واحد في خصائص الطبيعة الإلهية: «كل ما هولي فهو لك، وما هولك

فهو لي» (يو ١٧: ١٠). فإذا أضفنا إلى هذه الآيات ما تقول به التوراة — التي يحفظها القديس بولس عن ظهر قلب — بما يفيد أن المسيح هو ابن الله؛ كقول داود الذي استشهد به المسيح ليستعلن به نفسه لتلاميذه أنه هو ابن الله، كما جاء في إنجيل القديس متى:

«سألهم يسوع قائلاً ماذا تظنون في المسيح «ابن من هو»؟
قالوا له ابن داود! قال لهم:

فكيف يدعوه داود بالروح رباً؟ قائلاً قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك.

فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه؟» (مت ٢٢: ٤١-٤٥)

إذاً فالرد على سؤال المسيح «ابن من هو؟» يكون بكل تأكيد أنه ليس «ابن داود» بل «ابن الله»!! وابن بالتساوي مع الله الآب لأن كلا منهما أخذ لقب «رب»، وهو خلاصة المقولة النبوية: «قال «الرب لربي» على التساوي!

هنا تحقق لدى بولس ولدى من يؤمن بكلمة الله أن المسيح هو ابن الله، لا انتساباً بل امتلاكاً. فالبُتوة تمتلك الأبوة وحدها في الله، كما أن الأبوة تمتلك البُتوة لنفسها في وحدانية الذات.

وهكذا وحينما يتفك أماننا سر بُتوة المسيح لله الآب، تنفتح أمامنا كل أسرار صفاته، لماذا هو صورة الله الآب غير المنظور، وبهاء مجده ورسم جوهريه؟ ولماذا ليس اختطافاً أن يكون معادلاً لله؟ ولماذا هو الخالق مع الآب؟ ولماذا الآب منه كل شيء والابن (الكلمة والفعل) به كل شيء؟ ولماذا هو قبل كل خليفة، وحامل كل الخلائق بكلمة قدرته؟ ولماذا الخليفة كلها تبيد وكثوب تبلى وكرداء تظوى فتتغير وأما هو فيبقى وسنوه لا تغنى؟ ولماذا هو أمساً واليوم وإلى الأبد؟ ولماذا باسمه نجشو ركبة كل حي في السموات وعلى الأرض والذين في عالم الحياة بعد الموت؟ ولماذا هو عن جدارة قائم دائم إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين؟ ولماذا يقال عن تجسده أن الله ظهر في الجسد ثم رُفِعَ في المجد؟ ثم لماذا يجلس عن يمين عظمة الله في السموات، لا ضعيفاً، بل وريثاً ومثيلاً مع المثل؟

ب - «الله» أبوربنا يسوع المسيح

باستعلان «الابن» في الله، يستعلن الآب حتماً وبالضرورة. بل إن غاية الإنجيل كله وغاية كل بشارة أن يُستعلن «الآب» غير المنظور ويراه الإنسان ويعيش: «فيعلمن مجد الرب، ويراه كل بشر معاً لأن فم الرب تكلم» (إش ٤٠: ٥). علماً بأن هذه الآية تأتي نتيجة مباشرة لعمل تمهيدي قام به يوحنا المعمدان: «صوتٌ صارخ في البرية أعدوا "طريق" الرب، قوموا في الفقر سبيلاً لإلهنا كل وطاء يرتفع وكلُّ جبل وأكتفٍ ينخفض، ويصير المعرج مستقيماً والعراقيب سهلاً "فيعلمن مجد الرب" ويراه كل بشر معاً.» (إش ٤٠: ١-٥)

ومن هذه الآية يجيء القول بأن المسيح صورة الله غير المنظور، وأنه «الطريق» إلى الآب، وأن المسيح «رب لمجد الله»، وأنه «بهاء مجده»، وأنه «رُفِعَ في المجد»، «وهذه النعمة المخدمة منا لمجد ذات الرب الواحد» (٢ كور ٨: ١٩)، وأن «له المجد إلى الأبد آمين.» (رو ١٦: ٢٧)

ومن هذه الآيات تكون نبوة إشعياء قد استوفت في المسيح كل مداها: «فيعلمن مجد الرب ويراه كل بشر»، ويكون قد تحقق بالفعل المنظور أن المسيح هو مجد الله الآب غير المنظور، أو على وجه أفضل هو المجد العظيم لله الآب؛ وبعد ذلك يصير فهم الآية التالية سهلاً: «منتظرين الرجاء المبارك وظهور "مجد الله العظيم ومخلصنا" يسوع المسيح» (١٣: ٢)، إذ أن ظهور المسيح المخلص هو بعينه ظهور مجد الله العظيم!!

ومن هنا بدأت أبوة الله للمسيح تلقي بإحساسها الغامر على تقوى القديس بولس المتأصلة في محافة الله وفي هيئته في التوراة أصلاً، لتمطيها إحساس القُرْبَى من يهوه العظيم. وبدأ القديس بولس يخاطب الله لأول مرة في التاريخ اليهودي باسم «أبا»، وهو اللقب المفعم بمشاعر الحب والانتماء والامتلاك للآب!! وذلك بعد أن اعتمد بولس للمسيح، وتيس بالروح المسيح ابن الله، ونال روح المسيح روح البنوة لله. فلم يمتدَّ يقول بأبوة الله في سرُّ بل بالصراخ والقلْبَن.

+ «لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله، إذ لم تأخذوا روح العبودية (لنناموس) أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب.» (رو ٨: ١٥ و ١٤)

+ «ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب.» (غل ٤: ٦)

وهكذا انحصر بولس الرسول إنحصاراً روحياً أفقده القدرة على التفريق بين الآب والابن في الله، فلم يقدّر يستطيع أن يذكر الله الآب إلا مع الابن، ولا يذكر الابن إلا مع الله الآب:

+ «مبارك الله أبوربنا يسوع المسيح.» (أف ١: ٣)

+ «نشكر الله وأبا ربنا يسوع المسيح.» (كو ١: ٣)

+ «أحني ركبتني لدى أبي ربنا يسوع المسيح.» (أف ٣: ١٤)

فإذا اضطرب بولس الرسول بسبب التوضيح أو من واقع التركيب اللغوي أن يذكر الله الآب مُرَكَّزاً عليه وحده، فهو يذكره بصفته أباً لجميع مَنْ تَبَّاهُمْ في ابنه يسوع المسيح بإحساس القُرْبَى والدالة والتملك أيضاً.

+ «بولس رسولٌ، لا مِنْ الناس ولا بِإنسان، بل بيسوع المسيح والله الآب.» (غل ١: ١)

+ «نعمة لكم وسلام من الله الآب ومن ربنا يسوع المسيح.» (غل ١: ٣)

+ «لِنَقْذَنَا مِنَ الْعَالَمِ الْخَاضِرِ الشَّرِيرِ حَسَبَ إِرَادَةِ اللَّهِ وَأَيُّنَا...» (غل ١: ٤)

+ «مَتَذَكِّرِينَ بَلَا انْقِطَاعِ عَمَلِ إِيمَانِكُمْ وَتَعْبِ عِبَتِكُمْ وَصَبْرِ رَجَائِكُمْ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ أَمَامَ اللَّهِ وَأَيُّنَا.» (١ تس ١: ٣)

+ «لَكِي يَثْبُتَ قُلُوبُكُمْ بَلَا لَوْمٍ فِي الْقِدَاسَةِ أَمَامَ اللَّهِ أَيُّنَا فِي مَجِيءِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَعَ جَمِيعِ قَدِيسِهِ.» (١ تس ٣: ١٣)

+ «وَاللَّهُ نَفْسَهُ أَبُونَا، وَرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، يَهْدِي طَرِيقَنَا إِلَيْكُمْ.» (١ تس ٣: ١١)

+ «وَرَبَّنَا نَفْسَهُ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، وَاللَّهُ أَبُونَا الَّذِي أَحْبَبَنَا وَأَعْطَانَا عَزَاءً أَبَدِيًّا وَرَجَاءً صَالِحًا بِالنِّعْمَةِ.» (٢ تس ٢: ١٦)

هذا بالإضافة إلى جميع افتتاحيات الرسائل التي يهدي فيها السلام والدعاء مانحاً إياه «من الله الآب» أو «من الله أبينا والمسيح يسوع ربنا».

وفي هذا كله يتأكد أمامنا كيف انتقل بولس من حياة العبودية للناموس الذي حجز الله بعيداً عن قلب الإنسان وروحه، فصوّره بالإنفراد المتعالي، وغرّله القداسة التي لا يقترب منها بشر، والميزان في يده اليمنى والعصا في يده اليسرى، إلى الحياة من داخل بنوّة المسيح ليرى الله أباً من داخل أبوّته الغريفة للمسيح، ويراه حانياً على الذين صدّقوه وآمنوا بوعوده وعاشوا بتحقيقها في استعلان ابنه.

«فإذا قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله.» (رو ٥: ٢٠١)

وحينما يصف بولس الرسول علاقتنا بالله لا يصفها إلا في المسيح، لأنه في المسيح يسوع يصير الله لنا كأب بأعظم ما تكون الأبوة من علاقة صادقة حميمة قريبة يعيشها عن تأكيد وثبوت والتصاق، لا تفصله عنا أية قوة ما في الوجود حتى الموت ولا ما بعد الموت.

+ «فإنني مُتَيَقِّن أنه لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية ولا غلو ولا غُمق ولا خليقة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا.» (رو: ٨: ٣٨ و٣٩)

وواضح هنا غاية الوضوح أمام القارئ أن قوة القُرْبَى لله، والاتصاق به أشد الاتصاق، والحب المتعمكن في القلب، سواء من الله لنا أو منا لله، هذه كلها قائمة من خلال علاقتنا بالمسيح كابن الله التي بلغت هي الأخرى نفس المستوى: لا يقول هنا من القُرى والاتصاق، بل من الاتحاد والشركة بالروح والجسد والدم.

+ «مَنْ سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف، كما هو مكتوب إننا من أجلك نَمَات كل النهار، قد حُسِنَا مثل غنم للذبح. ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحينا.» (رو: ٨: ٣٥-٣٧)

وهكذا تبدو علاقة الابن بالآب في الله كحقيقة في ذاتها، تعلن عنها وتؤكدُها وتشهد لها بما نضحت به هذه العلاقة عينا فصيرتنا في المسيح أبناء الله، وصيرت الله نفسه أباً لنا بقوة وأصالة ودوام على مستوى الحياة اليومية، وستظل إلى الأبد تشهد فينا لبنوية المسيح لله وأبوة الله للمسيح، السرُّ الذي كان محتوماً عليه في مقاصد الله الأزلية واستعلن في نهاية سني شقاء الإنسان ليرفع البشرية من ماضيها الحزين إلى مستقبلها الحالد المفتوح على الله، لحياة أبدية لننعم في نوره وعبته الأبوية إلى أبد الأبد.

ج - الروح القدس بين المسيح (الابن) والله (الآب)

نظرة سريعة للروح القدس في العهد القديم:

على مدى العهد القديم كله من أوله حتى نهايته يبرز «الروح القدس» كقوة الله في الخلق المادي وتجديده. وفي نهاية العهد القديم يعود الروح القدس ويأخذ بالوعد أعلى تألقه في حياة الإنسان القادمة باعتباره «عطية» العهد الجديد الآتي، ممثلاً لقوة الله في الخلق الجديد الروحاني. «تخجب وجهك فترتاع، تنزع أرواحها فتموت وإلى ترابها تعود، ترسل روحك فتخلق (الإنسان الجديد) "وتجدد" وجه الأرض.» (مز: ١٠٤: ٢٩ و٣٠)
«هوذا الكل قد صار جديداً.» (٢ كو: ٥: ١٧)

ويكون العنصر الأساسي في حياة شعب الله الجديد (الكنيسة) كما تنبأ يوشع ورؤد القديس بطرس نبؤته يوم الخمسين، يوم وُلد شعب الله الجديد (الكنيسة).
«ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر، فيتنبأ بؤكم وبناتكم ويحمم شيوخكم أحلاماً ويرى شبابكم رؤى، وعلى العبيد أيضاً وعلى الإماء أسكب روحي في تلك الأيام.» (يوئيل ٢: ٢٨ و٢٩)

كذلك يكون الروح القدس في العهد الجديد القوة الفعالة في المسيح الآتي قاعدة الإنسان الجديد الروحي.
«روح السيد الرب عليّ لأن الرب مسحني لأُنشر المساكين، أُرسلني لأعصب منكسري القلب، لأنادي للمسبيين بالعِثق وللمأسورين بالإطلاق ... لأعزي كل الناهين.» (إش: ٦١: ٢ و١)

«وضعت روحي عليه فيُخرج الحق للأُمم.» (إش: ٤٢: ١)

«والآن السيد الرب أُرسلني وروحه.» (إش: ٤٨: ١٦)

وواضح من روح النبوات في العهد القديم أنه **عِوَضُ موسى**، سيأتي المسيح حسب نبؤة موسى نفسه: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون ... وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم "بكل ما أوصيه" به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع "لكلامي" الذي يتكلم به "باسمي"، أنا أطلبه» (تش: ١٨: ١٥ و١٨ و١٩). الكلام هنا عن «المسيح»، حيث المسيح بحسب قول الله سيتكلم «بكلام الله» بكل ما يعطيه الله من وصايا.

والواضح هنا أنها ليست وصايا موسى على الإطلاق، بل وصايا تحل محلها لأنه لم يُقُلْ: "بحسب ما أوصيتك به"، أي التاموس، بل «بكل ما أوصيه به»، حيث تكون وصايا المسيح هنا وصايا جديدة أو مغايرة لوصايا موسى التي ستقدم بمرور الزمن وتغير الشعب. وأخيراً يحذر الله من الدينونة — بسبب الرفض — أن الله هو الذي سيطلب المخالفين للوصايا أي «الكلام» الذي يتكلم به الله في المسيح، وهنا يتحقق قول المسيح: «مَنْ رَدَّنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلَامِي فَلَهُ مَن يَدِينُهُ. الْكَلَامُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ» (يو ١٢: ٤٨)

أما عن الروح القدس العامل مع المسيح وفيه بحسب النبوة: «روح السيد الرب عليَّ لأن الرب مسحني لأبشر...». هنا الروح القدس يقف جنباً إلى جنب مع المسيح في كل مهمة العناء والخلاص والتجديد في العهد الجديد، هذا من واقع رؤية العهد القديم.

الروح القدس فينا، في لاهوت القديس بولس:

أما بالنسبة لعمله فينا فأول ما يضطلع به الروح القدس الذي نناله في المعمودية هو أنه يقرون وجوده فينا بوجود المسيح فنصير في الروح كما نصير في المسيح، وهكذا يشهد لنا وينطق فينا بالنبوة:

«الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (رو ٨: ١٦)

«أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبّا الآب.» (رو ٨: ١٥)

ولكن أعظم وأشمل عمل يقوم به الروح القدس في الإنسان الجديد هو تعريفه بأمر الله، لأن هذا هو الاختصاص الأول للروح القدس بصفته روح الله: «لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله» (١ كو ٢: ١٠). وهو إذ يحمل في أرواحنا، يهبها إدراكاً جديداً لكشف ذاتها أولاً: «لأن مَنْ من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه» (١ كو ٢: ١١). ومن متعلق كشف الروح القدس لذات الإنسان حتى أعماق الإنسان، يصبح الإنسان مؤملاً أن يتبع الروح القدس في كشفه لأمر الله: «هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله.» (١ كو ٢: ١١)

على أن معرفة الله وأمر الله لا تبقى عقيمة بل يتبعها عطايا من الله أي مواهب تؤهل الإنسان لخدمة الله وعبادته بالروح والحق: «ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله.» (١ كو ٢: ١٢)

وعلى مستوى ما كان يدركه الأنبياء بأن الروح هو عطية الدهر الآتي وأن عمده محفوظ بالأيام الأخيرة، بهذا التقليد الموروث استطاعت الكنيسة أن تكتشف الروح القدس عميقاً في قيامة المسيح

باعتبارها المدخل الرسمي والوحيد للدهر الآتي وتحقيق آخر الأيام في عمق الزمن. هكذا ارتبط الروح القدس بالقيامة من الأموات كثراث عقائدي وعملي يتم أيضاً في المعمودية التي منها نخرج خليقة جديدة نحيا القيامة والدهر الآتي. من هنا بدأ الانعصام يظهر بقوة بين الذين يتعمدون ويقبلون الروح القدس ليعيشوا جدة الحياة مع المسيح القائم من الأموات وبين الذين لا يقبلون المعمودية فيصيروا غرباء عن الروح القدس وأمور الله للحياة الجديدة:

«ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة، ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يُحكم فيه روحياً، وأما الروحي فيحكم في كل شيء وهو لا يُحكم فيه من أحد.» (١ كو ٢: ١٤)

وهكذا بدأت الكنيسة كمجتمع المعمدين، أي العائشين في الروح وفي المسيح، تأخذ حرارة الحياة التي للدهر الآتي وفرحها ورجاءها وقوتها. وبدأ يُستعلن فيها عمل الله الفائق للطبيعة باستمرار. وهذا يرصده بولس الرسول باعتباره مواهب الله الخاصة بالله وخدمة الله، وقد سجل بولس الرسول عددها وأسماءها ووظيفتها كتخصصات يمنحها الله حسب عمق إيمان المحتارين: «كما قَسَمَ الله لكل واحد مقدراً من الإيمان» (رو ١٢: ٣). وهذا صار ذخيرة الكنيسة وميراثها إلى يومنا هذا، فمواهب الله للكنيسة لم تكف ولن تكف طالما هي تخدم الله وتشهد له.

فالكنيسة من جهة واقفها الداخلي الروحي الحي الموروث هي قوة واستعلان وفعل حياة الدهر الآتي، شهادة حية لقيامة المسيح الذي افتتح به ملكوت الله وسكب مواهبه علينا لنشهد له، كما نعيش به بعمل الروح القدس وقيادته.

ولكن هذه الطبيعة الروحية الفائقة للكنيسة لا يعيشها المؤمنون فيها بدون دفع الثمن، فمجرد وجود الكنيسة كهيئة روحية وكاستعلان للدهر الآتي والحياة الأبدية وملكوت الله، أنشأ لها في العالم خصومة ومقاومة، هي من العنف بقدر الفارق القائم بين طبيعة الحياة الأبدية وملكوت الدهر الآخر، وبين طبيعة العالم والجسد وسلطان ظلمة هذا الدهر.

فبمجرد أن يخرج المؤمن من جرن المعمودية يُساق كالمسيح من الروح إلى برية هذا العالم ليجرب من إبليس، فيدخل ساحة الحرب راضياً أو مُرغماً، لا لأربعين يوماً بل لآخر يوم من حياته! لأن حياة الذي آسر بالمسيح يتحتم أن تكون شهادة، حتى آخر لحظة فيها: «فإني أنا الآن أسكب سكيناً ووقت انحلائي قد حصر، قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وضع لي إكليل البر...» (٢ تي ٤: ٦-٨)

من هذا كله نرى أن عمل الروح القدس في حياة الإنسان هو في صميم عمل المسيح وملازم له. فالمسيحية تقوم على عمل الروح القدس دون أي تخصص. ففي الروح القدس يُستعلن المسيح وتُستعلن قيامته ويُستعلن وجوده ويُستعلن عمله على الأرض. والكنيسة تأخذ صفتها وواقعها الحي وعملها وخدمتها للمسيح بواسطة الروح القدس، وبدون الروح القدس لا تقوم المسيحية ولا تقوم الكنيسة.

على أن كل عمل للروح القدس وكل موهبة وكل نشاط وكل وعظ بالروح إنما يُمتحن صحته ويُختبر ويُقاس مدى مصداقيته على ما فيه من الشهادة للمسيح وحضوره.

فإذا عدنا إلى التعاليم اللاهوتية لبولس الرسول، نجد باختصار يرى في المسيح ما يعوّض عن موسى تماماً حسب النبوة القديمة، ويرى في كلام المسيح وأعماله ما يعوّض عن ناموس موسى ووصاياه.

○ فعوض وجه موسى الذي لمع بالنور الزائل من جراء استلامه للناموس، يرى بولس وجه المسيح الذي أشرق في قلوبنا بالإنجيل.

«وليس كما كان موسى يضع برقعاً على وجهه لكي لا ينظر بنو إسرائيل إلى نهاية الزائل ... لكن حتى اليوم حين يُقرأ موسى (أي الناموس)، البرقع موضوع على قلوبهم ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرفع البرقع. وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرية (في مقابل عبودية الناموس). ونحن جميعاً ناطرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (٢ كو ٣: ١٣-١٨)

هنا وجه إزاء وجه، أما نور المسيح إزاء نور التوراة فيجزيء هكذا: «لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإبارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح.» (٢ كو ٤: ٦)

فالتقابل هنا شديد الوطأة على السلبية التي تعامل بها بنو إسرائيل مع الناموس، فقد مثلها بولس الرسول بحالة عبودية وعمى فكر ونور مزيف كان مآله إلى زوال؛ في مقابل «الرب والروح» معاً والحرية الروحية التي بثّها المسيح في أسرى ظلام الموت، فأخرجهم بالقيامة إلى نور الحياة وحرية مجد أولاد الله.

○ كذلك وعوّض الناموس، يعيش بولس الرسول في الروح: «وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات (جسد الخطية) الذي كنا مُمسكين فيه حتى نعبد

بجدة الروح (الإصحاح) لا بعق الحرف. « (رو ٧: ٦)

«إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد (الناموس) بل حسب الروح (المسيح) لأن ناموس "روح الحياة" في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس (موسى) الخطية والموت. « (رو ٨: ١ و٢)

الروح هنا هو الذي يضطلع بفك رُبُط إرادة الإنسان المتخمة بشهوات الجسد وغرائزه، كما يحررنا من سيطرة القوى العاملة في النفس لإخضاعها لأهواء الجسد لمقاومة مشيئة الله ويعيد لنا حصوعاً وطاعتنا لوصايا الله ومشيئته التي عجز الناموس عن أن يمنحها لنا، وأصبح الله بواسطة روحه القدوس قادراً أن يتمم فينا كل ما كان يودُّ أن يعطيه لنا.

فالروح القدس الذي انطلق من عملية الخلاص بقيامة المسيح من الأموات يعمل مع الإنسان وفيه لِيَهَبَهُ كل فعل الخلاص وكل ثمراته.

هكذا يقف الروح والناموس عند بولس في مضادة حرجة لا صلح فيها، حيث يعطي للروح فَرَضِيَّة التخلُّص في كل ما أخفق فيه الناموس بالنسبة للخطية، وتجبرُّ سلطان الجسد المختفي وراء الخطية، ليسلخي الروح كل سلطان الخطية العامل بالجسد من الأساس بإلغاء سلطان الموت — كمقوبة — الذي هو سلاح الخطية الوحيد.

وكل ذلك على خلفية الفداء الذي بدأه المسيح على الصليب بالجسد وأكمّله بالقيامة بقوة الروح القدس الذي فيه.

+ «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم. « (رو ٨: ١١)

وهكذا، فالجسد الذي كان محسوباً أنه جسد الخطية أكمل المسيح فيه حكم الناموس بالموت، أي عقوبة الخطية، فبرّره. وبالقيامة انبعثت منه الخليقة الجديدة أي حياة الإنسان الجديد مُقَانَة ومسنودة بروح القيامة، الذي هو الروح القدس.

وهكذا نرى أن العهد الجديد يقوم على «المسيح والروح القدس الذي في المسيح» = «روح الابن». فالعهد الجديد هو عهد الابن بالفداء وهو عهد الروح القدس بالقيامة من الأموات وبتمجيس الخدعة الجديدة. هنا نرى أن الاتحاد الحادث بين الابن والروح القدس هو الذي أنشأ العهد الجديد للإنسان الذي أهلكنا للدخول إلى الآب وقبول «روح الآب» أي «روح التنبى».

«لكن اغتسلتم بل قدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١ كو١: ١١)
وهكذا نرى أن الروح القدس في الابن أي روح المسيح يعطينا الخلقة الجديدة فنولد ولادة ثانية من فوق.

والروح القدس في الآب يعطينا التبني الذي به ننادي الآب أباً:
«بل أخذتم روح التبني الذي به نصرح يا أبا الآب.» (رو٨: ١٥)
فالروح القدس المتحد جوهرياً بالابن والآب هو هو الذي فينا الآن بالفداء بالموت والقيامة الذي يجعلنا متحدين بالاس لقبول البر الخلاصي والتجديد فيه ومتحدين بالآب لقبول نعمة التبني في المسيح. وبالنسبة، يرى أن الروح القدس في الثالث المتحد بالآب والابن حقيقة حياة نعيش على فعاليتها وواقعها الروحي كحياة جديدة في ظل الثالث: «أنا هيهم وأنت في ليكنوا مكملين إلى واحد» (يو١٧: ٢٣)؛ التي يعبر عنها بولس الرسول هكذا:
«الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله، فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً (نتيجة الاتحاد) ورثة الله (الآب بالاتحاد بالروح) ووارثون مع المسيح (الابن بالاتحاد بالروح).» (رو٨: ١٦ و١٧)

وبولس الرسول لا يميز في عمل الخلقة الجديدة للإنسان بين عمل الآب وعمل الابن وعمل الروح القدس، تماماً كقول المسيح الختامي لتلاميذه الوارد في نهاية الأناجيل:
«عَمِّدوهم باسم الآب، والابن، والروح القدس.» (مت٢٨: ١٩)

هكذا يقول بولس ولكن في شرح وتفسير:
«ولكن حين ظهر لطف "مخلصنا الله" وإحسانه، لا بأعمال في بر عمدناها نحن، بل بمقتضى رحمته خصلنا "بغسل الميلاد الثاني"،
"وتجديد الروح القدس"
الذي سكبهُ بغنى علينا "يسوع المسيح مخلصنا".» (تي٣: ٦ و٤)

كذلك لا يفرق بولس الرسول بين روح الآب وروح الابن:
فهو روح الله: «وأما أنتم هلستم في الجسد بل في الروح إن كان روح الله ساكناً فيكم.» (رو٨: ٩)
وهو روح المسيح: «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك (المسيح) ليس له.» (رو٨: ٩)

وبولس الرسول يعطي الشخصية الناطقة للروح القدس:

«ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتِمْتُمْ ليوم الفداء.» (أف ٤: ٣٠)

«ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارحاً يا أبا الآب.» (غل ٤: ٦)

والروح القدس يشفع فينا لدى الآب تماماً كما يشفع فينا المسيح لدى الآب (عب ٧: ٢٥):

«كذلك الروح أيضاً يمين ضعفائنا لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح

نفسه“ يشفع فينا بأنات لا ينطق بها.» (رو ٨: ٢٦)

والروح يعمل أعمال الآب وأعمال الابن:

الروح القدس

الابن

الآب

«وأنواع أعمال موحدة» «الذي نزل (المسيح) هو» «هذه كلها يعملها الروح ولكن الله واحد الذي يعمل الذي صعد أيضاً فوق جميع الواحد بعينه، قاسماً لكل واحد الكل في الكل.» (١ كو السموات لكي يملأ الكل. وهو بمفرده كما يشاء.» (١ كو ٦: ١٢) أعطى البعض أن يكونوا رسلاً (١١: ١٢)

«فوضع الله أناساً في والبعض أنبياء والبعض مبشرين

الكنيسة أولاً رسلاً ثانياً أنبياء والبعض رعاة ومعلمين.»

ثالثاً معلمين ثم قوات وبعد (أف ٤: ١٠ و ١١)

ذلك مواهب شفاء أعواناً تدابير

وأنواع السنة.» (١ كو

٢٨: ١٢)

والمؤمنون بالمسيح هم هيكل الله، وفي نفس الوقت هيكل للروح القدس، وجسد المسيح هو

الهيكل الجديد الذي هو نحن:

هيكل الله: «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم.» (١ كو ٣: ١٦)

هيكل للروح القدس: «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم

الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم.» (١ كو ٦: ١٩)

هيكل جسد المسيح: «لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح.»

(أف ٤: ١٢)

والآن إذا انتبهنا إلى طبيعة الروح القدس في هذه الآيات وإلى شخصيته المميزة مع الآب

والابن يتضح بكل جلاء أن له الطبيعة الإلهية بالسواء مع الآب والابن. ومن أوضح التباير التي عبر بها بولس الرسول عن شخصية الروح القدس القائمة في ذات الله قياماً أزلياً فقالاً كتيام الابن «الكلمة» ومعه بصورة مطلقة تعبر عن شخصيته الذاتية قوله :

+ « ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونه ! فأعلنه الله لنا نحن بروحه،

لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله،
لأن من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه ؟
هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله !،
ونحن لم نأخذ روح العالم،
بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله ...
بل بما يعلمه الروح القدس ... » (١ كور ٢ : ٩ - ١٣)

أنظر، عزيزي القارئ، فالروح القدس بالنسبة لله يصفه بولس الرسول مع الاحتفاظ بالفارق بروح الإنسان الذي في الإنسان الذي يعبر عن كل ما في الإنسان وعن ذاته.

ومن هذه المقولة اللاهوتية نستخرج الآتي :

- ١ — الذي يكشف أسرار الله هو الروح القدس، لأنه الوحيد الذي له أن يفحص أعماق الله !
- ٢ — إنه لا يتبع بأي حال من الأحوال لأي مستوى مخلوق.
- ٣ — الروح القدس كلي المعرفة، لأن معرفته تتجاوز كل ما هو معروف إلى كل ما هو غير معروف من خصائص الله.
- ٤ — الروح القدس له كل الصفات والمميزات الإلهية الكاملة.

لذلك فهو في عمق الثالوث مع الآب والابن بغير افتراق، في وحدانية جوهرية وذاتية بآن واحد.

+ + +

ومن هذا العرض السريع عن الثالوث في لاهوت بولس الرسول يرى القارئ مدى سهولة وبساطة التعرف على عمل الثالوث الأقدس في حياتنا، وأن الرباط الواضح بين الآب والابن والروح القدس في هذا العمل هو الذي نبهنا إلى استخلاص كلمة الثالوث للكناية عن عمل الثلاثة الأقانيم.

كذلك من واقع ارتباط عمل الثلاثة الأقانيم في الخليقة وفينا، استخلصنا كبدية حتمية ارتباط الثلاثة الأقانيم معاً في وحدة محكمة لا تقبل التجزئة ولا الانقسام، لأن طبيعة اللاهوت الواحدة في الأقانيم الثلاثة طبيعة لاهوت غير مركبة، ومطلقة لا يحدّها حدّ زمني ولا مكاني ولا فكري. فالله الذي هو الآب والابن والروح القدس واحد أحد في طبيعته وجوهره وذاته^(١).

(١) بنصوص عمل الروح القدس فينا راجع:
«تكميل الهدى بعمل الروح القدس على طول المدى»، الباب الثامن: الفصل السابع.
«عمل الروح القدس في التبرير»، الباب الثالث: الفصل الثاني.
«الروح القدس في الكنيسة»، الباب الخامس: الفصل الأول.

الباب الثاني

الخلاص والفداء

في لاهوت بولس الرسول

«الذي لم يشفق على ابته بل بذله لأجلنا أجمعين كيف
لا يهبنا أيضاً معه كل شيء.» (رو ٨: ٣٢)
«بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس في يمين
العرش في الأعالي.» (عب ١: ٣)

تمهيد

كلمة عامة عن الخلاص:

«الخلاص» اصطلاح أطلقه الكتاب المقدس عن أية نجاة يتدخل فيها الله للإنقاذ المحاني. والخلاص أصبح لازمة عامة وهامة بعد أن أخطأ الإنسان واكتسب طبيعة الخطيئة بما احتوت من كل المعاصر، ومن صدام مع الطبيعة، وغضب الله. ولكن يميل الخلاص كلما تقدم الإنسان في علاقته بالله ليكون خلاصاً روحياً متركزاً في أصل بلاء الإنسان، أي الخطيئة. فأعظم خلاص هو الخلاص بالفداء الذي تم بواسطة المسيح لإنقاذ الإنسان من طبيعة الخطيئة المدمرة لحياة الإنسان وبما سببته من موت وغضب. وقد انشغل بهذا الخلاص المتركز في الفداء كل أنبياء العهد القديم حتى صار أمل الأجيال وحلم الأبرار ورجاء الآباء القديسين الذين عليه عاشوا وماتوا.

الخلاص في العهد القديم:

أول وأروع تعريف مبهج للخلاص هو ما نطقه موسى بوحي من الله وهو مُحاصر بين البحر أمامه وفرعون وجيوشه من ورائه، فتأدى في الشعب:

+ «فقال موسى للشعب لا تخافوا، قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم. فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون ترونهم أيضاً إلى الأبد. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون!» (خر ١٤: ١٣ و ١٤)

+ «فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين.» (خر ١٤: ٣٠)

وحق لموسى وكل الشعب أن يرنم: «الرب قوتي ونشيدي وقد صار خلاصي.» (خر ١٥: ٢)

وهكذا تعلم إسرائيل اللجوء لله للخلاص، ودخل معنى الخلاص في علاقة الشعب مع الله، وصار ركيزة في حياة إسرائيل، واستُعمل بقوة واقتدار على مستوى الحروب زمن القضاة والملوك. كما صار الخلاص عنصراً هاماً في الصلوات والطلبات، والتسابيح العامة، كذلك أصبح يتطلع إليه كل فرد في حياته.

وداود النبي يقول: «هذا المسكين صرخ والرب استمعه ومن كل ضيقاته خلّصه.» (مز ٣٤: ٦)

وقد تبلور في ذهن الإنسان أن الله صاحب مبادرة في الخلاص، ولكن للذين يتقونه ويدعون باسمه عن إيمان وصدق ويقين. وتعددت معاني الخلاص واختصاصه، فهو للجماعة والأفراد، للحروب والضيقات الفردية. ولكن احتفظ الخلاص بأنه من نصيب البار إذا دعا الله في الضيق، ولكن إذا ارتد الشعب ونكس عن العهد وزاغت القلوب، فلا خلاص إلا بعد توبة وعودة نادمة إلى الله. وهكذا بدا أن خلاص الله مشروط على أساس وضع الإنسان، مستحقاً كان أو غير مستحق. ولكن خيرية الله المطلقة بقيت محتفظة بسيادتها: «أترأف على من أترأف وأرحم من أرحم.» (خر ٣٣: ١٩)

وارتقى فكر الخلاص لدى الأنبياء حتى انحصر في الخلاص من الخطية. وبقدر ما انحصر الخلاص في الروح، ارتفع مستوى الخلاص ليكون للجماعة على أساس خيرية الله المطلقة خلواً من استحقاقات الإنسان. ثم في النهاية تركز الخلاص عند الأنبياء في مجيء المخلص والفادي، وبدأت صورة المسيا تتضح.

+ «التفتوا إليّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر.» (إش ٤٥: ٢٢)

+ «هكذا قال الرب في وقت القبول استجبتك وفي يوم الخلاص أعثك. فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب.» (إش ٤٩: ٨)

وهكذا ثبت في ذهن الشعب وخاصة القديسين والأبرار أن مجيء المسيح هو هو الخلاص والفداء بعينه :

+ «وكان رجل في اورشليم اسمه سمعان ... فأتى بالروح إلى الهيكل ... أخذه على ذراعيه وبارك الله وقال: الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددتَه قدام وجه جميع الشعوب.» (لوقا: ٢٥: ٢٧-٣١)
+ «نبيّة حنة ... وقفت تسبح الرب وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداءً في اورشليم.» (لوقا: ٣٦ و٣٨)

الخلاص في العهد الجديد:

اتساع الخلاص ليشمل كل الدهور وما قبل الدهور وما بعدها !!

لقد افتتح العهد الجديد أولى صفحاته، وفي أولى كلماته بالخلاص منحصرًا في الاسم «يسوع» الذي أعطاه الملاك للمسيح:
+ «وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم.» (متى: ١: ٢١)

والمسيح أول من ربط الخلاص بالإيمان: «إيمانك قد خلصك»^(١) (لوقا: ٧: ٥٠). كذلك المسيح أول من أوضح رسالة الخلاص التي جاء بها لكي لا يهلك من يؤمن به: «اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً ابن إبراهيم، لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك.» (لوقا: ١٩: ١٠ و١١)

وهكذا دخل مفهوم الخلاص رسمياً في الكنيسة أنه نتيجة للفداء الذي أجراه المسيح بموته وقيامته: «ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الفسب، لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه عبداً أولاً كثيراً ونحن مُصالحون نخلص بحياته» (روما: ٥: ١٠ و١١)، وارتبط الخلاص في فهم المسيح بمفهوم ملكوت الله. ولقد تأكد عمل الخلاص الذي عمله المسيح بارتفاعه بعد قيامته منتصراً: «هذا رفعه الله يمينه رئيساً ومخلصاً ليمطي إسرائيل التوبة وغفران الخطايا.» (أع: ٥: ٣١)

وفي ثقة وجراءة ومجاوبة لا تُجَارَى، وقف بطرس ويوحنا مجاهران بالمسيح كمخلص وحيد أمام رؤساء الكهنة: «وليس بأحد غيره الخلاص لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين

(١) ἡ πίστις σου σέσωκέν σε. لقد تكررت هذه الآية بأحرف الواحد في أربعة مواضع من إنجيل يوحنا (لوقا: ٧: ٥٠ و

٤٨٠ و ٤٨١ و ١٦: ١٧ و ٤٢: ١٧)، وترجمت في بعض المواضع: «إيمانك خلصك»، وفي النص الآخر: «إيمانك شفاك».

الثامن به ينبغي أن نخلص». (أع: ١٤)

وهكذا انتهى مفهوم الخلاص عند بولس الرسول أنه هو الإنجيل، هو البشارة المفرحة: «الذي فيه (المسيح) أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم الذي فيه أيضاً إذ آمنتم خُتِنْتُمْ بروح الموعد القدوس» (أف: ١: ١٣)؛ «أيها الرجال الإخوة بني جنس إبراهيم والذين بينكم يَتَقَوْنَ الله، إليكم أُرْسِلَت كلمة هذا الخلاص». (أع: ١٣: ٢٦)

وبولس الرسول يستمد من العهد القديم مفهوم قدرة التوبة على الخلاص:

+ «لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة». (٢ كو: ٧: ١٠)

وبالاختصار، فإن الخلاص في العهد الجديد عموماً يشمل بدون مبالغة رسالة المسيح وكل الإنجيل؛ لأنه إن كان يشمل الفداء من الخطية والموت وكل ما يتبع الخطية وما يتفرع منها وينتج عنها، ثم إذا كان هو علة كل بركة روحية في السماء في المسيح ومصدر كل فرح وبهجة ونعمة ورضى الروح القدس ومؤازرته، فقد صار الخلاص بالمسيح يسوع هو موضوع العهد الجديد.

ولكن المسيح وضع له ثمناً لا يبرؤ عليه إلا المختارون: «مَنْ أراد أن يُخَلَّص نفسه يُهْلِكها، وَمَنْ يُهْلِك نفسه من أَجْلِ فهذا يَخْلُصها» (لو: ٢٤: ٩). والذي قال هذا صنع هذا ولم يقبل أن ينزل عن الصليب:

+ «خَلَّصَ نَفْسَكَ وَاَنْزَلَ عَنِ الصَّلِيبِ». (مر: ١٥: ٣٠)

+ «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ (فَلَا يَقْبَلُ) أَنْ يَخْلُصَهَا». (مر: ١٥: ٣١)

هكذا فإن كُلَّ مَنْ أراد أن يخلص، فعليه أن يتبعه حتى إلى هذا المستوى!

والآن واضح أمام القارئ علاقة الخلاص بالفداء، فالخلاص بمفهومه الإنجيلي والروحي الشامل هو نتيجة الفداء، والفداء هو عمل الخلاص، فالمسيح أكمل الخلاص بالفداء، وصار هو المخلص لأنه كان الفادي.

+ «مُنتَظَرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَمَخْلُصَنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، الَّذِي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويظهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة». (تي: ٢: ١٣ و١٤)

لذلك فيمكن بكل تأكيد أن يدخل تحت الخلاص:

الخلاص في الحاضر: ويشمل الفداء بفران الخطية: التبرئة من حكم الموت، والانتعاق من الناموس، والحصول على التبني، والتبرير بعمل النعمة والمصالحة.

والخلاص في المستقبل: ويشمل الخلاص من الغضب الآتي:

+ «إن احترق عمل أحد فيخسر، وأما هوفسيخلص ولكن كما بنار.» (١كو٣: ١٥)
+ «أن يُسَلِّم مثل هذا للشيطان هلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع.» (١كو٥: ٥)

+ «ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب.» (رو٥: ٩)

+ «ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص.» (مر١٣: ١٣)

+ «هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه.» (عب٩: ٢٨)

+ «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً نتنظر خلاصاً هو الرب يسوع المسيح.» (في٣: ٢٠)

+ «وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (رو١١: ٢٦)

+ «أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان خلاص مستعد أن يُقَلَّن في الزمان الأخير.» (١بط١: ٥)

على أن الخلاص حتى في ماضي البشرية الحزين كان مربوطاً بشخص المسيح، وكان يمارسه الآباء القديسون، إن لم يكن في واقع موت المسيح وقيامته الذي تم في آخر أزمته رفض الإنسان، إلا أنهم تنعموا به واشتركوا فيه بالإيمان والرجاء من على بعد وحيوه وعبروا: «الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم، باحثين أي وقت وما (حال) الوقت الذي كان يدلُّ عليه روح المسيح الذي فيهم. إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأجساد التي بعدها.» (١بط١: ١١و١٠)

+ «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون — وهم لم ينالوا المواعيد — بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم عرباء ونزلاء على الأرض ... يتفنون وطناً أفضل أي سماوياً. لذلك لا يستحي بهم الله أن يدعى إلههم لأنه أعدَّ لهم مدينة.» (عب١١: ١٣و١٦)

هكذا يتضح أن المسيح هو قلب الخلاص النابض الذي يطرح روحه على ماضي الإنسان وحاضره ومستقبله معاً، وأعظم دليل واقعي على ذلك أننا نحن الذين نعيش في نعمة هذا الخلاص الآن نستخدم ماضي التاريخ منذ آدم، منذ إبراهيم، منذ موسى والآباء والأنبياء لمزيد من فهم

خلاصنا المحاصر وحاضر خلاصنا. هذا بكل ما فيه سوف يرثه الآتون بعدنا إلى نهاية الزمان والتاريخ. فالخلاص، خلاص المسيح، مفروش على الزمن ولا يوجد يوم أو ساعة من أيام الإنسان — وحتى ساعات يؤسه — تخلو من عمل خلاص المسيح.

فخلاص الإنسان تقرر ليس منذ أن أخطأ آدم وإلا يكون هذا الخلاص مستحدثاً عند الله: «معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله» (أع ١٥: ١٨)؛ بل إن الله قرره قبل أن يقرر الخلق. على أن الخلق نفسه فعل استعلان للخلاص^(٢) المكنون في طبيعة الله، والمسيح هو وسيط الخلق، عتيقه وجديده، وهو شميعة بالضرورة، لأن الخلاص كفعل نعمة وحب ورحمة نابع من عمق أعماق الله الخيرة، وليس مجرد رد فعل من أفعال الإنسان التي أخطأت هدفها.

أما المسيح المخلص فهو لم يصير مخلصاً منذ أن تسمى بفم الملاك قبل ميلاده؛ بل هو يستمد صفة الخلاص من طبيعته الأزلية من واقع بنوته للآب الذي سُرُّ أن يعلن الخلاص الذي له في ابنه.

+ «على رجاء الحياة الأبديّة التي وعد بها الله المنزّه عن الكذب قبل الأزمنة الأزليّة.» (تي ١: ٢)

+ «وللقادر أن يشبّثكم حسب إنجيلي والكراسة يسوع المسيح حسب إعلان السر الذي كان مكتوماً في الأزمنة الأزليّة.» (رو ١٦: ٢٥)

+ «الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزليّة.» (٢ تي ١: ٩)

+ «بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس، دم المسيح معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم» (١ بط ١: ١٩ و ٢٠)

فالمسيح مخلص منذ الأزل وإلى الأبد، هو هو حتى النهاية:

+ «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح.» (في ٣: ٢٠)

وعجيب حقاً هذا المنظر المحزن أن يسير الإنسان عبثاً كل الزمان هذا حاملاً فوق رأسه خلاصاً عظيماً ممتداً بقدر هذا، ثم يسير من تحته متعثراً باكياً يعني حفظه!!!

(٢) باعتبار أن الخليقة ينتهي تاريخها بالخلاص. «لأن الخليقة نفسها ستُنقذ من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله.»

(رو ٨: ٢١)

«الفداء»

عند بولس الرسول

الفصل الأول

ما قبل الفداء

أولاً: سلطان الخطية والموت المحيط بها

١ - خطية آدم وآثارها فينا:

+ «كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع.» (رو٥: ١٢)

الإنسان الواحد هو أبونا آدم، والعالم هو الجنس البشري. ولم تكن الخطية مجرد فعل خاطيء؛ بل هي عنصر غريب على الإنسان دخله من خارجه تحت غواية كاذبة ومُخْخِمة: «خدعت الحية حواء بمكرها» (٢ كو١١: ٣). لقد اقتحم عنصر الخطية دائرة الإنسان كعدو غاز يُخْرِبُ وَيُضْعِفُ لِيَمْتَلِك!! ويمتلك ليستعبد!!
+ «أما أنا فجسدي مبيع تحت الخطية... لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده؛ بل الشر الذي لست أريده فأياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده إياه أفعل فلست بعد أفعله أنا بل الخطية الساكنة في».

«ويحيي أنا الإنسان الشقي! مَنْ يَنْقُذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ.» (رو٧: ١٤-٢٤)
+ «أنتم عبيد للذي تطيعونه إما للخطية للموت أو...» (رو٦: ١٦)

آدم أطاع غواية الخطية، مضطجاً بطاعة وصية الله الوحيدة!!

+ «بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة.» (رو٥: ١٩)

فالخطية انتقلت وتفشّت بطرق وأفعال لا حصر لها. نحن لم نرث الخطية كفعل، نحن ورثنا عنصر الخطية الفعّال للموت وليس أنواع الخطية.

لقد سرّب الشيطان إلى حواء عنصر الخطية باستماعها إليه وقبولها مشورته ومنها تسرّب إلى آدم.
+ «وبالخطية الموت وهكذا اجتار الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع.» (رو٥: ١٢)

الخطية هنا عنصر شبه مطلق. خطية آدم كتعبّيه على وصية الله نوع من أنواعها، ولكن لا يمكن حصرها في أنواع، فهي أشنع من أن تُحصر، الخطر فيها أنها عنصر قاتل بأية جرعة وبأي شكل. فالخطية تتبعها الموت الحتمي حتى ولو لم يخطيء الإنسان بخطيئة آدم! «لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى وذلك على الذين لم يخطئوا على شبه تعدي آدم» (رو٥: ١٤)، لأن آدم عصي أمر الله فقبّل حكم الموت، ولكن الذين ماتوا من آدم حتى مجيء التاموس أي الوصايا، لم يعصوا أي أوامر أو وصايا ولكن ماتوا. فهؤلاء الناس، أي من آدم إلى موسى، ماتوا لأنهم وُلدوا في الموت أي في الطبيعة البشرية التي قبلت عنصر الموت الملازم لعصر الخطية، التي أصبحت طبيعة حاطئة، أي واقعة تحت سلطان الخطيئة. ولأننا اكتشفنا في المسيح العنصر الإيجابي المقابل والمضاد لعنصر الخطية، وهو النعمة، وأيضاً البر، أي بر الله والمسيح، لذلك نستطيع أن نقول أن «عنصر» الخطية كان هو فقدان النعمة والحرمان من بر الله، وهذا ما وقع فيه آدم عندما اقترف العصيان والتعدي على وصية الله. فالذي أُمات آدم هو فقدان نعمة الله وبرّه لما أخطأ. لأن نعمة الله هي قوة الحياة، وبرّ الله محبي. فنحن ورثنا من آدم ليس فعل خطيئته بل طبيعته التي فقدت نعمة الله وخُرمَت من بر الله، الطبيعة البشرية الحاطئة — أي المفتوحة على الخطية على الشيطان — وليس مجرد فعل الخطية التي اقترفها.

وعلى ذلك يضع بولس الرسول النعمة والبر والحياة في مقابل الخطية والموت هكذا:

+ «لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله. والعطية بالنعمة التي

بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد اردادت للكثيرين.» (رو٦: ١٥)

+ «فإذاً كما بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة

إلى جميع الناس لتبرير الحياة.» (رو٥: ١٨)

+ «حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح

ربنا.» (رو٦: ٢١)

إذاً، فجميع الناس من آدم إلى موسى، أي حتى مجيء الناموس والوصايا، وبالرغم من أنهم لم يخطئوا على شبه تعدي آدم أي لم يتعدوا على أية وصايا، إلا أنهم ماتوا لأنهم كانوا محرومين من نعمة الله وبره، أي كانوا بطبيعة مائتة.

ولا تُقَلَّ في نفسك: هذا ظلم وما ذنبهم؟ نقول لك إن النعمة والبر ليسا حقوقاً للإنسان ولكنها هبات ظل الإنسان ينتظرها بفارغ الصبر إلى أن جاء المسيح ووهبها، ولكن ليس مجاناً بل هو دفع ثمنها من دمه.

آدم فقدناها بعدم طاعته وتعديهِ؛ والمسيح استردَّها بطاعته وسفك دمه.

نفهم من هذا أن عنصر الخطية قائم في العالم وورثه كل إنسان خُلُوّاً من أفعالها، مع أن أفعالها تتبعها حتماً. فحتى الأطفال الرُّضْع دخلهم عنصر الخطية دون أن يعرفوها أو يَشْرُبُوا فعلها. فهم بالرغم من أنهم لا يُحْسِبُونَ خطاة إلا أنهم وُلِدُوا بطبيعة خاطئة — أي بالطبيعة المحرومة من نعمة الله وبره — فالموت لهم بالمرصاد، لأنهم وُلِدُوا بطبيعة مائتة، محكوم عليها بالموت. ولكن موتهم ليس عقوبة لأنهم لم يفعلوا الخطية.

أخطر ما في خطية آدم هو استماعه لصوت الشيطان، لقد ورثنا منه الأذن المفتوحة والعين المفتوحة والفكر المفتوح على مشورة الشيطان لإفساد الدهن والحياة برمتها. هذا هو السم القاتل في الخطية الأصلية. وهو عنصر غريب علينا دخل في صميم ميراثنا الجسدي: «أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفَسِّدُ أذهانكم عن البساطة التي في المسيح» (٢ كور ١١: ٣). لذلك أصبح من المحتم خلع عنصر الفساد هذا المميت والغريب على طبيعتنا والدخيل علينا ونحصل بالمقابل على عنصر الشفاء كهبة فوق طبيعتنا: «ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة، لأنه إن كان بخطية واحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين.» (رو ٥: ١٥)

٢ — عدم نفع الناموس:

الناموس عند بولس الرسول بالرغم من أنه روحي وصالح إلا أنه لم يستطع أن يتعامل مع الخطية كمعصر شافٍ لمعصرها الفاسد، بل حاول محاصرتها في أشكالها وأنواعها ولم يجرؤ أن يقترب من معصرها القاتل بل زاده وضوحاً وحسب: «لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية (الناموس) خدعتني بها وقتلتني ... لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية» (رو ٧: ١١ و١٤). وكأننا الناموس وقف يؤازر الخطية في فعلها المميت، فالخطية التي تؤدي إلى موت الخاطئ عاجلها

الناموس بأن حكم على الخطيئة بالموت!!

وهكذا وقف اليهود الجالسون على عرش الناموس في نفس صف خطاة الأمم وعلى مستوى واحد. هذا الوضع تعرض له المسيح حاسباً أن أمانة الإنسان للناموس وتأديته لكل الأعمال بدقة إنما لا تزكيه أمام الله، ولا تكسبه أي بر، بل ولا أي ربح.

+ «متى فعلتم كل ما أمرتُم به، فقولوا إننا عبيد بقالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا.»
(لوقا ١٧: ١٠)

هنا كلمة «بقال» تأتي باليونانية بمعنى "بلا قيمة" أو "بلا ربح"، أي أن المسيح يعتبر أن تنمिम كل أعمال الناموس بكل دقة — وهذا مستحيل — ينتهي بلا قيمة ولا ربح — بل ويظل من يعملها محسوباً أنه «عبد بقال»!! وهذا في الحقيقة يلقي ضوءاً باهراً على كل تعليم بولس الرسول من جهة الناموس!

+ «لأنه لو أعطني ناموس قادر أن يُعيني، لكان بالحقيقة البر بالناموس. لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية، ليعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون.» (غل ٣: ٢١ و٢٢)

+ «الذين نحن أيضاً جميعاً تصرفنا قلاً بينهم في شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضاً. الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح. بالنعمة أنتم مُخلَّصون.» (أف ٢: ٣-٥)

٣ — كيف ملكت الخطية وكيف نُخلع:

بكلمة من الشيطان دخلت الخطية فكر الإنسان: «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢ كور ١١: ٣)

مدخل خداع الشيطان فكر الإنسان، ووسيلة الخداع مكره أي تزييفه للمعلومة!! وضربة الشيطان مصوبة نحو الذهن νοηματα وهو مركز وعي وإدراك الإنسان الروحي الفائق على العقل المادي، والقصد إفساد منهجه السماوي وإدخال عنصر الخطية فيه وهو الاتجاه السلبي الفاقد للنعمة والبر والمنجذب نحو الشر. فالشيطان قوة روحية ذات عقل روحي ساقط من مستوى نور الله: «لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور» (٢ كور ١١: ١٤)، «لئلا يطمع فينا الشيطان

لأننا لا نجهل أفكاره (ذهنه، قُدرة وَعِيه νοήματα).» (٢ كور ١١: ١١)

فإذا فسد ذهن الإنسان بدخول الاتجاه المنجذب نحو الشر وهو عنصر الخطية الأول استيقظت الغرائز وانفعلت الشهوات، فإذا اتحدت الأفكار مع العرائر فقد الإنسان سيطرته على نفسه وفقد بالتالي حريته في التدبير والحسم، وابتدأ عنصر الخطية يسود ويتملك — ومن ورائه القوة الشيطانية المخادعة الضاغطة الملتهبة — فتظهر ألوان الخطايا وأشكالها وأصنافها الواحد يسلم للآخر في منحدر جارف رهيب.

وكيف تُخلع الخطية؟

عوض القوة العاقلة المخادعة الجاذبة نحو الشر والمفسدة للذهن — أي الشيطان — أصل الخطية والالدها، احتاج الإنسان إلى القوة العاقلة: «المُدخِر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم» (٢ كور ٣: ١)، الذي يجذب إليه الجميع من فوق الصليب ليمتلئ الكل من هذه الحكمة والعلم. فعوض الشر، صلاح وبر؛ وعوض الفساد، قداسة وحياة فيتحول فساد الذهن إلى: «مستبيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين» (أف ١: ١٨)؛ وعوض عنصر الخطية الرابض في الأعضاء المستبد والمستعبد بالظلم رغباً عن الإنسان كقول بولس الرسول: «أرى ناموساً آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسببني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي» (رو ٧: ٢٣)، تدخل النعمة: «لأنكم بالنعمة مخلصون (قد خلصتم)، بالإيمان، وذلك ليس منكم هو عطية الله، ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد.» (أف ٢: ٨ و٩)

وعوض الخطية التي دخلت "ظلماً"، دخلت النعمة "بجائاً" بالفداء:

وهكذا تملك النعمة بجائاً كعنصر تحرير وخلاص تجذب نحو الله والبر والحياة وكل طهارة وقداسة، عوض عنصر الخطية الجاذب نحو الشر والموت بالتجبر والاستعباد المحاني الظالم: «حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا» (رو ٥: ٢١). وكما دخل عنصر الخطية الشرير وأمات الإنسان ظلماً وتعمساً من قبل الشيطان، وكان غريباً على طبيعة الإنسان المخلوق أصلاً على الخلود ولكنه دخل بحريرة إرادة الإنسان ونتيجة لخروجه عن طاعة الله، كذلك دخلت النعمة بجائاً كعنصر إلهي سماوي فائق على طبيعة الإنسان لإعادة الخلقة للبر والخلود وصورة الله مرة أخرى: «إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله متبررين بجائاً بنعمته بالفداء الذي (في) يسوع المسيح» (رو ٣: ٢٣ و٢٤). وكانت هذه النعمة لفترة من لفترات مراحم الله: «الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح، بالنعمة أنتم مخلصون.» (أف ٢: ٤ و٥)

ثانياً: المشورة الإلهية الأزلية وخطة خلاص الإنسان

لم يكن الإنسان الرازح في خطاياهِ بعيداً عن عين الله قط، في أي زمان وقبل كل زمان، بل كان أنينه مسموعاً دائماً وحاضراً أمام الذي لا يغفل ولا ينام، يصيغ على أساسه خطة خلاصنا. فقبل أن يسكب الله علينا من محبته، إنَّ في ابنه أو في روحه القدوس، كنا محبوبين عنده وقبل أن نوجد، كنا موجودين لديه، وقبل أن تكتحل أعيننا ببركات الله على الأرض كنا مُباركين في السماء!! فالزمن الذي يحجز بين واقعنا الآن وفي كل زمان وبين أقدارنا المقدَّرة في مشورة الله، لا يوجد لدى القديس. فقبل أن نصير مختارين في المسيح اليوم كنا مختارين فيه منذ الأزل!! هكذا مارسنا رفضنا الماضي في جهل لنمارس إختيارنا في النعمة!!

+ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف ١: ٤و٣)

+ «... أيها الإخوة المحبوبون من الرب أن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق.» (٢تس ٢: ١٣)

وبينما كنا عبيداً مُذَلَّين تحت سلطان الخطية ومشورات الشيطان، كنا معيَّنين بين البنين والأخصاء وأهل بيت الله!! «إذ سبق فعَيَّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته» (أف ١: ٥). لم تبقْ مشورات الله السرية المرسومة في الأزل مكتومة إلى النهاية، بل صارت مسرة مشيئته أن يعلن عنها ليزداد مدح الله ويُثَمَّرَ عند كل خليقة في السموات مقدار حكمة الله التي دَبَّرَ بها خلاصنا في ملء الزمن.

+ «الذي في أجيال أُخَرْ لم يُعَرَفْ به بنو البشر كما قد أُعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح، ...

لي أنا أصغر جميع القديسين أعطيت هذه النعمة أن أبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح،

لكي يُعَرَفَ الآن عند الرؤساء والسلطان في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف ٣: ٥ و٨-١١)

+ «إذ عرّفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدتها في نفسه لتدبير ملء الأزمنة.» (أف ١: ١٠٩)

أما الله فله سبق التعيين، وأما الإنسان فله أن يختصب ملكوت السموات والغاصبيون يختطفون نصيبهم اختطافاً (مت ١١: ١٢)، وباغتصابهم واختطافهم يزداد مجد الله ويخومديحه وتستعلن مشيئته.

+ «الذي فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته لنكون لمجد مجده نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح.» (أف ١: ١١ و١٢)

ومهما أتى الإنسان من الصالحات فالصلاح لله وحده، الذي سبق منذ الأزل ورسم لنا أعمالاً حسب مسرة صلاحه، ثم وهب لنا بصيرة لتنفيذها، ونعمة لتكملها لنا بكل كمال الله، حتى يكون الفضل دائماً لله وليس منا:

+ «لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها.» (أف ٢: ١٠)

نبضات قلب الله من نحو خلاص الإنسان وحيه منذ الأزل:

حينما نصيخ السمع جيداً في رسائل بولس الرسول نسمع نبضات قلب الله وهي ترسم رسماً يصوّر مشيئة الله طولها حب، وعرضها بطل، ونية مثبّته منذ الأزل لخلاص الإنسان، كل إنسان!!

+ «لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله الذي يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون.» (١ تي ٢: ٤ و٣)

+ «لأنه قد ظهرت نعمة الله المخلّصة لجميع الناس.» (١ تي ٢: ١١)

+ «لأننا قد ألقينا رجاؤنا على الله الحي الذي هو مخلص جميع الناس ولا سيما المؤمنين.» (١ تي ٤: ١٠)

+ «ولكن حينما ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح.» (تي ٣: ٥ و٤)

+ «بحسب قوة الله الذي خلّصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية!! وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل.» (١ تي ١: ١٠ و٩)

- + «... أيها الإخوة المحبوبون من الرب أن الله اختاركم من البدء للخلاص بتقديس الروح وتصديق الحق.» (٢ تس ٢: ١٣)
- + «الله بَيَّنَّ محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا.» (رو ٨: ٣)
- + «الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح.» (أف ٢: ٤ و٥)

الفصل الثاني الإرسالية للفداء

١ - موضوع الإرسالية (غل ٤: ٥):

كحقيقة ثابتة في حياة الإنسان وعلى مدى جميع الأسفار المقدسة قديمها وجديدها، يقف الله صاحب المبادرة الأولى لكل ما آل للإنسان من خير وصلاح وما سيؤول.

هذه الحقيقة الإلهية كانت في اعتبار القديس بولس بكل حرص ودقة وأمانة. وهنا نبدأ مع بولس الرسول بخطة الفداء التي وضعها الآب وصممها وطرحها للابن للتنفيذ، باعتباره الوسيط الواحد الوحيد بين الله والناس. ونحن لا ننسى الآية الرائدة في لاهوت بولس الرسول التي نستخلص منها هذه الحقيقة:

+ «لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له،
ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به.» (١ كو ٨: ٦)

وعلى هذا الأساس وضعت خطة الفداء: الله الآب كواضع خطة الفداء لما حان ميعاد التنفيذ أرسل ابنه ليعمل عمل الفداء العظيم الذي رفع كل المعوقات من طريق خلاص الإنسان الصاعد إلى المجد، مجد أولاد الله.

(أ) «ولكن لما جاء ملء الزمان،

(ب) أرسل الله ابنه،

(ج) مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس

(د) ليفتدي الذين تحت الناموس

(هـ) لئلا نكال التبنّي.» (غل ٤: ٥)

أ - لما جاء ملء الزمان:

حينئذ نلتجئ إلى بساطة الشرح نقول لما جاء الميعاد، ولكن «ملء الزمان» تحتاج إلى استجلاء حقائق خطيرة، نصفها الأكبر الحقي جرى في الأزلية والنصف الأصغر جرى على وجه الأرض.

والنصف الأول والأساسي الذي جرى في الأزلية والمُخفى عن أعيننا جرى بين الآب والابن، فهما اللذان بواسطة الروح اضطلعاً بخلقة الإنسان الأولى: «وقال الله (إلهيم) نعمل (بالجمع) الإنسان على صورتنا كشبهنا ... فخلق الله الإنسان على صورته.» (تك ١: ٢٦ و٢٧)

والآن وقد أفسد الإنسان صورته بالحرية التي منحه الله إياها بالأساس لينطلق بها إلى محاكاة أصلها، ولكنه أساء إلى صورته بحرية إرادته، فابتعدت عن أصلها حتى ناهت عنه وتاه عنها؛ فلزم الأخذ باليد - من وراء الستار - على عكاز الناموس ليضرب به الإنسان على أرض التيه كأعمى يتلمس طريق الحق والنور. والصوت يأتيه من فوق من بعيد، من بعيد جداً، على فم نبي أو آخر. وتوالت أزمنة التعليم والتأديب إلى أن ضرب عكاز الناموس آخر ضرباته؛ وبلغ الشقاء بالإنسان على أرض اللعنة والشقاء كل مأخذ؛ وتفتحت ملكاته ليرى الظلمة المحيطة، فازداد أتينه حتى بلغ عنان السماء.

فعاد الله إلى غرفة مشورته الإلهية وخطط ليضيف إلى صورته التي بدد الإنسان ملامحها، لمسة جديدة من لمساته الخالقة ليعيدها إلى صورتها الأولى ويؤمنها بروحه من رجعة الفساد.

وكان يواكب حركات الأزل حركات على وجه الزمان من تغيير ملوك وضم ممالك وتوحيد لغات وتأمين دروب وممالك حتى باتت الأرض وكأنها تتأهب لاستقبال الحدث الآتي من وراء الزمن.

فقول بولس الرسول: «لما جاء ملء الزمان»، يعني بالرؤية الممتدة في تحركات الأزلية أن أنين الإنسان صعد إلى السماء فتحركت أحشاء الله نحو جُبلة يديه، وأذن بإسدال الستار على كل أزمنة شقاء الإنسان لتبدأ أزمنة الخلاص.

ب - «أرسل الله ابنه»:

عودة مرة أخرى للآية التي تقول عن الابن كيف اضطلع بالخلقة بناءً على مشورة الله الآب:
+ «وأثير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع يسوع المسيح.» (أف ٣: ٩)

أما الآن، والابن هكذا صاحب المسؤولية في الخلق الأول، فليس عجباً أن يضطلع من قِبَلِ الله الآب بمسئولية الإنسان الذي خلقه كيف يعيده إلى صورته الأولى ويرفعه مرة أخرى فوق طبيعته التي خاتته وخانها وفوق عالمه الذي أصله وضلَّ فيه، ويقدسه الله ليصير خليفة جديدة يمكن أن نحيا مع الله.

«أرسل»: ἐξαπέστειλεν

هي كلمة ذات قوة دافعة مركبة في اليونانية تركيباً يفيد الاندفاع إلى الأمام. فالله أرسله من ذاته ليس كأنه كان بعيداً عنه أو خارجاً منه بل في ذاته، حيث أرسله من اختبائه في الأزلية حيث كان محتجباً في الآب بغير ذي صورة عينية يستطيع أن يقف عليها عقداً. ولكنه هو الابن، أو كيان البنوة بكل صفاتها وسمائلها وخصائصها الإلهية. أدركناها فقط حينما تجسد، فعرفناه، فعرفنا الآب وانكشف السر الإلهي.

ج - «مولوداً من امرأة،^(١) مولوداً تحت الناموس»:

القصد الأساسي من هذا التعبير هو أن ابن الله صار إنساناً ولكن ليس عن طريق الإنسان بل عن طريق الله أيضاً، فهو ظل إلهاً حتى في تجسده، لأنه لم يقل من "أب وأم" ليكون تجسده وتأسسه عن طريق بشر، بل قال: «مولوداً من امرأة» فقط يُرى دور الله كآب له كما هو كإنسان! هنا بولس الرسول لا يهدف نحو التقليل من قيمة الميلاد من عذراء^(١)، ولكن يهدف لتحقيق بشريته تحقيقاً واقعياً بميلاده كأبي إنسان من امرأة كام، وفي نفس الوقت يُسقط دور الإنسان كآب ليظل الله هو أبوه وهو إنسان حتى يهب الإنسان بالتالي أبوة الله له كنعمة وهبة، وظل كما هو: «الله ظهر في الجسد» (١ تي ٣: ١٦)، فهو ابن الله صار إنساناً، وبقي هو ابن الله. فيسوع المولود من العذراء إنسان بالحقيقة وابن الله حقاً.

بولس الرسول كان مستغرقاً فيما للمسيح والآب، كان يركّز فكره وبصره في عملية الفداء التي ابتدأت إرهاباتها الأولى في فكر الله قبل أن يسكن الابن أحشاء عذراء، كان بولس الرسول يتتبع حركات الله في الأزلية، كان يتابع الابن في غناه كيف تركه وافتر ليسطيع أن يلبس ثوب فقرنا (الجسد) (٢ كو ٨: ٩)، قَبِلَ أن يختار مغارة أو مذوداً يولد فيه. كيف احذر من الحصن الأبوي قبل أن تحضنه العذراء. كيف قطع المسافة المهولة من الأزلية السعيدة ليدخل عالم الأرض المعتم، قبل أن يتحمل وهو في بطن أمه شقاء رحلة الناصرة إلى بيت لحم. عندما ترغمت كواكب

(١) هذه الآية أعثرت بعض الآباء وقالوا إنه كان أصل بولس الرسول: «العذراء بدل امرأة» (حبروم على غلاطية)، ولكن مسيح معه حاطب أمه عذراء بهذا اللفظ. Patrologia Latina II, xxvi, 389.

الصباح ممّا وسجدت له كل ملائكة الله (عب ١: ٦) لما رأوا البكر وهو يهبط إلى عالم الإنسان، قبل أن تظهر أجواق الملائكة لتتشد ترنيمة "المجد لله".

وبولس الرسول في ذكره «امرأة» إنما يهدف لبعيد، إنه يرفع من قدر المرأة حتى السموات، بعد أن انحدرت مع بلها من لدن الله إلى لعنة شقاء الأرض. إنه لا يغفل دور العذراء كفرد بل يعلي من دور المرأة كجنس.

وهكذا كما من امرأة دخلت الخطية إلى الإنسان هكذا من امرأة خرجت، وسوف نرى سريعاً كيف نظر بولس الرسول إلى المسيح نفسه كآدم «الثاني» تماماً كما رأى بولس الرسول في العذراء حواء «الثانية». فإن رأى أحد أن هناك تحجياً في تسمية العذراء «امرأة» فما الرأي في تسمية المسيح ابن الله «بآدم»؟؟

بولس الرسول يؤكد على بشرية المسيح ولاهوته بأن واحد!:

+ «الذي سبق فوجد به بأنبيائه في الكتب المقدسة عن ابنه، الذي صار من نسل داود من جهة الجسد وتعيّن (وتحقّق) ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات.» (رو ١: ٤-٢)

+ «أذكر يسوع المسيح المُقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلي.» (٢ تي ٢: ٨)
+ «لأنه يوحد إله واحد، ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح.» (١ تي ٢: ٥)

ولكن ولو أن ابن الله صار إنساناً بالحقيقة مثلنا في كل شيء، إلا أنه لم يكن فيه خطية البتة:
+ «لأنه جعل الذي "لم يعرف خطية"، خطية لأجلنا، لنصير نحن برّاً الله فيه.» (٢ كو ٥: ٢١)

ومتى كان الإنسان — أي إنسان — «لا يعرف خطية»؟؟؟ وهذا قد جاء ليتعامل معها رسمياً ويلغيها؟؟ أليس هذا هو «الله ظهر في الجسد»؟

ونسمع من إشعياء النبي، وهو يتنبأ عن المسيح الآتي، كيف أن الله دعاه وأعطاه اسماً وهو أحشاء أمه تماماً كما حدث في ميلاد المسيح: «الرب من البطن دعاني من أحشاء أمي ذكر اسمي.» (إش ٤٩: ١)

ويذكر إشعياء النبي كيف تمت جيلة المسيح في البطن بيد الله ليخرج في صورة عبد: «والآن

قال الرب جابلي من البطن عبداً له لإرجاع يعقوب. « (إش ٤٩: ٥)

«مولوداً تحت الناموس»:

هذان المرادفان: «مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس» يحتاجان إلى وقفة وتأمل. فالنزول المائل لابن الله الذي كلَّفه إخلاء ذاته مما له من مجد كإله، ليولد من امرأة وليأخذ مما لنا من انضواء العبد، يوازيه بنفس القدر النزول المائل ليولد تحت الناموس! ولكن لا عجب، فكما وُلِدَ بجسد إنسان ليُميت الخطية في الجسد ويُحيي الإنسان، هكذا ولكي يرفع حكم الناموس عنا، نَحْنُ أن ينزل تحت الناموس ليكمل في نفسه كل حكم الناموس ليفرغ الناموس من كل سلطانه وكل أحكامه كما أفرغ الخطية من طبيعتها القاتلة بموته.

+ «لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت، ... لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد (الناموس) بل حسب الروح (في المسيح).» (رو ٨: ٢)

هنا عودة لقول بولس الرسول «مولوداً من امرأة» دون أن يميزها بأوصاف تكشف عن يهوديتها، فأطلقها عامة «امرأة»! وهو بهذا يهدف إلى عمل المسيح القادم الذي يشمل كل البشرية دون تخصيص. ثم عاد بولس الرسول وخصص «مولوداً تحت الناموس»، هنا ميلاد يهودي بالدرجة الأولى حتى يكون لحساب الشعب الرازح تحت الناموس.

د — «ليفتدي الذين تحت الناموس»:

واضح من الآية أن الذين تحت الناموس كانوا في حالة تحتاج إلى الفداء!!
والفداء هو حاجة الإنسان الواقع في الأسر تحت تهديد الموت!!
والأسير غبلاً مُباع يحتاج لمن يملكه بالفدية ويتبناه!!
الناموس حكم بالموت على كل من يخالعه والكل خالفوه!! بالخطية!
سيف الناموس ومقصلة كانت الخطية.

المسيح لم يكن فيه خطية ولا في همه غش، كان هو «البار» فلم يكن للناموس عليه حكم أو سلطان!

وبما اتهمه الناموس أنه خاطيء، ومُجَدَّف على الله ومُصَلَّل لشعب؛ مع أنه ابن الله وهو واضح الناموس، وأخيراً حكم الناموس — بإجماع معلميه وحفظته — بالموت على ابن الله كخاطيء، وهو الحسي الغافر الخطايا الذي لا يموت؛ فالمسيح لما قُبِلَ حكم الموت، قتل الخطية بقتل الجسد، فجزد

الناموس من سيفه ومقصلة فأفرغه من قوته ومضمونه. فالمسيح لما قبل الموت بالجسد وهو حامل خطية الإنسان، قَبِلَ الموت عن كل جنس البشر، فالجسد جسد البشرية، ولما قبل حكم الناموس بالموت كخطيء وهو البريء ورب الناموس، يكون قد قبل حكمه بالتالي كل جنس البشر. وهكذا فبموته كمُذَانٍ، رفع الدين عن كاهل الإنسان، ورفع بالتالي حكم الموت بالناموس عن رقبته.

وأطلق الإنسان من أسر اللعنة الأولى إذ كان قد «أغلق على الجميع معاً في العصيان.» (رو ١١: ٣٢)

وفداه من تحت حكم الناموس ليصير حراً مرة أخرى من الناموس.

هـ — «لننال التبني»:

فإن صار الإنسان بلا خطية في صليب ابن الله، وإن أصبح بريئاً أمام كل محكمة قضاء الناموس، فقد تبرر الإنسان أمام الله بدم ابن الله.

والآن، وقد تبرر الإنسان أمام الله بتوسط ابنه، فقد تأهل للمصالحة مع عدل الله وقداسته، وصار الإنسان حراً مبرراً في موكب نصرته ابن الله وفيه رائحة دم المسيح الزكية، ليقبل من يد الله الآب إكليل التبني وصك الميراث.

٢ — بولس الرسول يركز في إرسالية الفداء

على عنصر الخطية لعزها والقضاء عليها (رو ٨: ٣):

بعد أن رأينا إرسالية الفداء وهي معقودة على ابن الله وقد كلفته أن يولد من امرأة، يعود بولس الرسول يركز على عنصر «الخطية» كبؤرة الجذب التي انقضت عليها ابن الله في نزوله من السماء:

(أ) «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد،

(ب) فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية،

(ج) ولأجل الخطية،

(د) دان الخطية في الجسد.» (رو ٨: ٣)

أ - «كان الناموس عاجزاً»:

في الحقيقة لم يكن الناموس عاجزاً في ذاته أو في تركيبه، أو في روحه، ولكن ثبت عجزه إزاء ضعف جسد الإنسان الذي وُضع الناموس من أجله، وتأتي كلمة «عاجزاً» باليونانية: δδύνατον بمعنى «بلا قوة»، التي عبّر عنها بولس الرسول في موضع آخر هكذا: «الناموس روحيٌّ وأما أنا فجسديّ مبيّغ تحت الخطيئة» (رو ٧: ١٤). هنا بولس الرسول أوضح التناقض على أشده غير القابل للحل. هذا المعنى هام جداً وحطير بالنسبة لكل ما يُقال عن الناموس والخطيئة والفداء. ولينتبه القارئ، لأننا حينما نضع هذه الحقيقة كمبتدأ هكذا:

لما كان الناموس قد أصبح عاجزاً عن معالجة الخطيئة بسبب ضعف ومرض الجسد،

يأتي الجواب المباشر أو الحل الجذري من الله هكذا:

لذلك فالله حصر كل عنصر الخطيئة في الجسد الذي أخذه من الإنسان، وقبّل الموت بالجسد، فمات عنصر الخطيئة القتال.

والنتيجة المباشرة أن المسيح أكمل حكم الناموس وأكمل كل واجبه، فانتهى الناموس.

وهكذا تم حكم الناموس في الإنسان من قِبَلِ الله، فتبرأ الإنسان؛ الأمر الذي كان مستحيلاً بالنسبة للناموس أن يعمل.

هكذا يتضح، من وجهة نظر بولس الرسول، أن السبب في إرسال الله لابنه هو معالجة عجز ناموس موسى، أي وقوفه بلا أية قوة إزاء ضعف جسد الإنسان تجاه الخطيئة التي قتله.

فالناموس من وضع إلهيٍّ، وكان القصد منه أن يقنّ مسيرة الإنسان في الحق والبرّ والعدل والقداسة. ولكن الناموس وقف عاجزاً مشلولاً تماماً عن تأدية دوره بسبب طبيعة الإنسان المنجذبة للشر بصورة متواترة.

ب - «أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة»: εν ὁμοιώματι σαρκὸς ἁμαρτίας:

بولس الرسول هنا لا يقول أن الله أرسل ابنه في «شبه الجسد»، لئلا يُظنّ أنه ليس جسداً حقيقياً أو أنه بطبيعة أخرى غير طبيعة أجساد الناس. ولم يقل في «جسد الخطيئة» لئلا يُظنّ أن المسيح قد أخذ جسداً خاطئاً. ولكنه اختار هذا التعبير السهل الذي لا يأتيه أي شك أو قصور: «أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة»، بمعنى أنه بحسب الظاهر يظهر كأنه جسد خاطيء، كأبي حسد لأي إنسان خاطيء، ولكنه في حقيقته بدون خطيئة!! لأنه لم يأخذ جسداً بتوارث الخطيئة من زواج، ولم يُستهدف لأية خطيئة لاهوتياً، أي بحماية اللاهوت، ولم يفتح على معرفة أية خطيئة لأن معرفته كانت منحصرة فيما هو لأبيه، أي أنه كان قدوساً.

ج - «ولأجل الخطية»:

هذا التسليح الفريد من نوعه ضد الخطية والذي يستحيل أن يكمل بهذه الصورة: جسد طبيعي لإنسان، ليس فيه عنصر الخطية، ومعصوم عن الخطية من كل الوجوه!! هذا لا يمكن أن يتأتى إلا إذا كان اللاهوت هو ملء هذا التجسد. نقول إن هذا التسليح ضد الخطية بهذه الصورة يوضح بكل قوة أن هدفه هو بالأساس حصر الخطية في الجسد وإبادتها بلا نزاع.

ولا يذكر بولس الرسول هنا نوع الخطية موروثه أو حادثة، بل نصّ على طبيعتها بشمول يجمع كل عناصرها وأسبابها ومصادرها.

د - «دان الخطية في الجسد»:

الخطية المحاصرة هنا والمقصودة ليست الفعل في حد ذاته بل ما هو قبل الفعل وسببه وما ترتب عليه!! المقصود هو القوة الشريرة أو قوة الشر وهو العلة الأولى للخطية الأولى التي غزت كل خلقة آدم وسكنت في الجسد.

دان الخطية : κατέκρινεν

كان عمل الناموس بالنسبة للخطية هو أن يُظهرها فقط أنها خاطئة جداً، ولكن لا يحكم عليها بل يحكم على الذي يتعامل معها. ولكن هنا عمل المسيح يتعدى المحاصرة للإظهار، وهو أيضاً لا يتعامل كالناموس مع الخاطئ بل جاء تعامله ضد الخطية ذاتها. وتعامله يتجه مباشرة على مستوى الحكم النهائي بقصد أن يفقدها قوتها مرة واحدة وإلى الأبد. وقد تبارى الآباء القديسون الأوائل في وصف دينونة الخطية بأوصاف قاطعة وشديدة: تأتي بمعنى يكسر شوكتها، ويحطمها، ويبيدها، ويفنيها، ويلغيها، ويقتلها.

ولكن لكي لا تنوه في كل هذه المعاني يلزم أن نعرف كيف دان المسيح الخطية ليصنع بها كل هذه الأوصاف. فالخطية قوتها وسلطانها هو «الموت» الذي تؤدي إليه: «النفس التي تخطيء هي تموت» (حز ١٨: ٤)، «أجرة الخطية هي موت» (رو ٦: ٢٣). فعقاب الخطية موت حتمي.

هنا المسيح لما مات ثم قام من الموت ألقى «الموت» كعقوبة للخطية، لما أخذ بإرادته هذه العقوبة في جسده ومات. وهكذا لما ألقى المسيح الموت كعقوبة للخطية انحلت الخطية وضاعت قوتها وانكسرت شوكتها:

+ «أين شوكتك يا موت ... أما شوكة الموت فهي الخطية.» (١ كو ١٥: ٥٥ و٥٦)

كان حكم الناموس أن: «كل من يخطئ يموت».

فصار في المسيح: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع».

(رو ٨: ١)

«إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة

لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم.» (١ يو ٢:

٢٠١)

«لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته.»

(أف ١: ٧)

وليمتبه القاريء فالمسيح لم يحكم على الخطية ويحاصرها ويلفيها كمناصر قائم بذاته وكأنه

حكم غيابي، بل دانها في جسده، وجسده نحن، دانها وحكم عليها من داخل أجسادنا وهي قائمة

تعيث فساداً داخل أعضائنا. قتلها وهي قائمة في فكرنا وضميرنا ونياتنا ولحمنا وعظامنا، عندما

امتص سمها القاتل في جسده فأخلاها من قوتها وأماتها في جسده وجسدنا حقاً. فالخطية لم تتركنا

ولا نحن تركناها فهي قائمة كما كانت في طبيعة الجسد، رابضة في الأعضاء ولكنها بلا قوة بلا

سلطان، تتحرك لتमित ولكن لا تموت نحن بحركتها. لأن إراء حركة الخطية في أجسادنا أخذنا

حركة الروح القدس في أرواحنا وابتدأ الصراع الذي أعطي فيه القلب لروح القدس: «وإنما أقول

اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد، لأن الجسد يشتهي ضد الروح (القدس) والروح (القدس)

ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون. ولكن إذا انقذتم بالروح فليستم

تحت الناموس.» (غل ٥: ١٦-١٨)

ويكمل بولس الرسول عناصر الصراع لحساب الروح هكذا: «ولكن إن كنتم بالروح تقيتون

أعمال الجسد فستحيون.» (رو ٨: ١٣)

فالآن، قد وُصع الإنسان بين «نعم، ولا»: «نعم» للروح القدس الناطق في القلب والضمير

لحساب الحياة الأبدية مع المسيح، و «لا» لكل مشورة لحساب الجسد والفرائز.

وكل «نعم» للروح القدس في الضمير معناها الانحياز للمسيح لئول قوة الفداء بالدم لمحاصرة

الخطية وإلغاء سلطانتها. لأن المسيح دان الخطية في الجسد حيث الجسد جسداً، ودينونة الخطية

حُكِّمَ سلمه المسيح إلينا للتنفيذ. كما دعا إليه بولس الرسول مُقَدِّماً نفسه نموذجاً: «أقيم جسدي

وأستعبده» (١ كو ٩: ٢٧)، طبعاً بالروح القدس الذي أعطى قوة التمتع وإحضار الجسد والفكر

لسلطان المسيح، وهو القاتل: «بالروح تقيتون أعمال الجسد.» (رو ٨: ١٣)

وقفه قصيرة لمعاودة

النظرة إلى المسيح كوسيط لجميع الخيرات

لا نستطيع أن نجتمع رؤية بولس الرسول للمسيح كوسيط تحت عناوين محددة وإلا نشئت فكر القارىء، ولكن نقدم هنا عينات من ومضات الإلهام التي استطاع بولس الرسول أن يستجليها من المسيح والتي نستطيع نحن أن نستجليها عن بولس الرسول: بخصوص علاقتنا بالمسيح.

الخلاص بالمسيح: «الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح.» (١ تس ٥: ٩)

النعمة بالمسيح: «حتى كما ملكت الخطية في الموت هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا.» (رو ٥: ٢١)

البر بالمسيح: «الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح، آمناً نحن أيضاً بيسوع المسيح لتتبرر بإيمان يسوع.» (غل ٢: ١٦)

الفداء بالمسيح: «متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح.» (رو ٣: ٢٤)

المصالحة بالمسيح: «إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مُصَالِحُونَ نخلص بحياته. وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالله بربنا يسوع المسيح الذي ثلثنا به الآن المصالحة.» (رو ٥: ١١ و ١٠)

السلام بالمسيح: «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح.» (رو ٥: ١)

التقدم إلى الله بالمسيح: «لأن به لنا كلينا (اليهود والأمم) قدوماً في روح واحد إلى الآب.» (أف ٢: ١٨)

الخلاص من الغضب

بالمسيح: «ونحن متبررون الآن بدمه نخلص به من الغضب.» (رو ٥: ٩)

التعزية بالمسيح: «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا

أيضاً.» (٢ كو: ٥)

الثقة بالمسيح: «لنا ثقة مثل هذه بالمسيح لدى الله.» (٢ كو: ٤)

عطية الروح القدس

بالمسيح: «بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح

القدس الذي سكب بفسنى علينا يسوع المسيح مخلصنا.»

(تي ٣: ٦ و٥)

نوال التبني بالمسيح: «إذ سبق (الله) فعيّننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب

مسرّة مشيئته.» (أف ١: ٥)

النصرة ضد جميع أعدائنا

بالمسيح: «ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا.»

(رو ٨: ٣٧)

التملك في الحياة بالمسيح: «الذين ينالون فيض النعمة وعطية البرسيمكون في الحياة

بالواحد يسوع المسيح.» (رو ٥: ١٧)

آمين بالمسيح: «مهما كانت مواعيد الله فهو فيه "النعم" وفيه "الآمين" لمجد

الله بواسطتنا.» (٢ كو: ٢٠)

الفصل الثالث

ذبيحة الصليب

١ - معنى الذبيحة: θυσία

معنى الذبيحة في العهد الجديد مأخوذ من مجمل معناها في العهد القديم ويمكن تلخيصها كالآتي عن القاموس اللاهوتي الألماني لكيتل:

[الذبيحة هي استحداث وُضِعَ، من خلاله يمكن أن يستعلن الله نفسه بقصد تنظيم علاقة بينه وبين شعبه. فبواسطة نظام الذبائح في العهد القديم أراد الله أن يكون له علاقة وتعامل شخصي مع شعبه. وأول مثل لذلك ما جاء في بداية تعامل الله مع إبراهيم أب الآباء هكذا: «فآمن بالرب فحسبه له برّاً. وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لتراثها. فقال أيها السيد الرب بماذا أعلم أنني أراثها. فقال له خذ لي عجلة ثلثية وعنزة ثلثية وكبشاً ثلثياً وجماعة وحامة. فأخذ هذه كلها وشقّها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه وأما الطير فلم يشقه ... ولما صارت الشمس إلى المغرب وقع على أبرام سبات وإذا رعية مظلمة عظيمة واقعة عليه ... في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً. » (تك ١٥: ٦-١٠ و١٢ و١٨)

كذلك حينما أراد الله أن يجرب إبراهيم في محبته وطاقته لله أكثر من كل شيء آخر وطلب منه أن يقدم ابنه ذبيحة، فأطاع ولم يتردد، منعه الله في آخر لحظة والسكن على ربة ابنه، وأعد له كبشاً للذبيحة عوض ابنه. في هذا كان الله يُعبّر أعظم تعبير عن أن الذبيحة لله هي في عينيه أقوى تعبير عن الحب والطاعة اللذين ارتبط بهما الإنسان بالله. أما رد فعلها لدى الله فهو هكذا: «بداتي أقسمتُ، يقول الرب، أنني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك بأبركك مباركة ... ويتبارك في نسلك جميع أمم الأرض. » (تك ٢٢: ١٦-١٨)

وإذا أضفنا على شكل هذه الذبائح الأشكال الأخرى التي وردت في التاموس، نستطيع

القول أن الذبيحة تنجّه دائماً للتعبير عن حضور الله ومعه نعمته وبرّه.

فإذا كان الأنبياء في أواخر الأيام بدأوا يعنون رفض الله للذبايح، وكذلك المزمار:

«إني أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات.» (هـو: ٦: ٦)

«بذبيحة وتقدمة لم تُسرّ، أذني فتحت — محرقة وذبيحة خطية لم تطلب. حينئذ قلت

هأنذا جئت (المسيح)، بذريح الكتاب مكتوب عني. أن أفعل مشيئتك يا إلهي سررت.»

(مز: ٤٠: ٦-٨)

نقول إن كان الله قد رفض الذبايح في أواخر أيامهم، فذلك لم يكن معارضة من الله للذبايح في حد ذاتها ولكن لأن الشعب بكهنته أهملوا القصد الأساسي من الذبايح الذي قامت عليه روحياً، وهو الوجود في حضرة الله لتكوين علاقة روحية تنمو مع الأيام. وهكذا حلّت التقدّمات المادية عوض العلاقة الشخصية الروحية والتسبيح والشكر للخلاص في حضرة الله، مع التواضع والتقوى والمحبة التي هي روح الطقوس الذباحي ومحرره والتي كانت هي بعد ذاتها الذبايح الحقيقية. وهذا كان بالنص محور تكلم الأنبياء والمزامير:

+ «اسمع يا شعبي فأتكلم، يا إسرائيل فأشهد عليك. الله إلهك أنا، لا على ذبائحك أوبخك فإن محرقاتك هي دائماً قدامي. ...

هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التماسيح،

اذبح لله حمداً وأؤفّ العليّ نذكرك،

والدعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني!!» (مز: ٥٠: ٧-١٥)

وهذا يوضح أن طلب الله لهذه العلائق الروحية الصادقة لم يكن يتعارض مع الذبايح الدموية. ولكن بسبب توقف القصد الأساسي من هذه الذبايح، رُفِضَت الذبايح^(١)

بولس الرسول كان خير من يدرك هذا، بل في سفر العبرانيين يلتجئ إلى نص المزمور أعلاه (٤٠: ٦-٨) الذي فيه يوضح انتهاء عصر الذبايح وتوقفها بمجيء المسيح «ها أنذا جئت» حيث «جسد» هو «الذبيحة» المابقة للذبايح.

هنا ذبيحة «جسد المسيح» تحبّ كافة الذبايح بكل أنواعها باعتبارها استعمالاً للعلاقة بين الله والإنسان، وحضرة إلهية، بنعمة وبر.

1. Theological Dictionary of the New Testament, TDNT, ed. by G. Kittel, Vol. V, p. 183.

٢ - مفاعيل ذبيحة الصليب :

وقبل أن نخوض في ذبيحة الصليب باعتباره عمل الفداء، نورد أمام القارئ بعض الآيات التي تكشف :

أولاً: سر دم هذه الذبيحة وفعلها وقوتها ونتائجها :

الفداء بدمه : «الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته .»

(أف ١: ٧)

الصلح بدمه : «وأن يصلح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه بواسطته

سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات .» (كو ١: ٢٠)

الاقتراب بدمه : «ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين

صرتم قريبين بدم المسيح .» (أف ٢: ١٣)

التبرير بدمه : «فبالأولى كثيراً ونحن متبرِّرون الآن بدمه نخلص به من

الغضب .» (رو ٥: ٩)

الشركة بدمه : «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح .»

(١ كو ١٠: ١٦)

جرعة الاقتراب للدم

بدون استحقاق :

«إذاً أي من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون

استحقاق يكون مجرمًا في جسد الرب ودمه .» (١ كو ١١: ٢٧)

ثانياً: «موت» المسيح وأثاره الفدائية :

«وهو مات لأجل الجميع كي يعمش الأحياء فيما بعد لا

لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام .» (٢ كو ٥: ١٥)

«إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى

كثيراً ونحن مُصَالِحُونَ نخلص بحياته .» (رو ٥: ١٠)

صولحنا بموته :

بموته صرنا قديسين وبلا

لوم ولا شكوى أمامه :

«قد صالحكم الآن في جسم بشرته بالموت ليخضركم قديسين

وبلا لوم ولا شكوى أمامه .» (كو ١: ٢٢ و ٢٣)

«الذي مات لأجلنا حتى إذا سهرنا أو غمنا نحيا جميعاً معه .»

(١ تس ٥: ١٠)

مات لنحيا معه :

بذل نفسه فدية لأجل الجميع : «الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع الشهادة في أوقاتها

الخاصة. « (١ تي ٢: ٦)

اشترانا بثمن (مونه): «لأنكم قد اشتريتُم بثمن. فمجددوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (١ كو ٦: ٢٠)

افتدانا من لعنة الناموس: «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا لأنه مكتوب: ملعون كل من عُلق على خشبة.» (غل ٣: ١٣)

البر بموت المسيح: «لست أبطل نعمة الله، لأنه إن كان بالناموس برُّ فالمسيح إذاً مات بلا سبب.» (غل ٢: ٢١)

٣ — ذبيحة الصليب في ضوء ذبائح العهد القديم (٢):

وبتعدد الآثار المترتبة على ذبيحة موت المسيح على الصليب يتضح تعدد الرؤيا لنوع ذبيحة المسيح على صور ذبائح العهد القديم. وبولس الرسول يرى من هذه الذبائح التي لحها في ذبيحة المسيح ما يأتي:

أ — ذبيحة الفصح:

«لأن فصحناً أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا.» (١ كو ٥: ٧)

والذي يعطي هذه الرؤية الاستعلانية عن موت المسيح على الصليب أهميتها هي أنها قيلت في موسم الفصح الرسمي. لذلك نجد كلمة «أيضاً» هنا مقارنة بين أمر حادث أمامه وبين الحال الذي يعيشه بولس الرسول في كنيسة في كورنثوس، معتبراً أن ذبح المسيح على الصليب صار للمسيحيين كذبح حل الفصح يوم الفصح. فكما أن الفصح الأول الذي عُمل في مصر هو ذبيحة الخروج العجيب الذي أعطى الشعب قوة الخلاص من عبودية فرعون مصر القاسي وسخرة العمل بلا أجر لليهود، هكذا صار لمسيحيي كورنثوس وكل العالم خلاصاً بذبيحة صليب المسيح من عبودية الخطية وتسخير الشيطان للإنسان لاقتراف الأعمال الميتة بلا طائل.

ب — «ذبيحة العهد» و«دم العهد» (خر ٢٤: ٨ و ١ كو ١١: ٢٥):

وهي المقابل لما صنعه موسى بأمر الرب «لإقامة العهد» المحسوب لنا الآن أنه «القديم»، في ذلك الوقت وبعد «الفصح في مصر» أقام موسى ذبائح ومحرقات وذبائح سلامة وأخذ منها الدم وسكبه على قاعدة المذبح، والباقي رش به على الشعب قائلاً:

(٢) سببٌ فيما بعد الاختلاف الحدي بين معنى ذبيحة الصليب ومعاني ذبائح العهد القديم، لأن هذه الأخيرة كانت تُعَدَّم فقط عن الخطية اليهودون خطايا القَدَم (أنظر صفحة ٢٨٥-٢٨٦).

«هوذا "دم العهد" الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال.» (خر ٢٤: ٨)

وعلى ذات المشوال وبصورة استعملانية فائقة القدر مسك الرب يسوع المسيح الكأس (كأس الدم) ليلة فصحه ليقّس التلاميذ بدمه للعهد الجديد بحسب رواية بولس:

«كذلك الكأس أيضاً بعد ما تمشوا قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري.» (١ كو ١١: ٢٥)

وبحسب القديس بولس أيضاً في رسالته إلى العبرانيين، قدم العهد بيد موسى قُدس إلى طهارة الجسد فقط، أما دم المسيح فألى تقديس الروح وأعماق الضمير.

+ «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجّلة مرشوش على المنجّسين يُقدّس إلى طهارة الجسد،

فكم سالحري يكون دم المسيح — الذي بروح أزلي — قدم نفسه لله بلا عيب يظهر ضمايركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب ٩: ١٣ و١٤)

وواضح أن رؤية بولس الرسول لذبيحة الصليب هنا تحمل ملامح ذبائح المحرقات والسلامة معاً. وكما نفصح المسيح (الصليب) انتهى الفصح القديم، كذلك بدم العهد الجديد انتهى عهد ذبائح المحرقات والسلامة.

ج — ذبيحة الكفارة (٢ كو ٥: ٢١ ورو ٣: ٢٥):

وهي ذبيحة الخطية (لا ٢٥: ٦) ذاتها! وتعتبر من وجهة نظر بولس الرسول أهم الذبائح قاطبة في مضمون عمل الصليب والغاية من التجسد. وهو يستمد اهتمامه البالغ بها من واقع أهمية هذه الذبيحة في ناموس موسى باعتبارها أكثر الطقوس أهمية في الناموس.

وبولس الرسول يرى أن المسيح بحمله خطايا البشرية على خشبة الصليب صار بالفعل ذبيحة كفارة خطية بالدرجة الأولى وبكل معنى، حتى تجرأ واعتبر المسيح بحال الصليب أنه «صار خطية»!

+ «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لتبصر نحن برّ الله فيه.» (٢ كو ٥: ٢١)

قوة التعبير هنا شديدة ويلزم أن نستوعب كيف يجمع بولس الرسول الخطايا كلها كأفعال مطلقة وبمعناها ليخرج منها واقع واحد ملموس، فخطايا البشرية صارت مشخصة كشخص واحد «خطية» استقطبها المسيح في نفسه ولبسها ليظهر بها على الصليب، حتى ينظر الخاطيء إلى نفسه

في إيمان المسيح يرى نفسه بلا خطية بل وعوض الخطية بنفسه بر المسيح .

وقد عبّر بولس الرسول عن ذبيحة المسيح لكفارية على الصليب لأهل رومية بنفس المعنى قائلاً :

+ « لدي قدمه الله كفارة *ἱλαστήριον* ، بالإيمان بدمه ، لإظهار برّه من أجل الصبح عن خطايا السالفة بإمهال الله . » (رو ٣: ٢٥)

ولكن جديد في هذه الذبيحة الكفارية أن لدي قدمها هو «الله نفسه» . لذلك فأني قوة تكفير عن الخطايا نكون ، وأني قوة غفران لخطايا نكون ، وأني صمان يفوق كافة صمات العالم يكون ، لأنه بالصليب قد صمّح الله عن خطايانا بل خطايا العالم كله ، وبالمسيح نرربا أمامه .

هذ هو يوم الصليب عند بولس الرسول ، إنه يديل يوم «الكوراه» : «يوم الكفارة» (٢٧: ٢٣٦) لكل الشعب اليهودي . هناك كان يتحتّم أن يقام كل سنة . وهى سنة واحدة للرب مقبولة ، قدّم نفسه ذبيحة خطية عن العالم ولكن السنين ولدهور .

+ «وكل كاهن يقوم كل يوم يخدم ويقدم مراراً كثيرة تلك الذبائح عينها التي لا تستطيع الستة أن تنزع الخطية . وأما هذا فبعد ما قدّم عن الخطايا ذبيحة واحدة (الصليب) جلس إلى الأبد عن يمين الله . » (عب ١٠: ١١ و١٢)

+ «فهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة . » (عب ١٠: ١٠)

د — ذبيحة «رائحة سرور للرب» (عد ١٥: ١ — ٤ وأف ٢: ٥) :

+ «واسمكو في المحبة كما أحبنا المسيح يُصاً وأسلم نفسه لأحبا قريباً وذبيحة لله رائحة طيبة . » (أف ٥: ٢)

وهي الذبيحة المقابلة في العهد القديم لذبيحة وقود للرب ، وفاء إما لدر أو لنعيد :

+ «متى حنتم إلى أرض مسكنكم التي أنا أعطيتكم وعملتم وقوداً سرب عمرة أو ذبيحة وفاء لنذر أو سافه أو في أعيدكم لعمل رائحة سرور للرب من المعرو من لعم ، يقرّب الذي قرّب قربانه للرب تقدمة من دقيق عُشر ملتوتاً بربع هين من اريت وخرّاً للسكيب ربع هين تعمل على المحرقة أو الذبيحة للخروف الواحد . » (عد ١٥: ١ — ٤)

وهنا يتضح من آية بولس الرسول أن لقصد من هذه الذبيحة هو رفع رائحة الطاعة لله في ذبيحة الخضوع والحب على الصليب .

وقد اهتمت الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بهذه الديبة في معاها وأنفاطها وأدحتها في صلوات القداس :

+ [هذا الذي أصد دابة مقولة على الصليب عن خلاص حسب .

فاشتته أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة ،

فتح باب الفردوس ورزّ دم إلى راسه مرة أخرى] (خلواحي المقدس) .

(رفع البخور " رائحة سرور " : للسيد المصلوب) .

وسهده الذائخ : دبة السلامة ، ودبة المحرفة ، ودبة الكفارة ، ودبة سرور مع دبة
لصاح يكون بولس الرسول قد عطى كاهه أنواع الذائخ مطبقة على دبة الصليب التي قدمها
المسيح بذبة نفسه !

٤ - ذبة الصليب ذبة طوعية :

المسيح الكاهن والذبة معاً :

حيثما يقول بولس الرسول إن المسيح « قدم ذاته » أو « قدم نفسه » و « بدل نفسه
فدية » ، فهو يعبر عن المسيح ككاهن قدم بيده ، أي بحص مسرة إرادته ، دبة حسده على
الصليب . وهذا تبلغ الكفارة أعظم مفهوم ها . وفي حالة ذكر تقديم « دبة » ، إما في صيغه المسي
للمجهول ، حيث يفصد أن الذي قدمه على الصليب هم ليهود ، أو نذكرهم صراحة أنهم قتلوه -
فهنا يقف المسيح موقف من سلم نفسه كحرو و يساق إلى لدح . ولكن أروع صور ذبة
الصليب على الإطلاق هي التي ذكر فيها بولس الرسول أن الله هو الذي قدمه في قوله : « الذي
قدمه الله كفارة ... » (روم ٣ : ٢٥) ، حيث تظهر مشنة لله لتغطي كل ملاسب تقديم المسيح
على الصليب ؛ سواء في مشنة المسيح نفسه أو في التعاصي عن جهاله ،صاص له وذلك سلوغ منهى
فصد الله : « من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله . » (روم ٣ : ٢٥)

هذا يعني أن دبة الصليب شترك فيها مشنة لأب الكلية ومشنة لأبس المحسد المطاعة
والمستمنة من مشنة الأب :

« ثم قال ها أنا أجيء لأفعل مشيتك يا الله ... فيها مشنة نحن مقدسون بتقديم حسب .
يسوع المسيح مرة واحدة » (عب ١٠ : ١٠ و ١٠٩) : بل وإلى حد ما نستطيع القول بأن الشعب قدم
المسيح على الصليب بحرية إرادته بقصد تنميم حرية ساموس . على أي حال لا يمكن فصل أي
مشنة من هذه المشينات لثلاث : مشنة لأب بتقديم كفارة ، ومشنة المسيح لدل نفسه فديه ،
ومشنة الشعب لإرضاء ولتنميم حرية الباموس عن جهالة . لأن موت المسيح على الصليب هو

ولكن الذي يهمنا جداً هو التأكيد على حرية المسيح الكاملة في تقديم نفسه على الصليب، وإليك الآيات الدالة على ذلك:

+ « واسكروا في المحبة كما أحبنا المسيح أيضاً "وأسلم نفسه" لأجلنا قراناً وديحة لله رائحة طيبة. » (أف ٥: ٢)

+ « كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة "وأسلم نفسه" لأجلها لكي يقدسها مطهراً بإهاها بغسل الماء بالكلمة، لكي يحضرها نفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غص أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب. » (أف ٥: ٢٥-٢٧)

+ « مع المسيح صُلبتُ، فأحب لا أنا بل المسيح يحيا في، فما أحياء الآن في الجسد وإما أحياء في الإيمان، إيمان اس الله الذي أحني "وأسلم نفسه" لأجلي. » (عل ٢: ٢٠)

+ « المسيح الذي "بذل نفسه" لأجل خطايانا ليتقدا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا. » (غل ١: ٤٣)

+ « يسوع المسيح الذي "بذل نفسه" فدية لأجل الجميع اشهادة في أوقاتها الخاصة. » (١ تي ٢: ٦٥)

+ « يسوع المسيح الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويظهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة. » (تي ٢: ١٣ و١٤)

هذه الآيات السالفة تغطي مجاز مشيئة المسيح الحرة في تقديم نفسه على الصليب ذبيحة بدوافع عاية في الأهمية، ولا بد أن تظهر واضحة وتسطع في أعين قلوبنا لأن منها يستمد علائق وثيقة مع المسيح، ونلخصها كالآتي كما جاءت في الآيات أعلاه:

دافع الحب الشخصي من نحو الجميع بلا استثناء لتظهر رائحتنا أمام الله الآب حلوة ومقبولة.

دافع الحب الشخصي من نحو الكنيسة، أي الشعب الذي التصق به، ليطهرها ويقدها ويضمها إليه.

دافع الحب الشخصي لكل شخص دعاه المسيح فاستجاب.

دافع إنقاذنا من شر العالم المحيط بنا.

دافع إعطاء قوة الشهادة حينما نطلب منا.

دافع أن يفدينا من كل إثم ويجعلنا غيورين في أعمال حسنة.

ومن هذه الآيات يتضح لنا أن المسيح تقدم إلى الصليب وعنده دوافع قوية وهامة وخطيرة، أدرك أنه هو وحده القادر أن يحققها بصفته الوسيط الوحيد بين الله والناس، علماً أن هذه الدوافع هي بعينها إرادة الله أبيه. وهذا يظهر من الآيات الآتية:

+ «هكذا أيضاً بإطاعة الواحد (يسوع المسيح) سيُجمل الكثيرون أنراراً» (رو ٥: ١٩).
هنا الطاعة للآب.

+ «وإذ وُجِدَ في الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله أيضاً...» (في ٢: ٨ و ٩)

+ «الذي لم يشفق على به، بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء...» (رو ٨: ٣٢)

+ «ولكن الله بيّن محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا.» (رو ٥: ٨)

+ «الذي قدمه الله كفارة بالإيمان لإظهار برّه من أجل الصّبح عن الخطايا السالفة بإمهال الله.» (رو ٣: ٢٥)

وبهذا، التوافق المذهل بين إرادة الله الآب وطاعة الابن بخضوع السوية، تَمَّت المشورة الأزلية القائمة على حب الله العامل لفداء الإنسان. فالصليب هو أقدس بؤرة احتضنت فيها مشيئة الله وحبه ومنتهى مسرة نعمته مع طاعة الإنسان البالغة منتهى قوتها ممثلة في الإنسان يسوع المسيح حتى الموت (٣). فأضاعت ظلمة الإنسان وأعطته حقبة جديدة لحياة جديدة وانفتح أمامها باب الدخول إلى الله بلا لوم.

(٣) في المقارنة بين آدم والمسيح، الأول رأس الجنس لآدمي وثاني رأس الجنس السبيحي لروحي. يرى أن البشرية في آدم سبب العصيان ماتت وعاشت في الموت؛

ولشرته في المسيح سبب طاعته ماتت من الأموات لحياة نسي فيها موت.

آدم أدخل الخطية في جسد لآدمي وعاشت لحظة في الحياة، وبت الإنسان بخطية؛

والمسيح قتل لحظة في شبه جسد الخطية وعاشت لحظة مع المسيح وعاش معه بشرته بلا خطية.

آدم ضحى بأمر الله من أجل نفسه ومات وكل ذريته بعده؛

والمسيح ضحى بنفسه لإطاعة أمر الله فقام لحياة أبدية ومعه أهلناؤه.

آدم أدخل في نفسه بحرته عنصر الخطية كمقوبة؛

والمسيح أدخل في نفسه بحرته عنصر الموت فألقى العقوبة.

لذلك خطية آدم نتي أنشأت منه الموت كما لا يمكن رفضها ولا تتحمل حكم الموت في جسد بدون خطية عن الخطية!! ولينبه

القارئ أن هذا هو شرح الفداء دون اللجوء إلى موضوع الديانت والناموس.

فإن كان بولس الرسول يشدد جداً على حرية طاعة المسيح، فما ذلك إلاً ليستعلن إرادة الأمر الصادر من الله. لأنه تستحيل الطاعة دون أمر: فالصليب إن مثل طاعة المسيح أعظم تمثيل فهو بان وحده يمثل أمر الله الآب بلا نزاع.

وشعبياء السي يرفع مستوى الأمر الأنوي للامر وهو عالم مدى الحزن والإسحاق الذي يطوي عليه أمر فداء الإنسان فيقول إشعياء النبي:

+ «أما الرب فسرَّ بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم.» (ش ٥٣: ١٠)

ولا ينبغي أن نسي أبنا نحبي الآن شعار طاعة المسيح للآب برفعه على الصليب واحتمال الألم حتى آخر قطرة دم! المسيح لم يطلب المكافأة ولكنه أهدها لنا في جسده، الذي هو جسدها الذي قام به، ليمنحنا في نفسه وفي جسده كل ما هو للحياة الجديدة التي هي فوق ما نحيا به حسب الطبيعة. فكل قوة وأعجاد القيامة للمسيح صرنا شركاء فيها. وذلك باعتبار أن الطاعة التي قدمها المسيح حتى الموت على الصليب قدمها عنا أو الأصح قدمها لنا، قدمها بجسده أي في جسدها، وفي نفسه أي في نفسنا، وروحه أي في روحنا، فقبلها الآب منه ومنا فيه؛ فصرنا بذبيحة الصليب طائعين للآب في طاعة المسيح، وصارت الذبيحة ذبيحتنا وحقاً لنا أن نأكلها ونشبع بها ونحيا!!

الفصل الرابع

المفديّون:

مع المسيح وفي المسيح

١ - اصطلاح «مع المسيح»:

الفداء أكمله المسيح على الصليب، بالموت الإرادي كدبيحة طوعية.

السؤال: كيف يمكن لموت لفداء لذي كمله المسيح في جسده، أن يسري في جسد الإنسان الخاطئ؟

سوس لرسون يجيب بأن لموت الذي ماته المسيح على الصليب فذمه كدبيحة كفارية من أجل كل خطاة الأرض، أي من أجل خطايا العالم كله.

كيف؟

المسيح لم يمُت كفرد عادي في جسده الخاص كخاطئ، مكملًا عموية الموت عن نفسه. فالمسيح كان يحمل جسد إنشورية «الخاطئ» ككل بصورة مظنة: «فانه قد أُرْسِنَ بَنِيَّ فِي سَبِيهِ جَسَدَ الْخَطِيئَةِ وَأَحْلَ خَطِيئَةَ دَنَ الْخَطِيئَةِ فِي جَسَدِهِ» (رو٨: ٣). هـ «اجسد» بصوريه المظنة هو جسدي وجسدك، هو جسد إنشوره، ولكن المسيح ولو أنه حفظه في نفسه بلا حصيه إلا أن مات بسبب حصيه التي في هـ الجسد. جسدي وجسدك وجسد كل دي جسد، وهكذا. دَنَ خَطِيئَةٍ فِي الْحُبِّ فَتَرُ جَسَدَهُ!! فالمسيح، وهو بلا خطية، لم تفت عن نفسه، بمعنى ذلك أن تكون حادراً في نفسه، ولكنه مات حاملاً خطيئة غيره: «الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على خشبة، لكي نموت عن الخطايانا (مات الحسابنا) فحيا (نحيا) للرب» (١ يوح٢: ٢٤)، ولكن مات بجسد الإنشورية لخطاة هـ دَنَ الْخَطِيئَةِ فِي الْجَسَدِ فِي صُورَتِهِ الْمَظْنَةِ، لذلك صيَّحَ أَنْ يُعْمَأَ بِدَنَ مُتَدِّ حَيَاةٍ مَعَهُ

موت الفداء. كذلك لما قام، قام بجسد البشرية الذي مات به فقامت البشرية معه بصورة مطلقة. وهكذا جازت البشرية مع المسيح موت الفداء وقبلت معه القيامة من الموت. في هذا يقول القديس بولس بوضوح: «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذا ماتوا» (٢ كور: ١٤). هنا «من أجل الجميع» هي في حقيقتها في جسد الجميع، كذلك: «ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح». (أف: ٢: ٥)

واضح هنا أن بولس الرسول يرفع فعل الفداء وعمله ونتائجه من الحالة الفردية التي أكملها المسيح في نفسه بحسب الظاهر إلى حالة شمولية في الواقع الروحي الفدائي لتشمل البشرية ككل، كل ذي جسد خاطيء، باعتبار أن المسيح مات بجسد «الإنسان» كل إنسان، فأصبح كل إنسان له الحق كل الحق أن يعتبر نفسه «مات مع المسيح»، وهذا هو الاصطلاح اللاهوتي الذي استوحاه بولس الرسول من فعل الفداء عندما يُنظر إليه كفعل إلهي. فالمسيح مات كابن الله عن الإنسان ولم يَمُتْ كإنسان يُدعى يسوع وحسب، وبهذا، وبهذا وحده، يصبح الموت فداء لكل إنسان، وبهذا، وبهذا وحده، أنشأ موت الفداء هذا قيامة وحياة.

فاصطلاح «مع المسيح» هو الامتداد الحتمي لكل فعل أكمله المسيح ابن الله لفداء الإنسان ليشمل كل إنسان، فالآلام الفدائية التي عاناها المسيح كابن الله من أجل الإنسان في جسد إنسان، أصبح من حق كل إنسان أن يقول: «مع المسيح تأملت وهكذا مع المسيح صُليْتُ ومع المسيح دُفِنْتُ وقُمْتُ».

ويلزم الانتباه أننا من واقع لاهوت بولس الرسول يكون لكل إنسان «الحق» أن يقول هذا، ولكن هل بهذا يمكن أن يعتبر أن كل إنسان مقدس بالفعل؟ طبعاً لا يكون:

٢ - اصطلاح «في المسيح»:

يُعتبر بولس الرسول أول مَنْ استخدم هذا التعبير اللاهوتي بمعناه الواقعي والعملي. وقد استعمله بغزارة كأداة لتحقيق الفداء فينا، وقد ورد هذا الاصطلاح ١٦٤ مرة في رسائله موزعة على رسائله جميعاً إلا رسائله إلى «تيطس»، فقد خَلَّتْ من هذا الاصطلاح بدون سبب ما.

ولكن نجد هذا الاصطلاح وارداً في إنجيل القديس يوحنا بصورته النموذجية العليا: «أنا في الآب والآب في» (يو: ١٤: ١٠)، مكررة في (يو: ١٠: ٣٨). ثم تمتد هذه الصورة لتظهر في العلاقة المتبادلة بين التلاميذ والمسيح: «في ذلك اليوم تعلمون أنني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم» (يو: ١٤: ٢٠). ثم يتكلم القديس يوحنا في رسالته معبراً عن هذه الحقيقة بقوله: «وَمَنْ يَحْفَظ وصاياهم (المسيح) يشبّه فيه وهو فيه، وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا»

(١يو٣:٢٤)، وذلك طبعاً تطبيقاً منه على قول المسيح في مثل الكرمة والأغصان (يو١٥: ١-١٠). كذلك ينطلق القديس يوحنا من امتلاك الإيمان والمحبة ليجعلها أساساً بحد ذاتها للثبوت في الله: «مَنْ اعترف أن يسوع هو ابن الله فانه يثبت فيه وهو في الله، ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التي لله فينا. الله محبة ومَنْ يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه.» (١يو٤: ١٦و١٥)

وهكذا من مثل الكرمة ومن هذه الآيات يتضح أن لاهوت القديس يوحنا يعتمد كثيراً في شرح الاتحاد والثبوت المتبادل مع المسيح على الاصطلاح «في المسيح» «في الله» «في المحبة». باعتبار أن «في المسيح» ينشئ في المفهوم اللاهوتي وجوداً واحداً حقيقياً حياً عاملاً فعّالاً مُثَمِّراً، قابلاً للنمو والتعليم والتطهير كما هو في مثل الكرمة والأغصان.

وبولس الرسول يستخدم هذا المعنى تماماً وربما بألفاظه (١كو١٢: ١٢و٢٧) في الجسد الواحد والأعضاء. وكما يقرن القديس يوحنا ثبوتنا في المسيح بثبوتنا بالتبعية في الله: «إن ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الأب» (١يو٢: ٢٤). كذلك نجد هذا الثبوت في المسيح تماماً كما هو في الروح في لاهوت بولس الرسول.

ونحن نعلم مدى الصلة القوية القائمة بين تعليم المسيح في إنجيل القديس يوحنا وتعليم بولس الرسول عن المسيح في رسائله. غير أنه لا يغيب عن البال أن الفارق الزمني بين الاثنين يتعدى الأربعين سنة، فإنجيل القديس يوحنا كُتِب سنة ٩٥م تقريباً، في حين أن كتابات بولس الرسول ظهرت في الخمسينات.

لهذا يُعتبر هذا الاصطلاح «في المسيح» أنه من خصائص أعمال بولس الرسول اللاهوتية الذي قصد به قصداً أن يعبر به عن الوجود الروحي الحقيقي والشخصي لنا في المسيح وللمسيح في أحبائه الذين يؤمنون به ويعتمدون فيه!

وهنا يأتي الرد على السؤال: هل يكون كلُّ مَنْ له الحق أن يقول إني مُثَمِّرٌ مع المسيح وُثِّلْتُ مع المسيح وقُمت مع المسيح، يكون بالفعل قد نال الفداء؟
الجواب يأتي في هذا الاصطلاح: «في المسيح».

هنا كان كل إنسان يُعتبر أنه مات وقام مع المسيح باعتبار أن عمل المسيح الفدائي كان هاماً وشاملاً، إلا أنه لا يستطيع أي إنسان أن يجوز على أفعال المسيح الفدائية إلا مَنْ تقدّم من تلقاء نفسه ليشترك ويمارس هذه الأفعال الفدائية مُحَقِّقاً ومستثمراً نصيبه العام الذي هو من حقه والمحمول له في عمل المسيح الفدائي العام.

وإن كان المسيح قد مات وقام من أجل كل إنسان، ولكن يلزم لكل إنسان لكي يجوز على حق موت المسيح وقيامته أن يشترك هو بذاته وبحرية إرادته في موت المسيح وقيامته، وهذا يتحقق بالإيمان والمعمودية، أي يعتمد في موت المسيح، أي يصنع ويُدفن في الماء تعبيراً واقعياً عن شركته في موت المسيح مع المسيح وذلك تحفيظاً ذاتياً لموت المسيح وقيامته بالإيمان العملي.

هنا بولس الرسول يستعين لما أن الذي يعتمد يصير «في المسيح يسوع»، لذلك يُعتبر أن الذي يعتمد أنه «يعتمد في المسيح»، أي يمارس موته الذاتي في موت المسيح العام.

+ «لأن كلكم الذين اعتمدتم (في) المسيح *εἰς Χριστόν ἐβαπτίσθητε* قد لبستم المسيح.» (غل ٣: ٢٧)

وقد جاءت في الترجمة للغة العربية: «اعمدتم بالمسيح»، وهذا خطأ مُخلٌ بالمعنى. هنا المعمودية تعني الانصباع والدفن، وفي أصل المعنى انصباع بدم الصليب وذقنُ القبر، ويكون المعنى هو: «لأن كلكم الذين «مُتُّم في المسيح»، أي «مُتُّم في موت المسيح»، أي أكنتم نصيبكم في عمل القداء.

وهكذا يصير في لاهوت بولس الرسول أن كل من اعتمد في المسيح صار «في المسيح». ثم يعبر بولس الرسول في نقيّة الآية السابقة عن كيف يصير الإنسان بالمعمودية في المسيح هكذا:

+ «لأن كلكم الذين اعتمدتم في المسيح *εἰς Χριστόν* قد لبستم المسيح.» (غل ٣: ٢٧)

وهنا يقصد أن الذي يعتمد، يموت مع المسيح عن حياته الماضية، وأن جسده العتيق يموت في موت المسيح على الصليب. وهذا فإن كل واحد في المعمودية يخضع الإنسان العتيق، وهكذا «يلبس المسيح» بمعنى يلبس الإنسان الجديد الروحي في المسيح يسوع!! لأنه معادل أنه مات في موت المسيح يكون قد قام في قيامة المسيح.

وهكذا «في المعمودية» أي «في الموت» في المسيح يموت الإنسان العتيق فينا وبأخذ المسيح عوضاً عنه، فأحد موته الكفاري وقيامته المحيية. وهذا هو معنى كيف يصير الإنسان «في المسيح يسوع»: أي ميساً عن إسمائه العتيق، حياً بالمسيح الإنسان الجديد، وهذا يعنيه هو قصد القداء وثمرته؛ بل هو هو القداء.

٣ - مقارنة بين «مع المسيح» و«في المسيح»:

يسهل الآن عمل المقارنة بين هذين الاصطلاحين: «مع المسيح» هو الاصطلاح الذي يكثر عن عمل المسيح الفدائي العام و لسموي من أجل كل إنسان، وأن كل إنسان به الحق. أن يقول إنني مع المسيح تأملت وضيئت وذهبت وقمت وحسنت في أعلى السموات. لأن المسيح صنع كل ذلك في «جسد البشرية» العام ككل، ومن أجل كل واحد؛ فأصبح كل شردي حسد له الحق في كل ما صنع المسيح من أجله. أي له الحق في كل أعمال الفداء التي تمت من أجل العالم كله: «عالمين هذا أن إنسان العيو قد ضل معه لسطل حسد الخطية ...» (رو ٦: ٦). هذا التعبير عام.

أما قول بولس الرسول: «في المسيح»، فهذا عمل الإنسان الخاص الذي يعمده بإيمان كامل وبحض حرية إرادته في أن يؤمن ويعترف ويعتمد ويتناول من حسد المسيح ودمه. فيشارك بالروح والنية والإرادة اشتراكاً حقيقياً في موت المسيح وبأسالي في قيامته، فينال بالفعل وبالروح و بالجسد الفداء الذي أكمله المسيح، ويعتبر نفسه ميتاً في لجسد العتيق وفقدياً بدم المسيح، وحباً بروحه القدوس في إنسان جديد.

وعلاقة «في المسيح» كإجراء كيانى يتحد به الإنسان في المعمودية مع المسيح تجعله بطبيعة الحال حائزاً لكل أعمال المسيح، أي يكون مع المسيح $\sigma\upsilon\nu$ $\chi\rho\iota\sigma\tau\acute{o}\varsigma$ في كل عمل من أعمال الفداء. فبالمعمودية نصير «في المسيح» متحدين لأننا نكون قد اعتمدنا في موته، لهذا نصير باتلي مدفونين كشركة معه (في القبر بعد الصليب كأحد أعمال الفداء العام): «أم تجهلون أن كل من اعتمد في يسوع المسيح $\epsilon\lambda\epsilon\gamma$ $\chi\rho\iota\sigma\tau\acute{o}\nu$ $\tau\eta\sigma\theta\acute{o}\nu$ اعتمدنا في موته $\epsilon\lambda\epsilon\gamma$ $\tau\acute{o}\nu$ $\theta\acute{\alpha}\nu\alpha\tau\omicron\nu$ ، فلقيتاً معه ($\sigma\upsilon\nu$) بالمعمودية للموت. حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جذة الحياة. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين (بالمعمودية) معه بشه موته (الذي مات على الصليب)، نصير أيضاً (متحدين معه) بقيامته.» (رو ٦: ٣-٥)

أي أن تعبير «في المسيح» كاصطلاح لاهوتي يعبر عن حيارة المسيح نفسه والاتحاد به، يوصل حتماً إلى «مع المسيح» كاصطلاح لاهوتي يعني الشركة مع المسيح.

كذلك فيبينه العارى أن «في المسيح» عند بولس الرسول هو عمل الآن، ولأن فقط، الذي يمارسه بالإيمان والمعمودية والصلاة والحب والبذل لصير في المسيح متحدين الآن. ولكن لن تدوم هذه الأعمال فيما بعد الموت. فإذا لم نحصل على «في المسيح» الآن، فلن نحصل في

السما على «مع المسيح»، لأن «مع المسيح» هو الحصيلة التي نحصل عليها — من ممارسة «في المسيح» — لنبقى في المسيح ومع المسيح الآن وهناك: «... نكون كل حين مع الرب، لذلك غزّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام!!!» (١ تس ٤: ١٧ و١٨)

وبتصوير آخر يرى بولس الرسول وكأنما المسيح أخذ جسد آدم الذي دخل فيه عنصر الخطية، أخذه كابن الله القدوس وملأه بجله لاهوته بالاتحاد، وقدمه لله ذبيحة مكملًا فيه قضاء الله عليه بالموت، أي أنه دان الخطية في الجسد، وهكذا إذ ألغى حكم الموت الذي كان قد صدر على الجسد، قام بالضرورة، وأصبح جسد آدم جديداً بلا دينونة مُبرّأً مما تُسبب إليه من تعدٍّ، مُصالحاً مع الله. وهكذا استرد صورته الأولى ونال رضى التقدير ليحيا مع الله مرة أخرى إلى الأبد بلا تهديد الموت، لأن الخطية لن تسود عليه مرة أخرى بسبب عنصر النعمة التي حازها.

وهكذا بعد أن كان آدم هو رأس جنسنا القديم المورث لعنصر الخطية، جاء المسيح وكأنه آدم الثاني وأصبح رأس جنسنا الجديد الذي نرث فيه كل ما له كابن الله من برٍّ وقداة وحياة، وذلك بالفداء الذي أكمله في جسدهنا. وهكذا أصبح لنا الاختيار: إما أن نتسب لأدم رأسنا الأول بميراث خطيته، وإما نتسب للمسيح رأسنا الجديد بميراثه السماوي. فإذا اخترنا أن نبقى منتسبين لأدم رأسنا الأول فإننا نبقى فيه، أي في آدم، وعلينا حكم الموت، محسوبين أنه لما أخطأ آدم وتعدى الوصية كنّا معه — في صُلبه — فلما وُلدنا له ورثنا نصيبه لأننا في جسده نعيش.

أما إذا اخترنا أن نصير منتسبين للمسيح رأسنا الجديد فإننا نصير محسوبين أنه لما تألم وصُلب ومات وقبر وقام كنّا معه — في صُلبه وصلبيه — فلما وُلدنا في اسمه في المعمودية، وُلدنا على صورته فورثنا نصيبه لأننا في جسده نعيش، لأننا كما يقول بولس الرسول صرنا «من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠)، وصرنا «شركاء الطبيعة الإلهية» كما يقول القديس بطرس الرسول (٢ بط ١: ٤). أما الفرق بين الولادتين فالأولى ولادة جسدية خالصة لأن المولود من الجسد جسد هو، وكلُّ مَنْ وُلد من الجسد يولد منفصلاً عن أصله؛ والمولود من الروح هو روح، وكلُّ مَنْ وُلد من المسيح الرب الروح هو روح معه وفيه ولا يولد منفصلاً بل يبقى متحداً به.

لهذا فجسد المسيح آدم الجديد يشمل كلَّ مَنْ وُلد للمسيح، لأنه يولد «في المسيح» ويبقى «مع المسيح».

٤ - الامتداد بالاصطلاح «في المسيح»:

أ - نحن «في المسيح» و«المسيح فينا»:

إن فينلّي الإيمان والمعمودية هما في الحقيقة أصل ونواة الاصطلاح «في المسيح»، أي الحصول على الوجود الحقيقي في المسيح، أي الاتحاد به بالروح حيث ينال الإنسان الفداء وكل نتائج من الحرية والتبني والمصالحة والميراث. وبمجرد أن يتم هذا الإجراء الروحي، أي أن يصير الإنسان «في المسيح»، يصير المسيح بالتالي في الإنسان؛ ولكن العكس ليس ممكناً، فالمسيح لا يصير فينا دون أن نصير نحن فيه. لذلك نلاحظ في إنجيل القديس يوحنا أن المسيح يصرّح: «في ذلك اليوم تعلمون أنني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠). هنا يقدم عملنا أولاً. كذلك حينما أراد أن يحثّر عن الوحدة التي ستضمنا معه ومع الآب قال هكذا: «في ذلك اليوم تعلمون أنني أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم»؛ أي يلزم أن نكون فيه أولاً ليكون هو فينا.

فعل المبادرة للوحدة مع المسيح يتحتم أن يبدأ منا نحن أولاً على المستوى الذاتي الشخصي، في مقابل أو تحقيقاً للوحدة الكلية التي حققها المسيح للجميع بلا تخصيص في تجسده وفي موته الفدائي العام عن كل العالم.

لذلك نجد في إنجيل القديس يوحنا يكرر مراراً: «اثبتوا فيّ وأنا فيكم» (يو ١٥: ٤)، «من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه». (يو ٦: ٥٦)

وعلى هذا المنوال يأتي لاهوت بولس الرسول:

فالاصطلاح الأكثر شيوعاً في رسائله هو أننا نحن «في المسيح»، إذ يتكرر كما قلنا ١٦٤ مرة ثم نتيجة لهذه الحقيقة يصير المسيح نفسه «فينا»:

+ «ألم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم إن لم تكونوا مرفوضين؟» (٢ كور ١٣: ٥)

+ «ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم الذي هو: المسيح فيكم رجاء المجد». (كو ١: ٢٧)

+ «ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم». (أف ٣: ١٧)

+ «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ». (غل ٢: ٢٠)

+ «برهان المسيح المتكلم فيّ». (٢ كور ١٣: ٣)

ب - الامتداد الثاني: الكنيسة كجسد للمسيح:

كيف من خلال هذين الاصطلاحين «في المسيح» و«مع المسيح» استعلن لبولس الرسول سر الكنيسة ك«جسد المسيح»:

الدخول «في المسيح» بالإيمان وسر العماد هو عند بولس دخول حقيقي «في الشركة مع المسيح»: «أمين هو الله الذي به دُعيتُم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا» (١ كوا: ١). وهكذا، فإن «في المسيح» عند بولس الرسول عندما نُكثَل واجباتها بالإيمان والمعمودية ونصير في «شركة مع المسيح»، يستعلن لنا بولس الرسول هذه الشركة عمدياً بأن المؤمنين يصيرون بقوة «في المسيح» و«الشركة مع المسيح» جسداً واحداً هو «جسد المسيح»، وهو جسد البشرية التي مات فيها وقام فيها. وهكذا فدها الرب بموته وقيامته، إذ يكون جسد البشرية التي فداها قد تحقق عملياً وعلى الواقع المنظور بإيمان واعتماد من مات من أجلهم وقام. فهنا قول القديس بولس بأن الكنيسة هي جسد المسيح هو قول من واقع وضعين متكاملين:

الوضع الأول: هو الوضع العام الذي أكمله المسيح بموته وقيامته بجسد البشرية، فأكمل فداها لدى الله الآب.

الوضع الثاني: وهو الوضع الخاص الذي أكمله ويكمله المؤمنون باسمه حينما يعتمدون فيه فيتحدون في جسده، فيحققون لأنفسهم وللمسيح عمل الفداء الذي عمل.

وبهذا يُستعلن «جسد المسيح» (وهو جسد البشرية المفتدة) أنه هو الكنيسة. فالكنيسة بهذا هي جسد المسيح الذي أكمل به الفداء للجميع وهو نفس الجسد عندما أكمل فيه المؤمنون فداءهم باعقادهم فيه، كما رسمه المسيح وأكمله لهم في نسسه على الصليب وبالقيامة.

ج - امتدادات أخرى:

وقد امتد بولس الرسول بهذا الاصطلاح «في المسيح» ليشمل كل الأوضاع المنبثقة من العداء والخلاص. فقلوه: «في الروح» و«في الرب» و«كنائس اليهودية التي في المسيح» (غل ١: ٢٢)، و«أعرف إنساناً في المسيح» (٢ كو ١٢: ٢)، و«كأطفال في المسيح» (١ كو ٣: ١)، كل هذه التعبيرات توضح مدى ثقل هذا الاصطلاح على روح بولس الرسول، إذ أحس بأن «الوجود في المسيح» هو الذي يتحكم في حياتنا الروحية كمعدين، ومنه تبتثق كل العطايا والنعم وبركات الدهر الآتي. ولكن لا ينبغي أن يعيب عن البال قط أن الأصل الذي ينبع منه أي تعبير يحمل اصطلاح «في المسيح»، هو سائىء من الإجراء العملي والروحي الإيماني

الذي يجري بين المؤمن والمسيح «داخل المعمودية»، حيث يصير المؤمن «في المسيح»، ويُعامل من الله باعتباره «في المسيح»، ويعيش في الكنيسة والعالم باعتباره «في المسيح» وهو يُعتبر الاصطلاح الذي تنبثق منه كلمة «المسيحي» و «المسيحية». فكل مسيحي هو مسيحي حقاً إن كان «في المسيح»، والمسيحية لحقة هي لديانة التي يعيشها ويمارسها من هم «في المسيح». وهكذا كل الاصطلاحات الأخرى:

+ «فإني متيقن أنه لا موت ولا حياة... ولا خليفة أخرى تقدر أن تفصلنا عن محبة الله سي في المسيح يسوع ربنا.» (رو ٨: ٣٨ و ٣٩)
وهذا يعني أنه طالما نحن «في المسيح» فلا تقدر أي قوة أن تفصلنا عن محبة الله التي وهبت لنا باعتبارنا «في المسيح».

+ «أسمى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العسا في المسيح يسوع.» (١٤: ٣)
وهذا يعني أن النصيب المحفوظ لنا في السموات بحسب دعوة الله لنا هو هدية الذي لن يعيب عن ناظرينا طالما نحن «في المسيح».

+ «إلى كنيسة الله التي في كورنثوس المقدسين في المسيح.» (١ كو ٢: ١)
وهذا يعني أن كل من آمن واعتمد صار في المسيح محسوباً أنه مقدس، أي محصن لله، طالما هو في المسيح.

+ «وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم بل تقدمتم بل تبررتم في (٤٧) اسم الرب يسوع وفي (٤٧) روح إلهنا.» (١ كو ٦: ١١)
وهذا يعني أن الذي اعتمد في اسم المسيح، أي انصبغ في دم شخص يسوع المسيح، وصار مولوداً من الروح أي عائشاً في الروح فإنه يكون هكذا قد اغتسل من خطاياءه، وقدس بدم والروح، ويتر برقيامة المسيح.

+ «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه.» (٢ كو ٥: ٢١)
وهذا يعني أن الله إذ سمح أن تُخطئنا خطايانا، حاملاً خطية الإنسان ككل وهو القدوس الذي لم يعرف خطية، استطاع المسيح بهذا العمل أن يعلن أولاً عن «بر الله» بهذه المحبة الباذلة، ثم أن يمنحنا هذا البر. وليس فقط يمنحنا «بر الله» بل ونترأى أمام الله ونحن متحدون (في المسيح)، لا كأبرار بل كخاطئين البر تماماً كما حل المسيح الخطية. فكما صار المسيح خطية لنا جميعاً كلها في جسده، هكذا نصير نحن «بر الله» عندما نكون «في المسيح» وقد اخضعت منا كل خطية ليظهر فينا المسيح في كمال برّه.

+ «دخلوا اختلاصاً ليتجسسوا حريتنا التي لنا في المسيح كي يستعبدونا.» (غل ٤:٢)
وهذا يعني أن الذين صاروا في المسيح بالإيمان والمعمودية ونالوا الغفران وزالت عنهم عبودية الخطيئة والناموس صاروا في حرية أولاد الله غير مُستعبدين بعد لا للناموس ولا لأحكام الناس.

+ «فلي افتخار في المسيح يسوع من جهة ما لله.» (رو ١٥:١٧)
بولس الرسول وقد صار «في المسيح» أصبح له الحق أن يفتخر بكل ما وهبه الله، ولكن ليس كأنه يفتخر بما له وما يستحقه ولكن بما ناله بسبب كونه «في المسيح».

+ «عالمين أن تعيكم ليس باطلاً في الرب.» (١ كو ١٥:٥٨)
وهذا يعني أن كل مَنْ آمَن واعتمد واتحد بالرب وكان عائشاً في الرب، فكل أتعابه محسوبة أنها شهادة أمانة ووفاء، وأجرها محفوظ في السماء: «طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلي كاذبين. افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات.» (مت ٥: ١١ و١٢)

الفصل الخامس

القيم الأخلاقية التي ورثناها من الفداء

الفداء ليس مسألة موت وحسب لحصول الفدية.

فالألم الذي عاناه المسيح بصورة مروعة قبل الصليب وعليه، يستدعي من داخل شعورنا التفكير في موضوع العدالة. فهنا البار يتألم من أجل الأثمة؛ هكذا يعطي الله الدرس الذي يفتح العين المعمية والأذن المسدودة عند الخاطئ الذي يتعاضد ويتصامم عن تقييم خطاياه، وكأن خطاياه تخصه وحده وهو حر فيما يبعث ويُفسد:

فالله يقول للخاطئ: أنت تخطيء، وأنا أدفع الثمن!!

أنت تُقيد وتلوث جسدك ونفسك وفكرك، وأنا أطهر وأغسل وأقدس بدموع الألم والدم.

أنت تبسح حريتك للشيطان، وأنا أستردها لك بدق المسامير في جسدي ونزف الدم حتى إلى غُصّة الموت!

كما يلزم أن ننتبه غاية الانتباه أن المسيح في مواجهته للألم والظلم والظلم وضرب الشياطين وكل الهزء والسخرية التي جازها قبل الصليب وعليه، جازها بحساسية حقيقية وصادقة وواجهها بحزن بالغ وانكسار قلب: «نفسى حزينة جداً حتى الموت» (مر ١٤: ٣٤). فهو لم يكن مجرد وسيط بين الله والناس بل ووسيط أيضاً بين الناس والله وحمل كل مشاعر الإنسان، الإنسان في نفسه وروحه وجسده. لقد كان حزن المسيح الحقيقي وانكسار قلبه الصادق هو الحزن الأكبر في عملية الفداء.

المسيح لم يقبل حكم الموت ملفوفاً في قرطاس مذهب، بل قبل موته على أشباح مرّة بكل صنوف العذاب والهوان والفضيحة، حتى كسر العار قلبه.

إذاً، فليستيقظ فكر القارئ ليتعمق سر العداء. فالفداء يحمل روح العدالة الصارمة تجاه الخاطئ الذي يغرّمه بها حتماً قانون البر والقداسة والحق والعفة والطهارة، ولكن هذا كله حمله المسيح.

والفداء لا يحمل فقط توقيع عقوبة التمدي بكامل متطلباتها على المسيح وحده ليحملها وحده ليصير الفداء نافذ المفعول، هذا نقص معيب في مفهوم الفداء وعمله، إذ يتحتم على الإنسان أن يشترك شعورياً ووجدانياً اشتراكاً فعلياً وكأنها مناصفة مع المسيح في آلام الفداء لتسري فيه قوتها وفعلها المحرر، وحينئذ ينال الفداء حقيقة وفعلًا.

والمسيح قَبِلَ في شعوره وإحساسه ووجدانه رَيقَةَ هذه الآلام والعذابات وكل ما لابسها من هوان وفضيحة وعار، ليس كأنها وُضعت عليه ليحملها، بل هو الذي سُمي إليها وطلبها، وسعى إليها عن سرور ورضى، وطلبها باهتمام ووعي لأنها كانت صميم عمله ورسالته. وهذا أيضاً من صميم الفداء.

وعلى هذا المستوى يتحتم أن نعي الفداء نحن أيضاً. فالصليب وعاره وكل ما يحمله من الآلام وضيقات لا يمكن أن نحسبه أنه أمر وُضع علينا لنحتمله، بل يتحتم لكي يصير الصليب قوة للفداء حقاً أن نسعى إليه بسرور ونطلبه كرسالة لأنه لم يَقدَّ صليب المسيح بل صليبتنا الشخصي.

والمسيح نجح نجاحاً مذهلاً في احتماله لكل صنوف العار والهوان، واحتمل الآلام احتمالاً شجاعاً بطولياً، لماذا؟ لأن عاملين كانا يعتملان في قلبه بحرص ووقار، الأول أنه أنكر ذاته، بأن تخل عن كل مظاهر قوته وسلطانه ومجده، لأنه أخذ شكل العبد عن لياقة كاملة، وأحنى ظهره عن جدارة الاتضاع الحقيقي، هذا هو العامل الأول، أما الثاني فكان الحب الإلهي الذي كان يحرق قلبه ووجدانه ويستأسر كل مشاعره من نحو كل الذين عزم أن يقتنصهم من قبضة الشيطان ويفك أسرهم ويستردهم لكرامة أولاد الله: التجرد والحب معاً، بهذين احتمل ألم الفداء.

وبهذا أيضاً يتحتم علينا أن نعرف أن الفداء تحت صنوف الهوان والاضطهاد والآلام بكل أنواعها، التي هي صبغة الصليب الحتمية، لا يمكن أن نستوعبه إلا من خلال هذين العاملين، التجرد والحب.

إذاً، فليس الفداء يا عزيزي القارئ قضية لاهوتية صماء أو خرساء نفهمها أو ندرسها كمقولة تأتي فعلها من تلقاء ذاتها. الفداء يتكلم بأبلغ وأضخم مشاعر التراجيديا، أي المأساة، ولكنها مأساة إلهية انتهت بأعظم انتصار حققه الله بنفسه لحساب الإنسان، فدم الفداء يتكلم ويشر فيها بالحب في أشد الألم، بالانتصار في أقسى انكسار، بالمجد في عمق الهوان.

لغة الفداء يفهمها قلب الإنسان الذي حطمته الخطية، ويفسرها جيداً مَنْ ذاق أسر الشيطان. لغة الفداء هي قلب إنجيل البشارة النابض كتبها المسيح بدمه لتكون لغة الكنيسة التي تَلَقَّنها لكل

مَنْ خَلَعُوا ثِيَابَهُمْ لِيُدْفَنُوا مَعَ الْمَسِيحِ تَحْتَ الْمَاءِ لِنَالُوا فَضْلَ الْمَسِيحِ وَالْمَسِيحِيَّةِ.

فبولس الرسول استمد كل تعاليمه الروحية من الفداء لنفسه أولاً ثم للآخرين ككازر بنعمة المسيح ليؤسس بها بشرية جديدة لها أخلاق المسيح وروحه وفكره التي أكمل بها نزوله من السماء واتخاذَه شكل العبد ليضع لنا هذا الفداء.

+ فالمحبة التي ينادي بها بولس الرسول لتكون محور أخلاقنا الجديدة ومنبع فكرنا وتصرفاتنا هي المحبة التي أحبنا بها المسيح والتي هَوَّنت عليه فداحة الآلام وموت الفداء! (أنظر أف ٥: ٢١)

+ والطاعة التي يسوقها علينا بولس الرسول لكي نعيش في ظلها الأيمن هي ذات طاعة الابن للآب، طاعة المسيح لمن أرسله ليكمل بها ذبيح نفسه!! أية طاعة كانت وأية طاعة ينبغي أن تكون! (في ٢: ٨)

+ والتواضع الذي يثبته بولس الرسول فينا ليكون هو طبيعة أخلاقنا الجديدة لا عن تثليل ولا عن قسر، بل عن مسرة المشيئة كما سُرَّ المسيح أن يحني تحت ضاريه، ويسلم الوجه ويستعذب الإهانة والشتيمة، ويرضى أن يُساق كالشاة حاملاً صليبه ليكمل ما اشتهاه أبوه وما اشتهى هو، أن يفدي الخطاة!! (في ٢: ٧ و٨)

+ وإنكار الذات الذي أراد بولس الرسول أن يجمل به أخلاقنا، هو عدم إرضاء المسيح لذاته (رو ١٥: ٣)، إذ وهو الإله أنكر ما هو لذاته من مجد، وحجب عن نفسه كل عظمة وبهاء جوهره، ليظهر بذات عبد كبير مرفوض من الناس ومذلول، ليستطيع هو ويستطيعون هم أن يقدموه على الصليب ذبيحة وقدية.

+ واحتمال المشقات (٢ تي ١: ٨) التي رأى بولس الرسول أنها ينبغي أن تكون سمة من تجندوا لحساب المسيح فهي الصورة التي لمت في ذهن القديس بولس عن المسيح، كيف واكبته في مسيرته منذ أن نادى بالخلاص حتى أكمله على الصليب.

+ وهكذا الصبر (٢ تس ٣: ٥) وقبول الضيقة بفرح (١ تس ١: ٦) يسوقهما علينا القديس بولس من المسيح وأساساً.

وبولس الرسول يتجاور مجرد التشبه بفضائل الفداء التي أكمل بها المسيح الفداء، بل يتقل إلى مستوى الشركة والامتلاك، لأن المسيح في لاهوت بولس الرسول ليس مجرد نموذج تشبه به بل ينبوع فيض لنتملأ منه. فليست الفضائل التي أكمل بها المسيح الفداء معروضة علينا، بل الفداء ذاته الذي أكمله المسيح أساساً ليهب لنا، فهو لا يهب لنا كيف احتمل الآلام أو كيف مات، بل يهب لنا شركة كاملة واتحاداً حقيقياً في الآلام والموت اللذين أكمل بهما الفداء. كذلك فليس هو

اتحاداً تصورياً ذلك الذي يعطيه لنا، بل هو اتحاد حقيقي بالروح بسر إلهي له ثماره وأعماله التي هي أقصى برهان لتحقيق عمله ووجوده. فالذي يشترك في موت المسيح ينال فعل الموت وموته عن العالم وشهواته وأجاده، وبالحرري فالذي اشترك في الآلام التي أدت إلى الموت الحقيقي عند المسيح نراه وهو قريح في ضيقاته وآلامه مستهيناً بكل صنوف الاضطهاد والمذلة شاكراً مبتهجاً كمن أكمل العقوبة مع المسيح.

من هذا نفهم كيف يحث بولس الرسول قديسه في كل كنيسة أن يحتملوا الضيقات بفرح وأن يصبروا بشكر في آلامهم: «وقَبَلْتُمْ سَلْبَ أَمْوَالِكُمْ بِفَرَحٍ» (عب ١٠: ٣٤)، بل نفهم لماذا كان هو وعمل الدوام فرحاً في آلامه وضيقاته وضعفاته. فهذه كلها ليست فضائل الفداء بل مفاعيل الفداء الذي وهبه لنا المسيح بكامل أعماله السابقة واللاحقة على الصليب ومعه ثماره. من هذا نفهم لماذا يفتخر بولس الرسول بصليب المسيح، فهو كما يقول أنه له «قوة الله للخلاص» (رو ١: ١٦). فالصليب بل و«كلمة» «الصليب» في حد ذاتها تحمل «قوة» الفداء الذي أكمله المسيح، علماً بأن الفداء الذي أكمله المسيح لنا يشمل القوة الإيجابية للموت والقيامة معاً بل والحياة والتبني، كما يشمل القوة السالبة بغلبة الخطية والموت والعالم وكل قوات الظلمة.

لذلك، فالفداء في لاهوت بولس الرسول سواء بالتعليم المباشر أو من واقع سلوك بولس الرسول نفسه هو مصدر غنى الحياة الروحية الجديدة في المسيحية بكل فكرها وسلوكها وأخلاقيها. ومرة أخرى نقول إن الفداء الذي أكمله المسيح ليس نموذجاً نأخذ منه، بل قوة نحصل عليها ونمتلكها، نغتني بها ونفعل بها ونفعل فيها، لأن من ذا الذي يستطيع أن يحتمل الآلام والاضطهاد والتجريد والمذلة، ويحتملها بفرح، بمجرد أن يتمثل بالمسيح أو يحاكيه؟ أو مَنْ ذا الذي يستطيع أن يموت عن العالم أو يميت أعضائه على الأرض بمجرد أن يسمع الوصية ويطيعها أو أنه يتمثل بالمسيح ويحاكيه؟

يلزم أن نفهم أن الفضائل ليست فضائل جسدية أو حتى بشرية!!! إنها فضائل الفداء، والفداء عمل إلهي بشري معاً، لذلك قيل أن الصليب هو «قوة الله للخلاص»، والقيامة قوة حياة. فإذا كان بولس الرسول يحث المؤمنين أن يعيشوا بفضائل المسيح فعل أساس امتلاك المسيح بقوة موته وقوة قيامته وحياته، وامتلاك المسيح تم لنا بالفداء أي مكامل موته وقيامته!! فبموته نستطيع أن نحصل كل أعمال موت المسيح في أجسادنا ونفوسنا ونجاه العالم، وبحياته نستطيع أن نعمل بحياته أعمال الله والحياة والسلوك بالروح.

ولنا عودة في تعاليم بولس الأخلاقية (أنظر الباب السادس — ص ٥٠١).

الفصل السادس

النظريات اللاهوتية عن سر الفداء الفداء بين الفكر النظري والواقع العملي

تعدّد التعبير عن ما هو الفداء بتعدّد موقف الخاطئء أمام الله :

- ١ — إن وقف الخاطئء أمام الله كمن وقع في أسر الخطيئة ، فالفداء تحرير .
 - ٢ — إن وقف الخاطئء أمام الله كمديون أكل على الرب حقوقه ، فالفداء إعفاء من ديون .
 - ٣ — إن وقف الخاطئء أمام الله كمُذنب أمام عدل الله ، فالفداء تبريء .
 - ٤ — إن وقف الخاطئء أمام الله كمتعدّد تعدى على وصايا الله ، فالفداء صفح عن أخطاء سالقة .
 - ٥ — إن وقف الخاطئء أمام الله كمدوقاوم صلاح الله ومشيته ، فالفداء مصالحة .
 - ٦ — إن وقف الخاطئء أمام الله كحيت فَقَدْ حق الحياة والرجاء ، فالفداء إعادة حياة ورجاء .
- «الخطيئة» بكل أصنافها صنعت كل هذه المواقف للإنسان أمام الله .
و«الفداء» هو العمل المباشر الذي عمله الله بواسطة المسيح لإلغاء قوة الخطيئة وسلطانها مع كل مفاعيلها .

وهكذا استرد المسيح للإنسان بالفداء موقفه الصحيح المتعدد الأوجه أمام الله : في حرية من بعد أسر ، في إعفاء من كل ديون الخطيئة ، في مساهمة من كل الذنوب ، في صفح عن كل التمدي ، في مصالحة بعد عداوة أُحْفِتْ عنه وجه الله ، في نور الحياة الأبدية بعد ظلمة موت .

ثلاث نظريات لاهوتية عن سر الفداء

والسؤال: كيف تمت عملية الفدية بالموت الذي ماته المسيح، وبأي تقييم يمكن تقييمه؟

+ أولاً: هل هو فدية بالدم كتمن دفعه، ولمن دفعه؟

+ ثانياً: هل هو عملية تكفير بالإحلال يتحمل فيها المسيح العقوبة عنا نفساً بنفس؟

+ ثالثاً: هل هو عملية استرضاء وجه الله بعد غضب؟

هذه الثلاثة التفسيرات هي التي طرحها المفسرون على مدى العصور، وعلينا أن نفحصها مما لنكمل المعجز فيها حتى نصل إلى حقيقة معنى الفداء.

أولاً: نظرية الفدية بدفع الثمن: ἀπολύτρωσις

الكلمة بحسب الأصل اليوناني تفيد «يحل» أو «يفك»، وفي جملتها تفيد الفدية، فك الدين. والذي يرجّح هذا التفسير التعبير الذي يستخدمه بولس الرسول كثيراً بقوله أن «المسيح اشترانا»، «فامتلكنا لنفسه»، ودفع ثمن شرائنا وهو «الدم»، «دم ابن الله».

بل وصرّح مرة بكل وضوح أنه «بذل نفسه» فدية ἀντίλυτρον لأجل الجميع (١ تي ٢: ٦)، وهنا كلمة «الفداء» و«الفدية» باليونانية تفيد في الأصل أيضاً إعادة فك الرقبة، لأن العبد الذي سقط في الأسر كان يوضع في عنقه طوق حديد.

ولكي نفهم معنى الفداء في العهد الجديد يلزم أن نتتبع أصل المعنى في العهد القديم. فالفه في العهد القديم اختار إسرائيل ليكون خاصته، أي ملكه، إنما بشروط.

+ «فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكتوبون لي خاصّة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض.» (خر ١٩: ٥)

فلما أخذوا بالشروط «باعهم»:

+ «إنهم أمة عديمة الرأي ولا بصيرة فيهم ... لولا أن صخرهم باعهم والرب سلّمهم.» (تث ٣٢: ٢٨ و٣٠)

ولكن الرب عاد بعد أن باعهم وشتّتهم في الأمم، عاد فاستردّهم وأعادهم إلى أرضهم.

ولكن إن كان الله باعهم «فلم يبعهم لأحد»، «ولا باعهم بثمن»، وإن كان «استردهم» فلم يستردهم أو يفكهم من العبودية بثمن أيضاً كقول الله على لسان إشعياء النبي:

+ «هكذا قال الرب "مجاناً بَعْتُمُ"، "وبلا فِضَّة (ثمن) تُفَكُّونَ"» (إش ٥٢: ٣)

بمعنى أن الله باعهم دون أن يفرِّم نفسه شيئاً، فأعالمهم الشريرة هي التي غرَّبَتهم عن الله. ثم إن إعادتهم إلى الله هي أيضاً لم تُفرِّم الله شيئاً، لأنَّ عودتهم لم تتخطَّ حدودهم كمجرد عبید.

هذا بالمقارنة بالعهد الجديد حيث عودتنا إلى الله كَلَفَتْ نَفْلَنَا من طبيعتنا إلى طبيعة جديدة متحدة بطبيعته، ومن وضعنا كمبيد إلى أبناء له محبوبين ومقدَّسين، مما استلزم الفدية، وننازلاً من جهة طبيعة الله حتى إلى مستوى عبودية الإنسان، وتغريم الصليب حتى الدم وهذا ثمن فادح!!!

وفي الوضع الذي نحن بصدده — قبل مجيء المسيح — واضح أن البيع صار من الجهتين، فالشعب باع الله وخرج عن طَوْعِهِ وأفسد طريقه على كل المستويات، والله غلَى عنهم وباعهم بلا ثمن. وفي أيام المسيح زاد الشعب بكهنته ورؤسائه على كوبيهم باعوا الله وذلك على مستوى العبادة والتقوى والأخلاق، إذ أضاعوا على ذلك أن باعوه بالمعل بثلاثين من العصة كما تبأ عن ذلك زكريا النبي: «فقلت (الله) لهم إِنَّ حَسَنَ في أعينكم فأعطوني أجرتي، وإلا فامتنعوا، فوردوا أجرتي ثلاثين من الفضة. فقال لي الرب ألقِها إلى الفخاري الثمن الكريم الذي تُثَنِّونِي به فأخذت الثلاثين من الفضة وألقيتها إلى الفخاري في بيت الرب.» (رك ١١: ١٢ و١٣)

والآن عودة إلى القديس بولس لنجمع من بين أقواله ما يخص الفداء ونقسِّمها إلى قسمين:

القسم الأول: يختص «بالشراء»، و«الثمن»؛

والقسم الثاني: ويختص بـ«الفدية»، و«الفداء».

القسم الأول:

+ «احترروا إذا لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة

الله التي اقتناها بدمه.» (أع ٢٠: ٢٨)

+ «الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم، ويظهر لنفسه شعباً خاصاً.»

(تي ٢: ١٤)

+ «إنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشترىتم بثمن.» (١ كو: ٦: ٢٠)

+ «قد اشترىتم بثمن، فلا تصيروا عبيداً للناس.» (١ كو: ٧: ٢٣)

واصح هنا أن بمقتضى عقد الشراء المغموس في الدم، أصبحنا نحن لسنا ملكاً لأنفسنا؛ بل للذي مات من أجلنا وقام، شعباً خاصاً، كنيسة خاصة لله.

القسم الثاني:

+ «المسيح اقتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا...» (غل: ٣: ١٣)

+ «ولكن لما جاء ملاء الزمان، أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليهتدي

الذين تحت الناموس، لننال التبني.» (غل: ٤: ٥٤)

+ «الذي فيه لنا الفداء بدمه، غفران الخطايا.» (أف: ١: ٧)

+ «الذي بذل نفسه فدية، لأجل الجميع.» (تي: ٢: ٦)

وهنا يأتي السؤال: إذا كان الفداء قد تم بدفع ثمن غالي جداً وهو دم ابن الله، فلن دفع

المسيح هذا الثمن؟

الانحراف بنظرية الفدية إلى القول بدفع الثمن للشيطان:

سبق أن أوضحنا أن «الخطية» هي التي استلزمت الفداء.

والخطية أوقعت الإنسان أمام الله موقف الدينونة.

كذلك معروف أن الإنسان استُعبد للخطية والشهوات والشور:

+ «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد ضُلب معه، ليُبطل جسد الخطية، كي لا يعود نُستعبد

أيضاً للخطية.» (رو: ٦: ٦)

+ «فشكراً لله أكرم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطفئتم من القلب صورة التعليم التي

تسلمتموها.» (رو: ٦: ١٧)

+ «كما قدّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم، هكذا الآن قدّموا أعضاءكم عبيداً

للبر للقداسة.» (رو: ٦: ١٩)

+ «فإننا نعلم أن الناموس روحي، وأما أنا فجسدي قبيح تحت الخطية.» (رو: ٧: ١٤)

+ «ولكنني أرى ناموساً آخر في أعضائي (العريضة) يحارب ناموس ذهني "ويسبيني" إلى

ناموس الخطية الكائن في أعضائي.» (رو: ٧: ٢٣)

+ «لأننا كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء، غير طائعين، ضالين، مستعبدين لشهوات ولذات

مختلفة.» (تي: ٣: ٣)

فالفداء هنا واقع تجاه الخطية بنوع شخصي محدد:

+ «الذي بذل نفسه لأجلنا لكي يفدينا من كل إثم ويظهر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمال حسنة.» (تي ٢: ١٤)

+ فهل يمكن أن يُقال أن ثمن الفداء وهو دم ابن الله دُفع ليد الخطية والإثم والنجاسة والشهوات الجسدية؟ أو كما أخطأ الكثيرون ووقعوا في المحذور وقالوا إن «دم ابن الله» دُفع للشيطان^(١)؟

ولكن علينا أن نتنبه أن دور المسيح كفاً لم يتوقف عند الفداء بالنسبة للإنسان في خطيته، ولكنه استمر يكمل عمل الفداء كشفع بدمه أيضاً، فهل هو الآن يتشفع بدمه لدى الخطية أو لدى الشيطان؟؟

الوضع الصحيح لنظرية الفدية: الثمن مدفوع لنا:

واضح إذاً أن الفداء أكمل لحساب الله، والدم الذي قدّمه المسيح ثمناً وفدية لم يسّسه لأحد غيرنا. قدم ابن الله أعطاه الله والمسيح لنا، للكنيسة، فنحن نملك دم المسيح، نحن نشربه ولكن بلا ثمن كدواء عدم الموت، وهو كشمس فديتنا أضيف لحسابنا ليفي كل ديوننا، إنه كنزنا وغنانا، وصار جزءاً من دمننا وحياتنا.

فالموت الذي مات به المسيح مات به لنا ولأجلنا، وأعطانا موته ليكون موتاً، وأعطانا دمه المسفوك ليكون دمناً: «اشربوا منها كلكم» (مت ٢٦: ٢٧). لذلك يقول بولس الرسول بكل وضوح إننا «هتنا معه» (رو ٨: ١٧)، فهو لم يمُت بعيداً عنا بل مات بجسدنا ودمنا ولحمنا، فنحن شركاء في هذا الجسد والدم ولا زلنا نشترك فيه، لأنه جسد ودم المسيح الحي المُقام. لذلك أصبحنا شركاء قيامته وحياته، ودمه فينا يحمل لنا قوة الموت والقيامة والحياة.

لقد وهبنا من صميم فدائه لنا بدمه قيامته وحياته، فصارت قيامته قيامتنا كلنا وحياته حياتنا كلنا. فالفداء الذي أكمله المسيح بدمه شِفَان: شِفَى سالبِي هو الموت ونحن الآن شركاء فيه، شركاء موته ودمه وآلامه، وشِفَى إيجابي بدمه أيضاً، لأن في دمه روحاً أزلياً لنا به قيامته وحياته التي صارت قيامتنا كلنا وحياتنا كلنا.

(١) لقد وقع في هذا المحذور كل من القديس أمبروسوس والقديس اغريغوريوس السيمي عن

F. Prat, op. cit., II, p. 194f.

فبشركة الفداء بموته امتلكتنا الموت وامتلكنا الفداء وامتلكنا الدم، فلنا بها النصرة على الموت والخطية.

وبشركة دمه المسفوك نلنا غفراناً وتطهيراً لخطايانا.

وبشركة آلامه وأحزانه وعار صليبه نلنا قوةً واحتمالاً في كل آلامنا وضيقاتنا واضطهاداتنا وأحزاننا من كل نوع، لأنها صارت شركة في آلامه القادية، فصارت شركة في صميم الفداء.

فانظر أيها القارئ وتمنن: إن آلامنا في الحاضر، كل آلامنا التي نجوزها تحت ضغط العالم والآخرين، أو التي نفرضها نحن على ذواتنا لكي نبقى على مستوى حياتنا ووجودنا واتحادنا في المسيح، هذه الآلام هي شركة في آلامه القادية، هي شركة في الفداء الذي أكمله بآلامه في بشرتنا ولأجلنا. فحينما قال بولس الرسول: «أقمع جسدي وأستعبده» (١ كور: ٩: ٢٧)، قالها وهو في حالة شركة مع المسيح، قالها من عمق إحساسه وممارسته لقوى الفداء التي حرره وتحرره كل يوم من حركات الطبيعة وغرائزها العاملة لمحاولة مباداة الخطية مرة أخرى في أحسادنا المائتة عن الخطية.

أنظر أيها القارئ وتفهم أن كل آلام وأتعاب وضيقات الجسد والنفس التي نعيشها لحفظ قداسة سيرتنا وطهارة قلوبنا وضمائرنا أمام المسيح والله هي شركة في آلام المسيح القادية من الخطية والموت. هي عمل لتكميل قوة الفداء في الجسد. هي فعل صميمي من أفعال الإيمان بالمسيح!!! سواء كانت جوعاً إرادياً أو عطشاً أو ربط البطن بصوم إرادي شخصي أو صوم طقسي عن أكل أو مشتهيات، كذلك أتعاب تقنين السلوك والامتناع عن المتع المؤدية إلى انحلال الأخلاق، كذلك أتعاب الوقوف في الصلاة والسجود والقراءة والسهرة والصمت المقدس. كل هذه جميعها هي أعمال مستمدة من قوة الفداء، من دم المسيح الذي اشترانا به لنفسه، وهي جزء لا يتجزأ من الإيمان المسيحي. وطالما نحن ماسكون بدم الفداء الذي غلب به المسيح الخطية فنحن غالبون.

إذاً، فالفداء ليس نظرية إيمانية عقلية تعمل في حياتنا من ذاتها، بل الفداء قوة أكملها المسيح في طبيعتنا لكي نعيش بها ونمارسها ونغلب بها لنحيا بها ونعبد الله!!

+ «قد اشترى بثمان فمجددوا الله، في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.»
(١ كور: ٦: ٢٠)

هنا، الجزء الأول من هذه الآية هو هو الفداء، والجزء الثاني من الآية هو هو النك بكل معناه. فالنك المسيحي هو ممارسة فعلية للفداء: «لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية»!!! (عب: ١٢: ٤)

إن آلامنا وأحزاننا هي لنا الآن جزء لا يتجزأ من الفداء، فهي نصرة على العالم، من أجل هذا يهتف بولس الرسول هكذا:

- + «الآن أفرح في الآمي.» (كو١: ٢٤)
- + «وقبلتُم سَلْبَ أموالكم بفرح.» (عب ١٠: ٣٤)
- + «كحزاني ونحن دائماً فرحون.» (٢ كو ١٠: ١٠)
- + «فبكل سرور أفتخر بالحرّي في ضعفاتي لكي تحل عليّ قوة المسيح.» (٢ كو ١٢: ٩)
- + «لذلك أُسرُّ بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح، لأنني حينما أنا ضعيف فحيثُ أنا قوي.» (٢ كو ١٢: ١٠)
- + «مَن سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم غري أم خطر أم سيف، كما هو مكتوب إننا من أجلك نُمات كل النهار، قد حُسبنا مثل غنم للذبح، ولكننا في هذه جميعها نعظم انتصارنا بالذي أحبنا.» (رو ٨: ٣٥-٣٧)
- + «آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيق أن يُستعمل فينا.» (رو ٨: ١٨)
- + «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً.» (٢ كو ١: ٥)
- + «عالمين أنكم كما أنتم شركاء في الآلام كذلك في التعزية أيضاً.» (٢ كو ٧: ٧)
- + «من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا أننا ننقلنا جداً فوق الطاقة حتى أبسنا من الحياة أيضاً، لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت لكي لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذي يقيم من الأموات.» (٢ كو ١: ٩ و٨)
- + «مكتشين في كل شيء لكن غير متضايقين، متحبرين لكن غير يائسين، مُضطهدين لكن غير مشرّكين، مطروحين لكن غير هالكين، حاملين في الجسد كل حين إمامة الرب يسوع لكي نظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا.» (٢ كو ٤: ٨-١٠)
- + «لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشأ لنا أكثر فأكثّر نَقْل مجد أبديّ.» (٢ كو ٤: ١٧)
- + «في كل شيء نَظهر أنفسنا كخدام الله في صبر كثير في شدائد في ضرورات في ضيقات في ضربات في سجون في اضطرابات في أعاب في أسهار في أصوام ...» (٢ كو ٦: ٥ و٤)

هذه السلسلة الطويلة من الآلام لا يمكن لأي بشر مهما أوتي من قوة ذاتية أن يحتملها، وإذا احتملها يستحيل أن يفرح فيها ويُسرّر بل ويفتخر ويطلب المزيد. إذاً فهي «آلام المسيح» بكل صدق ويقين وحق، وهي آلام الفداء التي وهبها لنا الله في المسيح، فهي آلام خلاصية، آلام فيها نصرة الفداء، وفيها الغلبة على الخطية التي هي أساس كل الآلام، والغلبة على الموت الذي هو قوة

الخطية. لذلك فكل من يوهب (٢) آلام المسيح، يعيش هذه النصره بكل مؤهلاتها من فرح وسرور وابتهاج واقتنار.

بولس الرسول يقول بوضوح إن آلامه هي آلام المسيح القادية عينها والتي فيها يتعزى بكل صدق: «لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً.» (٢ كو: ١: ٥)

لا يمكن أن تُنشئ الآلام تعزية إلا إذا كانت آلام المسيح القادية، لأن آلام الصليب أنشأت قيامة ونصره ومجداً وهزاءً أبدياً.

بولس الرسول يعيش آلام الفداء، لذلك يستمرى شدتها ويستعذبها ويطلب كثرتها.

يستحيل على أحد أن يطلب كثرة الآلام إلا إذا كانت هذه الآلام تفتح الطريق على المجد. لذلك يقولها بولس الرسول بصراحة وبقوة: «إن كنا نتألم معه، لكي نتمجد أيضاً معه» (رو: ٨: ١٧). هذه هي شركة آلام الفداء التي لها وحدها شركة المجد مع المسيح. والآلام الفدائية لا تنفصل عن الموت الفدائي، لذلك يقول بالتالي وعن حق: «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه شبه موته، نصير أيضاً بقيامته.» (رو: ٦: ٥)

هذا كله يعني أن موت الفداء الذي مات به المسيح هو موته، وبالتالى الفداء هو فداؤنا، لا كنظرية تُدرس بل حياة نحياها، وبالتالى وبالضرورة تكون حياة المسيح القائم من الموت هي حياتنا لأن قيامته هي قيامتنا. والآية هنا صريحة: «حاملين في الجسد كل حين إمارة الرب يسوع لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا» (٢ كو: ٤: ١٠). بولس الرسول هنا يستخدم قوة موت المسيح في جسده لإمارة جسده عن العالم والشهوات، وبذلك تظهر قوة قيامة المسيح وحياته في جسده بولس الرسول الذي أمات شهواته. هنا الفداء وقوته بالموت والحياة صار نبع المصائل والأخلاق، أي حياة يعيشها كقوة موت لإمارة الجسد وقوة حياة الروح. مرة أخرى نقول إن الفداء ليس نظرية لاهوتية ألّفها بولس الرسول، بل هي حياة النصره على الخطية وحياة تحويل الآلام إلى أفراح وأجساد، وتحويل الموت إلى قوة إمارة للجسد والشهوات.

المسيح لم يدفع الفِدْيَةَ والدم الثمين لرئيس العالم أو للخطية، حاشا، بل دفعها لنا بآلامها لكي نكون لنا ونكون نحن لها فتملكها كقوة مُخلصة.

(٢) «فد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمروا به فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله.» (١ ي: ٢٩)

ثانياً: نظرية التكفير بالإحلال — عقوبة بدل عقوبة — المسيح مات "هنا" (٣)

هذه النظرية تقوم على أساس مفهوم الذبيحة في العهد القديم، حيث ينص الطقوس على أن ذبيحة الضحية وموتها وخروج دمها هو عوض الخطيئة، باعتبار ذلك نفس عوض نفس: + «لأن نفس الجسد هي في الدم، فأنا أعطيتكم إياه على المدح للتكفير عن نفوسكم. لأن الدم يكفر عن النفس» (١١: ١٧) «... dvel ψυχῆς» (لا: ١١)

والطقوس العام بخصوص الذبائح من أجل الخطية يوضح نظرية الإحلال أو الاستبدال، الذبيحة عوض الخطيئة، ولكن الذي يتحتم أن يفهمه القارئ هو أنه لا توجد للخطيئة العمْد التي تستحق الموت في ناموس العهد القديم كله أية ذبيحة تعويضية بأي حال. فكل الذبائح هي عن خطايا السهو فقط حيث يُعلم بها الخطيئة بعد أن يكون اقترافها دون وهي. وإليك النص:

+ «إذا أخطأت نفس سهواً — في شيء — من جميع مناهي الرب التي لا ينبغي عملها وعملت واحدة منها: إن كان الكاهن ...، إن سها كل جماعة إسرائيل ... إذا أخطأ رئيس وعمل سهو ...، وإن أخطأ أحد من عامة الأرض سهواً ...، ثم أعلم بخطيئته التي أخطأ بها ... و يضع يده على رأس ذبيحة الخطية ويذبح ذبيحة الخطية في موضع المحرقة ... ويكفر عنه الكاهن فيصنع عنه» (لا: ١٠: ٣٥). أنظر الأصحاح كله، وهو عن ذبيحة الخطية السهو.

ثم يستمر سفر اللاويين في الأصحاح الخامس ويذكر جميع خطايا السهو التي يفترقها الإنسان سهواً ثم يُخبر بها، فيصير في الحال مذنّباً وعليه أن يقدم ذبيحة الإثم.

هنا وضع يد الخطيئة على رأس الذبيحة يشير إلى انتقال الخطية أو الإثم (السهو)، وتذبح الذبيحة بدلاً عن الخطيئة والمذنب، ويُفترق دم الذبيحة أمام مذبح الرب، أي أمام الله، وتُحرق بكاملها بعضها على المذبح والباقي خارج المحلة (لا: ٤: ٨—١٢). وبحرقها يكون الكاهن

(٣) الكنيسة البروتستانتية تتمسك بشدة بنظرية «التكفير بالإحلال»، أي أن «المسيح مات هنا»، بمعنى «ثانياً هنا»، ومع أننا لا نريد ولا نرتاح للمجادلات في أمر اللاهوت ولكن اضطررنا اضطراراً أن نوضح موضعاً من هذا الموضع لما فيه من أهمية روحية سيرتاج لها القارئ أشد الارتياح.

قد كُفِّرَ عن خطيئة الخاطيء (سهواً).

فليستبه القارىء هنا، فذبيحة الخطيئة في العهد القديم قُدمت عن الخاطيء، ودُبِحت عن الخاطيء، وماتت عن الخاطيء. أي أن الحيوان مات عن الخاطيء حتى لا يموت الخاطيء، فهنا الحيوان مات وحده، والإنسان لم يَمُتْ.

وهكذا في تقديم الكاهن دم الذبيحة أمام الله فإنه يكون قد قُدم حياة الذبيحة كقارة عن حياة الخاطيء.

والآن هل يمكن نقل هذا الطقس بمناه ومعناه إلى حقيقة الفداء الذي فيه قُدم المسيح جسده على الصليب؟

هنا عائق خطير يمنع التطبيق: وهو أن جميع ذبائح الخطيئة التي نص عليها العهد القديم هي كما سبق ونبها مراراً تصح فقط في حالة الخطيئة السهو *unwillingly = ἀκούσιως* أي بدون قصد. أما خطايا العمد أو التي عن قصد وبالإرادة فلا ذبيحة لها على الإطلاق في كل ناموس موسى. وبمعنى آخر أوضح أنه يستحيل إحلال أو استبدال نفس بنفس في حالة الخطيئة العمد، ذلك بحسب ناموس موسى. هنا يصعب التطبيق من قريب أو من بعيد على ذبيحة المسيح، لأن ذبيحة المسيح هي ذبيحة عن خطيئة العمد أولاً وكافة أنواع الخطايا التي يقصُر ويمتنع العهد القديم عن أن يقدم عنها ذبيحة بالمرة.

فهنا يستحيل أن تُحسَب ذبيحة المسيح أنها عوض الخاطيء أو عن الخاطيء أو بدلاً عن الخاطيء، لأن الخطيئة هي خطيئة عمد، والخطيء ينتحتم أن يموت موتاً ولا يمكن أن تُقدَّم عنه ذبيحة من أي نوع!

إذاً فما هي ذبيحة المسيح؟

ذبيحة المسيح هي موت الخاطيء بالفعل!! المسيح أخذ جسداً هو في حقيقته جسد الإنسان ككل، جسد جميع الخطاة، أخذه أولاً من العذراء والروح القدس طاهراً بدون خطيئة. ولكنه جسد حقيقي، هو هو بعينه جسد كل خاطيء، واقتبل في هذا الجسد خطيئة كل الخطاة، خطيئة العالم كله؛ وتقدَّم إلى الصليب وقَبِلَ «الموت» (كخاطيء) حاملاً خطيئة العالم كله؛ حتى إن كل خاطيء يعتبر نفسه في المسيح أنه مات بالفعل. فالمسيح لم يَمُتْ بعيداً عنا؛ بل مات بنا، ونحن متنا فيه، حتى حقاً لكل إنسان أن يقول: أنا قد مُتُّ، فأبطل حكم الموت عني، أنا في المسيح

قد جُزئت عقوبة الموت فلم يثد عليّ خطية ولا دينونة بعد. هذا الوضع يستحيل تصوّره بالنسبة للإنسان خاطيء خطية سهو في العهد القديم وقد قدّم عن نفسه ذبيحة شاة، إذ يكون لسان حاله فقط: أنا قد رُفِئت عني عقوبة الموت جزاء خطية السهو وحسب، أما خطية الغمَد فلا ذبيحة ولا تكفير عنها قط.

أي أن ذبيحة المسيح هي ليست على مستوى أية ذبيحة من ذبائح العهد القديم، وبالتالي لا تُستلّ لنظرية الذبائح المعروفة في العهد القديم بأية صلة، لأنها ذبيحة عن خطايا الغمَد التي امتنع العهد القديم بكل ذبائحه أن يعوّض عنها.

كذلك، فذبيحة الخطية في العهد القديم تُحرق بكاملها، بعضها على مديح المحرقة والباقي خارج المحلة، لا يذوق من لحمها لا كاهن ولا صاحب الخطية لأنها تحمل الخطية. والدم يُسك على الأرض لا يذوق منه أحد وإلا يُلتن. في حين أن ذبيحة المسيح تؤكل جسداً ودماً: «خذوا كلوا هذا هو جسدي»، «اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي.» (مت ٢٦: ٢٦-٢٨)

بمعنى أن الخطية في العهد القديم أصابت جسم الذبيحة الحيوانية باللعة، فامتنع الأكل منها جسماً، أما الخطية واللعة فأبطلت في جسم المسيح بموته فلاشت كلياً، وصار الجسد المقدس يؤكل والدم يُشرب للحياة والتقديس، فهما مقدسان وطاهران.

بمعنى أن المسيح لم يأخذ الخطية منا ليموت بها عوضاً عنا؛ بل أخذ جسد خطيتنا بعينه، وأما الخطية الفعلية فيه، ولاشاها منه بموته. فهو لم يمتّ وحده على الصليب، فنحن كما فيه على الصليب: «مع المسيح صُلبت.» (غل ٢: ٢٠)

ونحن كنا فيه لما مات بالجسد الذي هو جسّدنا وأما الخطية، خطية الغمَد القاتلة، التي في الجسد الذي هو جسّدنا: «إن كنا قد صرنا متحدّين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه، ليطل جسد الخطية... فإن كنا قد مُتْنَا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه.» (رو ٦: ٥ و٦ و٨)

إذاً فالمسيح صُلب، ليس وحده؛ بل «نحن صُلبنا معه». فكيف نقول صُلب عنا؟ والمسيح لما مات لم يمتّ وحده؛ بل «نحن مُتْنَا معه». فكيف نقول مات عنا؟ وقد سبق أن قلنا (ص ٢٨١-٢٨٤) أننا تألمنا معه. فكيف نقول تألم عنا؟

ولكن المسيح صُلب فينا — بجسد بشرتنا — من أجلنا، لذلك فنحن صُلبنا معه.

والمسيح مات بجسد بشریتنا من أجلنا، لذلك فنحن مُتُّنا معه .
والمسيح تألم في جسد بشریتنا من أجلنا، لذلك فنحن تألمنا معه .

ولملاحظ القارئ كيف دخل مفهوم «عني» في لغتنا العربية أيضاً بسبب خطأ في الترجمة قَلَّبَ المعنى وأضربَ بمفهوم الفداء أشد الضرر، وذلك في ترجمة نص الإيفخارستيا الذي جاء في إنجيل القديس لوقا وحده. أما في إنجيل القديس متى وإنجيل القديس مرقس فجاء النص صحيحاً سليماً بحسب النص اليوناني تماماً .

١ - إنجيل القديس متى:

+ «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال،

خذوا كلوا هذا هو جسدي،

وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً:

اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي للعهد الجديد،

الذي يُسَفِّك من أجل كثيرين *περι πολλων* [وهي لا تحتل أي معنى غير من أجل^(١)]

لخضرة الخطايا. » (مت ٢٦ : ٢٦—٢٨)

٢ - إنجيل القديس مرقس:

+ «وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً وبارك وكسر وأعطاهم وقال:

خذوا كلوا هذا هو جسدي،

ثم أخذ الكأس وشكر وأعطاهم فشرَبوا منها كلهم وقال لهم:

هذا هو دمي للعهد الجديد،

الذي يسفك من أجل كثيرين » [*ὅπερ πολλων* = من أجل^(*)] . (مر ١٤ : ٢٢—٢٤)

٣ - إنجيل القديس لوقا:

حيث الخطأ في الترجمة جاء في كلمة «عنكم»:

+ «وأخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً:

هذا هو جسدي الذي يُبَذَّلُ عنكم » [*ὅπερ ὑμῶν* (*)] هنا الترجمة العربية خاطئة ولا

4. Laddell & Scott, *An Intermediate Greek-English Lexicon*, p. 622.

5. Ibid.

تحتمل في اليونانية إلأ «من أجلكم»]

اصنعوا هذا لذكري،

وكذلك الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً:

هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي،

الذي يُشَفِّكُ عنكم (°) «] هـ الترجمة في العربية غامضة ولا تحتمل في

اليونانية إلأ «من أجلكم». [(لو ٢٢: ١٩ و ٢٠)

٤ — الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس (١١: ٢٣-٢٥):

+ «...أخذ خبزاً وشكر فكرر وقال: خذوا كلوا،

هذا هو جسدي المكسور لأجلكم (°) «

اصنعوا هذا لذكري،

كذلك الكأس أيضاً بعد ما تشربوا قائلاً:

هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي،

اصنعوا هذا كلما شربتم لذكري».

تصحيح نظرية التكفير:

١ — التكفير بالاغناد وليس بالإحلال.

٢ — بذبيحة حب وليس بذبيحة عقاب.

إذاً، ليس حيداً القول بأن ذبيحة المسيح على الصليب قدمها المسيح لله «عني» أو «عن

الخطيئة»، وذلك لأمرين كل منهما أخطر من الآخر:

الأمر الأول:

إذا كان المسيح تألم بعيداً عني ومات بعيداً عني، أي بدلاً مني فكيف انتقلت خطيتي

إليه؟ ثم كيف أخذنا غفران خطايانا منه أو لنا برّه فينا؟ ولكن الحقيقة هي أنه أخذ جسدنا،

واتحد به؛ ونحن بالإيمان عكسنا الوضع: أخذنا جسده، واتحدنا به، فصرنا فيه وهو فينا، حسب

قوله بنص القول: «وأنتم هي وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠)، علماً بأن المسيح قال ذلك قبل أن

يُصَلَّب!! فلما تألم وصُلب ومات، كنا فيه وكان هو فينا حسب قوله، فأما الخطيئة في الجسد

الذي أخذنا منا. فلم تنتقل الخطيئة منا إليه نظرياً، بل قُتِلَتْ وماتت حيث هي في جسد بشرتنا أي

جسد كل واحد من البشر:

+ «فالله إذ أرسل ابنه في شبه "جسد الخطية" ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد، لكي يتم حكم الناموس فينا.» (رو٣: ٤٥)

وحكم الناموس فينا هو الموت المحتم للخطية. إذًا، تم حكم الناموس فينا بالموت لما مات المسيح مباشرة، لأنه مات بجسدا، أي بجسد كل واحد منا.

+ «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلبَ معه، ليُنْقَلَّ جسد الخطية.» (رو٦: ٦)

إذًا، فالمسيح لم يكن بعيداً عنا لما مات، بل كما فيه ومثنا فيه لما مات، وهنا ليس جيداً أن يُقال: مات عنا، بل مات من أجلنا. لأن الإحلال هنا، أي أن المسيح حلَّ محلنا بأخذ عقوبة الموت عنا، يُضعف قوة الاتصال، لأننا بالاتصال والاتحاد فقط — الذي تم في التجسد — ننال قوة موت المسيح وقيامته. لذلك نسمع بولس الرسول الذي كان يحيا هذا الاتصال يقول: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في» (غل٢: ٢٠). ومرة أخرى يقول: «في الحياة هي المسيح» (في١: ٢١)، وكما يعبر كثيراً جداً باصطلاح حساس عن استمداده كل ما يخص الخلاص والعزاء والحياة مع المسيح بالاتصال الوثيق بقوله «مع المسيح صُلبْتُ» (Χριστῷ συν-εσταύρωμαι). (غل٢: ٢٠)

الأمر الثاني: المحبة حلّت في العهد الجديد محل العقوبة في العهد القديم:

هو موقف الله الآب من جهة ابنه. فالله بذل ابنه بدافع محبة للعالم حتى لا يهلك العالم بل تكون له حياة أبدية لكل من يؤمن به. لا يوجد هنا أقل شبهة في وجود عقوبة، فالبذل هنا سواء عند الآب أو عند الابن هو عمل محبة، فالله «هكذا أحب ... حتى بذل ابنه» (يو٣: ١٦)، والابن يقول: «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يو١٥: ١٣). هنا لا يوجد أدنى إحساس بالعقوبة. المسيح هنا لما بذل نفسه، لما تقدم إلى الصليب وقبل الموت، لم يكن هذا بالنسبة له عقوبة بل حباً. ولكن موته في جسدا نحسب لنا نحن أنه استيفاء عقوبة. فلما أكمل الموت أكمل حبه، فكان لنا نحن تكميل عقوبة أما هو فبالموت أكمل حبه!!

فلو كان الموت هو عقوبة الخطية — وهو كذلك حقاً في العهد القديم: «النفس التي تخطئ هي تموت» (حز١٨: ٢٠)، لكان الابن قد تحمل عقوبة الموت من يد الآب عوضاً عنا لاستيفاء عدل الله، وهذا غريب عن روح العهد الجديد وغير جائز، وإلّا صار عمل الابن — أي البذل — عقوبة، مع أن البذل حب، حب في دافعه وحب في نتيجته. الموت هنا بالنسبة للمسيح هو تعبير عن المحبة، ولكن بالنسبة لنا هو استيفاء العقوبة.

يستحيل أن يجمع الله الآب في قلبه نعمة العقوبة ليصحبها في ابنه ليموت عنا وبدلاً منا، مع نعمة المحبة التي أرسل بها ابنه باذلاً إياه كأقوى تعبير عن حبه من أجلنا حتى لا نهلك. كذلك، فالآلام الصنيعة التي تحملها الابن المتجسد مع عذاب الصليب والتشهير به حتى الموت، لم تكن لتنفيذ عقوبة فَرَضَها الآب عليه عوضاً عما، بل لتنفيذ تكليف محبة أكملها الابن في جسم بشرياً لتكون ميراثاً لنا. فالآلام لم تكن ثمن عقوبة بل ثمن محبة، والصليب لم يكن ثمن عقوبة بل ثمن محبة، والموت لم يكن ثمن عقوبة بل ثمن محبة: «الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل ٢: ٢٠)

أي أن بمحبته أكمل الموت الذي كان عقوبة عني وذلك بسبب محبته لنا وللآب بالطاعة واحتمال الآلام. وهكذا وازن بأعمال محبة أعمال عقوبتنا وجهتنا وخطايانا، كذلك بأعمال محبته رفع كل عقوبة عنا.

وهذا هو السر الأساسي في تجسد ابن الله، إنه عمل حب بالدرجة الأولى بعداً لكل البعد عن إحساس ومفهوم العقوبة، فلا الله الآب عاقب ابنه، بل عن حب تدله: ولا الابن عاقب نفسه، بل أحبنا وأسلم ذاته من أجلنا؛ ولا نحن وقع علينا عقاب في الحقيقة، بل فُزنا بالبراءة والمحبة والتسني. وبالرغم من ذلك نقفُ عدل الله، وتم حكم الناموس، ومات الخاطئ. فالمسيح مات بالجسد الذي هو جسداً وخطيتنا عليه، فمّم فيما نحن — وليس في المسيح — عدل الله: «لكي يتم حكم الناموس (القانون) فينا.» (رو ٨: ٤)

العقاب لا ينشئ حباً، ولكن الحب يلغي العقاب. لذلك، فالمسيح قام من بين الأموات، لأن عمل المحبة أو فعل المحبة لا يسقط أندأً ولا يموت! فأين العقاب؟

وليستبه القارئ «فالموت» الذي مات — ابن الله المتجسد — على الصليب لا ينحصر فقط في رفع عقوبة الخطية، بل ويتمدى رفع العقوبة مئات المرات وبما لا يُقاس، لأن موته على الصليب أعطانا طبيعة جديدة متحدة بطبيعته، أي نقل مستوى بشرتنا من حليقة مادية إلى خديقة روحانية جديدة، ووهبنا روح الله القدوس ليسكن في هياكلنا البشرية باعتبارها هيكل الله وروح الله ساكن فيها، ووهبنا حالة تبني لله بعد أن كنا عبيداً، وسكب فينا محبة أبوته على مستوى محبته لابنه الوحيد، لكي نحيا معه حياة أبدية.

فكيف نقول بعد ذلك إن المسيح بموته تحمّل العقوبة عنا؟ الصحيح أن بموته ألقى العقوبة، لأن موته كان بدافع الحب من الله وليس عقاباً، فلما ألغى العقاب ظهرت مفاعيل الحب الفدائي الكثيرة.

أو كيف القول أنه مات عنا إرضاءً لعدل الله؟

الصحيح أن بموته من أجلنا، وقد حزننا معه الموت واللعنة، يكون قد تم حكم الناموس (القانون) فينا كخطاة، فمبررنا. وهكذا يكون تم فينا عدل الله فتأهلنا مباشرة لمحبه وبره: «لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة.» (أف: ١: ٤)

مرة أخرى نقول إن المسيح مات لنا ولم يميت عنا.

المسيح قَبِلَ حكم الموت، ليس عقوبة، بل قيل عنه أنه «احتمل الصليب من أجل السرور الموضوع أمامه» (راجع عب ١٢: ٢). الموت كان سروراً له، الموت كان للمسيح كأساً مقدماً بيد الآب، كأس تكليف أبوي استلمها الابن بكل سرور الطاعة، ولما شربها تكلل بالمجد. ونحن أكملنا العقوبة التي علينا فيه في هذه الكأس. موت المسيح كان مجداً له، وكان لنا فيه تكميل عدل الله عن عصياننا.

المسيح لم يُعاقَب بالموت، بل بالموت ألغى العقاب. الموت الذي ماته المسيح أعظم وأجل من العقاب ألف مرة، إنه حبٌّ!! لذلك فالموت الذي ماته المسيح صار فداءً لحياة أبدية وليس عقاباً ينتهي بالبراءة، هو فداء حب، حب الآب للابن وللعالم. لذلك فالموت باعتباره موت فداء بدافع الحب الإلهي أنشأ كلَّ ما يتناسب مع المحبة، هكذا كما قال بولس الرسول: «كما احتارنا فيه قبل تأسيس العالم، لنكون قديسين وبلا لوم قدامه "في المحبة"، إذ سبق فمَيِّتْنَا للتبني يسوع المسيح لنفسه حسب مَسْرَّة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب. الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا، حسب غنى نعمته.» (أف: ١: ٤-٧)

فهل هذه النتيجة المزدحمة بِسَبْق الاختيار والتقديس، والوقوف أمام الله بلا لوم في المحبة، والتبني حسب مَسْرَّة الآب، ومدح مجد نعمته، التي أنعم بها علينا في المحبوب، والتي تمت بالفداء الذي «فيه ولنا» ممَّا بَمَقْتَضَى غنى نعمته، نقول هل هذه كلها يمكن أن تكون مجرد نتيجة لتحمل المسيح العقاب عنا؟؟ وأن يكون الله قد أكمل العقاب في ابنه عوضاً عنا؟؟

وأخيراً فإننا لا نعثر في رسائل بولس الرسول ما يوضح نظرية الإحلال والإبدال، أي أن يكون المسيح قد مات عوضاً أو بدلاً عنا. بل إن النصوص محصورة كلها في مفهوم «من أجل» وتأتي باليونانية *ὅπερ* وأحياناً *περί*، ولكن لا تأتي أبداً بمعنى «عوضاً عن» *ἀντί*:

+ «لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء، مات في الوقت المعين لأجل *ὅπερ* المُجَّار، فإنه بالجهد يموت أحد لأجل *ὅπερ* بار،

- ربما لأجل ὑπέρ الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت،
ولكن الله يَبْنِ محبته لنا، لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا ὑπέρ. (رو ٥: ٦-٨)
+ «مع المسيح صُلبت فأحياء، لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ. فما أحياء الآن في الجسد، فإما أحياء
في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي ὑπέρ.» (غل ٢: ٢٠)
+ «لا تُهَيِّكُ بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله ὑπέρ.» (رو ١٤: ١٥)
+ «وهو مات لأجل ὑπέρ الجميع ...» (٢ كو ٥: ١٥)
+ «الذي مات لأجلنا περί حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه.» (١ تس ٥: ١٠)
+ «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا ὑπέρ أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل
شيء.» (رو ٨: ٣٢)
+ «وشكر فكسر وقال حذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم ὑπέρ، اصنعوا هذا
لذكري.» (١ كو ١١: ٢٤)
+ «الذي بذل نفسه فِدْيَةً لأجل ὑπέρ الجميع.» (١ تي ٢: ٦)
+ «الذي بذل نفسه لأجلنا ὑπέρ لكي يقدِّسنا من كل إثم ويظهر لنفسه شعباً ...»
(تي ٢: ١٤)
+ «المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنة لأجلنا ὑπέρ.» (غل ٣: ١٣)
+ «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا ὑπέρ، لصير نحن براء لله فيه.»
(٢ كو ٥: ٢١)
+ «الذي بذل نفسه لأجل ὑπέρ خطايانا، لينقذنا من العالم الحاضر الشرير.» (غل ١: ٤)
+ «فإنني سلَّمْتُ إليكم في الأول ما قَبِلْتُهُ أنا أيضاً، أن المسيح مات من أجل ὑπέρ خطايانا
حسب الكتب.» (١ كو ١: ٣)

أنظر أيها القارئ وتَمَنَّ: لماذا لم يُقَلِّ بولس الرسول، ولا مرة واحدة أن المسيح صنع موتاً أو
فداءً بدلاً عنا = ἀντὶ؟ أليس لأن هذا لا يتمشى مع حقيقة الفداء؟ والذي يتضمن أننا نحن لم
نمت معه إن كان هو مات عنا؟ ولكن إن كان قد مات من أجلنا وبجسدنا، فنحن قد مُتْنَا معه
بالضرورة!! حسب قوله:

+ «إن كان واحد قد مات لأجل ὑπέρ الجميع، فالجميع إذا ماتوا.» (٢ كو ٥: ١٤)

لاحظ هنا أنه يتضمن أن الجميع جازوا الموت فعلاً، وهنا يكون قد أكمل الناموس لنا حقاً،
ولم يُعْفِهِم من الموت، بل جازَ بهم الموت الذي غَلَبَهُ، فغلبوا بموته الموت وقاموا معه.

+ «وهومات لأجل ὁπερ الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم ὁπερ وقام.» (٢ كور ٥: ١٥)

ثالثاً: نظرية استرضاء وجه الله (١)

وتقوم على أساس تصادم العدل عند الله في مواجهة الخطيئة، فالله قدوس والخطيئة إساءة مباشرة لقداسته، وهنا عدالة الله تنبيري للخطيئة الذي أساء إلى قداسة الله وكرامته فلا تتركه دون عقاب. وهكذا يقف الخطيئة أمام عدل الله مُداناً إلى أن تُرفع الإساءة ويُكفّر عنها.

وإذ لا توجد خليفة ما قادرة أن تعوّض عن إساءة الخطيئة عن عمد ضد الله الذي لا يُعَدُّ، لهذا لَزِمَ أن يكون للوسيط هذه اللاعمدودية. لذلك لَزِمَ أن يتجسد ابن الله ليسترضي أولاً عدل الله حتى ينسكب حب الله ورحمته للإنسان. فهنا عدل الله في مواجهة الحب والرحمة، حيث على الابن المتجسد أن يسترصي العدل أولاً ليسترد الحب والرحمة لبني الإنسان، مُقَدِّماً باسم الإنسان ما يوازي أو يعادل الإساءة التي اقترفها ويقرّفها الإنسان ضد قداسة الله وعدله.

هنا الصداق بالموت الذي يؤديه ابن الله في بشريته يرفعه بلاهوته ليتساوى مع طبيعة الله اللاعمدودة في أثره الاسترضائي، في أسمى برهان على طاعته البنوية، ليستعيد حب الله ورحمته على بني الإنسان.

هذا المنطق الديالكتيكي(*)، بقدر ما أنه يدخل في الحبك الفلسفي التأملي بقدر ما يعتمد على البساطة التي في المسيح وعن واقع الفداء بصورته المجروحة الدموية. فالصليب، وإن كان يمثل حكمة الله غير المحدودة، إلا أنه في بساطته في متناول فكر طفل.

وفكرة استرضاء الله وإن كانت مستمدة من العهد القديم، فـ «يهوه» — النار الآكلة — في العهد القديم قد صار، جيلاد ابن الله واستعلان بُنُوته، أباً يسكب روحه — بدل اللعنة — على كل بشر. لذلك فصورة الله في هذه النظرية (وهو طالب مَنْ يسترضي عدله وكرامته) لا تتناسب الآن مع: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَنْ يؤمن به بل تكون له

(١) هـ للأسف نجد كثيراً من الآباء القدماء وحتى آباء المصوّرين الوسطى من بعض المحدثين ساروا على هذا النمط اللاهوتي.

(*) أي لدى يعتمد على «خوار»، «السؤال» و«جواب»، «الفرص» وفيه ثم معاداة المتناقضات.

الحياة الأبدية» (يو: ٣: ١٦)، حيث الله الآب هنا هو الذي يطلب استرضاء الإنسان المظلوم المخدول المُهان والمطروود، ساعياً أن يرّده إلى كرامته الأولى.

كما أننا نجد، في نظرية استرضاء الله، الحوار قائماً بين الآب والابن لحساب الإنسان، وكأن الإنسان كمية مهسلة لا دخل لها في الحوار، في حين أن التجسد يُدْخِل الإنسان في عملية الفداء كشريك بالدرجة الأولى، فمجسد الإنسان ودمه تم الفداء باتحاد لاهوت الاثنين.

كذلك نجد في نظرية الفداء كاسترضاء الله أن عملية الفداء تنتهي باسترضاء الابن للآب، وحينئذ ينتهي الحوار وتنتهي الرواية المأساوية باسترداد كرامة الله.

ولكن بحسب الواقع العملي، نجد الفداء لا ينتهي عند هذا الحد، فالابن المتجسد دخل من واقع الفداء إلى الأقداس العليا بدمه ليكمل الفداء: «دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً» (عب ٩: ١٢). وحتى الإنسان وإن كان قد استعاد بالفداء رضى الله وحبّه وبرحمته، إلا أنه لا يزال ينتظر مزيداً من الفداء:

+ «فإننا نعلم أن كل الخليقة تشن وتتمخض معاً إلى الآن. وليس هكذا فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نشن في أنفسنا متوقعين فداء أجسادنا.» (رو: ٨: ٢٢ و٢٣)

وإن كان بعض الآباء الأول قد استخدموا هذه النظرية، أي نظرية الفداء القائم على استرضاء الله، فذلك لم يكن من واقع إيمانهم الشخصي المباشر في مهم وتفسير الفداء بعد ذاته، ولكن كان بسبب الدفاع الذي قاموا به ليردوا على سؤال الوثنيين: [لماذا صار الله إنساناً؟]

هنا أدخل هؤلاء الآباء الفداء باعتباره الضرورة التي حُتِمَت تجسد ابن الله وبنوا عليها هذه النظرية التأملية الفلسفية التي تنتهي بحقيقة واحدة وهي ضرورة تجسد ابن الله.

ضعف النظريات الثلاث السابقة،

وجزوة «الفداء الشمولي»

أي اعتبار المسيح يشمل ويجمع البشرية كلها في ذاته

ولكن إذا عدنا لفداء في حد ذاته ومن جهة صلته العملية بالخلاص الفعّال في الفكر والقلب والجسد معاً، يشعر الإنسان أن هذه النظريات جافة يعوزها وعي وحركة الروح.

أما فكر الآباء عموماً بخصوص الفداء فيدور حول عنصر أساسي ورثناه عنهم في المقولة التي نرتل بها في التسيحة اليومية المقدسة:

[هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له فلنُسبِّحه ونعجده ونزدهُ علواً] (ثيوتوكية الجمعة).

هذا المبدأ اللاهوتي المضيء ملأ فكر الآباء الأول جميعاً. فالله أرسل ابنه في جسد إنسان لكي يتم الخلاص بإنسان، فالمسيح يجمع البشرية كلها في ذاته. والله لما أراد خلاصنا، صمم أن يخلصنا في طبيعتنا التي نخضعنا والتي نحتاج إلى إعادة خلقة، لذلك تجسد ابن الله وصار إنساناً مثلاً في كل شيء ما عدا الخطية.

فلما مات المسيح بدافع الحب والطاعة للآب، أكمل نحيبه حكم الموت في كل إنسان في البشرية كلها، أو على الأصح، أكمل الإنسان العقوبة الواقعة عليه من داخل عمل محبة المسيح وطاعته حتى الصليب لأن المسيح مات بجسد البشرية. وهذا هو المعيار اللاهوتي الأساسي عند بولس الرسول:

+ «لأن محبة المسيح تحصرنا (أي تجمعنا كأنا واحد)، إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا. وهو مات لأجل الجميع، كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام.» (٢ كور: ١٤ و١٥)

هنا مفهوم الفداء يخرج بمعيار عملي ثابت هام وخطير وهو الربط والجمع: «فالجميع إذاً ماتوا»، وهو ما مهّد له في أول الآية: «لأن محبة المسيح تحصرنا». هنا أصبح من نتيجة الفداء العملية هذه الوحدة والرابطة في المحبة التي تحصر الجميع. كيف ولماذا حدث هذا الترابط وعلى أي أساس؟ الجواب هو على أساس أن «موت المسيح هو موتنا»، لذلك أصبحت «حياة المسيح هي حياتنا»، أو أننا في المسيح نحيا جميعاً كقول بولس الرسول: «لأنه كما في آدم يموت الجميع،

هكذا في المسيح سيحيا الجميع» (١ كور ١٥: ٢٢). أما الكلمة الحارمة التي حرست هذه الشمولية فهي كلمة: «من أجل» (ὅτι)، بمعنى أن موت المسيح لم يكن موته هو بل موتنا نحن بالحقبة! لأنه مات «لأجل» — أي لصالح — الجميع!!

وعلينا أن نلاحظ أنه في موت المسيح الذي أكمله في جسد «البشرية ككل»، جمع الكل في جسده الواحد، وهذا هو الذي جعل الفداء عملية شمولية شملت بل جمعت الكل في الواحد، ففي لحظة موت المسيح ماتت البشرية ككل. على هذا الأساس يقول بولس الرسول: «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذا ماتوا.» (٢ كور ٥: ١٥)

ولنلاحظ القارئ هنا فشل النظرية القائلة أن في الفداء مات المسيح عن الجميع، وإلا تكون النتيجة المنطقية: «إذاً الجميع قد أغفوا من الموت»، وبهذا يبطل الفداء، في حين أن قصد الفداء الأساسي هو أن يجرز الجميع الموت بموت المسيح، فينتهي الموت إلى الأبد.

هذه الشمولية التي أحدثها الفداء بموت المسيح لأجلنا وفي جسدها، حتى حق لنا أن نقول إن «الجميع قد ماتوا»، هذه الشمولية يعود ويوتقها ميراث المعمودية والإفخارستيا. فبالمعمودية نعتبد لموت المسيح الشمولي عينه، وبالإفخارستيا نشترك في الجسد الشمولي الواحد المذبح بعينه. ثم تعود وتنتقل من الواقع العملي على الصليب ومن الواقع السري في العمد والإفخارستيا إلى الإيمان القلبي بالفداء الذي يعطي حق الموت والحياة.

ويلاحظ أن بولس الرسول حينما يقول: «محبة المسيح تحضرنا» (٢ كور ٥: ١٤)، فهو يقصد المحبة الإلهية من نحونا. هذه المحبة هي التي تُلْهِبُ قلوب المؤمنين من نحو المسيح أولاً فتفتح طاقات الروح لتنعكس المحبة بكاملها من نحو الآخرين في إنكار ذات، فتؤدي إلى مزيد من الترابط والشمولية التي هي من جوهر عمل الفداء.

هذه النتائج المتتالية للفداء، من الصعب العثور عليها في نظرية استرضاء الله أو في نظرية إحلال المسيح محلنا بالموت عنا، أو حتى في نظرية دفع الفدية لرئيس هذا العالم، لأن عنصر الترابط والشمولية يعوزها جيماً، وهو من صميم عمل الفداء.

كذلك يهمنا هنا أن نتعرض لمعنى قول بولس الرسول: «فالجميع إذا ماتوا» (٢ كور ٥: ١٥). فما هو هذا الموت؟ هنا ينقسم الآباء إلى قائل بأنه موت جسدي من واقع الحال بموت الجسد، وإلى قائل بأنه موت روحي من واقع الحال السابق بالبعد والاختفاء عن الله. وإلى قائل بأنه موت

أخلاقي من واقع الانغماس في الشرور. وإلى قائل بأنه موت ميتيكي مرئي نرى نتائجه وعلاماته ولا نستطيع أن نحصره في هوية معينة. والحقيقة أن هذا الموت يشمل بالفعل كل المعاني السابقة وأكثر.

وموت المسيح على الصليب هو الذي جعل الفكر يقف مكتوفاً لا يستطيع أن يحصر هذا الموت في اتجاه واحد. فالجسد مات بالفعل ولكن كان معه الأين: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مر ١٥: ٣٤). إذا لم ينحصر الموت في الجسد فقط، فهو يُقَدُّ عن الله. ثم بالقيامة بجسد آخر جديد غير خاضع للحواس وفي نفس الوقت يمكن إخضاعه للحواس، هيأ لنا إمكانية الموت في العمودية موتاً حقيقياً على مستوى موت الصليب لنوال نفس قوة القيامة العاملة في الجسد لتجديده. هذا هو الموت الميتيكي الذي لا يقتل قوة وفعلاً عن الموت الجسدي الذي يستمد الموت منه كياه كموت.

كما يتحتم التفريق بين قول بولس الرسول أن «الجميع ماتوا في آدم» (١ كور ١٥: ٢٢)، وأن «الجميع ماتوا في المسيح» (٢ كور ٥: ١٤)، فإن هناك فارقاً هائلاً بين الموت في آدم والموت في المسيح، حيث الأول أنشأ قضية خاسرة محزنة في حياة الإنسان وأخلاقه ومستقبله، في حين أن الموت في المسيح أنشأ إلغاء كاملاً وشاملاً للقضية الخاسرة بالموت في آدم، إذ أعطى حق الحياة والخلقة الجديدة وحق العودة إلى الله. إذاً، فالمسيح أمات بموته موت آدم بكل توابعه. وهذا يستقرنه بوضوح في الفارق بين: أتين المسيح ساعة الموت: «إلهي إلهي لماذا تركتني» (مر ١٥: ٣٤)، وبين هتاف النصر بعد إكمال واجبات هذا الموت بالقول: «قد قام المسيح من الأموات» (١ كور ١٥: ٢٠)، «ورفعه الله... فوق كل اسم» (في ٢: ٩)، «وصعد فوق جميع السموات» (أف ٤: ١٠)، «أجلسه عن يمينه» (أف ١: ٢٠)، «ولا يسود عليه الموت بعد» (رو ٦: ٩)!

هذا الفارق بين موت آدم وموت المسيح، نقرأه أيضاً بوضوح في الآية السابقة: «وهو مات لأجل الجميع، كي يعيش الأحياء...» (٢ كور ٥: ١٥). فهو موت حياة، في حين كان موت آدم موتاً لهلاك!!

«الفداء الشمولي» ببر المسيح تجاه الخطية

يعود بولس الرسول إلى الفداء في وضعه الشامل للبشرية، ليتعرض له ليس من جهة الموت الذي مات به المسيح بل من جهة العنصر المسبب للموت، وهو الخطية، حينما أخذها المسيح بالتدبير من يد الآب بالرضى لتدخله بصفته المطلقة أو الشمولية في قوله:

+ «لأنه (الله) جعل الذي لم يعرف خطية خطية لأجلنا، لنصير نحن براء الله فيه.»
(٢ كور: ٥: ٢١)

هنا في الحقيقة يعطينا بولس الرسول صورة أخرى للفداء الشامل المعين مبتدئاً من نقطتين وهما: «الخطاة والخطية»، في مقابل صورة الفداء السابقة التي طرقها من جهة «الجميع والموت». فهنا بولس الرسول يكشف الفداء في جوهر فعله وتعامله: الخطاة والخطية. فالمعروف أن الخطية شملت البشرية جمعاء. فالخطية فعل شمولي (ولا نستطيع أن نعطيها كلمة «جوهر» أو «طبيعة» لأن كل الأعمال السالبة ليست جواهر، وهي تستمد وجودها الكاذب من غياب الوجود الحقيقي كالظلمة والنور). فالخطية كفعل سلبي شمولي شملت البشرية.

هنا بولس الرسول يستعلن سرّاً حديداً من أسرار الفداء، وهو أن الله لكي يتعامل مع الخطاة لا بد أن يتعامل مع الخطية «الفعل السلبي» الذي سلب البشرية وجودها الحقيقي مع الله. فلكي يصل ابن الله إلى كافة خطاة الأرض، يلزم أن يلبس أو يعمل فعل الخطية أو كيانها السلبي المدمر. ولا خوف على ابن الله، لأنه لم يفعل الخطية قط وهو معصوم عن فعلها، لذلك أمكه أن يحتويها — كفعل أو كيان سلبي — يؤثر هو فيها ولا تؤثر هي فيه إلا بما يسمح به هو وإلى حين (بالموت).

هنا أيضاً ننتبه أنه حامل جسد «البشرية»، فياحتوائه لفعل الخطية الشمولي السلبي أصبح ليس حاطشاً — فهذا مستحيل — بل «خطية» !!! لأنه لم يفعل ولن يفعل الخطية بل هو حامل لكيانها السلبي الفعال وحسب.

ولكن يلزم أن ننتبه أن المسيح كإبن الله هو «البار»، لا لأنه يصنع البرّ وحسب بل لأنه يبرّر الفاجر، وهذا بحسب طبيعته الفائقة ولاهوته. هنا قدرة المسيح الفائقة لحمل البر والخطية معاً! ثم وبهذه القدرة الفائقة أصبح قادراً بطبيعته الفائقة هذه وهي قائمة في صميم الطبيعة البشرية أن يعطي البشرية البرّ الذي فيه بقدر ما يأخذ الخطية التي فيها — أي في البشرية.

[هو أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له فلنسبحه ونعجده ونزده علواً] (ثيوتوكية الجمعة).

ولكن ليلاحظ القارئ، أن الخطية لم تنتقل من البشرية أو من الخاطئ إلى المسيح، ولا البرّ انتقل من المسيح إلى الخطاة ليبرّرهم. فهي ليست عملية إحلال وإبدال، بل إن «البر والخطية» معاً هما كائنان في المسيح، وكما أخذ الخطية في بشرته ككل أعطى البرّ لبشرته ككل، فنحن

صرنا بالإيمان والمعمودية:

بلا خطية فيه،

وأبراراً فيه،

وقديسين فيه.

فكل مَنْ آمَن واعتمد بالمسيح وأحبه، واتحد به، يكون قد نال البر وتبرُّر، وتقدُّس فيه.

وليلاحظ القارىء، أنه كما أن «الخطية» هي فعل شمولي ككيان سلبي أخذه المسيح في طبيعتنا بإرادته لِيُنْهِيَ عليه، كذلك «البر» هو جوهر شمولي إيجابي أصلاً في طبيعة المسيح، وقد سلَّمه للطبيعة البشرية بالاتحاد في التجسد، واستعملته في نفسه بالقيامة بالجسد من الأموات!

الفصل السابع

تكميل الفداء بالقيامة والروح القدس

أولاً — تكميل الفداء بالقيامة من الأموات — التبرير —

الفداء تم على مرحلتين، الأولى بالموت، حيث مات الموت أُمات المسيح الموت؛ والمرحلة الثانية بالقيامة من بين الأموات، حيث استعلن بر المسيح الذاتي وتحقق أنه غلب الموت، فأعطى البشرية فيه الحياة الجديدة. لذلك، فكلُّ من الموت والقيامة يمثل الفداء بدون تمايز، ولكن بالقيامة من الأموات كمل فعل الفداء الذي بدأ بالموت.

+ «الذي أُسْلِمَ من أجل خطايانا، وأُقيمَ لأجل تبريرنا.» (رو٥: ٢٥)

بولس الرسول هنا يعتمد على نبوة إشعياء النبي:

+ «من أجل أنه سكب للموت نفسه وأُحصيَ مع أئمة، وهو حمل خطيئة كثيرين، وشفع في المذنبين.» (إش٥٣: ١٢)

هنا إشعياء النبي يصف بدقة أنه بإرادته سكب للموت نفسه، ثم أوضح العلة والسبب الذي دفعه إلى ذلك بقوله مباشرة أنه بعمله هذا «أُحصيَ مع أئمة»، ثم عاد إشعياء يصحح المعنى لئلا نخطئ، فليس لكونه أُحصي مع أئمة أنه صار أئيماً، بل إنه «حَمَلَ خطيئة كثيرين» («كثيرين» في العبري تفيد الكل). أما شفاعته فواضح — ولو أنها كانت غير واضحة في رؤية إشعياء — أنها تفيد ما بعد الموت حتماً.

ولكن الصعوبة في آية بولس الرسول هي في السؤال: كيف نتبرَّر بقيامته؟ ولماذا ينحصر التبرير في القيامة وليس في الموت؟ هنا بالعودة إلى القيامة بالنسبة للمسيح نجد أنها تمت بقوة

الروح القدس، وبالقيامة استعلن برُّ المسيح، بمعنى أنه لم يَمُتْ كخاطيء، وإلا ما كان قد قام. فلأنه قام من الموت، فهذا معناه أنه غلب الموت فاستعلن برُّه، وليس فقط استعلن برُّه، بل وتحقق أنه ابن الله: «وتعَيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات» (رو: ١: ٤)، بل واستعلن أن تجسده هو: «الله ظهر في الجسد». هذا يؤكد بولس الرسول في قوله: «وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح...» (١ تي: ٣: ١٦). هنا «تبرر في الروح» تفيد في اليونانية «تحقق برُّه» في الروح أي بالقيامة بالروح القدس.

والآن، إن كان المسيح قد سكب للموت نفسه من أجل الخطاة، فهو قام من أجلهم حتماً وبالضرورة. والآية في ذلك واضحة: «وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام.» (٢ كو: ١٥)

كما هو واضح أن قيامة المسيح نفسها شملت قيامة المؤمنين به: «أقامنا معه.» (أف: ٢: ٦)

فإن كان المسيح قد استعلن برُّه بقيامته من بين الأموات،
وإن كان قد قام من الأموات من أجلنا،
وإن كنا قد قمنا معه،

فيكون استعلان برِّ المسيح بالقيامة من الأموات هو أيضاً وبحد ذاته استعلان لتصويب برِّنا معه
أو هو لتبريرنا. فكما قام من أجلنا، هكذا يتوجب أن يصير برُّ قيامته من أجلنا.

علماً بأن كلمة «بر» δικαιοσύνη في أبسط معانيها هي حالة أعلى من البراءة، فهي نوال عطية الله بالتزكية بعد الخلو من الخطايا والعيوب، والتبرير هو الحكم بالتزكية أمام الله تمهيداً لنوال محبة الله ورحمته.

والله له قدرة أن يبرِّر لأنه بار وكلِّي البر وبرُّه فقال كالحب والرحمة. فكما أن الله له أن يحب أو يرحم من يشاء (رو: ٩: ١٨)، هكذا يبرِّر من يشاء ويبرِّر الفاجر أيضاً (رو: ٤: ٥) لا بمقتضى أعمال الفاجر بل بمقتضى برِّ الله الشخصي الخلاق، الذي يدعو الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة (رو: ٤: ١٧).

+ «طوبى للذي غُفِرَ إثمه وسُتِرَتْ خطيته، طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية.» (مز: ٣٢: ٢٠١)

وهذا هو أظهر صفات الله التي يتميز بها في مقابل عدله، حتى إن الذي «يؤمن بالذي يبرِّر

الفاجر، فإيمانه يُحسب له برّاً. « (رو: ٥)

وعند الله والمسيح «البر» هو عكس «الدينونة»، «والبار» هو الصمة المتقابلة مع «الدينان»، و«التبرير» هو الحكم المقابل لحكم «الإدانة»:

+ «لأنه إن كانت خدمة الدينونة مجدّاً، فبالأولى كثيراً تزيد خدمة البرّ في مجد». (٢ كو: ٣: ٩)

+ «وليس كما بواحد قد أخطأ، هكذا العطية، لأن الحكم من واحد للدينونة، وأما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير». (رو: ٥: ١٦)

+ «فإدّاً، كما بخطيةٍ واحدٍ صار الحكم إلى جميع الناس "للدنونة"؛ هكذا ببرّ واحدٍ صارت "الهبة" إلى جميع الناس لتبرير الحياة». (رو: ٥: ١٨)

أما بالنسبة للإنسان، فالبارّ هو المقابل للخطيء:

+ «لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد لجبل، لكثيرون خطاة؛ هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجمل الكثيرون أبراراً». (رو: ٥: ١٩)

و «خطية» الإنسان يقابلها «برّ» المسيح والله. ولا يوجد للإنسان برّ ذاتي بالمرة لأنه خاطيء بطبعه وليس بارّاً: «كما ملكت الخطية في الموت، هكذا تملك النعمة بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا». (رو: ٥: ٢١)

فإن كان المسيح قد تزكّى، أي ظهر برّه بالقيامة من الموت، هكذا قام ليزكّي، أي يبرّر، كلّ من يموت ويقوم معه.

ونحن نموت مع المسيح ونقوم معه: بالإيمان، وبالمعمودية:

أما بالإيمان: فهذا يوضحه بولس الرسول بإسهاب على مستوى البر الذي ناله إبراهيم بالإيمان: «فآمن إبراهيم بالله فحُسِبَ له برّاً» (رو: ٤: ٣)، ويصيف بولس الرسول: «ولكن لم يُكتب من أجله وحده أنه حُسِبَ له، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسب لنا، الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات، الذي أُشِيمَ من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا» (رو: ٤: ٢٣-٢٥)، كذلك: «لأنك إن اعترفت بعصك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خَلَصْتَ». (رو: ١٠: ٩)

أما بالمعمودية: «... أنا كلّ من اعتمد ليسوع المسيح، اعتمدنا لموته، فلذلكنا نحن بالمعمودية للموت، حتى كما أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في حدة الحياة.

لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته. » (رو ٦: ٥-٣)

وهكذا نجوز الموت والقيامة على مستوى الفعل السرّي مع المسيح. فهنا شركة الموت مع موت المسيح — بالإيمان والمعمودية معاً — تعتقنا من جسد الخطية: «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلِبَ معه ليُثَقَّلَ جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية. » (رو ٦: ٦)

ثم شركة القيامة في قيامة المسيح — بالإيمان والمعمودية معاً — تُبرِّرنَا، أي تُزَكِّينَا في الحياة الجديدة وأمام الله، حيث نقف دائماً أمامه بلا لوم!

والتبرير ليس عقيدة نؤمن بها غيباً، بل هي حقيقة نحسها في يقين الإيمان، الإيمان الذي يذكّره الروح القدس ويجعله خضوعاً حقيقياً لله فتتقابل مع وعد الله بالتبرير بثقة وتأكيد معاً، لأن التبرير هو انفتاح حقيقي للإيمان: «لنكون قديسين وبلا لوم قُدَّامه في المحبة» (أف ١: ٤). وهذه الثقة وهذا اليقين يقومان على أساس تصديق الله أولاً وقبل كل شيء وعلى اعتبار أن تبريرنا هو جزء لا يتجزأ من حقيقة برّ المسيح وقيامته، بل ويتعلق ببرّ الله نفسه، لأنه صالحنا لنفسه ويستحيل أن نقف أمامه دون أن نستمد برّاً منه أيضاً في دالة النوة التي نلناها في المسيح، لأن قيامة المسيح أقامتنا معه وأصعدتنا معه لتتواجه مع الله فيه. لذلك أصبح تبريرنا بقيامة المسيح أمراً حتمياً، وإلاّ يستحيل علينا أن ندخل دائرة الله، وتكون قيامة المسيح عجزت عن أن تكمل فداءنا وخلصنا ومُصْلِحَتنا مع الله. علماً بأن الله لا يبررنا بعباده ولكن بنعمته — وبجناناً، لأنه يستحيل على إنسان أن يُحَاكِمَ أمام الله ويتبرّر، ولكن تبرير الله نكتسبه بنوع الهبة المجانية بالإيمان بالمسيح على أساس ذبيحته التي كُفِّرَ بها عن خطايانا، ففُفِّرَتَ لنا، وعلى أساس برّه الذي وهب لنا؛ وهكذا استُعلنَ بر الله لَمَّا ساعنا بخطايانا. فالله، لأنه بارٌّ، فحتماً يظهر عمل برّه:

+ «متبررين مجاناً بنعمته،

بالفداء الذي ببسوع المسيح،

الذي قدمه الله كفارة، بالإيمان بدمه،

لإظهار برّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله،

لإظهار برّه في الزمان الحاضر (بالقيامة من الأموات)،

ليكون باراً (الله)، ويُبرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ بِبِسُوع. » (رو ٣: ٢٤-٢٦)

هنا تتداخل ثلاث مبادرات من الله الآب، يكملها ثلاثة أعمال يأتيها المسيح ويستجيب لها الإنسان بثلاثة أيضاً:

دور الله:

- + إذ يرى استحالة خروجنا من سطوة الخطية بإمكانياتنا، صمم أن يبرّنا مجاناً بحسب غنى نعمته.
- + ولذلك دبر بكل حكمة وفطنة أن يقوم ابنه بعمل الكفارة لينفي الخطية.
- + وهو بهذا قصد أن يوضح لنا أنه بارٌّ حقيقة، سواء في الماضي إذ عاملنا من جهة خطايانا السالفة بإمهال لطفه، أو في الحاضر بإظهار برّه عملياً إذ برّنا بالإيمان بابنه، وهكذا شمل الله الآب عملية خلاص الإنسان بالنعمة، والحكمة، والبر معاً.

دور المسيح:

- + أكمل الفداء وخلّص الخطاة، وهو بهذا كان مُستجيباً مع نعمة الله وامتثالاً معها.
- + وأكمل الكفارة بموته بكل حب و طاعة بإبطال الخطية التي وقفت حاجزاً بين الإنسان والله، فرفع الحاجز. وكان بهذا مستجيباً لحكمة الله.
- + وبقيامته تحقّق برّه، فصار الإيمان به مصدراً للتبرير. وبهذا التحم برّ الآب ببرّ الابن.

دور الإنسان:

- لم يقف بعيداً عن عملية الفداء بكل مشتملاتها:
- + استجاب بالإيمان بموت الرب وبهذا حاز بجدارة على نعمة الله المجانية.
- + استجاب لعمل الكفارة، وصلّب الجسد على صليب المسيح، فقتلتم لحكمة الله أي الصليب.
- + استجاب لقيامة المسيح وآمن بالذي هو قادر أن يقيم الموتى، فحُيِبَ إيمانه له برّاً.

ثانياً – تكميل الفداء بعمل الروح القدس على طول المدى

وفوق كل المكاسب التي ربحناها بقيامة الرب يسوع المسيح من الأموات من جهة التبرير، تظل هناك عطية تختص بتكميل الفداء على طول المدى وهي عطية الروح القدس، التي أوضحها سفر الأعمال في يوم الخمسين وأوضحتها الأناجيل، خاصة إنجيل القديس يوحنا، الذي فيه ربط المسيح إرسال الروح القدس بقيامته وانطلاقه إلى الآب. هذا جمعه بولس الرسول في تعبير واحد، وإن كان في شيء من الغموض، ولكنه يعبر عن عمل المسيح بالروح وفي الروح بعد القيامة كما رآه بولس على طريق دمشق من السماء، هكذا:

- + «صار آدم الإنسان الأول نفساً حية، وآدم الأخير روحاً حيياً.» (١ كو ١٥: ٤٥)
- + «نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (٢ كو ٣: ١٨)

+ «وأما الرب فهو الروح...» (٢ كور ٣: ١٧)

+ «ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب.» (غل ٤: ٦)

واضح من هذا أنه بعد القيامة ظل المسيح عاملاً بوجوده الروحي الشخصي الدائم، وبروحه أيضاً، كينبوع يفيض باستمرار وبلا انقطاع بنعم ومواهب وتجديد وتشجيع يفوق الحصر^(١).

وقفه قصيرة لمراجعة مراحل الفداء:

وهكذا نستطيع أن نجتمع عمل الفداء الذي عمله، ولا يزال يعمل، وسيعمله المسيح في المستقبل أيضاً هكذا:

+ كل ما عمله بالفداء والكفارة بدمه على الصليب والقبر والقيامة مرة واحدة في الطبيعة البشرية كأساس،

+ وكل ما يزال يعمل بقوة الفداء الذي أكمله بالقيامة مرات ومرات في كل نفس وجسد، ليحضرها أمام الآب بلا لوم.

+ كل ما عمله المسيح من أجلنا،

وكل ما يعمل المسيح داخلنا.

+ كل ما عمله على الأرض زمنياً،

وكل ما يعمل الآن في السماء وإلى الأبد.

+ كل ما عمله بشخصه،

وكل ما يعمل بروحه.

+ كل ما عمله لتأسيس عهد البر للمصالحة مع الله،

وكل ما يتشفع به الآن وبالروح على طول المدى لتوثيق عهد البر للمصالحة مع الله.

الفداء يرسم درجات استعادة الإنسان لموقفه مع الله هكذا:

+ في عدن سقط الإنسان في العصيان، وطرح من أمام وجه الله؛

+ على الجلجثة يتخلص الإنسان من العصيان بالطاعة في المسيح، وينفتح له الباب المغلق لطريق السماء.

(١) راجع:

«الروح القدس فينا في لاهوت پولس الرسول»، الباب الأول الفصل الثاني.

«عمل الروح القدس في التبرير»، الباب الثالث الفصل الثاني.

«الروح القدس في الكنيسة»، الباب الخامس الفصل الأول.

+ بدخول الخطية تفتت الإنسان، ومزقت العداوة؛

+ بدخول النعمة النحم الإنسان معاً في المسيح في قداسة وحدة الجسد، ونهياً بالحب للاتحاد بالله.

والفداء بهذه الصورة، أعلن أن الله نفسه هو مؤسس النعمة، ومدبر الحكمة، وصانع البر. واستعلن ابنه رئيس السلام.

وتحقق أمل كل النبوات في إعلان مسرة الله في بني الإنسان!

ونجمل هذا كله في قول بولس الرسول عن الفداء وكأنه ينشد نشيد الحب الذي برح بقلب الآب، فلم يطق أن يرانا في أسر الموت قعوداً، فأفاض من حبه وغنى رحمته ونعمته ولطفه الفائق، فكان الفداء!!

+ «الله الذي هو غني في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح — بالنعمة أنتم مخلصون! — وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع، ليظهر في الدهور الآتية غنى نعمته الفائق، باللطف علينا في المسيح يسوع.» (أف: ٢: ٤-٧)

هنا في هذه الصورة الحقيقية الواقعية لعمل الفداء، ينتفي كل ما صورته كثير من اللاهوتيين عن الله كصاحب دين على الإنسان، يطالب بالدفع ويتحايل لكي يسترضي ذاته بتفريم ابنه وحده! أو كقاضي العدل يطالب بالقصاص، والنقمة في يمينه، ويقع الابن وحده صريع حق العدالة! ويتعذب على الصليب.

الفصل الثامن

النتائج المباشرة التي ترتبت على الفداء

أولاً - المصالحة

إيجابية الله المطلقة:

علاقة الإنسان بالله هي علاقة مخلوق بخالقه ، فهي علاقة تبعية . وهي تأتي على مستويات بحسب نظرة المخلوق لخالقه ، وأيضاً بحسب نظرة الخالق للمخلوق .

الله قدوس ، بمعنى أن الطبيعة الفائقة في سموها وإيجابيتها المطلقة ليس فيها شيء مما للحليقة ، وذلك من جهة السلبيات . فهو كليّ العلم وكليّ الحكمة وكليّ الصلاح وكليّ الحب وكليّ الرحمة وكليّ العدل أيضاً . فكل ما هو ليس من هذه الصفات غريب عنه ولا يقترب إليه ، وإن اقترب يتلاشى . فإيجابية الله فعالة كالثور الذي إذا اقتربت إليه الظلمة تلاشت ليبقى النور هو النور بكل كيانه ، لا يقل ولا يتبدد ولا يتغير . كذلك فهو كليّ العلم ، فكل جهالة حُطِرَ عليها إن هي اقتربت منه فهو يحوها ، وكذلك الحكمة وبقية صفات الله .

ولكن وراء هذه الصفات المطلقة ، هناك القوة الخالقة التي في جوهرها تعطي ونشكّل وتجعل ، مما يجعل لهذه الصفات المطلقة قدرة أن تقترب هي من حليقتها لتمنحها وجوداً وكياناً أفضل ، لذلك قيل أن الإنسان مخلوق على صورة الله . فالله دائم الاتصال بالإنسان ليقرّبه إليه ، حتى تظل الصورة تحاكي أصل كيانها وتمتد فيه إلى الأكثر .

الخطية حالة عداوة لله :

ولكي يجعل الله مجال الاقتراب إليه مفتوحاً من جهته نحو الإنسان ، وضع له وصايا إذا تمها زاد اقترابه وزاد تغييره ، وبالتالي زاد أخذه لصفات الله ليكون على صورة خالقه . فإذا تعدى هذه الوصايا ، أصبح متعدياً على العلاقة التي تربطه بخالقه ، فيتوقف الاقتراب ويتوقف التعبير . ولكن

إذا تمادى الإنسان في التعدي، تحوّل الاقتراب إلى ابتعاد وتغرب الإنسان عن الله كخالق له، وعن الصورة التي له.

ولكن إذا امتزج التعدي بعد ذلك بازدياد الوصية وصاحبها، دخل الإنسان في مجال النفور والصدود وتحوّل التعدي إلى عداوة، فيتمرّض الإنسان إلى القوة التأديبية حيث تنبيري إيجابية الله لتقتصر من سلبية الإنسان لتلاشيها: «فقال الرب لموسى مَنْ أَعْطَا إِلَيَّ أَحْوَه مِنْ كِتَابِي..» (خر ٣٢: ٣٣)

الخطية هي التعدي على وصايا الله. فالخطية كفعل سالي مبنية على الله لأنها تتحدى صفات الله: «أُحِبُّتُ يَعْقُوبَ وَأَبْغَضْتُ عِيسَى» (رو ٩: ١٣). والله يتعامل مع الخطية على درجات تناسب مع تحديها لصفاته القدوس. فخطايا السهول ليست كخطايا القمء. لذلك جعل الله لخطايا السهول في العهد القديم أعمالاً يقوم بها الإنسان ليصحح بها علاقته مع الله، فأوصى بتقديم الذبائح الحيوانية^(١)، فتعددت الذبائح بتعدد درجات الخطية من جهة نوع التعدي. أما خطايا القمء فلم يجعل الله لها تصحيحاً بل جعل لها عقوبة الموت. لأنه لماذا يعيش من يتحدى صاحب الحياة ومُعطّيها؟ وإن عاش مهوّلوث الصورة التي خُلِقَ عليها ويزداد في تلويثها، وبهذا يتلف قصد الله من خلقته للإنسان أصلاً.

كيف تعاملت إيجابية الله المطلقة مع خطية الإنسان؟

وهكذا يبدو الله عنيفاً كل العنف تجاه الخطية حينما تأخذ صورة التعدي المتمدد على وصايا الله. ولكن هذا بحسب الظاهر فقط، أما بحسب الحقيقة، فجوهر صفات الله إيجابي مطلق ليس فيه السلبيات. والحكم بالموت سلبياً قاطع لا يتناسب قط مع إيجابية الله. لذلك فمن خلف عنف الله ضد الخطية وبالتالي الخاطئ الذي يتحدى عامداً وحتى مزديراً بوصايا الله، تعمل الإيجابية بنشاط في محاولة احتواء الخطية كفعل سالي والتعامل معها للملاشاتها، حتى يبقى قصد الله من تقريب الإنسان ثابتاً لا يميل ولا يهتز بسلوك الإنسان السليبي والعناني^(٢).

(١) أنظر ص ٤٠١-٤٠٣.

(٢) هناك صورة لمفد الله السليبي تجاه الخطية والخطاة، وكيف ينتمي وراء هذه الصورة عنها الروح الإيجابية. والصورة هي لشعب إسرائيل وهو يتمرد على الله في البرية والرب يعص سخطه وغضبه، ثم تأتي الأيام فتكشف ماذا كان في قلب الله من حب ورحمة وعطف خلف هذه الصورة عنها ولقد الشعب عنه.

الصورة: «وقال الرب لموسى حتى متى يهينني هذا الشعب وحتى متى لا يصدقوني... إني أضربهم بالوفاً وأبدهم.» (عد ١٤: ١١ و ١٢)

ما وراء الصورة: «قد ذكرت لك غيرة صالك عجة خطبتك ذهابك وراثي في البرية...» (إر ٢: ٢)

لذلك فعنف الله الشديد تجاه الخطية والخطاىء حسب الظاهر، يستند من الخلف، بحسب قصد الله، خطة الفداء تتبارى فيها صفات الله وطبيعته الإيجابية جميعاً للاشاة الخطية والاستمرار في تقريب الخطاىء وتغييره لتظل صورته تنمو وتزداد حسب قصد الله الأري، ويزداد قُرْبُهُ إلى الله ونحياً متنعماً بحبه وأبُوته!!

هنا يمكن أن نأتى إلى الاصطلاحات اللاهوتية لنتمتع معها بكل سهولة، حيث يمكن أن نستوعب الآن قول بولس الرسول:

+ «ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه.» (رو ٥: ١٠)

+ «وأنتم الذين كنتم قبلاً أجنبيين وأعداء في الفكر في الأعمال الشريرة، قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت، ليُحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه.» (كو ١: ٢٢ و ٢١)

العجيب هنا أن نجتمع «العداوة» مع «المصالحة» تجاه الله، والذي جمعها هو المسيح في موته، حينما حل طبيعتنا وهي في حالة العداوة مع الله بسبب الخطية المتملئة فينا والتي شكلت عنصر العداوة المستحكمة مع قداسة الله؛ حل عداوتنا وجعلها في مواجهة قداسة الله الفعالة في طبيعته، فقتل العداوة بموته وقام بقدامته حاملاً بشريتنا وهي في حالة مصالحة مع قداسة الله!!

+ «لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً، ونقضى حائط السياج المتوسط،

أي العداوة، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا ...

لكي يخلق ... في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً،

ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب،

قاتلاً العداوة به (بالصليب).» (أف ٢: ١٤-١٦)

+ «الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح.» (أف ٢: ١٣)

واضح أن الإنسان كان في خطيته في حالة عداوة كحالة قائمة ساكنة بلا رجاء، وذلك شأن السالبة. والتحرك جاء من قِبَلِ الله، وذلك شأن الإيجابية النشطة الخلاقة التي تُركبها كل صفات الله وطبيعته. هذه الحركة يلزم أن ننتبه لها جداً ونقدِّرها أشد التقدير وبعثنتها بل نعانفها، فهيها يكمن كل رجاء البشرية ومستقبلها السعيد وخاصة بالنسبة للخطاىء الذي فقد الحركة والقوة على الحركة، وانبطح على الأرض مستغرقاً في يأسه وموته، فهو — وهو بهذا الموت — له من يسعى إليه في السماء بحركة إيجابية يستحيل أن يعوقها عائق مهما كان سلبياً، وهو قادم إليه حتماً ليحمله

على منكبيه. هذا هو الله في كل مواقفه مع الإنسان في كل أزمنة جهله وعناده وعداوته الشكلية التي لم تُعقِ الله ولن تعوقه حتى يكمل كمال قصده في صورته التي خُلِقَ.

بولس الرسول طَبَّقَ هذه الصفة الفريدة في الله على شعب إسرائيل الذي أخطأ أشع خطية إذ رفضوا مسيحاً إسرائيل، وقتلوا مسيح الأمم، بأن واحد، فدخلوا في حالة عداوة متعدّدة مع الله؛ ولكن بقيت وراء هذه العداوة صورة إيجابية الله بوعودها التي يستحيل أن تسقط من نحو هذا الشعب، يقول بولس الرسول:

+ «من جهة الإنجيل (الذي رفضوه) هم أعداء من أجلكم (ليفسحوا الطريق لدخول الأمم)، وأما من جهة الاختيار (الوعد) فهم أحياء من أجل الآباء، لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة.» (رو ١١: ٢٨ و ٢٩)

عجيب حقاً أن يحمل الله حالة عداوة، وحالة محبة معاً ولشعب مُتَعَدِّ! أما العداوة فواضح سببها، وأما المحبة فكيف تكون؟ الجواب نراه مختفياً في الآية السابقة: «وهذا هو العهد من قبلي لهم، متى نزعْتُ خطاياهم» (رو ١١: ٢٧). فالله وإن أفرزهم وحاصرهم في عداوتهم له، إلا أنه لا يزال يخطط كيف سينزع خطاياهم أيضاً في الوقت المحدد: «وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص» (رو ٩: ٢٧)، «إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل، إلى أن يدخل ملؤ الأمم وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (رو ١١: ٢٥ و ٢٦)

من هذا نفهم أنه يستحيل أن يبقى الله في حالة عداوة للإنسان مهما غالى الإنسان في عداوته لله!! فإيجابية الله حتماً ستبلغ هدفها للمصالحة وتتخطى كل سلبيات الإنسان.

وليستبه القارىء، فإن العداوة بالنسبة لله تصبُّ على الخطية وبالتالي على الخاطئ؛ أما المصالحة فهي تنحصر في الخاطئ فقط عندما يخلص من خطيته، لأنه لا تصالَح مع الخطية من جهة الله. لهذا تتمتع المصالحة عن الخاطئ طالما خطيته باقية.

أما بالنسبة للإنسان، فهو يستحيل عليه أن يدرك حقيقة صلاح الله أو يشعر بحاجته الحقيقية للمصالحة طالما هو مُسْتَعَبِدٌ للخطية، لأن الخطية تعمي عين الإنسان عن الحق والصلاح. ولكن الخطية يمكن أن تزُيْف حالة صلح كاذب مع الله لكي تبقى وتظل تنخر في عظام الإنسان وحتى لا يستبه إليها الإنسان أو ينشغل بها: «وهم غير مُرضين لله وأضداداً لجميع الناس، يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكي يخلصوا، حتى يتمموا خطاياهم كل حين؛ ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية.» (١ تس ٢: ١٥ و ١٦)

لذلك، فالمصالحة يلزم أن تكون متبادلة عن حقيقة واحتياج من جهة الإنسان، وعن رؤية شافية لخطورة بقاء الخطيئة مستترة وراء الإحساس الكاذب بالمصالحة، لتلا يعيش الإنسان في حالة خديعة لا يستيقظ منها إلا بعد فوات الأوان ويكون هذا منتهى قصد العدو.

بدء المصالحة:

المصالحة بدأت كفعلٍ نَغْلَقُ الخَلِيقَةَ كُلَّهَا وَتُفْتَحُ أَنْ سَفَكَ دَمَ ابْنِ اللَّهِ:

+ «لأن فيه سُرٌّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمَلَأِ،

وَأَنْ يَصَالِحَ بِهِ الْكُلُّ لِنَفْسِهِ،

عَامِلًا الصَّلَاحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ بِوَاسِطَتِهِ،

سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات.» (كو ١٩: ٢٠)

المبادرة للصالح جاءت هنا من الله كلياً. وجاءت من نحو الخلقية كلها، والتي يمثلها الإنسان على الأرض. وقد هيأ الله لهذه المبادرة الفاعلية الشاملة، بأن جعل في المسيح كل ملء الكيان الإلهي مع كل النعمة والقوة، ليكون «الإنسان»، الذي سبق في آدم أن جلب الغضب والعداوة بالخطيئة على الإنسان والخلقية؛ ليكون الإنسان أيضاً «الإنسان في يسوع المسيح» (١ تي ٢: ٥)، هو الذي يرفع حالة الغضب والعداوة، يرفع سببها الوحيد وهو الخطيئة، وذلك بقبول حكم الموت الواقع على الإنسان بصورة كلية وشاملة، ليتبرأ الإنسان يسوع المسيح ومعه الخلقية ويدخل الكل في حالة مصالحة مع الله. وهنا «المسيح» كَمُصَالِحٍ للكل، يدخل بصفته الخالق للكل والوسيط بين الله والإنسان.

والمسيح لم يصالح الله بالإنسان والعالم كطرف ثالث بين الله والإنسان، بل لأنه ابن الله والإنسان معاً، لذلك صالح الطرفين معاً في نفسه وبدمه. صالح الله بالإنسان وصالح الإنسان بالله وبقي مُصَالِحاً كما هو، عنصر مصالحة، — في ذاته — فقالاً: فليس بموته وبدمه فقط تمت المصالحة، بل وبقيامته وحياته استمرت وتستمر، بل وترقى لتنتقل من مصالحة إلى خلاص أبدي، ليظل المسيح مصدر تسبيح وتمجيد ومجد للآب بواسطة الإنسان:

+ «لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه،

فبالأولى كثيراً ونحن مُصَالِحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ،

وليس ذلك فقط بل نفتخر أيضاً بالله، بربنا يسوع المسيح الذي لنا به الآن المصالحة.»

(رو ١٠: ١١)

ولكن لكي نفهم مضمون هاتين الآيتين أكثر، ينبغي أن نعود إلى الآيتين السابقتين عليهما:
 + « ولكن الله يَبْنِي محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا،
 فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه، نخلص به من الغضب. » (روم: ٥: ٨)

وفيهما ابتداء بحالنا كخطاة (الآية ٨)، ثم انتقل إلى حالنا تحت الغضب (الآية ٩)، ثم انتقل
 إلى حالنا ونحن أعداء (الآية ١٠)، وبالمقابل نقلنا من خطاة إلى متبررين (الآية ٩)، وإلى
 مُصَالِحِينَ (الآية ١٠)، ومن تحت الغضب (الآية ٩) إلى الخلاص (الآية ١٠). كل ذلك لأن
 المسيح انتقل من حالة الموت الذي ضمن لنا به الصفح إلى قيامة الحياة الممتدة في الأبدية.

ومن هذا التدرج نتيبن الوجهين للقداء: الوجه السلبي «القداء بالموت وسَفْكَ الدم»،
 والوجه الإيجابي «بالقيامة واستعلان الحياة الأبدية فيه».

ولكن تأتي (الآية ١١) كنتاج يعلو فوق هامة الآيات جميعاً حيث لا يكتفي بولس الرسول بأن
 نكون مُصَالِحِينَ ومُخْلِصِينَ بموت المسيح وحياته كنتيجة مباشرة للقداء الذي أكمله، بل يزيد عليها
 فعلاً من أفعال القداء والخلاص تجدّ خطير وجديد على أسماعنا، وهو استعلان القداء والخلاص
 بتسبيح الإفتخار بالله والمسيح!! فتمجيدنا لله والمسيح هو تكميل عمل الخلاص — من جهتنا —
 الذي سيدوم معنا إلى الأبد، وهذه هي الرابطة التي تربطنا منذ الآن بالسمائيين في خورس واحد
 لإقامة ليتورجيا مشتركة دائمة على الأرض وفي السماء.

ولكن ليس على الإنسان بقْد، أن يقدّم واجبات التصالح، ولكن عليه فقط أن يقبل صلح الله
 له في شخص ابنه. لقد أوقف الله كل مآخذه على الإنسان، لقد رفعها المسيح جميعاً مستخدماً
 بشرتنا في تقديمها، فالمصالحة تمت فينا وبنا وانتهت إلينا. ومرة أخرى نوضح أن المصالحة آتية من
 الله الأب رأساً ومنتهية فينا، والمسيح هو العامل الوحيد الذي أكملها. فالمسيح هو عامل مصالحة
 لحساب الله، ولكننا نحن الذين تقع علينا المصالحة ونحن المستفيدون منها. الله رفع بواسطة المسيح
 كل معوقات المصالحة وكل العداوة السابقة. هذا العمل هو في حقيقته تكرير كبير للإنسان، له أن
 يفتخر به، ولكن ليس في نفسه بل يفتخر به في الله شاكرًا المسيح الذي أكمله لنا.

خدمة المصالحة:

+ « ولكن الكل من الله الذي صالحنا لنفسه يسوع المسيح،

وأعطانا خدمة المصالحة،

أي إن الله كان في المسيح مُصَالِحاً للعالم لنفسه،

غير حاسب لهم خطاياهم،
وواضحاً فينا كلمة المصالحة،
إذاً نسمى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا،
نطلب عن المسيح: تصالحوا مع الله!» (٢ كور ٥: ١٨-٢٠)

بولس الرسول هنا من واقع معاجاته السابقة على هذه الآيات يوضح أن كل علاقة الإنسان الجديدة بالله لم تأت من تسلسل بشري ولا نبوي، حتى يكون للإنسان ضلع فيها، بل يؤكد أن كل ما تم من مصالحة جاء رأساً من الله عن طريق المسيح وبواسطته. وقد صارت البشرية كلها بذلك خليقة جديدة متساوية في الجلالة، وكل العتيق الذي من العهد القديم انتهى بكل موارثه المتسلسلة:

+ « إذاً، إن كان أحد في المسيح (بالروح) فهو خليقة جديدة (ليس بحسب الجسد تفكر وترى)،
الأشياء العتيقة قد مضت (الفكر بحسب الجسد لأموال العهد القديم)،
هوذا الكل قد صار جديداً.» (٢ كور ٥: ١٧)

وإلى هنا يكون بولس الرسول قد مهّد لنفسه أن الكل بعد أن تصالح مع الله صار خليقة جديدة، ولكن ميثاق الله الرسل بميزة واحدة وهي أن يركزوا بالمصالحة ويخدموا هذه النعمة الجديدة، أي المصالحة كما خدمها المسيح. فالرسل يُعتبرون جميعاً وعلى التساوي خُدّام المصالحة، كمجرد سفراء عن المسيح لتكميل خدمة المسيح، حاثّين المؤمنين أن يقبلوا الصلح مع الله!

وهكذا سارت المصالحة على هذه الدرجات:

(أ) الله أراد حسب مسرّة مشيئته أن يصالح العالم — عالم الإنسان — لنفسه.

(ب) اختار المسيح — الابن المتجسد — أن يقوم بعملية المصالحة في جسم بشرتنا بصورة مطلقة، برفع عائق المصالحة وهي الخطية من جذورها بصفة مطلقة، فلا تعود خطية قط تُعمق حالة الصلح.

(ج) اختار الله الرسل، ليستلموا بالنعمة من المسيح وبواسطته ليخدموا المصالحة، بقوة الكلمة بالروح. ولا امتيازاً لرسول عن رسول، فالكل أخذ المصالحة من المسيح وأخذ خدمة المصالحة من الله.

(د) دعوة المؤمنين أن يقبلوا هذه المصالحة باعتبارها آتية من الله رأساً وبواسطة المسيح، الذي بروحه ونعمته يخدمون، على أساس أن الله «غير حاسب لهم خطاياهم»، وهذه هي

أخطر وأقوى كلمة في خدمة المصالحة!! وهذا هو محور الإيمان بالمسيح والله وقلب المسيحية النابض.

وطبعاً، إيمانٌ مثل هذا هو الذي يؤثّر كل طبيعة الخليقة الجديدة والحياة بالروح وليس بالجسد، لأن تحولَ الله من ديانَ للإنسان بسبب عائق الخطية، إلى مُصالحٍ بسبب رفع عائق الخطية، يتحتم أن يقابله تحولُ الإنسان من حالة العداء المتحكم مع الله بسبب الخطية المتسلطة، إلى حالة استعداد بقبول حالة المصالحة مع الله، على أساس قبول نعمة الله بالإيمان بيسوع المسيح الذي ألقى سلطان الخطية الذي سيطر على الإنسان واستعبده وأفسده.

أي أن قبول الصلح مع الله من يد المسيح كوثيقة مُضادة بدمه، يتحتم أن يكون في مقابل الإيمان الواثق بدم المسيح لقبول النعمة التي لها سلطان رفع الخطية وإبطائها من الجسد: «لأنكم بالنعمة مُخلّصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله.» (أف ٢: ٨)

+ حينما يحس الإنسان إحساساً واقعياً في أعماقه أن سلطان الخطية قد أبطل فيه بالنعمة، فإنه يحس في الحال بالمصالحة مع الله!

+ هذا الإحساس الواقعي بالإيمان يأخذ قوته وواقعته حينما يدرك الإنسان أن قوة المصالحة وعطيته قد تمت له بالفعل حتى قبل أن يفكر فيها، وذلك في جسد المسيح الذي أكمل به رفع الخطية وأكمل بذلك حالة المصالحة العامة للبشرية في جسم بشرته، أي دون مبادرة من الإنسان أو سعي!

+ «وأن يصالح به الكل لنفسه عاملاً الصلح بدم صليبه.» (كو ١: ٢٠)

+ «ويصالح الاثنين (يهوداً وأممًا) في جسد واحد مع الله بالصليب، قاتلاً العداوة به.» (أف ٢: ١٦)

بمعنى أن الإنسان يدخل بالفعل في حالة مصالحة مع الله — والآخرين — بالإيمان. والإيمان قائم على عملي للمصالحة شامل أكمله الله تماماً بالمسيح — على مستوى عالم الإنسان ككل — وصار جاهزاً لقبوله بالإيمان مجاناً.

ثانياً — إبطال عوائق المصالحة

١ — الخطيئة، (والموت التابع لها).

٢ — الناموس.

١ — الخطيئة

الله إذ أحب الإنسان، صمم في نهاية زمان تأديبه وهو واقع تحت وصاية الناموس الذي كان يمثل زمان شقائه وتفرُّبه عن الله، أن يرفع سلطان الخطيئة من طبيعة الإنسان التي أشقته وغرَّبتَه عن الله:

+ « لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطيئة والموت،
لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد،

فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطيئة ولأجل الخطيئة دان الخطيئة في الجسد. » (رو ٨: ٣ و ٢)

« دان الخطيئة »:

يعني حكم عليها بالموت، ولكن ليس معنى هذا أن الله أعاد للإنسان ما فقده آدم بسبب الخطيئة وحسب، وإلاَّ يكون الإنسان في وضع يمكن السقوط منه ثانية في نفس الخطيئة والوقوع تحت حكم الموت من جديد.

ولكن الله عوض أن يردِّنا إلى طبيعة آدم الأولى، أعطانا درجة أعلى بما لا يمكن أن يتصوره الإنسان.

فالله عوض أن يلغي حكم الموت عن طبيعة الإنسان وحسب،
أعطانا في طبيعتنا عدم الموت!!

+ والله عوض أن يُبطل الشهوات وسطوة الفرائث التي يستخدمها الشيطان ليخزي من خلالها الإنسان لاقتراف أشنع الخطايا، أعطانا قوة الغلبة عليها مع كل مجازاة البصرة وإكليلها!!
« الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات. » (غل ٥: ٢٤)

+ الجسد ميت بسبب الخطيئة ويسير نحو الموت الطبيعي،
« إذأ لا تملكُ الخطيئة في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته. » (رو ٦: ١٢)

فلم يُعد يحيا بالخوف تحت حكم الشيطان الذي له سلطان الموت، بل ينتظر قيامة أبدية للمجد والغلبة.

+ نحن نتعارك مع الجسد وننازعه في شهواته،
ولكن لسنا عبيداً تحت سلطانه! إذ نستمد وجودنا من فوق.
+ الشر وميوله الشريرة تقتحمنا وتصطنع فينا حرباً،
ولكن لنا السيادة عليها بأدوات للحرب أنقضى!
«لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.»
(رو ٨: ٢)

+ فلا الخطية تُخضعنا رغماً عنا،
لأن قوة النعمة ماسكة بإرادتنا!
+ ولا الموت (الأبدى) قادر أن يقترب إلينا، فدم المسيح وفيه الحياة الأبدية هو داخلنا. وقد
دخلنا في التأمين على أرواحنا بالروح القدس الساكن فينا.
«... القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية، وإنما
أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح، الذي أبطل الموت وأناور الحياة والخلود
بواسطة الإنجيل.» (٢ تي ١: ١٠ و ٩)

وليُنتبه القارئ:

الموت أبطله المسيح على الصليب — وبصورة علنية — عندما قام حياً بجسد بشريتنا!
فالموت لم يُعد موتاً لنا بل باباً للحياة الأبدية.
وبالأكثر لم يعد الموت يفصلنا عن المسيح: «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ ... لا موت ولا
حياة...» (رو ٨: ٣٥ و ٣٨)، «فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن.» (رو ٨: ١٤)

الموت الآن يعدُّنا للقيامة،

وعندما تأتي القيامة ينتهي الموت: «آخر عدو يُبطل هو الموت» (١ كو ١٥: ٢٦). الموت يعمل
فيينا الآن على مستوى الجسد فقط، على مستوى ما عملت الخطية في جسد المسيح، فالمسيح مات
بالخطية ونحن الآن نموت معه بذات الجسد. ولكن المسيح قام من الموت وأعطانا الآن القيامة
بالروح من الموت لنحيا بالروح حتى وإن كان الجسد مُماتاً!!

نحن الآن نموت بالجسد ولكن نحيا بالروح معاً وبآن واحد، نموت بإرادتنا ونحيا بنعمة المسيح:
+ «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية.» (رو ٦: ٦)

- + «الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.» (غل ٢٤: ٥)
- + «وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطيئة، وأما الروح فحياة بسبب البر.» (رو ٨: ١٠)
- + «فإن كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه.» (رو ٨: ٦)

واضح إذاً أن الموت الذي يعمل فينا الآن هو موت جسدي فقط بالنسبة للجزء الذي فسد فينا، استعداداً للقيامة حيث يلبس عدم الفساد:

- + «لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت» (١ كو ١٥: ٥٣). أي لا بد أن نتخلص من الجزء الفاسد فينا لكي نلبس المجد.
- + «الذي سيغير شكل جسد تواضعنا (الفاسد) ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء.» (في ٣: ٢١)

أنظر أيها القارئ وتفهم: لو كان المسيح مات عنا كدافع للدين، أو مات «ليسترضي وجه الله عنا» كمن وقعت عليه عقوبة الموت عوضاً عنا، ما كنا نتعرض للموت الآن قط، لأنه طالما هو دفع الدين عنا فلماذا تبقى علينا بقايا ديون؟ وطالما هو تلقى كل عقوبة الموت عنا ليسترضي وجه الله فبرئنا، فلماذا تبقى العقوبة إلى الآن ونموت؟

ولكن الحقيقة أن المسيح مات لأجلنا *οπερ* بالجسد أي ببشرتنا، وجازت معه بشرتنا الموت عن الخطيئة فرفع عنها عقوبة الموت روحياً وليس جسدياً، لأن الموت جسدياً ساد على المسيح فكيف لا يسود علينا جسدياً؟

ولكن كما أن الموت لم يُسَدَّ على المسيح لأنه لم يثُث كخاطئ ليتقى في الموت ولكن كحامل للخطيئة فقط وقد نفضها عنه بالموت، كذلك قام بعدها بالجسد والروح ومجد لاهوته.

وهكذا لن يسود الموت علينا روحياً، فنحن بانتظار القيامة بعد موت الجسد.

- + «لأن الذي مات قد تبرأ من الخطيئة» (رو ٧: ٦) سواء بالإيمان أو المعمودية !! لذلك: «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع.» (رو ٨: ١)

وهذا يوضحه القديس يوحنا في إنجيله وبضم المسيح هكذا:

+ «إن مَنْ يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة.» (يو ٢٤: ٢٤)

٢ - الناموس

ليعلم القارئ أن الناموس، بسلطانه الذي تغفل في وعي الشعب اليهودي وفي حياته وأخلاقه وسلوكه ومعاملاته وعبادته ١٥٠٠ سنة، كان أعقد مشكلة واجهت اليهودي الداخل إلى المسيحية، كما كان أصعب عقبة بالنسبة للأثني الذي بدأ يتعرف على المسيح بواسطة الرسل اليهود أصلاً والذين أرادوا يتهودوا أولاً!

أما بالنسبة لليهود الداخلين إلى المسيحية، فظل الناموس محفظاً بهيئته وسلطانه في تقديس السبت والختان وحفظ المواسم والأعياد والعادات اليهودية كما هي وأضيفت المسيحية إليها.

وبولس الرسول هو الوحيد من بين الرسل الذي أدرك انتهاء سلطان الناموس بمجيء المسيح وموته على الصليب، وذلك حينما دعاه الله لبشارة الإنجيل بين الأمم، فركز بإنجيل المسيح بدون ناموس ولا سبت ولا ختان ولا أعياد يهودية ولا عادات ولا تعاليم غربية، هي من وصايا الناس، وإليك تعاليمه:

احترام بولس الرسول للناموس:

لم يكن موقف بولس الرسول من الناموس في حد ذاته يشوبه أي ازدراء أو تحذّر، بل كان يقيّمه من واقع حدود ضرورته وصلاحيته ومدى فاعليته. فهو يعلن أولاً مدى احترامه له:

- + «إذاً الناموس مقدّس والوصية مقدّمة وعادلة وصالحة.» (رو٧: ١٢)
- + «فإننا نعلم أن الناموس روحيّ، وأما أنا فجسديّ مبيّع تحت الخطية.» (رو٧: ١٤)
- + «فإن كنت أفعل ما لست أريده فأني أصادق الناموس أنه حسن.» (رو٧: ١٦)
- + «فأني أسترّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن.» (رو٧: ٢٢)

وأقول بولس الرسول هذه تأتي مطابقة لأقوال المسيح:

- + «لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فأني الحق أقول لكم: إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل.» (مت ٥: ١٧ و١٨)

- + «وإذا ناموسيّ قام يجزّبه (المسيح) قائلاً: يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له: ما هو مكتوب في الناموس كيف تقرأ؟ فأجاب وقال: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك وقريبك مثل نفسك. فقال له بالصواب

أجبت، افعل هذا فتحيا. » (لو ١٠: ٢٥-٢٨)

+ « على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون، فكلُّ ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون. » (مت ٢٣: ٢ و٣)

هكذا نرى أن عقيدة بولس الرسول متوافقة مع نظرة المسيح للناموس من جهة أنه يوفي بالغرض الذي وُضع من أجله. ولكن نجد المسيح يعود ويقطع بأن الناموس وُضع لزمن محدود كان فيه الناموس كافياً لتأديب الشعب، ولكن حينما بدأ المسيح يعلم انتهى هذا الزمن وبدأ الزمن الجديد الذي لم يبقُ الناموس يصلح له، بل يتحتم على الناموس أن ينسحب كما انسحب المعمدان ممثلاً للنبوة بأكملها. ويقول المسيح في إنجيل القديس متى (الأصحاح الخامس):

+ « قد سمعتم أنه قيل للقديما (الناموس) لا تقتل ... وأما أنا فأقول لكم ... »

+ « قد سمعتم أنه قيل للقديما (الناموس) لا تزني ... وأما أنا فأقول لكم ... »

+ « أيضاً سمعتم أنه قيل للقديما (الناموس) لا تحنث ... وأما أنا فأقول لكم ... »

+ « سمعتم أنه قيل (في الناموس) عينٌ بعين وسنٌّ بسنٍّ ... وأما أنا فأقول لكم ... »

+ « سمعتم أنه قيل (في الناموس) تحب قريبك وتبغض عدوك ... وأما أنا فأقول لكم ... »

ثم بدأ المسيح يضع في مقابل كل وصايا الناموس وصايا جديدة كلها على أعلى مستوى من الروحانية لتتناسب مع الحياة الجديدة التي زرعها الرب في طبيعتنا والتي بها تؤهل ليراث السموات. وبذلك يكون المسيح قد أكمل عجز الناموس وجبَّرت نقصانه، ثم استودعه لماضيهِ، وحبسه في دائرة القديما الذين وُضع لأجلهم.

وكان هذا هو عين التعليم الذي علَّم به بولس الرسول.

ولكن بولس الرسول ابتداءً أولاً يشرح الأسباب التي من أجلها وضع الله الناموس بيد موسى، ومن واقع هذه الأسباب انتهى إلى أن الناموس أكمل مهمته التي وُضع من أجلها، ولكن بولس الرسول بَرهن بما لا يدعو للجدل أن الناموس عجز عجزاً كاملاً عن معالجة خطية الإنسان.

ولأن المسيح جاء خصيصاً لمعالجة خطية الإنسان وإبطال مفعولها، تحتم على الناموس أن يعطي مكانه للمسيح وينسحب. وإليك هذه الخطوات:

لماذا وضع الله الناموس بيد موسى؟

أوضح بولس الرسول أن الناموس وُضع بالأساس لكي ينبه حاسة الضمير عند الإنسان بوجود حدود حاسمة وفاصلة لله في حياته يتوجب عليه أن لا يتعداها، فوضع له الوصايا العشر وما تفرَّع

منها، باعتبارها الحدود العاصلة بينه وبين الله لا يتعداها، فإذا تعدّاها وجب عقابه. وهكذا باختصار، بدأ الناموس يوقظ ضمير الإنسان من جهة التعلّي، وسَمّى الله التعلّي «خطية» بمعنى أنه أخطأ السلوك وتعدّى حدود الله:

+ «لم أعرف الخطية إلا بالناموس، فإنني لم أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس لا تشته». (رو ٧: ٧)

+ «فلماذا الناموس؟ قد زيد (زيد على الموعد الأول لإبراهيم) سبب التعديّات (الخطايا)». (غل ٣: ١٩)

+ «وأما الناموس فدحل لكي تكثر (معرفة) الخطية...» (رو ٥: ٢٠)

وبولس الرسول يصوّر نفسه كإنسان فيما قبل مجيء الناموس، أو كصبي قبل أن يتعرف على الناموس هكذا:

«أما أنا فكنت بدون الناموس عائشاً قبلاً، ولكن لما جاءت الوصية (التي حددت أنواع الخطايا التي لم تكن تُعرف سابقاً أنها خطايا، وقالت أن هذه الخطايا إن فعلتها يُحكم عليك بالموت)، عاشت الخطية (التي لم تكن قبلاً معروفة) فمُتُّ أنا (الذي كنت قبلاً عائشاً)». (رو ٧: ٩)

وهكذا ينتهي بولس الرسول بالقول بأن جهاده في تكميل أعمال الناموس الذي ينبغي من ورائه الحياة كما يقول الناموس: «الذي يفعلها سيحيا بها» (رو ١٠: ٥)، انتهى به إلى أن الذي لا يعملها يموت!! فقال قولته المرأة: «فوجدت الوصية التي للحياة هي نفسها لي للموت» (رو ٧: ١٠). وطبعاً لم يلتقط بولس الرسول السبب مباشرة، فالسبب ليس الخطية، كما يقول، ولكن غياب النعمة، لأن غياب النعمة فينا وفي الناموس يصير الصالح لنا طالحاً، وهذا لكي تفتح أعيننا ونطلب النعمة ونستظرها، التي جاء المسيح وأعطاهَا، فكُلُّ بها الناموس الذي كان ينقصها: «لأنكم بالنعمة مُخلّصون (قد خُلصتم) بالإيمان، وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال...» (أف ٢: ٨ و٩). وينتهي بولس الرسول إلى حقيقة مُبكية حقاً، وهي كيف استخدمت الخطية الناموس الإلهي لموتي!! «لأن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية حذعتني بها (بالوصية) وقتلتني»!! (رو ٧: ١١) مع أن الناموس إلهي والوصية روحية ومقدسة. والمعنى واضح أن الخطية قبل الناموس وقبل الوصية لم يكن لها وجود ولا أي سلطان عليّ، ولكن لما ظهر الناموس تسلّحت الخطية بالناموس ورفعت سيمه على رقبتني!

كل هذا بعلم الله وتدبيره حتى يكشف الإنسان الخطية ويكشف أن الناموس الذي وضعه

الله كان لتأديب الإنسان وتعريفه بضعفه الشديد وحاجته إلى غُلّص حقيقي: «إذاً، قد كان الناموس مؤدّبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدّب، لأنكم جميعاً (يهوداً وأممًا مؤمنين) أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع.» (غل ٣: ٢٤-٢٦)

وبولس الرسول في تقيمه للناموس كمؤدّب بواسطة الأحكام التي يضعها على الخاطئ وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يُرى، يوضح أن أعمال الناموس ليست كافية أن تبرر الإنسان أمام الله. وهو في هذا لا يعارض نفسه حينما يقول عن نفسه بخصوص سيرته في اليهودية: «من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم» (في ٣: ٦)، لأن بولس الرسول بعد أن دخل الحياة الروحية التي في المسيح أدرك أن ترضية الناموس بالأعمال لنوال برّ الناموس إنما هي بحسب ظاهر الأعمال بمجرد تسميمها حرفياً، ولكن يبقى الضمير يصرخ ويئن بسبب أن للخطية قدرة على تلويث الضمير وليس الجسد فقط. والناموس لا يطهر الضمير ولا يتعامل معه، إنما يتعامل مع الأعمال وتسميمها لطهارة الجسد وحسب.

لذلك يقول، بعد أن أدرك عمق نعمة المسيح وقدرة دمه لرفع الخطية وكل آثارها الداخلية في النفس والضمير بدون أعمال: «لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدّس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي يروح أزلي (لاهور) قدّم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائرهم من أعمال ميتة (أعمال الخطية) لتخدموا الله الحي.» (عب ٩: ١٣ و١٤)

الناموس أكمل مهمته:

وبذلك يكون الناموس قد وُضع ليكشف طبيعة الخطية وأصنافها ويوقظ ضمير الإنسان تجاهها حتى إلى درجة الرعب، لأن وراء الخطية وُصّع الناموس عقوبات بلا رحمة: «من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رافة» (عب ١٠: ٢٨). وبناءً على ذلك يكون الناموس قد أذى مهمته خير أداء، فبالوصايا وضع الحدود، ليكشف عنصر التمرد والخطية في الإنسان، ثم وقّع العقوبة بأعنف شدة حتى تُخَطّ الخطية في شعور الإنسان وضميره خطوطها المرعبة: «لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية» (رو ٧: ١٣)، ويستصرخ من سطوة الخطية في جسده وأعضائه:

+ «لست أعمل ما أريده، بل ما أبغضه فأياه أفعل. فإن كنت أفعل ما لست أريده، فأني أصادق الناموس (الوصية) أنه حسن. فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فيّ...»

ويحيي أنا الإنسان الشقي! مَنْ يَنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ.» (رو: ١٥-١٧ و ٢٤)

عجز الناموس:

واضح أنه إلى هنا، أي إلى حد كشف الخطية ومحاصرتها في ضمير الإنسان، وقف الناموس عاجزاً عاجزاً فاضحاً لا يستطيع أن يعطي أي علاج للخطية؛ بل يرفع سيف القصاص والموت وحسب!

والسبب في ذلك كنا قد ألمحنا إليه (ص ٢٣٣-٢٣٥)، وهو أن آدم وراثتنا طبيعة عارفة للخير والشر، ولكن غير قادرة للإنحياز للخير، لأنها فاقدة لنعمة الله ومحرومة من برّه وبالتالي مهياة تماماً لإيحاءات الشيطان لاقتراح أي خطية، وحاملة حكم الموت بالضرورة. وهكذا عاش الإنسان من آدم إلى موسى بدون ناموس أي بدون وصايا، لذلك لم يُحَسَب أنه أخطأ بشبه تعدي آدم إذ لم يكن عليه وصايا فيتعدها أو يكسرهما: «إذ حيث ليس ناموس ليس أيضاً تعدُّ» (رو: ٤: ١٥)، ولكنه لم يكن مبرراً؛ بل واقعاً تحت حكم الموت. فلما أعطى الله موسى التوراة، أي الناموس والوصايا، واجهها الإنسان لشديد الأسف بدون أسلحة، فهو كائن في طبيعة فاقدة للنعمة ومحرومة من برّ الله. فكان عليه أن يجاهد ويعمل بمقتضى وصايا الناموس حتى يتبرر بأعمال الناموس. ولكن عجز الإنسان عن أن يكمل الناموس أو أن يثبت فيه أو يتمم وصاياه: «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب ملعون كل مَنْ لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به.» (غل: ٣: ١٠)

وبطرس الرسول يعترف عن نفسه وعن آباؤه أنهم فشلوا في تميم وصايا الناموس وبالتالي صاروا بلا رجاء؛ بل وتحت لعنة بانتظار الخلاص:

+ «لماذا نجرّبون الله بوضع نير (الناموس) على عنق التلاميذ (المؤمنين من الأمم) لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله.» (أع: ١٥: ١٠)

+ «ولكن إسرائيل وهويسمى في أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر. لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان؛ بل كأنه بأعمال الناموس...» (رو: ٣١ و ٣٢)

+ «لأنه بأعمال الناموس، كلُّ ذي جسد لا يتبرر أمامه لأن الناموس معرفة الخطية.» (رو: ٣: ٢٠)

وقول المسيح يؤكد ذلك:

+ «كذلك أنتم أيضاً متى فعلتم كل ما أمرتم به (من الناموس) فقولوا إننا عبيد بطلون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا.» (لو: ١٧: ١٠)

+ «لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه في ما كان ضعيفاً بالجسد ... لأجل الخطية ...»
(رو٣: ٨)

وبذلك تنتهي إلى حقيقة مذهلة، وهي أن الناموس جعل الوصايا محكاً لكبرياء الإنسان وعوته، وكشف محاولته تأليه نفسه وهي الخطية الأولى التي جرّت على آدم الشقاء والبلاء والفناء بحسب مشورة الشيطان:

+ «فقالت الحية للمرأة: لن تموتاً بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما» «كالله» عارفتين الخير والشر. فرأت المرأة أن الشجرة (الفكرة) جيدة». (تك ٣: ٤-٦)

وبولس الرسول في قوله عن المسيح: «الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلصة أن يكون معادلاً لله» (في ٢: ٦)، إنما يضع المقابلة مع آدم الذي قَبِلَ مشورة الشيطان أن يكون «كالله» على وجه السرقة والاختطاف وعن طريق التمدي ليحصل على ما للأهوت، مكملًا القول: «... لكنه أدخل نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة كنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في ٢: ٨و٧). ثم يضع بولس الرسول المقابلة النهائية كيف سقط آدم وفقد درجته أمام الله وانطرح على الأرض ينحني ويعبد الحيوانات والحجر والشجر، وبين المسيح الذي: «رفّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثوا باسم يسوع كل ركبة مثن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض». (في ٢: ١٠و٩)

وهذا العنصر الذي هو التأليه الذاتي الذي انبثّ في طبيعة الإنسان، أدلّته الوصايا التي أشعرته بمعجزه، وحظّمه الناموس الذي أدّبهُ بعضاً من حديد، حتى شعر الإنسان بحقيقة وضعه بالنسبة لله كمتعذّب، وكيف أن الخطية سادت عليه واستعبدته وصار بالحقيقة عبداً للخطية. هكذا نجح الناموس في أن يفلت على الجميع في دائرة العصيان.

+ «لأنه بأعمال الناموس، كلُّ ذي جسد لا يتبرر أمامه لأن الناموس معرفة الخطية». (رو ٣: ٢٠)

+ «لكن الكتاب (الناموس) أغلق على الكل تحت الخطية، يُعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون». (غل ٣: ٢٢)

+ «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة. لأن مكتوب: ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به». (غل ٣: ١٠)

وواضح أنه ما من إنسان قط استطاع أن يعمل كل الناموس، خاصة وأنه قال بأن من أخطأ

في واحدة فقد أخطأ في الكل: «لأن مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ فَقَدْ صَارَ مَجْرَماً فِي الْكُلِّ.» (يع ٢: ١٠)

وهكذا ثبت ثبوتاً قاطعاً أنه لا رجاء في الخلاص من الخطيئة، ولا شفاء من سُوءِ القاتل، ولا حياة من وراء الناموس؛ بل الحكم بالدينونة واللعنة والموت بلا رجاء:

+ «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون، وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدّقوها وحيّوها.» (عب ١١: ١٣)

والآن وقد ثبت أن الناموس عاجز عن أن يبرر الإنسان أمام الله، تحتم أن يأتي برُّ الله من فوق:

+ «وأما الآن فقد ظهر برُّ الله (بالمسيح) بدون الناموس (الإنجيل) مشهوداً له من الناموس والأنبياء، برُّ الله بالإيمان يسوع المسيح إلى كل وعلى كل الدين يؤمنون، لأنه لا فرق، إذ الجميع أخطأوا (يهودٌ وأممٌ) وأعوزهم مجد الله.» (رو ٣: ٢١-٢٣)

وأخيراً، ظهرت النعمة التي فقدها آدم، وعاد إليه برُّ الله مجاناً إنما برحمة الله وبشمن باهظ كلف الله دم ابنه على صليب العار ليمحو عار الإنسان ويصمخ عن كل الخطايا السالفة:

+ «متبرّرين مجاناً بنعمته بالعداء الذي في يسوع المسيح *ἐν Χριστῷ*، الذي قدّمه الله كفارة بالإيمان بدمه وذلك لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله، لإظهار برِّه في الزمان الحاضر ليكون باراً، ويبرّر مَنْ هو من الإيمان بيسوع.» (رو ٣: ٢٤-٢٦)

مجيء المسيح يكمل ما عاجز عنه الناموس:

+ «ما جئت لأنقض بل لأكمل.» (مت ٥: ١٧)

المسيح لم ينقض الناموس؛ بل أكمله بالفعل، فالمسيح جعل للناموس معنى بل وقيمة بموته لما أكمل عقوبته. والذي أصبح يفصل بولس الرسول وهو في المسيح عن باقي اليهود هو أن بولس الرسول وجد في المسيح وحده منتهى كمال الناموس، حتى أصبح لا قيمة للناموس بدون المسيح. إذ بينما ينتهي الناموس عند عقوبة الموت، وجد بولس الرسول أن المسيح بعد أن أكمل عقوبة الموت قام من الموت وأعطى الحياة. لهذا انتهى قصد الله من الناموس — من جهة تأديب الإنسان — بموت المسيح ليبدأ قصد الله بالمسيح لإعطاء الحياة.

ولقد اكتشف بولس أنه بمجرد أن استعلن له المسيح — وهو في طريقه إلى دمشق ليقول المؤمنين بالمسيح هناك — أن غيرته للناموس قد أوقعت في أخطر جريمة، وأن صوت المسيح من السماء: «أنا

يسوع الذي أنت تضطهده» (أع:٩:٥) قد أبقظ الضمير الذي لم يستطع الناموس أن يوقظه بل بالعكس كان قد طمس معالم الحق فيه؛ إلى هنا انتهى الناموس عند بولس. وحينئذ استمِلَ له بأجلى صورة أن دور الناموس قد انتهى بمجيء المسيح، وأن أي تمسك بالناموس بعد مجيء المسيح هو التجديف بعينه؛ بل ويصير علة لقتل المسيح نفسه كما حدث على الصليب أو كما حدث بيدي بولس نفسه!

+ «لأنه لو أعطى ناموس قادر أن يُخَيِّب، لكان بالحقيقة البر بالناموس. لكن الكتاب (الناموس) قد أغلق على الكل تحت الخطية ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون.» (غل:٣: ٢٢و٢١)

+ «ولكن قبلما جاء الإيمان (بالمسيح)، كما محروسين تحت الناموس مُغْلَقًا علينا إلى الإيمان العتيد أن يُفْتَن، إذاً قد كان الناموس مؤدِّبًا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان، ولكن بعد ما جاء الإيمان لسا بعد تحت مؤدِّب.» (غل:٣: ٢٣-٢٥)

+ «لأن الله أغلق على الجميع معاً في العصيان لكي يرحم الجميع.» (رو:١١: ٣٢)

يخرج القديس بولس من هذا كله بأن الناموس كان داخلاً في حطة الخلاص، وأن دوره كان لتأديب وتهذيب ضمير الإنسان ليعده للثقل الكبرى لتجديد خلقة الإنسان من فوق وبوال حرية أولاد الله.

وهكذا، فالناموس لم يوضع كواسطة مباشرة لترير الإنسان أمام الله كما كان يتصور اليهود!! بل على النقيض كان واسطة لكشف وفضح عدم بر الإنسان: «أنه ليس بارٌّ ولا واحد» (رو:٣: ١٠)!! مهما أذى الإنسان من أعمال ومجتهودات وتكفيرات، فالناموس يعبِّد خطايا الإنسان عدًّا ويكيل لها العقوبات كيلاً.

كيف انتهى الناموس:

+ «إذاً يا إخواني أنتم أيضاً قد مُنَّم للناموس بجسد المسيح لكي تصيروا لآخر للذي قد أقيم من الأموات لتسمر الله... وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذي كنا مُنمسين فيه حتى نعبد بجدة الروح لا بتعق الحرف (الناموس).» (رو:٧: ٤ و٦)

هذا يعني أن الناموس حيٌّ طالما نحن كما أحياء بالجسد يحكم بينا الناموس ويهدد ويميت، ولكن الآن وقد مُتْنَا في المسيح، والجسد العتيق الذي كان تحت حكم الناموس قد وقع عليه حكم الناموس الذي أخذه المسيح ومات به ومُتْنَا نحن أيضاً معه، فقد انتهى الناموس بالنسبة لنا لأننا

لَسْنَا أَحْيَاءَ بَعْدَ الْجَسَدِ الَّذِي كَانَ تَحْتَ قَبْضَةِ النَّامُوسِ . وَطَالَمَا نَحْنُ أَمْوَاتٌ مَعَ الْمَسِيحِ ، فَالنَّامُوسُ مَيِّتٌ بِالنِّسْبَةِ لَنَا .

هَذَا بِمَفْهُومِ فِعْلِ الْفِدَاءِ عَلَى الصَّلِيبِ وَبِفِعْلِ الْمَعْمُودِيَّةِ الَّذِي يُوَثِّقُ وَيَحَقِّقُ فِعْلَ الْفِدَاءِ فِينَا ، لِأَنَّا بِالْمَعْمُودِيَّةِ نَمُوتُ وَنُدْفَنُ مَعَ الْمَسِيحِ . وَبِوَلَسِ الرُّسُولُ يَضَعُهَا مَرَّةً أُخْرَى عَصَوَةً هَكَذَا :

+ «لَأَنِّي مُتُّ بِالنَّامُوسِ لِلنَّامُوسِ لِأَحْيَا اللَّهَ . مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ ، فَأَحْيَا ، لَا أَنَا ، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ . فَمَا أَحْيَاءَ الْآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاءُ فِي الْإِيمَانِ إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ الَّذِي أَجْنَبِي وَأَسَلَّمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي .» (غَل ٢ : ٢٠ و ١٩)

هَنَا أَيْضاً يُؤَكِّدُ بُولُسُ الرُّسُولُ أَنَّا مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْنَا ، وَبِالْتَّالِي نَكُونُ قَدْ مُتْنَا لِلنَّامُوسِ ، لِأَنَّ الْمَسِيحَ صُلِبَ بِنَاءً عَلَى حُكْمِ النَّامُوسِ — أَنَّهُ فَاعِلٌ شَرٍّ — سِوَا مَا نَقَطِّعُهُ رَأْسَ الْكَهَنَةِ وَبِجَمْعِ السَّنْهَدَرِيمِ أَوْ الَّذِي اسْتَحَقَّهُ الْمَسِيحُ بِالْفِعْلِ كَوْنَهُ حَمَلٌ «الْخَطِيئَةِ» فِي جَسَدِ بَشَرِيَّتِنَا عَلَى الصَّلِيبِ . فَطَالَمَا أَنَّ النَّامُوسَ أَهْمَاتُنَا كَأَخْرَاقٍ عِنْدَهُ ، فَلَيْسَ لِلنَّامُوسِ بَعْدُ أَيُّ شَيْءٍ عَلَيْنَا «بِالنَّامُوسِ مُتْنَا لِلنَّامُوسِ» ، وَحَيَاتِي الْآنَ هِيَ حَيَاةُ الْمَسِيحِ فِيَّ ، فَبِالْتَّالِي لَيْسَ لِلنَّامُوسِ أَيْةٌ صِلَةٌ بِي .

وَلَكِنْ كُلُّ هَذَا الْكَلَامُ عَنِ النَّامُوسِ يَخْصُ الْيَهُودَ ، لَكِي يَدْرِكُوا أَنَّ بِالْمَسِيحِ وَعَلَى الصَّلِيبِ قَدْ خَرَجُوا مِنْ طَوْقِ النَّامُوسِ ؛ بَلِ وَمِنْ التَّبَعِيَّةِ لِلنَّامُوسِ إِذَا صَارُوا لِأَخْرَءِ ، أَيِ الْمَسِيحِ . وَلَكِنْ هَذَا عَنِ الْأُمَمِ ؟ ثُمَّ مَاذَا عَنِ عِلَاقَةِ الْيَهُودِ ، يَهُودِ النَّامُوسِ وَالْخَتَّانِ ، بِالْأُمَمِ أَهْلِ الْغُرَّةِ ؟

+ « وَلَكِنْ الْآنَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ ، أَتَمُّ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا بَعِيدِينَ (عَنِ إِسْرَائِيلَ وَالْمَوَاعِيدِ) صَرْتُمْ قَرِيبِينَ بِدَمِ الْمَسِيحِ ،

لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين (الأمم واليهود) واحداً

ونقضى حائط السياج المتوسط ، أي العداوة ،

مُتَبَطِّلًا بِجَسَدِهِ نَامُوسَ الْوَصَايَا فِي فَرَائِضَ ،

لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً .

وَيَصَالِحُ الْاِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللَّهِ بِالصَّلِيبِ ، قَاتِلًا الْعِدَاوَةَ بِهِ . » (أَف ٢ : ١٣ — ١٦)

« كُنْتُمْ بَعِيدِينَ » :

كَلِمَةٌ مَمْلُوءَةٌ بِالْمَعْنَى ، فَالْأُمَمُ لَمْ يَكُونُوا فَقَطْ بَعِيدِينَ عَنِ الْيَهُودِ ، بَلِ وَمَكْرُوهِينَ وَمَحْتَقَرِينَ مُزْدَرَّيَ بِهِمْ ، غَيْرَ مَوْجُودِينَ !! بَلِ وَلِلْأَسَفِ — عَلَى هَذَا التَّعْيِيرِ — كَانُوا بِالنِّسْبَةِ لِإِسْرَائِيلَ «كَالْكِلَابِ» يَأْكُلُونَ مِنْ فَتَاتِ أَرْبَابِهَا السَّاقِطِ تَحْتَ مَوَائِدِهِمْ (بِالْمَعْنَى الرُّوحِي طَبْعاً أَيْ يَلْتَقِطُونَ مِنْ بَعِيدٍ أَخْبَارَ اللَّهِ) .

وليسنتبه القارئ، فالسبب في ذلك هو الناموس وتعاليمه التي تحضُّ على كرههم والبعد عنهم باعتبارهم غُلْفاً أنجاساً مناكيد، لا يجسر يهودي أن يدخل إليهم أو يأكل عندهم وإلاً يتنجس.

والآن، وقد ذُبح المسيح بجسد بشريته على الصليب ذبيحة خطية ومات، وماتت البشرية كلها بموته وانتهى الناموس وأبطل وأبطلت وصاياه، فالبعيد بسبب الناموس تحتم أن يصير قريباً!! وليس فقط قريبين مع إسرائيل؛ بل وقائمين في جسد بشرية المسيح بالإيمان:

+ «إن كان واحد قد مات لأجل الجميع، فالجميع إذاً ماتوا.» (٢ كور ٥: ١٤)

إذاً فقد صار الأمم المؤمنون واحداً بذات الجسد مع اليهود المؤمنين. والجسد المبذول والمُقام قد استُعْلِفَ أنه الكنيسة الجامعة، وصارت الأمم فيها: «فلستم إذاً بقُدَّ غرباءً ونزلاً؛ بل رعية مع القديسين وأهل بيت الله.» (أف ٢: ١٩)

وتآخى الأمم واليهود في سلام معاً، وفي سلام واحد مع الله، بعد أن كان اليهود أعداءً بسبب التحلّي، والأمم غرباءً وبلا ناموس وبلا إله في العالم! نعم، لقد صار المسيح سلاماً للبعيدين والقريبين معاً.

وكان يستحيل على اليهودي أن يتآخى مع الأممي في سلام واحد طالما كان الناموس قائماً يصع أساس حائط الانقسام، ويسبِّح على اليهود ويحزُّهم على العداء الفكري والعقدي والجنسي بأن واحد. وهكذا تم تحطيم السور الفاصل — أي الناموس — الذي كان هو أساس العداوة، لكي يجمع المسيح في نفسه من الاثنين إنساناً واحداً صانعاً سلاماً.

وهكذا، وبمقدار ما كانت الوصايا والفرائض في الناموس هي علة العداوة، صار دم المسيح مصدر الوحدة والسلام.

وفي قول آخر يجمع بولس الرسول اليهود والأمم تحت راية الصليب على أساس تسخير الناموس على الصليب، وهو ما أسماه وثيقة ديون خطايا البشرية، بنفس المسامير التي سَمَر بها الناموس — على يدي رؤساء الكهنة — جسد المسيح!

+ «وإذ كنتم (الأمم) أمواتاً في الخطايا وغُلْفٍ جسدكم، أحياكم معه مُساعِماً لكم بجميع الخطايا، إذ بها الصلح الذي علينا (نحن اليهود) في الفرائض الذي كان ضدّاً لنا، وقد رفعه من الوسط مسمّراً إياه بالصليب.» (كو ٢: ١٣ و١٤)

واضح هنا أن بواسطة الصليب رفع كل ديون اليهود بإلغاء الناموس على الصليب. ثم، بأن واحد وعلى نفس المستوى، تمَّ الصلح عن كل خطايا الأمم التي صنعوها وهم بلا ناموس!

ولكن نود لو انتبه القارئ لمعظمة التشبيه البالغ الحجب والدقة في قول بولس الرسول أن بالمسامير التي سُمِّر بها الناموس — عن جهالة — جسد المسيح، سُمِّر المسيح — بالحكمة — الناموس على ذات الصليب!

صراع بولس الرسول مع اليهود المسيحيين (المتنصرين) من أجل الناموس:

مقدمة:

نحن لا نأسف على أنه على مدى الأربع الرسائل الكبرى إلى غلاطية وكورنثوس الأولى والثانية ورومية استغرق بولس الرسول في مشكلة الناموس من جهة محاولة فرضه بالقوة من جانب اليهود المتنصرين على المسيحيين الجدد من الوثنيين، لأن في هذا الجدل المحتدم ربنا التعرف على أصول ومنابع القضايا المسيحية الكبرى، حينما حلَّق بولس الرسول فوق المشاكل المعروضة ليكشف لنا عن أسرارٍ كان من النادر أو حتى من الصعب أن يتعرض لها لولا الانفعالات المحتدمة من جراء جرأة ونجسة العناصر اليهودية المتنصرة في مهاجمتها لتعاليم بولس الرسول والتعرض لشخصيته والحظ من رسوليته.

فقد عاد إلى الوراء ليكشف، بل ليفضح الخطية وكيف دخلت واستوطنت أعضاء الإنسان، كما أمسك بأيدينا وأدخلنا إلى منابع النعمة، وحلل طبيعة «التبرير» وكيف أن هذا الاسم أتاه شعب إسرائيل حينما سعى وراءه كالسراب.

وقدّم لنا الإيمان المسيحي كأغلى عطية يمكن أن ينالها الإنسان على الأرض، وفتح أمامنا ملفات قضايا الناموس بدراسة فريسي واج، وتقصى أسبابه وحدود إمكانياته وعجزه، وحدّد زمان انتهائه.

وفتح لنا باب الفداء لننقل على سر الجسد، السر المخفى منذ الدهور، كيف أن الأمم هم شركاء فيه حسب قصد الله الأزلي.

وبهذا وبذلك صنع حلولاً، وقدّم مغارج، وسجّل مواعيد، وسلّم وثائق، صارت كلها مذكرات للكنيسة ولاهوتها.

وفي مواجهة مكاييد اليهود المتنصرين واستعلانهم بناموسهم وتوراتهم، حلَّق بولس الرسول وارتفع، وقدّم لنا قواعد راسية توضح التناسق بين المهدين وارتفاقهما معاً، ولكن في سهولة وإقناع، بحيث جعل العهد القديم بنظامه الكامل الشامل يخضع للإنجيل ويخدم صِدْقَه واستعلانَه، متعرضاً للأسرار إن المعمودية أو الإفخارستيا (١ كو ١٠: ٢-٤)، كشركة فعلية في موت الرب وفي الالتحام

بجسده، واضعاً إياها في أقدس المواضع من الإيمان في حياة الإنسان، وأحاطها بهيبة مع تحذيرات فتحت أماننا بفهمها الحقيقي طريق القداسة وأبارت لنا الحياة والخلود.

وهو لم يهمل اليهود المتمسكين بيهوديتهم، بل أعطاهم ما يكفل تحررهم من عهدهم البائد. واختصّ الأممين بأصدق تعاليمه، ليحضرهم مع اليهود المؤمنين في وحدة الروح واتحاد المحبة، ليستأروا أمام وجه الله بالتساوي، بلا لوم في القداسة والألفة والمحبة. وهكذا صنع المسيح كنيسة الدهور. أما الذين ارتأوا التمسك بالناموس بكبرياء التعالي وهددوا صحة الإنجيل وبساطة حريته، فقد شهر في وجه تحذيراتهم أسلحة رادعة اصطنعها من الناموس ذاته والتوراة، فما فتئت حتى أخذت تحذيراتهم واستظهر الإنجيل.

بدء الصراع وجمع أورشليم:

ظل الصراع بين بولس الرسول واليهود المسيحيين ما يقرب من أربع عشرة سنة أثناء خدمته في نواحي سوريا وكيليكية.

أما علاقة بولس بالكنيسة الأم، كنيسة الرسل، من جهة خدمة الأمم فكانت كما يصفها هو: «ولكنني كنت غير معروف بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح، غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلاً يبشر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يُثْلَفه، فكانوا يجدون الله في». (غل ١: ٢٢-٢٤)

هذا في البداية قبل أن يستفحل نجاح بولس الرسول في إنشاء الكنائس المتوالية في الأمم. غير أنه لما امتدت خدمة بولس في أنطاكية عاصمة سوريا وازداد عدد الوثنيين الذين قبلوا الإيمان وملأوا الكنائس هناك، أحسّت كنيسة أورشليم أن نسبة الأممين فاقت أعداد اليهود المؤمنين بكثير، فبدأ القلق يهز قلوب الرسل من جراء مستقبل الانضباط والتبعية والخوف من تأثير الوثنيين المسيحيين غير المختونين على الانضباط الناموسي والتقاليد اليهودية، وكانت اليهودية في أعماق قلوبهم لا تزال ذات جلال، ولم يكونوا قد استوعوا بعد «أن مذكوت الله يُزْعَم منكم ويُعطى لأمة تعمل أثماره» (مت ٢١: ٤٣)، بمعنى دخول الأمم في حظيرة المسيح الواحدة.

فبدأ اليهود المؤمنون بالمسيح الغيورون على الناموس — بعلم وبدون علم الرسل — يتحركون، فذهبوا إلى أنطاكية للتجسس والمقاومة:

+ «وانحدر قوم من اليهودية (أورشليم) وجعلوا يعلمون الإخوة (المسيحيين من أصل وثني) أنه إن لم تحتسبوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا. فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة

ومباحشة ليست بقليلة معهم رَّبُّوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسل
والمشايع إلى أورشليم من أجل هذه المسألة.» (أع ١٥: ٢٥١)

هذا نسمعه من بولس الرسول هكذا:

+ «ولكن بسبب الإخوة (المسيحيين اليهود) الكذبة المُدْخِلِينَ خفية الذين دخلوا اختلاساً
ليتجسَّسوا حريتنا التي لنا في المسيح (من الناموس وأحكامه) كي يستعبدونا (للاموس
وسلطانهم اليهودي)، الذين لم ندعهم لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل.»
(غل ٢: ٥٤)

وهكذا بدأ عمل القديس بولس في محيط الأمم منذ أول يوم يتزعزع بالتهديدات الكفيلة أن
توقفه نهائياً لو كان قد نجح هؤلاء الإخوة (الكذبة) هكذا واستمالوا بسلطانهم المؤمنين الجدد من
الأمم! لذلك يقول بولس الرسول نفسه: «إنه لم يخضع لهم». أما إذا لم يكن بولس قد أسرع
هكذا بحكمة النعمة إلى الرسل ليأخذ موافقتهم على خدمته لإنجيل المسيح بين الأمم بدون ناموس
ولا ختان، لكان قد تسبَّب في فصل كنيسة الرسل عن الكنائس التي أسسها بولس الرسول في
الأمم، ولأصبحت كنيسة الأمم بقيادة بولس الرسول مجرد شعبة يهودية منشقة (٣).

أما نجاح بولس الرسول في إقناع الرسل بالموافقة على دخول الأمم إلى المسيح بدون ناموس ولا
ختان فكان يعتمد بالأساس على النجاح الذي أحرزه في الخدمة بين الأمم، والتي بدأت تكتسح
البلاد حول أورشليم في سوريا وكيليكية، بالإضافة إلى موهبة بولس في الإقناع وفهم رسالة المسيح
بعمق لا يُجَارَى بنعمة الله التي ظهرت عليه، مع الآيات التي صنعها المسيح بواسطته. هذا كله
أقنع الرسل بالموافقة وبإعطاء بولس الرسول بين الشركة مع برنابا في مواجهة ضغط الغيورين من
اليهود المتنصرين الذين لم يكن عندهم أي تعاطف تجاه الأمم، والذين حاولوا مستميتين أن يجبروا
تيطس زميل بولس في الأسفار على أن يحتنن أمامهم، فلم يخضع لهم بولس الرسول قط. علماً بأن
الرسل أنفسهم أحسوا، بالنعمة التي فيهم، بمقدار خطورة رفض الأمم من الدخول إلى المسيحية لأن
ذلك كان معناه توقُّف نمو الكنيسة خارج حدود اليهودية. هذا بالإضافة إلى تذكُّرهم أمر المسيح
الصريح لهم بأن يذهبوا إلى كل الأمم ويبشروهم بالإنجيل ويعمدوهم. لهذا كان نجاح بولس
الرسول في المجمع الأول للرسل في أورشليم هو نقطة انطلاق الكنيسة في الأمم، مؤازرةً بنعمة الله

3. O. Pfleiderer, *The Influence of the Apostle Paul on the development of Christianity*, London, 1885
(Hibbert Lectures).

وواضح غاية الوضوح أن القديس بطرس كان العامل الأساسي وربما الوحيد في ترجيح كفة بولس ضد المتعصبين للناموس. وواضح أن الاجتماع بدأ صاخباً وأن صوت الغيورين على الناموس ارتفع عالياً، ومن الرسل كان هناك من انحاز إليهم، لأن سفر الأعمال يقول في وصف بداية الجلسة هكذا: «بعد ما حصلت مباحثة كثيرة» (أع ١٥: ٧). أخيراً وقف بطرس وحسم النزاع بجرأة وشجاعة نادرة التي كانت دائماً هي أعظم صفاته:

+ «أيها الرجال الإخوة، أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة احتار الله بيننا أنه بفعلي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون. والله العارف القلوب شهد لهم مُعطيًا لهم الروح القدس كما لنا أيضاً. ولم يميّز بيننا وبينهم بشيء إذ طَهَّرَ بالإيمان قلوبهم. فالآن لماذا تَجَرَّبُونَ الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آبائنا ولا نحن أن نحمله. لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضاً. فسكت الجمهور كله.» (أع ١٥: ٧-١٢)

لقد غلبت محبة المسيح التي كان يحترق بها قلب القديس بطرس [«يا رب أنت تعلم إنني أحبك» (يو ٢١: ١٥)] فوق كل المعارضات والتحفظات والترددات التي أنت من كل الأصوات، حتى صوت يهوديته داخل ضميره الذي أخذه بصعوبة، بينما بولس الرسول جالس يقرب مسار الروح وفعل النعمة في قلوب من أحبوا المسيح وأحبهم، ويصلي!

لقد صنع بطرس الرسول للكنيسة صنيعة الذي لن يُنسى له أبد الدهور عندما زكَّى كرازة بولس الرسول. لقد ضمن للكنيسة مستقبلها في العالم كله وعبر آلاف السنين بموقفه الحاسم الشجاع، وفتح الطريق أمام باقي الرسل يعقوب ويوحنا ليعطوا بولس يمين الشراكة.

ولكن واضح أنهم رفعوا النير (نير الناموس وأحكامه وبرّه) عن أعناق الأمم ولم يرفعوه عن أعناقهم هم أنفسهم، لكنهم صنعوا ذلك ليس عن عقيدة ولكن عن اضطرار ظروفهم التي فرضت عليهم ذلك، — حسناً —، لكي يُظهر لنا المسيح مدى سخاء دعوته لنا نحن الأمم!!

وانتهى المجمع بأن تبرأ الرسل في اورشليم رسمياً من أعمال اليهود المتعصبين للناموس (الغيورين) هكذا: «إذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال، مُقَلِّبين أنفسكم وقائلين أن تحتتنوا وتحفظوا الناموس، الذين نحن لم نأمرهم» (أع ١٥: ٢٤). ثم أمصوا وثيقة الدهور بمقتضى محضر مجمع الكنيسة الرسولية الأولى في التاريخ: «لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثِقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة أن تمتنعوا عما ذُبح للأصنام وعن الدم

والمخنوق والزنا، التي إن حفظتم أنفسكم منها، فَنِعْمًا تفعلون. كونوا معافين.» (أع ١٥: ٢٨ و ٢٩)

وعلى القارىء أن يفهم من كلمة الامتناع عن «أكل المخنوق والدم» أن هذا يعني الامتناع عن أكل اللحم الذي لم يُصْفَى دمه تماماً أثناء الذبح، وهذا أمر لا يزال متبعاً عند المسيحيين في الشرق حتى اليوم. أما قوله الامتناع عن الزنا فيعني الامتناع عن زواج الأقارب المحرم الاقتران بهم وهو أمر أيضاً لا يزال متبعاً في شرقنا المسيحي وربما في كل الغرب أيضاً؛ حيث هذه الوصايا لا تُحَسَّبُ بعد أنها أحكام للناموس؛ بل مجرد وصايا الرسل. وعلى هذا الأساس وغيره من المبادئ نصرح الآن ونقول: «نؤمن بكنيسة رسولية واحدة».

كانت هذه الوثيقة بالنسبة لبولس الرسول أمضى سلاح في عراكه مع الغيورين من اليهود، أمّا لنا ولكل شعوب الأرض فهي صك انتفاق من عبودية الناموس وكل أحكامه. والفضل يُنسب لبولس الرسول أول ما يُنسب. أما ما أضافه القديس يعقوب بخصوص جمع المساعدات لفقراء اورشليم كما جاء في الرسالة إلى غلاطية (٢: ١٠)، فإن طهرت وكأنها ضريبة إيمان، ولكنها كانت أعظم ضمان لربط كنائس الأمم بالكنيسة الأم بشعور الكنيسة الواحدة والإيمان الواحد والحب الواحد. والعجب أنه لا تزال هذه العادة في كل كنائس العالم أن يُجمع بعد كل خدمة ما يتقدم به كل إنسان عن نفسه وعن بيته لخدمة الفقراء وربما لإعالة خدام الرب أيضاً.

ولكن من حيث المضمون الروحي لوثيقة مجمع الرسل الأول، نستطيع بوضوح أن نستشف ارتفاع الإيمان المسيحي للأمم روحياً فوق إيمان اليهود الذين قبلوا الإيمان بالمسيح واحتفظوا بأن واحد بالناموس وفعل الحثان. وهكذا وقفت المسيحية لأول مرة على رجليها حرة من عكاز الناموس الذي بل في أيدي أصحابه، ومستقلة عن اليهودية وإلى الأبد! ومنذ ذلك اليوم، والكنيسة المسيحية بدأت ترسي لنفسها قواعد إيمانها وتقنن لنفسها واجباتها.

عودة للمقاومين:

ولكن لم يَثْبُتْ صراع بولس الرسول مع الغيورين للناموس بهذه الوثيقة، لأنها كُتِبَتْ — كما قلنا — ليس عن اقتناع عقائدي بعدم أهمية الناموس للإيمان بالمسيح، ولكن من واقع الضغط الذي مارسه بولس الرسول من واقع عمل النعمة والنجاح الذي أحرزه بين الأمم، مع إحساس الرسل بالعامل الإلهي في الموضوع. فلم تكن الوثيقة إلا مجرد ترضية أو معاهدة سلام.

وإذ نسمع بعد هذا عن رجال من هؤلاء اليهود الغيورين على الناموس حاءوا من عند القديس

يعقوب للتجسس أيضاً على مؤمني أنطاكية؛ وكان القديس بطرس^(٤) هناك، فسلك أمامهم بغير ما كان يسلك في غيابهم، وذلك خوفاً منهم. وهذا في الحقيقة يوضح خطورة المعركة وسطوة هؤلاء الفيوريين وإرهابهم: «... ولكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً. لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان، وراى معه باقي اليهود أيضاً حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم.» (غل ٢: ١١-١٣)

وكان بولس الرسول حاداً قاطعاً مع بطرس: «قلت لبطرس قدام الجميع: إن كنت وأنت يهودي تعيش أُمياً (يأكل معهم) لا يهودياً فلماذا (الآن) تُلزم الأمم (بامتناعه عن الأكل معهم) أن يتهودوا.» (غل ٢: ١٤)

يقول القديس ذهبي الفم هنا أن خوف بطرس من اليهود المنتصرين كان في الحقيقة خوفاً عليهم لئلا يرتدوا عن الإيمان، أما القديس إيرينيئوس فيسند خوفه منهم على أساس احتراسه من مكائدهم ووشايتهم^(٥) ... أعذار...

ولكن الواضح من النص أن بطرس الرسول كان من الداخل مقتنعاً بمنهج بولس الرسول تمام الاقتناع، ولكنه لم يَقوَ على ما قوي عليه بولس الرسول، ربما بسبب تخصص الدعوة وغياب عنصر التشجيع الإلهي مثل ما ناله بولس الرسول من الرب مباشرة. ولكن عثرة بطرس الرسول بسبب ثقله الرسولي كانت أكثر مما كان يُظَنُّ، لأنها جرفت القديس برنابا ليسلك على منواله وكذلك كل اليهود المنتصرين عن قناعة وحاس وليس كمجاراة كما كان لدى بطرس في الأصل. كما أن حركة القديس بطرس هذه خلخلت إيمان الأمم المنتصرين في أنطاكية بإحساس النقص، كما أشعرتهم بالعزلة. وهذا أخطره، إذ وجدوا أنفسهم محرومين من الشركة مع الرسل ومن التعامل معهم؛ إنها كارثة!! عبّر عنها بولس الرسول أنها كانت بسبب «أنهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل» (غل ٢: ١٤). لقد استكثرتها بولس الرسول على بطرس الرسول دي القلب الكبير

(٤) يقول العلامة كلمندس الإسكندري، ويشترطه آخرون مثل المندس ذهبي الفم والقديس جيروم وأبريغوريوس الكبير (سبا روما)، أن «كيما» الذي أحده الجميع عن أنه هو «سما» أي «بطرس»، أحدهم هم عن أنه شخص آخر غير بطرس أو أنه بطرس آخر غير بطرس الرسول. ولكن من واقع النص يظهر بوضوح أنه هو هو بطرس الرسول، إذ أن برنابا، وهو على مستوى بولس الرسول في الخدمة والكرامة، رآى معه. وقد نفى القديس أسعطيوس احتمال هذا الرأي وشدد على أنه هو بطرس الرسول.

والروح المتسعة والإيمان الملتهب بحب المسيح، لذلك راجعه بشدة وهو عالم بعظمته نفسيته ووجه الذي لا يمكن أن يهتز. إنها لم تكن حطية من طرف بطرس، ولكن خطورتها كامنة باعتبارها نموذجاً قدّمه ليحتذي به غيره^(٦).

أما التعليم اللاهوتي الذي خرجت به الكنيسة من هذه الواقعة فهو قول بولس الرسول:

+ «الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح.» (غل ٢: ١٦)

+ «لأنني مُتُّ (بموت المسيح) بالناموس للناموس لأحيا الله.» (غل ٢: ١٩)

+ «مع المسيح صُلبْتُ، فأحيا، لا أنا؛ بل المسيح يحيا فيّ». فما أحياء الآن في الجسد (أكل —

شرب — علاقات مع الناس) فإنما أحياء في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أجنبي وأسلم نفسه

لأجلي ... إن كان بالناموس بُرٌّ، فالمسيح إذًا مات بلا سبب.» (غل ٢: ٢٠ و٢١)

هنا بولس الرسول يجعل الجمع بين الناموس والمسيح أمراً مستحيلاً!!

ونتيجة لذلك، بقيت كنيسة أنطاكية منقسمة إلى يهود عيورين على الناموس ومسيحيين من أصل أرمي لا يؤمنون بالناموس، حيث لا يتعامل الأولون مع الآخرين. فكيف تُقام الخدمة وكيف يشترك الجميع في الأسرار المقدسة؟ لقد كان هذا نذيراً بأن عنصر التخرف في عظام الكنيسة الفتية لا يزال كامناً. وبدأ اليهود الفيوريون يصبّون نقمتهم على بولس الرسول مترفعين عن تعليمه^(٧).

وهكذا بدأت العلاقات بين بولس الرسول والكنيسة الأم يحكمها التحفظ من الجانبين، بالرغم من اعتراف الرسل برسولية بولس وتفوقه في المعرفة، ولكن مع التحفظ أيضاً، كما يكتب بطرس الرسول بنفسه: «واحسبوا أناة ربنا خلاصاً، كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الحكمة المعطاة له، كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور، التي فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم.» (٢ بط ٣: ١٥ و١٦)

الزيارة الثانية التي قام بها بولس الرسول لغلاطية:

كان قد استطاع الفيوريون للناموس من مسيحيي اليهود أن يصلوا إلى غلاطية بآسيا الصغرى ويقلّبوا الموازين ضد بولس الرسول ويحرضوا المؤمنين معهم في تيار اليهودية والناموس والختان والأصوام مرة أخرى كضرورة حتمية للخلاص، مستندين على برنابا الرسول الذي يُعتبر أول من أنشأ الكنيسة هناك، وعلى الرسل في أورشليم. ولم يكتفوا بذلك بل أحطّوا من قدر بولس الرسول

6 Ibidem.

7. Pfleiderer, op. cit., p. 121.

جاعلين منه مجرد تلميذ للرسل ومحاولين التّيل من كرامته الشخصية أيضاً. وحاول بولس الرسول في زيارته هذه أن يوقف هذا التيار الجارف، ولكن بمجرد مغادرته لفلاطية، انفجرت المكائد والدسائس المعادية تعمل عملها بينهم. وحينئذ كتب بولس الرسول رسالته إلى غلاطية، التي تُعتبر حتى اليوم وإلى أجيال قادمة أروع تحقيق عن حرية المسيحية كأثر خالد، شاهداً بقوة نعمة المسيح على تحرير الإيمان المسيحي من برائن الناموس.

وهو يدافع أولاً عن استقلال سلطانه الرسولي، وأنه لم يُدع من إنسان ليكون رسولاً: «بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات» (غل ١: ١)؛ وأنه ليس من تقليد بشري سابق تعلّم الإنجيل وإنما بإعلان مباشر من المسيح، وأن إنجيله يحمل في داخله ختم صدقه والحق الإلهي الذي استلمه في نفسه باتصاله السري الإلهي بالروح القدس. وهذا الاختبار عينه الذي أخذه باستعلان داخلي من الروح الذي يتعلق عليه وحده معرفة الإنجيل، يمتنى بولس الرسول أن يكون في قلوب من يقرأون له.

وهنا يسأل أهل غلاطية الذين سلّمهم هذا الحق وهذا الروح قائلاً: «أريد أن أتعلّم منكم هذا فقط: بأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان؟ أهكذا أنتم أغبياء، أبعداً ابتدأتم بالروح تُكْمَلُون الآن بالجد؟» (غل ٣: ٢ و٣)، ثم أيضاً الذي سلّمكم هذا الروح (بولس الرسول): «فالذي يمنحكم الروح (بولس) ويعمل قوات فيكم، بأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟» (غل ٣: ٥)

ولكي يرفع بولس الرسول هذا القانون الروحي، أي أن الإيمان بالخبر وليس بالأعمال، وأن هذا القانون أعلى من الناموس والزمن، رفعه إلى إبراهيم المحسوب أنه أبو الإيمان نفسه: أن إبراهيم آمن بالله فحسب إيمانه هذا برّاً!! لهذا يحسب أن المؤمنين هم بالضرورة أولاد إبراهيم.

ولأن الوعد أن بنسله (بالمفرد أي ولد واحد = أي المسيح) تتبارك أمم الأرض، كان لحساب الأمم وليس اليهود، لذلك فكل المؤمنين من الأمم هم الورثة الحقيقيون لإيمان إبراهيم وإبراهيم نفسه وللوعد الذي أخذ.

ولما اعترض اليهود المسيحيون الفيورون على الناموس أن الناموس أضيف على الوعد وأنه بدون الناموس إيمان المسيح لا يكفي. رد بولس الرسول هكذا:

أولاً: من علاقة الوعد بالناموس:

أن الناموس يتعارض مع الوعد، فالواحد ضد الآخر، والله جعل الذين يعملون بأعمال الناموس

إن هم لم يعملوا به كله — وهم لم يعملوا به أبداً: «لأن من حفظ كل التاموس وإنما عشر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل» (يع ٢: ١٠) — جعلهم تحت لعنة: «لأن جميع الذين هم من أعمال التاموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب التاموس ليعمل به.» (غل ٣: ١٠)

والله نفسه جعل الذين يعيشون بالإيمان — ولو بدون استحقاق الأعمال: «وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فإيمانه يُحسب له برًا» (رو ٤: ٥) — ولكن بعتبة النعمة، فإن بركة الله بحسب الوعد تحمل عليهم: «ولكن أن ليس أحد يتبرر بالتاموس عند الله فظاهر، لأن البار بالإيمان يحيا» (غل ٣: ١١). ويختتم بولس الرسول هذه المناقضة الشديدة بين أعمال التاموس والإيمان بالوعد هكذا: «ولكن التاموس ليس من الإيمان — بل الإنسان الذي يفعلها (الأعمال) — سيحيا بها، المسيح افتدانا من لعنة التاموس، إذ صار لعنة لأجلنا، لأنه مكتوب ملعون كل من عُلق على خشبة — لتصير بركة إبراهيم للأُمم في المسيح يسوع لننال بالإيمان موعد الروح.» (غل ٣: ١٢-١٤)

ثانياً: من واقع تاريخ العلاقة بين الوعد والتاموس:

لأن الوعد وهو كامل في ذاته ومقتدر أن يحقق نفسه تماماً بدون أي وسيط أو جهد إنساني، فلا يمكن أن يأتي التاموس بعد مدة طويلة جداً — ٤٣٠ سنة منذ أن نطق الله بالوعد لإبراهيم — ليُضاف إلى الوعد كضرورة إضافية^(٨). هذا بحد ذاته ليس فقط يُضعف قوة الوعد فحسب، بل يُلغيه، إذ يفقد العامل الأساسي فيه وهو النعمة كعتبة موهوبة.

+ «إن التاموس الذي صار (بعد وعد الله لإبراهيم) بعد أربع مائة وثلاثين سنة لا ينسخ (يلغي) عهداً (الموعد) قد سبق فتمكّن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد. لأنه إن كانت الوراثة (وراثه بركة إبراهيم) من التاموس، فلم تكن أيضاً من موعد ولكن الله وهبها (البركة كوراثه) لإبراهيم بموعد.» (غل ٣: ١٧ و١٨)

ثالثاً: علاقة الوعد بالتاموس من جهة مصدره ومعطيه:

+ الوعد استلمه إبراهيم من الله شخصياً بقسم: «أقسمت بذاتي».

+ والتاموس استلمه موسى بيد ملائكة.

+ بمعنى أن الأول قيم على الثاني وأقيم.

(٨) من إبراهيم إلى موسى ٤٣٠ سنة.

- + ولكن ليس بمعنى أن الناموس يتعارض مع الوعد: «فهل الناموس ضد مواعيد الله» (غل ٣: ٢١). وإنما الناموس وُضِعَ ليكون أداة لتكميل الوعد.
- + لأن الناموس عاجز من ذاته أن يعطي حياة، لذلك حُبِسَ الناس تحت عبودية الخطية حتى مجيء الوعد بالبركة ليحقق الإيمان بالمسيح لحساب أولاد إبراهيم الروحيين: «لأنه لو أُعطيَ ناموس قادر أن يُحييَ لكان بالحقيقة البر بالناموس. لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليعطى الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون.» (غل ٣: ٢١ و٢٢)

هنا انتصر بولس الرسول بدفاع كتابي رائع ليحفظ حق الإيمان بالمسيح أو بالخليق حق الإنجيل طاهراً نقياً.

- وحينئذ يتحول بولس الرسول بعد ذلك من الدفاع إلى الهجوم:
- + كيف بعد أن عرفتم الله والله عرفكم بعد أن كنتم تعبدون آلهة هي أصنام، كيف تعودون إلى الخدمة بأمور أركان العالم الضعيفة (غل ٤: ٨-١٠).
- + وهنا يضرب بولس الرسول باليمين واليسار، لأن المقصود بأركان العالم الضعيفة أيضاً هي أعمال الناموس من أعياد وأصوام وتطهيرات وإعداد وهلال وسبت. وهكذا إذ يستكثر بولس الرسول على الوثنيين بعد أن عرفوا الله بالروح وابتدأوا يخدمونه بالروح والإيمان القلبي، أن يعودوا ليعملوا تحت هذه الأمور؛ فكم يكون التوبيخ بالنسبة لليهود الذين كانوا يعرفون الله والله يعرفهم ولهم الوعد والإيمان والروح الذي وعد أن ينسكب عليهم في هذه الأيام.
- + لقد اعتبر بولس الرسول اللجوء إلى الناموس بعد أخذ الإيمان بالمسيح، أن ذلك يُبْطِلُ الإيمان بالمسيح: «قَدْ تَبَقَّلْتُمْ كΑΤΗΡΓΗΘΗΤΕ (= انفصل) عن المسيح أيها الذين تبررون بالناموس، سقطتم من النعمة» (غل ٥: ٤). وهكذا وضع بولس الرسول الفاصل والنقاط الأبدية بين الناموس والإيمان بالمسيح. وجعل التعارض والتضاد بينهما ما لا يمكن التساهل فيه أو تخطيه.

● الضربة القاضية للفصل بين المسيحية واليهودية:

النتيجة: أنه مجيء المسيح انخفضت قيمة الناموس وكبرياؤه إلى الصفر، أي انتهى عهده. فلم تعد فيه أية فائدة أو قيمة إزاء حرية أولاد الله والبر بالإيمان، بل ومجيء الوعد الكامل، أصبح الناموس في توصياته الجسدية على قدم المساواة مع الوثنيين في عبادتهم لأركان العالم الضعيفة.

وقوله أن أولاد الناموس (ابن الجسد) يضطهدون أولاد الروح (ابن الحرية) هو مطابقة لما صعدته

اليهودية في بولس الرسول وفي الكنيسة الأولى (غل: ٢٢-٣١). وكان هذا التشبيه المتجاسر الحاد والقاطع كفيلاً بأن يصع الفاصل النهائي بين اليهودية والمسيحية وينبّه بالفعل إلى أساس العداوة، وليس العداوة فقط، بل والاضطهاد من الجانبين.

وإذ أدرك بولس الرسول خطورة هذا القرار، حاول تليفيه بقدر الإمكان، وكأنها نوع من المصالحة أو طرح مهادنة سلامية، ولكن عبثاً.

ظهور اليهود الغيورين في كورنثوس وتهديد المقاومة بشكل آخر:

سلاح المتعصبين للناموس هذه المرة ليس الناموس ولا الختان. لكنهم غيّرُوا «التكتيك» (أي حركة الحرب في الهجوم والدفاع)، فانصبّ هجومهم هذه المرة على هدفين: «إنجيل» بولس، ثم بولس نفسه.

فإنجيل بولس قالوا عنه أنه ليس هو إنجيل المسيح بل هو «إنجيل آخر»، وبرهانهم على ذلك أن بولس الرسول نفسه لم يَرِ المسيح (مسيح التاريخ)، ولا المسيح أرسله بواقعة تاريخية مسجلة. أما إنجيلهم هم فهو الإنجيل الحقيقي — لسيّئ الملكوت — لأنهم عرفوا المسيح وخدموا معه (هكذا)، فهم رُسل حقيقيون، وكان رد بولس الرسول على ذلك:

+ «ليكون لكم جواب على الذين يفتخرون بالوجه لا بالقلب.» (٢ كور: ١٢)

+ «فإنه إن كان الآتي يكرز بيسوع آخر لم نكرز به أو كنتم تأخذون روحاً آخر لم تأخذوه أو إنجيلاً آخر لم تقبلوه، فحسناً كنتم تحتملون.» (٢ كور: ١١: ٤)

+ «لأنني أحسب أنني لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل.» (٢ كور: ١١: ٥)

+ «ولكن ما أفعله سأفعله (ستقطع هؤلاء الرسل المزعمين بالحرم) لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة ... مثل هؤلاء هم رسل كدّة، فعلة ما كرون مُغيّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح، ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور. فليس عظيماً إن كان خُدّامه [القائلين إنهم يهود وليس يهوداً بل هم مجمع الشيطان] (رؤ: ١٦: ١) أيضاً يُغيّرون شكلهم كخدّام للبر، الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم.» (٢ كور: ١١: ١٢-١٥)

ولكنهم — وكهود — اتضح لبولس الرسول أنهم يتمسكون ويكرزون بالمسيح حسب الجسد فقط، وليس المسيح حسب الروح كابن الله. من هنا ظهر فعلاً وبالتالي أنه إنجيل آخر، وهو حتماً وبالضرورة إنجيل لا يُخبي ولا يُقيم من موت، وإنا إنجيل يتبع الناموس والحرف، فهو إنجيل قاتل. وحينما يحاولون تزييف الصورة، يقولون إن لهم «الروح» أيضاً ولكنه في الحقيقة هو روح العهد القديم ذي المجد الزائل كالنور على وجه موسى وهو للخوف للعبودية.

ومن هذا المنهج الحربي لليهود المنتصرين وراء الناموس، يتضح أن الحرب موجهة أساساً نحو بولس الرسول وبالتالي نحو إنجيله. وبهذا تظهر خطورتها ويظهر تأثيرها المدمر للكنيسة ولروح بولس الرسول نفسه، لأنهم لم يتخروا وسعاً في النيل من شخصه بأساليب ذئبية: «لأننا إن صرنا محتلين فله، أو كنا عاقلين فلکم». (٢ كور ١٣)

إن بولس الرسول، ولشدة حساسيته، لم يستخدم حقه الرسولي في حياة مكرمة يُضَرَف عليها من الأموال المتحصلة من الجمع الأسبوعي، حتى لا يثقل عليهم — هذا كان شعوره الرهيف، فأخذ يمارس مهنته القديمة في صنع الخيام بيديه بالليل والنهار لينفق على نفسه:

+ «أم أخطأت خطية إذ أذلت نفسي كي ترتفعوا أنتم، لأنني سترتكم مجاناً بإنجيل الله، سلبت كنائس أخرى أخذاً أجره لأجل خدمتكم. وإذ كنت حاضراً عندكم واحتجت لم أثقل على أحد ... وفي كل شيء حفظت نفسي غير ثقیل علیکم وسأفعلها». (٢ كور ١١: ٧-٩)

فبدا أمامهم، وللأسف، في وضع متواضع أو حقير شجعهم على الظن به أنه ليست له كرامة الرسول وأنه ليس له الحق في السيادة عليهم كرسول!!!

+ «كان ينبغي أن أمدح منكم، إذ لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل، وإن كنت لست شيئاً. إن علامات الرسول صُنِعت بينكم، في كل صبر وآيات وعجائب وقوات. لأنه ما هو الذي نقصتم عن سائر الكنائس إلا أنني أنا لم أثقل عليكم ...، هوذا المرة الثالثة أنا مستعد أن آتي إليكم ولا أثقل عليكم لأنني لست أطلب ما هو لكم بل إياكم. لأنه لا ينبغي أن الأولاد يذخرون للوالدين بل الوالدون للأولاد، وأما أنا فبكل سرور أنفق وأنفق لأجل أنفسكم». (٢ كور ١٢: ١١-١٥)

والأدهى من ذلك وأمر، أنهم اتهموه باختلاس الأموال المجموعة لفقراء أورشليم ليصرف على نفسه.

وقد رأى القديس بولس أن يكشف لهم عن حقيقة علاقته بالله كرسول وعن مواهب الله له بكل حزن وأسف وشعور بالخطأ، لأنه يظهر وكأنه يفتخر وهو لا يفتخر. فكرس لذلك الأصحاح الحادي عشر (٢١-٣٣) والأصحاح الثاني عشر (١-١٢) من رسالته الثانية لهم.

وهو يفتتح رسالته الثانية لهم وهو في غاية التأثر والحزن والضيق بسبب ما حدث بينهم وما صدر منهم، ولكن في صورة عزاء، حيث تكررت هذه الكلمة عشر مرات في خمسة أعداد:

+ «مبارك الله أبوربنا يسوع المسيح أبو الرأفة وإله كل تعزية، الذي يُعزِّينا في كل ضيقنا، حتى نستطيع أن نُعزِّي الذين هم في كل ضيقة بالتعزية التي نتعزَّى نحن بها من الله. لأنه كما تكثر آلام المسيح فيما كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً. فإن كما نتضابق فلأجل تعزيتكم وحلاصكم العامل في احتمال نفس الآلام التي نتألم بها نحن أيضاً، أو نتعزَّى فلأجل تعزيتكم وخلاصكم. فرجاؤنا من أجلكم ثابت عالمين أنكم كما أنتم شركاء في الآلام كذلك في التعزية أيضاً.» (٢ كور ١: ٣-٧)

ثم يعود ويطفح به الكيل فيحكي عن آلامه النفسية التي برّحت به حتى الموت ولكن الله كان يُخبي:

+ «مكتشين في كل شيء لكن غير متضايقين (حرفياً: "مضيق علينا من كل الجهات ولكن غير مسحقين")، متحجرين لكن غير يائسين، مُضطهدين لكن غير متروكين، مطروحين لكن غير هالكين. حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع، لكي تُظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا، لأننا نحن الأحياء نُسلِّم دائماً للموت من أجل يسوع، لكي تُظهِر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت. إذاً، الموت يعمل فينا ولكن الحياة فيكم.» (٢ كور ٤: ٨-١٢)

وهو إذ يُشَبِّت وقفته التي لا تتزعزع عن الحق وإنجيل الحق وكلمة الحق، لا يبالي إن كان إنجيله يصير إلى حين مكتوماً، أو إذا كان يفسره المقاومون ضد بولس وضد الحق، وهم الذين تسرّبوا من أورشليم ومعهم جوابات توصية من الرسل. وإذ لم يكن له شهادة من أحد اعتمد على شهادة ضميره وضمير الذي يقرأ إنجيله:

+ «أفنتدى غدح أنفسنا أم لعلنا نحتاج — كقوم — رسائل توصية إليكم؟ أو رسائل توصية منكم؟ أنتم رسالتنا مكتوبة في قلوبنا معروفة ومقروءة من جميع الناس، ظاهرين أنكم رسالة المسيح بخدمة ما، مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحي، لا في ألواح حجرية (ناموس) بل في ألواح قلب لحمية.» (٢ كور ٣: ١-٣)

+ «من أجل ذلك إذ لنا هذه الخدمة، كما رُحنا لا نفشل. بل قد رفضنا خفايا الحزي غير سالكين في سكر، ولا غاشين كلمة الله، بل بإظهار الحق مادحين أنفسنا لدى ضمير كل إنسان قدام الله. ولكن إن كان إنجيلنا مكتوماً، فإنما هو مكتوم في الهالكين الذين فيهم — إله هذا الدهر — قد أعمى أذهان غير المؤمنين لتلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله. فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً، ولكن بأنفسنا عبيداً لكم من أجل يسوع.» (٢ كور ٤: ١-٥)

ثم تعود إلى بولس روحه الوثابة واعتداده بقوة المسيح العاملة فيه للخدمة فيقول لهم:

+ «فإد نحن عاملون معه (المسيح)، نطلب أن لا تقبلوا نعمة الله باطلاً (بخلطها بتزييفات ناموسية) ... ولسنا نجعل عثرة في شيء لئلا تُلَامَ الخدمة. بل في كل شيء نُظْهِرُ أَنْفُسَنَا كخدام الله، في صبر كثير، في شدائد، في ضرورات، في ضيقات، في ضربات، في سجود، في اضطرابات، في أتعاب، في أسهار، في أصوام، في طهارة، في علم، في أناة، في لطف في الروح القدس، في محبة بلا رياء، في كلام الحق، في قوة الله بسلاح البر لليمين واليسار، بمجد وهوان، بصيت رديء وصيت حسن. كُضِّلِينْ ونحن صادقون، كمجهولين ونحن معروفون، كسائتين وها نحن نحيا، كمؤذيين ونحن غير مقتولين. كحزاني ونحن دائماً فرحون، كفقراء ونحن نغني كثيرين، كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء. فمنا مفتوح إليكم، أيها الكورنثيون، قلبنا متسع، لستم مُتَضَيِّقِينَ فِينَا بل متضيقين في أحشائكم. فجزاء لذلك أقول كما للأولادي، كونوا أنتم أيضاً متسعين.» (٢كو ٦: ١-١٣)

لقد قبل الكورنثيون توبيخ بولس الرسول بفرح، وارتدوا إليه بكل قلوبهم، وببما هو ذاهب إليهم أتته الأخبار بواسطة تيطس الذي كان أرسله إليهم ليستطلع أحوالهم أنهم بفرح الروح ينتظرونه:

+ «لكن الله الذي يعزّي المتضمين، عزّانا بمجيء تيطس، وليس بمجيئه فقط، بل أيضاً بالنعمة التي تعزّي بها بسببكم، وهو يخبرنا بشوقكم ونوحيكم وغيرتكم لأجلي، حتى إني فرحت أكثر لأنني وإن كنت قد أحزنتكم بالرسالة، لست أندم مع إني ندمت. فإني أرى أن تلك الرسالة أحزنتكم ولو إلى ساعة. الآن أنا أفرح لأنكم حررتكم، بل لأنكم حرزتم للتوبة.» (٢كو ٧: ٦-٩)

والملاحظ أن روح بولس ارتاحت هذه العودة ولانسحاب العناصر المقلقة، وهذا يتضح من رسالته إلى رومية التي كتبها أثناء وجوده في كورنثوس للمرة الثالثة، وهي تفيح برائحة السلام وتتميز بروح الموضوعية والهدوء.

نصفية حساب الناموس في رسالته إلى روما وإثنا في هدوء!

لم يذهب بولس الرسول إلى روما قبل أن يكتب رسالته إليها والمسيحية كانت دخلتها، ولم يكن له أعداء أو مقاومون هناك. هذا نعلمه من يهود المجمع هناك عندما استقبلوه في أول زيارة له وهو مكبّل بالسلاسل: «فقالوا له نحن لم نقبل كتابات فيك من اليهودية، ولا أحد من الإخوة جاء فأخبرنا أو تكلم عنك بشيء رديء، ولكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى؟ لأنه معلوم

عندنا من جهة هذا المذهب أنه يقاوم في كل مكان.» (أع ٢٨: ٢١ و ٢٢)

لكن الرسالة مكتوبة ليس لليهود المجمع الأصليين، إنما للكنيسة في روما بعنصرها من اليهود المسيحيين الذين كانوا يتبعون منهج بطرس الرسول غالباً^(١)، ومسيحيي الوثنية الداخلين في الإيمان وكانوا معاً ليسوا على اتفاق، فكان التوتر عنصراً لا مفر منه.

لقد كان الإيمان السائد في روما هو الإيمان المحدر من أورشليم: «أن إيمانكم يُقَادَى به في كل العالم» (رو ٨: ١)، «لأنني مشتاق أن أراكم ... لننتعزى بينكم "بالإيمان" الذي فينا جميعاً، إيمانكم وإيماني» (رو ١١: ١٢). وبولس الرسول يبدأ منذ أول رسالته بروح المهادنة لليهود المسيحيين: «لأنني لست أَسْتَحِي بإبجيل المسيح لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن، لليهودي أولاً ثم لليوناني.» (رو ١٦: ١)، لأن نموعده الوثنيين الداخلين في الإيمان المسيحي كل يوم جعل العنصر اليهودي يتقلص يوماً بعد يوم، حتى صاروا أقلية ضعيفة لا حول لها ولا قوة بعد أن كانوا العنصر الأساسي والمؤسس للكنيسة هناك.

والخطرة الرومانية، وهي معروفة بما فيها من حب السيادة واحتقار الشعوب (غير الرومانية) وذلك بحكم العنصرية، كانت ما زالت لاصقة ببعض المنتصرين من الأمم. وعلى من كان حُبُّ السيادة؟ على «اليهود» المصبوغين بالإحساس بالسيادة الإلهية فوق الأمم. هذا بالإضافة إلى حياتهم التي لم تكن تخلو بعد من عصر الاستهتار الأخلاقي في عاداتهم اليومية. وكان بطء تكيفهم على الأوضاع المسيحية الجديدة بالتواضع والإخاء والمحبة وتقديم الآخرين، كل هذه كانت تحيّر فكر اليهود المنتصرين وتُزَيِّجُهم، الذين انطبع ملكوت الله والمسيّا في قلوبهم بطابع اليهودية ومسيادتها، الأمر الذي لم يَطْفَأْ كثرة منهم فاضطروا للعودة إلى يهودية المجمع وأصبحت وحدة الكنيسة مهددة. كل هذا توجي به عناصر الرسالة إذا دققنا في تحليلها.

وبولس الرسول يركز على إيضاح موقفه في طرح أسباب هذا التوتر وتوجيهه نحو الانغماس السلمي، ولكن مع إبراز رأيه الذي لا يمكن أن تغيب حقيقته عن ذهن القارئ، محاولاً بذلك بكل الجهد أن ينشئ عقيدة واحدة جامعة متحدة. وهو يتجىء إلى هذه الخطوات:

أولاً: ربط إنجيله الذي أخذه بإعلان المسيح بالعهد القديم باعتبار أن المسيحية هي تكميل وعد الله بالأنبياء:

+ «بولس عبدٌ ليسوع المسيح، المدعوُّ رسولاً، الممرَّزُ لإنجيل الله الذي سبق فوعده به أنبيائه في

الكتب المقدسة عن ابنه الذي صار من نسل داود من جهة الجسد.» (روا: ١: ٣-١)
 + «لأنني لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن، لليهودي أولاً ثم لليوناني، لأن فيه مُعَلَّنُ بَرُّ الله بإيمان لإيمان، كما هو مكتوب، أما البار فبالإيمان يحيا.» (روا: ١٦ و ١٧)

وهو هنا يستعير قول حبقوق النبي: «لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد، وفي النهاية تنكلم ولا تكذب، إن تَوَأَّتْ فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر... والبارُّ بإيمانه يحيا.» (حب: ٢: ٤٣)

+ «وأما الآن فقد ظهر بَرُّ الله بدون الناموس مشهوداً له من الناموس والأنبياء، بَرُّ الله بالإيمان يسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون لأنه لا فرق.» (روا: ٢١ و ٢٢)
 + «أم الله لليهود فقط، أليس للأمم أيضاً؟ بلى للأمم أيضاً، لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والفُرْزَةُ بالإيمان. أفَتُبْتَطِلُ (العهد القديم) الناموس بالإيمان؟ حاشا بل نُثَبَّتِ الناموس (ونكتمله).» (روا: ٢٩-٣١)

موضوع إبراهيم: «لأنه ماذا يقول الكتاب؟ فأمن إبراهيم بالله فحُسِبَ له بَرٌّ... ولكن لم يُكْتَبَ من أجله وحده أنه حُسِبَ له بل من أجلنا نحن أيضاً - الذين سَيُحْسَبُ لنا - الذين نؤمن بمن أقام يسوع ربنا من الأموات الذي أُسْلِمَ من أجل خطايانا وأُقيم لأجل تبريرنا.» (روا: ٢٥-١)

الكلام لليهود المنتصرين:

+ «أم تجهنون أيها الإخوة لأنني أكلّم العارفين بالناموس.» (روا: ١: ٧)
 + «ولكن ليس هكذا، حتى إن كلمة الله قد سقطت، لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون.» (روا: ٩: ٦)
 + «كما يقول في هوشع أيضاً سأدعو الذي ليس شعبي شعبي والتي ليست محبوبة محبوبة، ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أن هناك يُدْعَوْنَ أبناء الله الحي.» (روا: ٢٥ و ٢٦)

+ «وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد بني إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص.» (روا: ٩: ٢٧)

+ «وكما سبق إشعياء فقال لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلًا (الجزء من اليهود الذي قَبِلَ المسيح وصار مسيحياً) لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة.» (روا: ٩: ٢٩)

- + « كما هو مكتوب ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة (يسوع المسيح) وصخرة عثرة، وكل من يؤمن به لا يُخزى. » (رو ٩: ٣٣)
- + « لأن الكتاب يقول كل من يؤمن به لا يخزى، لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني، لأن رباً واحداً للجميع، غنياً لجميع الذين يَدْعُون به، لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص. » (رو ١١: ١٣-١٤)
- + « وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادم الحثان [اخترين في اليوم الثامن، وكرز لليهود: "لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة." (مت ١٥: ٢٤)] من أجل صدق الله حتى يُثبت مواعيد الآباء. » (رو ١٥: ٨)

الكلام للأمم المنتظرين:

- + « وأما الأمم فمجددوا الله من أجل الرحمة، كما هو مكتوب، من أجل ذلك سأحمدك في الأمم وأرسل لاسمك. ويقول أيضاً: تهللوا أيها الأمم مع شعبه، وأيضاً سبحوا الرب يا جميع الأمم وامدحوه يا جميع الشعوب، وأيضاً يقول إشعياء: سيكون أصل يَسَى، والقائم ليسود على الأمم، عليه سيكون رجاء الأمم. » (رو ١٥: ٩-١٢)
- ثانياً: جمع في شخص يسوع المسيح: مسيح التاريخ بحسب التوراة ومسيح الروح من السماء، بحسب الاستعلان الذي ناله لحساب الأمم:
- + « الذي سبق فوعده به، بأنبيائه، في الكتب المقدسة عن ابنه، الذي صار من نسل داود من جهة الجسد (اليهود) وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات (لكل من اليهود والأمم). » (رو ١: ٢-٤)
- + « الذين هم إسرائيليون ... ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد، الكائن على الكل (يهود وأمم)، إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين. » (رو ٩: ٥٤)

ثالثاً: عاد هنا في رسالته إلى أهل روما يعادل ويوفق بين وَجْهَي الناموس. ففي رسالته إلى غلاطية، وبسبب خطورة الأزمة التي خلفها اليهود المتعصبون للناموس، كشف عن وجه الناموس الطقسي بحسب الجسد الذي أَوْرَثَ اللعنة عَوَضَ البرِّ للإنسان الذي يعمل به: «لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة، لأنه مكتوب: ملعون كل من لا يثبت في جميع ما هو مكتوب في كتاب الناموس ليعمل به. » (غل ٣: ١٠)

أما هنا في رسالته إلى رومية، فركّز على الوجه الروحي للناموس كونه يحض على الصلاح والتقوى والطهارة حتى ولو كان لا يؤازر من يعمل بها، فإن أخفق الإنسان، فهذا لكونه يعتمد

على الجسد وطبيعته العاجزة:

+ «إذاً التاموس مقدس والوصية مقدمة وعادلة وصالحة ... فإننا نعلم أن التاموس روحي وأما أنا فحسدي مبيح تحت الخطية ... فإن كنت أفعل ما لست أريده (الخطية)، فإنني أصادق التاموس أنه حسن.» (رو: ٧: ١٢ و١٤ و١٦)

+ «لأنه ما كان التاموس عاجزاً عنه في ما كان (الإنسان) ضعيفاً بالجسد، فإله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد. لكي يتم حكم التاموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد (بناموس الجسد) بل حسب الروح (روح الحياة في المسيح).» (رو: ٨: ٤ و٣)

وإبعاً: ثم عاد هنا في الرسالة إلى أهل رومية ليراجع عمومية الحكم الذي أطلقه في رسالته إلى أهل غلاطية، على أن الرجوع إلى الأركان الضعيفة (أي وصايا التاموس الطقسية) يحرم الإنسان من المسيح:

+ «قد تَبَلَّغْتُم عن المسيح، أيها الذين تبررون بالتاموس، سقطتم من النعمة.» (غل: ٥: ٤)

هنا في الرسالة إلى رومية أجاز للضعفاء هنا بنوع من الاستثناء:

+ «وَمَنْ هو ضعيف في الإيمان، فاقبلوه لا لمحاكمة الأفكار. واحد يؤمن أن يأكل كل شيء وأما الضعيف فيأكل بقل، لا يزدري مَنْ يأكل بَمَنْ لا يأكل، ولا يدين مَنْ لا يأكل مَنْ يأكل لأن الله قَبِلَهُ. مَنْ أنت الذي تدين عبد غيرك؟ هو لمولاه يثبت أو يسقط، ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبت.» (رو: ١٤: ١-٤)

+ «إنني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شيء نجساً بذاته، إلا مَنْ يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس.» (رو: ١٤: ١٤)

هنا حصر القديس بولس النظرة العامة والحكم العام على الأعمال والسلوك والأكل والطعام في النظرة الشخصية لكل واحد بمفرده حسب ضميره. وأضاف نوعاً من الحماية للإنسان (اليهودي الأصل) الذي له ضمير يُعثره من نحو سلوك الآخرين، فهذا يُلزم أن لا نعثره بحريرتنا في المسيح:

+ «فإن كان أخوك بسبب طعامك يُعثرَن، فلست تسلك بعد حسب المحبة. لا تُؤثِّك بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله ... فيجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل أضعاف الضعفاء، ولا نُرضي أنفسنا. فلنُرض كل واحد منا قربه للخير لأجل البنیان.» (رو: ١٤: ١٥؛ ١٥ و٢١)

هنا الضعيف والذي يعثره ضميره هو المسيحي اليهودي الأصل الذي لا يزال الناموس عالقاً به، الذي تربى ضميره على النجس والظاهر حينما يأكل المسيحي الوثني الأصل أشياء ليست طاهرة أمام اليهودي.

وهذا التوجيه الجديد الذي يقدمه بولس الرسول لأهل رومية هو:

١ - من واقع تغيير الحال بالنسبة لليهود المنتصرين، إذ أصبحوا أقلية ضعيفة بعد أن كانوا في الكنائس الأخرى في البداية أكثرية متجبرة ومستبدة. وهكذا بعد أن كان المسيحيون من ذوي الأصل الوثني واقعين تحت ضغطهم واضطهادهم وتعبيرهم، انقلب الحال وصاروا - أي اليهود المنتصرون - هم الأضعف والواقعون تحت إغثار من الوثنيين المنتصرين، وذلك عندما يأكلون، أي يأكل هؤلاء أشياء نجسة في عُرف اليهود أو يسلكون بحرية غير مقبولة ولا جائزة عند اليهود.

٢ - من واقع تقارب الخبرات واقتراب كل فريق من الآخر من كلا الطرفين مما شجع بولس الرسول على التلطيف في مهاجمة اليهود والناموس، بُغية الوصول إلى الوحدة في الكنيسة الجامعة.

خامساً: عوض التفرقة العنيفة القاطعة بين اليهود والمسيحيين التي قَدَّمها بولس الرسول في رسالة غلاطية بجعل المسيحيين الأمميين هم أولاد سارة (الكنيسة)، والورثة الحقيقيين لإبراهيم وللوعود لأنهم آمنوا بالمسيح؛ في مقابل اليهود الذين لم يؤمنوا وكانهم أولاد هاجر (الناموس وسيناء)، الذين بالنهاية هم مطرودون من البيت: «اطرد الجارية وابنتها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة» (غل: ٤: ٣٠) (ارجع إلى ص ٣٤٠) - عاد هنا بولس الرسول في رسالته إلى رومية ليلطف كثيراً من هذا الحكم استرضاءً لليهود المنتصرين الواقعين تحت ألم الإحساس بالأقلية، في حين أن كل المواعيد بالمسيح هي لهم بالدرجة الأولى، عاد يطرق علاقته الشخصية باليهود بكل اللطف والمشاعر الرقيقة؛ بل والمديح في الأصحاح التاسع من رسالته إلى رومية على هذا المنوال:

«إن لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع، فإنني كنت أودُّ لو أكون أنا نفسي محروماً من المسيح لأجل إخوتي أنسبائي حسب الجسد، الذين هم إسرائيليون ولهم التبنّي والمجد والعهود والاشترac والعبادة والمواعيد، ولهم الآباء، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين.» (رو: ٩: ٢-٥)

وعاد يلتمس الخير ويرجو الحياة لليهود حتى الذين رفضوا المسيح والإيمان هكذا:

+ «فأقول ألعن الله رفض شعبه؟ حاشا! لأنني أنا أيضاً إسرائيلي من نسل إبراهيم ... لم يرفض الله شعبه الذي سبق فعرفه ... فأقول ألعنهم عشروا لكي يسقطوا؟ حاشا! بل بزلتكم صار الخلاص للأمم لإغارتهم، فإن كانت زلتهم غنى للعالم ونقصانهم غنى للأمم فكم بالحري ملوهم ... لأنه إن كان رفضهم هو مصالحة للعالم فماذا يكون اقتبالهم إلا حياة من الأموات.» (روا: ١١و١٢و١١و١٢و١٥)

بمعنى أن عشرة اليهود بصليب المسيح لا تعني رفضهم إلى الأبد؛ بل هو مجرد تنحيهم من الطريق فقط ليدخل ملأ الأمم لتكميل خطة خلاص الله العظيم، وحينئذ يدخلون ليكمل الخلاص بهم. وهكذا يصير الأولون آخرين والآخرين أولين، ولكن بالنهاية الكل يدخلون. وهكذا تنتهي الشمولية عند بولس الرسول بأن اليهودي واليوناني واحد في المسيح، والكل يجمعهم ملكوت الله.

وبهذا وفي رسالة رومية ينتهي صراع الأهمية عند بولس الرسول مع اليهودية والناموس، ولكن لا تزال المسيحية متفوقة عن اليهودية بما لا يُقاس.

وسائط الفداء

الباب الثالث : الإيمان .

الباب الرابع : الأسرار .

الباب الخامس : الكنيسة .

الباب الثالث

الإيمان والتبرير والتقديس
في لاهوت بولس الرسول

الفصل الأول

الإيمان

لا نريد أن نخوض في المفاهيم التي خرجت عن أصالة استخدام هذه الكلمة، لأن غايتنا الأساسية من الشرح والتوضيح هو الوصول إلى بناء الفكر والقلب بالمعرفة الروحية الصحيحة حسب الإنجيل، وخلاصة خبرة وتعاليم الآباء القديسين المشهود لهم.

أصل الإيمان في العهد القديم:

أصل «الإيمان» ومنشأه كان مع إبراهيم أب الآباء، ولكن إبراهيم لم يبدأ مع الله بالإيمان ولا الله بدأ مع إبراهيم بعمل يجعله مؤمناً، فالإيمان جاء كعلاقة بين إبراهيم والله بعد أن سمع إبراهيم صوت الله وتكريماً لوجه الله في مواقف كثيرة قبل أن يأتي ذكر الإيمان، بل وكان إبراهيم يدرك في قلبه أن الله هو خالق السموات والأرض قبل أن يؤمن إبراهيم بالله؟! «فقال أبرام لملك سدوم: رفعتُ يديّ (علامة شهادة) إلى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض، لا آخذن لا خيطاً ولا شراكاً نعل ولا من كل ما هو لك، فلا تقول أنا أعنيْتُ أبرام» (تك ١٤: ٢٢ و٢٣). وأخيراً لما ظهر له الرب ووعده بأن لا يخاف وأنه تُرثس له وأنه سيعطيه أجراً كثيراً، اعترض إبراهيم على الله قائلاً: «فقال أبرام أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيماً، ومالكُ بيتي هو أليعازر الدمشقي...» (تك ١٥: ٢). وهنا وعده الله، وهو ابن حوالي مائة سنة وامرأته عاقرة وتقدمت في الأيام جداً ولم يُؤد لها طبيعة الإنجاب، وبالرغم من ذلك وعده الله بأنه سيحب ولداً. هنا آمن إبراهيم: «ثم أخرجه إلى خارج (الخيمة) وقال: انظر إلى السماء (ليلاً) وغلث النجوم إن استطعت أن تعدّها. وقال له هكذا يكون نسلك، فأمن بالرب فحسبه له برّاً». (تك ١٥: ٦ و٥)

يلاحظ هنا أن الإيمان كان نتيجة وعد بأمر غير معقول وفوق قدرة التصديق. هذا هو أول عنصر من عناصر معنى «الإيمان» وقوته عند بولس الرسول:

- (أ) «فهو (أي إبراهيم) على خلاف الرجاء آمن على الرجاء...،
 (ب) وإذا لم يكن ضعيفاً في الإيمان، لم يعتبر جسده، وهو قد صار مُماتاً إذ كان ابن نحو مائة سنة ولا مئاة مستودع (رحم) سارة،
 (ج) ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله،
 (د) بل تقوى بالإيمان مُعطياً مجداً لله،
 (هـ) وتيقن أن ما وعد به هو قادر أن يفعله أيضاً،
 (و) لذلك أيضاً حُسِبَ له برّاً.» (روا: ١٨-٢٢)

هذا هو غرض الإيمان، وهذا هو شرط الإيمان الذي يُحسب له برّاً:

- (أ) إيمان على خلاف الرجاء أنشأ لنفسه رجاءً فوق معقولة الرجاء.
 (ب) إيمان لا يعتبر الأمور الواقعة الملموسة المضادة للعقل.
 (ج) إيمان يجعل وعد الله لا يقترب منه الارتياب.
 (د) إيمان قوي هو بحد ذاته تمجيد لله.
 (هـ) إيمان يصعب وعد الله على مستوى التنفيذ الحتمي.

من هذا نفهم معنى ومضمون الإيمان في الوحي الإلهي من واقع إيمان إبراهيم في العهد القديم، فهو منحصر احصاراً شخصياً للغاية، حاء كنتاج فوق العلاقات العامة، وإبراهيم أطاع الله وخرج من أور، وخرج وهو لا يعلم إلى أين يذهب.
 واعتبر الله أنه خالق السماء والأرض،
 وأن الله ذو اعتبار عالٍ وكرامة حتى يحلف به.
 كل هذه العلاقات العامة جاءت قبل أن يؤمن إبراهيم بالله!

فلما مسَّ الله واقع إبراهيم الميت وأعطاه وعداً بالحياة، ما حدث الاتصال السري الذاتي والتعلق الحياتي بالله عند إبراهيم، فجاء الإيمان!! هنا يمكن أن نقول إن الإيمان هو ارتباط داخلي، حياةً بحياة، ذاتاً بذات، ارتباط الإنسان بالله، ليحدث الانتماء الفائق للطبيعة فيصير الإنسان لله وبصير الله للإنسان.

صور ونماذج مبسطة للإيمان في العهد القديم في لاهوت بولس الرسول (عب ١١):

- (أ) بالإيمان نفهم أن العالمين أنقذت بكلمة الله حتى لم يتكون ما يُرى مما هو ظاهر =
 (الحليقة من لا شيء بقوة الكلمة).

(ب) بالإيمان نُقل أخنوخ لكي لا يرى الموت ولم يوجد لأن الله نقله. إذ قبل نقله شُهد له بأنه قد أَرْضَى الله.

(ج) بالإيمان نوح لما أُوحى إليه عن أمور لم تُر بعد خاف فبنى فلكاً ... صار وارثاً للبر الذي حسب الإيمان.

(د) بالإيمان إبراهيم لما دُعي أطاع أن يخرج ...، فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي.

(هـ) بالإيمان قدّم إبراهيم إسحق وهو مُجرب، ... إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات.

(و) بالإيمان صنع (موسى) الفصح،

(ز) بالإيمان اجتازوا في البحر،

(ح) بالإيمان سقطت أسوار أريحا.

ثم أجل بولس الرسول أعمال كل جبابرة الإيمان في العهد القديم، جدعون وباراق وشمشون ويُفتاح وداود وصموئيل والأنبياء هكذا:

(ط) بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا برّاً، نالوا مواعيد، سدوا أهواء أسود، أطفأوا قوة النار، نحا من حد السيف، تقووا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء.

(ي) بالإيمان (كل هؤلاء) لم ينالوا الموعد ... لكي لا يُكْمَلُوا بدوننا.

ثم يقف بولس الرسول على أمثلة الإيمان كما جاءت عليه هكذا:

+ «ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاءه،

لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه.»

(عب ١١: ٦)

+ «في الإيمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم يسألوا المواعيد، بل من بعيد نظروها وصدقوها

وحَيَّوها.» (عب ١١: ١٣)

ولكي نأخذ صورة متكاملة مبسطة عن غداج عمل الإيمان في العهد القديم التي قدّمها بولس

الرسول، يرى أنه حصر عمل الإيمان في الآتي:

(أ) ربط خلقه العالم بكلمة الله، وخلق ما يُرى بما لا يُرى، أي من لا شيء.

(ب) ربط الإيمان بإرضاء الله. والنتيجة تجاوز الموت.

(ج) ربط الإيمان بتصديق أمور موحاة غير منظورة وتنفيذ أمر الله. والنتيجة نوال البر

والخلاص من الهلاك.

(د) ربط الإيمان بالطاعة والسير في طريق لا تُعرف نهايته.

(هـ) ربط الإيمان بالبذل حتى الموت على أساس قدرة الله على الإقامة من الأموات.

(و) ربط الإيمان بعمل طقسي كوسيلة للخروج من العبودية.

(ز) ربط الإيمان بالدخول في مخاطرة غير عسوبة العواقب.

(ح) ربط الإيمان بتدخل قوات غير منظورة لرفع عوائق منظورة.

(ط) ربط الإيمان بعمل المعجزات الخارقة اعتماداً على الله.

(ي) وأخيراً ربط بولس الرسول كل أعمال الإيمان في العهد القديم بالرجاء غير المنظور دون انتظار تحقيق الوعود.

أساس الإيمان في العهد الجديد:

بولس الرسول لم يضع فاصلاً بين إيمان العهد القديم وإيمان العهد الجديد، ولا وضع تغييراً أو تمييزاً في أي شيء؛ بل أخذ إيمان العهد القديم كنموذج واجب التطبيق. فالإيمان بالله هو الإيمان قديماً وجديداً. وقد اتخذ بولس الرسول إيمان إبراهيم نموذجاً، باعتبار أن تقديمه لابنه حبيبه إسحق، الذي أخذ عنه المواعيد، كذبيحة طاعة لأمر الله دون تفكير أو شك أو أي اهتزاز، كان على أساس إيمانه بأن الله قادر أن يقيمه من الموت — بعد ذبحه — فهو إيمان بالقيامة من الموت، إيمان بالحياة من بعد موت!! إيمان بالله المحيي!!

وبنه وإن بدا لنا أن هذا تخريج من بولس الرسول لأن الكتاب لم يذكر ذلك، إلا أن إبراهيم، وقبل أن يطلب منه الله تقديم ابنه ذبيحة له، سبق له أن آمن بمواعيد الله وهو ابن مائة عام وامرأته كذلك وقد فقدت القدرة على النسل، لما وعده الله بأنه سيكون له ابن وامرأته ستلد له ولداً، «آمن بالله»؛ فميلاد إسحق يعني بحد ذاته إقامة من الموت بمعنى إعطاء حياة من بعد موت!!

على هذا الأساس قال بولس الرسول إننا عندما نؤمن بقيامة المسيح من الموت وبأن الله أقامه من الموت من أجلنا، فهذا هو إيمان العهد الجديد الذي يُحسب لنا برّاً. هذا الإيمان بقيامة المسيح من الموت يُحسب لنا برّاً على نفس الأساس الذي حُسِبَ به البر للإيمان إبراهيم كما قرأناه:

أ — إيمان على خلاف الرجاء: وهذا من واقع اعتراف تلميذي عمواس: «ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل، ولكن مع هذا كنه اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك (منذ صلبه)». (لو ٢٤: ٢١)

ب — إيمان لا يعتبر الأمور الواقعة الملموسة المضادة للعقل: مات وثُبر لثلاثة أيام.

ج — إيمان يجعل وعد الله لا يقترب منه الارتياح: ونحن نشهد لذلك «الاعتراف الحسن» قام حقاً!!

د - إيمان هو بحد ذاته تمجيدٌ لله: قام بمجد الآب.

هـ - إيمان يضع وعد الله موضع التنفيذ: العماد.

إذا انتبهنا إلى هذه العناصر التي يتحتم أن توجد في الإيمان بالمسيح لكي يُحسَب لنا برّاً على أساس البر الذي حُسِبَ لإبراهيم لما آمن بالرب، فإننا نجد أن تعريف لإيمان يشمل هذه العناصر تماماً:

الإيمان هو بخصوص حقيقة فائقة للطبيعة،

ومساعدة النعمة نحن نؤمن أن كل الأمور التي استُغْلِنَت في الإنجيل هي حق! ليس كأنها في متناول قوى العقل الطبيعي الذي ندرك به المعقولات المادية، ولكن على أساس أن إيماننا هو اعتمادٌ على سلطان وصدق الله الذي أعلنها.

أما في تعريف البرّ بالإيمان:

فنحن نتبرّر بالإيمان بالله، لأن الإيمان بالله هو أساس كل فعل وتصرف. والتبرير بالإيمان مجاني، لأن لا شيء يساوي الإيمان مهما كان هذا الشيء. فإن كان ليس شيء يفوق الإيمان، فالتبرير بالإيمان يتحتم أن يسبق التبرير بالأعمال ويتفوق عليه.

ولأن التبرير أكمله المسيح عنا مجاناً قبل أن نؤمن أو نعمل، فالبر المجاني يسبق كل شيء. فما علينا إلا أن نؤمن بالبر - أو بالبار - لكي نتبرر ثم نعمل أعمال البر فنؤهل للحياة فيه؛ بمعنى أن البر قائم قبل الإيمان، ولكن يتحتم أن نؤمن به لننال، فإذا نلناه بالإيمان فلا بد أن نسلك ونعمل به لنحيا فيه.

معنى «الإيمان في المسيح»

و«إيمان المسيح» باعتباره هبة

هذا المعيار اللاهوتي: «في المسيح»^(١) الذي يتكرر كثيراً في لاهوت بولس الرسول هو في الحقيقة تعبير عن خبرة الخلاص المجاني التي وُهِبَتْ له والتي حازها. فهي هبة مُنِيحَتْ له دون أن يسمى إليها، ولكنها بقيت «فيه» تعمل على كافة المستويات، وكان يعبر عنها دائماً بأن «المسيح فيه». وعلى نفس المستوى في التعبير عن الخلاص الذي فيه، فهو أيضاً «في المسيح» يعيش.

(١) أنظر صفحات ٢٦٤-٢٦٦.

هذه الخبرة الخلاصية — كمهبة حصل عليها مجاناً — بقيت فيه وأصبحت طاقة مختزنة تعمل فيه ولا تفرغ؛ أحسها بولس الرسول وعبر عنها بأنها قوة تعمل فيه ويعمل بها.

+ «فبكل سرور أفتخر بالحري في ضعفاتي لكي تحل عليَّ قوة المسيح $\eta \delta \omega \nu \alpha \mu \iota \varsigma \tau \omicron \upsilon \chi \rho \iota \sigma \tau \omicron \varsigma$... لأنني حينما أنا ضعيف محيئذ "أنا قوي"» (٢ كور ١٢: ١٠ و ١١).
واضح هنا أن بولس الرسول يفرض ضعفه عن قوة المسيح فيه. فهو ضعيف بنفسه، قوي بالمسيح.

+ «باسم ربنا يسوع المسيح، إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح...» (١ كور ٤: ٤). فالمسيح في بولس قوة تعمل: «بحسب القوة التي تعمل فينا.» (أف ٣: ٧٠)

+ هكذا أحس «بغنى المسيح» $\pi \lambda \omicron \upsilon \tau \omicron \varsigma \tau \omicron \upsilon \chi \rho \iota \sigma \tau \omicron \varsigma$ أيضاً يفيض فيه:
«أُعْطِيتُ هذه النعمة أن أبشِّر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُسْتَقْصَى.» (أف ٣: ٨)
«وأقامنا معه، وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع، يُظْهِرُ في الدهور الآتية غنى نعمته الفائت باللطف علينا في المسيح يسوع.» (أف ٢: ٧ و ٦)

+ كذلك كان يحس «بركة (إنجيل) المسيح»: $\epsilon \upsilon \lambda \omicron \gamma \iota \alpha \varsigma \tau \omicron \upsilon \chi \rho \iota \sigma \tau \omicron \varsigma$
الترجمة العربية هنا غير دقيقة فهي يجب أن تكون «بركة المسيح» مباشرة، وذلك بحسب أوثق النصوص، وليس «بركة إنجيل المسيح»، فكلمة «الإنجيل» هنا مُزَادَةٌ: «وأنا أعلم أنني إذا جثت إليكم سأجيء في ملء بركة (إنجيل) المسيح.» (رو ١٥: ٢٩)
+ وكان يحس أيضاً أن المسيح لما حلَّ في قلبه بالإيمان، حلَّ بملكه — أي بملء المسيح $\pi \lambda \eta \rho \omega \mu \alpha \tau \omicron \upsilon \chi \rho \iota \sigma \tau \omicron \varsigma$: «إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤: ١٣)، «وأنتم مملوؤون فيه.» (كو ٢: ١٠)

كل هذه التعبيرات: القوة، والغنى، والبركة، والملء التي للمسيح والتي يحسها بولس أنها متدفقة من المسيح، هي كلها بحد ذاتها تعبر عن «إيمانه في المسيح»، وهذه هي تعبيراته عن «الإيمان في المسيح»:

+ «آمنا نحن أيضاً بيسوع المسيح (صحتها: في المسيح يسوع $\epsilon \iota \varsigma \chi \rho \iota \sigma \tau \omicron \nu \iota \eta \sigma \omicron \upsilon \nu$)
لنتبرر بإيمان يسوع لا بأعمال الناموس.» (غل ٢: ١٦)
+ «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان في المسيح يسوع $\epsilon \nu \chi \rho \iota \sigma \tau \omicron \varphi \iota \eta \sigma \omicron \upsilon$ » (غل ٣: ٢٦)
+ «سمعت بإيمانكم في الرب يسوع $\epsilon \nu \tau \omicron \varphi \kappa \upsilon \rho \iota \omicron \varphi \iota \eta \sigma \omicron \upsilon$ وعجتكم نحو جميع القديسين.» (أف ١: ١٥)

- + «قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا فيه εις αὐτὸν πιστεύειν فقط بل أيضاً أن تتألموا لأجله.» (في ٢٩: ١)
- + «سمعنا إيمانكم في المسيح يسوع = τὴν πίστιν ὑμῶν ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ وعجبكم لجميع القديسين.» (كو ١: ٤)
- + «ناظراً لتربيكم ومثانة إيمانكم في المسيح εις Χριστόν.» (كو ٢: ٥)
- + «لأن الذين تشتمُّوا حسناً يقتنون لأنفسهم درجة حسنة وثقة كثيرة في الإيمان الذي في المسيح يسوع ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ.» (١ تي ٣: ١٣)
- + «تمسك بصورة الكلام الصحيح الذي سمعته مني في الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ.» (٢ تي ١: ١٣)
- + «وإنك منذ الطفولة تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تُحكِّمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع ἐν Χριστῷ Ἰησοῦ.» (٢ تي ٣: ١٥)
- كما نجده يستخدم لوصف إيمانه أنه:
- + «إيمان المسيح Χριστοῦ Ἰησοῦ πίστις»:
- + «إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس بل بإيمان يسوع المسيح، آمناً نحن أيضاً بيسوع المسيح لتبرر بإيمان يسوع.» (غل ٢: ١٦)
- + «فما أحياء الآن في الجسد، فأما أحياء في الإيمان إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي.» (غل ٢: ٢٠)
- + «لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية يُعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون.» (غل ٣: ٢٢)
- + «الذي به لنا جراءة وقدم بإيمانه عن ثقة.» (أف ٣: ١٢)
- + «وليس لي بُري الذي من الناموس بل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان.» (في ٩: ٣)

وهذه التعبيرات جميعاً بخصوص الإيمان، عند بولس الرسول، قوِّص أن الإيمان عنده هو قوة تكونت فيه نتيجة اتحاده بالمسيح — الرب الروح من السماء — كما رآه وسمعه واختبره في القلب، وهذا هو سر قوله دائماً «في المسيح»، كحقيقة عامة إيمانية يطرحها للممارسة العامة وللجميع بلا استثناء.

فإيمانه بالمسيح هو في الحقيقة «اتحاده الدائم بالمسيح»، اتحاده بموته واتحاده بقيامته، لأن

المسيح مات بنا وقام بنا. وليس الإيمان وحسب، بل وكل الصفات ذات المعيار المسيحي هي مستمدة من المسيح بالشركة معه أو الاتحاد به أو الإيمان به، فهي حتماً حصيلة إيمان، لأن الإيمان هو أصل ورأس الاتحاد بالمسيح الرب الروح من السماء.

ومن هذه الصفات التي نستمدّها من المسيح بالإيمان به:

محبة المسيح:

+ «لأن محبة المسيح تحصرنا $\eta \alphaγάπη \tauου...Χριστου$ » (٢ كو ٥: ١٤)

هنا محبة المسيح قوة رابطة عامة!

+ «... وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة.» (أف ٣: ١٩)

وهنا محبة المسيح هي استنارة روحية عامة فائقة على إدراك العقل.

+ «من سيفصلنا عن محبة المسيح أشدة؟...» (رو ٨: ٣٥)

هنا الرباط في المسيح جاء بصيغة الجمع وليس خبرة شخصية.

رجاء المسيح:

وأيضاً رجاء المسيح عند بولس الرسول، وحينما يعبر أيضاً عن الرجاء الذي فيه، فهو هو رجاء المسيح بمعنى الرجاء الذي يناله الإنسان، كل إنسان، من جراء الشركة مع المسيح أو فيه. فهو «رجاء المسيح $\tauῆς ἐλπίδος \tauου...Χριστου$ » العام وليس رجاء بولس الشخصي.

+ «متذكّرين بلا انقطاع عمل إيمانكم، وتعب محبتكم، وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح أمام الله وأبينا» (١ تس ١: ٣)، كله بالجمع.

سلام المسيح:

وكذلك السلام، فهو «سلام المسيح $\eta \epsilonἰρήνη \tauου Χριστου$ » حيث السلام يملك على القلوب ويربطها برجاء واحد ولا يقتصر على قلب واحد:

+ «وليملك في قلوبكم سلام (المسيح) الذي إليه دُعيتم في جسد واحد.» (كو ٣: ١٥)

والترجمة العربية البيروتية غير دقيقة هنا، فهو «سلام المسيح» وليس «سلام الله»، وذلك حسب أوثق النصوص.

كذلك وداعة المسيح وحلمه $\eta \piραότης \kappaαὶ ἐπιεικεία \tauου Χριστου$:

+ «ثم أطلب إليكم بوداعة المسيح وحلمه أنا نفسي بولس...» (٢ كو ١٠: ١)

هنا وداعة المسيح وحلمه هبة مطروحة على الكنيسة ككل.

σπλάγχνα Χριστοῦ = « Tender mercies المسيح أحشاء » :
+ « أشتاق إلى جميعكم في رقة تعطفات (أحشاء) يسوع المسيح. » (في ١: ٨)
هنا « رقة تعطفات » المسيح تملأ اشتياقات الأفراد نحو الأفراد وتوحدّها.

كذلك « صبر المسيح τοῦ Χριστοῦ ὑπομονή »، حيث صبر المسيح ممنوح لقلوب
الجماعة كمحبة الله العامة:

+ « والرب يهدي قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح. » (٢ تس ٣: ٥)

كذلك « طاعة المسيح τοῦ Χριστοῦ ὑπακοή »:

+ « مستأسرين كل فكر إلى "طاعة المسيح." » (٢ كو ١٠: ٥)

هنا طاعة المسيح تأسر الأفكار الشاردة لتوحدّها في أسر حق المسيح.

كذلك « حق المسيح τοῦ Χριστοῦ ἀλήθεια »:

+ « حق المسيح في... » (٢ كو ١١: ١٠)

هنا « حق المسيح » ينطق في أولاد الله النطق الصادق الواحد.

كذلك « مخافة المسيح τοῦ Χριστοῦ φόβος »:

الترجمة البيروتية هنا أيضاً غير دقيقة فهي « مخافة المسيح » وليس « مخافة الله »، وذلك حسب
أوثق النصوص.

+ « خاضعين بعضكم لبعض في خوف المسيح. » (أف ٥: ٢١)

هنا خوف المسيح يعني الرؤوس المتكبرة، لتخضع الجماعة معاً بعضها لبعض.

كذلك « ختانة المسيح τοῦ Χριστοῦ περιτομή »:

هنا ختانة المسيح خرجت عن مفهومها الفردي لتعطي قوة خلع جسم خطايا البشرية.

+ « وبه أيضاً خُتِنْتُمْ ختانة غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية، بختان المسيح. »

(كو ٢: ١١)

كذلك « آلام المسيح τοῦ Χριστοῦ παθήματα »:

هنا الآلام ليست خبرة شخصية مميزة، بل هي خبرة شركة يشترك فيها الجميع لينالوا منها
تعزيزات تجمع قلوبهم وأرواحهم.

+ « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبّهاً بموته. » (في ٣: ١٠)

+ « لأنه كما تكثر آلام المسيح فينا كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً. » (٢ كو ١٠: ٥)

كذلك «شذائذ» (أحزان) المسيح αἱ θλίψεις τοῦ Χριστοῦ :

+ «الآن أفرح في آلامي لأجلكم وأكثّل نقائص شذائذ المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة.» (كو١: ٢٤)

ويضاف إلى ذلك ما سبق أن أوضحنا في:

«قوة المسيح» ἡ δύναμις τοῦ Χριστοῦ

«غنى المسيح» τὸ πλοῦτος τοῦ Χριστοῦ

«بركة المسيح» ἡ εὐλογία τοῦ Χριστοῦ

«ملء المسيح» τὸ πλήρωμα τοῦ Χριστοῦ

وكلها تحمل معنى توريع هبات المسيح لتجتمع وتوحد وتقدس.

كل هذه الاصطلاحات أوردتها القديس بولس، لا من تفكيره ولا من تصوّره، لأنها كلها تنافي التصوّر والتفكير، ولأن صفات المسيح هي للمسيح ولا يمكن بالعقل أن يكون قد وهبها لبولس لتصير صفات فيه، أي في بولس، ولكن بولس الرسول يوردها بحالها، في المسيح وله بآد واحد، وهذا لا يمكن أن يتأتى إلا إذا كان بولس قد أصبح شريكاً أو مُشترِكاً في كل ما للمسيح بالاتحاد الذي أعطاه «الإيمان» الحى بالمسيح، والذي جعله شريكاً في صفات المسيح واختياراته وأعماله. فهو مات معه وقام معه وجلس معه في السماوات، وتألّم وصبر وتقوى، واغتنى وتبارك وامتلاً بما للمسيح. كل هذا لينتهي إلى القول بأننا «مملوؤون فيه.» (كو٢: ١٠)

هذا التعبير عن الإيمان وبهذا الوصف، وعن شركة صفات المسيح وبهذا الوصف أيضاً، لا يمكن أن يُحتسب أنه لاهوت عقلي أو تحليلي ولا جذلي — كما يقول العلماء — بل ولا هو تصوّفِيّ كأنه خبرة شخصية فردية، ولكنه لاهوت الخلاص العام الذي انفتح على الإنسان كهبة إلهية حية وعملية ليحيّاها الإنسان بالإيمان ويزدق كل مفاعيلها؛ يقدمها القديس بولس بعد أن أدركها وذاقها كنموذج عام للكنيسة ككل.

يفهم من هذا أن هذا الاصطلاح اللاهوتي المحبّب جداً عند بولس: «في المسيح»، هو بالنهاية يخدم قضية الكنيسة ككل. فإن كان هو «فردياً» فذلك ليكون «جماعياً»، إذ لا يمكن أن يكون فردياً ليبقى فردياً. فبولس صار «في المسيح» كنموذج بوضح كيف تصير الكنيسة كلها في المسيح وليس ليبقى بولس وحده في المسيح وحسب. نحن هنا أمام «أنا الكرمة وأثم الأغصان» (يو١٥: ٥)، فالغصن يتحتم أن يثبت في الكرمة وإلاّ فهو لن يثمر ومصيره يكون لنقطع ثم للحريق، والكرمة (الكنيسة) لا تقوم ولا تحيا على غصن واحد يثبت فيها؛ بل على الأغصان، كل

الأغصان، مجتمعة ومتحدة معاً ومُشتركة في ثمر واحد!

وبوضوح أكثر، فنحن هنا أمام جسد المسيح وأعضائه، وخبرة العصور وحياته هما «في المسيح». ولكنها ليست حبة فردية وحسب؛ بل وخبرة جماعية: «نحن الكثيرون جسد واحد في المسيح وأعضاء بعضاً لبعض» (رو ١٢: ٥)؛ بمعنى أنه مستحيل أن يوجد عضو في جسد المسيح بمفرده دون بقية الأعضاء، فخبرة كل عضو «في المسيح» تمتد وتلتحم بكل خبرة لكل عضو «في المسيح»، وهكذا لا تقوم الكنيسة بدون الفرد ولا يقوم الفرد بدون الكنيسة.

معنى الإيمان «على» المسيح:

كذلك في «الإيمان» عند بولس قد عبّر عنه مراراً أنه «إيمان» ليس «في المسيح» فقط الذي ترجمته اليونانية *ἐν Χριστῷ* أو *εἰς Χριστόν*؛ بل إيمان «على» المسيح *ἐπὶ Χριστῷ*.

- + «وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي (صحتها) «ولكنه مؤمن على الذي» *πιστεύοντι δὲ ἐπὶ τὸν* (يو ٥: ٥)
- + «بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيُحسَب لنا الذين نؤمن بمن (صحتها) «نحن المؤمنين على الذي» *πιστεύουσιν ἐπὶ τὸν* (أقام يسوع ربنا من الأموات. (رو ٤: ٢٤)
- + «وكل من يؤمن به (وصحتها) «والذي هو عليه مؤمن» *ὁ πιστεύων ἐπ' αὐτῷ* لا يخزي.» (رو ٩: ٣٣ و ١١: ١٠)
- + «... لكنني لهذا رُجِمْتُ، ليظهر يسوع المسيح فيّ أنا أولاً كل أناة مثلاً للعبيد أن يؤمنوا به (وصحتها) «لكل من سيأتي مؤمناً عليه» *μελλόντων πιστεύειν ἐπ' αὐτῷ* (الحياة الأبدية. (١ تي ١: ١٦)

هنا الإيمان الذي يوضحه بولس بحرف *ἐπὶ* أي «على» هو مثل إيمان إبراهيم الذي آمن بالله «متكللاً عليه». فإيمان بولس هنا هو إيمان الاتكال «على» المسيح اتكالاً كاملاً غير مشروط وبلا حدود، ليستظهر على كل التجارب والمحن التي تصدم هذا الإيمان في محاولة لاختباره، مثال الأمر الصادر من الله لإبراهيم ليقدم ابنه وحيد الذي يحبه ذبيحة! فقدّمه إبراهيم باتكال كامل على الله الذي هو قادر أن يقيم من الموت أيضاً، في مواجهة كل ضعف نفساني أو عاطفي! هذا النوع من الإيمان على الله هو الذي ورث إبراهيم البر. وبولس الرسول يطبق تمام التطبيق وبكل دقة الإيمان بالمسيح على مستوى هذا الإيمان بالله باعتبار الله أنه هو الذي أقام المسيح من الأموات بالفعل. لهذا اعتبره بولس الرسول أنه يتساوى تماماً مع إيمان واتكال إبراهيم

على الله في تقديم ابنه للموت وهو موقن أن الله حتماً سيُقيمه، ليبقى على وعده. هذا الإيمان المسيحي هو في اعتبار بولس الرسول إيمان «على المسيح»: بمعنى الاتكال الكامل على صدق مواعيد الله فيه التي لن يُخلفها، لذلك فإن كان إيماننا حقاً هكذا فهو يبرّر حتماً ويزوّث المواعيد الصادقة والأمانة!

هنا ينكشف، عزيزي القارئ، أحد أسرار معنى الإيمان العملي المتناهي في الثقة بالمسيح والله عند بولس الرسول، والذي هو حقاً يبرّر على مستوى إيمان إبراهيم، أي الإيمان المتكل على المسيح اتكالاً لا يتدخل فيه المنطق والعقل أو الاستحقاق الشخصي.

بهذا نعود فنفهم كيف ولماذا يقول بولس الرسول إننا نحن «الذي به (بالمسيح) لنا جراءة وقدم (إلى الله) بإيمانه عن ثقة» (أف ٣: ١٢). لأننا إن كان «إيماننا على المسيح» هو على مستوى إيمان إبراهيم — الذي ألقى كل اتكاله على الله، فأصبحت نفسه غير محسوبة عنده: «فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة» (بط ١: ١٣)، فحينئذ نكون محمولين بالإيمان على المسيح، فلا يعود ينظر الله إلى ما هو فينا ولنا أو علينا؛ بل ينظر إلى ابنه الذي يحملنا ونحن عليه محمولين بالإيمان، من هنا تكون جرأتنا وقدومنا إلى الله عن ثقة، وهي أصلاً ثقة المسيح في الله.

ثم انظر، أيها القارئ، كيف يجتاز بولس الرسول الزمن السالف كله في لحظة بصر ويجتزله ليربط إيمان إبراهيم بإيماننا بجنه الوضوح واليقينية.

وإيمان إبراهيم كان فائقاً أو مستحيلاً على العقل هكذا:

+ «ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله (سواء بميلاد إسحق في شيخوخته أو عندما قال له: قدّم ابنك ذبيحة)؛ بل تقوّى بالإيمان مُعطياً مجداً لله (ثقة مطلقة)، وتيقّن أن ما وعد به [إسحق (ابنك) يدعى لك نسل] (تك ٢١: ١٢)، و«بنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض» (أع ٣: ٢٥) هو قادر أن يفعله أيضاً (بأن يقيم إسحق من الموت)، لذلك أيضاً حسب له برّاً.» (رو ٤: ٢٠-٢٢)

ثم جاء الشاموس غير قادر أن يبرّر، فتوقف إيمان إبراهيم عن العمل وصار مستحيلاً أن يتبرر أحد أمام الله. وأخيراً جاء المسيح، فأنّاح الله الفرصة للإنسان عامة أن يؤمن بمَن هو قادر أن يقيم من الموت أيضاً؛ بل بالذي أقام المسيح من الموت حقاً وفعلاً. حتى إن كل مَن يؤمن بالمسيح المُقام من الموت، يكون إيمانه بالله والمسيح على مستوى إيمان إبراهيم!!

+ «ولكن لم يُكتب من أجله (إبراهيم) وحده أنه حسب له؛ بل من أجلنا نحن أيضاً الذين

سُحِّسْتُ لَنَا، الَّذِينَ نُؤْمِنُ بِمَنْ أَقَامَ يَسُوعَ رَبَّنَا مِنَ الْأَمْوَاتِ.» (رو: ٢٤ و ٢٣)

+ «اعلموا إذاً أن الذين هم من الإيمان (بالمسيح)، أولئك هم بنو إبراهيم. والكتاب
إد سبق فرأى أن الله بالإيمان (بالمسيح) يبرّر الأمم، سبق فبشّر إبراهيم أن فيك تتبارك جميع
الأمم. إذاً، الذين هم من الإيمان (بالمسيح) يتباركون مع إبراهيم المؤمن.» (غل ٣: ٧-٩)
+ «فإن كنتم للمسيح، فأنتم إذاً نسل إبراهيم، وحسب الموعد ورثة.» (غل ٣: ٢٩)

إذاً، فالمسيح أعادنا مرة أخرى إلى مستوى حياة إبراهيم مع الله، ولكن حياة إبراهيم مع الله
كانت نموذجاً كتمهيد لكي نبلغه نحن بالمسيح ونعيشه. وذلك على أساس ذات الإيمان الفائق
الذي وهبه الله لإبراهيم بالنعمة الفائقة وكان هذا أيضاً كنموذج، أعطانا المسيح إمكانياته وكل
عناصره بموته وقيامته مع نعمة الروح القدس. ولكن «إيمان المسيح» يتفوق لأنه «إيمان ابن
الله»، كونه يقدمنا إلى الله أبيه متحدّين بالمسيح: «لأنكم قد مُثِّم (مع المسيح وفيه) وحياتكم
(الآن) مستترة مع المسيح في الله.» (كو ٣: ٣)

ونعود ونكرر أن هذا الإيمان ليس هو خبرة تصويّفة لبولس؛ بل هو خبرة قبولي هبة عامة مجاناً
للجميع بانفتاح الوعي المسيحي على عطايا المسيح وهباته وبركاته وكل مواعيده. ليس لبولس
الرسول فيها أي دور سوى أن الله اختاره ليُظهِرَ ابنته فيه، ليعلنه هو للجميع، وقد اختاره الله ليس
لامتياز فيه؛ بل وهو في أسوأ حالاته:

+ «... ولكن لما سَرَّ الله الذي أفرزني من بطن أمي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيّ لأبشّره
بين الأمم...» (غل ١: ١٥ و ١٦)

+ «وأنا أشكر المسيح يسوع ربنا الذي قوّاني، أنه حسّني أميناً إذ جعلني للخدمة، أنا الذي
كنت قبلاً مُجَدِّفاً ومُضْطَهِداً ومُفْتَرِياً، ولكنني رُحِمْتُ لأنني فعلت بجهل في عدم
إيمان. ونفاضلتُ نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع. صادقة هي
الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليُخَلِّصَ الْخَطَاةَ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ
أنا، لكنني لهذا رُحِمْتُ ليُظهِرَ يسوع المسيح فيّ أنا أولاً كل أناة مثلاً للعبيد أن
يؤمنوا به للحياة الأبدية.» (١ تي ١: ١٢-١٦)

الإيمان كمصدر لنوال كل مفاعيل الخلاص والفداء:

إيمان بولس — كما قلنا — لا يصدر عن فكر فيكون له خط مسار محسوب؛ بل هو خبرة حية
ذات انفعالات متعددة. لذلك، فالخلاص عند بولس الرسول ليس نظرية ذات شكل محدد بزوايا
تحيط بها، أو هو محدد بدرجات تتسلسل عليها؛ بل الخلاص أشعة ذات ألوان متعددة بتعدد الرؤى

والتطلع في وجه المسيح الرب الروح المُطلَّ علينا في القلب من السماء وجروحه عليه .

لقد اعتاد اللاهوتيون أن يقسموا تعاليم بولس الرسول إلى نظريات محددة تكاد تنفصل الواحدة عن الأخرى، فنظرية «الخلاص» ونظرية «الفداء» ونظرية «التبرير» ونظرية «المصالحة»، إلخ...، وجعلوها معركة عقائد. ولكن هذه «النظريات» المرسومة كمنتهج والمُتعلِّقة كدوائر باردة تكاد لا تمس الواحدة الأخرى، لم تخرج من فكر بولس الرسول هكذا؛ بل لم تخرج من فكره إطلاقاً؛ بل هي من قلبه وروحه ونفسه خرجت مُفَعَّمة بالمشاعر الحية الفياضة وبانفعال النعمة، يُرَكِّبها روح المسيح الذي فيه ويشهد لها، ويُلْهبها فرحه وانبهاره وتأثره بها .

فحينئذ يتطلع القديس بولس في وجه المسيح الذي أَثَقَّنَا من عبودية ناموس الخطية واللعنة، يراه بالإيمان فصيح «خلاصنا» الذي دُيِّع لأجلنا ويهيب بنا في تهليل أن نُعَيِّد بفطير الإخلاص .

وحينئذ يراه مذبوحاً على الصليب كذبيحة خطية وذبيحة بذل المحبة بآن واحد، فإنما يراه بالإيمان وقد أكمل «الفداء» وصار دمه ينضح علينا وفيينا «للقديس» و «التطهير» .

وحينئذ رآه مُطلَّاً عليه من السماء مجيِّد، وهو الذي صُليَّب ومات، فقد كان يرى أمامه الفرصة العظيمة لنوال «التبرير» بالإيمان الذي ناله إبراهيم سواءً بسواء لما قدَّم ابنه إسحق، مؤمناً بأن الله قادر أن يقسيمه من الأموات: «إِذ حَسِبَ أَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى الْإِقَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ». (عب ١١: ١٩)

وحينئذ يتطلع بولس الرسول في الوجه اللامع بنور الله فهو يدرك بالإيمان أنه هو ابن الله الذي أكمل رسالة حب الله لنا بموته وقيامته، فيراه بعين الإيمان وسيط «المصالحة العظمى» التي أُكْمِلَتْ مع الإنسان. وهو بالإيمان أيضاً يراه رئيس «السلام» الذي أعطى لنا سلامه نحياء في القلب بالروح؛ بل ويرى بولس الرسول نفسه أنه سفير المسيح الذي دَفَعَهُ للأُمم ليُدعوهم: «تصالحوا مع الله!!» (٢ كور: ٥: ٢٠)

وليدرك القارئ هنا مقدار البساطة التي كان بولس يعلم بها لاهوته للأعميين البسطاء الراجعين من الأوثان الحجرية، ومقدار الاهتمام الذي يبذله ليعطيهم قلوباً لحمية تنبض بحب الله الذي وهب لهم أن يعبدوه، لا ليحشوا عقولهم بمناهج فلسفية تقوم على المنطق والجدل وأصول الحوار.

بولس الرسول في لاهوته ليس معلماً لأصول لاهوت الخلاص، تبريراً كان أو فداءً أو غفراناً أو

مصالحة أو تبتلياً أو سلاماً، بل إن بولس يقدم نفسه في لاهوته كمن يعترف ويشهد ويبرهن على حقيقة من آمن به ومن أحبه وأسلم ذاته من أجله: «أحبنى وأسلمت نفسي لأجلي». (غل ٢: ٢٠)

إنه يسمى كسفير نشيط ومخلص، منفعلاً للمصالحة التي صالحه بها المسيح مع الله: «نسمى كسفراء... نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله». (٢ كو ٥: ٢٠)، ويكاد يصرخ من فرط اندهاله كيف سقط عنه سلطان الناموس وجبروته لما تطلع في وجه المسيح ففرقه وآمن به!

والصليب الذي كان يثير غضبه وحقدته إلى درجة القتل بجهالة، الآن هو يتأوه لما تحقق أن المصلوب عليه صُلب لأجله!! كيف أصابت كلمة الصليب عنده حسم خطيته فأفرغته من سُم الخطية القاتل وأوقفته أمام الله في المسيح كأنه بلا لوم في القداسة والبر، فصار الصليب قوة إيمان بحد ذاتها تعمل فيه، لينادي بها بكل شجاعة ويكرز ويشهد باستعداد الموت لينال الناس، كل الناس، ما ناله هو بالإيمان بالصليب!

كانت رؤية المسيح عنده ليست مجرد صورة انطبعت فيه بمعالم ثابتة؛ بل صورة حية بحياة المسيح ذات تعدد بلا عدد، وتمايز بلا تمايز؛ وكلما أصابت روحه وضعا منها انطلقت منه الأوصاف تتوالى بالتمايز عينه، والتعدد ذاته، بكلمات واصطلاحات ذات أصول نبوية تظهر على التوالي، ولكنها إذا وُضعت جنباً إلى جنب، فهي على التوازي بل التساوي بل الانطباق، كأنوار تنطلق من مصدر واحد تتمايز في الفعل وتتحد في المضمون والجوهر: تبرير، فداء، غفران، مصالحة، تبني، والكل هو خبرة من الإيمان وبالإيمان بالمسيح الميت المقام!

كل من هذه الأعمال الإلهية المضيئة للمسيح هي، في واقعها عند بولس الرسول، تعكس صورة الإنسان وهو واقف أمام الديان، متهماً محكوماً عليه، واقفاً تحت الأشر في يد عدو لا يرحم، وبأن واحد هو مديون بديون ثقيلة لا يقبل له بدفعها، محاط بالعداوة من حراء تعدياته على حقوق الله وكرامته، يثن تحت العبودية، عبودية الجهل بسبب البعد عن الله، عبودية الطبيعة الميالة للشر، عبودية الخطية المثقلة للجسد، عبودية قوانين العدالة التي تطالب ولا تعطي.

الإيمان المسيحي تسليم بالخبر وليس اجتهداً فكرياً:

الله لما كلم إبراهيم، انتهى به إلى الإيمان، والله كلمنا في المسيح: «الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر» (يو ١٦: ١٨)، فصار المسيح بحد ذاته كلمة الله لنا للإيمان. الرسل قبلوا المسيح ذاته — باعتباره كلمة الله — وأعطوها لنا بالإنجيل، فصارت كلمة الإنجيل هي المسيح متكلماً، أو هي الله متكلماً في المسيح: «من أجل ذلك نحن أيضاً نشكر الله بلا انقطاع، لأنكم

إذ تسلّمتم ممّا كلمة خبر من الله قبلتموها، لا ككلمة أناس بل كما هي بالحقيقة ككلمة الله، التي تعمل أيضاً فيكم أنتم المؤمنين. » (١ تس ٢: ١٣)

والذي يهمنا جداً هنا؛ هو أن نوضح أن الإيمان ليس اجتهداً شخصياً نبلفه بالعقل أو بالإلهام الفكري، بل هو «تسليم»، تسليم من واقع منطوق كلمة الله لا دخل للإنسان فيها، فإذا قبلها باعتبارها كلمة الله بالحقيقة فإنها تعمل عملها الإيمانى وتُبرِّرا

الإيمان كخبر، قبوله يرافقه قبول الروح:

+ «أريد أن أتعلم منكم هذا فقط، بأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الإيمان». (غل ٢: ٣)

هنا يتضح لنا أن انفتاح الوعي لقبول الإيمان المسيحي بسماع الخبر الإنجيلي، سواء كان ذلك عن قراءة أو سمع، يرافقه دخول الروح القدس كعامل أساسي يفتح الذهن لإدراك أعماق الإيمان.

+ «فالذي يمنحكم الروح ويعمل قوات فيكم بأعمال الناموس أم بخبر الإيمان؟» (غل ٣: ٥)

هنا يضيف بولس الرسول عمل القوات مع قبول الإيمان ومعه الروح القدس. من هذا نفهم أن الإيمان المسيحي ليس نظرية أو قانوناً، بل هو طاقة روحية واعية ذات عمل فائق في قلب المؤمن وحياته.

قيمة الإيمان عند الله:

● **الإيمان يُرضي قلب الله ويدعّم عمل الإنسان بالمجازاة:**

+ «بدون إيمان لا يمكن إرضاءه،

لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازي الذين يطلبونه.»

(عب ١٠: ٦)

عنصران أساسيان يميلان الإيمان فعلاً ومشرقاً وقادراً أن يبلغ بالإنسان إلى استرضاء وجه الله:

+ **العنصر الأول:** أن الله موجود،

+ **العنصر الثاني:** أنه يجازي الذين يطلبونه.

إذا خَلَّت الصلاة من هذين العنصرين، توقفت الصلاة في فمنا وجفّت لساننا، ولا تعود تصل إلى أذني الله.

إذا خلت أعمال المحبة التي نعملها من هذين العنصرين، فهي لا تبلغ قلب مَنْ نحب ولا تبلغ

إذا خلت أصوامنا وعبادتنا وأعمال نسكنا من هدين العنصرين، ضعفت وارتدت فارغة.

● الإيمان مصدر حياة:

+ « فأجابني الرب وقال: اكتب الرؤيا،
وانقشها على الألواح لكي يركض قارئها،
لأن الرؤيا بعدد إلى الميعاد، في النهاية تتكلم ولا تكذب،
إن توانى فانتظره (المسيّا) لأنه يأتي إتياناً ولا يتأخر،
و (الإنسان) إن ارتد لا تُسرّ به نفسي،
والبار بإيماني يحيا. » (حب ٢: ٢-٤ عن الترجمة السبعينية).

هذه الآية ذات شأن عظيم عند الروتسنتات، ولكنهم يتمادون في تعميمها، والمعنى فيها واضح ويدور حول مجيء المسيح — وهو مضمون الرؤيا أو النبوة — حيث يقف الإنسان تجاه هذا المجيء أو هذه الرؤيا موقفين، موقف الإنسان المرتد عن هذا الإنتظار لا يؤمن به، ويسميه المترجم عن النسخة العبرية الإنسان المنتفخ الذي نفسه غير مستقيمة؛ وموقف الإنسان البار الذي ينتظر الرؤيا أي الوعد بإيمان، وبهذا الإيمان ينال الحياة!

القديس بولس يقرأ هذه الآية التي لحبقوق النبي عن السبعينية في ثلاث مواضع:

+ « لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن ...،
لأنه فيه مُعَلَّن بَرُّ الله (مجيء المسيح) بإيمان لإيمان،
كما هو مكتوب أما البار فبالإيمان يحيا. » (رو ١٦: ١٧)
+ « ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله، فظاهراً،
لأن البار بالإيمان يحيا. » (غل ٣: ١١)
+ « لأنه بعد قليل جداً سيأتي الآتي ولا يبطل،
أما البار فبالإيمان يحيا، وإن ارتد لا تُسرّ به نفسي » (عب ٣٧: ٣٨)، وهي مقروءة نصاً عل السبعينية.

● الإيمان يستمد قيمته الفائقة من الله:

+ « لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان،
وذلك ليس منكم هو عطية الله،
وليس من أعمال كي لا يفتخر أحد. » (أف ٢: ٨و٩)

هنا «مخلصون» تأتي في اليونانية لتفيد أنكم قد خلصتم بالفعل والآن أنتم سائرون في طريق الخلاص، أو تكملون الخلاص، لأن الخلاص عملية تمت لنا لما قبلنا العماد والروح القدس: + «لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بفلس الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس.» (تي ٣: ٥)

كذلك فالخلاص هو عمل المستقبل الدائم: + «لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأولى كثيراً ونحن مُصالحون نخلص بحياته.» (رو ٥: ١٠)

ومعنى الآية الأولى (أف ٢: ٨٩) ينصبُّ على أن الخلاص هو من عمل النعمة، ولكن بالإيمان الذي يحمله النعمة وسيلتنا للحصول عليه. لأن الإيمان أيضاً هو بحد ذاته من عمل النعمة الإلهية.

والله جعل الخلاص عطية أو هبة من عنده، بسبب عدم قدرة الإنسان في ذاته، وقصور أعماله عن أن تبلغ هذا الخلاص. وإذا أردنا اختزال الآية وتركيز المعنى فيها، فهي تكون كالآتي: الخلاص بالإيمان ليس منا ولكنه هبة من الله! وهذا يستلزم حتماً أن يكون الإيمان أيضاً هو هبة أيضاً من الله: فالإيمان هبة النعمة الإلهية لنا.

والآن يتبقى الجملة الأخيرة من الآية، وقد حيرت العلماء: «كي لا يفتخر أحد»، فهل جاءت كنتيجة للخلاص بالهبة والإيمان بالنعمة؟ أم أنها جاءت كقصد مبدئي قصده الله؟ ونحن نعتقد أن هذه الجملة: «كي لا يفتخر أحد» هي التأمين للهبة والنعمة. لهذا، فإن هذه الجملة هي من صميم فعل الهبة ومن صميم فعل النعمة أيضاً، أي من صميم الخلاص بالإيمان الذي دبره الله للإنسان. فالله لم يترك لمجهودات الإنسان فرصة حتى لا يلوّث عطية الله بافتخاره، فجعل خلاصه وحتى إيمانه ينبع من فوقه — فوق الطبيعة — وليس من داخله.

ومعروف أن الإيمان هو ثمرة الروح القدس: + «وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان.» (غل ٥: ٢٢) ولكن الإيمان يحتاج إلى مَنْ يستقبله، ويكرمه، ويُعلمه، ويشهد له وبه، ويعمل عمله ليُدوم!

الفصل الثاني

التبرير

البرُّ δικαιωσύνη التبرير δικαιώσις

مفهوم البرِّ في العهد القديم^(١):

في التوراة السبعينية (العهد القديم) حُصِرَت الكلمة في دائرة المعاملات مع الله وفيما يخص عدله وأحكامه. فالبر هو الميزان الذي يُوزن به الإنسان في كل أعماله تجاه عدل الله على أساس قياس الناموس.

لذلك يكون البارُّ هو الإنسان الذي يكمل الواجبات تجاه الله والدين بمقتضى الناموس، وبهذا يمكن أن يتواجه مع مطالب الله، حيث يصير معنى «البار» أنه هو الذي يكمل واجبات الله فيصبح في جانب الحق (في الجانب اليمين) أمام الله. حيث «البر» righteousness تعني «يمين» وتعني أيضاً «حق». والذي يوضح معنى «البر» و«البار» في العهد القديم هو معنى الكلمة المستخدمة لما هو ضد «البر» و«البار»:

+ «الرجل البار δίκαιος يعلن الحق، والذي يشهد للظالمين ἀδίκων غشاش. (أم ١٧: ١٢ حسب الترجمة السبعينية)

+ «عصا الأشرار ἀμαρτωλῶν لا تستقر على نصيب الصديقين (الأبرار) δίκαιων. (مز ١٢: ٣)

+ «الفرح يلزم الصديقين δίκαιοις أما رجاء الأشرار ἀσεβῶν فيبید. (أم ١٠: ٢٨ حسب الترجمة السبعينية)

+ «يتعجب المستقيمون، والبريء δίκαιος يتنهض على الفاجر παράνομος. (أي ١٧: ٨)

هكذا نرى أنه في مقابل البار δίκαιος جاءت ثلاث صفات هي: الظالم ἀδίκος، والشرير ἀμαρτωλός، والفاجر παράνομος.

1. Kittel, G., T DNT.

هكذا تأتي صفة البار الله في كل العهد القديم بمعنى المعصوم عن الخطأ؛ فيما له من كل المعايير والصفات الخاصة به في طبيعته، وأنه يقيم وعوده ومواعيده وعهوده بلا أي خلل.

وتأتي صفة البر عند الله مربوطة بالرحمة: «الرب بار $\delta\epsilon\kappa\alpha\iota\omicron\varsigma$ في كل طرقه ورحيم $\sigma\tau\iota\omicron\varsigma$ في كل أعماله.» (مز ١٤٤: ١٧)

كذلك لا تقف حدود البر عند الله في محيط العدل فقط بل تمتد لتشمل الخلاص. على أن «البر» يُعتبر معياراً إلهياً، فالله هو معيار للبر كما هو مصدره. فلا يمكن أن يقع الله تحت قياس، إذ يستحيل علينا أن نقيس بر الله، مهما أوتينا من سعة فكر وإدراك ورجعنا إلى نصوص وآيات.

فكل الذي نعرفه عن بر الله هو ما جاء في عروض معاملاته مع شعبه على أساس مواعيده، فلا تزيد معرفتنا عن بر الله خارج حدود العلاقات التي يتعامل بها مع شعبه. لذلك فإن من أخص خصائص بر الله هو أعمال الخلاص التي يصنعها مع شعبه:

+ «قريب هو الذي يبررني $\delta\ \delta\epsilon\kappa\alpha\iota\omega\sigma\alpha\varsigma\ \mu\epsilon$ من يخاصمني. لتتوقف. من هو صاحب دعوى معي، ليتقدم إليّ.» (إش ٥٠: ٨)

تأتي كلمة «يررني» هنا بمعنى: «يخلصني من يد خصومي واتهاماتهم». وعلى العموم فبر الله موصوف دائماً بأنه بر خلاصي بالنسبة للإنسان (٢).

وبناء على هذا المعيار الإلهي، يصبح بر الإنسان حالة يستمدّها الإنسان من تكميله مسرّة إرادة وأحكام بر الله، وذلك في نظر الله فقط وليس في نظر الإنسان.

البر في لاهوت بولس الرسول:

يلزم أن ننسب جداً أن «البر» يبرز كقضية لاهوتية في لاهوت بولس الرسول، فهو لا يبرز من خلال تعاليمه كمنهج واحد مدروس، فقد تعرّض له أولاً أثناء دفاعه ضد اليهود المنتصرين المتمسكين بالناموس، ولكي يرى نفسه أمام نفسه من جهة تمسكه السابق بالناموس ضد المسيح وكيف دفعه الناموس لارتكاب أشنع الجرائم.

ولكن قضية البر بالناموس بلغت إلى أقصى عتفها السلبي بسبب وضع الناموس في مقابل البر

بالإيمان بالمسيح. فلو انتبهنا أن بولس الرسول أخذ أقدس معيار لاهوتي عند اليهود — وهو البر بالناموس — وطرحه تحت أقدام المسيح ليفقد قيمته، لأدركنا سر هذا الالتهاب الذي تحلل كل رسائل بولس، بل وسر كل المآسي التي واجهها في كرازته من اليهود. ولكن يلزم أن نشبه أن البر بإيمان المسيح كان هو نقطة التحول الكبرى من اليهودية إلى المسيحية.

برَّ الله عند بولس الرسول يبدأ من الناموس ثم ينتهي بالمسيح، وذلك على أساس أن الله «قاضي بالبر» (رو ٩: ٢٨). فالناموس أصلاً هو الذي كان يعلن عن برَّ الله. ولكن هذا المعيار انتهى بمجيء المسيح، فصار الإيمان به هو الذي يعطي بر الله وليس الناموس.

+ «الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر (بر الله)، البر الذي بالإيمان، ولكن إسرائيل وهو يسمى في أثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر. لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان، بل كأنه بأعمال الناموس.» (رو ٩: ٣٠-٣٢)

وينحصر البر بالناموس عند بولس الرسول في محيط السلوك، بمعنى أن يكون الإنسان بلا لوم بمقتضى أوامر الناموس تجاه الناموس وليس تجاه الله: «من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم» (في ٣: ٦). ولكن حتى هذا الموقف «بلا لوم» ظهر لبولس الرسول أنه كذب وخداع، لأن هذا الموقف الذي بلا لوم بحسب بر الناموس هو الذي دفعه لقتل المؤمنين وتعذيبهم واضطهاد الكنيسة بجنون!

لهذا انتهى بولس الرسول إلى حقيقة ثابتة ومؤكدة: أنه لا برَّ على وجه الإطلاق في الناموس، والبر الوحيد هو بالإيمان بالمسيح:

+ «لأنه لو أعطي ناموس قادر أن يُخفي، لكان بالحقيقة البر بالناموس. لكن الكتاب — الناموس — أغلق على الكل تحت الخطية (بحسب أعمال الناموس) ليعطي الموعد من إيمان يسوع المسيح للذين يؤمنون.» (غل ٣: ٢١ و٢٢)

والآن هيّا بنا، أيها القارئ العزيز، نتعقب استقصاء حقيقة «البر» عند بولس الرسول خطوة خطوة، برجاء أن يتسمن القارئ كل خطوة ولا ينتقل منها إلا بعد أن يستوعبها، لا فهماً بل بإحساس من تصوّر نفسه في داخل هذه القضية لأنها قضية كل إنسان:

+ أول خطوة اتخذها بولس الرسول في الانتقال من بر الناموس إلى بر الإيمان بالمسيح هي تحويله كلمة «البر» التي كانت تُستخدم بمفردها ثم مع الناموس، ثم رُدّها إلى أصولها الثابتة «برَّ الله»، أي أن برَّ الله هو برُّه له وحده: «إنه ليس بارّ ولا واحد.» (رو ١٠: ٣)

+ الخطوة الثانية أوضحها في إظهار الله لبرّه الخاص في شخص يسوع المسيح تجاه البشرية كلها (رو: ٢١-٢٦). فظهر برُّ الله لأول مرة أنه قائم على المحبة بعد أن كان قائماً على القضاء بالناموس.

+ ثم استعلان برُّ الله أنه ليس مجرد صفة في الله بل قوة فعّالة باذلة!
+ قوة برُّ الله الفعّالة تركّزت وأظهرت بصورة عملية بالنسبة للبشرية في صليب المسيح.
«الذي قدّمه الله كقّارة، بالإيمان بدمه،

لإظهار برّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله.» (رو: ٣: ٢٥)

«فبالأولى كثيراً ونحن متبررون الآن بدمه، نخلّصُ به من الغضب.» (رو: ٥: ٩)

لاحظ كلمة «الآن» فهي تفيد الانتقال الزمني من تحت برِّ الناموس إلى البر بدم المسيح.

+ استعلان «بر الله» كاملاً في شخص يسوع المسيح بالقيامة من الأموات:

«بالمسيح يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبرّاً وقداًسة وفداءً.» (١ كو: ١: ٣٠)

+ استعلان عنصر قضاء عدل الله جنباً إلى جنب مع استعلان برّه عملياً في المسيح لفتح باب تبرير الإنسان.

«لأنه جعل الذي لم يعرف خطية خطية (بحمل خطايانا على الصليب) لأجلنا، لنصير نحن برّاً الله فيه.» (٢ كو: ٥: ٢١)

+ ابتداء دخول الإنسان في فاعلية بر الله أو عمل تبريره على أساس عمل المسيح الذي جعلنا نقف أمامه بلا لوم، من واقع الصفح عن الخطايا بمقتضى سلطانه الأساسي كقائض مطلق الإرادة:
«من سيشتكي على مختاري الله، الله هو الذي يبرر... المسيح هو الذي مات بل بالحرى قام... يشفع فينا.» (رو: ٨: ٣٣ و٣٤)

هنا الإنسان، ولأول مرة، يقف أمام برِّ الله مبرراً^(٣) عن حكم عدالة من فم الله كقائض لا يُردُّ قضاؤه!!! وهو ليس عملاً عفويّاً، بل حيث يكون الله في موقف القاضي العادل في حكمه، هو أيضاً الأب الرحيم برحمته، والملك المُعين بنعمته، هذه الثلاثة معاً. وبالمقابل يقف الإنسان أمامه مبرراً وبلا شكوى عليه، بل ومتبنئاً بالرحمة، وثقماً عليه كواحد من الرعية المكرّمة عنده.

+ إعطاء التبرير للإنسان «الآن» في هذا الزمان يَوضّح أن كان في مفهوم العهد القديم مؤجّلاً للأخرة.

(٣) لاحظ أن كلمة «البر» تعني ثلاثة معاني متداخلة معاً. صح، يبر، حق. لذلك يقول الإنجيل: «احبس عن يميني» (مر: ١١٠) معناه في موقع الحق ولبز المساوي لله. وقوله لمختارين أن يعفوا عن عيبه والأشرار عن يساره (مت: ٢٥ و٣٣ و٣٤)، معناه تبرير المختارين ببر المسيح ودينونة الأشرار.

«فبالأولى كثيراً ونحن متبررون» (”الآن“) بدمه نخلص به من الغضب (”الآتي“).»
(رو:٩)

«فإذ قد تبررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، الذي به أيضاً قد صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون، ونفتخر على رجاء مجد الله.»
(رو:١٠:٢)

+ ولكن من طرف الإنسان، نجد أن حالة التبرير التي حصل عليها تبقى عطية خالصة وهبة مجانية لم يقدم فيها جهداً قيد شعرة، بل إن النعمة دامت وهو في موت الخطية، والعطية اقتحمته وهو في أسر الظلمة، لكي يعيش بها ليس فقط «الآن»، بل هي وثيقة ميراث أبدي يملك بها في الحياة الأبدية:

«الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح.»
(رو:١٧)

+ والبر الذي نلناه كعطية في المسيح لا يستطيع الجسد أن يُقيَص عمله، لأنه بالروح، فهو مؤثّر عليه ضد الموت!!

«وإن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة بسبب البر.»
(رو:٨:١٠)

+ ولكن يظل بولس الرسول وعينه مثبتة على البر في أصله وفي منبعه، ”بر الله“ أولاً وأخيراً، في مقابل البر الشخصي الكاذب بالناموس.

«لكي أربح المسيح وأوجد فيه، وليس لي برّي الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان.» (في ٣: ٩٨)

+ الدخول من جهة الإنسان إلى برّ الله لنوال قوة عمله وفعل نعمته كعطية، هو الإيمان بالمسيح.

علاقة البرّ بالإيمان:

في لاهوت بولس الرسول، نجد البرّ مربوطاً بالإيمان في كل مواقفه:

+ «برّ الله (بواسطة) بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون.» (رو: ٣: ٢٢)
هنا البر بواسطة الإيمان εἰς.

+ «الأمم الذين لم يتسّعوا في أثر البرّ، أدركوا البرّ، البرّ الذي (من) بالإيمان»
(رو: ٩: ٣٠). هنا البر من الإيمان ἐκ.

+ «وليس لي برّي الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح (εἰς) البر الذي من الله (على) بالإيمان» (في ٣: ٩). هنا البرّ على الإيمان ἐπὶ.

- + «وأخذ علامة الختان ختماً لبرِّ الإيمان» (رو٤: ١١). هنا البرُّ للإيمان (مضافاً له أي بتاع ٢٩٤).
- + «إذاً نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس.» (رو٣: ٢٨)
- + «لأن الله واحد هو الذي سيبرِّر ... بالإيمان.» (رو٣: ٣٠) δα... δα
- + «الإنسان لا يتبرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح.» (غل٢: ١٦) δα
- + «فرأى أن الله بالإيمان يُبرِّر الأمم.» (غل٣: ٨) δα
- + «كان الناموس مؤدِّبنا إلى المسيح لكي نتبرر بالإيمان.» (غل٣: ٢٤) δα
- + «لإظهار برِّه في الزمان الحاضر، ليكون باراً ويبرِّق من هو من الإيمان بيسوع المسيح.» (رو٣: ٢٦) δα
- + «وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرِّر الفاجر، فإيمانه يُحسَّب له برّاً.» (رو٤: ٥)

معنى الدخول في برِّ الله بالإيمان بيسوع المسيح:

حينما يتبرر الإنسان بالإيمان بيسوع المسيح يصير مُعدَّاً ومُهيَّئاً ليكون عضواً مُكرِّماً في جسد المسيح (الكنيسة)، في مقابل اليهودي الذي كان يتبرر بالناموس ليُثبت كعضو في شعب إسرائيل. هنا التبرير بإيمان المسيح عمل فردي ولا يمكن أن يتم على مستوى الجماعة. فالمعمودية لا تجوز على الجماعة بل هي إجراء فردي خالص حيث يغتسل الفرد من خطاياه ويتقدَّس بالروح ويتبرَّر بهذا الفعل الإيماني، فيصير لائقاً لأن يكون عضواً في جسد المسيح.

- + «وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم، بل تقدَّستم، بل تبررتم باسم الرب يسوع المسيح وبروح إلهنا.» (١ كو١: ١١)
- + «وفيما هما سائران في الطريق أقبلتا على ماء فقال الخنثي: هوذا ماء ماذا يمنع أن اعتمد؟ فقال فيلبس: إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز. فأجاب وقال: أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله.» (أع٨: ٣٦ و٣٧)

○ في لاهوت بولس الرسول المؤمنون يتبررون حينما يعتمدون و يقبلون الروح القدس بحسب الآية قبل السابقة (١ كو١: ١١).

○ ولكن التبرير عند بولس الرسول لا يُنظر إليه كعطية إختيارية، بل هو مطالبة إلهية والتزام بمقتضى سلطان الله الذي يودُّ أن الجميع يخلصون (١ تي٢: ٤).

- + «لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله ويطلبون أن يُشَبِّتوا بر أنفسهم، لم يخضعوا لبرِّ الله، لأن

غاية الناموس هي (يلزم أن تنتهي عند المسيح). (رو ١٠: ٤)

هذا البرُّ كاللزام مطروح وكأمر مُلحَّ من قِبَلِ الله بمجيء المسيح، يأخذ صفة المطالبة والالتزام بسبب الثمن الباهظ المدفوع لأجله من قِبَلِ الله.

+ «الذي لم يُشفق على ابنه، بل بذله لأجلنا أجمعين، "كيف" لا يهبنا أيضاً معه كل شيء.» (رو ٨: ٣٢)

فإذا كان الناموس وبره هما صفة المطالبة والالتزام على اليهودي الذي يؤمن بالله، واليهودي لم يكن خُراً أن يقبل الناموس أو لا يقبله، فهكذا دخل الإيمان بالمسيح والتبرير على نفس المستوى من السلطان: «إن لم يَزِدْ بِرُّكُمْ على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السموات» (مت ٢٠: ٥). خصوصاً وأن بر الإيمان بالمسيح ظهر مشهوداً له من الناموس والأنبياء.

+ «وأما الآن فقد ظهر برُّ الله بدون الناموس، مشهوداً له من الناموس والأنبياء، برُّ الله بالإيمان بيسوع المسيح، إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون، لأنه لا فرق.» (رو ٢١: ٢٢ و٢٣)

+ ومن أهم عناصر العلاقة بين الإيمان والبر، أن البرُّ لا يأتي كهبة للإيمان أو يتولّد منه، لأن الإيمان نفسه هبة وعطية من الله. ولكن الإيمان بالمسيح أو إيمان المسيح يؤهلنا لبر الله: + «وليس لي برِّي الذي من الناموس، بل الذي بإيمان المسيح، البر الذي من الله بالإيمان.» (في ٣: ٩)

فالإيمان ليس عملاً بعد ذاته حتى يكون له استحقاق، ولكنه هبة توصلنا إلى هبة. فالله هو الذي يبرّرنا بالإيمان.

فالإيمان هو بدء الطريق الموصل إلى التبرير، والله يبرّر على أساس الإيمان أو في حضوره أو اعتباراً له. فكما وجدنا حروف الجر التي تربط البر بالإيمان إما «عليه» ἐπὶ أو «منه» ἐκ أو «به» ἐν، هكذا الإيمان أداة البر أو كأساس يُبنى عليه. ولكن الإيمان من ذاته لا يُنشئ البرَّ بدون تدخّل الله. وهذا الأمر واضح في القول: «آمن إبراهيم بالله فُحِيبَ له برٌّ» (رو ٤: ٣). فالبرُّ هنا جاء عمولاً على الإيمان. هنا الإيمان وُضع في الحسبان — بمعنى حُساب له الإيمان برّاً — ليقوم عليه البرُّ. فهنا يستحيل أن يكون الإيمان مساوياً للبر، لأن الإيمان هو من طرف الإنسان، ولكن البرُّ هو من طرف الله. ويستحيل أن ما يقدّمه الإنسان يساوي ما يقدّمه الله، وإلاّ يصبح البرُّ حقاً للإنسان، إذ يكون الإنسان قد قدّم ما يساويه!! لهذا فالبرُّ يبقى

نعمة!! لأن رحمة الله تداركت عدم البر في إبراهيم، فأخذت الإيمان فرصة وتكأة ليفقد الله عليه البر. علماً بأن عطية الله لا يستردها الله ولا يندم عليها، لذلك أصبحت ملكاً لإبراهيم، فحُسِبَ إبراهيم باراً ولكن بنعمة الله.

وهنا تأتي القضية التي انحرف بخصوصها كثير من اللاهوتيين، وهي وضع الفاجر بعد أن برّره الله في الآية: «وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبزر الفاجر فأيمانه يُحسَّب له براً» (روء: ٥). هنا يقول هؤلاء اللاهوتيون إن الله بعد ما برّر الفاجر بقي الفاجر كما هو ولكن مُبرّراً بنعمة الله.

هذا شطط! فالتبرير الذي وهبه الله للفاجر بسبب إيمانه وهبه له لكي يرفع عجزه ويجبر فجوره، فهبة البر من عند الله فعالة ديناميكية لا تهدأ حتى تأتي إلى كمال عملها. والله يهبها كلية من عنده لتصير ملكاً للفاجر، فكيف يصير الفاجر باراً ويبقى فاجراً؟؟ كيف يعلن الله عن إنسان أنه قد تبرّر وهو باقي فاجراً كما هو؟؟ ثم ما قيمة إيمان هذا الفاجر؟ وكيف قيّمه الله أنه لائق للبر؟ اليس هذا يُقتَبَر ضد الأخلاق وعمرضاً على الفجور؟ كما يُحسب أنه تهاون واستهتار من الله في إعطاء أقدس وأثمن مخصصاته لإنسان غير قادر أن يحملها أو ينتفع بها.

ولكن الحقيقة أن الإيمان الذي صرخ به الفاجر من نحو الله اعتبره الله قلباً جيداً يصلح للإلقاء بذرة الحياة في ثمرته، فألقاها لتنبئ: «ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح» (أف ٢: ٥). فالله ليس عاجزاً حتى يبزر الفاجر نظرياً ليبقى الفاجر ميتاً بعد تبريره.

والآن يمكن أن نلخص التبرير بالإيمان على هذه الخطوات:
أولاً: الله صاحب المبادرة في كل ما يخص خلاص الإنسان. فهو يبدأ من الداخل ليدعو في القلب والضمير قبل أن يدعو في الخارج بالكلمة المكتوبة أو المسموعة، هذا عمل نعمة الله السبّاقة.
ثانياً: إذا قَبِلَ الإنسان الدعوة التي تأتيه من الخارج وأطاع الدعوة التي أتته من الداخل، فإن النعمة تسانده في الحال وتمطيه شجاعة نادرة للاستمرار في قبول الصوت. ويُحسَّب قبوله للدعوة تمجيداً لله لأن الدعوة في حقيقتها هي شهادة مباشرة لله.

ثالثاً: يتدخل الله بنعمة أوفر وبقوة ويَهَبُ الإنسان عنصر الإيمان كعلاقة روحية تربطه بالله مباشرة، وحينئذ يتقوى الإنسان بقوة الإيمان الذي يهيم له هبة التبرير كمقابل بشهادة الإيمان التي يجاهر بها. وهنا ولو أن الإيمان والشهادة هما من عمل الإنسان إلا أنهما لا يزالان عطية الله. وإذ ينال الإنسان البر كمعطية أخرى من الله من داخل عطية الإيمان يبدأ

الإنسان يشعر بقوة الانتصار على كل أنواع الخطايا والضعفات السالفة.

رابعاً: يدخل الإنسان في سباق الأعمال الصالحة بقوة خفية هي قوة الإيمان مصافاً إليها قوة التبرير، وبهذا تسكن النعمة الإنسان وتتآخى معه لتُدخله في الفضائل المسيحية الواحدة بعد الأخرى.

عمل الروح القدس في التبرير:

الروح القدس يعطي «رجاء البر» في المستقبل الأبدى:

التبرير في الحاضر — الذي يوقفنا في سلام مع الله وبلا لوم في المحبة — يحمل قوة التبرير في المستقبل، فالرجاء عنصر جوهري في البرّ الخلاصي: «الله واحد هو الذي سيبرّر» (رو ٣: ٣٠). فالتبرير يتجاوز الزمن الذي نعيشه في الحاضر، لأنه يسلب من الزمن أقوى ما في سلطانه وهو الخطية والموت. فالتبرير بالمسيح ينقنا من ماضي برّ الناموس المشكوك فيه بسبب الخطية المتسلطة والذي لم يصلح حتى لزمانه، ينقلنا بالانتصار على العالم الحاضر المؤلم، ليضعنا على عتبة الخلاود وقد تجاوزنا الدينونة!! حقاً!

+ «فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء برّ!!» (غل ٥: ٥)

إذاً، فالرجاء في البرّ بالإيمان بالمسيح في الحاضر ليس عقيدة ذات فكرة مهدنة، ولكنه قوة متحركة تتأجج بالروح في أعماقنا ننظر إلى فوق حيث المسيح حالس، مُترقبين خلاصاً قادماً هذا مقداره، وننظر نصيباً مقدساً محفوظاً لنا في السموات، ونتشب بالروح وكأننا نقف على أطراف أقدامنا نستطلع الأعماد المعدّة، بل ونحصل من الآن على عزاء بما هو آت يفوق العقل: «ماران أثنا»!! تعال يا رب: «وهكذا نكون كل حين مع الرب، لذلك عزّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام.» (١ تس ٤: ١٧ و١٨)

الروح القدس عامل أسامي في التبرير:

+ «لكن اغتسلتم، بل تقدستم، بل تبررتم، باسم الرب يسوع وروح إلهنا.»

(١ كو ٦: ١١)

الروح القدس هنا عامل أسامي في التبرير، فهو يكمل فعل التبرير الذي يبدأ بالإيمان باعتبار الإيمان رباطاً روحياً فائقاً للطبيعة يربط روح المؤمن بالله كروح، فهو رباط روح بروح بعد ما مسّ المسيح موتنا بموته. هنا يعمل الروح القدس من خلال الإيمان لتوصيل برّ الله الذي اكتسبه المسيح لنا بدمه لتصير في النهاية متحدّين بر الله والمسيح. علماً بأن دم المسيح هو بروح أزلي (عب ٩: ١)

يظهر ويقّس ويبرّر. لأن البرّ بالنهاية هو حالة روحية للإنسان يتسرّب بها عندما يلبس المسيح في المعمودية ويحمي فيه المسيح بالإيمان.

كذلك الروح هنا يمتد بالتبرير ويطرحه إلى الأمام وإلى فوق بأن واحد ليكون رجاء المستقبل، نتوقه في يقين الإيمان، لذلك يقول بولس الرسول إننا «بالرجاء خَلِّصْنَا» (رو ٨: ٢٤). فالخلاص بالتبرير، وهو فعلٌ ماضٍ أكمله المسيح على الصليب مرة واحدة، أصبح بالإيمان الحَيِّ واقعاً حياً الآن، وهو بالروح رجاء المستقبل (غل ٥: ٥). وهكذا نعيش البر والخلاص الآن ونتوقه بالروح ليكون حياة المستقبل:

+ «هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدّم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه.» (عب ٩: ٢٨)

علماً بأن الروح القدس دائماً هو الذي يكمل كل ما نطلبه وكل ما نرجو أن نحققه. لأننا إن كنا لا نعلم ما ينبغي أن نصلي من أجله الآن، والروح يعلمنا ويشفع فينا، فكم ينبغي بالأولى والأهم أن نصلي ونطلب لكي يُكَمِّلَ لنا الروح القدس أن نحيا البر في المسيح ونوجد أمام الله بالنهاية في حالة البر، لكي نكون بلا لوم وقديسين أمامه في المحبة حسب وعد الله، بل حسب سَبَقِ تدبيره لنا!

فإن كنا في المعمودية نلبس المسيح حقاً ونصير بني الملكوت وعلينا بدلة العرس، فبالمسحة المقدسة نلبس البر بالروح القدس:

+ «لأن ليس ملكوت الله أكلًا وشرباً. بل هو برٌّ وسلام وفرح في الروح القدس.» (رو ١٤: ١٧)

وانظر، أيها القارئ العزيز، أن البرّ ليس فكرة أو مجرد نظرية، بل هو طاقة روحية عمّالة ونشيطة، فلا يوجد البر وحده أبداً بل يأتي ومعه السلام والفرح. ولا ينبغي أن يوجد بار وليس له ملء السلام والثبوت الكامل في الفرح والابتهاج!

التبرير والملكوت في لاهوت بولس الرسول:

يضع القديس بولس مقابلة بين خطية آدم للدينونة، وهبة المسيح للتبرير، ليوضح كيف أن الخطية سادت في مملكة العالم الحاضر «قد مُلِكَ الموت» (رو ٥: ١٤). فدخل الموت تحت الدينونة؛ يقابل ذلك سيادة هبة برّ المسيح لنملك في الحياة الأبدية. فمقابل الخطية في مُلِكِ العالم، تقف نعمة المسيح في مملكة الحياة الأبدية بالتبرير:

+ « وأما الهبة فمن جرّى خطايا كثيرة للتبرير،

لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد،

فبالأولى كثيراً الذين يتألون فيض النعمة وعطية البرسيملكون في الحياة (الأبدية) بالواحد

يسوع المسيح. » (رو: ٥: ١٦ و١٧)

هذا هو «مُلْكُ البرّ» أو مملكة البرّ. فالتبرير ليس حالة مجيدة نعيشها الآن وحسب، بل هي قوة ودوام وجودنا وحياتنا في ملكوت الله وإلى الأبد. لقد صاغ الله قوانين مملكته السماوية على أساس أن عنصر التبرير بالمسيح وفيه هو المظلة التي يعيش تحتها الإنسان في مُلكِ الأبدى:

+ « كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لتكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة. » (أف: ١: ٤)

سلطان قوة التبرير على جسد الإنسان وفكره في لاهوت بولس الرسول:

+ « ألتسم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة،

أنتم عبيد للذي تطيعونه، إما للخطية للموت أو للطاعة للبر،

وإذ أعتقتم من الخطية، صرتم عبيداً للبر،

لأنه كما قدّمتم أعضاءكم عبيداً للنجاسة والإثم للإثم،

هكذا الآن قدّموا أعضاءكم عبيداً للبر...

لأنكم لما كنتم عبيد الخطية كنتم أحراراً من البر،

فأي ثمر كان لكم حينئذ من الأمور التي تستحون بها الآن، لأن نهاية تلك الأمور هي الموت،

وأما الآن إذ أعتقتم من الخطية وصرتم عبيداً لله، فلکم ثمرکم للقداسة والنهاية

حياة أبدية. » (رو: ٦: ١٦-٢٢)

ألف ألف شكر لله! لأنه إن كان للخطية سلطان على الفرائض لتستخدمها فتستعيد الإنسان لقانون سطوتها في كل نواحي الخطايا، فيصبح الإنسان أسيراً مذلولاً لسلطان الخطية؛ فإن الله أقام لنا بواسطة المسيح وقوة الدم سلطة جديدة روحانية فائقة على الطبيعة، إذا تمسك بها الإنسان وأطاع تدبيرها وخضع لصوت إيماءاتها الحثيرة في القلب فإنه يدخل بإرادته الحرة تحت سلطانها وسطوتها وبأسها بقوة أعلى وأشد من سلطان الخطية التي ينقصها عنه ويلقيها أرضاً. وحينئذ يدخل الإنسان في عبودية البرّ، أي في خدمة البرّ والقداسة، أي عبودية خدمة الله التي هي أعظم حرية عرفها الإنسان، إذ يتحرر من كل قيود واضطرابات وسلطان الجسد بغرائزه الجسدية والنفسية وعاداته التي

قد تكون ملكت واستعبدت الإنسان لتُخديره في يأسه إلى الموت والهاوية.

إن ما يريد بولس الرسول أن يقوله لنا هو أن لتبرير الله لما بدم المسيح قوةً وطاقَةً وسلطاناً، وهَبَّها الله لنا لتسود على الخطيئة مهما تكون قد سادت علينا. فإذا أطلعنا تدبير الله وخضعنا لبرِّه، فإله سيملك علينا ببرِّه عَوَضَ الخطيئة التي تكون قد ملكت علينا غشاً وخداعاً.

وفي مقاسل أعمال الخطيئة الفاضحة وثمرتها المرّة التي فيها مذاقة الموت، يبدأ الإنسان يشمر للقداسة بأعمال نشيطة تُزيده قُرْباً من الله، فيتذوق الحياة الجديدة.

وباحتصار، فالتبرير قوَّة محررة من سلطان الخطيئة.
لأنها قوة دم لتبرئة إلهية، لا تقدر الخطيئة أن تقف أمامها.
قوة فكِّ وربوط،

فهي تفكنا من عبودية ظالمة شريرة، لتربطنا بمصدر البر: بالمسيح والآب!
فهي «قوة الله بسلاح البرِّ ليمين واليسار!!» (٢ كور: ٦: ٧)

البر والأخلاق في المسيحية عند بولس الرسول:

بولس الرسول يصع البر أساس حياة الإنسان الجديدة من جهة السلوك والأخلاق:

+ «... أن تخلصوا من جهة التصرف السابق الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور،
وتتجددوا بروح ذهنكم،

وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق.»

(أف: ٤: ٢٢-٢٤)

أما مصدر تجديد الدهن فهو كلمة الإنجيل لأنها القوة الإلهية الأولى التي ينبعث منها عمل الله:

+ «كل الكتاب هو موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر.» (٢ تي: ٣: ١٦)

والإكليل النهائي الذي سيخرج به الإنسان من سلوكه وأخلاقه وممارسة التقوى بكل صنوف التعليم والتوبيخ والتوبة، هو «إكليل البر» أي إكليل الشهادة بأنه حدم بر الله وتبرأ من هذا العالم:

+ «قد جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملتُ السعي، حفظتُ الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل البر الذي يَهَبُه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل.» (٢ تي: ٤: ٧ و٨)

الفصل الثالث

التقديس

في العهد القديم:

«اسم» الله أو «كلمته» أو «روحه» كلها استعملت شخصياً خاصة به. ولكن حينما نقول: «الله القدوس»، فهذه الصفة تختص بعلاقة الله بكل ما عداه من مخلوقات، أي تفيد دائرته الخاصة في مقابل دائرة العالم المخلوق سواء في السماء أو على الأرض.

يأتي بعد ذلك كل ما يختص بحلول الله في الخليقة. فالمكان الذي يحل فيه يصير مقدساً بمعنى خاص بأن لا يُقترب منه إلا بشروط، كما حلّ في الخليقة. فعند اقتراب موسى من الخليقة حذره الرب قائلاً: «لا تقترب إلى ههنا، اخلع حذاءك من رجلك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة» (خر ٣: ٥). ومنذ ذلك الحين وكل مكان يحلّ فيه الرب يُسمّى «بالموضع». وحتى الآن يذكر الكاهن موضع حلول الله، وذلك في القداس وقت تلاوة سر الإنجيل: «اذكر يارب خلاص هذا الموضع المقدّس^(١) الذي لك ...» وهو يعني بذلك نوع خاص «المهيكل» حيث يحلّ الرب.

وهكذا ابتدأت تتسحب القداسة على كل ما يخص الله على الأرض، فالمهيكل مقدّس وكل أدواته والأشياء التي فيه، والكهنة الذين يخدمون الهيكل مقدّسون، والدبائح التي تُقدّم في الهيكل مقدسة، وأيام الأعياد مقدسة، والسبت مقدس. وبعد ذلك يحى دور الشعب بأحبه لأن الله اختاره لنفسه وأحبه، فصار له أيضاً خاصّة، وبذلك صار شعباً مقدساً، بل وأورشليم كلها ثم فلسطين كلها صارت أرضاً مقدسة لأن الله دعاها أرضه.

(١) المسيح نفسه استخدم هذا الاصطلاح: «متى طهرتم رحمة الحرب .. فائت في المكان المقدس» (مت ٢٤: ١٥)

ἐν τοῦ ἁγίου

وبعد ذلك تسحبت القداسة لتشمل حتى الجسد وأعضائه حينما يُندَر للرب ويتطهر بالبعد عن كل ما ينجسه: «إبه كل أيام انتذاره مقدس للرب.» (عد ٦: ٨)

وما يُقال عن كل ما يخص الله على الأرض، يُقال على كل ما يخصه في السماء، فالسما والخلاتنقها التي تعبد هـى مقدسة. والعكس قائم، فكل ما لا يمت إلى قداسة الله ليس مقدساً، أما الذي يتعارض مع قداسة الله فهو النجس.

في العهد الجديد:

تسحبت قداسة الله من علاقته بالمخلوقات لتدخل في صميم التعبير عن طبيعته الخاصة، ولكن في إطار مفهوم العهد القديم، وذلك بمعنى الابتعاد والسُمو. فالعهد الجديد يعتبر أن تسبحة الشاروويم التي وردت في إشعياء النبي تخص طبيعة الله في ذاته، بل وتُعبّر عن الثالوث الأقدس: «وهذا نادى ذلك وقال: قدوس قدوس قدوس رب الجنود، مجده ملء كل الأرض» (إش ٦: ٣). لذلك نسمع هذه التسبحة في سفر الرؤيا أيضاً (رؤ ٤: ٨).

ومن مضمون تسبحة الشاروويم في إشعياء النبي التي تمت في سفر الرؤيا والتي فيها يأخذ المسيح صفة «القدوس» باعتباره «رب القوات»، تسحبت القداسة إلى معنى «كُلِّي القوة أو القدرة». «پانتوكراتور» = Pantocrator. وبهذا صارت صفة «كُلِّي القدرة» هي الصفة الظاهرة الفعالة لصفة القداسة في طبيعة الله؛ وانتهى هذا بالتحام صفة «القدوس» بصفة «كُلِّي القدرة» لتعبّر عن جوهر الله أو الجوهر الإلهي الفعّال والمستعلن الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور.

ونجد في إنجيل القديس يوحنا أن هذا التعبير عن قداسة طبيعة الله واضح في صلاة المسيح لله الآب: «أيها الآب القدوس» (يو ١٧: ١١)، تعبيراً عن طبيعة الأبوّة القدوسة، ومن هنا تسحبت على طبيعة الابن بالضرورة. كذلك في الصلاة الربانية يقول المسيح بتقديس اسم الله: «ليَتَقَدَّسَ اسمك.» (مت ٦: ٩)

وأخيراً يضم المسيح الآب والابن والروح القدس تحت هذا الاسم: «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٩). وبهذا تحدت عبادة الله في الآب والابن والروح القدس على أساس جوهر الله الواحد المقدس الواجب التقديس، بمعنى التخصّص من جانب الكنيسة عن العالم، والتطهير والتسامي عن كل ما لا يتناسب مع طبيعة الله المخدومة.

المسيح القدوس:

+ «القدوس المولود منك يُدعى ابن الله.» (لو: ٣٥)

+ «ما لنا ولك يا يسوع الناصري، أتيت لتهلكنا، أنا أعرفك من أنت قدوس الله.» (مر: ٢٤)

+ «فالذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أقولون له إنك تُجذّف لأنني قلت إنني ابن الله.» (يو: ١٠: ٣٦)

+ «وأما أنتم فلکم مسحة من "القدوس" وتعلمون كل شيء.» (يو: ٢٠: ٢٠)

+ «ولكن أنتم أنكرتم "القدوس" البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل.» (أع: ١٤: ٣)

+ «لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك "القدوس" يسوع الذي مسحته، هيرودس وبيلاطس البنطي مع أمم وشعوب إسرائيل.» (أع: ٢٧: ٤)

ثم تبدأ حلقة الاتصال بين المسيح «القدوس» والآب القدوس لتقديس شعب الله الجديد، وذلك في سفر العبرانيين، باعتبار المسيح هو رئيس الكهنة العظيم الذي دخل الأقداس العليا في السماء بدم نفسه لينضح علينا من السماء. فوجد أو أوجد لنا فداءً أبدياً، حيث الفداء هنا يأخذ صورة التقديس بالدم المقدم على عرش الله في السماء بصفته الفصح الأبدي الذي خرج بنا من العالم ليوصلنا إلى كنعان السماوية، وبقي أمام الله كخروف الفصح المذبوح ينضح علينا بدمه ليظل يكتّل خروجنا حتى نهاية الدهور كلها:

+ «لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شرو ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات.» (عب: ٧: ٢٦)

+ «...بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً.» (عب: ٩: ١٢)

+ «...دم المسيح، الذي بروح أربى قدّم نفسه لله بلا عيب يظهر ضمائرهم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب: ٩: ١٤)

+ «لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصوعة ببذائب الحقيقة، بل إلى السماء عيها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا.» (عب: ٩: ٢٤)

+ «فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة.» (عب: ١٠: ١٠)

+ «...لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع.» (عب: ١٠: ١٩)

+ «فكم عقاباً أشرّ نقتلون أنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله وخسب دم العهد الذي قدّس به دنسنا وازدرى بروح النعمة.» (عب: ١٠: ٢٩)

+ «لذلك، يسوع أيضاً لكي يقدّس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب» (عب: ١٣: ١٢).

والأصل اليوناني للتعبير «دم نفسه» يعني τοῦ ἰδίου αἵματος بمعنى دمه الشخصي = his own . هنا انتساب الدم له يأتي مضاعفاً للتأكيد.

واضح هنا التسلسل المتدرج عبر الزمن والاستعلان: من الله القدوس إلى الآب القدوس إلى الابن القدوس، إلى المسيح القدوس، إلى الدم المقدس، إلى الدخول إلى الأقداس بالدم المقدس، إلى التقديس بالدم المقدس.

علاقة التقديس بالتبرير:

التبرير: واضح أنه يستمد وجوده وكيانه من عمليات سلبية بالدرجة الأولى. فهو قائم على أساس غفران الخطايا، والصفح عنها، والتحرير من العبودية تحت الخطية، والتخليص من ديون ثقيلة، والخروج من حالة العداوة إلى حالة تصالح. فالتبرير يتطلب أولاً عمليات متلاحقة تجريدية من ماضٍ أثيم وجهالة.

التقديس: هو الحالة الإيجابية التي يدخلها المؤمن بعد التبرير، فهو عبارة عن عمليات إيجابية متلاحقة تعدّه للحياة والشركة بالروح مع الله. والتقديس لا بد أن يكون قد استوفى التبرير لأنه يستحيل تماماً أن يُقال أن القديس لم تُفّر خطايا بعد. لأن العمليتين لا يمكن فصلهما، فهما يبدآن معاً وينتهيان معاً.

فالتقديس لا يمكن أن يوجد بدون تبرير، كذلك التبرير لا يمكن أن يكون بلا تقديس، فالتبرير والتقديس حالتان متلازمتان. وبولس الرسول يقدم لنا تعليماً يشمل هذه الحقيقة الإيمانية:

+ «أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله؟
لا تفسدوا، لا زنا ولا عبدة أوثان ولا فاسقون ولا مأبونون ولا مضاجعو ذكور، ولا سارقون ولا طماعون ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله،
وهكذا كان أناس منكم،

لكن اغتسلتم، بل ثقبتم، بل قهرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.»

(١ كور: ٦: ٩-١١)

هنا في هذه الآيات ثلاث دوائر للخطية غير مقبولة لدى الله على وجه الإطلاق وأجرتها الرفض واللعنة:

الدائرة الأولى: هي الدائرة الاجتماعية العامة التي يترأس فيها الإنسان على الإنسان ويقترف الظلم بكل أنواعه.

الدائرة الثانية: هي الدائرة ذات التعامل السري الفردي، إنسان مع إنسان، وتشمل جميع أصناف الزنا.

الدائرة الثالثة: هي دائرة الإنسان النفسية الداخلية التي يصدر منها التعدي.

كل هذه الخطايا التي اشتهر بها الوثنيون في كورنثوس في القرن الأول المسيحي — وللأسف لا تزال لاصقة حتى الآن وحتى بالمسيحيين في القرن العشرين، فهذه كلها تُفسل اغتسالًا — وكأنها وسخ الجسد — في المعمودية المقدسة التي نأخذ منها بدءاً جديداً مخلقة جديدة لحياة جديدة طاهرة، مبررة ومقدسة، وكأن الإنسان وُلد ولادة أخرى من الله.

فبالمعمودية وبثلاث غطسات في الماء على اسم الثالوث الأقدس، وعلى خلفية من إيمان حي، يكون المؤمن بالمسيح قد ارتبط فيها موتاً مع موت وحياة مع حياة وتلاؤم الروح بالروح والقلب بالقلب، استعداداً ليسري الدم الأقدس في جسد الخطية فيطهره ويقده لبصير الإنسان هيكلاً مقدساً لله، ويخرج المؤمن من المعمودية ليتناول جسد الرب ودمه شهادة علنية بما تم بالقوة في السر غير المنظور.

والذي يستوقفنا هنا في عمليات التخليق الجديد للإنسان في المعمودية، هو موضوع التقديس. فالإنسان بعد أن كان في نقع الخطايا والنجاسة ينتقل ليبلغ حالة جديدة بالدخول في دائرة مختصصات الله ليصير من خاصته، من محبيه، رعية مع القديسين، قديساً من القديسين وأهل بيت الله (أف ٢: ١٩).

هنا تحدت إقامة الإنسان من القَبْثِ في شوارع العالم، إلى الانفراس في بيت الله: «مفروسين في بيت الرب في ديار إلهنا يُزْهرون» (مز ٩٢: ١٣)، لقد حُكِرَ عليه بعيداً عن ماضي الظلمة وبيتها، صار جِكرًا لله لا ينازعه فيه أحد. يُسَبِّحُ عليه الروح القدس فما يستطيع الإملات: «لأن محبة المسيح تحصرنا» (٢ كو ٥: ١٤)، «ينقادون بروح الله» (رو ٨: ١٤)، «مُتَّيِّدًا بالروح» (أع ٢٠: ٢٢)، «مَتَّعَهُم الروح القدس» (أع ١٦: ٦)، «يقودنا في موكب نصرته» (٢ كو ٢: ١٤). كل هذا يفيد أن القديسين أصبحوا تحت قيادة خاصة مباشرة من الله كجيش خلاص: «كجندي صالح ليسوع المسيح.» (٢ تي ٢: ٣)

ثم يعود بولس الرسول ليُضفي صفة التقديس على الكنيسة بنفس مستوى التقديس للفرد، حيث يُفْهَمُ من هذا أن المؤمن الذي يتقدس بالمعمودية والروح والدم إنما يتقدس لحساب الكنيسة وليس لحساب نفسه؛ وعلى القارئ أن ينتبه للنموذج الفردي كيف يطبِّقه بولس الرسول عليه ثم

لنموذج الكنيسة :

+ « أحبني وأسلم نفسه لأجلي . » (غل ٢: ٢٠)

+ « اغتسلتم بل تقدستم ... » (١ كو ٦: ١١)

+ « كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة، وأسلم نفسه لأجلها،

لكي يقدسها مُطَهَّراً إياها بغسل الماء بالكلمة ... بل تكون مقدسة وبلا عيب. »

(أف ٥: ٢٥-٢٧)

الباب الرابع

الأسرار في لاهوت بولس الرسول

تمهيد

كلمة «سر» $\muυστήριον$ — sacramentum هنا هي محاولة لشرح عمل النعمة الحقيقي بأعمال ظاهرية.

وكلمة «مِرٌّ» باليونانية $\muυστήριον$ تفيد «العمل الحقيقي»، والكلمة المقابلة باللاتينية sacramentum تفيد «العمل المقدس».

وهنا نحن نبتدىء في شرح الأسرار فيما يختص بالثلاثة الأعمال الأولى التي يتحتم على المؤمن المسيحي أن يؤديها، بأن تجرى عليه لكي يصير عضواً في الكنيسة، أي في جسد المسيح وهي:

(أ) المعمودية. (ب) وضع اليد. (ج) شركة التناول من جسد الرب ودمه. وهذه الثلاثة الأعمال تأتي متعلقة بالإيمان، فهي تحققه عملياً بالسر وتنطقه علماً بالشهادة، وذلك بحسب لاهوت بولس الرسول:

+ «فلأنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء». (١ كور ١١: ٢٦)

أي أن هذه الثلاثة الأسرار: المعمودية، مع وضع اليد، والإفخارستيا، المرتبطة بالإيمان، هي أيضاً منبثقة من عمل الفداء الذي أكمله المسيح على الصليب بالموت ثم القيامة، ومنتهية إليه.

أما بقية الأسرار فستأتي بعد هذه الأسرار الثلاثة الأولى الأساسية. على أننا لسنا هنا بصدد

شرح طقوس وأسرار الكنيسة بنوع عام شمولي ولكننا ملتزمون بتتبع ما جاء في رسائل بولس الرسول فقط، كالنظام الكنسي أي الرئاسات الكهنوتية، والزواج، وربما التوبة باعتبارها صورة من عمل المصالحة.

الفصل الأول

المعمودية Βάπτισμα

معنى «المعمودية»:

كلمة «المعمودية Βάπτισμα» لم تَرِدْ كثيراً في رسائل القديس بولس، فقد وردت ثلاث مرات، ولكنه يستعمل أكثر منها كلمة «يعمّد» βαπτίζειν، وهي صيغة التكثير من كلمة يغطس في الماء βάπτειν.

كلمة «يغطس» βάπτειν وردت كثيراً في العهد القديم، بعكس كلمة «يعمّد» بمعنى «غطس كثيراً» التي لم تَرِدْ في كل العهد القديم إلا مرتين:

+ «فنزل وغطس سبع مرات (βαπτίζειν) في الأردن.» (مل ٥: ١٤)

+ «تاه قلبي وفي الخطية غطيتُ مرات (تعمّدت) βαπτίζειν، وغشيتُ الرعدة نفسي.» (إش ٢١: ٤ السجنية)

فكلمة «عمّد» βαπτίζειν في العهد الجديد تغيد «غطس عدة مرات»، سواء في معمودية يوحنا أو في معمودية المسيح، أو في الطقس الكنسي: ثلاث مرات. وقد بدأت تأخذ الكلمة «يعمّد» معاني جديدة بجوار الغطس عدة مرات، فهي تعني التطهير بالماء أو الاغتسال.

و «المعمودية» وردت في رسائل بولس الرسول، كما سبق وقلنا، ثلاث مرات: اثنتان منها بمعنى الدفن السري، والثالثة بمعنى وحدة الكنيسة:

١ — «فدُيِّمًا معه بالمعمودية للموت ...» (رو ٦: ٤)

٢ — «مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقِيمْتُمْ أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات.» (كو ٢: ١٢)

٣ — «رَبٌّ واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة.» (أف ٤: ٥)

أما كلمة «يعمّد» فقد وردت في رسائل بولس الرسول ثلاث عشرة مرة.

- . εἰς Χριστόν وهي إما تأتي بصيغة يعمّد في المسيح
- . εἰς τὸν θάνατον أو يعمّد في موت المسيح
- . εἰς ἓν σῶμα أو يعمّد في جسد واحد
- . εἰς τὸ ὄνομα ... أو يعمّد في اسم ...

وبهذا يكون التعميد إما في المسيح أو في موته أو في جسده، وإما في اسم المسيح. وهذه سنأتي على شرحها فيما بعد.

والأصل والأساس في المعمودية في المسيحية عند بولس الرسول لا يمتُّ إلى المعمودية يوحنا لا من قريب ولا من بعيد، بل هو صليب ربنا يسوع المسيح. فموت المسيح على الصليب هو في تعبير المسيح السري «صبغة المسيح» βάπτισμα أي معمديته، كما جاءت في إنجيل القديس مرقس: «فقال لهما يسوع لستما تعلمان ما تطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة βάπτισμα التي أصطبغ βαπτίζομαι بها أنا» (مر ١٠: ٣٨). وأيضاً في إنجيل القديس لوقا: «في صبغة βάπτισμα أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل». (لو ١٢: ٥٠)

فبسرّ المعمودية في المسيحية هو موت بالدرجة الأولى حيث ينال الجسد العتيق فعل موت حقيقي. لأن المعمودية عند بولس الرسول هي موت ودفن، هي موت ودفن في المسيح. فالمعمودية هي فعل موت في εἰς موت المسيح لنوال قوة الموت «مع σὺν» المسيح لبلوغ غاية موت المسيح وهي الحياة من الموت. فالمعمودية فعلٌ سرّي إلهي يحمل سر الجلجثة وفعلها ونتائجها.

والمسيح أسس سرّ المعمودية المقدسة لهذا الغرض لننال به الاتحاد في موته، ومن خلال صبغة الماء ننال صبغة الدم! وهذا واضح أشد الوضوح في كلام المسيح الذي يتقَطَّر سراً: «أما الكأس التي أشربها أنا (دم الصليب) فتشربانها، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان (دم الصليب)». (مر ١٠: ٣٩)

المعمودية هنا تحقق وعد الرب: «وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليّ الجميع» (يو ١٢: ٣٢)، هكذا في المعمودية يجذب المسيح كل المعتدين في موته ليؤخّدهم فيه بصليبه ودمه.

واضح من تعبير بولس الرسول عن المعمودية أنها بالتغطيس الكلي تحت الماء وذلك من قوله

مدفونين معه: «مدفونين معه في المعمودية» (كو٢: ١٢)، «أنه دُفِنَ وأنه قام» (١ كو١٥: ٤). وكان هذا هو الطقس الرسمي للكنيسة منذ أول تأسيس هذا السر.

اصطلاحات أخرى للتعبير عن سر المعمودية:

وقد عبّرت الكنيسة عن هذا السر باصطلاحات أربعة أساسية:

١ — حميم مقدس: وهو يرمز إلى التطهير الداخلي بالروح القدس.

٢ — الامتئارة: وهو يرمز إلى انفتاح الوعي الروحي على الحق الإلهي في المسيح النور الحقيقي، بعد العمى الروحي في ظلمة العالم.

٣ — الدفن السري: وهو يرمز إلى الموت للإنسان العتيق والاتحاد بموت الرب.

٤ — القيامة السرية: وترمز إلى إعادة الخلقة والحياة الجديدة.

ثم أُضيفت إلى هذه التعبيرات السرية عن العماد تعبيران جديداً من صميم الإنجيل:

٥ — المسحة بزيت الزيتون: وهي ترمز إلى تطعيم المولود الجديد في شجرة الزيتون الأصلية.

٦ — ثوب المعمودية الأبيض: وهو يرمز إلى خلع العتيق مع أعماله وإثس الجديد، أي التحول الأخلاقي.

وهذه التعبيرات كلها واضح أن الكنيسة أخذتها مباشرة من تعاليم بولس الرسول من نصوص الآيات.

واستخدام هذه التعبيرات كلها مبكر جداً في الكنيسة، وقد أوردتها بتدقيق القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥ — ٣٨٦م) في عظاته للمعمدين الجدد والتي ألقاها في ١٨ مارس سنة ٣٤٧م.

وهذه العظات هي أهم ما بقي لنا من أعماله. وقد جاءت بالترتيب كالآتي:

(أ) خلع الثوب تماماً من على الجسد بمعنى رفض الإنسان العتيق^(١).

(ب) المسحُ المبذني بزيت مقدس (ἐλαίῳ ἑπορκιστῆ) كتطعيم في شجرة الزيتون

الأصلية^(٢). وهي تختلف عن المسحة المقدمة التي تأتي بعد العماد (μύρον χρίσμα)

التي للتثبيت^(٣).

1. Catech. Mystag., II:2; PG XXXIV, 1077.

2. Ibid., 1080

3. Catech. Mystag., III.

(ج) التفطيس تحت الماء ثلاث مرات للموت والدفن^(٤).

(د) الخروج من الدفن فوق الماء للتعبير عن القيامة والدخول في الاستنارة^(٥).

(هـ) لبس الشوب الأبيض للتعبير عن تقديس النعمة^(٦): «اللبس النور كثوب». (مز: ١٠٤: ٢)

المعمودية استنارة: φωτισμός

يُعتبر القديس يوستين الشهيد أول مَنْ ذكر الاستنارة في شرح طقس العماد^(٧)، ولكن من كلامه يُستفاد أنه كان اصطلاحاً شائعاً في الكنيسة ولم يستحدثه.

والكنيسة أخذت الاستنارة كفعل سري في المعمودية من القديس بولس رأساً في قوله: «مستنيرة عيون أذهانكم لتعلموا ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين». (أف: ١٨: ١)

علماً بأن لحظة العماد هي في الحقيقة إدراك واقعي للدعوة ولغنى مجد ميراث المسيح في القديسين.

كذلك فبالتمعيد يصير المعمدون أبناء للنور، وقد دخلوا في نهار المسيح بعد ظلمة ليل العالم.

+ «وأما أنتم أيها الإخوة فلستتم في ظلمة، حتى يدرككم ذلك اليوم كلص، جميعكم أبناء نور وأبناء نهار، لسنا من ليل ولا ظلمة». (١ تس ٥: ٤ و٥)

وأبناء المعمودية، وإد صاروا أبناء النور، أصبح نورهم يضيء العالم كأنعكاس من نور وجه المسيح الذي يسطع في قلوبهم حباً وبساطة وقداًسة:

+ «لكي تكونوا بلا لوم وبسطاء أولاداً لله بلا عيب في وسط جيل معوج وملتبس قصبون بينهم كأنوار في العالم». (في ٢: ١٥)

+ «لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور». (أف ٥: ٨)

والمعمودية عند بولس الرسول ملتزمة بلاهوت التبرير والفداء والخلاص:

+ «لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثاني وتعميد الروح

4. Ibid., II,2; PG XXXIV,1080,1081.

5 Ibid

6. Ibid., IV,8; PG XXXIV,1104.

7. St. Just., Apol. L61.

القدس. » (تي ٣: ٥)

+ « وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم (المعمودية): ἀπελούσασθε،

بل تقدستم: ἡγιασθήτε،

بل تبررتم: ἐδικαιώθητε،

باسم الرب يسوع وبروح إلهنا. » (١ كو ٦: ١١)

معمودية الكنيسة:

+ « كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها، مُطَهِّراً إياها بغسل

الماء بالكلمة، لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل

ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب. » (أف ٥: ٢٥-٢٧)

كذلك يرى القديس بولس الكنيسة وقد تعمّدت بالكامل في أشخاص أعضائها — وكل يوم

بالكلمة بالإنجيل المقروء — فصارت مقدّسة بأولادها القديسين وإنجيلها المقدس، مجيدة بمجد

حضره المسيح وحلوله فيها كجسده الخاص، لا دنس فيها بسبب كلمة الحياة بالإنجيل وقوة الروح

في العماد لبلوغ التقديس: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به. » (يو ١٥: ٣)

و «لا غضن»، أي لا آثار عتق الأيام وبلاء الخطية، فهي عروس باقية في أوج جمال غرستها

لا يحويه الزمن.

«مقدّسة» بسبب حضرة المسيح وملء الروح فيها مع ربوات ملائكة وأرواح القديسين

المكتملين في المجد الذين لا يفارقونها ليل نهار وهم في سماء مجد الله بآن واحد.

بولس الرسول يصف هنا الكنيسة هكذا:

+ «أنتم إلى جبل صهيون، وإلى مدينة الله الحي، أورشليم السماوية، وإلى ربوات هم

محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات، وإلى الله ديان الجميع، وإلى أرواح

أبرار مكتملين، وإلى وسيط العهد الجديد يسوع، وإلى دم رضى يتكلم أفضل من

هايل. » (عب ١٢: ٢٢-٢٤)

ولينتبه القارئ أن كل هذه الصفات التي اكتسبها المؤمن بالمعمودية بالماء والروح والتي نالتها

الكنيسة بعماد آخر إضافي بالكلمة، هذا كله قائم على أساس لا هوتي ثابت:

+ «أحبني وأسلم نفسه لأجلي. » (غل ٢: ٢٠)

+ « كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها. » (أف ٥: ٢٥)

هنا الفداء هو القوة الفعالة في عماد الفرد والكنيسة.

هنا الدم يسر الشوب الأبيض الذي يثر به المعمد الخارج من بطن المعمودية: «وقد غُسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم الخروف.» (رؤ: ٧: ١٤)

هنا الدم هو أساس تطهير الكنيسة بالكلمة وغسلها، لأنه دم الكلمة الابن الوحيد. بهذا يلزم أن نربط ربطاً محكماً بين ما يجري في سر المعمودية وما جرى للمسيح على الصليب والقبر والقيامة، حيث يتم للفرد والكنيسة الشركة في الموت والقيامة ونتائجهما.

في مفهوم بولس الرسول عن معمودية الكنيسة يقول: «كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مُطَهَّراً إياها بغسل الماء بالكلمة» (أف: ٥: ٢٥ و٢٦)، وهو يضع هنا كلمة «لكي» حتى يربط بها بين حب المسيح للكنيسة وموته على الصليب من أجلها لكي يقدسها، وذلك بتطهير كل عضو فيها. والقصد النهائي أن «يُحضرها» بمعنى يُعدها لنفسه عروساً طاهرة تماماً ومقدسة تماماً. هنا «يحضرها» باليونانية παραστήσει تحمل الغرض البعيد النهائي بعد أن تستكمل الكنيسة غسل كل أعضائها على مدى الزمن كله، لكي تبقى له بالنهاية.

لاحظ هنا أن التقديس بالنسبة للكنيسة يأتي باكتمال أعمال المعمودية للأفراد، مضافاً إليها التقديس بالكلمة على الكل في الكنيسة المجتمعة. يقول بعض اللاهوتيين بكلمة الإنجيل فقط، والبعض كالقديس ذهبي الفم يكفي بنطق الثالث في التعميد، ولكن الواضح أن تقديس الفرد هو الذي يتم بالعماد بالماء بنطق اسم الثالث فقط، أما تقديس الكنيسة كجماعة فيضاف إليه التقديس بكلمة الإنجيل: «أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به.» (يو: ١٥: ٣)

سر الموت والقيامة في المعمودية:

إن كانت المعمودية ميلاداً ثانياً جديداً فلا بد أن يسبقه موت، فالخلاص بالمسيح هو عن طريق الصليب والموت، وهو يغسلنا بأن يُشركنا في موته. علماً بأن الموت الذي مات، مات في بشرتنا، فليس عسيراً عليه أن يُجره علينا، وهذا ما يتم في المعمودية:

+ «أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته،

فدفنا معه بالمعمودية للموت،

حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة،

لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته،

نصير أيضاً بقيامته،

عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد ضلّب معه،
ليُتَظَلَّ جسد الخطية كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية،
لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية. » (رو ٦: ٣-٧)

في هذا الوصف اللاهوتي للمعمودية نلمح ثلاثة محاور أساسية:
(أ) التأثير المباشر للمعمودية.

(ب) مكاسب المعمودية الآن وفي المستقبل.

(ج) الواجبات التي تلقيناها علينا المعمودية.

باديء ذي بدء نُذَكِّر القارئ بانعزاف معظم اللاهوتيين المحدثين — إن لم يكن كلهم —
في اعتبار موت المسيح الكفاري في نظرهم أنه نوع من الإنابة أو الإحلال محلنا، فهو في عُزْفهم مات
عوضاً عنا (انظر صفحة ٢٨٥)، وبذلك يكون التبرير الذي نلناه — حسب رأيهم — هو منحة
والموت الذي جُزّئناه مع المسيح هو اعتباري، أي أن الله بمقتضى إيماننا بالمسيح اعتبرنا أمواتاً كما
اعتبر أننا تبررنا، وطبعاً يكون ذلك على أساس أنه لم يحدث شيء داخلنا إنما مجرد أن طوق الخطية
انكسر عنا على قدر ثقة الإيمان بالمسيح ويقين الإرادة المتجددة بقوة الإيمان أن المسيح مات من أجل
رفع الخطية.

هذا الشرح الذي قدمه آلاف الوثعّاط ويجاهد الملايين ليعيشوا بمقتضاه هو شرح ينقصه يقينية
الواقع الداخلي الشخصي الذي يحسه المؤمن المعتمد الذي مات مع المسيح حقاً.

ونحن نصصح المفهوم فنقول: الموت الذي ماته المسيح ماته من أجلنا وليس عنا! لأن المسيح
إن كان مات عني فأنا غير مُطالَب — بعد — أن أموت، ولا أكون قد مُتُّ معه، لأنه كفاني شر
الموت إذ مات هو عني! ولكن الحقيقة أنه مات من أجلي، فالموت الذي ماته ماته لي خاصة
وباسمي «أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠). فهو موتي أنا بالدرجة الأولى، وأنا مُتُّ لما
مات المسيح من أجلي، بل وأكملتُ الموت بكل كمال أسباب الموت الذي ماته، ماته عن الخطية
الأصلية التي فتي وخطية أجدادي التي استقرت في ميراثي، وخطية أُمِّي ويومي وخطية مستقبلي
بل وخطايا العالم كله!! هنا واقع الموت في داخلي، وتأثيره يعمل في كل كياني.

ليس هذا فقط بل إن الموت الذي ماته المسيح من أجلي لم يَمُتْ بعيداً عني، لأنه مات في
بشريتنا التي أخذها منا ليموت فيها، في جسد كل إنسان، أي مات في جسدي، في إنساني
الحاطي. فالموت الذي جازه المسيح جازه في، فجزّئته أنا حتماً معه، فموتي مع المسيح هو موت

يقيني، هو واقع حياتي أكثر مما هو واقع إيماني، على هذا يقول بولس الرسول بكل يقين الواقع والإيمان معاً:

+ «عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه، ليُبْتَطَلَ جسد الخطية، كي لا نعود نُستعبد أيضاً للخطية.» (رو ٦: ٦)

+ «ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.» (غل ٥: ٢٤)

لينتبه القارئ: فهناك فارق كبير وخطير بين أن يكون المسيح مات عني، فأكون في حاجة لمن ينقل موت المسيح إليّ، وبين أن يكون المسيح مات من أجلي، فهو موتي الخاص وليس موته فقط. ولأنه مات في بشرتنا فنحن أصحاب هذا الموت الفدائي بالملكية معه.

نحن في المعمودية نسترجع شركتنا في موت المسيح على الصليب في أجسادنا، ونتيجة موت المسيح لأجلنا هي بالضرورة نتيجة موتنا مع المسيح، لقد أبطل المسيح الخطية بموته. هكذا يهتف بنا بولس الرسول أن ننتبه:

+ «احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا.» (رو ٦: ١١)

فالخارج من جرن المعمودية هو خارج مع المسيح من دفن القبر بعد موت الصليب: «عالمين أن المسيح بعد ما أُقيم من الأموات لا يموت أيضاً، لا يسود عليه الموت بعد، لأن الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة والحياة التي يحيها فيحيهاها الله. كذلك أنتم...» (رو ٦: ٩-١١). وبولس الرسول يقولها صراحة: «لأن الذي مات قد تبرأ من الخطية.» (رو ٦: ٧)

المعمودية لا تعدُّنا للطهارة بل قد طهرتنا، وهي لا تعدُّنا للقداسة بل قدّستنا، ولا تعدُّنا للتبرير بل برّرتنا. فمهما كانت الخطايا، وليس أشنع سجلاً للخطايا من الخطايا التي سردها بولس الرسول على مسامع أهل كورنثوس وفي نهايتها يقول:

+ «وهكذا كان أناس منكم لكن اغتسلتم، بل تقدّستم، بل تبرّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١ كو ٦: ١١)

المعيار الروحي للإنسان المسيحي المؤمن الخارج من جرن المعمودية أو العائش في سرّها هو:

+ «لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع

السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح.» (رو ٨: ١)

حيث «السالكين ليس حسب الجسد» يعني بهم الذين يعيشون ليس بالناموس بل بالمسيح.

لأن العائش حسب الجسد هو الذي يتبع الناموس، والعائش حسب الروح هو الذي يبع المسيح.

+ «إن كنتم بالروح تقيمون أعمال الجسد فستحيون.» (رو ٨: ١٣)

ويستحيل أن نقوى بالإرادة على إماتة أعمال الجسد والشهوات، إذا لم نلتصق إلى أننا أُنحَدَا
قوة الإماتة بالروح. فالجسد ميت إزاء الروح وبسلطان الروح:

+ «إن كان المسيح فيكم فالجسد ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحية بسبب البر.»
(رو ٨: ١٠)

لذلك فأخطر جهالة يقع فيها الإنسان هو أن يملك الخطية من جديد في جسده الميت، بأن يظل
يخضع للخطية مرة تلو المرة حتى تملك عليه إرادته وتستغفر غرائزه ليسوقها الشيطان كيفما يشاء:

+ «إِذَا لَا تَمْلِكُ الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته.» (رو ٦: ١٢)

المعمودية ليست في حقيقتها فعلاً زمنياً، صحيح أنها تحدث في زمن ما، يؤرخ له الإنسان كبداء
حياة ونور، ولكنها هي فعلٌ سرّيٌ روحي فائق للطبيعة من جهة واقعه وآثاره، فالموت في المعمودية
يلازمه في الحال حياة:

+ «إن كنا قد مُنَّا مع المسيح نُؤمن أننا سنحيا أيضاً معه.» (رو ٦: ٨)

+ «إن كنا قد مُنَّا معه فسنحيا أيضاً معه.» (٢ تي ٢: ١١)

إذاً، الحياة التي أستمذها من المسيح هي بقدر ما أستمذته من قوة الشركة في موته: «لأعرفه
وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته.» (في ٣: ١٠)

وهكذا بقدر ما نمتد في شركة موت المسيح، بقدر ما نمتد في شركة حياته. الموت هنا في حقيقته
فعلٌ حياتي، فعلٌ روحيٌ فائق يحمل سر قيامة المسيح وسر حياة الإنسان في المسيح، فهو فعل ديمومة
فائق على الزمن والتاريخ والمادة.

ويلاحظ القارئ أنه كما أن الحياة الجديدة لا تكون منظورة من الخارج، كذلك الموت الذي
يرافقها في الإنسان العتيق غير منظور أيضاً. «فالموت والحياة» اللذان هما ثمرة المعمودية هما عملٌ
سرّيٌ فائق غير منظور ولكنه فعل واحد قائم ومستمر بطول حياة الإنسان:

+ «لأنكم قد مُنْتُمْ وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أظْهَرَ المسيح حياتنا فحينئذ
تُظْهَرُونَ أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣: ٤)

عجيب حقاً أن الموت والحياة هكذا يجتمعان، الواحد ينبثق من الآخر، فالموت في المعمودية هو الرحم الذي تولد منه الحياة، وهو المهد الذي تأخذ منه الحياة الجديدة ظهورها ونموها:

+ «مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه، بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات.» (كو٢: ١٢)

يلزم أن نفهم هنا أن المسيح لا يزال هو كما هو قائم بفاعلية موته وقيامته، فهو الشخصية السرية القائمة بالحقيقة في صميم إيماننا وواقعنا الروحي. حينما نعتد له نعتد فيه، نحن نُعَمَّر في كيانه الفعلي والواقعي الحي، نُعَمَّر في شحبه السري، نُعَمَّر في قُوَى الموت الذي ماته فأمات به الموت وسلطانه. فموته مجال حي قائم فيه لا يزال له قوة إبادة الموت والحطية، وبالمثل قيامته فهي المجال الحي القائم فيه والمنتبعث منه الذي له سلطان الإقامة من الموت وإعطاء الحياة الأبدية.

المعمودية «في المسيح»:

+ «لأن كلكم الذي اعتمدتم بالمسيح εις Χριστόν εβαπτίσθητε قد لبستم المسيح.» (غل ٣: ٢٧)

هنا اللغة العربية قاصرة جداً في ترجمة المعنى الأصيل، فهنا التعميد ليس بالمسيح بل في المسيح . εις

كذلك: «أما تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته.» (رو ٦: ٣)

هنا أيضاً الخروج عن المعنى مرتين بسبب عدم الالتفات للحرف εις ، فهو لا يعني: «بالمسيح» ولا «لموته» بل «في المسيح» و«في موته»، والترجمة تأتي في الإنجليزية: into أي «في داخل».

لذلك فنقول بولس الرسول: «اعتمدتم في المسيح» و«اعتمدتم في موته» يفيد الدخول الحقيقي في المسيح دخولاً سرياً غير منظور. والدخول في موته هو دخول واقعي في مجال قوة موته دخولاً روحياً حقيقياً إنما سرياً وغير منظور. وهذا هو في الحقيقة صُلُبُ المعنى في «المعمودية»، فالمعمودية المسيحية هي معمودية تفتيس ودفن بمعنى التداخل والاتحاد غير المنظور.

فالمعمودية في المسيح وفي موت المسيح وفي جسد المسيح هي اتحاد سري في المسيح وفي موت المسيح وفي جسد المسيح، بصورة غير منظورة ولكن في واقع روحي.

هَذَا، فَإِنْ تَكْمَلَةُ الْقَوْلِ تَكْمُلُ الْمَعْنَى، فَقَوْلُهُ: «كَلِّمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ فِي الْمَسِيحِ قَدْ لَبِستمُ الْمَسِيحَ» — Χριστόν ἐνεδύσασθε — هُوَ تَحْصِيلٌ حَاصِلٌ. فَالَّذِي بِالْمَعْمُودِيَّةِ وَالِدَفْنِ دَخَلَ فِي الْمَسِيحِ فِي مَوْتِهِ، فِي جَسَدِهِ، لَا يَخْرُجُ بَدُونَهُ، فَهُوَ يَكُونُ قَدْ اتَّحَدَ بِالْمَسِيحِ فِي جَسَدِهِ وَقُوَّةِ مَوْتِهِ، بِمَعْنَى أَنَّ الْمَسِيحَ قَدْ احْتَوَاهُ، وَأَنَّهُ بَاقٍ يَحْيَا فِي دَاخِلِ الْمَسِيحِ وَمِنْ دَاخِلِ مَوْتِهِ، لِذَلِكَ يَقُولُ بُولُسُ الرُّسُولُ: «فَأَحْيَا، لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (عِل ٢: ٢٠)؛ وَإِنْ ظَهَرَ هَذَا فِي شَكْلِ مَعْكُوسٍ، لِأَنَّ بُولُسَ الرُّسُولَ هُوَ الَّذِي يَحْيَا فِي دَاخِلِ الْمَسِيحِ وَفِي دَاخِلِ مَوْتِهِ وَحَيَاتِهِ.

وَلَا يَسْتَطِرِقُ الْمَعْنَى إِلَى أَنَّ الْمَسِيحَ يُلبَسُ كَثُوبٌ فَوْقَ إِنْسَانَانَا الْعَتِيقِ، بَلِ لِأَنَّنَا فِي الْمَعْمُودِيَّةِ خَلَعْنَا الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ بِسَبَبِ مَوْتِنَا وَاتِّحَادِنَا بِجَسَدِ الْمَسِيحِ الرُّوحِيِّ الْحَيِّ الْقَائِمِ مِنَ الْأَمْوَاتِ، فَحَقٌّ لَنَا أَنْ نَلْبَسَ الْمَسِيحَ فَوْقَ ذَاتِنَا — وَلَيْسَ فَوْقَ جَسَدِنَا — وَحِينَئِذٍ يَسْتَطِيعُ الْمَسِيحُ أَنْ يُلْغِي أَعْمَالَ الْجَسَدِ وَإِنْسَانَانَا الْعَتِيقَ الْمَيِّتَ بِمَوْتِهِ، وَيُعْطِينَا جَسَدَهُ السَّرِيِّ الرُّوحِيِّ الْحَقِيقِيِّ لِنَحْيَا بِهِ: «مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ (اعْتَمَدْتُ)، فَأَحْيَا، لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ — بِجَسَدِهِ الرُّوحِيِّ — يَحْيَا فِيَّ» (غِل ٢: ٢٠) = «لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ» (أَف ٣: ١٧) فَلَا نَعُودُ نَحْيَا نَحْنُ مِنْ ذَاتِنَا بَلِ هُوَ الَّذِي يُحْيِي ذَوَاتِنَا. فَقَوْلُ بُولُسِ الرُّسُولِ قَدْ «لَبَسْنَا الْمَسِيحَ» هُوَ كَمَنْ يَقُولُ لَبَسْنَا النُّورَ الَّذِي بَدَّدَ الظُّلُمَةَ مِنْ كِيَانِنَا الْبَاطِلِ. فَلَا يَمُودُ النُّورَ خَارِجَنَا وَكَأَنَّهُ مَعْزَلٌ عَنَّا بَلِ يَكُونُ فِي دَاخِلِنَا — فِي الْإِنْسَانِ الْبَاطِنِ — لِيُضِيءَ قُلُوبَنَا وَفِكْرُنَا بِنُورِهِ الْفَائِقِ، فَنَرَى وَنَفْهَمُ وَنَعِيشُ فِيهِمَا هُوَ فَوْقَ طَبِيعَتِنَا، فَقَوْلُ بُولُسِ الرُّسُولِ: + «لَأَكُفُّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءَ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، لِأَنَّ كَلِّمُكُمُ الدِّينَ اعْتَمَدْتُمْ (فِي) الْمَسِيحِ قَدْ لَبِستمُ الْمَسِيحَ، لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلَا يُونَانِيٌّ، لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ، لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لَأَكُفُّكُمْ جَمِيعاً وَاحِداً "فِي" الْمَسِيحِ يَسُوعَ.» (غِل ٣: ٢٦—٢٨) وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ:

+ «إِذْ خَلَعْتُمْ الْإِنْسَانَ الْعَتِيقَ مَعَ أَعْمَالِهِ (بِالْمَعْمُودِيَّةِ) وَلَبِستمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ...» (كُور ٣: ٩ و١٠)

+ «الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ، وَلِيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلَامٌ "الْمَسِيحِ" الَّذِي إِلَيْهِ دَعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ.» (كُور ٣: ١٤ و١٥)

وَاضِحٌ هُنَا أَنَّ الْمَسِيحَ لَيْسَ ثَوْباً يَلْبَسُهُ كُلُّ فَرْدٍ بِفَرْدِهِ وَحَسَبَ، فَهَذَا الثَّوبُ هُوَ جَسَدُهُ الْإِلَهِيُّ الَّذِي يَغْمُرُ الْكُلَّ وَيُغْطِي خَزْيَ الْجَمِيعِ وَيَتَلَعَّ مَوْتَنَا فَتَصِيرُ جَمِيعَتُنَا فِيهِ وَاحِداً. هَذَا هُوَ ثَوْبُ الْمَعْمُودِيَّةِ الْأَبْيَضِ بِكُلِّ مَعَانِيهِ الْعَجَبِيَّةِ وَالْجَمِيلَةِ وَاللَّائِهَاتِيَّةِ:

+ «لَأَنَّكَ تَقُولُ إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدْ اسْتَغْنَيْتُ وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتُ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ

الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان. أشير عليك أن تشتري مني ذهباً مصفى بالنار (الإيمان الحقيقي المختبر) لكي تستفتي، وثياباً بيضاً لكي تلبس فلا يظهر خزي غزبتك (ما قبل المعمودية) ...» (رؤ ١٧: ١٨)

هذا يبدو أكثر وضوحاً في قول بولس الرسول لأهل كورنثوس:

+ «لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا (في = εἰς) إلى جسد واحد، يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحرار، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.» (١ كو ١٢: ١٣)

هنا التحام كلِّ مَنْ اعتمد في المسيح، في جسده، في موته، في حياته، قد صيِّره واحداً في المسيح. ولكن كل واحد من الذين اعتمدوا في المسيح اتحد هكذا، والمسيح واحد وجسده واحد وموته واحد، فالكل اتحد بالواحد فصار الكل إلى واحد في الواحد.

هنا نعيد الرجاء بأن ينتبه القارئ إلى أن عاملين أساسيين هما اللذان يؤثقان الاتحاد السري في جسد المسيح بالمعمودية:

الأول عمل «المعمودية» — بعد ذاته — من حيث أنه تغطيس ودفن، فعلياً سري بقوة الروح القدس.

والثاني مفهوم المعمودية أنها «في المسيح» εἰς أي «في داخل» المسيح بمفهومها السري أن المسيح القائم من الأموات حاضر وهو الذي يعمد!

المعمودية «في اسم» المسيح:

هنا نأتي إلى مفهوم التعميد في الاسم وعلى الاسم وبواسطة الاسم.

والمواضع التي جاء فيها هذا الاصطلاح هي كالآتي:

في الاسم εἰς τὸ ὄνομα :

«وهكذا كان أناس منكم. لكن اغتسلتم، بل تقدستم، بل تبرأتم، باسم الرب يسوع وبروح إلهنا» (١ كو ٦: ١١). وترجم على صحتها «في اسم» و «في روح».

في داخل الاسم εἰς τὸ ὄνομα وتأتي في الإنجليزية Into.

«... أم باسم بولس اعتمدتم» (١ كو ١٣: ١) و يتبعها (١ كو ١٥: ١٥)

ويكون المعنى متوقفاً على مفهوم «الاسم» عند بولس الرسول وعند الكنيسة المسيحية، وهو

متوارث من العهد القديم^(٨) ويفيد وجود الشخص، أي حضرته بكامل سلطانه.

فيكون معنى أن يعُمد في اسم المسيح وبه أو بواسطته أو عليه^(٩) متوقفاً على معنى الحضور الإلهي لصاحب الاسم أي المسيح ولسلطانه وقوته. ويكون ما جاء في إنجيل القديس متى: «فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم (في اسم *εἰς τὸ ὄνομα*) الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٩) يفيد: تلمدوهم بحضرة ووجود الثالوث وذلك بتعميدهم بالدعاء باسم الثالوث، لأن المسيح يؤيد ذلك بتكميل قوله هكذا:

+ «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين.» (مت ٢٨: ٢٠)

فحضرة المسيح — التي هي دائماً مع حضرة الآب والروح القدس — مضمونة ومضمون دوامها في الكنيسة بسبب هذا الوعد، كما أنه في هذه الحضرة التي تتم بالدعاء تحدث التلمذة بحدوث العماد. وهذا يعني أنه بالعماد تتم التلمذة، وهذا بدوره يعني أن المعمد صار تابعاً خادماً للمسيح، أو على الأصح صار ملكاً للمسيح لأنه صار حياً فيه وبه.

فالتعميد في الاسم ينتهي إلى انتقال المعمد من تحت ملكية العالم إلى ملكية المسيح — من خدمة عبودية الخطية إلى خدمة عبودية البر — من هنا يأتي وضعه كعضو في الكنيسة لأنه صار عضواً في جسد المسيح السري. هذا يفهم ضمناً من قول بولس الرسول:

+ «فأنا أعني هذا أن كل واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لأبُلُّوس وأنا لصفا وأنا للمسيح. هل انقسم المسيح؟ ... أم باسم بولس اعتمدتم ...» (١ كو: ١٢ و١٣)

واضح هنا أن الذي يعتمد لبولس يعني أنه يتبع بولس، أو يمتلكه بولس وهذا مستحيل. فهم اعتمدوا للمسيح وصاروا له، والمسيح أصبح هو الذي يمتلكهم والمسيح لم ينقسم لكي يكون جزء منه لي وجزء لك. لذلك كل الذين اعتمدوا في المسيح هم واحد بالضرورة وهم خاصته. إذاً، فالاعتماد للاسم أو بالاسم بالنسبة للمسيح يفيد إقامة صلة تبعية ذاتية أي امتلاك كلي.

وحيث الدعاء بالاسم، فالحضرة الإلهية للمسيح تكون عاملة. لذلك تقول الكنيسة الأرثوذكسية إن المسيح هو الذي يُجري سر العماد وهو الذي يعطي جسده ودمه بيده، أما

(٨) رجاء الرجوع إلى كتاب «المدخل لشرح إنجيل يوحنا»، ص ٢٢٠.

(٩) المعمودية «على اسم المسيح» جاءت في سفر الأعمال هكذا:

«توبو وليعتمد كل واحد منكم على *ἐν* اسم يسوع المسيح.» (اع ٢: ٣٨)

الكاهن فهو خادِم السِّر المنظور.

ونتقل قوة الاسم — أي الحضرة الإلهية — من عملية التعميد بكل إجراءاتها الداخلية في طبيعة المعتمد من تطهير وتقديس وتبرير، إلى شخص المعتمد ذاته حيث يتقبل بعد العماد صاحب الاسم شخصياً أي المسيح ليكون سيداً له.

فإذا عدنا لمنطوق وصية المسيح بتلمذة الأمم بتعميدهم باسم الآب والابن والروح القدس، نفهم كيف ولماذا أعطى المسيح للكاهن السلطان أن يدعو باسم الثالوث. فبحسب الوعد الذي أعطاه المسيح للرسل والكنيسة من بعدهم، فإنه بمجرد الدعاء بالاسم تحل الحضرة الإلهية ويعمل الثالوث. والكاهن يبدأ بخدمة السر بسلطان الاسم أي من واقع حضور الثالوث.

ويلزم أن ننتبه أن المُعَمِّد نفسه يتحتم عليه (أو على إشيئيه) أن يعترف علناً كشهادة بالإيمان باسم الآب والابن والروح القدس، وفي نفس الوقت لا يقرب الكاهن السير إلا إذا نطق هو أيضاً بالشهادة والاعتراف باسم الآب والابن والروح القدس، وهذا يُحَسِّب أنه التحضير اللازم للحضرة الإلهية لتكميل السر.

من هنا نفهم أن التعميد بالاسم هو التغطيس والدفن في المسيح، المسيح الحاضر بشخصه، المسيح المصلوب والميت والمدفون بآن واحد:

+ «أنا هو الأول والآخر، والحَيُّ وكنت ميتاً، وها أنا حيُّ إلى أبد الآبدين آمين.» (رؤى:

١٧ و١٨)

الفصل الثاني سرُّ المسحة أو التثبيت

+ «لا بأعمالٍ في برِّ عملناها نحن؛ بل بمقتضى رحمته خلَّعنا بغسل الميلاد الثاني، وتجديد الروح القدس الذي سكبهُ بفضي علينا يسوع المسيح مخلصنا.» (تي ٣: ٥)

بولس الرسول هنا يوضح باختصار بالغ أن عملية «الخلاص» تتم بمعين:
الأول: المعمودية التي اعتبرها غسل الميلاد الثاني.

والثاني: تجديد الروح القدس بمعنى إعطاء الحياة الجديدة في سر وضع اليد أو المسحة المقدسة.

وأصل السر كان بوضع اليد على المعمد لقبول الروح القدس.

وهذا السر لا يقوم بمفرده، ولا يمكن تكميله إلا بعد المعمودية، ولو أنه محسوب في الكنيسة أنه سرٌّ قائم بذاته، إلا أنه هو وسرُّ العمد هما إجراء واحد. فكلُّ مَنْ يعتمد يكون مؤهلاً لقبول الروح القدس في الحال. لذلك كان سرُّ وضع اليد يُجرى مباشرة على الخارجين من المعمودية، فكان يحل الروح القدس مباشرة وبعلامات واضحة تشهد للحياة الجديدة التي نالها المعمد في المسيح.

+ «لكن الذي يُثبِّتنا معكم في المسيح وقد قَسَّحَنَا هو الله، الذي خَتَمَنَا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا.» (٢ كور ١: ٢٢ و٢١)

هنا تتركز أوصاف «المسحة» $\chi\rho\iota\sigma\mu\alpha$ كون فعلها هو «التثبيت» $\beta\epsilon\beta\alpha\iota\omega$ ، وهي بعمل «الروح القدس» المعتبر أنه خَتَم $\sigma\phi\rho\alpha\gamma\iota\varsigma$ الحياة الأبدية والتبعية لله، وأنه «عربون» $\alpha\rho\rho\alpha\beta\omega\upsilon\varsigma$ الميراث الأبدي. هذه هي كل أوصاف مسحة التثبيت بالروح، وهي المحسوبة أنها عناصر المسحة المقدسة حتى اليوم:

يوناني	لاتيني	عربي
βεβαιῶν	qui confirmat	يُثَبِّتُنَا
σφραγισάμενος	qui signavit	خَتَمَنَا
χρίσας	qui unxit	مَسَحَنَا

+ «الذي فيه أيضاً إذ آمنتم تُحتمم بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا.»
(أف: ١٣: ١٤)

وهو يخاطب بها أهل أفسس باعتبارهم نالوا جميعاً المعمودية، وكونه لا يذكر المعمودية هنا معناه أن السرَّين منفصلان وأن المعمودية هي السابقة على التثبيت بالمسحة. وهذا يتضح بالأكثر في سفر الأعمال:

+ « فإذا وجد تلاميذ قال لهم: هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟

قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس!

فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا!

فقال بولس: إن يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده أي بالمسيح يسوع،

فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع،

ولما وضع بولس يديه عليهم حلَّ الروح القدس عليهم،

فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون. وكان جميع الرجال نحو اثني عشر.» (أع: ١٩: ١-٧)

كذلك يتضح من سفر الأعمال (٨: ١٧ و١٨) أن السامريين قبلوا الروح القدس بعد العماد. ولكن في كل هذه الحالات التي تأخر فيها حلول الروح القدس عن العماد، كان ذلك بسبب غياب خادَم السرِّ المعيَّن من الله والكنيسة. لأن السائد أن المعمودية يتبعها مباشرة وضع اليد لحلول الروح القدس كعنصرين أساسيين في تكميل التلمذة للمسيح.

ويلاحظ في الآية الرئيسية السابقة أن أوصاف التثبيت بالمسحة التي اعتبرها بولس الرسول مشتركة بينه وبين المؤمنين عامة هي نفسها التي ألهته للقيام بالخدمة الرسولية فيما بينهم.

كذلك يعطي بولس الرسول تعليماً آخر يوضح فيه عمل الروح القدس الأساسي في المعمودية معطياً عمل وظيفته بصورة قوية وواضحة، كونه يكمل اتحاد المعمَّد بجسد المسيح الواحد، وبذلك

يصنع من المعمدين جميعاً وحدة عضوية بالروح تتلاشى فيها العنصرية واختلاف الأجناس الشمويه واختلاف الجنس الذكر والأنثى، واصحاً دخول الروح القدس في المعمد على مستوى السقي أو الشرب.

+ «لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً (صحتها في روح واحد) اعتمدنا إلى جسد (صحتها في جسد) واحد، يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.» (١ كو ١٢: ١٣ و١٢)

والجسلة: «سُقينا روحاً واحداً» جاءت في كثير من المخطوطات القدية القبطية والأرمنية والحبشية والقوطية، وحتى في الفولجاتا الأصلية^(١): «سُقينا واستنشقنا روحاً واحداً». وهنا كلمة «استنشقنا الروح» لها أصل طقسي تقليدي قديم مطابق لما جاء في هذه المخطوطات. فالخارج من المعمودية ينفخ الكاهن المعمد في أنفه نفخة الروح القدس قائلاً: اقبل الروح القدس. وهذا هو نفس الإجراء الذي قام به المسيح بعد القيامة: «ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس، مَنْ غفرتم خطاياهم تُغفر له وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خطاياهم أُمسكت.» (يو ٢٠: ٢٢ و٢٣)

بهذا يبدو أمامنا الآن طقس المسحة المقدسة — سواء بوضع اليد أو بنفخة الروح القدس — أنه ينحدر من المسيح رأساً كتسليم رسولي عالي القيمة، حيث يُعتبر أيضاً — وعلى مستوى السر المقدس — أن المسيح نفسه هو الذي ينفخ الروح القدس لقبول التلمذة ولغفرة الخطايا.

ولكن لينتبه القارىء، فكلمة «سُقينا» التي وردت في المخطوطات بمفهوم «سُقينا واستنشقنا» جاءت في المبني للمجهول ἐποτίσθημεν بمفهوم أن الكنيسة هي التي بالروح القدس الذي فيها وهبت السقي واستشاق الروح للحياة الجديدة في العصو الجديد أي في الجسد أي فيها.

في هذه الآية يصف بولس الرسول كيف يتكون «الجسد السري» للمسيح أي الكنيسة. فبالمعمودية يتحد العضو الجديد بجسد المسيح حينما يُدقَّ معه ليموت بذات الجرح، وحينئذ يأتي دور الروح القدس وهو الآن الروح الساكن في الكنيسة، فهو روح الكنيسة، لتعطيه الكنيسة لإعطاء الحياة الجديدة للعضو. حيث الروح القدس هنا يكمل عمل المعمودية، يكمل اتحاد العضو بالجسد بإعطائه الروح للحياة.

وهذا التعليم الذي يقدمه بولس الرسول يأتي مطابقاً لما قاله الرب: «إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله.» (يو: ٣: ٥)

ويُلاحَظ كذلك أن إعطاء الروح القدس بصورة السقي وبصورة الاستنشاق هو من واقع العهد القديم والجديد أيضاً:

+ «فَتَسْتَقُونَ مِيَاهاً فَرِحَ مِنْ بَنَائِجِ الْخَلَاصِ (المعمودية).» (إش: ١٢: ٣)
+ «إِلَى أَنْ يُسَكَّبَ عَلَيْنَا رُوحٌ مِنَ الْعَلَاءِ، فَتَصِيرُ الْبَرِيَّةُ (البشرية العتيقة) بَسْتَاناً (الإنسان الجديد).» (إش: ٣٢: ١٥)

+ «أَسْكِبْ رُوحِي عَلَى نَسْلِكَ وَبِرَكْنِي عَلَى دُرَّتِكَ.» (إش: ٤٤: ٣)
+ «وَأَفِيضْ عَلَى بَيْتِ دَاوُدَ وَعَلَى سَكَانِ أُورُشَلِيمَ رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ.» (زك: ١٢: ١٠)
+ «وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنِّي أَسْكِبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ...» (يوئيل ٢: ٢٨)
+ «مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ. قَالَ هَذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مَزْمَعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ.» (يو: ٣٨ و٣٩)
+ «وَأِذَا ارْتَفَعَ بِيَمِينِ اللَّهِ وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الْآبِ، سَكَّبَ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ الْآنَ تَبْصُرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ.» (أع: ٢: ٣٣)

+ «لَا بِأَعْمَالٍ فِي بَرٍّ عَمَلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمَقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَصْنَا بِغَسْلِ الْمِيلَادِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، الَّذِي سَكَّبَهُ بِغُثَى عَيْنِنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ مَخْلَصَنَا.» (تي: ٣: ٥ و٦)

وأما كيف يُغْطَى الروح بالنفخة ويُؤخذ حتماً بالاستنشاق فتأتي هكذا:
+ «وَنَفْخَ (الله) فِي أَنْفِهِ (آدم) نَسَمَةً حَيَاةٍ فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً.» (تك: ٢: ٧)
+ «نَفْخَ (المسيح) وَقَالَ لَهُمْ أَقْبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ.» (يو: ٢٠: ٢٢)
+ «الرَّيْحُ تَهْبُّ حَيْثُ تَشَاءُ وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا لَكِنَّا لَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلَا إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ هَكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ.» (يو: ٣: ٨)

+ «وَلَمَّا حَضَرَ يَوْمَ الْخَمْسِينَ كَانَ الْجَمِيعُ مَعاً بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَصَارَ بَقْعَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتُ كَمَا مِنْ هَبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمِثْلُ كُلِّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ. وَظَهَرَتْ لَهُمُ أَلْسِنَةٌ مَنقُشَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَامْتَلَأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.» (أع: ٢: ٤-١)

وهكذا يشترك كلٌّ من العهد القديم والجديد في وصف الروح القدس في الإنسان بوصف انسكاب الماء وبوصف النفخ أو الاثني معاً كما جاء في هذه الكلمة: «سُقِينَا وَاسْتَشْقِينَا.»

ولو يلاحظ القارئ، يجد أن حلول الروح القدس يوم الخمسين على التلاميذ كان على صورة هبوب ريح عاصف وألسنة كأنها من نار. وهو بعد ذاته كان بدء عملية مسح الكنيسة ككل وتثبيتها علناً واستعلانها ملء جسد المسيح للقيام بنفس الدور الكرازي الذي افتتحه المسيح لما حلّ عليه الروح القدس:

+ «روح الرب عليّ لأنه مسحني لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأبني للمأسورين بالإطلاق، وللعمى بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية، وأكرز ببسمة الرب المقبولة. ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس. وجميع الذين في المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقول لهم: إنه اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم.» (لوقا: ١٨-٢١)

بهذا نرى في سر المسحة الذي تمنحه الكنيسة بعد العماد مباشرة للمعمّدين أنه هو امتداد لعمل المسيح:

+ «الذي يُثَبِّتُنَا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله.» (٢ كور: ١: ٢١)

الفصل الثالث

الإفخارستيا

النص الإفخارستي في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس:

في المعمودية بالماء والروح — كدفن وقيامة — نأخذ الميلاد الجديد للإنسان الجديد. ونشرب الروح القدس ونستشقه.

وسالافخارستيا، أي بالتناول من جسد الرب ودمه، نأكل المسيح «خبز الحياة» كطعام الحق مأكلاً ومشرباً.

تصوير السرّين معاً في العهد القديم في رسالة بولس الأولى لأهل كورنثوس:
+ «فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة
وجميعهم اجتازوا في البحر،
وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر،
وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً،
وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً،
لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تأسمتهم والصخرة كانت المسيح.»

(١ كور ١٠: ١-٤)

هكذا الشعب القديم اعتمد على مستوى الرمز واشترك في إفخارستيا على مستوى الرمز. وهنا يجدر بنا الانتباه إلى تركيز بولس الرسول على مر الإفخارستيا في رمزه الأول بقوله:

πνευματικὸν βρῶμα = طعاماً روحياً

πνευματικὸν πόμα = شراباً روحياً

ثم يعود بولس الرسول ليربط بين هذا الرمز القديم كونه بمستوى روحي، وبين ما حققه لنا

العهد الجديد بالواقع الحقيقي لا الرمزي وذلك بقوله: «وهذه الأمور حدثت مثلاً لنا» (١كو١٠: ٦)؛ بمعنى أن هذا الذي حدث من جهة الأكل الروحي والشراب الروحي، كان هو «المثل» τύπος أو «الأصل الروحي».

ولكن من أين جاء بولس الرسول بالصفة «الروحية» للطعام والشراب الذي يشره الشعب قديماً في «المن» و «الماء»؟ الجواب واضح لأن هذا المن كان خبزاً إعجازياً جاء من السماء بمعجزة، فهو روحي خالص ومادي خالص بأن واحد، فهو مُستى بالخبر السماوي وخبز الملائكة من جهة، ومن جهة أخرى أكله الإنسان أكلاً، كذلك «الماء»، فقد خرج من الصخرة بصورة إعجازية، وزاد بولس الرسول على هذه الصورة الإعجازية لمسة روحية بقوله: «صخرة روحية»، وبقوله: «والصخرة كانت المسيح»، ليكشف مرة واحدة مفهوم السر في منبعه.

وقد امتد القديس بطرس من الصخرة الروحية التي كانت المسيح إلى الحجارة الروحية التي نحتت من ذات الصخرة الروحية بقوله:

+ «الذي إذ تأتون إليه "حجراً حياً" مرفوضاً من الناس ولكن مختار من الله كريم، كونوا أنتم أيضاً مبنيين "كحجارة حية" بيتاً روحياً كهنوياً مقدساً لتقديم دبايح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح.» (١بط ٢: ٤ و٥)

ثم لاحظ كيف جاء المثال τύπος محبوباً في العهد القديم، إذ بعد ما اعتمدوا في البحر، شربوا الماء السري وأكلوا المن السري.

ثم عاد بولس الرسول لشرح لأهل كورنثوس، بعد أن أعطاهم المثل القديم للإفخارستيا مُطَبَّقاً روحياً على المن والصخرة، ليقول لهم ما استلمه شخصياً من المسيح نفسه بإعلان عن سر الإفخارستيا الذي قبله الرسل سابقاً هكذا: «لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً» (١كو١١: ٢٣). ثم ابتدأ يوضح لهم الزمن والظروف التي أسس فيها المسيح سر الإفخارستيا: «إن الرب يسوع في الليلة التي أُسلم فيها...» (١كو١١: ٢٣ ب)

وبهذا يقصد بولس الرسول أن يربط ربطاً زمنياً وموضوعياً بأن واحد بين الإفخارستيا والموت: «في الليلة التي أُسلم فيها». ومن هذا المنطلق، أي الربط بين تأسيس الإفخارستيا وبين موت الرب، أخذ مطلع الإفخارستيا هذا المعيار اللاهوتي عينه أي «الجسد المكسور»: «في الليلة التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً، وشكر فكسره»، ثم ربط بين الجسد المكسور على الصليب وبين السبب المباشر أو الغاية العظمى من الإفخارستيا وديمومتها: «وقال خذوا كلوا هذا هو

جسدي "المكسور لأجلكم" اصنعوا هذا لذكري.» (١ كو ١١: ٢٣ و ٢٤)

أما سبب الجسد المكسور على الصليب فهو «لأجلكم».

أما الغاية العظمى من الإفخارستيا فهي «خذوا كلوا»، أي ليصير المسيح المذبح على الصليب طعامنا الروحي الشافي.

أما الدييمومة فهي الأمر بتكرار هذا السر الإفخارستي وتكرار الأكل منه. هنا الدييمومة تأخذ اكتمالها على مستوى الفعل الظاهري والفعل السري، على مستوى الزمن والروح.

هذا هو جسدي:

ولكن لنتنبه، لأن المروض على التلاميذ هنا هو «سر» وليس واقعاً مادياً، فالذي يقدمه بيده شيء والذي يقوله شيء آخر. الذي في يده مادة والذي يصفه بها روح. ففي اعتبار المسيح وحسب نُظفته الإلهي، لا الخبز المكسور هو خبز مادي ولا الجسد الذي يشير إليه الرب هنا هو جسد مادي!! وإلاً نقع فيما وقع فيه التلاميذ في رواية إنجيل يوحنا الذين عثروا في القول وتخلَّوْا عن الرب ولم يعودوا يسيرون وراءه: «قال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا إن هذا الكلام صعب مَنْ يقدر أن يسمعه» (يو ٦: ٦٠)؛ «من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى وراء ولم يعودوا يمشون معه» (يو ٦: ٦٦)، بل وكان احتجاج اليهود شديداً، حتى خاصم بعضهم بعضاً: «فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكل؟» (يو ٦: ٥٢)

ولكن المسيح كشف الغطاء عن مفهوم هذه المقولة الإفخارستية بقوله: «الروح هو الذي يُحيي أما الجسد فلا يفيد شيئاً» (يو ٦: ٦٣). المسيح هنا يستثني المادة ويتجاوزها إلى السر الإلهي غير المنظور في الخبز والخمر المقدسين: «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة ولكن منكم قوم لا يؤمنون» (يو ٦: ٦٣ و ٦٤). بهذا يكشف المسيح أن الخبز الذي كسره بالروح يحمل سرّ قوة الخبز الحقيقي النازل من السماء، هذا هو مفهوم الكلام روحياً أو كلام الروح الذي يحمل سر الروح والحياة: «الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة».

كذلك يكشف المسيح أن قوله: «هذا هو جسدي»، يُقصد به الجسد على مستوى الروح والحياة أيضاً: «الجسد الحقيقي» بجوهره الحقيقي المُستعلن بالقيامة، «الجسد السري» غير المنظور وغير المحسوس الذي لا تحده الحواس، الذي كانت تراه العين شيئاً وهو في حقيقته شيء آخر. فإذا كان لنا الإيمان بأن قول الرب هنا بالنسبة للخبز المكسور، وبالنسبة للجسد الذي يشير إليه الرب هو على مستوى الروح والحياة في سر القيامة، فإننا نأكل في الخبز المادي الخبز الحقيقي النازل من السماء والصاعد إلى السماء، ويكون أكلنا بالفم مطابقاً لأكلنا بالروح حيث يكون «ماكلاً حقاً» ويكون

هذا هو أكل جسد المسيح السري، أو الأكل السري للمسيح بالروح: «فمن يأكلني فهو يحيا بي.» (يو: ٦: ٥٧)

ولكن هذا المفهوم السري الروحي لأكل الحق في الخبز، وأكل الجسد بالروح، يحتاج إلى وعي مسيحي بإيمان يفرق بين المنظور المادي والحق الإلهي غير المنظور القائم بالكلمة في السر. لذلك قال المسيح بعد هذا الشرح: «ولكن منكم قوم لا يؤمنون»، أي لا يؤمنون أن الجسد إلهي هو، روح في مادة، ملء اللاهوت في جسد ملموس ومنظور، لا يؤمنون أن الكلام يختص بالحياة الأبدية الذي أدركه بطرس الرسول حينما عرضه الرب على بقية التلاميذ: «أعلمكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا، فأجابه سمعان بطرس يا رب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك.» (يو: ٦٧ و٦٨)

كذلك يلزم أن نقف طويلاً أمام قول الرب على لسان بولس الرسول في رسالة كورنثوس كما في بقية الأناجيل:

«هذا هو جسدي»:

إنجيل متى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	الرسالة الأولى لأهل كورنثوس
(٢٦: ٢٦)	(٢٢: ١٤)	(١٩: ٢٢)	(٢٤: ١١)
τοῦτό ἐστιν	τοῦτό ἐστιν	τοῦτό ἐστιν	τοῦτό μου ἐστιν
هذا هو	هذا هو	هذا هو	هذا هو
τὸ σῶμά μου	τὸ σῶμά μου	τὸ σῶμά μου	τὸ σῶμα
جسدي	جسدي	جسدي	جسدي
τὸ ὑπὲρ ὑμῶν	τὸ ὑπὲρ ὑμῶν	τὸ ὑπὲρ ὑμῶν	τὸ ὑπὲρ ὑμῶν
	لأجلكم	لأجلكم	لأجلكم
	διδόμενον	διδόμενον	(المكسور) مضافة في
	المبدول	المبدول	الترجمة العربية.

فالمعنى يزداد حينما نرجع للنص اليوناني الذي يضع فعل الكينونة الغائب إلزاماً. وهو في الترجمة العربية هكذا:

«هذا هو جسدي»: τὸ σῶμα «ἐστιν» μου

وحرفياً: «جسدي هذا هو "الكائن" أمامكم»، وهو يشير إلى الخبز المكسور. وهذا يعني أي التباس في أن يكون الخبز المكسور أمامهم هو مجرد رمز أو شبه للجسد، بل هو هو نفس الجسد،

جسد ابن الله الوحيد بذاته وكيانه، على أساس أن الخبز المادي المكسور المنظور أمامهم والملموس هو أيضاً بيمينه «خبز الحق» النازل من السماء والذي سيصعد كما هو. بمعنى أن المسيح استودع في الخبز والخمر قوة وفعل الجسد السري الإلهي، «ملء اللاهوت» جسدياً.

هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي:

إنجيل متى	إنجيل مرقس	إنجيل لوقا	الرسالة الأولى لأهل كورنثوس
(٢٨: ٢٦)	(٢٤: ١٤)	(٢٠: ٢٢)	(٢٥: ١١)
τοῦτο γὰρ ἐστὶν	τοῦτό ἐστιν	τοῦτο τὸ	τοῦτο τὸ
هذا هو	هذا هو	هذه هي	هذه
τὸ αἶμά μου	τὸ αἶμά μου	ποτήριον	ποτήριον
دمي	دمي	الكأس	الكأس
τῆς καινῆς	τῆς καινῆς	ἡ καινῆ	ἡ καινῆ
διαθήκης	διαθήκης	διαθήκη	διαθήκη ἐστὶν
الذي للعهد الجديد	الذي للعهد الجديد	العهد الجديد	هي العهد الجديد
ἐν τῷ αἵματί μου	ἐν τῷ αἵματί μου	ἐν τῷ αἵματί μου	ἐν τῷ αἵματί μου
بدمي	بدمي	بدمي	بدمي
τὸ περὶ πολλῶν	τὸ ἐκχυννόμενον	τὸ ὑπὲρ ὅμων	τὸ ὑπὲρ ὅμων
ἐκχυννόμενον	ὕπερ πολλῶν	ἐκχυννόμενον	ἐκχυννόμενον
الذي يُسفك من	الذي يسفك من	الذي عنكم	الذي عنكم
أجل كثيرين	أجل كثيرين	يسفك	يسفك
εἰς ἁφεςιν			
ἁμαρτιῶν			
لمغفرة الخطايا			

بولس الرسول ينقلنا هنا من الجسد إلى الدم. والفرق في رواية الثلاثة الأناجيل ورسالة بولس الرسول ينحصر في حذف «يُسفكُ عنكم». ولكن يلزم أن ننتبه إلى المضمون السري في ترتيب تقديم الجسد والدم:

أولاً: ذكر كلمة «دم» بحد ذاتها تفيد مباشرة أن هنا عملية «سفك» حتمية، فيها خرج

الدم خارج الجسد — بماعل الذبح — وصار الدم عاملاً قائماً بذاته بجوار الجسد.

ثانياً: ذكر «الدم في كأس» يعطي في الحال مفهوم «الشرب». فهنا الدم المسفوك صار في وضع إفخارستي قابل للشرب. هنا انتقال من واقع فعلي غير منظور مستقبلي وهو ذبح يفضي إلى سفك دم، إلى واقع حاضِر منظور سري وهو خمر في كأس.

ثالثاً: ذكر «الدم في الكأس "كههد" جديد» يعطي في الحال مفهوم صلة سرّية عظمى بين الله والإنسان تقوم على سفك دم المسيح الذي سيحدث في المستقبل، منقولاً إلى واقع وحاضر سرّي في صورة خمر في كأس وهو في حقيقته السريّة دم المسيح، ليصير «العهد» الجديد بين الله والإنسان قائماً على مستويين:

مستوى واقعي مأساوي، سيتم فيه ذبح المسيح وسفك دمه فيصير دمه قائماً لعهد جديد بين الله والإنسان في السماء،

ومستوى واقعي سرّي، فيه يشرب الإنسان كأساً من يد المسيح فيها خمر قد صيّره المسيح دماً له بسرّ الخلق^(١)، لكي ينال الإنسان دم المسيح بالسر الروحي مما كان يعسر ويستحيل أن يناله بالواقع المادي الحسي.

وبتحويل المسيح الخمر الممزوج في الكأس بكلمة واحدة خالقة إلى دمه المسفوك بصورة غير حسيّة جعل قوة الخمر المتحوّل إلى دم في الكأس على مستوى قوة الدم المسفوك على الصليب سواء بسواء. المسيح رَبط بهذه المقولة «هذا هو دمي المسفوك» بين الواقع السري والواقع التاريخي بلا أي فارق أو خلاف. وبهذا صار الدم الذي نشر به مجدداً على المذبح الأرضي هو هو بعينه الدم الذي دخل به المسيح إلى الأقداس العليا على المذبح الناطق السمائي، فأوجد لنا الفداء الأبدي. أي أننا نشرب من كأس الإفخارستيا فداها مجدداً، ثم على الأرض ولا يزال قائماً في السماء.

رابعاً: فصل تقديم الجسد زمنياً عن تقديم الدم فصلاً بيّناً واضحاً على مستوى التوقيع الإفخارستي الزمني، حينما قدم المسيح جسده مكسوراً في بدء العشاء ثم هناك بعد العشاء قدم دمه المسفوك في كأس، هذا الفاصل الزمني بحد ذاته يعلن في الحال عن مأساة مروّعة ستفصل الدم عن الجسد فصلاً، وذلك تعبيراً عن عنف التعذيب الذي سيتم على الصليب الذي ينتهي حتماً بعد نزاع ونزيف بالموت.

(١) وهنا يليق أن نُحيل القارئ إلى عرس قانا الجليل في إنجيل القديس يوحنا وكيف تحوّل الماء خمرًا بكسة.

خاصة: أكلنا كلنا من الجسد، ثم بعد ذلك شربنا كلنا من الدم يحقق فينا — أي يجعلنا نشترك معاً في — هذا الفصل المأساوي العنيف بين الجسد والدم الذي حدث على الصليب، أي نصير شركاء صليبه.

وكاننا نشترك تاريخياً وعملياً بأن واحد في عملية التعذيب حينما نأكل الجسد مكسوراً ثم بعد ذلك نشترك أخيراً بشرب الدم من الكأس فنشترك في الموت!!

لذلك فإن من أعمق التعبيرات ذات الدلالة الموضوعية للإفخارستيا هي تسميته بـ «سر الشركة» $\koinwvia = \text{Communion}$ (١ كو ١٠: ١٦). ففي الإفخارستيا نتم الشركة فعلاً وعلى مستوى حقيقي سرّي في المسيح، في آلامه وموته. فنحن نأكل ونشرب الحدث الذبحي الألي في عمقه الإلهي وهدفه الفدائي.

فموت الرب الذي مات، يعطينا إياه سرّاً في جسده المكسور ودمه المسكوك، أي على مستوى الحقيقة والواقع بالكر وبالسك. نحن لا نأول «خبراً» بل «جسداً مكسوراً» فيه كل أوجاع وآلام وتعذيب الصليب، ولا نتناول «خبراً» بل «دماً مسفوكاً» به قوة الموت الفائق على الموت!

والموت الذي مات به الرب والذي غلب به الموت والخطية والهاوية وضعف الجسد هو «موت الغلبة». ليس هو موت إنسان بل موت ابن الله الذي قيّد به من كان له سلطان الموت أي إبليس، هو موت البأس والقوة، موت ابن الله الذي نصّح به الرئاسات المعادية وسلاطين الشر إذ أشهرهم جهاراً:

+ «إذ جرّد الرئاسات والسلطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (أي في الصليب)». «
(كو ٢: ١٥)

نفهم من هذا أن كل أعمال الشر وكل ما يحرض على الخطية والإثم والتعدي سواء من داخلنا أو خارجنا أصبح محكوماً عليه ومفضوحاً ومنهزماً بقوة موت الرب على الصليب: «هذا هو دمي ... لخفرة الخطايا» (مت ٢٦: ٢٨). الرب يسلمنا قوة احتماله لآلام التعذيب حينما يعطينا جسده «مكسوراً»، بل ويعطينا قدرة أن نؤلم الجسد بإرادتنا لنحظى بالنصرة على الخطية على مثال ما تألم به هو بإرادته ليُبطل الخطية:

+ «فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد، تسلّحوا أنتم أيضاً بهذه النية، فإنّ من تألم في الجسد كُفّت عن الخطية، لكي لا يعيش أيضاً الزمان الباقي في الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله». «(بط ٤: ١ و٢١)

كذلك فإن الرب حينما يعطينا دمه مسفوكاً، يسلمنا قوة موته التي فيها أبطل الخطية والموت معاً. فقوة موته قوة فائقة على الطبيعة الجسدية بكل ضعفاتها تخضع تحتها كل أعمال الجسد وحركاته. فالشركة في موت الرب هي غلبة ونصرة فوق كل حطية مهما ملكت وكل ضعف جسدي مهما كان:

+ «أين شوكتك ياموت أين غلبتلك يا هاوية، أما شوكة الموت فهي الخطية.»
(١كو١٥: ٥٥ و٥٦)

هذا هو موت الرب الكائن في دمه المسفوك الذي نثاله بالإيمان بالسر ليكون أساساً لجهادنا ضد الخطية بل ولإبطال سلطتها في الجسد: «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض» (كو٣: ٥)، «إذا لا تملكن الخطية في جسدكم المائت.» (رو٦: ١٢)

بولس الرسول يركز على قيمة هذا الموت الفائق على الطبيعة الذي ماته الرب كمحور أساسي، وكحصيله نهائية من مفهوم أكل الجسد وشرب الدم هكذا:

«فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء.»
(١كو١١: ٢٦). ومن ذا الذي يُبشِّر بالموت إلا الذي ناله؟

بولس الرسول هنا لا يذكر القيامة على فم المسيح لأنه لا يزال مستغرقاً في مفهوم كسر الجسد وسفك الدم الذي يقف عند حد الموت^(٢)! فقوة الإفخارستيا متركزة أصلاً في قوة الموت الفائق الذي يسلمه المسيح لنا كقوة سرية لتغلب بها الجسد والخطية والعالم، ولكن في تكميل الموت تكون القيامة حتماً. ولكن يلزم أولاً أن نموت معه لكي نقوم أيضاً معه!! فإذا لم نمُت، فكيف نقوم؟ فإن مُتتاً حقاً معه، فنحن حتماً قائمون. وبقدر ما نموت، بقدر ما نمارس حياة القيامة: «لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته.» (رو٦: ٥)

الإفخارستيا ذبيحة بعد ذاتها:

حينما سجل القديس بولس الرسول عن الرب القول بعد تكريس الخبز جسداً والخمر دماً أن يجبروا بموت الرب إلى أن يجيء، ظهرت الإفخارستيا باعتبارها شهادة عملية لذيبة الرب.

كذلك حينما قال الرب: «اصنعوا هذا لذكري»، ظهرت الإفخارستيا وكأنها فعل تذكاري

(٢) بعد أصامت كسبية في ليتورجيتها «القيامة» «نُشْرون عوني ومعمرون بعامتي». وأول من أصابه هو هيبوبس: «تذكرون الموت والقيامة» = (memoria igitur mortis et resurrectionis) عن:

Hipp Church Ord IV 11, cited by C.K. Barrett, op cit, p. 271

لذبيحة الرب، ولكنها في الحقيقة هي استحضار لذبيحة الرب نفسها على المستوى السري لتمتد كما في الواقع الإلهي كذلك تمتد لتغطي الزمن، لأنها بالأصل ذبيحة فائقة للطبيعة، إلهية في واقعها الروحي، لا تخضع للزمن ولا تنحصر في الماضي ليحجزها التاريخ عن واقعها الدائم، فالتذكّار هنا هو استمرار للفعل الفصحى على المستوى الإفخارستي الكنسي، هو استحضارها من الديمومة الروحية الإلهية إلى الامتداد الزمني كشهادة لحقيقة قائمة.

والدليل القاطع على أن الإفخارستيا هي ذبيحة حية فصحية دائمة وممتدة على مدى الزمن، هو قول الرب على العشاء وهو يقدم لهم دمه الإفخارستي في الكأس: «**هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي**» (لو ٢٢: ٢٠). فالكأس الإفخارستي بما يحوي من دم الابن الحقيقي المهرق هو هو العهد الجديد القائم الدائم بين الله وبيننا، لا فرق ولا اهتزاز بين دم كأس الإفخارستيا ودم الصليب!! الزمن هنا مُلغى في مواجهة اللازمي!! والشكل هنا متجاوز بالعن الروحية، بالإيمان. فساعة الإفخارستيا هي بعينها ساعة عشاء الخميس، وهي هي الساعة السادسة من الجمعة العظيمة.

فالرب لم يقل: «**هذه الكأس هي تذكّار للعهد الجديد بالدم المسفوك على الصليب**»، بل «**هذه الكأس، هي العهد الجديد بدمي**» (١ كو ١١: ٢٥). هذا معناه أن دم المسيح في كأس الإفخارستيا يصير في أحشائنا ختم العهد الجديد. هنا دم الكأس هو دم ذبيحة حقيقية حية مقدمة على مذبح الله، يسفك الطّقس سرّاً في ظلّ المسامير، ونحن هنا لا نأتي جديداً في تأملاتنا، فالتّقيس لوقا يسجّل هذا المعنى من فم الرب: «**هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يُسْفَك (صحتّها المسفوك ἐκχυννόμενον) عنكم (وصحتها لأجلكم).**» (لو ٢٢: ٢٠)

فالدم الإلهي في كأس الإفخارستيا دم مُهْرَق، دم ذبيحة حية سُفِكَ سرّاً في الكأس بالكلمة والتّقيس، والمسيح يقدمه مسفوكاً!! كحالة واقعة فائقة على الزمن!

القديس لوقا لا يقول على فم المسيح «الدم الذي سُفِكَ غداً على الصليب» بل قالها كواقع حاضرة. فالرب استحضر دمه الذي تَخَصَّب به يوم الجمعة في كأس!! ويزيد المسيح في الإيمان لتحقيق سفك الدم الذي وقع يوم الجمعة ليكون هو الواقع في الكأس يوم الخميس، بأن أعطى للسفك الذي سيتم يوم الجمعة سببه في الحاضر، وهو جالس بين تلاميذه يوم الخميس، وغايته أيضاً في الواقع المنظور «**لأجلكم**». فالتلاميذ أكلوا وشربوا يوم الخميس كل وقائع يوم الجمعة بكل نتائجها!!

أما قول المسيح «لأجلكم» وهو يشير إلى الكأس والدم مسفوك فيه، ثم إلى التلاميذ الذين سَفَكَ الدم من أجلهم، فهو يعطي بهذا للإفخارستيا المحلية الإحساس بأنها، ولو أنها ذبيحة خاصة بالمتناولين منها، إلا أن لها كل خصصات وطبيعة ذبيحة الصليب العامة، وكأن كل إفخارستيا تقدمها الكنيسة هي بعينها ذبيحة المسيح المذبوحة حالاً في وقتها على يد خدامها، كهنة وشمامسة — بل وعلى وجه الصحة اللاهوتية — على يد المسيح نفسه والكاهن خادم للسر وعلى قدر المتناولين منها تماماً كخروف الفصح الذي تذبحه كل عائلة — خروفاً على قدر عددها — لتأكله كله ولا يُبقي منه شيئاً، يأكلونه وقوفاً وعلى عجلة: «لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبِحَ لأجلنا.» (١ كور: ٧)

دم المسيح دم فصح متواصل، خروج مستمر، سيان منذ أن دمه الرب في الكأس ليشربوا منه أو منذ أن خرج من عروق المسيح ليجري وإلى الأبد، يضخه القلب بالإيمان في شرايين مفديه، ليشربوا منه بخمر الحياة الحقيقية، التي لا تؤول إلى موت بل إلى شهادة وذكُر دائمين.

آه يا سيد! أعطنا هذا الكأس على الدوام حتى نقوم من رقاد الموت لنحيا بحياتك، لننسى أنفسنا والعالم، ولا نعود نذكر سواك.

متى ينفتح لنا باب سرِّك، وتتكشف لأعيننا قوة الروح في كأسك، ممسكه بكلتا يدينا، بل نحتضنه بكل قوتنا ونظل نشرب دم فصحنا وقوفاً وعلى عجلة، حتى نخرج خروجنا العتيد، ونخرج من بطوننا أنهار الحياة.

من هنا جاء التذكار: «اصنعوا هذا لذكري» — أنه تذكار فصحي لا يتم إلا بالذبح، بمعنى تقديم ذبيحة الإفخارستيا بكل معانيها وفعلها وأهدافها متواتراً كعيد فصحي تقيمه كل كنيسة، لا للذكرى الفكرية، بل ذكر حياة بل وثبتيًا لبقاء موت الرب الفصحي حقيقة وفعلًا واقعاً على امتداد الزمن، وذلك لأن موت الرب على الصليب كان عملاً فائقاً على الطبيعة قائماً دائماً يفوق التاريخ ويتعدى الزمن كفعل إلهي، كالسبح: «ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ٢٠). وهنا يمكن أن نفهم من وصية الرب: «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء»، أن الإفخارستيا هي ذبيحة موت الرب على الصليب، بعينها، مُتَدَّةٌ وَقَعَّاشَةٌ وَقَالَةٌ، فيها يقدم المسيح ذاته على المذبح حاملاً خطيتنا في جسده المكسور وغاسلاً خطايانا بدمه المسفوك في الكأس، يقدمها متواتراً، إلى أن يجيء، وحينئذ لما يجيء سيحيى بلا خطية!

+ «هكذا المسيح أيضاً بعد ما قدَّم مرةً لكي يحمل خطايا كثيرين، سيظهر ثانية بلا

هذا هو التذكار الذبائحي المتواصل، فهو يعينه هذا الانتظار الحي!

ويلاحظ هنا في هذا التوجيه الإفخارستي بأن يظل التذكار بذبحة الإفخارستيا قائماً مع الإخبار بموت الرب إلى أن يجيء، أنه مرادف لنص نهاية الاحتمال بالإفخارستيا في الديدائي حينما يصرخ الجميع: «ماران أثا» أي «تعال أيها الرب»، وكان المحتفلين بالإفخارستيا يقولون: لتكن هذه الذبحة التذكارية هي الأخيرة وقد انتهت الخطية، فتعال يا رب!

سر الإفخارستيا يعمل هيئة الصليب وقداصة جسد الكلمة وكرامة دم ابن الله:

(أ) «إِذَا أَيُّ مَنْ أَكَلَ هَذَا الْخُبْزَ أَوْ شَرَبَ كَأْسَ الرَّبِّ بِدُونِ اسْتِحْقَاقٍ،

(ب) يكون مجرمًا في «جسد» الرب «ودمه»،

(ج) ولكن ليمتنح الإنسان نفسه،

وهكذا يأكل من «الخبز» ويشرب من «الكأس»،

لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق،

(د) يأكل ويشرب دينونة لنفسه،

(هـ) غير مميّز جسد الرب.

من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى، وكثيرون يرقدون،

(و) لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا،

(ز) لما حُكِمَ علينا. » (١ كو ١١: ٢٧-٣١)

لم يكتب أي كاتب في كل أسفار العهد الجديد، ولا القديس بولس في كل رسائله، تعبيرات تنزلزل أمامها النفس البشرية في مواجهتها لسر المسيح في الإفخارستيا باعتبارها ذبيحته المقدسة، فتشبع أمامها الروح وتنحني — بمثل هذه التعبيرات! وكأننا أمام الصليب مرة أخرى وفي مواجهة الجسد المذبوب على الصليب والدم المسوك يجري منه مدراراً. لقد صبّ بولس كل مشاعر التجلّة والرهبة والوقار على سر الإفخارستيا عملاً بالجسد الإلهي قداسة المسيح، والدم الإلهي كرامة ابن الله. وقرن يريد أن يتقدم فليقدم!

أ — بدون استحقاق: ἀνεξαρτήτως

الاستحقاق هو ما يهيئ الإنسان لقبول عطايا الله لأن كلمة «باستحقاق» ἀξίως في

معناها الأصلي تفيد «التوازن» بين ذراعي الميزان أو تعادل الكفتين للميزان (*). فالاستحقاق يكون بحصول الإنسان على ما يوارى العطفية، والعكس صحيح كقول الابن الفضال: «لست مستحقاً بعد οὐκ ἔτι εἰμι δέξιος أن أدعى لك ابناً» (لوقا: ١٥: ١٩)، وكقول يوحنا المعمدان: «لست بمستحق οὐκ εἰμι δέξιος أن أحلّ سيور حذائه.» (يو: ١: ٢٧)

ويعطي العهد الجديد انطباعاً بأن أول استحقاق يمكن أن يحوزه الإنسان يكون بقبوله «الإنجيل»، فإذا قَبِلَ الإنجيل صار مستحقاً لعطايا الله فيه: «وأية مدينة أو قرية دخلتموها، فافحصوا مَنْ فيها مستحق δέξιος وأقيموا هناك حتى تخرجوا. وحين تدخلون البيت سلّموا عليه. فإن كان البيت مستحقاً فليأتِ سلامكم عليه، ولكن إن لم يكن مستحقاً فليرجع إليكم.» (مت: ١٠: ١١-١٣)

فإذا رفض الإنسان «الإنجيل» أي «كلمة الحياة»، يكون قد حكم على نفسه أنه «غير مستحق» للحياة الأبدية:

+ «كان يجب أن تُكَلِّمُوا أَنْتُمْ أولاً بكلمة الله، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم.» (أع: ١٣: ٤٦)

ويوضح بولس الرسول صلة «قبول الإنجيل» بـ «الاستحقاق» بصورة واضحة في رسالته إلى فيليبي:

+ «فقط عيشوا كما يحق لإنجيل المسيح (أو كما يستحق الإنجيل من الحياة)، δέξιος τοῦ εὐαγγελίου τοῦ Χριστοῦ حتى إذا جئت ورأيتم أو كنت غائباً أسمع أموركم أنكم تثبتون في روح واحد، مجاهدين معاً بنفس واحدة لإيمان الإنجيل.» (في: ١: ٢٧)

كذلك يعبر بولس الرسول عن قبول الإنجيل بقبول الدعوة هكذا: «فاطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق للدعوة δέξιος τῆς κλήσεως التي دُعِيتُمْ بها.» (أف: ٤: ١)

هنا لو يأذن لنا بولس الرسول لنستمد من سفر الرؤيا معنى شاملاً للاستحقاق مصيره أن يستعلن في السماء، نقول:

+ «عندك أسماء قليلة في سارْدِس لم ينجسوا ثيابهم، فيمشون معي في ثياب بيض لأنهم مستحقون.» (رؤ: ٣: ٤)

(*) وواضح أن من مشتقاتها كلمة «الأكس» بالعربية، وهما الدرعاان اللذان يحملان حين متساويين أو يرتكر تحتها مجلنان، وهي باليونانية δέσων.

والمعنى هنا مستتر، فالذين لم ينجسوا ثيابهم هم الذين احتفظوا بثوب المعمودية الجديد: «لأن كلكم الذين اعتمدتم في المسيح، قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧). والثياب الناصية هي ثياب الملكوت، بمعنى الطبيعة البشرية التي استمدت من مجد المسيح مجداً ومن بهاء المسيح بهاءً. هنا الاستحقاق هو من واقع المحافظة على التطهير والتقديس الذي ناله الإنسان في المعمودية ليمسحه في إنجيل المسيح.

وبهذا الوضوح في فهم كلمة «مستحق» وهي هكذا مستمدة دائماً من قبول الإنجيل والحياة بمقتضاها، يكون «الاستحقاق» في أكل وشرب جسد الرب ودمه قائماً على أساس «قبول الإنجيل» على مستوى الحياة، فيكون لضمير الإنسان شهادة داخلية بذلك، لذلك يأتي بعد هذا القول ليمتنح الإنسان نفسه!!

ب — يكون مجرمًا في جسد الرب ودمه:

كلمة «مجرم» ἐνοχος تعبر شرعي قضائي، فهي تحمل إتهاماً يفضي إلى القتل، كتمدّ موجب جسد الرب ودمه!

والكلمة أصلها العبري hyab (٣) (خيّاب). والمعنى هنا يتسحب على الذين صلبوا الرب يسوع وأشهروا جسده على الصليب وازدروا بدمه لِيُهْرَقَ على الأرض. لأنه يلزم لنا جداً أن نفهم ونحس أن الإفخارستيا ذبيحة تُقدَّم في ظل الصليب وعلى مرمى من الصالين والمستهزئين، ليفشاها الاحساس بالمهانة التي من عمقها انكسر الجسد وسُفِكَ الدم، فالجو مشحون بعواطف الصليب ولكن على حلفية الرجاء بالقيامة والفرح القادم، على وزن: «... يسوع الذي من أجل السرور الموضوع أمامه احتمل الصليب» (عب ١٢: ٢). فذبيحة الإفخارستيا تبتدىء مشهد الصليب، برنة الحزن وعواطف الانسحاق، تستمر حتى تناول حيث يستعلن المسيح قائماً. حينئذ يبدأ التسبيح بالشكر في ملء بهجة القيامة. الإنسان في الإفخارستيا ليس له أن يخلط بين تهليل القيامة وأحزان الصليب؛ يلزم أن نستوفي أحزان الصليب بوقار حتى نبليج فرح القيامة.

فالإجرام والجنابة هنا تكون بالاستهانة بجلال الحدث وقداسة الجسد وكرامة الدم! سواء من داخل القلب بالاردراء، أو بالسلوك الخارجي بالاستهتار والانحلال، بمعنى أن الذي يتقرب إلى الجسد والدم وهو على غير مستوى الإنجيل القائم على قداسة الجسد وكرامة الدم، إيماناً وتصديقاً بكلمة الإنجيل، وهيبةً ووقاراً ومجداً وإكراماً للصليب والموت المقدس، وطهارة بشهادة الضمير، يكون قد تساوى مع الذين استهزأوا بصليبه!

الكنيسة تحيا هذا الجو الرهيب وتدخل المؤمنين فيه لحظة أن يرفع الكاهن القربان على رأسه منادياً في بدء رفع القربان: [مجداً وإكراماً، إكراماً ومجداً للثالوث الأقدس، الآب والابن والروح القدس ...].

وهنا أيضاً يلزمنا أن نفهم ونحس أن الإفخارستيا هي أيضاً وفي الحقيقة وليمة الملكوت، تخضرها كل الأجناد السماوية ملتفة حول الرب:

[فلنقف حسناً، لنقف بتقوى، نقف باتصال، نقف بسلام

نقف بخوف الله ورعدة وخشوع،

أيها الإكليروس وكل الشعب، بطلبة وشكر بهدوء وسكوت،

ارفعوا أعينكم إلى ناحية المشرق،

لتنظروا المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه،

والملائكة ورؤساء الملائكة قيام،

الساروفيم ذوو الستة الأجنحة والشاروبيم الممثلون أعياناً،

يسترون وجوههم من بهاء عظمة مجده غير المنظور ولا منطوق به،

يسبحون بصوت واحد صارخين قائلين:

قدوس قدوس قدوس رب الصباوث السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس].

هذا هو هتاف الشماس عند رفع الغطاء من فوق الجسد والدم (عن كتاب: «خدمة الشماس والألحان»، ١٩٨٨، ص ٨٢).

ثم لا يغيّب عن البال قول المسيح على العشاء التقديسي للسر وهو ممسك بالكأس: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي». فالإفخارستيا بحد ذاتها وثيقة وعقد للعهد الجديد — من داخل جسد مكسور ودم مسفوك لابن الوحيد — بين الله والإنسان. فهي بحد ذاتها تحمل هيبة عهد الله الجديد مع الإنسان.

وليك أيها القارئ العزيز صورة واقعية لقيام أول عهد الله مع الإنسان، حينما قطعه الله مع إبراهيم من وسط الذبيحة المقدّمة هكذا:

+ «فقال له خذ لي عجلة ثلاثية وعنزة ثلاثية وكبشاً ثلاثياً ويمامة وحمامة. فأخذ هذه كلها وشقها من الوسط وجعل شق كل واحد مقابل صاحبه ... ولما صارت الشمس إلى المغيب (ساعة الفصح وساعة العشاء الأخير وساعة انزال الجسد من على الصليب) وقع على

أبرام سُبَات وإذا رعبه مظلمة عظيمة واقعة عليه، فقال لأبرام اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ... ثم غابت الشمس فصارت العتمة وإذا تنور (فرن) دخان ومصباح نار يجوز بين تلك القطع، في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً...» (تك ١٥ : ٩-١٨)

ولا يغيب عن البال أن المسيح لم يقل: العهد الجديد بدمي الذي سُسِفَك على الصليب، بل «هذه الكأس» أي أن العهد الجديد قائم حاضراً الآن في هذه الكأس، كأس الإفخارستيا والدم فيها «مسفوك» جاهز، دم ابن الله، دم الصليب بعينه. كل هذا ليس على مستوى التاريخ والمادة واللمس والحنس، بل على مستوى الروح والواقع الإلهي السري غير المنظور والذي هو الحق عينه.

ج — ليمتحن الإنسان نفسه :

« ليمتحن » : δοκιμάεστε وتأتي بمعنى الامتحان أي محاكمة الضمير والتحقق منه أن يكون طاهراً.

هذا يوضحه بولس الرسول في رسالته الثانية لأهل كورنثوس أيضاً :

+ « جربوا أنفسكم هل أنتم في الإيمان، امتحنوا أنفسكم δοκιμάεστε ، أم لستم تعرفون أنفسكم أن يسوع المسيح هو فيكم إن لم تكونوا مرفوضين ؟ » (٢ كو ١٣ : ٥)

هنا واضح أن بولس الرسول لا يقصد أن يراجع الإنسان نفسه من جهة سلوكه الظاهري أو حالته الجسدية الظاهرية، بل يتجه مباشرة إلى وجود المسيح في القلب، فإن كان المسيح حالاً بالإيمان بالروح في القلب والفكر — وهذا يكون له شهادة داخلية في الضمير لا تخطئ : «لأن مَنْ من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه» (١ كو ٢ : ١١) — فهذا التقدم للجسد والدم للأكل والشرب يكون له واقع وشهادة ماثلة في الداخل. فالمسيح في الداخل يستقبل المسيح الذي في الخارج. الإيمان بالروح في الداخل يتعاقب مع العطية الإلهية القادمة من الخارج. أكل الكلمة بالروح سبق ليحتضن أكل جسد الكلمة بالفم.

د — يأكل ويشرب دينونة لنفسه :

دينونة : κρίμα

يلاحظ هنا أن الدينونة لا تقع من الخارج على الذي أجرم في قداسة الجسد وكرامة الدم — إذ هو أكل وشرب بدون استحقاق — بل تدخله الدينونة مع أخذه الجسد وشربه الدم !! هنا يأخذنا

الملع والرعدة، فهذا هو ما حدث بالحرف الواحد مع يهوذا الإسخريوطي الذي خنق نفسه: «فغمس (المسيح) اللقمة وأعطاه ليهوذا سمان الإسخريوطي. فبعد اللقمة دخله الشيطان ... فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً.» (يو ١٣: ٢٦-٣٠)

هذا الواقع الخطير يكشف لنا ما هو هذا الجسد المكسور، وما هو هذا الدم المسفوك!! الدينونة دخلت يهوذا بدخول لقمة الإفخارستيا من يد الرب!! فالاقتراب من الرب إما يقدّس وإما يصعق. هذه حقيقة ظهرت منذ فجر العلاقات مع الله، مثل قصة ابني هرون اللذين قَرَّبَا بخوراً أمام الله بدون استحقاق فماتا في الحال:

+ «وأخذ ابنا هرون ناداب وأبيهو، كلٌ منهما مجمرته وجعلاً فيهما ناراً ووضعاً عليها بخوراً وقرباً أمام الرب ناراً غريبة لم يأمرها بها. فخرجت نار من عند الرب وأكلتهما فماتا أمام الرب.» (لا ١٠: ٢١)

وكان تعليق الرب على هذا التعدي هكذا:

+ «فقال موسى لهرون هذا ما تكلم به الرب قائلاً: في القربين مني أتقدّس وأمام جميع الشعب أتمجد.» (لا ١٠: ٣)

وواضح من موت وَلَدَيَّ هرون ومن قول الرب أن الاقتراب من الرب يقَدّس إن كان بالحق وبحسب الترتيب والاستحقاق، وإلّا فعموض التقديس سَخَقٌ وصَفَقٌ. كذلك أيضاً لنا في قصة رجوع تابوت بعد أسره عظة:

+ «وداود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب (رقص ديني توقيعي) بكل أنواع الآلات ... ولما انتهوا إلى بيدر ناخون، مدَّ غُرَّةُ يده إلى تابوت الله وأمسكه لأن الثيران انشمصت. فحمي غضب الرب على غُرَّةٍ وضربه الله هناك لأجل غَفْلِهِ. فمات هناك لدى تابوت الله ... وخاف داود من الرب في ذلك اليوم وقال كيف يأتي إليّ تابوت الرب.» (٢ صم ٦: ٩-٥)

بهذا المعنى صار الاقتراب من الرب يحتاج إلى امتحان النفس وتفتيش الضمير، لأن الاقتراب منه بغير استحقاق هو الموت بعينه، وبنفس المعيار صار الاقتراب من مقدسات الرب كتقديم البخور بغير استحقاق وترتيب، أو الاقتراب من تابوت الله الذي يحمل قسط المن (الخبز من السماء) وعصا هرون (الكهنوت) وغطاء التابوت = الإيلاستيريون (الكهّنة) أو «الكفّارة»، حيث ينضح دم الذبائح للتكفير، وحيث يعلوه حضرة الله وقت الخدمة. هذا في عمله هو محتوى قدس

الأقداس! هذا تصوير مهيب لمعنى الاقتراب من المقدسات في العهد القديم مع أنها كانت كلها مادية رمزية!!

ثم عودة مرة أخرى إلى أكل الجسد وشرب الدم بدون استحقاق كيف ينشئ دينونة أي قضاء ومحكمة لا يتبرأ منها الإنسان، لأن الذي أخطأ الإنسان في حقه هو الرب ممثلاً بالجسد والدم، اللذان هما في الأصل وبحد ذاتهما مصدر الغفران!!

هـ - غير مميز جسد الرب:

«مميز»: διακρίνω ، وباللاتينية discernere . والجملة تعني لا يميز بين شيئين أو شخصين أو لم يفرق بينهما . هنا المعنى ينصب بقوة على عدم تفريق المتناول من الجسد والدم بين الواقع المادي المنظور أمامه خبز وخرمزوج في الكأس ، وبين واقع السر الإلهي غير المنظور، حيث الخبز هو في واقعه الإلهي السري جسد الرب، والمزيج في الكأس هو دمه الأقدس : المسيح بذاته !!

فلأنه لم يميز بين الخبز وحقيقة الجسد وبين الخمر وحقيقة الدم ، فإنه إذ يُهيأ له أنه يتناول خبزاً وخبزاً ويستتهن بما أكل وما شرب ، يكون في الحقيقة قد أكل مقدسات هي بعينها حضرة إلهية، ولكنها إذ لا تجد فيه فرصة للتقديس، توحد له فرصة للمحاكمة .

و- لأنه لو حكمنا على أنفسنا:

«حكمنا»: διακρίνομεν هي نفس الكلمة التي تُرجمت «مميزاً» ولكن في موقعها هنا تفيد الامتحان بالتدقيق الذي يعمل معنى الحكم والإدانة معاً . وذلك من جهة الاستحقاق للتقدم للجسد والدم ، حيث كما سبق وأوضحنا أن الاستحقاق يتوقف بالدرجة الأولى على الصلة بالمسيح ، الصلة الداخلية بالتصالح معه من جهة الضمير، ووجوده الفعّال في الداخل بشهادة الحياة اليومية ، وبالصلاة .

ز- لما شُكِّم علينا:

هنا الحكم وقع بالأكل والشرب من الجسد والدم بدون استحقاق وحسب، أي لا ينصب المعنى على الاستهانة أو الحيانة، لذلك أنشأ فقط حسب الآية (١ كو ١١: ٣٠) مجرد حالة ضعف ومرض، أو الموت المبجل قبل الميلاد . هذا الحكم لا يطبق بصورته التي جاءت في العهد القديم أو كما حدث على يهوذا، فهو لا يشمل القصاص الحرمانى من الله أو الهلاك الأبدي، لأن الدم المسفوك نفسه يقف حاجزاً مانعاً من الهلاك . فالخطية مهما تعاضمت، لا تستطيع أن تبتلع الدم الإلهي . ولكن هنا الحكم والدينونة ينصبان على جسد الإنسان لا على روحه، فيتعرض الجسد

للتأديب سواء بالضعف أو المرض أو حتى الموت لكي تخلص النفس في يوم الرب، كما حكم بولس الرسول على الذي زنى مع امرأة أبيه: «باسم ربنا يسوع المسيح، إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح، أن يسلم مثل هذا للشيطان هلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع.» (١ كور: ٥: ٥)

وهذا هو القرار الأخير الذي انتهى إليه بولس الرسول بالنسبة للذين استهانوا بالمقدسات ووقعوا تحت تأديبات الله:

+ «ولكن إذ قد حُكِمَ علينا، نُؤَدِّبُ من الرب، لكي لا نُذَان مع العالم.» (١ كور: ١١: ٣٢)

فالرجاء بالخلاص القائم لم يتوقف بسبب التأديب، إن بالمرض أو حتى بالموت المبجل.

وقفة قصيرة في نهاية الإفخارستيا:

إذا كانت الإفخارستيا هكذا ذات واقع إلهي سرِّي يُحَسَّبُ له ألف حساب، وإن كان المتقرب من الجسد والدم بغير استحقاق هكذا يجلب على نفسه عقوبة ومضرة، فكم بالحري يكون التقرب إليهما باستحقاق صلة الحب والتقوى والصلاة والخشوع لله؟ كم يجلب من «شيع سرور»، وملء الروح، ونعيم حياة، وثبوت إيمان، وشركة في الروح القدس، وتقديس سيرة لله الحي مكتوبة في السماويات!!

الفصل الرابع سِرُّ وضع اليد للرسامات

وضع اليد في العهد القديم:

أول ما نسمع عن وضع اليد، في العهد القديم، حينما أمر الرب موسى أن يضع يده على يشوع بناءً على طلب كريم من موسى لله، نَعْنُه الجميل كالآتي:

+ «فكَلَّم موسى الرب قائلاً لِيُوَكِّل الرب إِلَه أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة، يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويُخرجهم ويُدخلهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها. فقال الرب لموسى: خذ يشوع بن نون رجلاً فيه رُوحٌ، وَضَعْ يدك عليه وأوقِفْه قدام أيعازار الكاهن وقدام كل الجماعة وأُوصِيهِ أمام أعينهم، واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل ... ففعل موسى كما أمره الرب.» (عد٢٧: ١٥-٢٢)

ويعود سفر التثنية يعقُب على هذه الحادثة مؤكداً أن يشوع امتلأ من روح الحكمة بسبب وضع اليد: «ويشوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه، فسمع له بنو إسرائيل...» (تث ٣٤: ٩)

هنا يستلقت نظرنا الآتي:

١ — وضع يد موسى على يشوع كان لتسليم الرئاسة والرعاية على جماعة الرب.

٢ — أن يشوع اختير ليوضع عليه اليد على أساس أنه رجل فيه روح.

٣ — أن طقس وضع اليد للرئاسة كان أمام أيعازار الكاهن لأن يشوع صار في درجة أعلى من درجة الكاهن.

٤ — أن وضع اليد كان أمام كل الشعب، وأنه أمام أعين الشعب وأسماعهم تمت التوصية لنقل الرئاسة.

- ٥ - أن وضع اليد نقل من هبة موسى إلى يشوع ليصير مُهاباً وليستمع إليه الشعب.
- ٦ - أن وضع اليد كان بيد واحدة.

ولكننا لا نعثر في كل العهد القديم على «وضع يد» للشعاع، إلا أننا نعثر على وضع يد للبركة، بمعنى تسليم بركة الآباء للأبناء، وهذا ما صنعه يعقوب لابنَي يوسف في مصر، بصورة مؤثرة وبكلمات جميلة، إذ جعل ابني يوسف يرثان البركة التي ليعقوب ليُخَسَّبَا كابني يعقوب فيكون لهما أنصيب مع الأسباط الاثني عشر في تقسيم أرض كنعان. وقد تم هذا بالفعل:

+ «وقال يعقوب ليوسف: الله القادر على كل شيء ظهر لي في لور في أرض كنعان وباركني...، والآن ابنك المولودان لك في أرض مصر قبلما أتيت إليك إلى مصر هما لي...، فقال قدمهما إليّ...، فقرَّبهما إليّ فقبلتهما واحتضنهما... وسجد أمام وجهه إلى الأرض...، فمدَّ إسرائيل يمينه ووضعها على رأس أفرايم وهو الصغير ويساره على رأس منسى (وهو البكر)... ولكن أخاه الصغير يكون أكبر منه، ونسله يكون جهوراً من الأمم (نوة عن أفرايم). وباركهما في ذلك اليوم قائلاً، بَكَ يُبَارِكُ إسرائيل قائلاً: يجعلك الله كأفرايم وكمنشى، فتقدم أفرايم على منشى.» (تك ٤٨: ٣-٢٠)

ونلاحظ في وضع اليد للبركة هنا الآتي:

- ١ - يعقوب إسرائيل ينقل بركة الله له إلى ابني يوسف بوضع اليد اليمنى واليسرى.
- ٢ - ولكن «وضع اليد اليمنى» كان ذا دلالة على البركة الأكثر!
- ٣ - إسرائيل احتضن الولدين وقبلهما قبل أن يضع يديه.
- ٤ - إسرائيل سجد على الأرض قبل أن يضع يديه.
- ٥ - إسرائيل نطق بالبركة وسلّمها للنسل من بعده.

وضع اليد في العهد الجديد: ○ للبركة:

بدأ «وضع اليد» في العهد الجديد بالمسيح نفسه، حينما طُلب منه أن يضع يديه على الأولاد ليباركهم.

+ «حينئذٍ قدّم إليه أولادٌ لكسي يضع يديه عليهم ويصلي، فاتته بهم التلاميذ، أما يسوع فقال دَعُوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم، لأنّ لمثل هؤلاء ملكوت السموات. فوضع يديه عليهم ومضى من هناك.» (مت ١٩: ١٣-١٥)

+ «فاحتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم.» (مر ١٠: ١٦)

○ للشفاء^(١):

كذلك طُلب منه أن يضع يديه على المرضى لِيشْفُوا، وهناك أمثلة كثيرة على مدى الإنجيل:
+ «وعند غروب الشمس جميع الذين كان عندهم سقماء بأمراض مختلفة قدموهم إليه، فوضع يديه على كل واحد منهم وشفاهم.» (لوقا: ٤٠)

○ للإقامة من الموت:

كذلك بإيمان كبير تقدم إليه رئيس وطلب من المسيح أن يضع يده على ابنته لتحييا إذ كانت قد ماتت.
+ «إذا رئيس قد جاء فسجد له قائلاً: إن ابنتي الآن ماتت، لكن تعالَ وَضَعْ يَدَكَ عَلَيْهَا فتحييا ... وأمسك بيدها فقامت الصبية.» (مت ٩: ١٨ و ٢٥)
○ آية للمؤمنين:

ثم في نهاية الإنجيل نسمع أن الرب قبل صعوده أوصى تلاميذه أن يشْفُوا المرضى، على أن شفاء المرضى بعد ذلك تكون آية يصنعها المؤمنون أنفسهم:
+ «وقال لهم: اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها ... وهذه الآيات تتبع المؤمنين ... يضعون أيديهم على المرضى فيبرأون.» (مر ١٦: ١٥ و ١٧ و ١٨)
والأمثلة كثيرة على مدى الأسفار كلها.
وتفسير وضع اليد للإبراء من الأمراض المختلفة تشرحه قصة المرأة نازفة الدم حينما لمست أهداب ثوب المسيح فَشَفِيَتْ، فكان تعليل الرب المحسوس هو: «فقال يسوع قد لمسني واحد لأنني علمت أن قوة قد خرجت مني» (لوقا: ٨: ٤٦)، علماً بأن قوة المسيح على الشفاء لم تتوقف على وضع اليد بل إن مجرد كلمة منه ومن على بُعْد كانت كافية لتشفى ونُحْيِي (يو: ٤٣-٥٤).

○ لحلول الروح القدس:

في كل حالات العماد في زمن الرسل، كان وضع اليد بعد المعمودية هو واسطة لحلول الروح القدس:
+ «أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا، اللذين لما نزلا صلياً لأحلهم لكي يقبلوا الروح القدس ... حيثئذ وضعوا الأيدي عليهم فقبلوا الروح القدس.» (أع ٨: ١٤-١٧)

(١) وقد رشح هذا سري كنيسة مد أم برس، وشفي بعد ذلك «سر مسح المرضى»، وكان له ريت خاص مُصَنَّى عليه في مجمع لأساقفة يسمى «ريت العيلاون»، وبكى أهل هذا الشرط وصرت كنيسة نُحْرِيه داي ريت كان. وهذا خطأ بحسب التقليد، فعلى الأقل يتحتم أن يكون ريت ريتون.

○ إعطاء قوة إضافية للخدمة والإرسالية:

وهي حالات نادرة ولكن هامة للغاية، وتفيد ضرورة احترام موهبة الخدمة لتجديد القوة ومواهب الخدمة بالنسبة للمرسومين سابقاً بوضع اليد:

+ «وبينما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس: أفرزوا لي برنابا وشاول (مرسومين سابقاً) للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلّوا، ووصعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما، فهذان إذ أرسلا من الروح القدس ...» (أع ١٣: ٢-٤)

فهنا تكراراً لوضع اليد، ولكن ليس للرسماء، بل للعمل الذي دعاهم الروح القدس أن يعملوه بعد الرسماء وهو المبادرة بالسياحة للتبشير خارج مقر وجودهم، وهذا يُعتبر إرسالية فوق العادة بالنسبة للأسقف، وهي تحتاج بالفعل إلى قوة روحية إضافية من الروح القدس، بل وتحتاج أصلاً إلى دعوة صريحة من الروح القدس يمكن أن تُسمع تحت الأصوام والصلوات الكثيرة واستلهم مشورة الروح القدس: «وبينما هم يخدمون الرب ويصومون». وحتى بعد أن تلقوا صوت الروح القدس عادوا فصاموا وصلوا قبل وضع اليد. وهذا يوضح عظم شأن الإرسالية في الكنيسة وأنها تحتاج إلى وضع يد للحصول على موهبة $\chi\alpha\rho\iota\sigma\mu\alpha$ إضافية فوق مؤهلات الأسقف العادي. وهذا نسمعه بوضوح في وصية بولس الرسول إلى تيموثاوس إذ استودعه الله نعمة خاصة مع موهبة وضع اليد، بمقتضاها دعاه بولس الرسول ليقوم بالتبشير: «اعمل عمل المبشر». (٢ تي ٤: ٥)

وضع اليد للرسماء:

إن أول وأهم إجراء لطقس وضع اليد للرسماء في العهد الجديد، تم بواسطة الرسل مجتمعين لرسماء سبعة شمامسة، أي خدام $\delta\iota\alpha\kappa\omicron\upsilon\iota$ ، وإن كان الفرض الأساسي من وضع اليد قد انحصر في موضوع خدمة الاحتياجات المادية من مال وطعام وتوزيع، إلا أنه بمجرد أن تم وضع يد الرسولية ظهر انسكاب الروح القدس للكراسة والتعليم بصورة قوية وعالية ونشطة، باتجاه تحرري واضح من التقاليد الناموسية العتيقة، وباتجاه مباشر وبجرأة للمناداة بالإيمان بالمسيح بدون الالتزام بوصايا الناموس وطقوسه. وإن كان هذا الاتجاه يُغزى بنوع ما إلى أن السبعة الشمامسة كانوا من اليهود الذين في الشتات، أي اليهود الذين استوطنوا بلاد اليونان:

+ «وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين أن أراملهم كُنْ يُخَفَّلُ عنهم في الخدمة اليومية. فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا: لا يُرضي أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد، فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم وعملونين من

الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة، وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة. فحسن هذا القول أمام كل الجمهور فاختراروا إستفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس،

وفيلبس وبرخوروس ونيكانور وتيمون وبرميناس،
ونيقولاوس دخیلاً أنطاكياً (من أصل وثني).

الذين أقاموهم أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الأيادي. وكانت كلمة الله تنمو...»
(أع ٦: ١-٧)

وليستبه القارىء، فهنا مطابقة ذات أصالة وفهم وتدقيق مع ما حدث في إقامة يشوع في العهد القديم ووضع موسى اليد عليه، وهذا يُنبئ بأن هذا الطقس ظل محفوظاً في الوعي اليهودي بدقة. والمعروف أن جماعة الربيين كانوا يقيمون هذا الطقس منذ زمن بعيد قبل الميلاد، ووصلت بعض المخطوطات التي توضح بالأسماء أنه أُجْرِي على الكتبة عند إقامتهم بوضع اليد^(٢).

وإليك أيها القارىء العزيز مقارنة توضيحية:

وضع اليد في العهد الجديد

وضع اليد في العهد القديم

١ — «فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس وحكمة فنقيمهم على هذه الحاجة.»

٢ — «فاختراروا إستفانوس رجلاً مملوءاً من الإيمان والروح القدس...»

٣ — «الذين أقاموهم أمام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الأيادي، وكانت كلمة الله تنمو... وأما إستفانوس فإذ كان مملوءاً إيماناً وقوة كان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب.»

١ — «ليوثل الرب إله أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة يخرج أمامهم ويدخل... لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها.»

٢ — «فقال الرب لموسى خذ يشوع بن نون رجلاً فيه روح.»

٣ — «وضَع يدك عليه وأوقفه قدام ألعازر الكاهن وقدام كل الجماعة... واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل.»

2. Kittel, G., TDNT, vol. IX, p. 433.

أولاً: المطابقة هنا في شرط الرسامة الأول أن يكون بالانتخاب:

«ليوكل» الرب الإله (وصحتها ينتخب) «انتخبوا أيها الإخوة»

ἐπισκεψάσθε

ἐπισκεψάσθω

ثانياً: الرجل المنتخب يلزم أن يكون مشهوداً له:

في القديم كانت الشهادة من الله رأساً: في العهد الجديد أعطي الشعب وحده الانتخاب

«خذ يشوع بن نون رجل فيه روح وُضِعَ يدك مع بيان الشرط المُلزم: أن يكون رجلاً عليه». مملوءاً من الإيمان والروح القدس.

ثالثاً: وضع اليد يلزم أن يكون بحضور الكاهن الرئيس وأمام كل الشعب، في الحالتين في القديم والجديد، حيث في الجديد لزم حضور الرسل الاثني عشر.

رابعاً:

تخصيص وضع اليد في رسامة يشوع بن نون، لم تكن لممارسة الكهنوت بل الرئاسة على كل الشعب وقيادته. تخصيص وضع اليد على السبعة الشمامسة ولو أنه لم يكن للقيام بأعباء الرسولية بل كان على خدمة الموائد، إلا أنه امتد إلى الكرازة وإتيان المعجزات. فممكّن تقييد الاختصاص ولكن لا يمكن تقييد عمل الروح القدس.

بهذا يستخلص أن رسامة السبعة الشمامسة كانت بمثابة وضع أول نموذج لطقس الرسامة بوضع اليد في المسيحية، إقفاً على مستوى نفس شروط وغط الطقس القديم. والذي زاد في العهد الجديد هو انسكاب الروح الرسولية لخدمة البشارة بالإنجيل، في مقابل هيبة القيادة للجماعة في القديم.

اشترك الشعب في الاختيار:

واضح منذ البدء في العهد القديم أن الله أعطى لموسى الحرية أن يختار من الشعب من يراه صالحاً ليكون مساعداً له وتحل عليه روح التدبير التي نالها موسى (أنظر عد ١٦: ١١)، وذلك باعتبار أن الشعب يستطيع أن يختار ما يناسبه، وفي ذلك يقول القديس ذهبي الفم:

[تحديد العدد سبعة، ووضع اليد عليهم كان محفوظاً لهم (أي للرسل) ولكن اختيار الرجال أعطوه للشعب حتى لا يُعتبروا أنهم (أي الرسل) يتصرفون من عندهم، تماماً كما أن الرب سلم لموسى أن يختار من الشيوخ من يعرفهم (عد ١٦: ١١)].

[والشعب هو الذي قادهم لِمكان الرسامة وليس الرسل «الذين أقاموهم أمام الرسل»،

ولاحظوا أن لوقا يتحاشى كل الأمور الثانوية، فلا يذكر بأية طريقة تم هذا ولكن يذكر أنهم رُسموا — «وُضعت عليهم الأيدي» — χειροτονήθησαν. فاليد البشرية توضع على الإنسان ولكن العمل كله من الله، وإن يده هو هي التي تلمس رأس الذي يُرسم، إن كان يُرسم كما يجب. (٢)

العدد سبعة:

اعتبرت الكنيسة على مرّ الدهور أن اختيار الرسل القديسين العدد سبعة للشمامسة اللازمين للكنيسة أنه طقس إلهامي أخذت به الكنائس في كل العالم، وبالأخص روما^(١)، وظل معمولاً به إلى أزمنة كثيرة. ولكن للأسف اختل ليس العدد سبعة فقط بل كل الطقس الكنسي بالنسبة للشمامسة ورسامتهم وخدمتهم، حتى صار يُرسم شمامسة وهم أطفال.

الظروف التي أحاطت بالرسامات عند بولس الرسول:

عامل صوت الروح القدس أي صوت النبوة:

وهذا واضح في رسامة تيموثاوس:

+ «هذه الوصية، أيها الابن تيموثاوس، أستودعك إياها حسب النبوات التي سبقت عليك

لكي تحارب فيها المحاربة الحسنة.» (١ تي ١: ١٨)

+ «لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخة (القوسية)» (١ تي ٤: ١٤)

+ «أذكرك أن تُضَرِّمَ أيضاً موهبة الله τὸ χάρισμα τοῦ θεοῦ التي فيك بوضع يدي.» (١ تي ٤: ١٤)

+ «أذكرك أن تُضَرِّمَ أيضاً موهبة الله

(١ تي ٤: ١٤)

هنا اعتراف قوي وصريح أن وضع اليد سرٌّ من الأسرار الهامة جداً في الكنيسة:

١ — واضح هنا أن رسامة تيموثاوس تمت «بوضع يد بولس» مع أيدي القسوس

πρεσβυτέρου. وهنا يلزم التفريق بين وضع يد القوسية ووضع يد بولس، ولو أن

وضع اليد تم بالاثنتين معاً، أي بولس مع القسوس، على رأس تيموثاوس. والفرق توضحه

اللغة اليونانية:

3. NPNF, 1st ser., vol. XI, p. 90.

4. Ibid. p. 91.

(٥) - لُقَيْدِيس يوحنا ذهبي الفم يشرح كلمة «المشيخة» أو «القوسية» أنها تعني الأساقفة، لأنه من غير الصحيح أن يضع قسوس أيديهم على من يُرسم أسقفاً. ع: NPNF, 1st Series, Vol XIII, p. 449.

فوضع يد بولس جاء هكذا: «διδ» τῆς ἐπιθέσεως τῶν χειρῶν μου
 ووضع يد القسوس جاء هكذا:

«μετὰ» ἐπιθέσεως τῶν χειρῶν τοῦ πρεσβυτέρου

حيث معنى δίδ (= بواسطة) في وضع اليد تفيد الفعل المباشر الفعّال وهو الضروري والأساسي في الطقس. وحيث μετὰ (= مع) في وضع اليد تفيد المصاحبة أو التبعية، وهو ليس أساسياً ولكن إضافياً، لتثبيت والشهادة في انتقال القوة التكريسية.

٢ — أن الرسامة سبقتها نوة جاءت من أحد الذين لهم موهبة النبوة.

٣ — أن مضمون النبوة هو أن تيموثاوس مستحق أن يقام «أسقفاً»، لذلك اشترك القسوس (ربما الصحيح أساقفة) مع بولس الرسول في وضع اليد. وهنا نجد شرط الرسامة الذي وضعه الله في العهد القديم في رسامة يشوع بن نون بأن يكون وضع اليد أمام أيعارر الكاهن، يتم هنا عملياً بأن صار أمام وبحضور وبوضع يد القسوس (الأساقفة).

٤ — اقتران «الموهبة»، «بوضع اليد»: «الموهبة التي فيك ... مع "وضع أيدي" القسوس»، يفيد بأنه بوضع اليد ينال المرسوم موهبة خاصة للقيام بالخدمة تنحصر في القوة الروحية المتكلمة والعاملة بالوعظ والتفسير وعمل الأشفية والمعجزات. أما «وضع اليد» كمعطية من الله فهي ثابتة لا تزيد ولا تنقص، ولكن الموهبة المضافة هي لعمل الخدمة، فهي إذا أهملت نقصت وتوقفت وصار الأسقف مجرد مدبّر على مستوى الحاجة للعمل أي مُنظّر، ولكن الأسقف في وضعه الصحيح «ناظر»، ناظر من فوق = ἐπίσκοπος^(١) وهي وظيفة الله (أنظر ١ بط ٢: ٢٥) للحراسة والرعاية والرؤية الشاملة لحاجة الرعية، بمعنى موهبة روحية فائقة للطبيعة. لأن الرعية، وهي تحيا حياة مسيحية فائقة للطبيعة، تحتاج إلى ما هو أكثر من الخدمة الجسدية.

لذلك يحاصر بولس الرسول ابنه تيموثاوس من جهة هذه الموهبة لخطورة عملها.

أولاً: لا تهمل الموهبة التي فيك (١ تي ٤: ١٤)؛

ثانياً: اضرم موهبة الله التي فيك (٢ تي ١: ٦).

أما الإهمال فيأتي من تراحم الأعمال والاهتمامات المادية والطقسية وفتور الروح.

أما الإضرار فيأتي بالصلاة — قبل كل شيء — ثم القراءة والتعليم.

وقد أوضحها القديس بولس في توصياته لتيموثاوس هكذا:

- + «... لكي يكون تقدّمك ظاهراً في كل شيء. لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك، لأنك إذا فعلت هذا تخلّص نفسك والذين يسمعونك أيضاً.» (١ تي ٤: ١٥ و١٦)
- + «اعكف على القراءة والوعظ والتعليم.» (١ تي ٤: ١٣)

ونلّمح من الرسامة بوضع اليد للأسقف في الكنيسة الأولى، أنها أخذت طابعاً يفوق طابعها الأول في العهد القديم في رسامة يشوع بن نون، لأن هذا أقيم ليكون مدبراً للجماعة فقط، غير مسئول عن أية ممارسات دينية وإن كان مسئولاً عن تهيئة عملها وضمان تكميلها. ولكن في العهد الجديد جمع الأسقف في المصور الأول التدبير للجماعة «مع» الخدمة الدينية. لذلك نسمع بوضوح عن الموهبة χάρισμα بجوار وضع اليد، حيث ينصبّ معنى الموهبة على الامتلاء بالروح لتقيادة الروحية، بجوار وضع اليد للتدبير οἰκονομία ومعناها إدارة شئون البيت وهي من أهم خصائص الأسقف:

- + «فيجب أن يكون الأسقف ... «صالحاً للتعليم» ... «يدبر بيته حسناً» ... وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله.» (١ تي ٣: ٢ و٤ و٥)

وأخيراً، يهنا أن نوضح هنا أن «مير» وضع اليد للأسقفية هو مير فائق على كافة الأسرار في الخدمة، لأنه يعطي للأسقف القوة الروحية «ليضع يده» هو الآخر، إنما ليس لكي يرسم مثيلاً له، لأن قانون انتقال قوة الروح القدس يلزم أن تكون من الأكثر لأقل وليس من الأقل للأكثر، ولا من المثل للمثل. فالأسقف ليس له ولا في طاقته الروحية أن يرسم أسقفاً، بل له في حدود قوة الروح القدس أن يرسم كاهناً.

كما يلزم هنا توضيح أن الموهبة الروحية الخاصة التي يأخذها الأسقف مع موهبة وضع اليد للأسقفية قابلة للانطفاء: «اضرم الموهبة التي فيك التي أخذتها ... «مع» وضع اليد». فالموهبة هنا نعمة روحية χάρισμα وهي التي تحفظ الأسقف من عثرات الخدمة وتلهمه بالروح للاستنارة والتعليم. فإذا أهملها الأسقف بقي أسقفاً ولكن بدون نعمة χάρισμα. وهذا برهان من البراهين القوية على أنه مع الطقس الكنسي توهب نعمة، وأن الخدمة قوامها نعمة الروح القدس كعطاء وحفظ!

رسامة القسوس بوضع يد الأسقف:

- + «من أجل هذا تركتك في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة

شيوناً (قسوساً أي كهنة) πρεσβυτέρους كما أوصيتك. » (تي ١: ٥)

تيطس كان أسقفاً على كريت، وواضح من كلام بولس الرسول أنه هو الذي رسمه أسقفاً:

+ «إلى تيطس الابن الصريح حسب الإيمان المشترك. » (تي ١: ٤)

وهنا لا يفرق بولس الرسول في الاسم ولا في الصفات اللازمة للرئاسة بين الأسقف والقس، ولكن اعتبار أن القس شيخ من الشيوخ، فهذا يعني أنه ليس في رتبة الأسقف عملياً.

كذلك يوصي بولس الرسول تيموثاوس الأسقف أن لا يضع يده على الشيوخ πρεσβυτέρους بتسرّع حتى لا يكون مشلولاً عن خطاياهم وأخطائهم:

+ «أناشدك أمام الله والرب يسوع المسيح والملائكة المختارين أن تحفظ هذا بدون غرض ولا تعمل شيئاً بحماة: لا تضع يداً على أحد بالقجلة، ولا تشترك في خطايا الآخرين. احفظ نفسك طاهراً. » (١ تي ٥: ٢١ و٢٢)

وقد ضاعف بولس الرسول من كرامة القسوس، ولكن على نفس درجة القسوسية، إذا تبين أن خدمتهم صارت أفضل بشهادة الآخرين — وذلك بقوله:

+ «أما الشيوخ (القسوس) المدبرون حسناً، فليُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم. » (١ تي ٥: ١٧)

وواضح هنا الاتجاهان في خدمة الكاهن: «التدبير» و«التعليم». ولكن التدبير هنا له كلمة خاصة تعني إدارة شؤون الكنيسة وضبطها = πρεσβυτέρας. أما الاتجاه الآخر والأهم، فهو خدمة الكلمة بالوعظ والتعليم وعلى أساسهما يطلب بولس الرسول أن يعطى للقس درجة كرامة مضاعفة = διπλῆς (أي دبل)، وهو ما نسميه الآن في الكنيسة بدرجة الإيفومينوس وهي درجة القس الخادم بالكلمة والوعظ.

درجة الشموسية العامة:

اسم «شماس» ورد في الأناجيل كلها ٨ مرات، وورد في رسائل بولس الرسول ٢٢ مرة. وقد استخدم بولس الرسول الكلمة للتعبير عن رئيس الدولة: «لأنه خادم διακονος الله للصالح» (رو ١٣: ٤)، كما استخدمه للتعبير عن عمل المسيح: «يسوع المسيح قد صار خادماً διακονος الختان» (رو ١٥: ٨)، كما استخدمه للتعبير عن خدمة بولس وأبيلوس: «بل خادمان آمنتم بواسطتهما» (١ كو ٣: ٥)، ويفتخر بولس الرسول بهذا اللقب لنفسه: «الذي صرت أنا خادماً له (لإنجيل)» (أف ٣: ٧)، كما أعطاه لتيموثاوس: «إن فكرت الإخوة بهذا تكون خادماً صالحاً

يسوع المسيح» (١ تي ٤: ٦)، كما أعطى هذا الاسم أو اللقب لامرأة هي «فبيي»: «أوصي إليكم بأختنا فبيي التي هي خادمة διάκονον الكنيسة التي في كنحريا.» (رو ١٦: ١)

وقد استخدم بولس الرسول هذا اللقب عند تنظيم الكنيسة كدرجة من درجات الرئاسة الكهنوتية؛ فهو يرسل تحياته للشمامسة: «إلى جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيليبي مع أساقفة وشمامسة» (في ١: ١)، ووضع شروط رسامتهم، التي هي ليست كلها بوضع اليد. ويشترط في الشمامسة أيضاً أن يكونوا قد دُبروا بيوتهم وأولادهم حسناً: «لأن الذين تشمسوا διακονήσαντες حسناً يقتنون (يحصلون) لأنفسهم درجة (وظيفة) حسنة وثقة كثيرة في الإيمان الذي بالمسيح يسوع» (١ تي ٣: ١٣). وهي درجة محصورة داخل الكنيسة التي تشمسوا عليها. ويُستثنى من هذا الوضع السبعة الشمامسة الذين رسمهم الرسل بوضع اليد ليعملوا ويشرحوا أيضاً في كل الأنحاء.

وهكذا يكون في الكنيسة درجتان للشموسية: درجة بوضع اليد، وهي في عملها قريبة جداً من درجة الأساقفة، فيما عدا أنه ليس لهم الحق في وضع اليد، فهي درجة خادمة، وهدبرة، وهدبشرة. وحدود عملها قد يزيد عن التدبير والخدمة المحلية في كنيسة واحدة لأنها ذات موهبة للتبشير، كما رأينا في السبعة الشمامسة. أما الدرجة الأخرى فبدون وضع يد. وهنا لا يسعنا الوضع لكي نشرح درجات الشمامسة المعمول بها في الكنيسة لأننا ملتزمون بنصوص رسائل بولس الرسول.

ولكن واضح من وصف بولس الرسول لـ «فبيي» أنها شماسة رسمياً لكنيسة كنحريا، أي أن نظام الشمامسات بدأ ظهوره في كنائس بولس الرسول.

مراجعة لما نعرفه عن الرسامات في عصر بولس الرسول:

وعلى العموم كان وضع اليد في الكنيسة الأولى في عصر بولس الرسول منضبطاً بصورة عامة بهذه الأمور التقليدية:

أولاً: يُعيّن المقدّم للرسامة بدعوة صريحة من الله، سواء بالنبوة كما سمعنا من بولس الرسول فيما يخص تيموثاوس: «لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة "مع" وضع أيدي المشيخة (القسوسية)» (١ تي ٤: ١٤)، «حسب النبوات التي سبقت عليك ...» (١ تي ١: ١٨)، أو بصوت واضح من الروح القدس كما صار في أنطاكية بالنسبة لإرسالية برنابا وبولس التي سافرا بعدها إلى قبرص للتبشير: «قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول ...» (أع ١٣: ٢)

ثانياً: أو يُعيَّن باختيار عام من الشعب، وتقديم من يقع عليه الاختيار بواسطة الشعب للرئاسة الكنسية سواء كانوا الرسل أو الأساقفة بعد ذلك. وهو تدبير إلهي، الأصل فيه وصية من الله في العهد القديم لموسى في اختيار السبعين، ثم من الرسل: «فانتخبوا أيها الإخوة سبعة رجال منكم». (أع ٦: ٣)

ثالثاً: شرط المقدم للرئاسة هو أن يكون: «مشهوداً لهم (من الشعب) ومملوئين من الروح القدس وحكمة» (أع ٦: ٣)، ومشهوداً لهم من غير المؤمنين أيضاً: «ويجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس». (١ تي ٣: ٧)

رابعاً: إقامة الصلوات والأصوام قبل وبعد الرسامة (أع ١٣: ١٣ و ٣٠).

خامساً: لرسامة الأسقف يحضر جميع «الرسل»، وبعد عصر الرسل كل الأساقفة لظهور هيبة الكنيسة، ثم الشعب الخاص بالكنيسة.

سادساً: يُعظى الوصايا أمام بقية الأساقفة وكل الشعب الحاضر، لتحل هيبة (موسى) وبالتالي (الرسولية) وبالتالي (الأسقفية) على المرسوم أسقفاً ليخضع له الشعب ويطيعه.

سابعاً: قانون تسليم الخدمة لا يحتمل تسليم الأقل للأكثر ولا المثل للمثل، إذ يلزم أن الحاصل على القوة الروحية العليا للخدمة هو الذي يعطيها لمن هو أقل وفي حاجة إليها، ليس شكلاً بل موضوعاً. لأن قوة الروح القدس ليست خاضعة للشكليات ولا للاعتبارات الشخصية.

وفي ختام حديثنا عن «سروضع اليد في الكنيسة» نود أن نلفت نظر القارئ أننا لسنا بصدد بحث عام عن الرسامات والدرجات في الكنيسة بصورة مطلقة وشاملة، بل نحن محاصرون في أضيق الحدود التي تسمح لنا بها النصوص التي وردت في رسائل بولس الرسول، وما ينبغي أن نستقرئه منها وعلى ضوءها (٧).

(٧) وسنعود إلى موضوع الدرجات الكنسية حينما نعرض للإدارة الكنسية بحسب مفهوم بولس الرسول (أنظر الباب الخامس — الفصل الثاني — ص ٤٨٥).

الفصل الخامس

سر الزيجة

سر الزيجة وعلاقة المسيح بالكنيسة:

بولس الرسول رفع موضوع الزيجة من المستوى البشري الحسي والجنسي إلى المستوى الروحي، أخذاً منهج المسيح. فالمسيح رُدَّ الزيجة إلى الله الذي خلق الإنسان ذكراً وأنثى (مت ١٩: ٦ و ٤)، أي أنه وضع أساس تدبيره الإلهي في الإنسان أنه يقوم على الزيجة. وقد أوضح الله ذلك بجلال في قوله لهما بعد خلقتكما: «وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض» (تك ١: ٢٨). هنا إكليل زواجهما بباركه الله بنفسه مع النسل.

وجاء بولس الرسول واتخذ من هذا البحث اللاهوتي في الزيجة — في وضعها كخليقة عتيقة — أساساً ليضع صيغته التي تتناسب مع الخليقة الجديدة. فانتقل من آدم الأول إلى آدم الثاني المسيح، وانتقل من حواء الأولى إلى حواء الجديدة أي الكنيسة.

أما فيما يخص آدم الأول بالنسبة لعلاقته بحواء الأولى، فمعروف أن الله أوقع سُباتاً على آدم فنام، وأخذ ضلعاً من أضلاعه: «وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم، فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي» (تك ٢: ٢٢ و ٢٣). وهكذا التصق آدم بحواء التصاق الكل بالجزء.

فجاء بولس الرسول ونقل طبيعة هذه الخليقة العتيقة للمرأة بالنسبة للرجل، أي آدم الأول، إلى وضعها الجديد في الخليقة الجديدة للكنيسة بالنسبة للمسيح، فرأى واستعلن هذه الحقيقة المدهشة، أن الكنيسة خرجت من جنب المسيح المغطون وصارت من لحمه وعظامه!! حيث الكنيسة في الواقع شملت الخليقة الجديدة، الرجل والمرأة معاً لا فرق: «ليس ذكر وأنثى لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» (غل ٣: ٢٨). وهكذا صرنا جميعاً من لحم المسيح وعظامه: «لأننا أعضاء جسمه (الكنيسة) من لحمه ومن عظامه.» (أف ٥: ٣٠)

فإن كان المسيح كرأس للكنيسة ومدبرها قد ذكر عنه بولس الرسول من جهة علاقته بالكنيسة، أن الزيجة هي أصلاً صورة رمزية لعلاقة المسيح والكنيسة، فالزيجة بالتالي موجودة في فكر الله وتديره منذ قبل إنشاء العالم.

وهكذا استطاع بولس الرسول أن يستعلن حقيقة آدم وحواء مرة أخرى في وضعهما الجديد كخليقة جديدة أنهما من عظم واحد ولحم واحد هو «لحم المسيح وعظامه»، لهذا يصيران من داخل سر الكنيسة جسداً واحداً!!!

فإن كان قد حق لآدم والتزم أن يلتصق بامرأته حواء لأنها كانت عظمًا من عظمه ولحماً من لحمه، فقد صار حقاً والتزاماً بالأكثر جداً للرجل في المسيح أن يترك أباه وأمه ويلتصق بامرأته التي أخذها من الكنيسة من جسد المسيح السري. فهي وهو صاراً من لحم واحد وعظم واحد هو لحم المسيح وعظامه. لذلك تحتّم أن يكونا بسر الزيجة في المسيح جسداً واحداً.

هذا ويرجع علينا بولس الرسول لثلاث نواظير أنه منشغل أساساً بعلاقة الرجل بالمرأة في ذاتهما وبصورة منفصلة، فأخذ يبهنّ أن يستعلن علاقتهما من داخل علاقة أعلى وأعظم، هي على مستوى السر الأعظم وهو المسيح والكنيسة:

+ «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السر عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة.» (أف ٥: ٣١ و٣٢)

ولكن هذا لا ينفي أن سر الزيجة هنا وعلى هذا الأساس هو سر عظيم، ولكن ليس في حد ذاته بل بانتماؤه كلياً وجزئياً بسر المسيح والكنيسة. بمعنى أن سر الزواج هو سر عظيم طالما هو مرتبط بسر المسيح والكنيسة، سر الجسد السري الواحد الذي يجمع الرجل بالمرأة في وحدانية غير منفصلة.

ومن هنا صار الطلاق بالنسبة للسر على هذا المستوى أمراً لا يُطاق، لأنه يمس سر الوحدة الذي تقوم عليه الكنيسة والذي يمنحه المسيح بجسده الواحد، والذي لا يُطاق أن نراه منقسماً.

الرب أعطى إمكانية الطلاق لعلّة الرنا، لأن الذي يزني من الطرفين يكسر سر الوحدة تلقائياً، لأن الزنا محسوب أنه انفصال عن الله! فهنا الذي يزني قد فصل نفسه عن الله والكنيسة، أي خلخل السر المقدس وأخرجه خارج الكنيسة والجسد الواحد، فلم تعدّ الوحدة السرية مع الآخر قائمة، فالطلاق هنا تحصيل حاصل.

والآن، على أي الأسس يقوم سر المسيح والكنيسة الذي ينبثق منه سر الزيجة؟

معروف أن المسيح لكي يخطب لنفسه كنيسة (شعباً جديداً مُبرَّراً)، كلفه ذلك الحب الباذل حتى الصليب والدم. لقد «اشترى» المسيح الكنيسة بدمه، ويقال أيضاً أنه «اقتناها» كمروس بدمه.

ثم كيف صارت الكنيسة عروساً مقتناة للمسيح؟ بولس الرسول يعني هنا الكنيسة حينما قال بصيغة الجمع المخاطب: «اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلها» (١ كو: ١١)، أو كما قال أيضاً في موضع آخر: «لكي يقدسها مُطَهَّراً إياها بغسل الماء بالكلمة لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب.» (أف: ٥: ٢٦)

هذه الالتزامات عينها تقع على عاتق الرجل الذي يطلب لنفسه امرأة لتكون معه جسداً واحداً. فالتزام الصليب هو ضمين الوحدة وحارسها، بمعنى الحب الباذل حتى الدم. وهذه الالتزامات نفسها تقع على عاتق المرأة التي تطلب ضمان الجسد الواحد وتوثيقه: «بهذا قد عرفنا المحبة أن ذلك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة (الزوج).» (١ يو: ٣: ١٦)

فيسرُّ وحدة الجسد الواحد بين المسيح والكنيسة يبقى هو عينه سر وحدة الجسد الواحد للرجل والمرأة.

ليسلطت القارىء، لأن السر المقدس الذي انبثقت منه الكنيسة قام على التزامات واضطرابات مريرة من جهة المسيح، أشدّها وأمرّها التخلية وإنكار الذات حتى الصليب، والتي قَبَلَهَا بسرور ليقتني كنيسة واحدة وحيدة متحدة به. هذه الالتزامات قائمة تلقائياً في كل سرٍّ من أسرار الكنيسة لكي ينشئ مع المسيح نفس الوحدة أو ليعيش الإنسان فيها.

فسرُّ الزيجة لا يمنح الرجل والمرأة نعمة من تلقاء تتميم السر ولكن من خلال الالتزامات التي على أساسها عُقِدَ هذا السر المسجل بروح الكنيسة، أي خلفية الصليب. بمعنى أنه بمقدار ما يبذل الزوج والزوجة كلٌّ منهما للآخر، بقدر ما تتولد النعمة من السر. ثم بقدر إنكار الذات كل واحد للآخر بقدر ما تضطرم المحبة وتتوثق الصلات وتقوى الوحدة ويستعلن السر. فسرُّ الزيجة هو مشروع مسيحي مضمون الربيع على أساس تنفيذ بنوده، وبنوده يكتبها الاثنان معاً كل يوم باتفاق ومودة على ضوء الكلمة والصلاة ومن واقع مشاكل وأتعاب الحياة التي لا تنتهي!

الطلاق عند بولس الرسول:

الزواج سرٌ إلهي غير منقسم إلا بالموت!

+ «وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب (بالاستعلان الخاص) أن لا تفارق المرأة رجلها،

وإن فارقته، فلتلبث غير متزوجة،

أو لتصالح رجلها!!!

ولا يترك الرجل امرأته! (١كو١٠: ١١)

هذا يؤكد أن سر الزيجة هو سر وحدة في المسيح في جسد سري واحد لا يُنقض، فحتى لو أصبحت الحياة لا تُطابق بين الزوجين فليفارق الواحد منهما الآخر ولكن يبقى عقد الزيجة، كسرٌ لا ينحل، قائماً لا يُمس. فلا المرأة يُسمح لها بالزواج الثاني ولا الرجل يُسمح له بالزواج الثاني. ولا يكون أمامهما إلا الصلح أو البقاء في الفراق. ليس هذا تعسفاً من بولس الرسول ولكن تقديساً للسر المقدس وتقويماً صادقاً لمفهوم قوة الوحدة التي تمت مرة واحدة وأنشأت جسداً واحداً في المسيح.

الموت يفصم عقد السر:

+ «المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حياً، ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن

تريد في الرب فقط. (١كو٧: ٣٩)

انكسار قوة السر هنا بموت أحد الطرفين يكشف عن أمر غاية في الأهمية، وهو أن سر الزيجة ولو أنه سر إلهي إلا أنه واقع في حدود الجسد والحياة الجسدية ولا يتعدى الجسد إلى الروح أو الحياة الأخرى.

فالمنطوق الموحى به بالآية واضح: «ويكون الاثنان جسداً واحداً» ولا يقول جسداً واحداً وروحاً واحداً. فقد أبقى بولس الرسول الوحدة بالروح وخصصها للالتصاق بالمسيح فقط: «وأما من التصق بالرب فهو روح واحد.» (١كو٦: ١٧)

هذه الحقيقة أوضحها المسيح عندما سأله بشأن المرأة في السماء في الآخرة التي تزوجت سبعة رجال بسبب موتهم الواحد تلو الآخر، فكان رد المسيح أن لا أزواج ولا زوجات في السماء ولا يمارسون هناك حياة الزواج، تكميناً من حقيقة الزواج أنه حياة الجسد في العالم: «فأجاب يسوع وقال لهم تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله، لأنهم في القيامة لا يُزوّجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله في السماء.» (مت ٢٢: ٢٩ و٣٠)

قداسة الزواج تنتقل لتشمل غير المقدس!

+ « إن كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهي ترتضي أن تسكن معه فلا يتركها، والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يسكن معها فلا تتركه، لأن الرجل غير المؤمن مقدس في المرأة، والمرأة غير المؤمنة مقدسة في الرجل، وإلا فأولادكم نجسون، وأما الآن فهم مقدسون! » (١ كو٧: ١٢-١٤)

هنا الزيجة تطير بجناح واحد! فهي لا تقوم على أساس تقديس متبادلي أو على إيمان مشترك، بل تنطلق من إيمان طرف واحد وقداسة طرف واحد. فهنا غياب سر الوحدة واضح وغياب الجسد الواحد، لغياب العنصر الذي يجمع ويوحد. والذي بقي من سر الزيجة هو اتحاد أحد الطرفين بالكنيسة وبالجسد الواحد الذي ليسوع المسيح، حيث التقديس منحصر في طرف واحد يشمل الآخر، ولكن لا ينفذ إليه وإنما ينفذ إلى الأولاد وحسب. لذلك فهذا زواج محلول بطبيعته لا يربطه رباط سري ولا التزامي: «ولكن إن فارق غير المؤمن فليفارق. ليس الأخ أو الأخت مُستعبدًا في مثل هذه الأحوال ولكن الله قد دعانا في السلام» (١ كو٧: ١٥). وكان هذا الوضع الاستثنائي للزواج وارداً باستمرار في الكنيسة الأولى حينما كان يقبل أحد الزوجين الإيمان المسيحي ويرفضه الآخر، فكان هذا التصريح الفريد من نوعه ناتجاً من حكم الواقع الاضطرابي وليس تفريطاً في شأن الزواج.

حقوق الطرفين وواجباتهما بحكم سر الزيجة المسيحي:

تعاليم بولس الرسول تؤكد على تساوي الحقوق والواجبات بين الأزواج والزوجات في الأمور الجسدية التي تختص بالعلاقات الزوجية. فقانون الواجب يقطع على الاثنين بالخضوع المتبادل:

+ «ليؤف الرجل المرأة حقها الواجب، وكذلك المرأة أيضاً الرجل. ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلط على جسده بل للمرأة. لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين لكي تتعرضوا للصوم والصلاة ثم تجمعوا أيضاً معاً لكي لا يجربكم الشيطان لسبب عدم نراحتكم.» (١ كو٧: ٣-٥)

علماً بأن أي إخلال متعمد بحق كل طرف عند الآخر ينشئ حتماً خللاً في قوة سر الوحدة للجسد الواحد. لأن في سر الزيجة على وجه الخصوص تتأثر المستويات الروحية بالمستويات الجسدية بشكل حساس وخطير.

ولكنها ليست حرية مطلقة، فلا توجد الحرية المطلقة في الحياة المسيحية على وجه العموم

وبالأخص في رباط سر الزيجة، لأن المسيحي حر ولكنه خاضع لقانون الحرية الملزم بالخضوع والطاعة لصاحب القانون ومعطيه. فالإنسان المسيحي عليه التزامات لكي يكون له حقوق. فحق الحرية هو قائم في إطار التزامات تجاه الله والآخرين. هكذا في سر الزيجة فالخضوع لله والآخر أساسي لقيام وبقاء سر الوحدة والجسد الواحد في الزيجة.

١ — «أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح وأما رأس المرأة فهو الرجل.» (١كو١١: ٣)
هنا عدم التساوي جاء لحساب الخضوع، والخضوع جاء لحساب قيام صحة الجسد الواحد وثباته. وهكذا يرتد عدم التساوي لداعي أعلى من التساوي وهو بقاء سلامة وصحة الوحدة في الجسد الواحد.

٢ — «لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل،
ولأن الرجل لم يُخلَق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل.» (١كو١١: ٨و٩)
هنا، فإن عدم التساوي الذي أوجب عمل الخضوع ليس مصطنعاً أو مفروضاً بإرادة بشرية، بل هو عنصر طبيعي منبثق في الخلقة وله في التركيب الخلقي أسباب ومسببات، أوضحها الله في بدء الخلقة حينما تسرعت حواء وتصرفت تصرفاً خاطئاً ومشيناً دون أن تُشرك زوجها، فوقعت في الخطية والتعدي وأوقعت زوجها: «وقال (الله) للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حَبْلِكَ، بالوجع تلدين أولاداً، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو سود عليك» (تك٣: ١٦). لقد تعالت حواء على آدم وأخلت بواجبات التساوي في التصرف والمسئولية وسادت عليه برأيها الخائب، فسحب الله منها حق التساوي المطلق وجعل لزوجها حق السيادة عليها. ولكي يجعل هذه السيادة غير مفروضة بالعنف والإرادة، ثبّتها في غريزة المرأة لكي تسمى المرأة بنفسها لسيادة الرجل عليها بحكم طبيعتها: «إلى رَجْلِكَ يكون اشتياقك». وبذلك ارتدت هذه السيادة، أي عدم التساوي، لحساب بقاء الوحدة والألفة بين المرأة والرجل شديدة ومستمرة بحكم الطبيعة.

وقد تسحب هذا الحكم بعدم التساوي الذي يعمل لحساب قيام ودوام وحدة سر الجسد الواحد في المسيح إلى التزامات على المرأة وعلى الرجل:

+ «لتتلمس المرأة بسكوت في كل خضوع، ولكن لست آذن للمرأة أن تتعلم ولا تتسلط على الرجل (في الكنيسة) بل تكون في سكوت. لأن آدم جُبل أولاً ثم حواء، وآدم لم يُفَوِّد لكن المرأة أغويت فحصلت في التعدي.» (١تي٢: ١٣و١٤)

هنا بولس الرسول لا يستخدم الأوضاع قسراً ليثبت رأيه بل يستمد تعليمه من واقع طبيعة المرأة

والرجل قبل وبعد الغواية والسقوط في التعدي. فطبيعة المرأة أقرب لغواية العدو من الرجل — وقد انتهر الشيطان هذه الطبيعة والتجأ إلى حواء وليس آدم — وهذا يحرمها من حق المبادرة في تعليم الرجل ويعطي للرجل حق السيادة في التعليم الصحيح، هذا من ناحية التعليم. أما من ناحية الظهور برأس مكشوفة في الكنيسة، فبولس الرسول يستمد تعليمه من واقع قدرة المرأة هي بذاتها على الغواية، فهي سقطت من جراء غواية الحية أولاً ثم أغوت هي زوجها بالتالي، فأسقطته وأوقفته في الخطية — وهو قائم في الفردوس عند الله!!! — فبولس الرسول هنا يضبط عنصر الغواية داخل كنيسة الله (١ كور ١١: ٦٥).

ولكن يعود بولس الرسول ويصحح هذا التمايز الحادث اضطراراً في عدم التساوي بين الرجل والمرأة من جراء ذات الطبيعة التي فرقت بين الرجل والمرأة سواء قبل السقوط أو بعده، بتأكيد عدم التمايز في الحقوق الروحية في المسيح وبالتالي وبالضرورة في الروح والأمور الأبدية على وجه العموم:

- + «غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب.» (١ كور ١١: ١١)
- وهذا هو الأهم والأعظم من كل حقوق أرضية زائلة.
- + «ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع.» (غل ٣: ٢٨)

وبالنهاية، فالزيجة في المسيحية تعبر من واقعها الفائق في الارتباط السري بحقيقة الجسد الواحد وما يثبته من وحدة الفكر والحب والخضوع والبدل المتبادل، تعبيراً ينطق بقداية هذا السر الفائق.

الزواج والبتولية عند القديس بولس:

بقدر تفوق سر الزيجة في علو شأنه ومكانته في الحياة المسيحية، تبقى للبتولية عند بولس الرسول أفضلية من واقع الاختيار الحر والاستطاعة على تحمل التكاليف!:

- + «ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا.» (١ كور ٧: ٨)
- + «لكن أقول هذا على سبيل الإذن لا على سبيل الأمر.» (١ كور ٧: ٦)
- + «لأنني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا، لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله.» (١ كور ٧: ٧)

+ «وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن، ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً،

فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للإنسان أن يكون هكذا، أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال، أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة،

لكنك وإن تزوّجت لم تخطئ، وإن تزوّجت العذراء لم تخطئ، ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد،

وأما أنا فأني أشفق عليكم.» (١ كو٧: ٢٥-٢٨)

+ «فأريد أن تكونوا بلا همّ، غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب.» (١ كو٧: ٣٢)

+ «غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً.» (١ كو٧: ٣٤)

+ «هذا أقوله لخيركم، ليس لكي ألقى عليكم وهماً (كَبْتاً) بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب

من دون ارتباطك.» (١ كو٧: ٣٥)

+ «وأما مَنْ أقام راسخاً في قلبه وليس له اضطراب بل له سلطان على إرادته وقد عزم على هذا

في قلبه أن يحفظ عذراءه، فحسناً يفعل.» (١ كو٧: ٣٧)

+ «إذا مَنْ زَوَّج فحسناً يفعل، وَمَنْ لَا يَزَوِّج يفعل أحسن.» (١ كو٧: ٣٨)

○ نخلص من هذا أن الزيجة كسرٌ مقدس هي ارتباط بالله والجسد،

وأما البتولية فهي ارتباط بالله لتقديس الروح والجسد،

من أجل هذا نشأ امتياز البتولية عند القديس بولس!!

○ فإذا انحاز المتزوج للجسد من دون الله أُخلّ بالسُرِّ وفَقَدَ قدسيته.

○ وإذا انحاز البتول للجسد من دون الله أتلَفَ صلته بالله وفقد امتياز تقديس الروح والجسد

كليهما!!

الباب الخامس

الكنيسة في لاهوت بولس الرسول

الفصل الأول

الكنيسة بالمفهوم الروحي

القديس بولس الرسول هو أول مَنْ وضع الاسم الوصفي للكنيسة ليعبر عن معنى تركيبها ووجودها وصفاتها بصورة شاملة: فالكنيسة هي جسد المسيح، والمؤمنون فيها هم أعضاء لجسد المسيح، وهؤلاء الأعضاء هم القديسون أو المقدسون من واقع خروجهم جميعاً من معمودية واحدة كشركة في موت المسيح وقيامته، ومن واقع مسحهم جميعاً بالروح القدس لتثبيتهم ثم تناولهم جميعاً من الجسد الواحد للغفران والتقديس والاتحاد بالروح وتجديد العهد.

الكنيسة هي جسد المسيح:

بولس الرسول هو الذي استعلن هذا السر. على أي أساس؟ على أساس أن المسيح عندما بدأ يتألم وعندما مات على الصليب وعندما دُفِنَ وعندما قام من الأموات، لم يكن ليتألم ويموت ويُقبر ويقوم بمفرده بل كان يحمل البشرية المُفدّاة. لذلك جاز لنا أن نقول إننا تألمنا ومُتْنَا ودُفِّنا وقمنا معه بل وجلسنا معه في السموات.

ولكن كيف يكون الجميع واحداً؟ أي كيف يصير الأفراد المؤمنون بالمسيح وهم فرادى في وجودهم وحياتهم، كيف يصيرون واحداً، جسداً واحداً وكنيسة واحدة؟ الرد على ذلك يقوله بولس الرسول في الآية: «مَنْ التصق بالرب فهو روح واحد» (١ كور ٦: ١٧)، في مقابل: «مَنْ التصق بزانية هو جسد واحد لأنه يقول يكون الاثنان جسداً واحداً» (١ كور ٦: ١٦). فالأفراد المؤمنون بالمسيح لا يصيرون واحداً بإمكانياتهم الذاتية الشخصية أو حتى الروحية، ولكن لأن كل واحد قد التصق بالمسيح وصار مع الرب روحاً واحداً، هكذا يصير الجميع في الرب أيضاً جسداً واحداً.

فالوحدة تتم في المسيح أولاً، وعندما تتوثق وحدة المؤمنين في المسيح فرداً فرداً، تعود هذه الوحدة التي هي بعينها الكنيسة الواحدة ليتمتع أفرادها بالوحدة القائمة بينهم في المسيح.

ويُلاحظ أن بولس الرسول حينما يقول إن «مَنْ التَّصَقَّ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحَ وَاحِدٍ»، فإنه لا يقصد أنه روح بلا جسد، بل هو جسد روحاني، بمعنى أنه جسد يعيش القيامة، ليعيش بالروح ويسلك بالروح، فهو يقصد الجسد القائم من الأموات الذي يجمع فيه كل المقدسين موحدين فيه.

فالكنيسة أعضاء مختلفة ذات مواهب مختلفة وذات اختصاصات وأعمال مختلفة، ولكن لأن كل عضو فيها متحد أصلاً بالمسيح وقد صار مع الرب أو في الرب روحاً واحداً، فقد صار بل نَحْمُ أن يكون جميع أعضاء الكنيسة جسداً واحداً للمسيح.

فالكنيسة في نفسها هي أعضاء كثيرة متباينة ومختلفة ومتمايزة، ولكن في المسيح أعضاء متحدة معاً بجسد واحد، والمسيح يسوسها كرأس لها.

+ «وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً.»
(١ كو ١٢: ١٢)

+ «فإننا نحن الكثيرين خبز واحد، جسد واحد، لأننا جميعاً نشترك في الخبز (الجسد الواحد).» (١ كو ١٠: ١٧)

+ «هكذا نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح، وأعضاء بعضاً لبعض كل واحد للآخر.»
(رو ١٢: ٥)

+ «ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبداً ولا حراً، ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع.» (غل ٣: ٢٨)

+ «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام، جسد واحد وروح واحد.» (أف ٤: ٤ و٣)

في هذه الآية الأخيرة، الوحدانية التي للجسد الروحي موجودة وقائمة في المسيح، لا نصنعها نحن، ولكن المطلوب أن نجتهد لنحافظ عليها. أما وجودنا في الجسد فيراه بولس الرسول أنه وجود اتصالي واقمي حي كوجود الفصن في الكرمة كما قال المسيح (يو ١٥: ٥). من هنا يأتي تعبير بولس الرسول «في المسيح» أي في الجسد، في جسده تصالحنا (كو ١: ٢٢)، وفي خثاتنا اختبنا (كو ٢: ١١)، وفي المسيح صرنا قريين وبلا لوم (أف ٢: ١٣)، وفيه نأخذ حياتنا (رو ٦: ١١)، وفي المسيح نلنا الفداء (رو ٣: ٢٤) (١)، الذي فيه لنا الفداء والغفران (كو ١: ١٤)، وفيه تبررنا

(١) يلاحظ في هاتين الآيتين (رو ٦: ١١) و(رو ٣: ٢٤) أن عبارة «المسيح يسوع» و«يسوع المسيح» هي في الأصل اليوناني: «في يسوع المسيح»، و«في يسوع المسيح».

(غل ٢: ١٧)، وفيه تقدّسنا (١ كو ٢: ٢)، «وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات في المسيح يسوع». (أف ٢: ٦)

ومن هذه الشواهد وأمثالها التي تريد عن المائة والستين^(٢) يتضح منهج بولس الرسول في تعريف الكنيسة كجسد المسيح الذي فيه يحيا المؤمنون كأعضاء فيه. فالصلة التي تربط المؤمنين بالمسيح هي صلة عضوية حية قابلة للنمو والإثمار وغير قابلة للموت أو الانحلال: «وأبواب الجحيم لن تقوى عليها». (مت ١٦: ١٨)

وهذا الفكر نجده معبراً عنه تعبيراً واقعياً عند بولس الرسول في تشبيه المؤمنين من الأمم بأفرع زيتونة برّية قُطعت من أصولها المرة وقُطعت على الزيتونة الجيدة (رو ١١: ١٦-٢٤)، حيث الزيتونة الجيدة هي جسد المسيح بلا شك، على أنه لم يَخَفْ على بولس الرسول الخطأ الطبيعي في هذا الوصف النباتي (لأن الفرع المُرِيئُ شَجَرٌ زيتوناً مرّاً)، لذلك يصحح الوصف بقوله: «بخلاف الطبيعة» قاصداً أنه أمر إعجازي حقيقي. هنا في هذا الوصف يتضح الاتحاد العضوي الحادث بين المؤمنين والمسيح، وبالتالي بين المؤمنين بعضهم مع بعض، حيث المؤمنون يستمدّون وحدتهم وألفتهم وحبهم معاً من المسيح وليس من أنفسهم أو تقواهم. وكل ما يفرضه بولس الرسول على المؤمنين هو أن يجتهدوا لحفظ هذه الوحدة بالصلح والتسامح والصنع والفقران قدر ما أوتوا من نعمة. أما حبهم بعضهم لبعض فهو من رصيد محبة الله التي تنسكب في قلوبهم بالروح القدس المعطى لهم، ومن توسط دم المسيح الذي سكبهُ طاعة حب الآب وحبنا. على أن المؤمنين لم يعودوا يعيشون لأنفسهم بعد بل لأجل الذي مات من أجلهم وقام (٢ كو ٥: ١٥)، وصار الكل في الكل (١ كو ١٠: ٣).

على أن الكنيسة باعتبارها المؤمنين المتبرين جسداً متحداً، هي جسد عضوي حي بالروح له صفة النماء. وفرو الأعضاء المتحدّين هو غو في المسيح ومن داخل المسيح: «صادقين في المحبة نمتو في كل شيء فيه *eis autón* (وليس "إلى" كما جاء في الترجمة العربية)» (أف ٤: ١٥)، فالكنيسة كمؤمنين متحدّين فإن فوها ضرورة حتمية لأنها جسد حي، وفوها يكون في المسيح وفيما للمسيح.

والكنيسة حينما تُخلص في إيمانها (أي الأعضاء المؤمنون فيها) وتحيا وتنمو فيما للمسيح وتمتد فيه حقاً، فإنها (أي الكنيسة) لا تعود تعيش لذاتها أو بذاتها ولكن المسيح يعيش فيها وبها. وهذا

ما عبّر عنه بولس الرسول معطياً نفسه نموذجاً لهذا التصوّر: «مع المسيح صُلبتُ فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ». فما أحياء الآن في الجسد فإنما أحياء في الإيمان، إيمان ابن الله الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي» (غل ٢: ٢٠). بولس الرسول هنا يتكلم في الحقيقة بلسان الكنيسة ككل ولسان كل مؤمن حي فيها.

لذلك فكل الأسماء والتعبيرات القديمة التي كانت تخص شعب الله في القديم وتسحبت إما بالمعنى أو بالنص على الكنيسة الجديدة في العهد الجديد، فإنها تكون قد فقدت قدرتها على التعبير اللاهوتي الصحيح عن الكنيسة من واقع صلتها بالمسيح الفادي.

فهي ليست شعب الله بمفهومه في العهد القديم، بل هي شعب الله المُقَدِّي. وليست هي جماعة الرب بمفهومها القديم، بل هي جماعة القديسين المتحدّين بجسد الرب. وهي أيضاً ليست جماعة المختارين، بل هي جماعة المختارين المُقَدَّسين في المسيح.

وهكذا فكل صفة من صفات الكنيسة في الماضي — حتى اسم الكنيسة نفسه الذي استُخدم في السبعينية للتعبير عن شعب الله — لم يُدَّ يَصْلَح للتعبير عن واقع الكنيسة في العهد الجديد باعتبارها جسد المسيح وبالتالي هيكل الروح القدس. والمؤمنون فيها هم الجسد الحقيقي السري للمسيح، والمسيح نفسه هو رأس الكنيسة.

+ «المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مُخَلَّص الجسد.» (أف ٥: ٢٣)

+ «لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.» (أف ٥: ٣٠)

+ «وأخضع كل شيء تحت قدميه، وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده

ملء الذي يملأ الكل في الكل.» (أف ١: ٢٢ و٢٣)

+ «صادقين في المحبة نمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس «المسيح» الذي منه كل

الجسد مُرَكَّباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل حسب عملٍ على قياس كل جزء،

يُحْصَلُ نمو الجسد لبنيانه في المحبة.» (أف ٤: ١٥ و١٦)

أما كيف تكوّن هذا الجسد السري للكنيسة لكي يكون هو نفسه جسد المسيح الحقيقي، فيشرحه بولس الرسول مُعْطِياً المعمودية نقطة الخلق الجديد لهذا الجسد السري:

+ «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع،

لأنكم كُلُّكُمْ الذين اعتمدتم بالمسيح (في المسيح) قد لبستم المسيح.» (غل ٣: ٢٦ و٢٧)

+ «لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد.» (١ كو ١٢: ١٣)

+ «حيث ليس يوناني ويهودي، ختان وعُرْثَة، بربري سكيثي، عبد حر، بل المسيح الكل وفي الكل.» (كو٣: ١١)

+ «مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام، جسد واحد وروح واحد، كما دُعيتُمْ أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد، رب واحد، إيمان واحد معمودية واحدة، إله وآب واحد للكل الذي على الكل وبالكل وفي كلكم.» (أف ٤: ٣-٦)

ومن هذا الواقع والأساس، تأخذ الكنيسة صفاتها الجوهرية: مقدسة، لأن جسد المسيح مقدس؛ وجامعة، لأن جسد المسيح يجذب الجميع: «وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أُجذبُ إليَّ الجميع» (يو١٢: ٣٢)؛ ورسولية، لأن المسيح بناها على صخرة إيمان الرسل: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيتي» (مت ١٦: ١٨). كذلك من منطلق تكوينها السري كجسد المسيح فهي مُتَغَرِّبة على الأرض ووطنها الحقيقي في السماء، لذلك فجزؤها الذي يجاهد عبر الزمن هو الجسد المتألم بعد، وجزؤها الذي أكمل الجهاد والسقي وأخذ إكليل البر الأبدي في السماء هو جزؤها الممجّد والمنتصر، الذي يبشر الآن لدى السمايين بعمل المسيح الذي صار لنا حكمة من الله وقداة وفداء: «لكي يُعرف الآن عند الرؤساء والسلطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة، حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا.» (أف ٣: ١٠ و١١)

وبهذا تكون الكنيسة بصفتها جسد المسيح المتألم والممجّد هي ملء السماء والأرض، وبهذا أيضاً يكون أعضاء الكنيسة المجاهدون على الأرض لهم سحابة شهود في السماء تُعين وتشجع الذين يحاضرون بالصبر في الجهاد الموضوع أمامهم حتى الدم. فالكنيسة تحيا الآن وتتحرك على مَرَأى من كنيسة أورشليم السماوية مدينة الله الحي، نصفها الأعلى كنيسة أبكار (أبكار قيامة) مكتوبين في السموات وأرواح أبرار مكملين. والكل هنا وهناك جسد واحد من لحمه وعظامه: «وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعاً فهي حرّة» (غل ٤: ٢٦). فأين الأرض يُسمع في السماء، وتهليل السمايين يشدُّ أزر الأرضيين ويهتف بنا أن تعالوا:

+ «أنا يسوع أرسلت ملاكي لأشهد لكم بهذه الأمور عن الكنائس،

أنا أصل وذُرِّيَة داود، كوكب الصبح المنير،

والروح والعروس يقولان تعال،

ومن يسمع فليقبل تعال. ومن يعطش فليأت. ومن يريد فليأخذ ماءً حياً مجاناً.»

(رؤ ٢٢: ١٦ و١٧)

وبذلك تتحرك الكنيسة ككل نحو استعلانها الأخير في ملكوت الله.

القديس بولس هو أول من استعلن الكنيسة في المسيح قبل باقي الرسل جميعاً، وأعطاهها هذه المعايير القائمة على الفداء وسفك دم المسيح. فالكنيسة عند بولس الرسول «اقتناها الله بدمه»، والتي رآها القديس يوحنا في رؤياه بعد ذلك — بما يقرب من أربعين سنة — أنها مُشتراة بالدم: «لأنك دُبِخْتَ واشترينتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، وجعلتنا لإلهنا ملوكاً وكهنة...» (رؤ: ٥: ١٠ و٩). والدم الذي اشترانا به المسيح لم يشفك على الأرض هباءً حسب الظاهر، بل سكبته بالروح والحق الذي فيه في قلوبنا، وسرى في دماننا ففدّسنا ووحدنا بالوحيد:

+ «كأس البركة التي نباركها، أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح؟ فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد.» (١ كو ١٠: ١٦ و١٧)

فالسّرُّ المقدس صار سرّاً كياننا الحقيقي المنظور لديه في السماء. فقد صرنا من لحمه ومن عظامه: «لأننا أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه.» (أف: ٥: ٣٠)

كذلك، فالقديس بولس هو أول من ربط الكنيسة بالروح القدس، وجعله عمودها الفقري وهيكل تكوينها الذي نَبَتَ عليه لحْمُها وعظْمُها من لحم المسيح وعظمه:

○ سواء على مستوى كل فرد بمفرده:

+ «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم! ... لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو!» (١ كو ٣: ١٦ و١٧)

+ «أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشترِيتُم بثن، فمجددوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (١ كو ٦: ١٩ و٢٠)

○ أو على مستوى الكنيسة ككل، كمجموع، لهذا النموذج الفردي المتقدس بالروح:

+ «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلًا مقدسًا في الرب،

الذين فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً، مسكنًا لله في الروح.» (أف: ٢٠-٢٢)

كذلك، وعلى أساس تقديس الروح في المعمودية لكل من تعمّد، صار أعضاء الكنيسة مقدسين، لائقين بالحق أن يكونوا أعضاءً في جسد المسيح، وهكذا يُدعى المؤمنون بالمسيح قديسين بلا حرج.

+ «وهكذا كان أناس منكم، لكن اغتسلتم (تعمدتم)، بل تقدستم، بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا.» (١ كور: ١١)

كذلك وعلى مستوى الكنيسة ككل، فإن بولس الرسول تصورها وقد عمّدها المسيح وغسلها بيده، وطهرها بدمه وبالكلمة، لكي يحضرها لنفسه عروساً بلا دنس ولا عيب، مجيدة، كشريكة في مجده:

+ «كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يقدسها مُطَهَّراً إياها بغسل الماء بالكلمة، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غُصْن أو شيء من مثل ذلك، بل تكون مقدسة وبلا عيب.» (أف: ٥: ٢٥-٢٧)

وهنا يبلغ بولس الرسول أروع التعبير عن سرّ جمع المؤمنين كفرادى، حيث صيّرهم المسيح واحداً في جسده كنيسة واحدة وحيدة أحبها المسيح ككل، فبعد أن وَّحد أفرادها بدمه وجسده، وَّحدهم بحبه.

هنا يرمي بولس الرسول التشبيه إلى بعيد، فكما أخذ من جنب آدم ضلع من ضلوعه وملاه الله لحماً فصار حواء وصارت حواء من لحمه وعظامه، هكذا المسيح أطعمنا جسده ودمه — الخارج من جنبه — فصرنا من لحمه وعظامه وصرنا كنيسة، وأحبها المسيح كما أحب آدم امرأته لأنها من لحمه وعظامه. وكما أن آدم أخذ حواء امرأة له وصار الاثنان واحداً لأنهما من جسد واحد، هكذا المسيح أخذ الكنيسة له عروساً، ولكن حواء فقدت عذراويتها بخداع الحية، أما الكنيسة فقد حفظها عذراء عفيفة بلا دنس، إذ قدّسها بدمه وجعلها واحداً معه لأنها من جسده، بل هي جسده!! (٢ كور: ١١: ٢):

+ «وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم، فقال آدم: هذه الآن عظمت من عظامي ولحم من لحمي.» (تك: ٢: ٢٢ و٢٣)

هكذا أتقن بولس الرسول الرؤيا وفُسر الاستعلان بقوله:

+ «لأننا أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه.» (أف: ٥: ٣٠)

ونحن إذا أردنا تعريف الكنيسة في وضعها الآن في العهد الجديد، نقول إنها «جسد المسيح»، ولا نرى إمكانية الاكتفاء بتشبيهات ومسميات الكنيسة في العهد القديم التي كانت كلها محاولات للتعبير عن الحقيقة التي تعيشها الكنيسة الآن باستعلان عمل الفداء. فحتى الكرمة في العهد القديم التي شرحها المسيح بأنه هو الكرمة ونحن الأغصان، أو الحظيرة التي كانت تُشبه

شعب إسرائيل بالخراف وشرحها المسيح بأنه هو الراعي الحقيقي وبحن الخراف، أو حتى محاولة بولس الرسول لتقليد أمر الكرمة بتشبيه الآباء والأنبياء بجذر حيّ وساق مقدّسة لزيتونة أصلية، وبحر فروع لزيتونة برّية طُعّمنا على الأصل وصرنا شركاء في دسم الجذر والساق. هذه كلها انتهت إلى استعمالان بلغ أقصى التعبير والصحة عن واقع الكنيسة السري، أننا جسد المسيح وأعضاء من لحمه وعظامه، كنيسة هي في حقيقة استعمالها عروس من السماء:

- + «ثم جاء إليّ واحد من السبعة الملائكة ... وتكلّم معي قائلاً: هلم فأريك العروس امرأة الخروف، وذهب بي بالروح إلى جبل عظيم عالٍ وأراني المدينة لعظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله لها مجد الله.» (رؤ ٢١: ٩-١١)
- + «وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مُهيأة، كعروس مُزيّنة لرجلها.» (رؤ ٢١: ٢)

- وبولس الرسول لم تَمُتْ عليه هذه الرؤية، فهو واحد من الذين رَفَقُوا هذه العروس لعريسها:
- + «فإني أغار عليكم غيرة الله، لأني خطبتُكم لرجلٍ واحدٍ، لأقدّم عذراء عفيفة للمسيح. ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تُفَسِّدُ أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢ كو ١١: ٣و٢)

- ورواج المسيح للكنيسة كنجم من لحمه وعظم من عظامه هو السرُّ الأعظم الذي اطلع عليه بولس الرسول فانعكس على روحه بأشعة أضواء له كل خفايا علاقة الإنسان الجديدة بالله:
- + «هذا السرُّ عظيم، ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة.» (أف ٥: ٣٢)

ولكن للمعمدان يعود قَصَبُ الشُّبُق في التعبير عن المسيح كعريس لعروس قبل أن تظهر في الوجود:

- + «أنتم أنفسكم تشهدون لي أيّ قمت لست أنا المسيح بل إني مُرْسَلٌ أمامه. مَنْ له العروس فهو العريس، وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه يفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحي هذا قد كمل.» (يو ٣: ٢٨ و٢٩)

أما المسيح فوافق على أنه هو العريس بالفعل، وافق مَنْ سَنَوَ فاستعمله في عمّة الزمان، كالمعمدان، وَمَنْ سَبَّهَ من الأنبياء، وَمَنْ سَيستعمله مستقبلاً في نور وجهه الذي أشرق علينا من السماء كبولس الرسول — وذلك حينما طرح المسيح أولاً رؤية الملكوت القادم في صورة كنيسة صغيرة نصفها عذارى جاهلات ونصفها الآخر عذارى حكيّمات، حيث العذراوية لها على مستوى النفوس التي أخذت حتم الخليقة الجديدة. فنصفها نفوس حفظته على مخزون زيت النسك والعبادة،

ونصعها الآخر بدُّدته ولم تخزن زيتاً. وأخيراً جاء العريس بوق وهتاف، فلاقته كنيسة الأكار ودخلوا معه وأغلق عليهم الباب. هذا هو منظر المنكوت الآتي، وفيه المسيح كعريس يفود كنيسته إلى مجدها المَعْد.

كذلك، فالمسيح كان يرى نفسه على الأرض عريساً مع سي العرس، جاء ليخطب عذراء جديدة عوض الشعب الذي سلَّمه كتاب طلاق: «أين كتاب طلاق أمكم التي طلقْتها ... من أجل ذنوبكم طَلَّقْتُ أمكم.» (إش ١: ٥٠)

+ «فقال لهم يسوع هل يستطيع بنو اعرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم، ولكن ستأتي أيام حين يُزفَع العريس عنهم فحينئذ يصومون.» (مت ١٥. ٩)

أما كل هذه الصور التي تحكي وتصف علاقة الرب بالإسنان عامة وخاصة، كنيسة وأفراداً، علاقة الالتصاق الشديد والاتحاد حتى إلى صورة العريس واعروس والجدد الواحد، فهذه كلها مرَدُّها إلى مصدرها أدَّول السَّري للغة حيسما «صار الكلمة جسداً». لقد اتحدت الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية في زيجة أبدية غير مفصمة ولكن خُلُواً من حظية. هد هو الاتحاد السري لمحبيب الذي انبشق منه كل مفهوم للاتحاد! فحينما «ظهر الله في الجسد»، ظهر في الحال غُرُس الله على أرض الإنسان، كانت أشابينه ملائكة في السماء بهلّل، ومدعووه حكماً يسجدون ويقدمون اهدايا ورعاة مُتَسَدِّون يحرسون حراسات الليل الطويل، وجِدْرُه كان عذراء قديسة حلّ عبيها روح الله! كان المسيح طفل المدود هو هو كنيسة المهد، وعلى الصليب كنيسة الفداء المخفَّضة بالدماء، وفي اليوم الثالث كنيسة القيامة وقد ثَبَّت وجهها نحو السماء حيث ميراثها المحفوظ لها قبل كل الدهور.

كان تاريخ العُرس العلني هو يوم الخميس، حيث كان عشاء العرس السَّري حيسما قدّم الرب المهرَ دته في الكأس، وفي يوم الجمعة رُقَّ على الصليب. وفي اليوم الثالث خرج العريس من جَبَّاله متجلبياً متحداً بعروسه، حيث أخذها إلى المواطر العليا إلى أن يُكَمَّل أساؤها، جيلاً بعد جيل، حتى تمام الفداء لقربة الإنسان على أرض الشقاء.

الكنيسة والكنائس:

«الكنيسة» بتعبير القديس بولس الرسول هي «ملء» في حد ذاتها، كاملة ومُكَمَّلَة بجسد المسيح، توجد في كل مدينة، بن وفي كل بيت: «سلّموا على الإخوة ... وعلى نفاس وعلى الكنيسة التي في بيته» (كو ١: ٥)، وهي في ذات الوقت موجودة في السموات، بن ولها وجود خارج عن

المكان والزمان، فهي كيان مرئي قائم بقيام جسد المسيح. لذلك يقول بولس الرسول إنها ملء المسيح الذي يملأ الكل: «وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة — التي هي جسده — ملء الذي يملأ الكل في الكل» (أف ١: ٢٢ و٢٣). وتصحيح ترجمة هذه الآية يكشف عمق معناها بحسب اليونانية: «وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة — التي هي جسده ملؤه (أو ملء ذلك) الذي يملأ الكل في الكل».

فالكنيسة كجسد الرب تماماً بتمام. إذا تناول منه الإنسان جزءاً مهماً كان يسيراً، فهو قد تناول جسد المسيح كله بالتمام. والجسد يُقدَّم كل يوم على مذبح، آلاف وملايين المذابح، وهو جسد واحد لا يتجزأ. هكذا الكنيسة، هي كلٌّ يتجزأ شكلاً ويتسمى باسم كل مدينة، وفي ذات الوقت هي كيان روحي كلّي قائم في كل كيان جزئي ظاهري.

فهي ليست جماعة مؤمنين وحسب، ولا هي مجموع كلي لكل المؤمنين فحسب، لأنها تفوق التجميع وتتمتع به إلى الوحدة، فهي كلٌّ في كل جزء. لذلك يقول بولس الرسول مُعبِّراً عن هذه الحقيقة بلفظ سهل عَفْوي، مثلاً: «كنيسة الله التي في كورنثوس» (١ كور ١: ٢)، فهي كنيسة الله في كل مكان، وهي كنيسة واحدة وحيدة بحسب كيانها الجوهرى، لأنها «عروس المسيح» و«جسده» و«هيكل الروح القدس».

معايير الكنيسة اللاهوتية الأربعة

واحدة، مقدسة، جامعة، رسولية

واحدة: كما سبق وقلنا تستمد الكنيسة واحديتها الوحيدة كونها «جسد المسيح»، بمفهومه «والكلمة صار جسداً»، أي بملء اتحاد الطبيعة اللاهوتية والناسوتية.

وهذا يتفرع من كونها «عروساً واحدة»، مع أنها تحوي في كيانها كل البشرية المُفدَّاة فرداً فرداً، كل واحد باسمه، وكل واحدة باسمها.

كذلك هي واحدة لأنها «هيكل الروح القدس» مع أن هذا الهيكل الواحد يحوي كل هيكل لكل إنسان حلٌّ فيه الروح القدس وقُدسه للرب.

مقدَّسة: لأن الكنيسة في مضمونها الإلهي «هيكل الله الجديد»، والله ساكنٌ فيه، هذه

الحقيقة المستمدة من قول المسيح عندما سبق وأشار إلى انتقال المعنى والمبنى من هيكل أورشليم الحجري إلى هيكل جسده: «وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده» (يو ٢: ٢١)، وجسده معروف أنه «هيكل الكلمة» و«الكلمة صار جسداً»، والكلمة معروف أنه الله من جهة طبيعته «وكان الكلمة الله». فجسد المسيح هو بالحق هيكل الله. وهو هو البشرية الجديدة المفداة: «فإنكم أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله، إني سأسكن فيهم...» (٢ كور ٦: ١٦)

جامعة: كالمسيح: «لتدبر ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح، ما في السموات وما على الأرض في ذلك.» (أف ١: ١٠)

وقد صار هذا بالفعل. فالكنيسة تملأ السماء الآن كما ملأت الأرض وصارت صورة حية للكنيسة، تعلن في ذاتها وتستعلن بتعليمها وتسييحها.

رسولية: فالرسل هم حجارة الأساس الكريمة التي ابتداء هيكل الله وملكوته يتشكل بهم أولاً على الأرض: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة» (مت ١٦: ١٨)، وثانياً في السماء: «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية» (أف ٢: ٢٠)؛ «وسور المدينة (أورشليم السماوية كنيسة الله الحي) كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثني عشر» (رؤ ٢١: ١٤)؛ «فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر.» (مت ١٩: ٢٨)

١ - كنيسة واحدة:

المسيح هو رأس الكنيسة جسده، فإذا كانت الرأس واحدة فالجسد واحد. فالكنيسة واحدة حتماً ولا تقبل التقسيم أو الانفصال بأي حال من الأحوال. فهنا الوحدة مستمدة لاهوتياً من شخص المسيح السري الذي يشكل كيانه الروحي:

+ « مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام،

جسد واحد، وروح واحد، كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد

رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة،

إله وآب واحد للكل، الذي على الكل، وبالكل وفي كلكم. » (أف ٤: ٣-٦)

هنا لينتبه القارئ كيف يبني بولس الرسول تعليمه التهذيبي الروحي على أساس عقائدي راسخ. فهو يطلب من المؤمنين في أمسس أن يلتزموا روح الوحدة والمحبة التي تجمعهم معاً في

(٣٥-١٠٧م) (٢). ويقصد بها مسكونية شاملة على أساس تصوير الأنبياء قديماً والذي أكمل واقعياً بالبشارة بالإنجيل حسب أمر الرب: «فاذهبوا وتلمنوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.» (مت ٢٨: ١٩)

وكلمة «جامعة» تشير في كل مواضعها — بحسب معناها — سواء في قول الرب «جميع الأمم» (مت ٢٨: ١٩)، أو «الخليقة كلها» (مر ١٦: ١٥)، أو «يسفك من أجل كثيرين» (مر ١٤: ٢٤)، أو «لست أسأل من أجل هؤلاء فقط (الاثني عشر) بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم ليكون الجميع واحداً» (يو ١٧: ٢٠ و٢١)، أو «إن لم تقع حبة الخنطة في الأرض وتُثْمَت فهي تبقي وحدها. ولكن إن ماتت فأنتي بثمر كثير» (يو ١٢: ٢٤)، أو «إن ارتفعت عن الأرض أُجذب إليّ الجميع» (يو ١٢: ٣٢). كل هذه التعبيرات عن «الجميع» إنما تشير وتوحي بأن عهد محدودية الكنيسة بشعب إسرائيل قد انقضى:

- + «إن تُبْثِمَ على الإيمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل الذي سمعتموه المكروزيه في كل الخليقة التي تحت السماء.» (كو ١: ٢٣)
- + «أم الله لليهود فقط؟ أليس للأمم أيضاً؟ بل للأمم أيضاً، لأن الله واحد هو الذي سيبرّر الختان بالإيمان، والغُرلة بالإيمان.» (رو ٣: ٢٩ و٣٠)
- + «لأن الكتاب يقول: كلُّ مَنْ يُؤْمِن به لا يُخْزَى. لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأن رباً واحداً للجميع، غنياً لجميع الذين يدعون به.» (رو ١٠: ١١ و١٢)

لقد أصبح «جسد المسيح» ملتقى كل الأمم، فجمعت الكنيسة وشملت كل الأجناس والشعوب والألوان: «لأنك دُبِحت واشترتتنا لله، بدمك، من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة.» (رؤ ٥: ٩)

هذا هو ملكوت الله، مُستعلن وقائم في كنيسة الله يجمع البشرية في صورة العالم كله في جسد المسيح. فإن كانت هذه هي الصورة الختامية للكنيسة في استعلانها الحقيقي كجامعة للبشرية كلها وشاملة للكل، تَحْتَمُ أن يكون لها في طبيعتها وعملها وصميم رسالتها قوة التجميع. و«جامعة» كصفة جوهرية لا تقف جامدة في طبيعة الكنيسة بل فعالة، فهي جامعة لأنها تجمع، وتجمع على

(٣) القديس إغناطيوس ويُدعى بـ «إس لإله» θεόφορος، هو ثاسي أسقف على أطاكية حيث القديس بطرس هو المحبر أول أسقف رسول على أسط كية. وذلك بحسب العلامة أوريجانوس، أما المؤرخ يوسابيوس القيصري فيقول إنه الثالث بعد بطرس والثاسي بعد إيموديوس Evodius. وقد استشهد في روما، وكان يتحرق شوقاً للاستشهاد. وكتب سبع رسائل يشجع فيها أساقفة البلاد على الإيمان، وأن لا يعلله أحد عن تميم شهوته أن يموت شهيداً.

أساس الوحدة كفاية نهائية: «ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا.» (يو ١٧: ٢١)

علماً بأن الكنيسة المفدّاة المفسولة بالدم المخلوقة بحسب صورة خالقها في القداسة، لما في جميع أفرادها فرداً فرداً طبيعة واحدة جديدة، فكلّ الذين ماتوا في آدم وأخيتهم في المسيح، أسقّتهم روحاً واحداً وألبّستهم جميعاً وبلا استثناء ثوباً واحداً بهياً نقياً وهو المسيح بذاته: «كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح (في المسيح) قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧). فالكنيسة المستعنة بالروح بهيئة جميلة مرهبة: «أنتِ جميلة يا حبيبتي كترصة (حسناء εὐδοκία) حسنة، كأورشليم، مُرهبة كجيش بألوية.» (نش ٦: ٤)

ويولس الرسول إذ يجمع بين الوحدة والشمولية، أي الجامعة، فهو يهدف إلى عمل الكنيسة الأخلاقي بالدرجة الأولى، فهي لا تفرق بين جنس وجنس ولا شعب وشعب ولا رجل وامرأة ولا عبد وحرّ (غل ٣: ٢٨ وكو ١١: ١١)، وبمعنى آخر، فإن عملها بالأساس هو رفع الفوارق التي تفرّق وتقسّم وتمزّق الإنسان. فالكل يتحمّن أن يكون فيها ثم يتحمّن أن يكونوا واحداً. هذا الضمّ بين الكل والواحد أو في الواحد هو عمل الكنيسة الذي تسهر عليه. شغلها الشاغل كيف ترفع الفوارق العنصرية والاجتماعية والجنسية، لا بأن «تلفي» هذه التمايزات التي خلقها الله في الإنسان أو التي اقتحمت طبيعة الإنسان، ولكنها «ترفع» هذه الفوارق كمائنات يوقف وحدة الروح والفكر والعبادة. لهذا يشدد بولس الرسول على «الصلح» و«السلام» و«المحبة» و«البذل» و«الانضاع» و«الإخلاص». هذه هي أدوات جاهزة في الخليقة الجديدة مستعدة للعمل مباشرة إذا أضرمت بالروح، لتبني الكنيسة «الواحدة الجامعة».

+ «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع،
لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح (في المسيح) قد لبستم المسيح،
ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى،
لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع.» (غل ٣: ٢٦-٢٨)
+ «ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه،
حيث ليس يوناني ويهودي، ختان وعُرّة، بربري سكيتي، عبد حر،
بل المسيح الكل في الكل.» (كو ٣: ١٠ و١١)

هذه هي الفوارق الهائلة التي تواجهها الكنيسة والتي وُضع عليها أن تعالجها وتكسر حدّتها وتطوّعها لوحدة نقية، لبشرية جديدة في روح واحد هو روح المسيح، وفكر واحد هو فكر المسيح، وجسد واحد هو جسد المسيح. المسيح الذي ضلّب ليقدم البشرية فيه ذبيحة لله ميتة عن العالم

وحية الله. إن مركز القوة الروحية الفائقة التي حازتها الكنيسة لرفع هذه الفوارق بل وإلغائها على المستوى الروحي الواقعي، حازته بسر المعمودية كشركة في موت المسيح وقيامته وسر الشركة في جسد الرب ودمه. فالكل يدخل المعمودية بعنصره الخاص الموروث وجنسه الخاص الذي يعتز به ووضعه الاجتماعي الذي اكتسبه أو الذي فُرض عليه، ليخرج من المعمودية وله روح المسيح وشكله وفكره، وبالإفحارستيا يصير شريكاً في طبيعة واحدة ومُواطنة واحدة سمائية. هذه «الخلقة الجديدة حسب صورة خالقها» هي هبة الله العظمى بالمسيح للبشرية لتعود وتتوحد فيه لتأخذ طبيعتها وصورتها الجديدة منه.

هذه هي القوة الإلهية الجديدة التي دخلت طبيعة الإنسان ليس فقط لكي ترفع الفوارق الهائلة التي أفرزها العالم فيه والتي صنعتها الخطية في كيانه، بل ولتغني أيضاً فعلها الهدام بأثر دائم.

وليستبه القارىء، إذ لم يثقَ عذر لإنسان أن يحتفظ لنفسه من جهة هذه الفوارق الطبيعية، لا بتفوق الجنس أو العنصر أو المكانة الاجتماعية، ولا أن يئن بنقص في هذا كله!

بل وبالأكثر جداً لم يَعدْ عذر لإنسان أن يعيش في هذه الفوارق مستعبداً لتسلطها في فكره أو ضميره أو أخلاقه وسلوكه. فلا يكره أو ينتقص من وضع إنسان بسبب عنصره أو جنسه أو شكله أو صفاته أو وضعه الاجتماعي، وبالتالي لا يتفاخر ويعتد بما له من ميزة في هذه كلها.

ولكن لنستمع هذه الحقيقة — حقيقة الفوارق — فهي أصعب ما يواجه النفس التي تسعى لتعيش في صورتها كخلقة جديدة، بل هي أشق وأمرُّ ما يمكن أن يصادف الإنسان لكي يصفح عن الجميع ويسالم الجميع ويجب الجميع، وهو المطلب الإيماني الأول والأخير لمن يريد أن يكون تابعاً للمسيح:

+ « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعضاً لبعض. » (يو ١٣: ٣٥)

+ « أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هي من الله،

وكلُّ من يحب فقد وُلد من الله ويعرف الله،

ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة. » (١ يو ٤: ٧ و٨)

واضح أن الذي «وُلد من الله» هو الذي يستطيع أن يحب، يحب أخاه، ويجب عدوه، ولا يقف أي عائق في وجهه ليمنعه من أن يحب، يحب الإنسان كل إنسان في ذاته وفي روحه خُلواً من عنصره وجنسه ولونه وشكله وفكره ودينه وطباعه وسلوكه! «لأن المحبة تحتل كل شيء!!» و«لا تسقط أبداً». (أنظر ١ كو ١٣: ٨ و٧)

ولكن لنتنبه، لأن ما معنى: «المولود من الله»؟ هنا القصد هو إضرام روح المعمودية بما تشمله كسر يشمل الإيمان والمسحة وملء الروح القدس للتجديد، أي خليفة جديدة.

وهكذا تتبلور أمامنا قوة الكنيسة في قدرتها على رفع الفوارق في أسرارها وفي تعليمها بالكلمة. ولكن نعود ونؤكد أن الخليفة الجديدة التي نلناها في المعمودية مع مسحة الروح القدس تحمل في طبيعتها القوة الإلهية المذخرة في الإنسان الجديد، القادرة على تجاوز كل معوقات المحبة «برباط السلام» إزاء كل الفوارق التي تعترض المحبة وبالتالي الوحدة. وهذه تحتاج لمن يُضرمها بالروح لتنتقل من عقالمها كأعظم قوة قادرة أن ترفع الإنسان فوق كل الفوارق وتلغيها من روح الإنسان أولاً ثم من فكره ثم من سلوكه:

+ «لأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة، مُبْطِلًا بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به.» (أف ٢: ١٤-١٦)

وهذه هي بعينها القوة الكاثوليكية (الجامعة) في الكنيسة الواحدة.

٣ - كنيسة رسولية:

رسولية بمعنى أنها على الأساس الإنجيلي سواء المكتوب أو التعليم الشفاهي. علماً بأن الأناجيل لم تُكْتَب إلا بعد صعود المسيح بحوالي ثلاثين سنة، فيها كانت الكنيسة تعتمد اعتماداً كلياً على النقل والتسليم الشفاهي والحفظ عن ظهر قلب. لذلك لما سَجَّل بولس الرسول لنا قوله أننا مبنون على أساس الرسل، فقد كان يعني التعليم المُسلم شفاهاً آنذا:

+ «مبنين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.» (أف ٢: ٢٠)

واضح أن المسيح هو الذي وضع الرسل أساساً لبناء كنيسة: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة» (مت ١٦: ١٨). لذلك نسمع بولس الرسول يقول: «كونوا متمثلين بي كما أنا أيضاً بالمسيح» (١ كو ١١: ١). فالرسل بأشخاصهم وبتعاليمهم صاروا الأساس الذي بنى عليه كل إنسان إيمانه. وخارجاً عن الرسل ليس كنيسة. فالرسل معناهم لنا الآن الإنجيل المدون والتقليد المحفوظ، بل والروح القدس المُسلم لنا باليد في المعمودية. فنفخة الروح القدس التي قبلها التلاميذ من المسيح ليلة أحد القيامة، هي الساكنة الآن في الكنيسة والتي نستنشقها وننفخها لمغفرة خطايانا. والروح القدس الناري الذي حل على التلاميذ يوم الخمسين هو الذي نؤكد منه في

المعمودية حتى اليوم، وهو الذي توارثته الكنيسة بوضع يد الكهنوت وفي الأسرار.

ثم الأنبياء هنا ليسوا هم أنبياء العهد القديم، ولو أن بطرس الرسول يعتمد عليهم بالدرجة الأولى في قوله: «وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت التي تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم، عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس.» (٢ بط ١: ١٩-٢١)

ولكن بولس الرسول يقصد التسلسل الرسولي من الرسل إلى أنبياء العهد الجديد كما وضع ذلك في بنيانه المسلسل:

+ «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلًا، والبعض أنبياء، والبعض مبشرين، والبعض رعاة ومعلمين.» (أف ٤: ١١)

والأنبياء فئة مباركة نشأت بجوار الرسل على أثر حلول الروح القدس، لأن الروح حلّ على جميع الذين كانوا حاضرين. ويقول القديس لوقا في سفر الأعمال: «وكان عدة أسماء معاً نحو مائة وعشرين» (أع ١: ١٥)، بهذا يكون منشأ الأنبياء في العهد الجديد هو الروح القدس الذي حلّ مباشرة دون وسيط سوى الصلاة.

وبولس الرسول يعتبر أن الرسل والأنبياء دخلوا ليس بتعاليمهم فقط بل وبأشخاصهم كأساس حي في بناء هيكل الله أي الكنيسة، لأنه يذكر المسيح كحجر الزاوية لهذا الهيكل، والمؤمنين «حجارة حيّة»:

+ «الذي فيه أنتم أيضاً مبنون معاً مسكناً لله في الروح.» (أف ٢: ٢٢)

وهكذا، وبهذا الوصف الإنشائي الهندسي، ندرك الصلة الكيانية التي تربطنا بالرسل وبالمسيح، ونفهم معنى وقيمة الأساس الذي بُيِّت عليه الكنيسة.

٤ — كنيسة مقدسة^(١):

إن أول تقدّيس عرفه الإنسان خارج الله كان في المكان، في أمر العليقة:

+ «ناداه الله من وسط العليقة وقال: موسى موسى. فقال: هاأنذا. فقال: لا تقترب إلى ههنا،

(١) بخصوص التقديس عموماً راجع ص ٣٨٣-٣٨٨.

اخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة.» (خر ٣: ٥٤)

ومن مكان العليقة إلى مكان حلول الله في الخيمة، فتقدست الخيمة ثم الهيكل، فصار الهيكل مقدساً لأن الله يحل فيه. وهكذا بدأت الأشياء التي في الهيكل تصير مقدسة، لأنها محجوزة لخدمة الله، والكهنة صاروا مقدسين لأنهم يخدمون الله. بعد ذلك نسمع أن روح الله يحل على الأنبياء فينبأون ويصير الأنبياء قديسين.

ولكن لأول مرة في تاريخ علاقة الله بالإنسان، نسمع أن الروح القدس يحل على عذراء ليقدسها، وقوة العلي تحم في أحشائها ليأخذ الله منها جسداً يولد به، والمولود يدعى قدوساً وهو ابن الله. وبهذا وُلِدَ للإنسان ولد هو ملء اللاهوت في جسد إنسان. وهذا كان قمة التقديس بالنسبة للإنسان الذي صار به ليس مقدساً فحسب بل قدوساً. هكذا اعتُبر في المسيح أن جسد الإنسان صار هيكلاً لله، لا لمجرد سُكْنَى وإقامة بل اتحاد لدوام أبدي. والمسيح أعلن بوضوح أن الهيكل القديم الذي كان محسوباً أنه مجرد بيت الله للصلاة: «بيتي بيت الصلاة يدعى» (مت ٢١: ١٣)، سيُنْقَضُ ليحل محله «هيكل جسده». هذا هو أول مفهوم للكنيسة. لأن الذي حدث هو أن المسيح أعطى جسده هذا بمعنى الإنسان ليتحد به، فصرنا بدورنا «جسد المسيح»، وهذا أول تعبير واقعي أننا نحن الكنيسة جسد المسيح: «وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة، التي هي جسده.» (أف ١: ٢٢ و٢٣)

هذا هو مصدر قداسة الكنيسة، فهي ليست قداسة مكتسبة على مستوى هيكل أورشليم، أو قداسة موضع على الأرض، أو قداسة أشخاص بحلول الروح القدس؛ بل إن قداسة الكنيسة هي طبيعة مستمدة من طبيعة المسيح. لذلك، فالكنيسة ليست فقط مقدسة بل وقادرة أيضاً على التقديس. الكنيسة تنفخ من فم الأسقف لتعطي الروح القدس، وتضع اليد بواسطة الأسقف فتقدس قديسين للخدمة. وبحسب الإيمان الأرثوذكسي، ليست يد الأسقف هي التي تقدس بل هي يد المسيح الممدودة فوق يده؛ ولا الكاهن الذي يعمد وينفخ بل هو المسيح الذي يعمد؛ وليس خادماً الذبيحة هو الذي يقُدس الخبز والخمر بل المسيح، وهو الذي يعطيه بيده جسداً ودماً لكل من يتناول منه. فالكنيسة تقُدسَتْ بطبيعتها وتقدس بمسيحها وبالروح القدس الساكن فيها.

ألم يقل بولس الرسول إن الله جعل المسيح رأساً للكنيسة التي هي جسده، فمن ذا الذي يدبّر الرأس، ومن ذا الذي يتكلم ويعلم ويمسح ويرسم ويعمد ويقسم الجسد؟ ألم يقل بولس الرسول: «... الكنيسة التي هي جسده — ملؤه — الذي يملأ الكل في الكل» بحسب الترجمة

اليونانية الصحيحة. فالمسيح في كنيسته هو الذي يملأ الكل، أي كل ما له من عطايا وتقديس في الكل، أي كل من يتقدم به إلى الله.

بذلك يكون في قولنا أن الكنيسة مقدسة أمرٌ يعنينا، لأنه خاص بتقديسنا فيما مضى عندما تعمّدنا ومُسيحنا بالروح. والآن طالما نحن ملتصقون بها، نتناول من أسرارها عابدين خاشعين مسّحين، فنحن قديسون، وذلك بحسب لاهوت بولس الرسول.

الكنيسة وشخص المسيح:

حينما يقول بولس الرسول إننا أعضاء جسد المسيح:

- + «لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة، وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً.» (١ كو ١٢: ١٢)؛
- + «أما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً.» (١ كو ١٢: ٢٧)؛

وحينما يقول بولس الرسول إننا إن اعتمدنا نُذَفَرُ معه في المعمودية ونقوم لابسين المسيح:

- + «أنا كل من اعتمد ليسوع المسيح (في المسيح يسوع) اعتمدنا لموته فذُفِرْنَا معه بالمعمودية للموت.» (رو ٦: ٤)؛
- + «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح (في المسيح) قد لَبِستُم المسيح.» (غل ٣: ٢٧)؛

فهنا يتكلم بولس الرسول عن المسيح كشخصية حيّة عاملة، يتغلغل حياتنا إنما بصورة غير منظورة، يرافقنا في كل مراحل حياتنا، وبحس بكل ما نعانیه، وكأنما يعانينا معنا كل المعاناة. وليس أوضح من ذلك قوله لشاول على طريق دمشق: «لماذا تضطهدينى»، وكأنه هو الذي كان يتلقى الضرب والموت على يد شاول، مع أن الكنيسة هي التي كانت تتعذب، بحسب اعتراف شاول بعد أن اكتشف سر المسيح في كنيسته: «إنني كنت أصطهد كنيسة الله بإفراط» (غل ١: ١٣). منذ هذه اللحظة أدرك بولس الرسول وجود المسيح وجوداً حياً فعّالاً في الكنيسة، إنما بصورة لا يراها غير المؤمن ولكن المؤمن يعيشها ويحسها.

المسيح نفسه ألح إلى هذه الصورة الخفية التي ارتبط فيها بالمؤمنين ليكون معهم جسداً واحداً حينما قال عن نفسه — ليس على سبيل المثال أو الرمز أو التشبيه، ولكن عن واقع حي غير منظور: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان» (يو ١٥: ٥). هذا أبلغ تصوير عن وجود المسيح في الكنيسة، أو وجود الكنيسة في المسيح، سيّان، لأنهما جسداً واحداً. الفرع يتغذى من الكرمة محمولاً عليها متحداً بها. يثمر لحساب الكرام الآب السماوي.

لقد مرَّ المسيح على الوجود المنظور والمحسوس سواء في ميلاده أو تعليمه أو آلامه وموته ثم قيامته، هذه كلها أعمال المسيح المنظور، ولكن بعد الصعود بدأ المسيح وجوده وحضوره وعمله غير المنظور، إنما بصورة قوية وشاملة ومائلة للوجود الكلي سماءً وأرضاً: «فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: دُفع إليَّ كلُّ سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر آمين.» (مت ٢٨: ١٨-٢٠)

كان هذا الإعلان الإلهي من فم المسيح هو بدء تحقيق الوجود غير المنظور في العالم، ولكن بصورة أساسية في الكنيسة. بولس الرسول رأى ذلك وبنى عليه لاهوته:

فالمسيح المنظور أكمل لنا الفداء المنظور على الصليب بالدم المسفوك؛ والمسيح غير المنظور يعمّدنا ويُظلمنا جسده ودمه، ويقدّسنا في سر الكنيسة.

المسيح المنظور مات على الصليب الموت المنظور المُشاهد لأجلنا؛ والمسيح غير المنظور يحيا الآن فينا بالإيمان ونحيا نحن به.

المسيح المنظور صعد إلى الآب ودمه عليه، فصنع لنا صلحاً مع الآب بعد قطيعة؛ والمسيح غير المنظور يوحّدنا بنفسه والآب، ويقلمنا إلى الله كقديسين بلا لوم في المحبة.

المسيح المنظور كان بالنسبة لبناء الكنيسة حجر الزاوية؛ والمسيح غير المنظور هو رأسها وهي جسده.

فالكنيسة كجسد المسيح السري، وهو رأسها الذي يشعر ويمس بها ويدبّر كل أمورها هي في لاهوت بولس الرسول واقعٌ حيٌّ بدأ منذ أن صعد المسيح وجلس عن يمين الآب وأرسل الروح القدس ليبدأ عمله الكبير في كل عضو في الكنيسة بمفرده ثم في الأعضاء مجتمعين.

فلكل عضو أعطى المسيح جسده: «لأننا أعضاء جسده من لحمه ومن عظامه» (أف ٥: ٣٠)، وأعطى فكره: «أما نحن فلنا فكر المسيح» (١ كو ٢: ١٦)، وأعطى المسيح روحه: «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذاك (المسيح) ليس له.» (رو ٨: ٩)

هذا تم أيضاً على مستوى الأعضاء مجتمعين، أي الكنيسة ككل، فالمسيح صار جسدها وصار رأسها وأعطى الروح القدس أن يكون روحها الذي تتنفس به: «لأننا جميعاً بروح واحد (في روح واحد) أيضاً اعتمدنا إلى (في) جسد واحد» (١ كو ١٢: ١٣)، «وجميعنا سُقينا روحاً واحداً.» (١ كو ١٢: ١٣)

لذلك تُعتبر الكنيسة أنها «شركة في الروح القدس»، جسم واحد من أعضاء كثيرة ولكن ملتحمة في شركة الروح القدس خاضعة لتدبير الرأس المسيح، وتتحرك وتنمو نحو ملئه بعمل المسيح في الداخل وبسفي الأعضاء من الخارج:

+ «صادقين في المحبة ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح، الذي فيه كل الجسد مركباً معاً ومقترناً بمؤازرة كل مفصل، الذي أعطى ليعمل حسب قياس كل جزء، لينمو الجسد، ويبنى في المحبة.» (أف: ٤: ١٥ و١٦) ترجمة حرفية من اليونانية.

هنا المسيح «كرأس» الجسد أي الكنيسة، عمله هو جمع أعضاء الجسد الواحد، معطياً لكل عضو القدرة أن يتأخى ويقترن بكل عضو آخر بالنعمة كمطية خاصة حرّة، أو كنعمة معطاة لأشخاص موهوبين يخدمون فيها، التي يشبهها بولس الرسول بالمفصل الذي يربط العضو بالجسد. قدرة المسيح هذه متفوّقة للغاية، شبّهها بولس الرسول بقدرة الرأس في الجسد على التحكم في حركة الأعضاء بانسجام حتى يتحرك الجسد صحيحاً وينمو صحيحاً.

والمواضع الأخرى التي ذكر فيها بولس الرسول عمل المسيح في الكنيسة كرأس يمكن حصرها كالآتي:

(أ) «فإنه فيه يملأ كل ملء اللاهوت جسدياً، وأنتم مملوؤون فيه،

الذي هو رأس كل رئاسة وسلطان.» (كو: ١٠ و٩)

(ب) «الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل،

وهو رأس الجسد الكنيسة.» (كو: ١٧ و١٨)

(ج) «لأن الرجل هو رأس المرأة،

كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو غلص الجسد.» (أف: ٥ و٢٣)

(د) «وأخضع كل شيء تحت قدميه،

وإياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة،

التي هي جسده،

وملؤه الذي يملأ الكل في الكل.» (أف: ٢٢ و٢٣)

(هـ) «لا يُخسّركم أحد الجعالة راغباً في التواضع وعبادة الملائكة متداخلاً في ما لم ينظره منتفضاً

باطلاً من قبيل ذهنه الجسدي،

وغير متمسك بالرأس الذي منه كل الجسد، بمفاصل ورُبط متوازراً ومقترناً ينموغوا من

الله.» (كو: ١٨ و١٩)

هنا نستطيع أن نستجلي الصفات العملية التي رآها بولس الرسول في المسيح باعتباره رأساً:
(أ) وظيفة الرأس هنا للمسيح عامة للتعبير عن التفوق والرئاسة العليا على كل الخلائق السماوية. وهنا نلمح التفوق المطلق خُلُوعاً من اتحاد، إذ ليس هنا جسد يربط المسيح بهذه الخلائق، ولكن هو تفوقه من جهة طبيعته الإلهية وقدراته اللانهائية، أما الرابطة التي تربط هذه الخلائق الروحانية العالية بالرأس فهي رابطة التدبير بحكم كونه الخالق والمدبّر، لذلك يدعو العهد القديم برب القوات، رب الصباغوت، أي رب الجنود السماوية. وهذه الصفة الإلهية للمسيح تتسحب على الكنيسة، كونه «المدبّر» صاحب السلطان الأعلى والوحيد، والمسيح يعبر عن ذلك بنفسه في قوله: «دُفِعَ إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (مت ٢٨: ١٨). وعلى هذا الأساس من السلطة الفائقة: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ... وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (مت ٢٨: ٢٠). وهنا يبدو أن عمل الكنيسة الممتد عبر العالم والدهور داخل تحت تدبير سلطان المسيح الفائت.

(ب) واضح في هذا البند أن صفة المسيح كرأس للكنيسة تقوم على أساس أنه صاحب البدء فيها، كما هو الذي يقوم الكنيسة، فهي تستمد قوامها وكيانها منه.

(ج) هنا المسيح كرأس الكنيسة يأخذ عمل الرجل بالنسبة للمرأة، فهو مركز حب الكنيسة واشتياقها وهو الذي يُخصبها بروحه لتنجب أولاداً لله. وهو الذي يحميها ويخلصها.

(د) هنا المسيح كرأس تخضع له الكنيسة خضوعاً طبيعياً، لأنه هو الذي يحل فيه كل ملء اللاهوت جسدياً، يعود فيملأها بكل المواهب الإلهية التي تجعلها كنيسة الله، يملأها ككل ويملاً كل عضو فيها على حدة.

(هـ) هنا المسيح كرأس هو بمثابة المركز الأعلى المحرك للهيكل العظمي والعصبي في جسم الإنسان، فبنفس الحكمة التي يتحرك بها الجسد وينمو ليبلغ نضجه في عمره على الأرض، هكذا يشد المسيح أزر الكنيسة، لا على الواقع المحدود الزمني بل على طول المدى عبر آلاف السنين حسب حكمة المسيح لجعل من الكنيسة جسداً حياً واحداً مترابطاً ينموغواً ثابتاً في الله ومن الله، من جيل إلى جيل، وهدفه أن تأخذ الكنيسة بالنهاية: «ملء قامة المسيح»، وكأنها إنسان واحد في المسيح من جهة الانسجام والترابط في الفكر والروح والعمل. فلا خوف على الفردية داخل الكنيسة الواحدة طالما هي خاضعة تماماً لتحريك المسيح بالروح، ولا خوف على التعدد الشكلي والاسمي للكنيسة على وجه الأرض طالما كل كنيسة تتحرك

بوعبي روحي حسب قصد المسيح وتديره، فالكل مترابط بصورة سرّية يدبره المسيح كرأس واحد لهذا الجسم الهائل.

وبولس الرسول يعطي هذه المعلومة لأهل كورنثوس بسبب قيام المراقبة المضلّين يروّجون لبدعة عبادة الملائكة، بمعنى علو مركز الملائكة عن المسيح وتوسّطهم في الخلق، وهذا كفيل بأن يُخرجهم نهائياً خارج الإيمان الصحيح بالمسيح. وهنا يعطي بولس الرسول التحديد القاطع أن المسيح هو الرأس الوحيد للكنيسة كرأس الإنسان الوحيدة بالنسبة لجسده، فلا توجد أية إمكانية لتدخّل عناصر روحية وسيطة تربطنا بالله سوى المسيح وحده الذي يجعل الكنيسة: «تنموأ من الله»، وهذا مطابق تماماً للتعبير العميق الذي قصده المسيح من قوله: «بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو: ١٥: ٥). هنا يضع المسيح نفسه في الكنيسة والفرد مكان الرأس للجسد تماماً!!

الآن يمكن تلخيص الوصف العضوي لمكانة الرأس في الكنيسة، فهو السلطة الرئاسية والأمرة في الكنيسة كجسد يتحرك بمقتضى كلمته التي قالها والتي يقولها في وقتها، سواء كلمة التعليم التي تسجلت بالروح والتي يشرحها الروح لتستجيب لها الكنيسة، أو كلمة الفعل الذي يياشره هو سرّاً على الجسد لتشكيل الكنيسة حسب قصد الدهور كخالق، بعمل الروح القدس الذي يأخذ مما للمسيح ويشكّل الكنيسة حسب هذا القصد.

والمسيح بذلك وكرأس، هو في حقيقة الحامل لشخصية الكنيسة ومركز وغيها الذي تنبثق منه كل الاستعلانات التي تستعلنها الكنيسة على عمر الدهور لبنيانها.

كذلك، فالمسيح كرأس الكنيسة، فهو كما يمثّها بالفكر والفعل والاستعلان الإلهي لتتغيّر وتُبنى بمقتضاه، فهو أيضاً الذي يتلقى عنها ضربات العالم والشرير وكل مصادمات القوى المعاكسة على عمر الدهور ويحوّلها لها إلى معرفة وتجديد وصبر ونمو.

بقي أن ندرك أن بولس الرسول، ليس بإحساس اختياري منه أدرك وظيفة المسيح كرأس في الكنيسة، ولا هو مجرد فكر تصوّري تصوّره من ذاته عن عمل المسيح في الكنيسة؛ ولكنه نُطق نبوي أخذه باستعلان؛ فهو حقيقة المسيح في ذاته وفي الكنيسة، ينطبق تماماً على كل ما عمل المسيح ويعمل، ويجيء مُكمّلاً كل أوصاف الأنبياء في القديم للمسيح كحكمة، ووُضعت المسيح لذاته كمريس ملتصق بالكنيسة ودوام وجوده الشخصي كل الأيام وعمل روحه في الداخل، واستعلان المسيح للرسل «ككلمة» (لوغس) وهو التعبير عن العقل الفعّال.

وكما سبق أن قلنا، فهناك علاقة سرّية قوية بين اصطلاح المسيح كرأس الكنيسة جسده،

و بين الاصطلاح الذي يكرّره بولس الرسول مئات المرات بقوله: «في المسيح» (ἐν Χριστῷ) (*) فهو يؤمن في المسيح، ويعتمد في المسيح، ويقوم في المسيح، ويثق في المسيح، ويعيا في المسيح، وكل عمل يعملهُ هو في المسيح. فبولس الرسول إذ يرى نفسه عضواً في هذا الجسد السري الذي للمسيح، فهو لا يعمل شيئاً ولا يفكر بشيء إلا وهو متصل بالمسيح الرأس الذي له السلطان والتوجيه والتدبير على كل الجسد بكل أعضائه. فقولهُ «في المسيح» هو تعبير عن عمل المسيح كرأس في الكنيسة، والقصد الواضح هو «مُغْلَس الجسد». وهذا هو مضمون «السِر الأعظم» عند بولس الرسول الذي كان معروفاً لدى الله منذ الأزل قبل كون العالم والآن أعلنهُ لرُسُلهُ القديسين بالروح أن الأمم شركاء في الميراث والجسد، أي الكنيسة، الذي صار بولس الرسول خادماً له أي لهذا السِر في الأمم (أف ٣: ٦ و ٥). فالسِر في مضمونه هو «معرفة الخلاص» التي كانت مخفية في الله، والآن «مُفْلَتَة في المسيح» ومُطَبَّقة ومتصلة ومتحدة اتحاداً مطلقاً بكل الأمم، لأن الأمم صاروا شركاء الجسد، والشركة اتحاد. فالمعرفة الإلهية الخلاصية صارت قائمة الآن في الجسد. وهذا هو المسيح «رأس الكنيسة ومُغْلَس الجسد.» (أف ٥: ٢٣)

الروح القدس في الكنيسة (١):

إن كان مركز المسيح في الجسد السري للكنيسة هو الرأس، فالروح القدس هو «النفس» في جسد المسيح السري أي في الكنيسة. فكما أن نفس الإنسان هي مركز حياته، كذلك الروح القدس هو الذي يُحيي الكنيسة كجسد سري. وكما أن نفس الإنسان عزيزة جداً عنده، فالروح القدس هو أعز ما تملك الكنيسة وكل فرد فيها، ففوق أنه يُحييها ويُحيي أعضاءها فهو يعزّيها ويُفرحها في آلامها وضيقاتها واضطهاداتها الموضوعة عليها كُلاً وأفراداً.

كذلك، فالروح القدس في الكنيسة هو بمثابة الضيف المعزّي السماوي الذي يحمل للكنيسة عطايا وهدايا ومواهب ونِعْماً يسقيها لأعضائها سَقياً لحساب الجسد ككل.

فالروح القدس باتصاله المباشر بأعضاء الكنيسة القديسين، يُدخلهم في دائرة الحياة الفائقة على الطبيعة باستعلاناتها ومعرفتها الفائقة ورؤيتها الممتدة وإلهاماتها فيما يخص الكلمة وشرحها، وبذلك يُشري فكر الكنيسة برفع معرفتها الإلهية. وليس ذلك فقط ولكنه يقود القديسين في حياة

(٥) أنظر ص ٢٧٠ و ص ٤٥١.

(٦) بخصوص عمل الروح القدس فيها راجع ص ٢١٨-٢٢٦ وهامش (١) ص ٢٢٦.

وطباع وسلوك وسيرة السمايين، وبذلك يمدُّ الكنيسة بنماذج حياة ترفع من حياة الكنيسة ككل وتُعَلِّي شأنها في العالم والسماء.

الروح القدس أرسله المسيح من عند الآب بعد أن هيا الكنيسة بجسده السري اللائق لسُكْنِي الروح القدس، فهو يسكن الكنيسة عن لياقة ويرتاح في أعضائها بمسرة، لا كمجرد سُكْنِي الوجود المنعزل عن طبيعتها، بل الملتصق بها التصاق الروح بالجسد، ليرفع الجسد إلى مستواه ليصير هيكل الجسد كله هيكلًا لله، هيكل عبادة وتقديس وسجود بالروح والحق، سواء في الكنيسة ككل، أو في جماعة داخلها متحدة ومتآلفة بالروح، أو في فرد أفرز نفسه للتقوى واقتناء الروح القدس بهيام وعشق إلهيين.

+ «أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتريتم بثمن، فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله.» (١ كور ٦: ١٩ و ٢٠)

+ «وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم.» (رو ٨: ١١)

والآن إن كان روح المسيح وروح الآب ساكناً فينا، فقد صرنا بالفعل هيكلًا حقيقياً لله:

+ «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم.» (١ كور ٣: ١٦)

+ «إن كان أحد يُفسد هيكل الله، فسيُفسده الله، لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو.» (١ كور ٣: ١٧)

+ «فإنكم أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله إني سأسكن فيهم...» (٢ كور ٦: ١٦)

+ «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلًا مقدساً في الرب،

الذي فيه أنتم أيضاً مبنيون معاً مسكناً لله في الروح.» (أف ٢: ٢٠-٢٢)

+ «لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيّدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، ليحلّ المسيح بالإيمان في قلوبكم.» (أف ٣: ١٦ و ١٧)

يحملو لبعض الآباء الكبادوكيين أن يعبروا عن من يحيا في الروح القدس بقولهم إنه: «يتنفس الروح القدس»، وهذا تعبير صادق لأن بولس الرسول يعتبر أننا نحيا بنفخ الروح القدس أو نحيا بالروح، فالروح هو «روح الحياة»: «روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقي من ناموس الخطية.» (رو ٨: ٢)

والقديس يوحنا يسميه بضم المسيح «الروح المحيي»: «الروح هو الذي يحيي أما الجسد فلا يفيد شيئاً». (يو: ٦: ٦٣)

وعلى نفس المنوال يقول بولس الرسول: «لأن الحرف يقتل ولكن الروح يحيي» (٢ كو: ٣: ٦)؛ «سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم». (رو: ٨: ١١)

بولس الرسول يرى الروح القدس وقد وقف يُفرز لنفسه من جسد الكنيسة أعضاء متميزين، ثم ابتداءً يخصص لكل واحد بمفرده ما يراه الروح مناسباً لقامته الروحية على مستوى إيمانه وحبه وصبره، وكأنه يكشف كشف لياقة ويعطي الدرجات ويخصص المواهب والنعم:

+ «لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد. ولآخر إيمان بالروح الواحد. ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد، ولآخر عمل قوات، ولآخر نبوة، ولآخر تمييز الأرواح، ولآخر أنواع السنة، ولآخر ترجمة السنة. ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء». (١ كو: ١٢: ٧-١١)

وواضح من كلام بولس الرسول كيف أن الروح القدس خصّ الرسل القديسين باستعلان السر الأعظم الذي هو أساس مُحتوى الإنجيل، كاشفاً ما كان غنياً في أعماق الله منذ الأزل:

+ «... بسر المسيح الذي في أجيال أخر لم يُعرف به بنو البشر، كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح، ...

السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع يسوع المسيح». (أف: ٣: ٥ و٦)

+ «نتكلم بحكمة الله في سرّ الحكمة المكتومة التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا التي لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر ...،

فأعلنه الله لنا نحن بروحه، لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله، ...

هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله». (١ كو: ٢: ٧-١١)

كما أن الروح القدس متواضع فهو يسير مع أصغر أعضاء الكنيسة ويقودهم، حتى الأطفال والبسطاء من الرجال والنساء يقودهم، وكأنه يُمسك بيدهم ويسير معهم ويتمشى مع كل مستوى!! وبالأخص مع الذين يطلبون السيرة المقدسة.

+ «لأن كل الذين يتقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله». (رو: ٨: ١٤)

+ «إن كنتم بالروح تُميتون أعمال الجسد فستحيون». (رو: ٨: ١٣)

أما أطايب الروح القدس التي يُشبعُ بها السالكين في دروبه والمتدربين على سماع همساته في القلب والخاضعين لإيماءاته بالروح والمستجيبين لأول هاتف له بالتحرك في اتجاه البذل والمحبة، فقد أعد منها لكل نفس ما يُسرُّها ويُبهجها ويُدخلها في نشوة الحياة الفائقة للطبيعة:

+ «وأما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تحف». (غل: ٥: ٢٢ و٢٣)

وهكذا يضطلع الروح القدس برفع قدرات أعضاء الكنيسة ليعيشوا خبرات الدهر الآتي ويستجلوا نسيم الحياة الفائقة للطبيعة كسبق تذوق واستنشاق الحياة الأبدية ذاتها. وبهذا تصبح أعضاء الكنيسة أعضاء روحية لائحة بالجسد السري تتنفس بروح المسيح وحياته.

وبولس الرسول لا يحسب أبداً أن عطايا ومواهب الروح القدس إنما تُغطى بلا سؤال أو جزافاً، بل يحضُّ المؤمنين للأخذ والاستزادة من نعمة الروح القدس وبلا ملل، مجاهدين أن لا ينطفئ منهم اشتعال الروح:

+ «هكذا أنتم أيضاً، إذ إنكم غيرون للمواهب الروحية اطلبوا لأجل بنيان الكنيسة أن تزدادوا». (١ كو ١٤: ١٢)

+ «اتبعوا المحبة ولكن جُدُّوا للمواهب الروحية ...» (١ كو ١٤: ١)

+ «امتلئوا بالروح». (أف: ٥: ١٨)

+ «لا تطفئوا الروح ... امتنعوا عن كل شبه شر». (١ تس: ٥: ١٩ و٢٢)

+ «لا تُخزِنوا روح الله القدوس الذي به خُتِمْتُمْ ليوم الفداء». (أف: ٤: ٣٠)

علماً بأن كل عضو من أعضاء الكنيسة، كل من اعتمد للمسيح، قد نال الروح القدس إنما كعربون، على أن يستكمل الملء منه على مدى الحياة:

+ «ولكن الذي يُبَيِّننا معكم في المسيح وقد مَسَحَنَا هو الله.

الذي خَتَمَنَا أيضاً، وأعطى عربون الروح في قلوبنا». (٢ كو ١: ٢٢ و٢١)

+ «إذ آمنتُم خُتِمْتُمْ بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا ...» (أف: ١: ١٣ و١٤)

الروح والمسيح في الكنيسة:

حينما بلغ بولس الرسول إلى التعبير أن الكنيسة وأفرادها الملتحمين معاً بجسد المسيح السري الواحد يصيرون في الحقيقة «هيكل الله»، فهذا معناه أنه يوجد هنا وجود أو حضور كلي لله الآب والابن والروح القدس، لأنه من المحال أن يوجد شخص واحد من الأقانيم الثلاثة دون تواجد

الكل، كما أنه غير معروف — في لاهوت بولس الرسول — عن تواجد جزئي لا للروح ولا للمسيح؛ بل إن الاتحاد يتم بصورة لا تميز فيها بين الأقانيم.

ولكن الذي استطاع أن يميّزه الآباء اللاهوتيون الأوائل في الكنيسة من جهة الاتحاد بالأقانيم، هو أن الاتحاد يتم أولاً كمبادرة من جهة الله الآب والابن والروح القدس كل في مجاله، إنما بصورة لا يعيها الإنسان. ولكن بعد ذلك يبدأ الأشخاص الأقانيم يعملون ويتعاملون مع الطبيعة البشرية، حيث تتقدس طبيعة الإنسان بسبب الحلول وليس العكس أبداً، أي لا يكون التقديس شرطاً للحلول. وهذه معلومة لاهوتية عملية غاية في الخطورة من جهة الإيمان والسلوك والتعامل مع الله. فالله دائماً أبداً هو صاحب المبادرة في الحلول والتقديس، وهو لا يطلب منا إلا أن نعي ذلك ونصلّقه ونؤمن به ونعمل بمقتضاه. فالله كان هو صاحب المبادرة مع إبراهيم حينما مسّ موانه في الصميم وحلّ بنعمته في صلبه لتنبثق الحياة من الموت، فأمن إبراهيم بالله، وبالنهاية حُسيب له إيمانه براً.

فالله لما شاء أن يقادّس البشرية له أرسل ابنه، ولما شاء أن يقادّس روح الإنسان وهب ابنه الوحيد المحبوب كوسيط لكل إنعامات الله. والابن، بدوره، لكي يهب قداسه الخاصة أرسل الروح القدس من عند الآب. وهكذا يتم تقديس الإنسان بحسب موضع الله مثلاً وعلاقة الأقانيم بنا كما استعلنها الله بالتدبير.

غير أن الواقع الذي نحسّه ونتعامل معه بالحضور الإلهي هو العكس. فنحن نحسّه أولاً بالروح القدس، فهو أول مَنْ يتعامل معنا في أعماق النفس، فنحسّه بالفكر من جراء الاتصال المؤثر في النفس. هنا الواقع النفسي المسجّل في إحساس النفس ليس معناه أن أوّل تعامُلنا مع الثالوث يكون بالروح القدس، ولكن بحسب الأصالة اللاهوتية المحققة والثابتة فإن الآب هو أولاً بلا نزاع: «لا يقدر أحد أن يُقِيلَ إلهي، إن لم يجتذبه الآب.» (يو: ١٤: ٤٤)

ولكن الذي يهمنا توضيحه هنا، هو مقدار التلارم الشديد بين عمل الروح القدس وعمل المسيح داخل النفس أو في الكنيسة، سواء للتقديس أو التأهيل لشكّتي الله.

وقد رصد القديس إبيفانيوس هذه العلاقة المشتركة القائمة بين الروح القدس والمسيح من جهة عملهما في الطبيعة البشرية، فيقول:

[إن المسيح أرسل من الآب، والروح القدس أرسل أيضاً من الآب؛ والمسيح يتكلم في القديسين، والروح القدس يتكلم أيضاً؛ المسيح يشفي والروح القدس يشفي بالمثل؛ المسيح

يقدس وهكذا يعمل الروح القدس بالمثل. [٧] ثم يعود ويجمع هذه الحقيقة شواهد كثيرة تؤكد صحة هذا القول.

والمعروف من واقع الأسفار عامة ورسائل بولس الرسول على وجه الخصوص، أن كل المواهب $\chi\rho\iota\sigma\mu\alpha\tau\alpha$ سواء هبة البنوة لله، أو الأعمال الصالحة، أو الخلاص ذاته، أو المجد المُنعم به مع كل الاستعلانات الخاصة بالحياة الجديدة تُكتسب مرةً للمسيح ومرة للروح القدس دون تحديد أو حصر أو تمييز.

+ فبولس الرسول يضع التوازي بين عمل المسيح والروح القدس بالنسبة لحياتنا هكذا:
فالمسيح هو حياتنا: «متى أظهر المسيح حياتنا.» (كو٣: ٤)
وأيضاً نحن نحيا بالروح: «إن كنا نعيش بالروح فلنسلك أيضاً بحسب الروح.»
(غل٥: ٢٥)

«لكن اهتمام الروح هو حياة وسلام.» (رو٨: ٦)
«وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم،
فالذي أقام المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم الماتة أيضاً
بروحه الساكن فيكم.» (رو٨: ١١)

+ كذلك يضع المواهب $\chi\rho\iota\sigma\mu\alpha\tau\alpha$ بين عمل المسيح والروح القدس بالنسبة لنا هكذا:
المسيح: «ولكن لكل واحد منا أُعطيَت النعمة حسب قياس هبة المسيح.»
(أف٤: ٧)

الروح القدس: «ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما
يشاء.» (١ كو١٢: ١١)

+ كذلك يضع موهبة التبني بالذات بالتساوي بين عمل المسيح وعمل الروح القدس:
المسيح: «ليفندي الذين تحت التاموس لننال التبني.» (غل٤: ٥)
«إذ سبق فمَيِّتْنَا للتبني بيسوع المسيح...» (أف١: ٥)
الروح القدس: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله.» (رو٨: ١٤)

+ من جهة قيامة الأموات يضعها بولس الرسول بين عمل المسيح وعمل الروح القدس :
 المسيح : « فإنه إذ الموت بإنسان (آدم)، بإنسان أيضاً (يسوع المسيح) قيامة
 الأموات. » (١ كور ١٥: ٢١)
 الروح القدس : « وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام
 المسيح من الأموات سيُحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن
 فيكم. » (رو ٨: ١١)

+ كذلك استخدام الاصطلاح اللاهوتي " εν " في المسيح εν τῷ Χριστῷ وفي الروح
 εν τῷ πνεύματι ، فإن بولس الرسول يضعهما في موازنة متساوية هكذا :

εν τῷ πνεύματι
 في الروح القدس

εν τῷ Χριστῷ
 في المسيح

التقديس :	« اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع، الذي فيه (المسيح) كل البناء مُركَّباً معاً ينمو هيكلًا مقدسًا في الرب، الذي فيه أنتم أيضاً مبنون معاً متشكناً لله في الروح. » (أف ٢: ٢١ و ٢٢) بروج الموعد القدوس. » (أف ١: ١٣)
الحنن :	« ... إذ آمنتم، خُتِمْتُمْ فيه، (هنا الترجمة حرفية مصححة على اليوناني). « افرحوا في الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا. » (في ٤: ٤)
الفرح :	« لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً؛ بل هو برٌّ وسلام وفرح في الروح القدس. » (رو ١٤: ١٧)
السلام :	« فإذ قد تبررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح. » (رو ١: ١٠) « (رو ١٥: ١٣)

ماذا إذاً ؟ هل المسيح والروح مرادفان لأقنوم واحد؟ هذا غير صحيح .

أو هل الروح هو تعبير، مجرد تعبير، عن عمل المسيح؟ خطأ.
أو هل أن المسيح لما ارتفع إلى السماء صار روحاً؟ خطأ شديد.
أم ماذا؟

معروف أن المسيح قبل تجسده لم يُعرف قط بأنه كان روحاً؛ بل أقنوماً، أي شخصاً كاملاً.
والمسيح لما تجسد وعاش على الأرض على مستوى الزمن والتاريخ لم يُعرف أنه كان روحاً قط.
والمسيح في عمل الفداء على الصليب والقبر والقيامة لم يعرف أنه كان روحاً قط.

إذاً، فمناسبة اقتران ذكر المسيح والروح القدس معاً في عمل واحد، أو ذِكر كل منهما يعمل
عمل الآخر، تنحصر فقط في حالة استعلانه في المجد وهو يعمل لبناء الكنيسة روحياً. وأيضاً في
هذه المناسبة لا يمتد الالتقاء بين عمل الروح القدس وعمل المسيح في حالة تواجده عن يمين الآب،
أي فيما يخص المسيح نفسه، ولكن ينحصر اقتران عمل المسيح والمجد والروح القدس معاً في العمل
في الكنيسة، وهو بشخصه غير المنظور أي في عمله السري لبناء الجسد أي الكنيسة.

وهكذا ينحصر عمل المسيح والروح القدس معاً وكأنه عمل واحد يقوم به كل منهما عِوض
الآخر، أو يقوم به كلاهما معاً، في أمر تقديس الفرد كعضو في الجسد وتقديس الكنيسة كجسد
واحد. حيث يأخذ الروح القدس من جسد المسيح ويقّس الأعضاء الجدد، ويأخذ الأعضاء الجدد
ويقّسهم في وحدة الجسد. فالمسيح يقّس بإعطاء نفسه لما يعطي جسده، والروح القدس يقّس
بتثبيت العضو في الجسد المقدس فينقّس، ويوحد الأعضاء في الجسد الواحد فتتقّس الكنيسة.
لذلك، فكل قداسة للفرد أو الكنيسة هي من المسيح، وبصنع الروح القدس.

علماً بأن الروح القدس، وهو ملء المسيح، يُحسب أنه روح المسيح، كما هو في الآب يُحسب
روح الآب. أي أنه في الابن يعمل كروح البنوة، وفي الآب يعمل كروح الأبوة، في المسيح يقدم
الإنسان إلى الآب في خضوع بنوة المسيح، وفي الآب يعطي التبني.
لذلك قيل إن الروح الذي أقام المسيح من الأموات، يُقيمنا، إن كان هو ساكناً فينا
(روا: ٨: ١١).

ولهذا قيل إن «آدم الأخير (المسيح المُقام) صار روحاً محيياً» (١ كو ١٥: ٤٥)، وذلك بعد أن
أكمل الفداء وصار الإنسان مؤهلاً للحياة الأبدية. وهذا الأمر يوضحه بولس الرسول بجلاء بقوله:
«ثم بما أنكم أبناء (بعد تكميل الفداء والإيمان بالمسيح الذي يؤهلنا أن نكون أبناء الله)، أرسل

الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب» (غل: ٤: ٦). هنا روح الابن هو الروح القدس كروح البنوة في الله. وهنا روح الابن فينا يصرخ فينا وعنا إلى الآب بدالة فائقة للعقل والتصور، ويخاطبه: «يا أبا» وهو نطق الدالة الخاص جداً والفريد جداً بين الابن والآب في الله!

هكذا نحيا الآن كأبناء في المسيح وفي الروح القدس بأن واحد. الابن يعطينا جسد بنوته في ملء طاعة وخضوع الابن لله أبيه، والروح القدس الذي هو روح الابن يُحيينا كأبناء ويتكلم فينا بكلام لائق بكلام البنين اللائق لتقديمه للآب. لأننا في الحقيقة كما يقول بولس الرسول: «لسنا نعلم ما نصلي لأجله (لدى الآب) كما ينبغي، ولكن الروح نفسه (روح البنوة الذي فينا) يشفع فينا بأنات لا يُنطقُ بها (أي بلغة يفهما الآب ويقبلها عنا)» (رو: ٨: ٢٦)، وهذا يكرر شرحه في موضع آخر:

+ «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرخ يا أبا الآب.» (رو: ٨: ١٥)

ثم علينا أن نلاحظ أن الله الآب يعطينا روحه — وهو الروح القدس عينه — روح الأبوة!! لنصير أبناء بالتبني؛ والمسيح يعطينا روحه — وهو الروح القدس عينه — روح البنوة كأخوة له وفيه كأبناء لله أبيه.

لذلك، فالروح القدس الذي فينا يشهد فينا للمسيح والآب بأن واحد، ويشهد لنا أننا في المسيح أبناء وورثة معه للآب.

هكذا، يا قارئ العزيز، يكون عمل كل من المسيح والروح القدس يسيران فينا جنباً إلى جنب، الواحد يكمل الآخر، والاثنان يبنيان إنساننا الجديد اللائق لميراث الخلود، وفي الكنيسة لتكميل وحدة الإنسان حسب قصد الدهور.

ومن أجل هذا، نفهم لماذا كان لا بد أن يقوم المسيح من الأموات وينطلق ليعطينا الروح القدس لنبلغ إلى ملته في التقديس والتبني: «فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً وأنتم مملوون فيه» (كو: ٢: ١٠٩)، لنقوم معه ونحيا معه لملء هذا الجسد السري العظيم الذي له، الذي هو ملء الكنيسة. هذا هو الإنسان الجديد الذي يعيش حياة ما فوق الطبيعة، وهذا هو الجسد السري الذي بأعضائه يملأ السماء والأرض كواقع حيٍّ فعال غير منظور، ولكن بقيت يفوق المنظور: «... ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات ... أرواح أبرار مكتملين» (عب: ١٢: ٢٢ و٢٣)، شركة قديسين، سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا!!

الكنيسة كهيكل لله:

أحد التعبيرات الهامة للقديس بولس عن الكنيسة أنها هيكل، وبناء، وهو ينسبها إما إلى الروح أو الله هكذا:

+ «فإننا نحن (بولس وأبولس) عاملان مع الله وأنتم فلاحه الله، ببناء الله، حسب نعمة الله المعطاة لي كبنائٍ حكيم، قد وضعتُ أساساً وأخرييني عليه. ولكن فليُنظر كل واحد كيف يبني عليه، فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وُضِعَ الذي هو يسوع المسيح.» (١ كور ٣: ٩-١١)

+ «أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم، إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيُفسده الله، لأن هيكل الله مُقدَّس الذي أنتم هو.» (١ كور ٣: ١٦ و١٧)

+ «أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم، الذي لكم من الله.» (١ كور ٦: ١٩)

+ «فإنكم أنتم هيكل الله الحي، كما قال الله، إني سأسكن فيهم وأسير بينهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً.» (٢ كور ٦: ١٦)

+ «مبنيين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مركباً معاً ينمو هيكلًا مقدساً في الرب، الذي فيه أنتم أيضاً مبنئون معاً مسكنًا لله في الروح.» (أف ٢: ٢٠-٢٢)

واضح هنا أن القديس بولس يتحاشى أن ينسب الهيكل أو البناء المقدس بأنه هيكل المسيح، بل هيكل الله والروح؛ حيث المسيح فيه حجر الزاوية الذي يربط تركيب البناء معاً. والمسيح أيضاً هو الأساس فيه.

هنا لا يغيب عن بالنا أن جسد المسيح هو أصلاً ذبيحة مُقدَّمة لله، وبالتالي تصبح الكنيسة ويصبح كل ما فيها بل وكل فرد فيها ذبيحة في ذبيحة المسيح لله. فإن عبر بولس الرسول عن الكنيسة أنها هيكل الله وروح الله ساكن فيها، وهي في آن واحد المؤمنون بأشخاصهم، فهو يقصد بهيكل الله وبناء الله ومسكن الله، المؤمنين الذين يسكن فيهم الروح القدس والذين هم من جسد المسيح، من لحمه ومن عظامه. أما بناؤهم فهو بالكلمة والتعليم، وأما نموهم ففي النعمة والحق، وأما الأساس فهو المسيح مصلوباً وقائماً، وأما حجر الزاوية فهو التجسد الذي جمع ما للإنسان وما لله، إذ أمسك أطراف الهيكل ما بين الأرض والسماء وربطه برُبطٍ ومآزرٍ ومفاصلٍ التي هي الملائق الأزلية والأبدية التي ارتبط بها اللاهوت بالإناسوت، لذا فلن يؤول إلى انحلال أو انفصال،

الفصل الثاني الإدارة الكنسية أولاً: الدرجات الكهنوتية^(١)

إذا عُدنا إلى المراجع الكنسية في بداية القرن الثاني الميلادي، وعلى وجه الخصوص رسائل القديس إغناطيوس أسقف كنيسة أنطاكية، وهي أول كنيسة أُثِّم تأسست بعد كنيسة الرسل في أورشليم — وقد تأسست على يد القديس بطرس والقديسين برنابا وبولس أيضاً — نجد أن نظام الرئاسات والامتيازات الإدارية في الكنيسة قد بلغت نضجها الواضح، حيث تتحدد بثلاث درجات:

١ — الأسقف: وهو واحد دائماً، إذ نسمع في رسالة القديس إغناطيوس إلى كنيسة أفسس عن «أنسيْمُس» أسقفها الوحيد، وفي سميرنا «بوليكاربوس»، وفي كنيسة ترال «بوليبْيوس»، وفي كنيسة ماغنيزيا «داماسوس». وكل أسقف من هؤلاء كان له كرسيه وقد تثبتت على كنيسته يديرها بمفرده.

٢ — القسوس: هؤلاء كانوا يُعتبرون المتعاهدين معاً، ومع الأسقف، ومتحدون. وكان القسوس يَكُونون معاً ما يسمى بالمشيخة $\pi\rho\epsilon\sigma\beta\upsilon\tau\epsilon\rho\iota\omicron\nu$ (١ تي ٤: ١٤)، أو على حد تعبيرنا الآن «مجلس القسوس» Sacerdotal College، كما يعبر عنها القديس إغناطيوس في رسالته إلى أفسس. وقد أُلح على هذا التعبير في رسالته هذه أكثر من ١٥ مرة، مما يفيد أنه كان ذا وجود فعال ونشط.

٣ — الشمامسة: وهم الدرجة الصغرى في الإدارة الكنسية ويخضعون للقسوس والأسقف في كل تدبيرهم.

(١) راجع ما سبق أن أوردناه عن الرسامات الكهنوتية ص ٤٣٣ — ٤٤٠.

والأسقف مع الكهنة والشمامسة يكونون معاً ما يسمى «بالإكليروس» Clergy. والإكليروس مع الشعب يكونون «الكنيسة» [الرسالة إلى ماغنيزيا (١: ١٣) وإلى سميرنا (٢: ١٢)].

أما الاختصاصات فتنقسم كالآتي:

الأسقف يقوم بالخدمة أو يترأس على إقامة طقس المعمودية والأغابي والاحتمال بسر الزواج، وفوق كل ذلك تقديس الإفخارستيا، ولكن له أن يعيّن من يقوم عنه من القسوس لأداء هذه الخدمات.

أما القسوس والشمامسة فلا يقومون بأي خدمات دون علم وتدبير الأسقف [الرسالة إلى سميرنا (١: ٨-٢) وبوليكاربوس (٢: ٥) وسميرنا أيضاً (١: ٩)]. وأما العلمانيون، فهم أصحاب هذه الخدمات، فهم المخدمون وليس الخادمين في الكنيسة. هذا كله عند القديس إغناطيوس في بكور القرن الثاني.

ولكن إذا عدنا لرسائل القديس بولس وخاصة الرسائل الراعية، وهي الرسالتان إلى تيموثاوس والرسالة إلى تيطس — وهذه التسمية للرسائل الراعية Pastoral، أي الخاصة برعاية الشعب، بدأت في منتصف القرن الثامن عشر وهي تسمية غير موفقة وغير سعيدة لأنها أفرزت هذه الرسائل وكأنها لا تمتُّ إلى جسم الرسائل الأخرى، وكان ذلك تمهيداً للحظ من أصالتها، الأمر الذي وقفت ضده الكنيسة بقوة منذ البدء وأثبتت أصالتها وخاصة بأقلام أقدم وأجل أساقفتها الأوائل القديسين: برنابا، وكلمندس الروماني، وإغناطيوس، وبوليكاربوس، ويوستين، وهيجسيبيوس، الذين أخذوا بكل محتواها وقُدسوها كباقي الرسائل تماماً — نقول إن هذه الرسائل الثلاث تعطي صورة أكثر بداءة للدرجات الكنسية عمّا جاء في رسائل القديس إغناطيوس أسقف أنطاكية في بكور القرن الثاني. وهذا طبيعي بل وثمين ومفيد للغاية، لأنه يحدد بالتالي زمن كتابة هذه الرسائل الثلاث وينفي في نفس الوقت القول بأنها من مدونات متأخرة في القرن الثاني. ولكن الملاحظ بوضوح أن هذه الرسائل الثلاث تحوي البذرة الأولى لتكوين الدرجات الثلاث في الكنيسة: الأسقف والقس والشماس. أما التقدم في تخصيص الدرجات وخدمتها فجاء — بعد ذلك — من واقع حاجة التنظيم ومن إلهام الروح القدس الذي أعطي أن يدبر الكنيسة من علي.

ولكن من المفيد جداً أن نستعرض المهامي المتعددة وتخصصاتها المتعددة غير المحددة للأسماء الثلاثة التي أصبح يقوم عليها النظام الكنسي ككل، الأسقف والقس والشماس، وذلك عند القديس بولس.

وقد ورد الاسم كما هو خمس مرات في أسفار العهد الجديد، أربع منها كتعبير كهنوتي عن درجة في الكنيسة، ولكن الخامسة وردت بتعبير مجازي كتشبيه فقط فيما يخص عمل المسيح في الكنيسة، والأربع المرات الخاصة بالدرجة الكنسية تفيد رسالة الأسقف كحارس للكنيسة، أو الناظر من فوق، أو الفاحص، أو الوكيل المؤتمن.

١ — «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة ἐπισκόπους، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع ٢٠: ٢٨)
 هنا الأسقف هو الناظر من فوق كحارس وراع، وهو مُطالب بنفسه أولاً ثم بالرعية.

٢ — «بولس وتيموثاوس عبدا يسوع المسيح إلى جميع القديسين في المسيح يسوع الذين في فيليبي مع أساقفة وشمامسة ἐπισκόποις καὶ διακόνους.» (في ١: ١)
 واضح هنا أن بولس الرسول يخاطب الكنيسة ككل. ولكن يلاحظ كيف وضع الشعب: «القديسين في المسيح» قبل الأساقفة والشمامسة؛ المخدمون ثم الذين يخدمونهم. هنا الضغط واقع على مسئولية الأساقفة بالدرجة الأولى ومنحصرة في حالة الشعب، وهكذا قدّم الشعب بصفته أهم ما يهتم به الأسقف.

٣ — «فيجب أن يكون الأسقف ἐπίσκοπον بلا لوم...» (١ تي ٣: ٢)

٤ — «لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله...» (١ تي ١: ٧)

أما المرأة الأخيرة، فوردت في رسالة بطرس الرسول الأولى عن المسيح:

٥ — «لأنكم كنتم كخراف ضالة، لكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها.» (١ بط ٢: ٢٥)

والملاحظ موضح أن اسم الأسقف والقسيس (الشيخ) عند بولس الرسول يأتي متداخلاً ومترادفاً، وأحياناً يعني نفس العمل. ولكنه أحياناً أخرى يحدد بعض الأعمال لكل درجة. وهذا واضح في المثل (٢) في تحيته لكنيسة فيليبي، حيث يذكر «أساقفة مع شمامسة» فقط؛ حيث الأساقفة مع الشمامسة فقط يكوّنون الجسم الكهنوتي. ولكن كونه يذكر الأساقفة بالجمع فهنا واضح أنه يجمع في هذه الكلمة الشيخ أيضاً (القسوس)، لأنه غير معروف قط أنه كان يوجد في فيليبي — وهي مدينة صغيرة — عدة أساقفة، ومن غير المعقول أن يذكر «أساقفة» ولا يذكر «قسوس»، وكان يوجد قسوس بالفعل.

هذا الأمر يزداد وضوحاً في قوله لتيطس (تي ١ : ٥-٧) أن يقيم قسوساً في كل مدينة واضحاً شروط لياقة القسيس. ثم يزيد على تأكيد الشروط الخاصة بالقسيس واصفاً القسيس مرة أخرى بالأسقف، مما يفيد أن القسيس والأسقف لم يكونا قد تحددوا بعد كوظيفتين أو درجتين في الكهنوت متميزتين بعضهما عن بعض.

وهنا يظهر أيضاً أن الأسقف لم يكن يحتل المكانة الواحدة الوحيدة والفريدة في ذهن بولس الرسول كما ظهر بعد ذلك عند القديس إغناطيوس، وإلا ما كان يذكر الأسقف بصيغة الجمع، فوجود أساقفة في الكنيسة الواحدة لا يعني أن «وحدة درجة الأسقف» كانت معروفة بفهومها الذي عند القديس إغناطيوس أو التي عندنا الآن في الكنيسة.

كذلك في خطاب بولس الرسول للقسوس، وهو في ميليتس، الذين استدعاهم من أفسس داعياً إياهم بالقسوس، ينتهي الأمر أمامنا بكل وضوح أن بولس الرسول لم يكن قد تحدد في ذهنه قط الحد الفاصل بين القسوس والأساقفة: «ومن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة، فلما جاءوا إليه قال لهم: أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا كيف كنت معكم...، كيف لم أؤخر شيئاً من الفوائد إلا وأخبرتكم وعلمتكم به جهرًا وفي كل بيت...، والآن ها أنا أعلم أنكم لا ترون وجهي أيضاً...، لذلك أشهدكم اليوم هذا إني بريء من دم الجميع...، احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع ٢٠ : ١٧-٢٨)

كذلك نرى أن الشروط التي وضعها لاختيار الأسقف هي عينها نفس الشروط التي وضعها للقسيس، كأنها رتبة واحدة في ذهن بولس الرسول، إذ لم يميز بينهما في الشروط. ولكن في العمل نجد أحياناً تخصيصاً.

الشروط التي يلزم توافرها في الأسقف أو القس:

ذلك باعتبار أنها رتبة واحدة لم يتم انفصالها إلى ربتين في أيام القديس بولس. فمرة يضعها كأساس لاختيار الشخص تحت اسم الأسقف وهي تقريباً التي يضعها لاختيار الشخص تحت اسم القسوس.

ولكن من روح مخاطبة بولس الرسول لكل من تيموثاوس وتيطس وكلاهما كانا في درجة الأسقفية من تحت يد بولس، ندرك أنه كان يلزم للأسقف فضائل ينبغي أن تتوفر له لكي يكون

كَمْوَأ لتأدية رسالته — وهي الغيرة والتقوى والأمانة، والشجاعة في المواقف الصعبة، والحزم في القطع بالأمور، وروح الإيمان. وربما هذه الفضيلة الأخيرة هي التي تحبس كل الفصائل، إذ يعي بها القوة المستمدة من الاتصال المباشر بشخص المسيح، مع تكرار الذات والبدل.

أما الشروط التي وضعها بولس لرسول في قائمة الاختيار لنفسوس الذين أسماهم أيضاً أساقفة، فقد جاءت على مرتين، قائمة وردت في رسالته الأولى لتيموثاوس أسقف أفسس آتذ (٣: ٧-٢)، وقائمة أخرى وردت في رسالته الوحيدة إلى تيطس أسقف كريت آتذ.

القائمة الأولى: (١ تي ٣: ٢-٧)

+ « يجب أن يكون الأسقف ἐπισκοπον (القيس العادي وذلك من متابعة الكلام)

بلا لوم،

متزوجاً مرة واحدة، صاحباً، عاقلاً، مُحتشماً، مُضيئاً للغرباء، صالحاً للتعليم، غير مُدمن الخمر، ولا ضُرَّاب، (ثم إضافة في الترجمة العربية غير موجودة في الأصل اليوناني ولكنها مقتبسة من القائمة الثانية: "ولا طامع في الربح القبيح").

بل حليماً، غير مُخاصم، ولا مُحب للمال،
يدبر بيته حسناً، له أولاد في الخضوع بكل وقار؛ وإنما إن كان أحد لا يعرف أن يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله؟

غير حديث الإيمان: لئلا يتصلَّف فيسقط في دينونة إبليس،

ويجب أيضاً أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج، لئلا يسقط في تعيير وفخ إبليس».

القائمة الثانية: (١ تي ٩: ٥-٩)

+ « تركتك في كريت لكي... تقيم في كل مدينة شيوناً (قسوساً) كما أوصيتك،

إن كان أحد؛

بلا لوم،

تزوج مرة واحدة، له أولاد مؤمنون، ليسوا في شكاية الخلاعة ولا متمردين،
لأنه يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله،

غير مُعجب بنفسه، ولا غصوب، ولا مدمن الخمر، ولا ضُرَّاب، ولا طامع في الربح القبيح،
بل مُضيئاً للغرباء، مُحباً للخير، متعقلاً، باراً، ورعاً، ضابطاً لنفسه،

ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم (التقليد)، لكي يكون قادراً أن يعظ بالتعليم

وقد وجدنا من المفيد للذين يحبون الفحص والتعمق أن نضع هاتين القائمتين على التوازي، لكي نستطيع أن نلّم بمقدار التداخل والامتداد لهذه الشروط في قلب بولس الرسول بإلهام الروح لبلوغ الشخص المختار ليكون على منتهى اللياقة الأخلاقية والروحية.

(إلى تيطس ١: ٦-٩)

(إلى تيموثاوس الأولى ٣: ٢-٧)

ἀνέγκλητον	بلا لوم	ἀνεπίλημπτον	بلا لوم
	نزوح مرة واحدة		نزوح مرة واحدة
ἐγκρατῆ	ضابطاً لنفسه	νηφάλιον	صاحياً
σώφρονα	متقلاً	σώφρονα	عاقلاً
φιλόξενον	مضيفاً للغرباء	φιλόξενον	مضيفاً للغرباء
	قادر أن يعظ بالتعليم الصحيح	διδασκτικόν	صالحاً للتعليم
μὴ πάροινον	غير مدمن الخمر	μὴ πάροινον	غير مدمن الخمر
μὴ πλήκτην	غير ضراب	μὴ πλήκτην	غير ضراب
μὴ ὀργίλον	غير غضوب	ἐπιεικῆ	حليماً
μὴ αὐθάδη	غير مُعجَب بنفسه	ἀμαχον	غير مُخاصم
μὴ αἰσχροκερδῆ	غير طامع في الربح القبيح	ἀφιλόργυρον	غير محب للمال
	له أولاد مؤمنون		يدبر بيته حسناً
	ليسوا في شكاية		له أولاد في الخضوع بكل وقار
φιλάγαθον	+ محباً للخير	κόσμιον	+ محتشماً
δίκαιον	+ باراً	μὴ νεόφυτον	+ غير حديث الإيمان
δσιον	+ ورعاً		+ له شهادة حسنة من الذين هم من خارج

ومن الموازنة بين القائمتين يتضح التوافق. وتنفرد القائمة الأولى بثلاث خصال وضعناها في النهاية، يقابلها ثلاث خصال أخرى تنفرد بها القائمة الثانية. وقصد الروح — طبعاً — أن يضيف هذه إلى تلك. كذلك نجد خمس صفات متطابقة حرفياً، كما نجد سبع صفات بعبارات متشابهة. ولكن العجيب أن التشابه يمتد ليشمل التكامل بينهما:

غير محب للمال، أكمل من — غير طامع في الربح القبيح

صاحباً (متزناً) التي تعني في اليونانية:

قنوع في الأكل والشرب، تكملها — ضابطاً لنفسه (متعفف)

حليماً (باشاً ذو مودة) أكمل من — غير غضوب

غير مخاصم (مسالم)، أكمل من — غير معجب بنفسه التي تعني في اليونانية:

فقطاً قاسياً

بلا لوم وتعني حرفياً باليونانية أن لا يعطي

لأحد فرصة أن يتشكك في سلوكه وهي

أكمل من — بلا لوم التي تعني حرفياً باليونانية أن

يكون سلوكه لا عُبار عليه

ولكن انظر معي، عزيزي القارئ، كم يجهد الإنسان ويشقى ليجد واحداً من وسط كنيسة

من بين ربوة يقدمه إلى الله ليضع يده عليه! ولكن هذا شأن الذين يخترهم الله، فالعودة إلى شاول

المدعو أيضاً بولس، يرى كيف اختاره الرب بنفسه من السماء واحداً من وسط إسرائيل كلها،

وجده حسب قلبه!

وقد اعتاد الشُّراح ورجال الكنيسة أن يهتموا بشروط دون شروط، أو يضعوا الشروط الأساسية

التي يلزم توافرها تاركين الباقي. ولكن في الحقيقة نرى أن أي إخلال بشرط من هذه الشروط

يودي بالكل.

أما بخصوص تصارب الأقوال فيما يخص شرط أن يكون قد «تروح امرأة واحدة»، فمفعولاً يفيد

قط أن يكون متزوجاً كما نحى بعض شُّراح البروتستانت، ولكن الواضح البين الذي أخذ به الآباء

جميعاً أن لا يكون قد تزوج بامرأة أخرى قبل اختياره للرتبة المقدسة.

ويتضح هذا المعنى بكل تأكيد حينما نقارنه بقول بولس الرسول بالنسبة للأرملة المكتتبة أن

تكون «امرأة رجل واحد» (١ تي ٥: ٩)، بمعنى أن لا تكون قد تزوجت مرتين.

والقصد الواضح الذي يقصده القديس بولس من هذا الشرط هو ضمان سمو النفس وترفعها

عن حياة الدنيا. بالإضافة إلى مفهوم سر الزيجة أنه على مستوى المسيح والكنيسة (الواحدة).

الشروط التي يلزم توافرها في الشماس :

+ « كذلك يجب أن يكون الشمامسة ذوي وقار لا ذوي لسانين ، غير مؤلمين بالخمر الكثير ، ولا طامعين بالربح القبيح ، ولهم سر الإيمان بضمير طاهر ، وإنما هؤلاء أيضاً ليُختبروا أولاً ثم يتشمسوا إن كانوا بلا لوم . كذلك يجب أن تكون النساء ذوات وقار غير ثالبات ، صاحيات (قناعة) أمينات في كل شيء ، ليكن الشمامسة كلٌّ بملأ امرأة واحدة مدبرين أولادهم وبنوتهم حسناً ، لأن الدين تشمسوا حسناً لا يقتنون لأنفسهم درجة حسنة وثقة كثيرة في الإيمان الذي بالمسيح يسوع . » (١ تي ٣ : ٨-١٣)

بولس الرسول هنا يركّز على «اللسان» بالنسبة للشماس ، و«اللسانين» ترمي إلى معنى النفاق أي يقول قولين : قول لك في وجهك ؛ وقول عليك في عيبك . يمدحك عناءً ؛ ويذمك سرّاً . يدعي الصداقة والمودة ؛ ويخفي الخيانة والفدر . وأخطر ما في الأمر هو الإيقاع بين الشعب ، وتليغ الأسقف بلاغات مُعرضة ليُفسد الجو على البعض ، ويُركّبي البعض الآخر ، إما للمنفعة أو الكيد أو النعمة أو عن الأخلاق المنحطة بحد دانها . وهكذا تصبح خدمة الشماس من أخطر الخدمات المُجربة للعثرات ، حيث الوقوعة بين الشعب ، وبين الشعب وأسقفه .

كما يركّز بولس الرسول على «الطمع» في الربح المالي بالنسبة للشماس ، لأنه سيفتح باب استغلال الوظيفة للوشاية والإساءة والمحاباة والمحسوبية وتقديم ما لا يجب تقديمه ومع ما لا يجب منعه . وهكذا تحتل موازين العدالة عند الرؤساء بعلم أو بدون علم ، مما يجرح جسد المسيح ويُذميه . وبقية الشروط تضمن سمعة الشماس ورزاقته سلوكه .

أما قوله أن يكون له «سر الإيمان بضمير طاهر» ، فعلينا أن نتذكر قول إستفانوس المثل الأعلى لكل شماس كيف كان له «سر الإيمان» في الشهادة والاعتراف العلني بقلب أسد ، وفي طهارة ضمير لا يخشى لومة لائم ولا سيف القائم .

كذلك وضع بولس الرسول الشروط اللازمة لاكتتاب الأرامل اللائي بدأن يخدمن في الكنيسة ، ولكن خارج دائرة الكهنوت ، حيث تخصّصن للخدمة وسط النساء فقط (١ تي ٥ : ٩ و١٠) .

نظرة عامة إلى الدرجات الكنسية في عصر بولس الرسول :

ولكن وبالرغم من عدم وضوح الحدود الفاصلة بين الدرجات الكهنوتية عند بولس الرسول ، إلا أن الترتيب أو التدبير في الرئاسات الكنسية أخذ صورته الأولى في حياة بولس الرسول . ولعلّ أقوى

صورة معبرة عن علو شأن عملية اختيار المسئولين في الكنيسة، ما ذكره القديس لوقا في سفر الأعمال عند اختيار بولس وبرنابا، وهما رسولان، «لعمل المبشر». فالأسقف وإن أخذ درجته كناظر على الكنيسة ومدبر، إلا أن خروجه للبطريرك خارج دائرة أسقفية يحتاج لعملية روحية أخرى لا تقل في أهميتها وتخصصها وطلب المواهب الخاصة عن رسامته أسقفاً:

+ «فصاموا حيثئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي، ثم أطلقوهما.» (أع ١٣: ٣)
+ «وانتخباهم قسوساً في كل كنيسة ثم صلياً بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به.» (أع ١٤: ٢٣)

وتُعتبر هذه الترتيبات أول «طقس ليتورجي» للكنيسة في رسامات الدرجات الكنسية والذي أصبح سمة جوهرية من سمات إنشاء الكنيسة الروحية.

أما الواجبات الملقاة على الأعضاء العاملين في خدمة الكنيسة فتوضحها الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي:

+ «ثم نسألكم أيها الإخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم في الرب ويُنذرونكم، وأن تعتبروهم كثيراً جداً في المحبة من أجل عملهم...،
أنذروا الذين بلا ترتيب، شجعوا صغار النفوس، أسندوا الضعفاء تأثروا على الجميع...»
(١ تس ٥: ١٢-١٤)

وبحسب التقليد^(٢) المنحدر لنا من أوريجانوس، فإن أول أسقف على كنيسة تسالونيكي في ذلك الوقت هو نفسه غايس الذي قال عنه بولس الرسول: «مُصَيِّفِي ومُصَيِّفِ الكنيسة كلها» (رو ١٦: ٢٣)، حينما نزل عنده بولس وهو في كورنثوس.

وحينما نعود إلى وضع الرئاسات الكنسية في فيليبس، وهي الكنيسة التي أرسل إليها رسالة من مسجن روما سنة ٦٢م، أي بعد بدء خدمته التبشيرية (سنة ٤٨م) بأربع عشرة سنة، فنفهم منها أنه قد استقر وضع «الأساقفة والشمامسة» حيث هنا بحسب التقليد يكون إبيافروديتس Epaphroditus هو الأسقف الأول:

+ «وأثنى بالرب أنني أنا أيضاً سأتي إليكم سريعاً، ولكنني حسبْتُ من اللازم أن أرسل إليكم أبفروديتس أخي، والعامل معي، والمتجشِّد معي، "ورسولكم"، والخاص لحاجتي.» (في ٢: ٢٤ و٢٥)

كذلك كان من ضمن هؤلاء الأساقفة أكليمندس الذي صار فيما بعد أسقفاً على روما بحسب ما كتب بولس أيضاً إلى فيليبي:

+ «نعم أسألك أنت أيضاً، يا شريكى المخلص، ساعدْ هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع أكليمندس أيضاً وباقي العاملين معي، الذين أسماؤهم في سفر الحياة.» (في ٤: ٣)

فنحن إذ نسمع بعد ذلك عن ترتيبات كليمندس أسقف روما في كنيسة، ندرك كيف بدأ التقليد يأخذ أصوله، منحدرًا من الترتيب الرسولي.

ومن الرسالة التي أرسلها بولس الرسول إلى تيموثاوس في أفسس، ندرك مدى خطورة عمل الأسقف بصفته الرئاسية المُهابة التي استلمها من الرسل، لأن مقاومة المهرطقة من أصعب المواجهات التي واجهتها الكنيسة المبتدئة:

+ «كما طلبت إليك أن تمكث في أفسس، إذ كنتُ أنا ذاهباً إلى مكدونية، لكي توصي قوماً أن لا يُعلِّموا تعليماً آخر، ولا يصفوا إلى خرافاتٍ وأنسابٍ لا حدَّ لها تُسبِّب مباحثاتٍ دون ببيان الله الذي في الإيمان.» (١ تي ١: ٣ و ٤)

+ «هذه الوصية، أيها الابن تيموثاوس، أستودعُك إياها حسب النبوات التي سبقت عليك لكي تحارب فيها المحاربة الحسنة.» (١ تي ١: ١٨)

أما تنقُّل الأساقفة فكان في البدء وارداً بحيث يحل واحد محل واحد لكي تبقى الكنيسة محدودة التدبير غير منقسمة، هذا نقرأه بخصوص كنيسة كريت وأسقفها تيطس:

+ «حينما أرسل إليك أرتيماس أو تيخيكس، بادِر أن تأتي إليَّ إلى نيكوبوليس لأنني عزمْتُ أن أشتي هناك.» (تي ٣: ١٢)

والملاحظ لو تتبعنا الترتيبات الكنسية منذ أول خدمة بولس الرسول حتى النهاية نجد أن النمو في التحديد بالنسبة للدرجات وارد، ولكن النمو في التحديد بالنسبة للاختصاصات غير واضح. ولكن الكنائس كانت تُخدم بمجمع قسوس أو أساقفة *πρεσβύτεροι, ἐπίσκοποι* والشمامسة، وذلك كله تحت رعاية بولس الرسول المباشرة. وهذا هو السر في عدم وضوح درجة الأسقف بمفهومها الفردي كمتروئس على الإكليروس، في كل الرسائل، إذ يرجع ذلك إلى أن القديس بولس كان هو المدبِّر الوحيد — على مدى خمسة عشر عاماً — لجميع الكنائس والمتصرِّف في كل ترتيباتها (٢ كو ١١: ٢٨). لذلك لم يكن من الممكن أن يأخذ أي فرد من الإكليروس سواء سُمِّي قسيساً أو أسقفًا صلاحيات الأسقف كمدبِّر وحيد، طالما كان بولس الرسول هو المسئول.

ولكن بمجرد أن سلم بولس وديعته وانطلق إلى من أحبه، ظهر في الحال الأساقفة: غايس في كورنثوس، تيطس في كريت، تيموثاوس في أفسس، وربما لوقا في فيلبي، وكليمنس في روما، وأبفروتس في فيلبي، وظهرت معهم طبقة من الكهنة ثم الشمامسة كدرجات واضحة.

أما في كنيسة أورشليم وأنطاكية وروما (والإسكندرية منذ سنة ٤٥ م) فقد بدأت الدرجات الثلاث: الأسقف والقسيس والشماس مع قيام هذه الكنائس وفي وجود الرسل. فنحن نعرف أن القديس مرقس الإنجيلي أسس كنيسة الإسكندرية سنة ٤٥ م، وعُيِّن فيها إنيانوس أول أسقف منذ دخوله مصر قادماً إليها من القيروان في ليبيا.

كذلك لا نستطيع أن نفعل عمل المواهب النشطة في الكنائس المبتدئة التي كانت تُغني كثيراً عن وظائف التنظيم والتعليم، لأنها كانت مواهب تختص بذلك بالدرجة الأولى، كما نرى ذلك في كنيسة كورنثوس سنة ٥٧ م، التي يخاطبها بولس الرسول معترفاً بغنى النعمة والمواهب العاملة فيها: + «أشكر إلهي في كل حين من جهتكم على نعمة الله المعطاة لكم في يسوع المسيح، أنكم في كل شيء استغنيتم فيه في كل كلمة، وكل علم، كما بُتت فيكم شهادة المسيح، حتى إنكم لستم ناقصين في موهبة ما.» (١ كور: ٤-٦)

ولكن هذا النشاط «الخازناتك» أي الموصول بالمواهب لم يَدُم كثيراً في الكنائس الأولى.

ثانياً: التدبير الكنسي

قوة الضبط والربط في الكنيسة:

بمجرد أن نشأت الكنيسة كجماعة متحدة مترابطة ذات حياة خاصة وأهداف واحدة، أصبح من الطبيعي أن يكون لها سلطان أن تحكم وتضبط به نفسها لتستمر وتنمو. وسلطان انضباط وحكم الكنيسة يأتيها من الله.

+ «احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه.» (أع ٢٠: ٢٨)

هنا الروح القدس هو المدبّر الأول والأعلى، الذي عيّن واختار هؤلاء الأساقفة، وهو الذي بالتالي يضبط ويحكم. هذا اعتراف بولس الرسول الأخير وهو يودّع هؤلاء القادة، لكي لا يراهم مرة أخرى، فهو يسلمهم لليد العليا التي سترعاهم بالدرجة الأولى. أما رعايتهم هم للشعب فهي من تحت هذه اليد وعقتضى قيادتها ومشورتها.

هنا سلطان الأساقفة واضح أنه متعلق بالدرجة الأولى بمدى طاعتهم لصاحب السلطان الحقيقي الذي أقامهم وائتمنهم. إذاً يلزم التفريق بين السلطان الذي يدبر الكل وعلى طول المدى بالنسبة للكنيسة وهو الله، والسلطان المحلي والمؤقت الذي يباشره الأسقف من تحت سلطان الله وبمشورة منه. هذا نتعلمه ونستمد معرفته من بولس الرسول، الذي كان يستمد معرفته وتصرفه من المسيح نفسه:

+ «وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب ...» (١ كو ٧: ١٠)

+ «وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب ...» (١ كو ٧: ١٢)

+ «وأما العذارى فليس عندي أمرٌ من الرب فيهن، ولكنني أعطي رأياً ...» (١ كو ٧: ٢٥)

عل أن سلطان الأسقف أولاً وأخيراً هو قائم على أساس مقدار تمسكه بوصايا صاحب السلطان الأعلى الذي يستمد منه سلطانه، وذلك إزاء كل تعليم مغالف:

+ «إن كان أحد يحسب نفسه نبياً أو روحياً فليعلم ما أكتبه إليكم أنه وصايا الرب.»

(١ كو ١٤: ٣٧)

+ «لذلك أكتب بهذا وأنا غائب لكي لا أستعمل تجزئاً وأنا حاضرٌ حسب السلطان الذي

أعطاني إياه الرب للبنيان لا للهدم.» (٢ كو ١٣: ١٠)

+ «إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون. هادمين ظنوناً وكل غلو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح، ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان، متى كملت طاعتكم.» (٢ كو ١٠: ٤-٦)

واضح هنا سلطان الله الذي يعمل من تحته بولس الرسول بكل ثقة وأمانة وحزم معاً.

على أن سلطان الكنيسة لا يعمل خارج الكنيسة، وإن عمل فهو في حدود المناذاة بالحق فقط:

+ «لأنه ماذا لي أن أدين الذين من خارج. أنتم أنتم تدينون الذين من داخل؟
أما الذين من خارج فالله يدينهم، فاعزلوا الحبيث من بينكم.» (١ كو ٥: ١٢ و ١٣)
+ «لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا.» (أع ٤: ٢٠)
+ «فأجاب بطرس والرسل وقالوا: ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس.» (أع ٥: ٢٩)

أما السلطان الذي للكنيسة للحكم على المؤمنين الذين فيها فهو مسنود بحق الروح الذي أعطاه الكنيسة للمؤمنين ليكونوا أعضاء فيها بالعمودية، التي وهبتهم الحياة الجديدة، والإفخارستيا التي وهبتهم مغفرة الخطية، فهي لها أن تحاسب بعد ذلك:

+ «أكتب للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين، أني إذا جئت أيضاً لا أشفق.»
(٢ كو ١٣: ٢)

+ «لأنني أخاف إذا جئت أن لا أجدكم كما أريد وأوجد منكم كما لا تريدون ...،
أن يذلني إلهي عندكم إذا جئت أيضاً، وأنوح على كثيرين من الذين أخطأوا من قبل ولم يتوبوا عن النجاسة والزنا والعهارة التي فعلوها.» (٢ كو ١٢: ٢٠ و ٢١)

+ «لا تقبل شكاية على شيخ إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود. الذين يخطئون، ويُبهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقين خوف.» (١ تي ٥: ١٩)

أصناف التأديب وأنواع العقوبة:

كانت العقوبات عند القديس بولس تنحصر في ثلاث: التوبيخ، العزل المؤقت، الحرمان أو القطع.

أ - التوبيخ:

كان من أولى مسؤوليات أساقفة الكنيسة توبيخ كل من تسوّل له نفسه عمل الشر والخروج عن الحدود. وكانت هناك طريقتان للتوبيخ:

الأولى: التوبيخ الحبي الأبوي أو الأخوي ويجري في كتمان بين المسئول والمخالف (١ تي ٥: ٢٠).

والثانية: التوبيخ العلني الجماعي (١ تي ٥: ٢٠) وينفذ رسمياً في وسط الجماعة بتعيين الوقت والإعلان عن ذلك مُسبقاً، وهو إجراء أفسى من الإجراء السالف، وغالباً يلجأ إليه الرئيس بعد فراغ صبره واستنفاد فرص التوبيخ الخاص.

وهذان النوعان من التوبيخ، إنما يُمهدان لإجراء عقوبة أشد خطورة.

ب - العزل:

+ «الرجل المستدغ αἰρετικόν بعد الإنذار مرة ومرة، أعرض عنه عالماً أن مثل هذا قد انحرف، وهو يخطيء محكوماً عليه من نفسه.» (١ تي ٣: ١٠)

ج - الحرمان أو القطع:

وهذا الإجراء له أيضاً شكلان:

الأول: وضع المشاغب أو مثير الشجار أو المؤذي بكثرة عثراته، تحت الحجر، أي الملاحظة والمتابعة، مع قطع مؤقت من الشركة وعدم الخلطة مع الآخرين حتى ينصلح حاله ويتوب.

+ «فاعزلوا الخبيث من بينكم.» (١ كو ٥: ١٣)

+ «وإن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة فيسؤوا هذا ولا تخالطوه لكي ينجل، ولكن لا تحسبوه كعدو بل أنذروه كأخ.» (٢ تس ٣: ١٤ و١٥)

+ «أفأنتم منتفخون وبالحمري لم تنوحوا حتى يُرْفَع من وسطكم الذي فعل هذا الفعل، فإنني أنا كأني غائب بالجد ولكن حاضراً بالروح، قد حكمتُ كأني حاضر في الذي فعل هذا هكذا:

باسم ربنا يسوع المسيح، إذ أنتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح، أن يُسَلَّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع.» (١ كو ٥: ٢-٥)

الثاني: وهو الحرمان الكلي والقطع النهائي. ولكن هذا يلجأ به القديس بولس الرسول ولكن

لم يستخدمه قط، فهو في الآية (١ كو ٥: ٢-٥) الذي حكم بتسليم هذا الفاجر الذي يزني مع امرأة أبيه ولا يتوب، أسلمه للشيطان لهلاك الجسد. هذا حسن ولكن عاد هو نفسه وسحب هذا الحكم العنيف المخيف بكلام يذوب محبة ولطفاً وإشفاقاً ودموعاً:

+ «مثل هذا يكفيه هذا القصاص الذي من الأكثرين (العزل والتوبيخ) حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحمري، وتغزونه لتلا يُثَلَّع مثل هذا من الحزن المفرط. لذلك أطلب

أن تُمَكِّنُوا له المحبة ... لئلا يطمع فينا الشيطان لأننا لا نجعل أفكاره.» (٢ كور ٢:

١١-١٦)

من هذا نفهم روح الضبط والربط في الكنيسة عند بولس الرسول، فهي حارسة على الحق ولا تستمرض قوتها وسلطانها خُلُوًا من عبة وإشفاق وعطف ولطف فائق على أخطى الخطاة!! ليس للتخويف والإرهاب تعاقب، ولكن لتمكين التوبة وإعادة السيرة الطاهرة. فالكنيسة عند بولس الرسول هي «عمود الحق وقاعدته» (١ تي ٣: ١٥)، وليست محكمة وجلادين ورجم حجارة كالذي عند اليهود. فوصايا المحبة التي سلّمها العريس لا تصلح أن تكون بنود تعذيب!!!

نظرة عامة لحياة الكنيسة الفنية في أيام بولس الرسول:

كانت الكنائس كلها خاضعة لتدبير بولس الرسول، بأساقفتها وقسوسها وشمامستها، ولأن يد بولس الرسول كانت هي العليا، لم تظهر أنشطة الدرجات، وإن ظهرت أسماؤها بتحديد. علماً بأن أقدم الكنائس في أيام بولس لم يتعدّ عمرها اثنتي عشرة سنة منذ الإنشاء، لذلك لم يكن من المعقول أن تظهر الكنيسة بكامل صورتها التي في ذهننا الآن.

ولكن أوضح معالم الكنيسة الجديدة في أيام بولس الرسول هي المواهب التي سكبها الله على هذه الكنائس بسخاء، وخاصة عامة الشعب، حيث ظهرت فيه جميع فئات المواهب الخادمة والعاملة بصورة مذهلة للعقل:

+ «فإن اجتمعت الكنيسة كلها في مكان واحد وكان الجميع يتكلمون بألسنة ...، ولكن إن كان الجميع يتنبأون ...،

متى اجتمعتم، فكل واحد منكم له مزمور، له تعليم، له لسان، له إعلان، له ترجمة، فليكن كل شيء للبنیان.

إن كان أحد يتكلم بلسان، فاثنتين اثنتين، أو على الأكثر ثلثة ثلثة، وبترتيب، وليترجم واحد! ...،

أما الأنبياء فليتكلم اثنان أو ثلثة وليحكم الآخرون،

ولكن إن أعلن الآخر جالس فليسكت الأول!

لأنكم تقدرون جميعكم أن تنبأوا واحداً واحداً، ليتعلم الجميع ويتعزى الجميع،

وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء.» (١ كور ١٤: ٢٣-٣٢)

والقديس بولس يعطينا صورة واضحة جداً لحال الكنيسة وهيئتها من الداخل بالنسبة لجميع

الفئات العاملة ودرجاتها الروحية الناشطة فيها هكذا:

+ «فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين ثم قوات، وبعد ذلك مواهب شفاء، أعواناً تدابير وأنواع أسنة.» (١كو١٢: ٢٨)

وبسبب وجود هذا النشاط الروحي المكثف من الشعب وبالشعب كانت حاجة الكنيسة آتخذ إلى شيء واحد فقط هو التنظيم والربط بين المواهب للاستفادة الصحيحة، والردع للخارجين عن التعليم الصحيح، والضغط والربط، حتى لا يفلت زمام الخدمة. أما الخدمة بعد ذاتها، فكان الشعب يخدم بالروح مباشرة وتنتقل المواهب بينهم بسرعة وبلا وسيط. ولكن لم تَدُم هذه الحالة إلا لزمان محدود يسمى في التاريخ الكنسي بزمان الأنبياء، وهو الذي يلي زمن الرسل مباشرة قبل أن يستقر في يد الأساقفة والإكليروس. ولكن ظلت المواهب تعمل في الكنيسة في وسط الشعب إلى زمن ليس بقليل.

ومعروف أن قيام الأنبياء في الكنيسة ظهر منذ يوم الخمسين عندما حلّ الروح القدس على جميع الحاضرين (١٢٠ نفساً)، وقد أعطى الله الأنبياء كل مواهب الرسل في الإعلان عن المسيح بالروح:

+ «الذي في أجيال أُنْخِر لم يُعرف به بنو البشر، كما قد أعلن الآن لرسله القديسين وأنبيائه بالروح.» (أف ٣: ٥)

+ «مبنيّين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية.» (أف ٢: ٢٠)

صورة الكنيسة الروحية في ذهن بولس الرسول:

+ «... كيف يجب أن تتصرف في بيت الله oikos θεου الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته.» (١تي ٣: ١٥)

الكنيسة هنا هي كنيسة الله الحي، هي عائلته. فاليبت هنا لا يأتي إطلاقاً بمعنى البناء المادي، حيث عمود الحق هو المسيح الذي يحمل الكنيسة ككل. والقاعدة هنا هي قاعدة الحق المؤسسة على استعلان الآب والابن. والمهم هنا هو كلمة «بيت» فالكنيسة عائلة، أهل بيت الله (أف ٢: ١٩) القديسين، عائلة موحدة في الرأس. هنا نشعر كيف جمع بولس الرناسات الكنسية مع الشعب في ألفة الأسرة الخاضعة لبعضها، والكل خاضع للرأس. وهي تسير معلنّة عن الحق الذي فيها، نحو الأبدية، وضد تيارات العالم المعاكسة، ولن يقوى عليها العالم، فأبواب الجحيم لن تقوى عليها، لأن عمودها الذي يسير بها قاعدته في السماء.

الباب السادس

الحياة المسيحية والأخلاق

عند القديس بولس^(١)

(١) سبق أن عرضنا أكثر من مرة في المصطلح السابقة بعض النواحي من «أخلاقيات بولس الرسول» واتصالها بالموضوعات الأخرى:

أنظر صفحات ١٠٤—١٠٨	«الأخلاقيات عند القديس بولس تنبع من ظهور الرب له».
صفحات ٢٧٣—٢٧٦	«القيم الأخلاقية لمر القداء».
صفحة ٣٨٣	«البر والأخلاق في المسيحية عند بولس الرسول».

الفصل الأول

الأسس الأولى للأخلاقيات

عند القديس بولس

يقبول المسيح رباً ومخلصاً، بحسب بولس الرسول، ينتهي ناموس موسى^(٢) بكل مدخراته في الأدب والأخلاق والسلوك. هذا يوجب الانتقال من ناموس العبودية بوصايا تختص بالمستعبدين للخطايا، إلى ناموس الحرية المختص بأولاد الله.

+ «إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبني الذي به نصرح يا أبا الآب. الروح نفسه أيضاً يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله.» (رو١٥ : ١٦ و ١٧)

كان ناموس موسى له روح التأديب — من نحو العبيد — بالعصي والوسط والرجم بالحجارة حتى الموت، ولكن في المسيح انتهى عهد التأديب وجاء زمان الحب. والمحبة أقوى من الموت.

+ «إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح، لكي نتبرر بالإيمان. ولكن بعد ما جاء الإيمان، لستنا بعد تحت مؤدب، لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع.» (غل ٣ : ٢٤-٢٦)

قانون التأديب بناموس موسى الخاص بعيد الخطية والأموات فيها، أنشأ بوصاياها الثغلة عقوبات لا حد لها؛ هذه مرقها المسيح على الصليب ليُنهى عهد العبيد.

+ «إذ عا الصليبي الذي عليها في العرائض الذي كان صلياً لنا، وقد رفعه من الوسط (ما بين الإنسان والله) مسجراً إياه (في جسده) بالصليب (على الصليب).» (كو ١٤ : ١٤)

+ «ونقضى حائط السياج المتوسط (القائم بالناموس بين اليهود والأمم)، أي العداوة، مُبطلًا

(٢) حينما يُقَدَّر «ناموس موسى» فهذا بالتحديد هو خمسة الأسفار لموسى فقط وهي الخاصة بتقنين الحارثين من مصر، ولا يدخل فيه بقية أسفار العهد القديم: يشوع واقصاة والملوك والأنبياء والرميز

بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً.»
(أف ٢: ١٤ و ١٥)

وهكذا جوت المسيح على الصليب انتهت كل علاقة تربطنا بناموس التأديب الأخلاقي الخاص بالعبيد، عبيد الخطية.

+ «إذاً، يا إخواني، أنتم أيضاً قد مُثِّم للناموس بجسد المسيح، لكي تصيروا لآخر (لغير الناموس)، للذي قد أُقيم من الأموات لئُثمر لله.» (رو ٧: ٤)

+ «وأما الآن فقد تحررنا من الناموس، إذ مات الذي كنا مُستكين فيه (الجسد العتيق)، حتى نعبد بجِدة الروح لا بعق الحرف.» (رو ٧: ٦)

إذاً، فالمسيح بموته حررنا من ناموس العبودية والموت، وأصبح علينا أن لا نعيش فيه:
+ «فأثبتوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضاً (ثانية) بنير عبودية.»
(غل ٥: ١)

ولكن إلى أي مدى يستمر الإنهاء والاستغناء عن ناموس موسى؟
يقول الكثيرون من الشُّراح، بحسب تفكيرهم، إن ناموس موسى شقَّان: شقٌّ ذبائحي احتفالي، وشقٌّ أخلاقي، وأن الذي انتهى هو الذبائحي والذي يبقى هو الأخلاقي. ولكن بولس الرسول لا يرى ذلك ولم يقل به، فناموس موسى كلٌّ لا يتجزأ، عاش بحدافيره وانتهى بحدافيره.

لقد انتهى بولس الرسول من ناموس موسى ككلٍّ، يوم أن استُعْلِن له المسيح، وجاهر بذلك علناً بعد مجمع الرسل الأول في أورشليم سنة ٥٠ م، وقبل أن يكتب سطرأ واحداً في أية رسالة من رسائله، وظل ثابتاً على ما استقر عليه حتى النهاية. وكان ذلك بشهادة وموافقة من الرسل في أورشليم:

+ «حينئذ رأى الرسل والمشايع مع كل الكمية ... وكتبوا بأيديهم هكذا: الرسل والمشايع والإخوة يهدون سلاماً إلى الإخوة الذين من الأمم ... إذ قد سمعنا أن أناساً خارجيين من عندنا أزعجوكم بأقوال مُقلِّبين أنفسكم وقائلين أن تحتثوا وتحفظوا الناموس، الذين نحن لم نأمرهم، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة ... لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثقلأ أكثر غير هذه الأشياء الواجبة: أن تمتنعوا عما ذُبِح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا، التي إن حفظتم أنفسكم منها فيعمّا تفعلون. كونوا معافين.» (أع ١٥: ٢٢-٢٩)

ولكن قد خيَّب بولس ظنَّ كل مَنْ تصور أنه حتماً سيضع ناموساً للمسيحية أفضل من الناموس الذي وضعه موسى، على مثاله أو مستمداً منه. هذا لم يخطر حتى على نال بولس الرسول، بل وضع في مقابل الناموس في العهد القديم بجملته نعمة المسيح في العهد الجديد، حيث الناموس الأول قيود والنعمة الجديدة حرية:

- + «فإن الخطيئة لن تسودكم، لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (رو ٦: ١٤)
- + «ولكن قبلما جاء الإيمان، كنا محروسين تحت الناموس مُثَقَّلًا عينا.» (غل ٣: ٢٣)
- + «ولكن إذ انقذتُم بالروح، فلستم تحت الناموس.» (غل ٥: ١٨)

ولكن النعمة عند بولس الرسول هي «دائرة حكم الله» التي يدخلها البنون، فهي أيضاً ذات التزامات، ولكن يا لها من التزامات! فالقانون الذي يضبطها هو المحبة الإلهية وقيادة الروح القدس والمواهب والعطايا المجانية من عند أبي الأنوار. فالنعمة ناموس، ولكن ناموس الروح لا احرف، وهي قانون، ولكن قانون الحياة وليس الموت. قانون الحياة لحياة فوق الطبيعة، حياة في الله و معه:

- + «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الفُرْلة، بل الخليقة الجديدة. وكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة وعلى إسرائيل الله.» (غل ٦: ١٥ و ١٦)

ولكن الخليقة الجديدة، وهي الإنسان الجديد الحائز على حرية البنين لله، لها ناموسها الذي انبثقت منه أي «الصليب»: «احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح» (غل ٢: ٢). هنا، عَوَضَ ثَقْلُ الناموس القديم الذي «لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله» (أع ١٥: ١٠)، استبدله بولس الرسول بثقل الصليب، أي البذل الذي هو عمل المحبة ونقل الصليب سبق أن عبَّر عنه المسيح أنه هَيِّنٌ وخفيف إذا قس بناموس موسى: «احملوا بيري عليكم وتعلموا مني ... لأن نيري هَيِّنٌ وجِثلي خفيف.» (مت ١١: ٢٩ و ٣٠)

لأنه وإن كانت النعمة في المسيح قد وهبت الحرية — عوض عبودية الناموس — ولكنها ليست حرية لاستخدام الجسد بل هي حرية الروح الذي يعمل ضد الجسد، يخلصه وينمعه ويسمعه:

«هإنكم إنما دُعِيتُم للحرية، أيها الإخوة. غير أنه لا تصبروا الحرية فرصة للجسد، بل بالمحبة اخذموا بعضكم بعضاً.» (غل ٥: ١٣)

ضابط الحرية في ناموس المسيح "الضمير":

الضمير عند بولس الرسول هو مركز النبض الروحي، إنه يضخ دم المسيح في عروق الإنسان الجديد بالروح الأزلي، روح الحياة في المسيح القادر على التطهير الفعلي. وضمير الإنسان، كل إنسان، هو مستعبد للخطيئة، والخطيئة يستحيل أن يتحرر منها الإنسان إلا بالموت. وهكذا كل مَنْ

نال قوة الموت في موت المسيح، فإنه يكون قد تحرر من الخطية وذاق حرية مجد أولاد الله. والمعمودية تعطي جوار هذه الحرية كصكّ تغير طبيعة وانتقال من حالة العبودية للخطية إلى حالة حرية البنين في المسيح. فالإنسان المسيحي حرٌّ بمقدار تحرُّر ضميره من عبودية الخطية والخوف من الموت.

الضمير في مفهوم بولس الرسول هو أن يعرف الإنسان نفسه، على مستوى أن يعرف كيف يلبس الإنسان نفسه أخلاقياً، ليس على مستوى الناموس بعد. لأنه على مستوى تميم وصايا الناموس، يمكن أن يكون الإنسان باراً، بينما على مستوى الإحساس الأخلاقي نجد أن الضمير يصرخ. وهذه المفارقة الخطيرة بين برّ الناموس الشكلي وبرّ الحق في الضمير، عانى منها بولس الرسول بشدة، فهو في الوقت الذي يشهد لنفسه أنه كيهودي قد أكمل البر الذي في الناموس بلا لوم (في ٢: ٦)، يعود هو نفسه ويصرخ من جهة الضمير: «ويحي أنا الإنسان الشقي مَنْ يَنقِذُنِي مِنْ جسد هذا الموت.» (رو ٧: ٢٤)

لذلك استطاع بولس الرسول أن يعطف على الأحمي ويكتشف في ضميره ناموساً يمكن أن يتبع الحق: «فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس، هم ناموس لأنفسهم، الذين يُظهرون عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم، شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة.» (رو ١٤: ١٥)

بهذا ابتدأ عمل الضمير عند بولس الرسول يتصح ليأخذ صورة ذات فعالية في المسيحية، يضبط بها الحرية الموهوبة للإنسان الجديد ليسلك فيها:

+ «أقول الصدق في المسيح، لا أكذب، وضميري شاهد لي بالروح القدس.» (رو ٩: ١)

+ «لأن فخرنا هو هذا شهادة ضميرنا ...» (٢ كو ١٢: ١)

وبولس الرسول يجعل الضمير قِيَمًا على الوصية عوض الناموس الحربي ومعلّمه كثة ومريسين:

+ «وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء.» (١ تي ١: ٥)

+ «هذه الوصية أيها الابن تيموثاوس أستودعك إياها ... لكي تحارب فيها المحاربة الحسنة ولك إيمان وضمير صالح.» (١ تي ١٨ و ١٩)

+ «كذلك يجب أن يكون الشمامسة ... ولهم سر الإيمان بضمير طاهر.» (١ تي ٣: ٩ و ٨)

هنا شرط إقامة الشماس على الخدمة ينتقل من الامتحان والفحص بواسطة آخرين إلى شهادة ضمير الشخص نفسه. بهذا يأخذ ناموس المسيح وخدمته أخطر مراقب وأقدر قاضٍ وأصدق شاهد: ضمير الإنسان!

هنا إدخال الضمير كشاهد على أعمال الإنسان وسلوكه وأخلاقه، يرفع مستوى الناموس الذي يعيش به ويعيش له إلى أعلى الآفاق، فالضمير يستمد وقْبه من الحق الإلهي وروح الكلمة في الإنجيل.

هكذا يبدأ بولس الرسول يتخذ من ضمير المسيحي مراقباً أخلاقياً وسلوكياً يُحسن الحكم والتصرف، وهو يضمه كأساس للتعامل مع الدولة وخدامها: «لنتخضع كل نفس للسلطين الفائقة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلطين الكائنة هي مُرتبة من الله حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله ... لذلك يلزم أن يُخضع له ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الضمير.» (رو ١٣: ١-٥)

هكذا يرفع بولس الرسول مستوى الضمير كرقيب فوق تصرفات الإنسان فيما يخص العلاقات التي نفس الله وترتيبه ووصاياه. وواضح من الأمثلة السالفة أن بولس الرسول يفرق الضمير بالروح القدس والإيمان، وكأنه عطية جديدة انفتحت على الإنسان بنوال حرية البنوة لله. فالضمير هنا أعلى من الحرية، وهو رقيب عليها، مع أنه عطيتها الأولى والكبرى للإنسان الجديد. فالضمير والحرية هما من تكوين الخليقة الجديدة، يسيران معاً على درب الإيمان — بقيادة الروح القدس إذا اختلف أحدهما، اختلف الآخر.

وهكذا يقف ضمير الإنسان الجديد الذي تحرر وداق حرية أولاد الله وتظهر بالروح من الأعمال الميثة على مستوى النقاوة التي لا يشوبها ريف الخطية: «... حكم بالحرية يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدّم نفسه لله بلا عيب، يظهر ضمايركم من أعمال (الخطية) هيته لتخدموا الله الحي» (عب ٩: ١٤)؛ وذلك في مقابل الضمير الذي لا يزال يعيش في عدم إيمان بفكر نحس وأعمال ميثة ولم ينتفع بدم المسيح: «لهذا السبب وبخهم بصرامه لكي يكونوا أوصياء في الإيمان، لا يُصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق. كل شيء طاهر للظاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً بل قد ننحس ذهنهم أيضاً وضميرهم.» (تي ١: ١٣-١٥)

واضح هنا أن الإيمان الصحيح يُظهر القلب من أعمال الخطية وتصوراتها وخوفها وعبوديتها، ويعطي للضمير صحة ونقاوة وطهارة، فهو يصبح لأن يكون حَكماً وقائداً في المسيرة الأخلاقية للحياة المسيحية.

وبولس الرسول يعطينا صورة لضمير شاهد في ملء ناموس النعمة على كل تصرفات الإنسان:

«لأن فخرنا هو هذا شهادة ضميرنا، أننا في بساطة وإخلاص الله — لا في حكمة جسدية — بل في نعمة الله نصرّفنا في العالم ولا سيما من نحوكم.» (٢ كو ١٢: ١٢)

ولكن يعود بولس الرسول في موضوع الأكل من الذبائح المقدّمة للأوثان، ليعطي قانوناً آخر يهيمن على حرية الإنسان وعلى حكم ضميره وهو عشرة الآخرين.

فهما كانت حريتي في المسيح وطهارة ضميري بحسب الإيمان الصحيح والعلم الصحيح، يلزم أن لا استخدمهما بالنسبة للآخرين خاصة لذوي الضمائر الضعيفة نظراً للإيمان الضعيف الذي يستغذى عليه ضمائرهم، وهو يعطي بذلك المثل: أنه ولو كان لي ضمير صالح لإيمان صالح في حرية المعرفة الصحيحة أن ما دُبِّع للأوثان هو مجرد لحم لا علاقة له بالوثن والوثن بعد ذاته خرافة، وأنه ممكن أن آكل منه غير فاحص بضميري أشياء مثل هذه، إلا أنه لا يصح لي أن آكل من هذا اللحم لا أمام ذلك الذي قدمه لي وهو عالم أنه للوثن لئلا يُحكّم فيّ أنني أوافق الوثن، ولا أمام إنسان ضعيف الضمير ضعيف الإيمان ضعيف المعرفة، يظن أن الذي دُبِّع للأوثان محرّماً، وإلا فإنني أضره وأجرح ضميره أو أشجّع له لكي يأكل الحرام بحسب اعتقاده فيتسبّس ويهلك:

+ «كل ما يُباع في الملحمة كُلّوه غير فاحصين عن شيء من أجل الضمير.» (١ كو ١٠: ٢٥)

+ «ولكن إن قال لكم أحد هذا مذبوح لوثن، فلا تأكلوا من أجل ذاك الذي أعلمكم،

والضمير...

أقول الضمير، ليس ضميرك أنت بل ضمير الآخر، لأنه لماذا يُحكّم في حريتي من ضمير

آخر.» (١ كو ١٠: ٢٨ و ٢٩)

+ «كونوا بلا عثرة لليهود، ولليونانيين، ولكنيسة الله.» (١ كو ١٠: ٣٢)

+ «فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً، بل بالخري احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مصدمة أو

معثرة.» (رو ١٤: ١٣)

+ «فإن كان أخوك بسبب طعامك يُحزّن فليست تسلك بعد حسب المحبة، لا تُهلك بطعامك

ذلك الذي مات المسيح لأجله، فلا يُفترّ على صلاحكم.» (رو ١٤: ١٥ و ١٦)

+ «كل الأشياء طاهرة، لكنه شرٌّ للإنسان الذي يأكل بعثرة.

حسنٌ أن لا تأكل لحماً ولا تشرب خمرًا ولا شيئاً يصطدم به أحوك أو يعثر أو يصعق،

ألك إيمان (ضمير) فليكن لك بنفسك أمام الله، طوبى لمن لا يدين نفسه في ما

يستحسنه،

وأما الذي يرتاب فإن أكل يُدان، لأن ذلك ليس من الإيمان. وكل ما ليس من الإيمان

فهو خطية.» (رو ١٤: ٢٠ — ٢٣)

في الآية الأخيرة التي من رسالة رومية، يأتي «الإيمان» موضع «الضمير» في رسالة كورنثوس، وكلاهما إفراس للحرية التي وهبها المسيح. وهنا «الذي يرتاب» واضح أنه لم يبلغ إلى ملء الإيمان الذي يبلغ ملء الحرية على أساس المعرفة الصحيحة.

نستطيع أن نخرج من هذا أن بولس الرسول يقيم الحرية في المسيح على مرآة الضمير، حيث يرى المؤمن أعماق نفسه على قياس الفداء والبر الذي بالمسيح ومقدار التطهر الحادث بالإيمان: «ولم يميز (الله) بيننا وبينهم بشيء إذ طهر بالإيمان قلوبهم» (أع ١٥: ٩)، وبهذا يشعر المؤمن بالمسيح بضمير بلا لوم أمام الله (أف ١: ٤).

والحرية التي بناها المؤمن وإن كانت تجعله حراً من أحكام الآخرين، ولكنها لا تبرره أمام الله. فضمير المسيحي لا يزال يقتل كل يوم ولا يكف عن الاغتسال: «أتسنى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام» (في ٣: ١٣)، «وأما الروحي فيحكم في كل شيء وهو لا يُخَكِّمُ فيه من أحد» (١ كو ٢: ١٥)؛ «وأما أنا فأقل شيء عندي أن يُخَكِّمَ في منكم أو من يوم بشر، بل لست أحكم في نفسي أيضاً، فإنني لست أشعر بشيء في ذاتي لكنني لستُ بذلك مبرراً.» (١ كو ٤: ٥ و٣)

فحتى ولو كان شعور الضمير بأنه ليس فيه ما يخالف الله لكن هذا الحكم لا يبرره أمام الله.

وبولس الرسول يحذر من أن الضمير ليس هو هو الأداة التي نُعرفنا ما هي مشيئة الله، مهما كان الضمير صالحاً، وذلك في القضايا الأخلاقية التي تواجه المؤمن. ولكن وظيفته الضمير أنه يذكّر الإنسان بقضاء الله وينصحه أن لا يتعدى حدود حريته. فالضمير محاسب ورقيب، ولكن ليس مصدر إدراك وتيقن.

كذلك، فعمل الضمير كمراقب ومحاسب على الحرية التي لناها في المسيح ليس هو صاحب الكلمة الفصل. مكفاءة حكمه محدودة بمحيط إدراكنا لما هو نافع ومناسب ولائق، أما الحكم النهائي فهو لقضاء الله:

+ «فإنني لست أشعر بشيء (خطأ) في ذاتي، لكنني لست بذلك مبرراً،

ولكن الذي يحكم في هو الرب،

إذاً لا تحكموا في شيء (فيما يخص الآخرين وضمانهم) قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب، وحيث يكون المدح لكل واحد من الله.» (١ كو ٤: ٥ و٤)

إن غاية ما يبلغ إليه بنا الضمير الذي تصمى واغتسل بدم المسيح، هو أن لا يلومنا في موقف ما

بمفرده. ولكنه لا يمكن أن يتخطى إلى كل المواقف. وهو حينما لا يلومنا تجاه موقف ما، ففأية ما نبلفه ليس أن نزداد دالة بل أن نزداد ثقتنا بالله، والكلام هنا للمقدّيس يوحنا: «أيها الأحباء إن لم تَلْمُثُوا قلوبنا، فلنا ثقة من نحو الله.» (١ يوحنا ٣: ٢١)

وهكذا تتبلور قيمة الضمير في السلوك الأخلاقي في المسيحية كونه المرأة الداخلية التي يرى فيها المسيحي حريته في المسيح ويفتخر بها، لا من جهة حرية الفعل الأخلاقي، بل حريته من جهة الإحساس بالحرية من الخطية وبالتالي من الدينونة:

+ «إذاً لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح.» (رو ٨: ١)
حيث يكون الضمير الأخلاقي في أوج سعادته.

+ «لأنه إن ظن أحد أنه شيء وهو ليس شيئاً فإنه يفسد نفسه، ولكن ليمتحن كل واحد عمله وحينئذ يكون له الفخر من جهة نفسه فقط، لا من جهة غيره، لأن كل واحد سيحمل حل نفسه.» (غل ٦: ٣-٥)

علامح ناموس الحرية في المسيح:

الحرية عند بولس الرسول ليست فعلاً أخلاقياً أو أدبياً بل طبيعة جديدة للإنسان، تحررت من عبودية الخطية والموت. فالخطية قوة، وقوة الخطية ذات سلطان وسيادة واستعداد كما قال المسيح بالحرف الواحد: «كل مَنْ يعمل الخطية، هو عبيد للخطية» (يو ٨: ٣٤). والتحرير من الخطية يستحيل أن يبلغه الإنسان لا بالفكر ولا بالتصور ولا بالتسك ولا بكل أنواع العادة والصلاة. فالإنسان لا يتحرر من الخطية إلا بالموت، والموت وحده هو الذي يحرر الإنسان من الخطية. المسيحي ينال قوة هذا الموت المحرّر من الخطية بالإيمان، وبقوة سر العماد الذي يعمل قوة الجلجثة وفعل صبغة المسيح بالدم وموته ليتحرر من الخطية كقوة سالبة وطبيعية قاتلة. فهكذا إذ يموت حقاً في سر المعمودية، أي بالشركة في موت المسيح ودفنه ونقوم، فنحن نكون بالحقيقة قد مُتُّنا من الخطية فصرنا أحراراً، وهكذا يتم قول المسيح بالحرف الواحد: «إن حررّكم الابن بالحقيقة تكونون أحراراً» (يو ٨: ٣٦). هكذا نتخلص من قوة الخطية وسلطانها بفعل دم المسيح الإلهي السري الذي يتغلغل كياننا حتى أعماق الضمير: «فكم بالحري يكون دم المسيح (بصبغة المسيح، أي معموديته) ... يظهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي.» (عب ٩: ١٤)

والحرية المسيحية عند بولس الرسول ليست معياراً فلسفياً كأنها إحدى المُدركات العقلية، بل هي حالة سعادة حقيقية وفرح، بل وتهليل وترنيم في القلب لا ينقطع، وشكر في كل حين على كل

شيء. فالحرية المسيحية تحمل برهانها فيها الذي يقطع بالبشر والمسرة على الدوام وفي أشقّ الأتعاب والضحيقات والاضطهادات. ولا يعيب عن بالنا أن سرّ هذه السعادة التي ترافق الحرية وتدفعها يكمن في رفع ثقل الخطية من فوق الضمير ونوال عربون الحياة الجديدة بالروح، التي هي كلها إفرازات تتبع على الدوام من دم المسيح الذي يسري في عروقنا.

وهكذا أضفت الحرية في المسيحية، بطبيعتها الفرحّة السعيدة والمترفة على الدوام والشاكرة على كل شيء وفي كل حين، أجل وأبهج صورة للأخلاق البشرية. وبها ارتفعت مستويات الحياة الإنسانية الجديدة إلى مستوى الخلاص من رثّة الخطية، وهذه هي بعينها حياة الطهارة بجمالها وعيها القَطِر في شموخ الاستقامة.

لكن حرية أولاد الله ليست تصرّيحاً مفتوحاً بلا حدود وقيود. فالخروج من تحت عبودية الناموس كسيد قاي لا يرحم، لا يوصلنا إلى حرية شخصية بلا رقيب، لأننا لم نَنَلْ الحرية باجتهادنا، بل المسيح أدخلنا فيها، فدخلنا تحت سيادته كسيد رفيق ورحيم ومحبوب:

+ «فإنكم إنما دُعِيتُم للحرية، أيها الإخوة، غير أنه لا تُصَيِّرُوا الحرية فرصة للجسد...» (غل ٥: ١٣)

فالمسيح لما رفع بنود ناموس موسى لم يتركنا في فراغ وكأنه لا ناموسٌ أخلاقياً لنا؛ بل كان واضحاً أنه هو قد صار لنا المعلم والسيد عوض الناموس. فإن كان الناموس مُعلِّماً، فقد كان هو المعلم والسَّجَّان معاً؛ أما المسيح فقد أطلق سراح المسجونين ثم جلس يعلّمهم كأحرار. فبدلاً من الناموس الذي قال: «عينٌ بعين، وسنٌ بسنٍّ»، جاء المسيح يقول: «أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مُبغضِيكم، وصلوا لأجل الذين يبغضون إلبكم ويطردونكم.» (مت ٥: ٤٤)

وهكذا ظل المسيح يفتّد حرفيات الناموس الذي يتعامل مع الأعمال الظاهرة للإنسان، بناموس أرقى وأكثر شمولية يتعامل مع الضمير من داخل النفس على أمس من تحرروا فعلاً من عبودية الخطية والموت.

فإذا لمحتنا هذا الناموس الجديد لهذا السيد المبارك من جهة سموه الأخلاقي، أدركنا معنى قول المسيح: «لا تظنوا أنني جئتُ لأُنْقِضَ الناموس أو الأنبياء. ما جئتُ لأُنْقِضَ بل لأُكْمِلَ» (مت ٥: ١٧) *οὐκ ἦλθον καταλῦσαι ἀλλὰ πληρῶσαι*

إذاً، فقد أرسى المسيح ناموساً آخر يتعامل لا بالحرف بل بالروح مع ضمير الإنسان، ومن الداخل على مستوى أعلى وأكمل وأشمل. هذا الناموس أشتاه بولس الرسول بناموس النعمة —

ناموس المسيح — لأن الإنسان الجديد الذي خلقه المسيح بموته وقيامته لم يُعَدَّ يُحْكَم جسدياً، بل بالروح من الداخل حيث تقوده النعمة وترشده، تعتقه وتدنيه، تلقيه على تراب التوبة وتقيمه جديداً مجدداً: «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨: ١٤)، «فإن الخطية لن تسودكم لأنكم لستم تحت الناموس بل تحت النعمة.» (رو ٦: ١٤)

هكذا يتضح أن ناموس الحرية لأولاد الله الذي تصنعه النعمة وتحكم به، تدن للتوبة وتُبرىء لسمجد؛ ليس هو امتداداً لناموس موسى، ولا هو مأخوذ منه، ولا هو حتى من طبيعته، بل إنه لا يمتُّ إليه بصلة على الإطلاق. فذاك ناموس يقتل وهذا ناموس يُحيي؛ ذاك يتعامل مع الجسد وهذا مع الروح.

وبولس الرسول يطلق حدود ناموس حرية أولاد الله حتى لا تكاد تحصره تحت فكر أو بند:
+ «أخيراً أيها الإخوة: كل ما هو حق، كل ما هو جليل، كل ما هو عادل،
كل ما هو طاهر، كل ما هو مُسرٍّ، كل ما صيته حسن،
إن كانت فضيلة، وإن كان مدح، ففي هذه افتركوا.» (في ٤: ٨)

ثم يعود بولس ويضع منهج الهيكل العام لهذا الناموس الذي تقوده النعمة وتحكمه في الضمير، بأن يكون التعليم الذي سلّمه إليهم هو مرجعهم النهائي باعتباره إنجيله الذي استعلنه من المسيح مباشرة: «وما تعلمتموه وتسلمتموه، وسمعتموه، ورأيتموه فيّ، فهذا افعلوا. وإله السلام يكون معكم.» (في ٤: ٩)

هنا بولس الرسول يرسّي قاعدة التقليد الأخلاقي الكنسي الذي سلّمه للكنيسة والذي على الكنيسة أن تُسلّمه للأجيال دون انحراف أو نشاز. وهذا ما تم وصار.

الخضوع الحرّ لناموس حرية أولاد الله:

منذ أن قَبِلَ المسيحي الإيمان واعتمد للمسيح ونُحِرَ إنساناً جديداً روحياً، صارت طاعته لمن خلّصه وفداء ضرورة حتمية ليقوده المسيح في طريق النور والخلود. ولكنها ضرورة تُعقّمها فرحة الإنسان بحلاصه. هو التزام النفس الجديدة للروح الذي نفخ فيها الحياة: «إلى من نذهب، كلام الحياة الأبدية عندك.» (يو ٦: ٦٨)

+ «ألستم تعلمون أن الذي تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة، أنتم عبيد للذي تطيعونه، إما للخطية للموت أو للطاعة للبر. فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخطية ولكنكم أطفئتم من القلب صورة التعليم (الإيمان) التي تسلمتموها. وإذا أُغَيِّمْتُمْ من الخطية صرتم عبيداً للبر...

فلکم ثمرکم للقداسة والنهایة حياة أبدية .» (رو٦ : ١٦-٢٢)

هنا يحمل الکلام معنى أن الذي نال الحرية للحياة بعد عبودية الخطية والموت صار خاضعاً خضوعاً کلیاً ومباشراً لإرادة الله الذي حرره .

وبولس الرسول یربط بین الطاعة الكاملة لله وبين الحرية، منتهى الحرية، التي یدخل بها الإنسان إلى الإيمان بالمسیح ليعتمد ویصطبغ بصبغة المسیح ویصیر له خاضعاً طائعاً بل عبداً، ولكن من مركز الحرية التي دخل بها، وإزاء الحرية الإرادية التي یدخل بها الإنسان إلى الإيمان لیصیر عبداً للمسیح بإرادته، یعطيه المسیح حرية أولاد الله ویلبسه ربي الجندي السامی ویسله أسلحة المحاربة بالروح ضد قوات الظلمة لهذا العالم، لیدافع عن حريته العليا ویدوم فيها بالروح :

+ « فاشترك أنت في احتمال المشقات، كجندي صالح ليسوع المسیح . لبس أحد وهو يتجند یرتبك بأعمال الحياة (بل یجاهد) لكي یُرْضَى مِنْ جَنْدِهِ . وأيضاً إن كان أحد یجاهد، لا یكَلِّلُ إِنْ لَمْ یُجَاهِدْ قَانُونِيًّا .» (٢ تي ٢ : ٣-٥)

+ « ولكي حسبْتُ من اللارم أن أرسل إليکم أنْفِرُودِيْتُسَ أَخِي والعامل معي والمتجند معي ...» (في ٢ : ٢٥)

+ « ... وأرجس المتجند معنا وإلى الكنيسة التي في بيتك .» (غل ٢)

أسلحة الدفاع الأخلاقي :

وإن كانت الجنندية هي أشرف مهنة لدى بولس الرسول لیصوّرها كربة روحية تخدم المسیح المدعوقديماً «رئيس جند الرب»، فأسلحة الجنندية السماوية هي الموط بها الدفاع عن الحرية الأخلاقية اللاتقة بالمواطن السامی . وقد اقتبس بولس الرسول فكرتها من إشعاء النبي حينما كان یصف المسیح وهو متجند للخلاص (إش ٥٩ : ١٦ و ١٧) :

+ « وأما سجن الذین من سهار فلننضخ لابسين درع الإيمان والمحبة، وخوذة هي رجاء الخلاص ...» (١ تس ٥ : ٨)

+ « المبسوا سلاح الله الكامل، لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكاید إبليس . فإن مصارعنا (الأخلاقية) ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات . من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا (أخلاقياً) في اليوم الشرير، وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا، فاثبتوا بمنطقين أحقاء کم بالحق، ولا بسین درع البر،

وحاذين (يلبس الحذاء) أرجلكم باستعداد (البشارة) إنجيل السلام،
حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرُونَ أن تطفئُوا جميع سهام الشرير الملتهبة،
وتخذُوا خوذة الخلاص،

وسيف الروح الذي هو كلمة الله،
مُصلِّين بكل صلاة وطلبه كل وقت في الروح،
وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبه لأجل جميع القديسين.» (أف : ٦ : ١١-١٨)

ونلخص هذه الأسلحة في ستة أنواع :

١ — حزام الوسط (منطقة على الحقون) الذي يُعلّق فيه السيف الذي يرمز إلى الحق :
« ويكون البرُّ مِنطَقةً مَثْنِيَةً ، والأمانة (الصدق والحق) مِنطَقةً حَقَوِيَّةً . » (إش : ١١ : ٥)
هذا السلاح «الحق» من أهم أسلحة المحاربة الخلقية (للبر) الذي به يُميّز المسيحي
ويُفَرِّقُ حيل الكذاب وأبي كل كذاب .

٢ — درع البر : θώραξ ، «البرُّ» هنا يعني يجعل الفضائل اللازمة لحماية القلب والضمير
مركز الحياة الأدبية :

«فرأى أنه ليس إنسان، وتغيّر من أنه ليس شفيح فخلّصَتْ ذراعه لنفسه، وبرّه هو
عضده،

فلبس البرّ كدرع، وخوذة الخلاص على رأسه وليس ثياب الانتقام كلباس واكتسى
بالغيرة كرداء. » (إش : ٥٩ : ١٦ و ١٧)

٣ — الحذاء (الصندل — النعلين)، وهو خفيف ومُخَكِّم على القدم بعبيراً عن المهمة
والاستعداد السريع للسفر.

٤ — ترس الإيمان : θώραξ وهو الترس العريض (٤ قدم x ٢ قدم)، مصنوع من البرونز
ومُثَقَّلٌ بالجلد، وهو الحامي من ضرب السهام وحاد السيف، وهو يحمي الجسم كله ما
عدا الساقين .

٥ — خوذة الخلاص : περικεφαλαία (إش : ٥٩ : ١٧) رمز الخلاص أو رجاء الخلاص
ليحمي العقل من صواعق الأفكار التي يقذفها العدو من فوق الإنسان وأعلى من تصوره .
فرأس الإنسان هدف مكشوف للعدو وأول مكان يلقي فيه سمومه .

٦ - سيف الروح: μάχαιρα قوة الله المذخرة في كلمته، وهو ليس السيف الطويل ἔφεος ذا الحدة الواحد، ولكنه السيف القصير العريض ذو الحدين. وهو الفئال في مصادمة الهجوم الذي يسطوي على الفش والباطل والخداع؛ حيث بالكلمة الفاحصة الكاشفة بقوة الروح تتعرى حيل العدو وتبطل.

بولس الرسول كان يعيش بإحساس من تجنّد بالحق في خدمة جيش الخلاص تحت إمرة رئيس جنود الرب: «أنا الله القدير - إيل شداي» (تك ١٧: ١)، وقد وقف رافعاً يده نحو السماء مؤدياً القسم أن يكون أميناً على حياة سيده وخدمته، رافعاً راية الخلاص حتى يقع ميتاً في ساحة الفداء. فكانت صور الحرب والنزال مع العدو المختفي لا تفارق فكره:

+ «من تجهّد قط بنفقة نفسه؟» (١ كو ٩: ٧)

فكان يستلم قوته وثباته وإيمانه وفرحه وصبره من يد الرب يوماً فيوماً:

+ «في كلام الحق، في قوة الله بسلّاح البرّ لليمين واليسار.» (٢ كو ٩: ٧)

+ «لأننا وإن كنا نسلّك في الجسد، لسنا حسب الجسد نحارب. إذ أسلحة محاربتنا ليست جسمية بل قادرة بالله على قدّم حصون، هادمين ظنوناً وكلّ علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح، ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان متى كملت طاعتكم.» (٢ كو ١٠: ٣-٦)

+ «سلبت كنائس أخرى آخذاً أجرة لأحل خدمتكم.» (٢ كو ١١: ٨)

+ «ولا تقدّموا أعضاءكم آلات إثم للخطية، بل قدّموا ذوابكم لله كأحياء من الأموات، وأعضاءكم آلات بر لله.» (رو ٦: ١٣)

+ «قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعضال الظلمة ولبس أسلحة النور.» (رو ١٣: ١٢)

+ «إد لكم الجهاد عينه الذي رأيتموه فيّ والآن تسمعون فيّ.» (١: ٣٠)

+ «... أربيلُ إليكم أبفروديتس أخي والمامل ممي والمتجنّد ممي.» (٢: ٢٥)

+ «الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً بحسب عمله الذي يعمل فيّ بقوة.» (١ كو ٢٩: ٢٩)

+ «فإني أريد أن تعلموا أي جهاد لي لأجلكم...» (٢ كو ١: ١)

+ «يسلم عليكم أرشترخس المأسور (أسرعة المسيح) ممي...» (كو ٤: ١٠)

+ «وأرخيُس المتجنّد معنا...» (فل ٢)

+ «أبفراس المأسور ممي في المسيح يسوع.» (فل ٢٣)

+ « هذه الوصية أيها الابن تيموثاوس أستودعك إياها ... لكي تحارب فيها المحاربة الحسنة. »
(١ تي ١: ١٨)

+ « جاهد جهاد الإيمان الحسن وأمسك بالحياة الأبدية. » (١ تي ٦: ١٢)

+ « فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح، ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضي مَنْ جنده،

وأيضاً إن كان أحد يجاهد لا يَكُلُّ إن لم يجاهد قانونياً. » (٢ تي ٢: ٣-٥)

+ « قد جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملتُ السعي، حفظتُ الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل (عقد من الزهور يوضع حول عنق القائد المنتصر الراجع من معمة الحرب) البر، الذي يَهَبُهُ

لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل. » (٢ تي ٤: ٨ و٧)

وبهذه الآية الأخيرة يتضح تماماً أن الحياة المسيحية كانت عند بولس الرسول «جهاداً» قَرَضَهُ علينا العالم بقواته الخفية ومحارباته العلنية والسرية، وأن الخطية — كعنصر شرير — لها أسلحتها المدمرة، لولا أن الله قد ادَّخَر لَنَا في طبيعتنا الجديدة قدرة على المقاومة المشمولة بالنعمة والمؤمنمة بالنصرة، وسَلَّمْنَا بالروح القدس أسلحة أقوى وأفضأها كلمة الله: « اذهب يا شيطان لأنه مكتوب ... » (لو ٤: ٨)، « قاوموا إبليس فيهرب منكم. » (يع ٤: ٧)

والمُتَجَنِّد للمسيح لا يعود يملكاً لنفسه، وهو مُتَنَفِّذ لإرادة سيده لأن منها مسيرته وحياته ونصرته: « ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم (بالكلمة)، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة. » (رو ١٢: ٢)

ذخيرة الكنيسة من تعاليم الرسل الأخلاقية:

الديداخي: διδαχὴ أو διδασκαλία وهو كتاب تعاليم الرسل بأجرائه المختلفة، والمتحقق تاريخياً، فيه تعليم الأخلاق والسلوك « كاتيشزم Catechism »، وهو منسق، ومنضبط. ونحن نقرأ عن أصوله الأولى هكذا:

+ « لذلك أرسلتُ إليكم تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب والأمين في الرب الذي يذكركم بظرفي في المسيح، كما أعلم διδάσκω في كل مكان، في كل كنيسة. »
(١ كو ٤: ١٧)

ولدينا صور مبدعة عن أحوال المبتدئين الداخلين إلى المعمودية، كيف كانوا يُلقَّنون أصول الأخلاق المسيحية بأصالة وبصفة رسمية وهيبة قبل أن ينالوا نعمة التجديد.

فيقص علينا التاريخ المنحدر من العصور الأولى على يد «بليني الصغير» (٣) سنة ١١٢م، مسجلاً أن المسيحيين (غالباً الداخلين إلى العماد) كيف يأخذون على أنفسهم عهداً بقسم أن لا يقتربوا السرقة أو الاختلاس أو الرنى أو الغش. كما يفيدنا القديس الشهيد يوستين أن الذين قبلوا العماد [هم الذين اقبلوا حق تعاليمنا وآمنوا بما نؤمن ووضعوا ذواتهم ليعيشوا بمقتضاها] (١). كما تفيد الديدأخي أن محتويات كتاب «الطريقين» (٤) كان يتحتم قراءته للموعوظين قبل عمادهم.

وينقل لنا التقليد أن الرسل كانوا بعد ما يغاطبون الشعب يقولون هكذا: «توبوا واعتمدوا»، وهونفس ما نقله لنا سفر الأعمال:

+ «توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح.» (أع ٢: ٣٨)؛

+ «فتوبوا وارجموا لتُمحي خطاياكم.» (أع ٣: ١٩)؛

+ «فإنه الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضباً عن أزمنة الجهل.» (أع ١٧: ٣٠)؛

+ «شاهداً لليهود واليونانيين بالتوبة إلى الله والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح.» (أع ٢٠: ٢١)؛

+ «... أن يتوبوا ويرجعوا إلى الله عاملين أعمالاً تليق بالتوبة.» (أع ٢٦: ٢٠)

وقد اهتم الرسل بوضع التعاليم الخاصة بالتوبة والرجوع عن الأعمال الميئة كما نقرأ ذلك بوضوح:

+ «لذلك وسحن تاركون كلام بداعة المسيح، لتتقدم إلى الكمال، غير واضعين أيضاً أساس التوبة من الأعمال الميئة والإيمان بالله.» (عب ٦: ١)

وكان يتحتم على الموعوظين الجدد، بعد أن يعتمدوا، أن يبقوا تحت تعاليم الرسل المقولة والمكتوبة: «وكانوا يواظبون على تعليم الرسل...» (أع ٢: ٤٢). وكانت الطاعة المخلصة لتعاليم الرسل حتمية: «ولكنكم أظنكم من القلب صورة التعليم التي تعلمتموها.» (رو ١٧: ١٦)

وكان كل من يخرج على تعاليم الرسل يُفَرِّز ولا يُجَالَفُ: «وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاكات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلمتموه، وأعرضوا عنهم.» (رو ١٦: ١٧)

3. Pliny, *Epist.* X,96, cited by Prat, *op. cit.*, II, p. 35.

4. *Apol.* I,61.

5. *Doct. apostol.* VII,1.

وكانت هذه التعاليم منذ البدء مكتوبة وموجودة في كل كنيسة يُلقَّن فيها المبتدئون، ويُرجَّع إليها كمرجع نهائي للقطع بالرأي الصحيح في كل ما يمكن أن يواجهه المبتدئ في الحياة المسيحية. وكان يحمل تعليم الرسل هذا يُسمى «بالطريق» أو «الطريقين» أو «سُبُل الله المستقيمة»:

+ «يا عدو كل برٍّ، ألا تزال تُفِيد سُبُل الله المستقيمة» (أع ١٣: ١٠)؛

+ «كان هذا خبيراً في طريق الرب. وكان وهو حارٌّ بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق» (أع ١٨: ٢٥)؛

+ «هؤلاء الناس هم عبيد الله العليُّ الذين ينادون لكم بطريق الخلاص» (أع ١٦: ١٧)؛

+ «واضطهدت هذا الطريق حتى الموت.» (أع ٢٢: ٤)

+ «فلما سمع هذا فيلкс، أمهلهم إذ كان يعلِّم بأكثر تحقيق أمور هذا الطريق.» (أع ٢٤: ٢٢)

وقول بولس الرسول في (١ كو ١٧): «يذكركم بطُرُقِي في المسيح كما أعلم في كل مكان في كل كنيسة»، هنا كلمة «طُرُقِي» تحمل بكل تأكيد التعاليم المسيحية الخاصة بالسلوك والتصرف اللائقَيْن بالحياة الجديدة للمؤمنين؛ أو بأكثر وضوح «المنهج» الأخلاقي المسيحي. فكلمة «منهج» هي بعينها كلمة «طُرُق» لأن «المنهج» هو «الطريق». و «منهج بولس الأخلاقي» واضح أنه مستمد من العقيدة الإيمانية، ومنطبق على المسيح: فكر المسيح، صبر المسيح، احتمال المسيح، محبة المسيح، إيمان المسيح، طهارة المسيح، قداسة المسيح. «كُونُوا مُمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضاً بِالْمَسِيحِ» (١ كو ١١: ١). ومجموعة التعاليم التي أرسلها بولس الرسول مع تيموثاوس إلى كورنثوس هي بعينها التي ترمزت ذخيرة في الكنيسة بعد بولس الرسول وتيموثاوس، كمنهج أخلاقي دخل في صميم التقليد الكنسي للتعليم والتهديب على مدى الأجيال.

وواضح أن هذا المنهج الأخلاقي أرسل للكنائس كما يقول بولس الرسول: «في كل مكان في كل كنيسة»، وكان هو العامل الأساسي في تنشئة المسيحية على منهج أخلاقي موحد. وهذا نسمعه من بولس الرسول وهو يخاطب أهل مدينة روما قبل أن يزورها:

+ «فشكراً لله أنكم كنتم عبيداً للخفية ولكنكم أظفتم من القلب صورة التعليم التي تسلمتموها.» (رو ١٧)

وعلينا أن نلاحظ كلمة «صورة» Type فهي تفيد طابعاً أخلاقياً مميّزاً واضحاً محدداً لا اجتهد فيه ولا مزايده، بل أخذ مأخذ الإنجيل!

وبولس الرسول كان يتشدد جداً في الحفاظ على حدود التعاليم الأخلاقية التي سلمها للكنائس في كل مكان ويقطع بعزل وعدم مخالطة كل من يخرج عن حدودها:

+ «ثم نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذي أخذناه منا، إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يُنْتَهَل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم.» (٢ تس ٣: ٦ و٧)

+ «وأطلب إليكم أيها الإخوة أن تلاحظوا الذين يصنعون الشقاكات والعثرات خلافاً للتعليم الذي تعلمتموه وأعرضوا عنهم.» (رو ١٦: ١٧)

وكل الكلمات المتداولة في الكنيسة اليوم الخاصة بهذا التعليم الأخلاقي صادرة أصلاً من بولس الرسول: الطريق، التقليد، التعليم، صورة التعليم، الديداسكاليا، وحتى كلمة «كاتيشزم» Carechism» وإفنا في صورة اسم الفاعل هكذا: «ولكن ليشارك الذي يتعلم [κατηχοῦμενος = كاتيشومينوس] الكلمة (مع) الذي يُعَلِّم [κατηχουοντι = كاتيشونتي] في جميع الخفيات.» (غل ٦: ٦)

هذه الاصطلاحات كلها من قلم بولس الرسول وروحه، وظلت حية إلى اليوم في الكنائس التقليدية.

وهكذا انطبعت إرادة الله الآب كما تمها وعَلِّم بها الابن جهاراً، وحملها الرسل سفراء عن المسيح: «نسمى كسفراء عن المسيح» (٢ كو ٥: ٢٠)، وبثوها شفاهاً وكتاتبة في قلوب المؤمنين وأفكارهم بل سلوكهم وحياتهم، وتناقلتها الأجيال. بهذا اليقين والتحديد بخصوص الأصل الذي عنه أخذ الرسل وعلموا، يقول بولس الرسول: «هادمين طناً وكل غلو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح.» (٢ كو ١٠: ٥)

وهكذا استلم المؤمنون الجدد تعاليم أخلاقية وروحية ثابتة الأصل والمنهج.

كان بولس الرسول يعتبر أن الدعوة إلى الإيمان بالمسيح لها حقوق، لها أصول، لها واجبات، لها قوانين متعارف عليها ويلزم أن يخضع لها من يدخل الدعوة ويطيعها ليأخذ استحقاقاتها. وبولس يعتبر حق الدعوة واستحقاقها بوضوح ويعتد جمعها واجباتها بحسب روح الدعوة والداامي، باعتبارها استحقاقات «أكسيوس»:

+ «فأطلب إليكم أنا الأسير في الرب أن تسلكوا كما يحق (كاستحقاق) للدعوة التي دُعيتُم بها θεῶς τῆς κλησεως ἧς ἐκλήθητε بكل تواضع ووداعة وبطول أناة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة، مجتهدين أن تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام.» (أف ٤: ١-٣)

هذا هو حق الدعوة. كذلك توجد حقوق تستند إلى حق الداعي لهذه الدعوة:

كما يحق للقديسين: «كي تقبلوها في الرب كما يحق (استحقاق) للقديسين.»

ἀξίως τῶν ἁγίων (رو ١٦: ٢)

كما يحق للإنجيل: «فقط "عيشوا" كما يحق (استحقاق) للإنجيل المسيح.»

ἀξίως τοῦ εὐαγγελίου (في ١: ٢٧)

كما يحق للرب: «"لتسلكوا" كما يحق للرب (استحقاق).»

ἀξίως τοῦ Κυρίου (كو ١: ١٠)

كما يحق لله: «ونشهدكم لكي "تسلكوا" كما يحق (استحقاق) لله.»

ἀξίως τοῦ Θεοῦ (١ تس ٢: ١٢)

وهكذا تكون الدعوة المسيحية عند بولس الرسول سلوكاً محصوراً في إطار استحقاقات تجعلها ذات أصول وواجبات، وذات عطايا ومواهب بأن واحد. لا كأنها ضغوط وأحمال، ولكن باعتبارها أيضاً منافذة لقبول حق النور وحق القوة وحق الحياة. فحق القديسين يعطي استحقاق شركة في الكنيسة، وحق الإنجيل يعطي استحقاق بشارة الفرح، وحق الرب يعطي استحقاق الثور، وحق الله يعطي استحقاق الحياة. فالسلوك في المسيحية أخذ وعطاء بأن واحد، بلغ منتهى نضجه على أيدي الرسل، وانحدر إلينا شفاهاً، ولا يزال مسجلاً في الكنيسة حتى اليوم من داخل كتاب تعاليم الرسل ورسالة برنابا.

الفصل الثاني

بداية قبول الدعوة المسيحية

التجديد بالمعمودية

قد يتطرق إلى الذهن أن الدعوة المسيحية ذات أُنْقال، على غرار أُنْقال الناموس. ولكن حقيقة هي العكس. فالمسيح نفسه دحض مثل أي تصور من هذا القبيل حينما قال لموسى اليهود وحاملي أُنْقال الناموس: «تعالوا إلَيَّ يا جميع المُتَّعِبِينَ والثَّقِيلِينَ الْأَحْمَالَ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. احمَلُوا يَرِي عَلَيْكُمْ وتعلموا مني ... لأن نِيرِي هَيِّنٌ وَجِثِّي خَفِيفٌ» (مت ١١: ٢٨-٣٠). وهنا المسيح يصنع المسيحية مقابل اليهودية وجهاً لوجه. فعماد المسيحية منذ اللحظة الأولى يقوم على حلول الروح القدس، والروح القدس يَخلِّق الإنسان حلاً كما على أجنحة النعمة.

الروح القدس كمعصر أساسي في المنهج الأخلاقي لا يتطلب أكثر من الطاعة لصوته الداخلي لكي يقدم عمله المجاني ومؤارثته الفائقة للطبيعة. فالمسيحي بمجرد أن يقبل العباد ويستشعر الروح القدس، يدخل في غنى قانون النعمة أو ناموسها المؤرَّر المجاني، لا نقول «يدخل تحت قانون النعمة»، فقانون النعمة ليس — كنناموس موسى — ثقلاً يوضع كثير على رقبة اليهودي، ولكنه حياة جديدة يدخلها المعمَّد أو تدخل هي إليه، تماماً كما يولد الإنسان من أمه حاملاً حياة نعمة بكل ما لها وعليها. هكذا يولد المسيحي من الماء والروح، يولد لحياة جديدة بالروح. فليس حياة المسيحي هي حياة محسَّنة لحياته الأولى، ولا هي على مستوى النغير أو الجلي أو التجديد للحياة الأولى، ولكنها حياة أخرى تماماً، مختلفة كل الاختلاف عن حياته الأولى في مصدرها، فهي من موه من السماء؛ وفي منهجها، فهي سيرة سماوية مكتوبة في السموات؛ وفي غايتها ونهايتها، فهي لله ومع الله تكون. وبكلمة واحدة واضحة هي خليفة جديدة:

+ «إِذَا كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ،

الْأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ،

هكذا الكل قد صار جديداً، ولكن الكل من الله.» (٢ كور: ٥: ١٧ و١٨)

وهكذا يدخل المسيحي في حقوق جديدة، وواجبات جديدة من واقع الحياة الجديدة:

- + «أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فلقينا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة، لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته. عالين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليُبطل جسد الخطية.» (روم: ٦: ٣-٦)

هنا المعمودية تعطي حق الميلاد الجديد كخليفة جديدة سماوية إلهية مع المسيح وفيه:

- + تعطينا قوة الموت عن حيواننا السالفة بأخطائها وخطاياها وجسدنا الذي مات بالخطية بالاشتراك الفعلي في قوة موت الرب.
- + تعطينا قوة قيامة الرب، كحياة جديدة تماماً، لا علاقة لها بالحياة السالفة بالاتحاد في جسد المسيح السري القائم من الأموات.
- + تُلبسنا النعمة التي لحياة السمائيين، لنسلك «في جِدة الحياة».

واضح هنا أن السلوك الأخلاقي في جِدة الحياة ليس مستمداً من إمكانيات الإنسان الأولى بحياته الأولى بجسده العتيق الأول. ولكن يستمد واجباته وقوته على التنفيذ من النعمة والروح القدس الذي صار «روح الحياة (الجديدة) في المسيح يسوع.» (روم: ٨: ٢)

إذاً، فالسلوك الأخلاقي في الحياة الجديدة في المسيح يسوع ليس ثقلًا بعد مُلقى على عاتق إمكانيات الإنسان الأولى الجسدية الضعيفة والمريضة بالخطايا، بل مُلقى على الروح والنعمة ولا يتطلب من الإرادة البشرية إلا الخضوع والطاعة.

إذاً، في المنهج الأخلاقي المسيحي يلزم جداً أن يتعرف الإنسان المسيحي ماذا صار له بالمعمودية فيتعرف على إمكانياته الجديدة وواجباته الجديدة والعوامل الجديدة التي يشكل عليها ويستخدمها في جهاده اليومي. فالمعمودية هي في حقيقتها صَكتُ ميراث سماوي يحوي حقوقاً جديدة فوق إمكانية الإنسان، ليسلك بها كإنسان حديد روحي يسمى نحو ميراثه المحفوظ له في السماويات.

ولكن صَكتُ الميراث السماوي بينوده وحقوقه — في المعمودية — المنصوص عنها في الإنجيل والرسائل، ليست سوى الحروف الأولى من الصَكتُ الكامل ومن البنود العجيبة فيه. فبمجرد أن يبدأ المسيحي في العمل، تبدأ الحياة الجديدة تُلَقَّن الإنسان أسرار الحياة الأخرى غير المكتوبة وتستعلن له

الإمكانات التي تفوق تصوّر الإنسان، ليجاهد فيدوس الخطية والجسد والشهوات ويغلب، وحتماً سيغلب لأن المسيح غلب:

+ «فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا، الجاسة، الهوى، الشهوة الردية، الطمع ... فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكل: القصب، السخط، الخبث، التجديف، الكلام القبيح من أفواهكم. لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتكم الإنسان العتيق مع أعماله (بالمعمودية) ولبستم الجديد الذي يتجدد لمعرفة حسب صورة حالته (بالمعمودية)، حيث ... المسيح الكل في الكل.» (كو ٣: ٥-١١)

على أن الحقوق الفائقة التي يعطيها صكّ ميراث المعمودية كختم على الجسد يحمل عربون العطية بالكامل. فمثلاً عن المعمودية يقول بولس الرسول إننا نلبس المسيح «كحق» من حقوق المعمودية: «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧). ولكن هذا الحق كعربون يحتاج إلى تحقيق عملي في الحياة كل يوم وكل ساعة:

+ «قد تنهاى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور. لنسلك بلباقة كما في النهار. لا بالنظر (تهيبص وعريضة Káth'ois) والسُّكر، لا بالمضاجع والقهر، لا بالخصام والحسد؛ بل بالسوا الرب يسوع المسيح. ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات.» (رو ١٣: ١٢-١٤)

من هذا نفهم تماماً أن المعمودية تعطي حقوقاً وقوة بصورة مبدئية إنما قابلة للزيادة والامتداد. فكلما قسك المسيحي بحقه في المسيح امتد إلى حقوق أكثر، لأن الحياة الجديدة محدودة لا نهاية لها.

فالمطلوب من المسيحي — وخاصة من الداخلين في نور المسيح أو الثائبين الراجعين إليه — أن يتعمق في معرفة الرب سواء بالإنجيل أو الصلاة أو السهر أو القراءة بكل اهتمام، ليدرك المسيحي غنى ميراثه: القوة المذخرة له:

+ «لا أزال شاكراً لأجلكم (مسيحيين حدد)، ذاكرًا إياكم في صلواتي، كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته، مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين، وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدة قوته.» (أف ١: ١٦-١٩)

العلاقات بالأقانيم الثلاثة التي يخرج بها المسيحي من المعمودية، لتقوم منهجه الأخلاقي: قول الرب: «عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٩) يحمل في الحال للمولود الجديد من الماء والروح علاقة مباشرة فريدة وأصيلة وشخصية مع الله الآب والابن والروح القدس بكل معنى الشخصية.

فالله الآب: يعطي أبوته، فيصير التبني، ويدخل المسيحي الجديد في عهد البنين.
والابن: يعطي ذاته جسداً ودماً وروحاً، فيصير المسيحي عضواً في جسده السري، وارثاً مع المسيح لله.

والروح القدس: يعطي وجوده، ليقدس هيكلنا لله والمسيح. ينطق فينا باسم الله كآب: «يا أبا الآب»، ويأخذ مما للمسيح ويخبر ويعطي.

لذلك، فالمنهج الأخلاقي في المسيحية قائم على علاقات وثيقة مع الله كآب، ومع المسيح كمخلص، ومع الروح القدس كمقدس. على أن أبوة الله ليست مجرد منحة أو اسماً بل علاقة في الصميم:

+ «كل ما طلبتم من الآب باسمي يعطيكم ... في ذلك اليوم تطلبون باسمي ولست أقول لكم إني أنا أسأل الآب من أجلكم، لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتموني وآمنتُم أني من عند الله خرجتُ.» (يو ١٦: ٢٣-٢٧)

كذلك فاتحادنا بالمسيح كعلاقة شخصية متبادلة تعبير أساسية وضرورة عملية فوق ما يتصور الإنسان:

- + «لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥: ٥)؛
- + «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوي.» (في ٤: ١٣)
- كذلك الروح القدس يصبح المالك الحقيقي لزاماً كل تصرف صحيح:
- + «الذين يقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله» (رو ٨: ١٤)؛
- + «إن كنتم بالروح تهتدون أعمال الجسد مستحيون» (رو ٨: ١٣)؛
- + «كذلك الروح أيضاً يمين ضعفائنا. لأننا لسنا نعلم ما نعطي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا يُنطقُ بها» (رو ٨: ٢٦)؛
- + «وليس أحد يقدر أن يقول يسوع ربُّ إلّا بالروح القدس» (١ كو ١٢: ٣)؛
- + «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك (أي المسيح) ليس له.» (رو ٨: ٩)

كذلك فإن الله الآب تظل عينه ساهرة على مَنْ نبأهم لنفسه، ويظل يوعز إلى الروح القدس والمسيح أن يكتملا مقاصدهما الحميدة في الإنسان الساعي في خوف الله :

+ « بسبب هذا أحني ركبتي لدى أبي ربنا يسوع المسيح ، الذي منه تُسمَّى كلُّ عشيرة (أبوة patria) في السموات وعلى الأرض ، لكي يعطيكم بحسب غنى مجده ، أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن ، ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم . » (أف ٣ : ١٤-١٧)

+ « كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد روح الحكمة والإعلان في معرفته ... » (أف ١ : ١٧)

هكذا أنشأت المعمودية باسم الآب والابن والروح القدس علاقات شخصية وثيقة للإنسان مع الله ، تؤمن له مسيرته في الحياة الجديدة وسلوكه الأخلاقي .

الفصل الثالث أخلاق المسيحي تجاه الآخرين

أ - المسيحي الفرد والكنيسة ككل تجاه الدولة والرؤساء

المسيحي يولد ثانية بالمعمودية ليأخذ مواطنة أخرى سماوية، والمسيحيون يخرجون من المعمودية أحراراً متساوين: «ليس عبد ولا حر... لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» (غل ٣: ٢٨). كل الفوارق تتلاشى في المعمودية، الفوارق العنصرية والاجتماعية وحتى الجنسية، فيصبح الجميع، جميع المسيحيين، متصالحين. والكل يأخذ تبعيته لمسيح واحد: «فائبثوا إذاً في الحرية التي قد حررنا المسيح بها، ولا ترتبكوا أيضاً (ثانية) بنير عبودية» (غل ٥: ١). المقصود هنا هو عبودية الناموس القديم، ولكن روح الآية تحمل معنى شاملاً لكل عبودية إرادية: «قد اشتريتكم بثمن، فلا تصيروا عبيداً للناس.» (١ كو ٧: ٢٣)

ولكن عقل العامة اتخذ هذا التصريح فرصة لاستخدامه جسدياً وضد الدولة، فعاد كل من القديس بولس والقديس بطرس وأغلق باب الشطط في التفسير وحكم الحرية تحت مفهومها الروحي الوحيد:

- + «لأن هكذا هي مشيئة الله أن تفعلوا الخير فتسكنوا جهالة الناس الأعباء، كأحرار وليس كالذين الحرية عندهم شترّة للشر، بل كعبيد الله.» (١ بط ٢: ١٦)
- + «فإنكم إنما دُعيتُم للحرية أيها الإخوة، غير أنه لا تصيِّروا الحرية فرصة للجسد.» (غل ٥: ١٣)

إن الحرية الروحية والتساوي الروحي الشخصي لدى كل المعمدين إنما هما قائمان، باعتبار أن جميعهم لهم نفس الحقوق لدى الله الذي فداهم بابنه يسوع المسيح وعليهم نفس الواجبات لدى الله نفسه كدَيان الأحياء والأموات. فالحرية المسيحية في صميم جوهرها هي حرية من عبودية الخطية

ومن عبودية الناموس القديم، ولكن لا التساوي ولا الحرية المسيحية يمان العلاقات الرئاسية في المجتمع أو في الأسرة.

بل وإن الأخوة المسيحية العامة التي تنشأ بعد المعمودية من وحدة التساوي ووحدة الحرية بقدر ما تنشأ من امتيازات تضع واجبات والتزامات. فالتعاون فَرَضٌ مسيحي، والاحتمال والتسامح فَرَضٌ على الإخوة، والالتزام بالامتناع عن العثرات: «فلا نحاكم أيضاً بعضنا بعضاً بل بالحرية احكموا بهذا أن لا يوضع للأخ مَقْصِدَةٌ أو معثرة.» (رو ١٤: ١٣)

وعلى هذه الحقوق والواجبات بين أحرار متساوين يقوم المجتمع المسيحي.
يقول قايين لله مُتَكَبِّراً أنه قتل أخاه هابيل: «أحارس أنا لأخي»؟ (تك ٤: ٩)
تردُّ المسيحية: «نعم أنت حارس لأخيك»!!

حجر الأساس في منهج العلاقات مع الدولة، وبناء أسس المنهج:

«فقال لهم أعطوا إذا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» (لو ٢٠: ٢٥). هي ولا شك المقولة الإلهية التي قالها الرب للذين بادروه ليختبروا حيثيته بين الدين والدولة، فأطلقها قولة مُدَوِّية حمرت حروفها على فكر كل من وقعت على أسماعه، وتداولها جميع الناس في العالم طرّاً، قولة عاد بولس الرسول وشرحها هكذا:

+ «لتخضع كل نفس للسلطين القائمة، لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسايطان القائمة هي مرتبة من الله. حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة. فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة. أفتريد أن لا تخاف السلطان: فاعمل الصلاح فيكون لك مدح منه، لأنه خدام الله للصالح. ولكن إن فعلت الشر فحُفَّت، لأنه لا يحمل السيف عبثاً إذ هو خدام الله منتقم للغضب من الذي يفعل الشر. لذلك يلزم أن يُخَضَّعَ له، ليس بسبب الغضب فقط بل أيضاً بسبب الصмир. فإنكم لأجل هذا توفون الجزية أيضاً، إذ هم خدام الله مواطنون على ذلك بعينه. فأعطوا الجميع حقوقهم الجزية لمن له الجزية، الجباية لمن له الجباية. والخوف لمن له الخوف والإكرام لمن له الإكرام.» (رو ١٣: ١-٧)

هذا المنهج المسيحي السياسي يقوم على ركائز ثلاث:

١ — كل السلطان السياسي للدولة هو من الله، كميبدأ عقيدي.

٢ — بالواقع والممارسة، كلُّ قوة الدولة هي من الله.

٣ — والدولة تمارس سلطاتها باسم الله.

هذا مهما كان شكل الدولة أو دين رؤسائها .

وبولس الرسول ينظر إلى شخص السلطان — مهما كان دينه — باعتباره «خادم الله» تعيّن لخدمة المجتمع، سواء للصلاح والمدح لمن يعملون الصلاح، أو للغضب والتخويف واستلال السيف لمن يعملون ما يستحق الغضب. وهو يعمل هذا وذلك باسم الله. لذلك ليس الخوف خوفاً من الغضب أو نيلاً للمديح فقط هما هدف طاعة المسيحي للسلطان، بل من أجل الضمير، لأن السلطان يعمل باسم الله.

كذلك دفع الضرائب هو أيضاً من عمل الضمير، لأن السلطان يطلب ذلك كخادم لله من أجل عمل الصلاح.

وهكذا ينتهي بولس الرسول بآية واحدة تحكم المنهج كله: «فأعطوا الجميع حقوقهم...» التي منها يتضح أنه لا يعطي مجرد مشورة بل أمراً مُلزماً.

وهنا يهمنا أن نوضح أن بولس الرسول يتكلم عن حكومة نيرون وسلطانه وأعوانه. ويلزم أيضاً أن نعرف أن حكومة روما في هذا الوقت وفي أيام نيرون كان يضطلع بجمهاها الحكماء والفلاسفة المشهورون! وكان نظام حكومتها، وقضاؤها، يقومان على أسس العدالة والحرية والنظام. وبمنظرة واحدة إلى القانون الروماني للعارفين بالقانون يتضح صدق هذا الكلام. ولكن هذا لا يعني من قيام الفساد الشخصي، خاصة عند الأطراف البعيدة عن المركز الرئيسي في روما، أو حتى القيصر نفسه كثيرون.

ويلزم أن ندرك أن بولس الرسول يتكلم عن معرفة دقيقة ومن واقع وخبرة، فكل أيامه كانت سجوناً ومحاكمات ومشولاً أمام ولاية وملوك والقيصر نفسه. وقد جاز القديس بولس المحاكمات وأدرك دقة القانون الروماني، والتجأ أحياناً إلى التمسك بنصوصه، فاستخلص حقه بلا جدال.

ولكن وحتى في الأحوال التي كانت السلطات منقلبة هل الكنيسة، لم تغر الكنيسة من منهجها السياسي الخاص بالمعاملات مع الدولة، بل بقيت ملتزمة بخضوعها وأمانتها كما لله!!

ولا يمكن أن ننسى أبداً رسالة بولس الرسول التي كتبها في سجنه الأخير في روما قبل وقوعه تحت حد سيف نيرون الظالم بأسابيع، يحث فيها تيطس على الولاء للدولة:

+ «ذُكرهم أن يخضعوا للرياسات والسلطين ويطيعوا ويكونوا مستعدين لكل عمل صالح، ولا يطعنوا في أحد، ويكونوا غير مخاصمين، حُلماء، مُظهريين كل وداعة لجميع الناس.»

(تي ٣: ٢١)

ونفس هذا المنهج التعليمي الفائق الوطنية والأصالة والإخلاص للدولة نقرأ تماماً لبطرس الرسول:

+ «فاحضعوا لكل ترتيب بشري من أجل الرب. إن كان للسلك فكمن هو فوق الكل، أو للولاة فكثُرسلين منه للانتقام من فاعلي الشر وللمدح لفاعلي الخير. لأن هكذا هي مشيئة الله أن تعملوا الخير فتسكتوا جهالة الناس الأغبياء.» (١ بط ٢: ١٣-١٥)

وسواء بطرس أو بولس، فكل منهما يستنهض وطنية المسيحي وأمانته المطلقة للدولة على أساس أن هذه هي مشيئة الله. وقد تماشوا بمنتهى الحرص أي تعارض بين حرية المسيحي وبين خضوعه المطلق للسلطان وأحكامه. وهكذا نشأت المسيحية وظلت وفيها روح الاحترام الشديد والتوقير الفائق للدولة وللسلطان بنوع ممتاز وبالتالي للأحكام، وللقوانين، والصرائب حتى اليوم.

والوثائق المسجلة في كتابات القديسين الأول منذ القرن الثاني تؤكد هذا وتشهد له. وقد أمثنا القديس كلمندس^(١) أسقف روما بصورة توضح هذه المبادئ في رسالته إلى كورنثوس (٦١)، والقديس الشهيد بوليكاربوس في رسالته إلى فيليبي (٣: ١٢)، والقديس الشهيد يوستينوس في دفاعه (١٤: ١ و ٧١)، والقديس أثيناغوراس (Legat. 34) والقديس ثاوفيلس (الأنطاكي) (Ad. autol. 1.11)، والعلامة ترنتيان في دفاعه (٣٠-٣٦)، وأوريجانوس في (مد. مسيوس ٨: ٧٣). فكلهم يشهدون بتعاليمهم كيف كانت كنائسهم في كل النواحي ملتزمة تماماً بكل تعاليم بولس الرسول فيما يختص بالعلاقات السياسية مع الدولة.

شيء واحد فقط امتنعت عنه الكنيسة امتناعاً باتاً هو الاشتراك في وظائف الدولة بالنسبة لأعضائها، طالما بقيت الدولة وثنية تلزم أفراد حكومتها بعبادة قهر والالهة الوثنية وإلا يُحسبون مارقين ويحق قتلهم. لذلك بقيت الكنيسة مطوية على نفسها، لها حكومتها الروحية من الداخل على يد رؤسائها كما كان يصنع بولس نفسه إذ كان يحكم ويأمر بتنفيذ العقوبات بالنسبة للمسيحيين ذوي الانحرافات والعثرات. إذ كانت الكنيسة منع أن يلجأ أفرادها إلى المحاكم الوثنية.

+ «أيتجاسر منكم أحد له دعوى على آخر أن يُحاكم عند الظالمين وليس عند القديسين ... أهكذا ليس بينكم حكيم ولا واحد يقدر أن يقضي بين إخوته.» (١ كو ٦: ١ و ٥)

ب — العائلة المسيحية

في الإيمان المسيحي، يأخذ رب الأسرة كرامته من الله؛ فאלله هو رب الأسرة المسيحية. كذلك الزوج بالنسبة للمرأة هو كالمسيح عريس الكنيسة، والزوجة تأخذ مكانتها لدى الرجل كالكنيسة لدى المسيح يحبها ويفديها، وتبقى واحدة كالكنيسة.

الكنيسة لا تفرق بين الرجل والمرأة، ولا تكسر الاتحاد بينهما وإلا كأنها تكسر العلاقة بين نفسها والمسيح. فالزواج في المسيحية اتحاد بين الرجل والمرأة كاتحاد المسيح بالكنيسة، لا ينقسم ولا يتكرر.

الأولاد بالنسبة للأب والأم في المسيحية هم أمانة استودعها المسيح لأيديهم، فهم أولاده — من المصودية — والأب والأم أوصياء عليهم — كأشايين — يطلبهم منهما المسيح كاملين بالنفس والجسد والروح. لذلك فتربيتهم تكون على مستوى من يربيهم للمسيح، فهي تربية مسيحية وإلا يُدان الأب والأم كلاهما.

أما الأولاد فعليهم الخضوع للأب والأم كما للمسيح بكل مهابة واحترام:

+ «أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما يليق في الرب.» (كو٣:١٨)

+ «أيها الرجال أحبوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن ...» (كو٣:١٩)

+ «أيها الأولاد أطيعوا والديكم في كل شيء لأن هذا مَرْضِيٌّ في الرب.» (كو٣:٢٠)

+ «... لأن هذا حق.» (أف٦:١)

+ «أيها الآباء لا تغضبوا أولادكم لئلا يفشلوا.» (كو٣:٢١) ... «بل ربوهم بتأديب الرب

وإنذاره (التعليم المسيحي).» (أف٦:٤)

+ «أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب ... كما تخضع الكنيسة للمسيح، كذلك النساء

لرجالهن في كل شيء.» (أف٥:٢٢و٢٤)

+ «أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلّم نفسه لأجلها ...»

(أف٥:٢٥)

+ «كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه.»

(أف٥:٢٨)

+ «من أجل هذا يشترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً، هذا

السر عظيم...» (أف: ٥: ٣١ و ٣٢)

+ «أما أنتم الأفراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه، وأما المرأة فلتحب زوجها». (أف: ٥: ٣٣)

ج - الزواج المسيحي

المبادئ الروحية العالية التي وُضعت لرفع الزواج إلى المستوى الروحي العالي اللائق بالخليفة الجديدة في المسيح واللائق بالإنسان الذي أخذ صورة القداسة من الله في البرِّ و قداسة الحق، كانت منذ البدء هي، والمبادئ التي وُضعت لتحكم علاقات أعضاء الأسرة ببعض، تمثل الإرهاصة الأولى أو اللبنة الصلبة المضيئة التي وُضعت لرقى المجتمع المسيحي.

ولكن المجتمع المسيحي استطاع أن يبلور لنفسه مدتين أساميين يقوم عليهما: «العدل» و «الكمال» الذي نسميه الرقي الخلقى أو المدنية الأخلاقية.

والباحث الاجتماعي المقتدر يستطيع إدراك القيمة العظمى التي ينالها المجتمع من قانون الكنيسة المسيحية بربط الزواج بامرأة واحدة و بعدم الانفصال إلا تحت عامل الانحلال الخلقى بالرضا من جانب أحدهما. ولم تسلمنا الكنيسة في كل تاريخها الطويل أي مهادنة في هذا القانون الكنسي المقدس حتى إلى زمن ظهور حركة الإصلاح البروتستانتي التي نبّئت التحلل من هذا القانون في القرن السادس عشر^(٢) وحلّلت لنفسها إفساد ما قلّصته الكنيسة على مدى مئة عشر قرناً.

وعقيدة عدم كسر وحدة الزواج لم تأخذ لها شكلاً خاصاً فالزواج فقط بل تسحّبت لتصبح هي المعيار الأعلى لوحدة الكنيسة. وحينما أعلنها بولس الرسول لم يعلنها كأنها تقرير أو تفسير من فكره، ولا من وحي الروح بل نقلها عن المسيح رأساً:

+ «وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة زوجها. وإن فارقت فلتلبث غير متزوجة أو لتُصالح زوجها. ولا يترك الرجل امرأته.» (١كو ١٠: ١١)

وهذا يعني تماماً أن الزواج حالة تسبّلت — وتظل قائمة على أي حال وعلى كل الأحوال — فوق إرادة كل من الرجل والمرأة، ولا إمكانية ما لإفائها لأنها فوق استطاعة الرجل والمرأة، بل فوق

استطاعة الكنيسة نفسها. فالكنيسة ليس لديها سلطان أن تنقض ما وضعه الرب! «فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان.» (مت ١٩: ٦)

علماً بأن الاستثناء الذي وضعه بولس من تدبيره فيما يخص بارتضاء رجل صار مسيحياً أو امرأة صارت مسيحية وظل الطرف الآخر غير مسيحي، فهو لا يمانع من استمرار حالة العشرة، فبولس الرسول لا يمانع ولكن على شرطين: الأول أنه لا يعتبر ذلك زواجا مسيحياً ولا يدخل ضمن سر الكنيسة والمسيح، وبالتالي فإمكانية ترك كل منهما للآخر مرهونة بالإرادة؛ والثاني أن الأولاد يصيرون مسيحيين. وهذا كله على رجاء أن يتأثر الطرف الآخر ويقبل الإيمان المسيحي (١ كو ٧: ١٢-١٧). وطبعاً فإن هذا الاستثناء موقوف على ظرف خاص نادر هو أن يدخل الإيمان أحد الزوجين ويبقى الآخر بلا إيمان مسيحي.

وننتهي من ذلك بأن تقديس سر الزواج المسيحي، وحصره في حدود الوحدة الروحية بين الرجل والمرأة، والمساواة بالروح بينهما وربطه بقوة الله لعدم كسره كحكم إلهي مُبَرَّم غير قابل للنقض، كان هذا هو السبب الأول في قيام المجتمع المسيحي، ولا يزال هو الأمل الوحيد لعودة المجتمع المسيحي لأصالته الخلقية والروحية.

وإن كان بولس الرسول يرفع البتولية لخدمة الرب أعلى من مستوى الزواج، فذلك على قياس النعمة فقط وليس إطلاقاً عاماً كتشريع مسيحي. فالبتولية هبة وليست سُنَّة، مجرد طريق، ولكن ليست هي الطريق: «لأنني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا، لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله، الواحد هكذا والآخر هكذا» (١ كو ٧: ٧). ولكن تعود الزيجة وترتفع فوق البتولية حينما تصبح شرطاً للذين يُقْبَلُونَ على الكهنوت، وذلك لخدمة الكنيسة. كما ترتفع الزيجة في اعتبار الكنيسة العام كونها تقدم أولاداً للمعبودية لقيام وبناء الجسد السري.

ويعود بولس الرسول لِيُلبِس المرأة تاج الخلاص المرصع كونها أنجبت أعضاء في ملكوت السموات: «ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التمسك» (١ تي ٢: ١٥)، وذلك في مقابل رفع شأن العذارى المتبيلات لأجل المسيح:
+ «غير المتزوجة تهتم فيما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً.» (١ كو ٧: ٣٤)

الفصل الرابع

الأخلاق الشخصية للفرد المسيحي

أ - الفضائل الأساسية الثلاث: الإيمان، والرجاء، والمحبة

منع الأخلاق في المسيحية هو الصلة الشخصية بالمسيح.

الصلة الشخصية بالمسيح تبدأ بالإيمان، والإيمان في حقيقته العملية صلة كيانية عميقة بالمسيح ترفع الإنسان من موت الخطيئة لتضعه في قلب الحياة مع المسيح كخليقة جديدة، ذات أخلاق تتناسب مع الحياة الجديدة.

فالإيمان هو موضوع الحياة الجديدة للإنسان: «أما البارّ فبالإيمان يحيا» (عب ١٠: ٣٨)، يحيا في المسيح.

أي أن الإيمان هو قوة الحاضر الذي تغلب به المواجهة اليومية مع العالم، لذلك وضعه بولس الرسول في مصنفات الأسلحة الروحية «كالدرع» الواقية (١ تس ٥: ٨) الذي يقي من كل ضربات العدو الموجهة لكل أجزاء الإنسان، لأن الدرع يحركه الجندي ليغطي منطقة الرأس والصدر حتى الركبة؛ فمساحة الدرع ٢ر٥ قدم × ٤ قدم أي حوالي ٨٠ سم × ١٢٢ سم.

بعد الإيمان يأتي الرجاء. فهو الإيمان الذي يتخطى الواقع المنظور إلى ما هو آت في غير المنظور، وهو قرين الصبر: «لأننا بالرجاء نخلصنا. ولكن الرجاء المنظور ليس رجاءً، لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه أيضاً؟ ولكن إن كنا نرجو ما لستنا ننظره فإننا نتوقمه بالصبر.» (رو ٨: ٢٤-٢٥)

وبعد ذلك يضع بولس الرسول المحبة كنتاج فوق الإيمان والرجاء بالنسبة لأخلاق المسيحي.

ثم يضم الرجاء إلى الإيمان باعتبارهما وحدة أخلاقية واحدة مع المحبة: «وأما نحن الذين من

نهار فلنضخ، لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص. « (١ تس ٥: ٨)

بولس الرسول يرى أن اتحاد الإيمان (ومعه الرجاء حتماً) مع المحبة يُحصّن الإنسان من ضربة اليمين وضربة الشمال. فالإيمان يقي الإنسان من شر الانحراف في علاقته مع المسيح، والمحبة تقيه من خطر الإخفاق في علاقته مع الناس.

والثلاث الفضائل الإيمان والرجاء والمحبة هي رأس مال الكنيسة والفرد في جهاده اليومي:

+ «متذكّرين بلا انقطاع عمل إيمانكم، وتعب محبتكم، وصبر رجائكم: ربنا يسوع المسيح أمام الله وأبينّا.» (١ تس ١: ٣)

واضح أن هذه الفضائل المسيحية تمسك بأعثة الأبعاد الثلاثة لقوى الإنسان: الفكرية، والعاطفية، والإرادية. فالإيمان يتكفل بتغطية العقل، والمحبة تغطي العاطفة، والرجاء يغطي الإرادة.

وبولس الرسول يرى أن جميع المواهب والفضائل قابلة للتغيير والتبدّل وربما لانتهاه مدة عملها بالنسبة لجهاد الإنسان في الحياة. أما الإيمان والرجاء والمحبة فهي ضرورة ثابتة لا غنى عنها قط:

+ «أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة، ولكن أعظمهن المحبة.»

(١ كور ١٣: ١٣)

والذي يهمنا للغاية ليس ترتيب هذه الفضائل الثلاث عند بولس الرسول، ولكن شعوره الحقيقي بضرورة هذه الفضائل، فهو لا يكف عن ذكرها مجتمعة أو مرادى، ولكن حتى ولو جاءت فرادى فهي تبدو وكأنها تجتمع كلها في ذهنه، لأنه لم يفقد إحديها كلية من فكره. من هنا يلزمنا أن نلتصق نحن أيضاً لا بفكر بولس الرسول وحسب بل بهذه الفضائل الثلاث، لأنه لا يمكن أن يكون تكرارها في رسائل بولس الرسول بلا ضرورة:

+ «فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء برّ.» (غل ٥: ٥)

أي الإيمان مع الرجاء يجعلنا نعيش على أساس التبشير.

+ «فإذ قد تبررنا بالإيمان لنا سلام مع الله.» (روم ١: ١)

أي أن الإيمان وضعنا في الموضع الصحيح مع الله.

+ «صار لنا الدخول بالإيمان إلى هذه النعمة التي نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد

الله» (روم ٢: ٢) = الحاضر والمستقبل.

+ «والرجاء لا يخزي لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا»

(رو٥:٥). الرجاء له برهان من الواقع.

+ «سمعنا إيمانكم بالمسيح يسوع، ومحببتكم لجميع القديسين، من أجل الرجاء الموضوع لكم في السموات.» (كو١: ٥٤)

+ «سمعت بإيمانكم بالرب يسوع، ومحببتكم نحو جميع القديسين ...، لتعلموا ما هو رجاء دهرته ...» (أف١: ١٥ و١٨)

+ «ليحلّ المسيح بالإيمان في قلوبكم، وأنتم متواصلون ومتأسسون في المحبة.» (أف١٧: ٣ و١٨)

+ «إن ثبتّتم على الإيمان، متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل.» (كو١: ٢٣)

+ «المحبة ... ترجو كل شيء وتصبّر على كل شيء.» (كو١٣: ٧)

+ «لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم، وتعب المحبة، التي أظهرتموها نحو اسمه ... ولكننا نشتهي أن كل واحد منكم يُظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء إلى النهاية.» (عب١٠: ٦ و١١)

+ «لنتقدم بقلب صادق في يقين الإيمان ...، لنتمسك بإقرار الرجاء راسحاً لأن الذي وعد هو أمين، ولنلاحظ بعصنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الطيبة.» (عب١٠: ٢٢-٢٤)

+ «لأن إيمانكم ينسو كثيراً، ومحبة كل واحد منكم جميعاً بعضكم لبعض تزداد.» (٢ تس١: ٣)

+ «أما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا واتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة.» (١ تي٦: ١١)

+ «تمسك بصورة الكلام الصحيح الذي بسمته مني في الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع.» (٢ تي١: ١٣)

+ «اتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدهون الرب من قلب نفي.» (٢ تي٢: ٢٢)

والآن إذا دقق القارئ وتمشّى بروحه مع هذا التكرار الذي لا يُملّ، والذي يُظهر به بولس مدى أهمية هذه الفضائل الثلاث، يتيقن حتماً أنه منهج أخلاقي لا يحمّد، يضمه بولس الرسول بالروح للسائرين في طريق العالم الوعر، وهو مطمئن أنه كفيل أن يبلغهم الغاية والقصد المبارك من سعيهم في العالم لحساب المسيح.

وإذا دققنا في هذا المنهج الأخلاقي المسيحي من داخل هذه الفضائل الثلاث، يتبين لنا أن الإيمان، وإن كان هو المدخل الأساسي للحياة المسيحية بصفته الوصلة القوية الأولى بالرب من كل الكيان، إلا أننا بمتابعة بولس الرسول نجد أن الإيمان حينما يتحد بالمحبة والرجاء يصبح القوة التي ترفع الإنسان فوق الحواجز الطبيعية سواء داخل الإنسان أو خارجه ليعيش ويتنفس الحياة الجديدة في المسيح، معطياً للسلوك المسيحي طابعه وقوته الدافعة إلى الأمام. فهناك فرق عظيم بين إنسان يؤمن، وإنسان يؤمن ومحب، وإنسان يؤمن ومحب وبها في الرجاء المبارك. ولكن في هذه الثلاثة، ولو أن بولس يضع المحبة في القمة، إلا أن الإيمان هو الذي يحملها ويؤمنها من السقوط.

لذلك نلاحظ أن بولس الرسول يؤكد على ضرورة الرسوخ في الإيمان والثبات على الإيمان. وكم يُبدي فرحه حينما يسمع عن ثبات الإيمان في الكنائس. فالإيمان هو القوة الأولى لغلبة العالم كما يقول القديس يوحنا: «وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم، إيماننا.» (١ يوحنا: ٤)

الرجاء:

الرجاء في المسيحية يتخصص في الإمساك بالمواعيد التي ربحها المسيح لحساب البشرية، وهي: الحياة الأبدية: التي يعتبرها بولس الرسول في متناول اليد: «أمسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيتم.» (١ تي: ٦: ١٢)

الحلاص: الذي جمعه يملك الرجاء: «لأننا بالرجاء خلصنا.» (روا: ٨: ٢٤)

القيامة من الموت: كحياة نحيهاها الآن وننتظر نكميلها بمجيء المسيح. والرجاء يسلم مكتسباته للإيمان ليوطده في الأمور الآتية:

«وأما الإيمان فهو الثقة بما يُرَجَى، والإيقان بأمور لا تُرَى» (عب ١١: ١).

والرجاء المسيحي هو رجاء من نوع آخر غير ما ترحوه أي نفس أخرى في العالم. فالرجاء المسيحي يختص بالأمور الروحية الفائقة التي تفوق تصور الإنسان الطبيعي. كذلك، فإن الرجاء المسيحي مبني على إيمان موثق، فهو رجاء حي لا يَخْزى: «لأن الذي وَعَد هو أمين.» (عب ١٠: ٢٣)

لذلك، فالرجاء المسيحي مصدر فرح داخلي (روا: ١٢: ١٢)، وسرور، وابتهاج، وسلام يفوق العقل، لأنه يعمل الأمور غير الموجودة وغير المنظورة كأنها حاضرة. وحينما يرسخ الإيمان ويزداد الرجاء تلتهب المحبة، فالثلاث الفضائل مفتوحة بعضها على بعض.

ولكن الرجاء، بنوع ممتاز، يُصنّف في أسلحة الروح بالخذوة الفولاذية على الرأس (١ تس ٥: ٨)، فهو يعطي جرأة لاقتحام المجهول وحاسة في الجهاد، فحينما يلتهب الرجاء لا تعود قوة ما تصدّه أو عائق يُثنيه عن بلوغ القصد:

+ «عالمين أن الضيق ينشئ صبراً (بالإيمان)، والصبر تركية (للإيمان)، والتركية رجاء، والرجاء لا يُخزى، لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُغطى لنا.» (رو ٥: ٣-٥)

المحبة:

المحبة تسير مع الإيمان، وتشتمل مع الرجاء، ثم ترتفع وحدها لتحلّق في أحواء الروح بلا عائق:

+ «أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة.» (١ كو ١٣: ١٣)

قصة نشيد المحبة الذي أنشده بولس الرسول لأهل كورنثوس: (١ كو ١٣: ١-١٣). يظهر أن كورنثوس بقدر ما كانت أم القبايح التي لا يماثلها الآن إلا باريس أو مدينة الأباطيل في كتاب «سياحة المسيحي»، بقدر ما صارت كنيستها مركز المواهب الفائقة. فقد انسكب عليها الروح بغزارة حتى إن بولس الرسول أخذ يعدّد المواهب التي أصبح يتبارى فيها أهلها في بداية الرسالة هكذا:

+ «أشكر إلهي في كل حين من جهتك على نعمه الله المعطاة لكم في يسوع المسيح أنكم في كل شيء استغنيتم فيه، في كل كلمة، وكل علم كما بُنيت فيكم شهادة المسيح، حتى إنكم لستم ناقصين في موهبة ما ... أمين هو الله الذي به ذهيتم إلى شركة ابنه يسوع المسيح ربنا.» (١ كو ٤: ٩-١٤)

ثم عاد بولس الرسول يذكر لهم مواهبهم وهو قلقٌ عليهم؛ لأنه بالرغم من هذه المواهب العديدة جداً، إلا أن بوادر الانشقاق سبب التعالي بالمواهب بدأت تظهر وخصوصاً أن الدين نالوا مواهب أعلى ابتدأوا يتعالمون على بقية الكنيسة. فبعد ما صرب لهم مثل الجسد دي الأعضاء الكثيرة والتي الأعضاء فيه لا يتفاخر بعضها على بعض بسبب أهميته أو جماله، ابتدأ يدخل في موضوع المواهب موضّحاً أن كل المواهب العالية التي يتسابقون على امتلاكها جيدة، ولكن يوجد «فضيلة» ذات مستوى أهم وأعلى من جميع المواهب، بل هي الفضيلة التي تحكم وتربط وتترأس فوق جميع المواهب، تلك هي فضيلة المحبة. وابتدأ الروح ينطق فيه نشيد المحبة الذي سجلته له الكنيسة على ظهر قلبها، وظلت السماء تردد صدها:

+ «من جهة المواهب الروحية أيها الإخوة فلست أريد أن تجهلوا، أنتم تعلمون أنكم كنتم أمما متقادين إلى الأوثان (بكل فجورها) البكم كما كنتم تساقون (في عبادتها)، ... فأنواع مواهب موجودة، ولكن الروح واحد ... ولكنه لكل واحد يُعطى إظهار الروح للمنفعة ...، كلام حكمة...، كلام علم...، إيمان...، مواهب شفاء...، عمل قوات...، نبوة...، تمييز الأرواح...، أنواع السنة...، ترجمة السنة، ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء ...، ولكن جدوا (أو "وإن كنتم تجهلون") للمواهب الحسنى، وأيضاً أريكم طريقاً أفضل» (١كو١٢: ١-١١ و٣١):

نشيد المحبة:

«إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة (موهبة الألسن)، ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاساً يطن أو صنجاً يرن،

وإن كانت لي نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم،

وإن كان لي كل الإيمان حتى أنقل الجبال، ولكن ليس لي محبة فلست شيئاً،

وإن أطعمت كل أموالى وإن سلّمت جسدي حتى أحترق، ولكن ليس لي محبة فلا أنتفع شيئاً،

المحبة تتأسى وترفق، المحبة لا تحسد، المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تُفخّج ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحتد، ولا تظنّ السوء، ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق.

تحمّل كل شيء، تصلّق كل شيء، ترجو كل شيء، تصبر على كل شيء.

المحبة لا تسقط أبداً،

وأما النبوات فستبطل، والألسنة فستنتهي، والعلم فسيبطل، لأننا نعلم بعض العلم ونسبأ بعض التنبؤ ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض ...،

أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة.

(١كو١٣: ١-١٣)

+ «اتبعوا المحبة ولكن جدوا للمواهب الروحية.» (١كو١٤: ١)

القيثارة قيثارة داود، ولكن النغم نغم بولس!

نقول القيثارة إن المواهب جيدة، وأجودها أنفعتها وليس أجلها! ... ولكن إذا وُضعت المواهب في كفة وفضيلة الحب في الأخرى ارتفع قدر الحب عالياً.

المواهب كلها على مستوى الحُسن، ولكن إن غابت عنها فضيلة المحبة ارتدَّت فارغة. وإن توقفت المواهب، وهي حتماً تتوقف، وإن سقطت، فالمحبة لا تسقط أبداً. حتى الإيمان تتوقف مسيرته بعد تكميل السعي وليس الأكاليل، حتى الرجاء ليس له موضع في السماء لأننا سننظر الذي كنا نرجو أن ننظره. والذي كنا نؤمن أن ناله فلناه. أما المحبة، فالسما موطئها الذي انحدرت منه، فبعد أن تكون أيدتنا في العُزبة، تأخذنا إلى موطئها.

صحيح أن الوصايا في القديم وفي الجديد كثيرة، ولكن اتفق الجديد مع القديم أن:

« غاية الوصية فهي المحبة. » (١ تي ١: ٥)

« لأن كل الناموس في كلمة واحدة يكمل: تحب قريبك كنفسك. » (غل ٥: ١٤)

المحبة رباط الكمال:

فضائل كثيرة يحتاجها الإنسان المسيحي لمسيرة الخلاص الذي دُعِيَ إليه، ولكن المحبة هي الحزام الذي يضم الكل!

+ « فالبسوا، كمختاري الله القديسين المحبوبين، أحشاء رافيات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة، عمتلين بفضلكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً. إن كان لأحد على أحد شكوى كما غفر لكم المسيح هكذا أنتم أيضاً، وعلى جميع هذه البسوا المحبة التي هي رباط الكمال. » (كو ٣: ١٢-١٤)

المعنى هنا لأول وهلة يُفهم على أن المحبة تجمع وتربط هذه الفضائل اللازمة للمجتمع المسيحي. ولكن المعنى الأكثر قوة هو أن المحبة تلبسها فوق، أو أكثر من، هذه الفضائل جميعها لكي تربط المؤمنين معاً، أي هي رباط الكمال المسيحي، والكمال المسيحي في الوحدة المسيحية! فالفضائل كلها تُقربنا معاً وتُصالحنا معاً، أما المحبة فهي تربطنا معاً، ولما سنجد يسند هذا المعنى في هذه الآية: « لأن محبة المسيح تحصرنا » (٢ كو ٥: ١٤)، ونحصرنا هنا يعني تربطنا وتقيدنا معاً.

ومعروف أنه إذا دخلت المحبة قلب الإنسان تداعت كل الفضائل في إثرها، فالمحبة لا تعيش إلا في وسط جوقة من الفضائل تنبث منها وتقضيها، تأخذ منها وتمطيها.

رسمها بولس الرسول وكأنها تاج مرصع بحجارة كريمة تتلألأ لتعطي منظرًا خلابًا:

الصفة بالعربية وشرحها	الصفة باليونانية	الصفة باللاتينية
+ تتأني: ومعناها الحرفي طول الأناة وهي الصفة التي تُكتسب لأبوة الله. بمعنى أن المحبة تعطي صاحبها روح الأبوة.	μακροθυμεῖ	charitas
+ تترقق: أي الرأفة والشفقة واللفظ وهي الصفة التي تلازم روح الإنشاء، وفيها إحساس بالمودة الصادقة. لذلك فهي تقدّم للصفة التي بعدها «لا تحسد».	long suffers	patiens est
+ لا تحسد: لأنها تفرح بنجاح الآخرين، وتسعد بسعادة الآخرين، ولا تغير من الآخرين.	οὐ ζηλοῖ	non aemulatur
+ لا تتفاخر: المعنى المقصود أنها لا تضرب باليق أمامها كالفرسيين الذين يُظهرون أنفسهم و يتعظمون بأعمالهم.	οὐ περπερεύεται	non agit perperam
+ ولا تنتفع: أي لا تحاول أن تكبّر بأعمالها. فهي لا تلتفت إلى إنجازاتها.	οὐ φυσιοῦται	non inflatur
+ لا تُقبح: أي لا تعمل ولا تفعل شيئاً بغير لياقة يجرح شعور الآخرين أو يُقثرهم.	οὐκ ἀσχημονεῖ	non est ambitiosa
+ لا تطلب ما لنفسها: أي لا تطلب أرباحاً لأعمالها، لأنها تكتفي بوجودها. ولأن آية	οὐ ζητεῖ τὰ ἑαυτῆς	non quaerit quae sua sunt

		أنانية تقتلها. فهي تعطي ولا تطلب العوض.
non irritatur	οὐ παροξύνεται	+ لا تحتدّ: بمعنى لا تنفعل بالخطأ أو بالهجوم أو بالافتراء والوشاية أو بالذم أو بالاعتياب، لأن منابعتها غير مربوطة بالأرضيات.
non cogitat malum	οὐ λογίζεται τὸ κακόν	+ لا تظن السوء: أي لا تفكر بالردىء نحو الآخرين أو أعمالهم، وبالتالي لا تذم.
non gaudet super iniquitate	οὐ χαίρει ἐπὶ τῇ ἀδικίᾳ	+ لا تفرح بالإثم: أي إن نجح الإثم أو الأثيم، فهي لا تفرح له أبداً.
congaudet autem veritati	συγχαίρει δὲ τῇ ἀληθείᾳ	+ بل تفرح بالحق: أي بعكس نجاح الشر، فهي في نجاح الحق تفرح وتهلل.
omnia suffert	πάντα στέγει	+ تحتمل كل شيء: بمعنى تغطي على كل شيء في صمت وسريّة، وبمعنى تعطي العذر وتخفي مناقص الآخرين وأخطاءهم.
omnia credit	πάντα πιστεύει	+ تُصدّق كل شيء: في إيمان وبساطة.
omnia sperat	πάντα ἐλπίζει	+ ترجو كل شيء: تقبل ما تُوعَد به بدون شك.
omnia sustinet	πάντα ὑπομένει	+ وتصبر على كل شيء: بصمت.

بولس الرسول وضع هنا بالروح صورة لما يجب أن تكون عليه محبة الإنسان في قلبه وسلوكه. وواضح أنه لم يرسم بهذه الخمس عشرة فضيلة منهجاً مُنَسَّقاً، ولا كان قصده أن يجمع كل الفضائل ويرتبها، ولكن واضح أن قصد الله من تسجيل هذه الفضائل هو أن يقيس الإنسان نفسه عليها ليرفع من قلبه ما هو غير مناسب للمحبة، ويسعى لاقتناء ما هو لها. وهذا واضح غاية الوضوح في ذكره فضائل بالسلب وفضائل بالإيجاب: «المحبة لا تفرح بالإثم»، بل «تفرح بالحق». فالأولى لا بد أن تُرْفَع من سلوك الإنسان، والثانية يليق أن تُكْتَسَب.

ب - فضائل أخرى

بعد ما تألفت المحبة في درجتها الأولى والعظمى عند بولس الرسول حسب التقليد الإلهي والأبوي، دخلت الفضائل الأخرى في منطقة الظل. ولكن فضيلتين أُلْحَ عليهما بولس الرسول كثيراً، وكانتا تتزاحمان في قلبه وهو يستعرض الأخلاق المسيحية، وعلى مَن تكون وترسو هذه الأخلاق، هاتان الفضيلتان هما التواضع (ومعه الوداعة) والصلاح (ومعه اللطف).

التواضع ومعها الوداعة:

فضيلة مسيحية بالدرجة الأولى، ليس لها أي أثر في الجو الوثني القديم، وحتى في اليهودية كان لها معنى يختلف عن معناها الذي تقلدته في المسيحية. فاليهودي الذي يقع في الضغطة والهوان والبؤس ويحتمل التجربة بصبر، فهو إما يكفر عن خطايا، وما عليه إلا أن يضع رجاه في الله دون أن يشعر بالعداوة والبغضة تجاه مقاوميه، وبذلك يُحَسَبُ إنساناً باراً وحسب، ولكن لا يُنسَبُ إليه التواضع^(١).

حينما قال الرب: «تعلموا مني لأني وديع $\kappa\rho\alpha\delta\varsigma$ ومتواضع القلب $\tau\alpha\pi\epsilon\iota\nu\omicron\varsigma$ $\tau\eta$ $\kappa\alpha\rho\delta\iota\alpha$ » (مت ٢٩: ١١)، لم يكن يقصد إلا فضيلة واحدة ذات وجهين؛ فالوداعة هي اللطف تجاه الناس، والتواضع هو التواضع أمام الله، والاثنان فضيلة واحدة وذلك بالنسبة للمسيح.

والقديس بولس مغرم بالجمع بين الفضيلتين، والقصد في ذهنه دائماً هو أن يقدم الإنسان المسيحي الآخرين على نفسه!!

I. F. Prat, *op. cit.*, vol. II, p. 337.

- + « بكل تواضع ووداعة، وبطول أناة^(٢) محتملين بعضكم بعضاً. » (أف ٤: ٢)
- + « لا شيئاً يتحزّب أو يُعجّب، بل بتواضع ταπεινοφροσύνη، حاسين كل واحد الآخر أفضل من نفسه (الترجمة الصحيحة). لا تنظروا كل واحد إلى ما هو لنفسه بل كل واحد إلى ما هو لآخرين أيضاً. » (في ٣: ٢ و٤)
- + « فالبسوا كمختاري الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة. » (كو ٣: ١٢)
- + « اخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة. » (أع ٢٠: ١٩)

وأحياناً يحصر فكره في الوداعة بفردھا كلطف فائق:

- + « ماذا تريدون؟ أمعا آتي إليكم أم بالمحبة وروح الوداعة... » (١ كو ١٤: ٢١)
- + « ثم أطلب إليكم بوداعة المسيح وِجْلمه... » (٢ كو ١٠: ١)، لاحظ قول المسيح من نفسه « لأنني وديع... » (مت ١١: ٢٩)
- + « أما ثمر الروح فهو عفة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، ووداعة، تعفّف. » (غل ٥: ٢٢ و٢٣)
- + « أيها الإخوة، إن انتبّقَ إنسان فأخذ في زلّة ما، فأصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة. » (غل ٦: ١)
- + « مؤدّباً بالوداعة المقاومين، عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق. » (٢ تي ٢: ٢٥)
- + « ولا يطمئنا في أحد، ويكونوا غير محاصمين، محلّماء، مُظْهَرين كل وداعة لجميع الناس. » (٢ تي ٣: ٢)

ويقول المختصون في شرح هذه الصفة الأخلاقية، أي الوداعة، إنها في المسيحية لا تشمل إلاّ عل قاعدة من التواضع، فهي في الحقيقة فضيلة متقدمة من أصل التواضع^(٣) ولا توجد بدونه.

وتقف فضيلتا التواضع والوداعة كعميار ثابت لوزن الأخلاق المسيحية والحكم على صحتها أو مرضها.

الصلاح αγαθωσύνη ومعہ اللطف χρηστότης :

وهو من الفضائل البارزة في دستور القديس بولس الأخلاقي وهي من خصائص كتابته.

(٢) أنظر طول الأناة في المحبة.

ويقدم لنا القديس جيروم الفرق بين هاتين الفضيلتين:

[فاللطف فضيلة هادئة عذبة فيها طُرف وإيناس، كلامها فيه مودة ورقة. والصلاح قريب منها. فالصالح مَنْ يسعى لإسعاد الآخرين، ولكن الصلاح أقل جاذبية من اللطف وأكثر قطعاً وتحديداً، والصلاح ولو أنه متأهب دائماً ليصنع الخير ولكن ينقصه الدماعة واللطف والرفقة التي تأسر كل القلوب.]^(١)

الصلاح يعمل كأساس، ولكن اللطف يعطي الشكل والمظهر للفضيلة والتقوى، فإذا أضيف اللطف على الصلاح صار الصلاح ضعف قيمته وفاعليته. ولكن لا يصح أن نقول: «صلاح اللطف» بل «لطف الصلاح»، لأن الصلاح كما قلنا أساس واللطف رداءً له، والاثنان معاً صفة من صفات الله، حيث يفضل أن يسمى اللطف رافة، فالله صالح ورؤوف. لذلك أصبحتا هاتان الصفتان في المسيحية ذاتي أصول مستمدة من الله، وبذلك فإن لهما رنة أصالة وثبات وليست بالرخص الذي يوصف به أهل العالم.

4. *Comments. on Galat.*, §22.

الفصل الخامس

الذائل الأخلاقية المرفوضة في المجتمع المسيحي عند بولس الرسول

١ - الفُرقة:

إن أُرذل الذائل كما يراها القديس بولس، كرسول ومبشر، هي رذيلة «الفُرقة»، وقد حاربته وحاربها في بدء خدمته وفي نهايتها، وكانت تهدد خدمته باستمرار. وقد جاءت تحت أسماء وصفات عديدة، ولكن آثارها واحدة، إصابة الجماعة بالاضطراب والنزاع والتحاسد. وأساؤها جاءت كالآتي:

(أ) خصام: *eris* (رو١: ٢٩)، (رو١٣: ١٣)، (١كو١: ١١)،

(١كو٣: ٣)، (٢كو١٢: ٢٠)، (غل٥: ٢٠)،

(في١: ١٥)، (١تي٦: ٤)، (تي٣: ٩).

(ب) شقاق (انقسامات): *dissonantia* (رو١٦: ١٧)، (غل٥: ٢٠).

(ج) التحزب: *eris* (رو٨: ٢)، (٢كو١٢: ٢٠)، (غل٥: ٢٠)،

(في١: ١٧)، (في٣: ٣).

ولأن الكنيسة كانت تُبنى بالنفوس الطيبة الجديدة، فقد كان من أخطر ما يصيب الكنيسة وهي في دور البناء والتجمع روح الخصام والشقاق والتحزب؛ لأن هدف بولس اللاهوتي هو من هدف المسيح: أن يكون الكل واحداً في ألفة واتسجام ومحبة.

٢ - الطمع: *pleonexia*

وباللاتينية *circumvenire*.

الرذيلة الثانية في قبحها عند بولس الرسول هي الطمع، وهو الطمع في العِرض، أو التناول على عفة الآخرين.

ولكن هذه الرذيلة في منهج بولس الأخلاقي ليست بمفهوم كلمة «الطمع» التي اعتدنا سماعها كطمع في مال أو فيما للغير عموماً، بل إنها تتجه مباشرة إلى الطمع في المرض. لذلك تأتي كثيراً مربوطة بالزنا أو النجاسة وعبادة الأوثان التي تقوم على الزنا أيضاً وإباحة العرض. ومعروف تماماً أن مثل هذا الاتجاه له قدرة خطيرة على تقويض الكنيسة التي تقوم على القداسة الكاملة. لذلك كانت حساسية بولس الرسول نحو هذه الرذيلة شديدة للغاية: «أما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يُسَمَّ بينكم كما يليق بقديسين، ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التي لا تليق، بل بالحرّي الشكر. فإنكم تعلمون هذا أن كل زانٍ أو نجسٍ أو طمّاع الذي هو عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله.» (أف ٥: ٣-٥)

واضح هنا أن الطمع واقع في وسط رذائل النجاسة بأصنافها، فهو صورة من صور التملّي الجنسي. وكلها تنحصر في رذيلة النجاسة. ولعلّ أوضح المواضع التي تظهر فيها رذيلة الطمع أنها طمع في المرض هي الآية التالية:

+ «لأن هذه هي إرادة الله قداسكم، أن تمتنعوا عن الزنا، أن يعرف كل واحد منكم أن يقتني إناؤه بقداسة وكرامة، لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله، أن لا يتطاول أحد ويطمع على أخيه في هذا الأمر، لأن الرب منتقم لهذه كلها.» (١ تس ٤: ٣-٦)

الفصل السادس

عناصر أخلاقية أخرى

الصلاة كمعصر أخلاقي عند بولس الرسول

- قد يبدو أنها مغالاة وإفراط في التوعية بقيمة الصلاة عند بولس الرسول، ولكن قد يكون هذا مقولاً إذا لم يكن قد قدّم نموذج حياته ناطقاً بصدق قيمة الصلاة في أعماق روحه:
- + «افرحوا كل حين، صلّوا بلا انقطاع، اشكروا في كل شيء. لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم». (١ تس ٥: ١٦-١٨)
 - + «لا تهتموا بشيء، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر، لتُطَمَّ مطلباتكم لدى الله». (في ٤: ٦)
 - + «مُصلّين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح، وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة». (أف ٦: ١٨)

وفي ذلك يقدم هو نفسه نموذجاً حياً ناطقاً:

- + «نشكر الله كل حين من جهة جميعكم ذاكرين إياكم في صلواتنا». (١ تس ١: ٢)
- + «من أجل ذلك نحن أيضاً منذ يوم سمعنا، لم نَزَلْ مُصلّين وطلّابين لأجلكم، أن تمتثلوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحي». (كو ١: ٩)

وفي كل مواقف بولس الرسول منذ أن عرف الرب مُشرقاً عليه من السماء وهو يصلي:

- + «فقال له (لحنانيا) الرب: قم واذهب إلى الزقاق الذي يقال له المستقيم، واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول لأنه هوذا يصلي». (أع ٩: ١٦)
- + «وحدث لي بعد ما رجعت إلى اورشليم وكنت أخصي في الهيكل». (أع ٢٢: ١٧)
- + «قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه، فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي». (أع ١٣: ١٣ و١٤ و١٥ و١٦ و١٧ و١٨ و١٩ و٢٠ و٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٤ و٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٣ و٣٤ و٣٥ و٣٦ و٣٧ و٣٨ و٣٩ و٤٠ و٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٤ و٤٥ و٤٦ و٤٧ و٤٨ و٤٩ و٥٠ و٥١ و٥٢ و٥٣ و٥٤ و٥٥ و٥٦ و٥٧ و٥٨ و٥٩ و٦٠ و٦١ و٦٢ و٦٣ و٦٤ و٦٥ و٦٦ و٦٧ و٦٨ و٦٩ و٧٠ و٧١ و٧٢ و٧٣ و٧٤ و٧٥ و٧٦ و٧٧ و٧٨ و٧٩ و٨٠ و٨١ و٨٢ و٨٣ و٨٤ و٨٥ و٨٦ و٨٧ و٨٨ و٨٩ و٩٠ و٩١ و٩٢ و٩٣ و٩٤ و٩٥ و٩٦ و٩٧ و٩٨ و٩٩ و١٠٠)

+ «وانتخبوا لهم قسوساً في كل كنيسة ثم صلياً بأصوام واستودعاهم للرب.» (أع ١٤: ٢٣)
 + «ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا ويصليان ويسبحان الله والمسجونون يسمعونهما.»
 (أع ١٦: ٢٥)

+ «ولما قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلى.» (أع ٢٠: ٣٦)
 + «ولكن لما استكملنا الأيام خرجنا ذاهبين وهم جميعاً يُشيعوننا مع النساء والأولاد إلى خارج المدينة، فجتئنا على رُكننا على الشاطئ وصلينا.» (أع ٢١: ٥)
 + «فحدث أن أباً بوبليوس كان مضطجماً معترى بحمى وسحج فدخل إليه بولس وصلى ووضع يديه عليه فشفاه.» (أع ٢٨: ٨)
 + «فإن الله الذي أبده بروحي في إنجيل ابنه، شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم متضرعاً دائماً في صلواتي...» (رو ١٠: ١٠٩)

+ «وأصلي إلى الله أنكم لا تعملون شيئاً ردياً...» (٢ كو ١٣: ٧)
 + «بسبب هذا أحني ركبتي لدى أبي ربنا يسوع المسيح... لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيّدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن.» (أف ٣: ١٤ و١٦)
 + «وهذا أصليّه أن تزداد محبتكم أيضاً أكثر فأكثر في المعرفة وفي كل فهم.» (في ١: ٩)
 + «أيها الإخوة إن مسرة قلبي وطلبتي إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص.» (رو ١٠: ١)
 + «من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقني (مريض).» (٢ كو ١٢: ٨)
 + «طالبين ليلاً ونهاراً أوفر طلب أن نرى وجوهكم ونكتمل نقائص إيمانكم.» (١ تس ٣: ١٠)

والقدّيس بولس من هذه الخلفية المشبعة بالصلاة، يعطي نصائحه المستمرة للصلاة، والصلاة من أجله:

+ «فرحين في الرجاء، صابرين في الضيق، مواظبين على الصلاة.» (رو ١٢: ١٢)
 + «لا يسلب أحدكم الآخر (الزوجان)، إلا أن يكون على موافقة إلى حين، لكي تتفرغوا للصوم والصلاة.» (١ كو ٧: ٥)

+ «واظبوا على الصلاة، ساهرين فيها بالشكر، مُصلّين في ذلك لأجلنا نحن أيضاً، ليفتح الرب لنا باباً للكلام لتتكلم بسرّ المسيح...»
 كي أظهره كما يجب أن أتكلّم.» (كو ٤: ٢-٤)

+ «فأطلب أول كل شيء أن تُقام طلبات وصلوات وابتهاالات وتُشكّرات لأجل جميع الناس لأجل الملوك وجميع الذين هم في منصب...» (١ تي ٢: ٢ و١٠)
 + «فأريد أن يصلي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال.»

+ « فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح ومحبته الروح أن نجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله. » (رو١٥:٣٠)

+ « وأنتم أيضاً مساعدون بالصلاة لأجلنا ... » (٢كو١:١١)

+ « مُصَلِّين بكل صلاة وطلبه كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبه لأجل جميع القديسين ولأجلي، لكي يُغطى لي كلام عند افتتاح فمي لأعْلِم جهاراً بسرّ الإنجيل. » (أف٦:١٨ و١٩)

+ « أتعمرأ أيها الإخوة صلوا لأجلنا لكي تخبري كلمة الرب وتتمجد كما عندكم أيضاً. » (٢تس٣:١٠)

+ « لأنني أعلم أن هذا يؤول لي إلى خلاص بطلبتكم وموازة روح يسوع المسيح. » (في١:١٩)

+ « اغثيد لي أيضاً منزلاً، لأنني أرجو أنني بصلواتكم سأوْهَبُ لكم. » (غل٢٢)

+ « السلام بيدي أنا بولس. اذكروا وُثِّقوا... » (كو٤:١٨)

واضح أن بولس الرسول عرف الصلاة الحارة، والتي بالدموع، وعرف حثي الركب طويلاً، وعرف الصلاة بموازة الروح، وعرف الصلاة الطويلة جداً، والتي بلجاجة، والتي تتكرر وتتكرر من أجل الموضوع الواحد، وعرف قوة صلاة الآخرين عنه وعن قيوده، وعرف السهر في الصلاة، والمواظبة عليها في مواعيدها بدون خلل أو ملل. فإن كان للكنيسة اليوم كل هذه الصلوات مُعَلَّنة في ليتورجياتها اليومية والأسبوعية والموسمية، بأسهارها حتى الصباح، وبمواظبتها التي لا تُخْلُ بالليل والنهار، فردية وجماعية، بهني الركب مراراً وتكراراً، وصلاة الأصوام في أوقاتها، فذلك كله لأن روح القديس بولس الرسول لا يزال يعمل ويتوسل لدى الروح القدس والمسيح أن لا تكلُ الكنيسة أو تخور في جهادها الشاق ضد روح العالم.

العمل والنظام كفضائل أخلاقية

عند بولس الرسول

كان العمل والنظام بالنسبة للمسيحي المؤمن الفرد وبالنسبة للكنيسة كمجتمع مسيحي في العالم، فضيلتين يرتقي مفهومهما عند بولس الرسول من مستوى الجسد إلى مستوى الروح، فكانتا ذات اعتبار كبير في تعليمه وكرازته.

وعجيب حقاً أن هذا القديس المنتخب والمعين من السماء ومن فم المسيح لمثل هذه الإرسالية

المفتوحة على عالم الأمم بعيداً، يصحب معه يَمُزَلْه وخيوطه أينما سار وأينما حطَّ، فينزوي في غرفة يستأجرها ليعظ بالنهار وينسج بالليل خيامه التي يبيعها ويقتات منها ويصرف على الإخوة من حوله. بهذا يكون بولس الرسول قد قدَّس العمل ليكون لحساب المسيح والكلمة!! وبهذا الأسلوب الفريد الذي يربط فيه العمل الروحي بالعمل اليدوي وفَرَّ لنفسه وبالتالي لرسالته، وبالأكثر للكنيسة، أقدس الفضائل نجاء العالم والناس:

الحرية، والاستقلالية! اللتين تؤمنان للفرد والكنيسة صحة العبادة ونقاوة العلاقة بالله والآخرين. هذا فوق منفعة صُلْب الفكر وضبط الجسد، علاوةً على اكتساب فرصة ومصدرٍ للعطاء والسخاء والتوزيع من بذل المحبة!

بولس الرسول وهو يقَلِّب يديه الحشتين، وقد تصلَّبتا وتشقَّقتا من عُثْفِ فَرِّ اليَمُزَلْه وكُرِّ التَوَلِّ، ودسَّ الإبرة والمِسْطَلَّة في نسِيج شعر الماعز القديد الشديد، أمام قسوس أفسس المودَّعين، كان كمن يطرح الإنجيل أمام العالم محمولاً فوق أعراق ودموع وأسهار وجهه مبذول حتى آخر بصيص من نور العين وعافية اليدين وراحة البدن. كان كمن يستودع الإنجيل في خزانة الكنيسة ملفوفاً، لا بالذهب الإبريز، بل بشدائد جسده التي أكمل بها شدائد المسيح:

+ « فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أَشْتِ،

أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين معي خَدَمْتُها هاتان اليدان،
في كل شيء أَرَيْتُكُمْ أنه هكذا ينبغي أنكم تتعبون وتعضِّدون الضعفاء،
متذكِّرين كلمات الرب يسوع أنه قال: مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ. »

(أع ٢٠: ٣٣-٣٥)

+ « أنتم تعرفون كيف يجب أن يُمثَّل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم،
ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد،

بل كنا نشغل بتعبٍ وكَدٍّ ليلاً ونهاراً، لكي لا نثقل على أحد منكم،
ليس أن لا سلطان لنا، بل لكي نعطيكم أنفسنا قدوة حتى تتمثلوا بنا،
فإننا أيضاً حين كنا عندكم أوصيناكم بهذا
أنه إن كان أحد لا يريد أن يشغل فلا يأكل أيضاً،

لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب لا يشغلون شيئاً بل هم فضوليون،

فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم برَبنا يسوع المسيح أن يشغلوا يهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم. »

(٢ تس ٣: ٧-١٢)

واضح من كلام بولس الرسول هنا أنه لا يأمر المحتاجين فقط إلى المال والقوت أن يعملوا، بل

هو يأمر ويقتن العمل على الجميع حتى الأغنياء ذوي الجاه والقائض. فالعمل هنا بطرحه بولس الرسول كوصية لها صلة بالروح وذات ثمار مُزِيحة للفرد في حياته وللكنيسة ككل. لذلك، فالعمل هو فضيلة ليس للمعوزين أو الكسالى بل للجميع لبنان الإنسان وروح الكنيسة:

+ «لا يسرق السارق فيما بعد، بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطي مَنْ له احتياج.» (أف: ٤: ٢٨)

العمل هنا رفعه بولس الرسول إلى مستوى الصلاح، ومنه يُعطي فرصة للمحبة والعطاء فتزداد فضيلة العمل لتفتخر بالمحبة فوق كل الفضائل.

الترتيب (النظام) τάξις — الطقوس:

كانت حياة بولس الرسول نموذجاً لهذا الترتيب والنظام سواء في تدبيره لكل كنيسة حل حدة أو كل الكنائس: «الاهتمام بجميع الكنائس» (٢ كو ١١: ٢٨). وبولس الرسول، في إعطائه لترتيب الخدمات وتنظيم الاجتماعات والكلام والسمع فيها، إما كان يضع للكنيسة منهجها الخاص بالخدمات الذي نسميه الآن طقس الخدمة وأصوله:

+ «أيها الإخوة متى اجتمعتم، فكل واحد منكم له مزمور له تعليم له لسان له إعلان له ترجمة فليكن كل شيء للبنين ... لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام كما في جميع كنائس القديسين، لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مادونا لَنْ أن يتكلمن ... أم منكم خرجت كلمة الله؟ أم إليكم وحدكم انتهت ... فليعلم (كل واحد منكم) ما أكتب إليكم أنه وصايا الرب ...»

ليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب $\epsilonὐσχημόνως \text{ καὶ κατὰ τάξιν}$.

(١ كو ١٤: ٢٦-٤٠)

ولم يكن شيء يبرق قلب بولس الرسول قدر ما كان يسمع أن الكنائس تسير بترتيب وإيمان:

+ «فإني وإن كنت غائباً في الجسد، لكني معكم في الروح فريحاً وناظراً ترتيبكم $\epsilonὐσχημόνως$ ومثانة إيمانكم في المسيح.» (كو: ٢: ٥)

وقطع بولس الرسول بالعقاب على مَنْ تحدّثه نفسه بالإخلال بنظام الكنيسة وترتيب الخدمة فيها بحسب التعليم الذي وضعه بنفسه (ويبدو أن العقوبات كانت مكتوبة ومحددة) يعود بعدها العضو إلى خدمته، أي أن يكون القطع مترفعاً:

+ «ونطلب إليكم أيها الإخوة أنذروا الذين بلا ترتيب، شجعوا صغار النفوس، أسندوا الضعفاء، تأثروا على الجميع.» (١ تس: ٥: ١٤)

+ «ثم نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب δτάκτως وليس حسب التعليم الذي أخذناه منا، إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يُمتثل بنا، لأننا لم نسلك بلا ترتيب ἡτακτῆσαμεν بينكم.» (٢ تس ٣: ٧ و٦)

اللباقة εὐσχημόνως

وتتركب من مقطعين: εὖ وتعني «حسن»، σχῆμα وتعني «شكل».

ويقصد بها القديس بولس الحسن والوقار والهدوء في الأداء:

+ «ليكن كل شيء بلباقة وبحسب ترتيب.» (١ كو ١٤: ٤٠)

+ «لنسلك بلباقة كما في النهار...» (رو ١٣: ١٣)

+ «وأن تحرصوا على أن تكونوا هادئين وقارسوا أموركم الخاصة وتشتغلوا بأيديكم أنتم كما أوصيناكم لكي تسلكوا بلباقة عند الذين هم من خارج ولا تكون لكم حاجة إلى أحد.» (١ تس ٤: ١١ و١٢)

وتمتد اللباقة لتشمل عدم وضع عثرات أمام اليهود أو الأمم الوثنيين:

+ «كونوا بلا عثرة لليهود واليونانيين ولكنيسة الله، كما أنا أيضاً أرضي الجميع في كل شيء غير طالب ما يوافق نفسي بل الكثيرين لكي يخلصوا.» (١ كو ١٠: ٣٢ و٣٣)

وبولس الرسول يرحب بأن يلقي المسيحي دعوة غير المسيحي ليأكل عنده، إنما يحذّر فقط أن لا يستهين المسيحي بإيمانه، كما لا يعثر مُضيقة:

+ «إن كان أحد من غير المؤمنين يدعوكم وتريدون أن تذهبوا، فكلُّ ما يقدم لكم كلوا منه غير فاحصين من أجل الضمير.» (١ كو ١٠: ٢٧)

+ «مقدمين كل أمانة صالحة (نجاه غير المؤمنين والأسیاد) لكي يزيّنوا تعليم مخلصنا الله في كل شيء.» (١ تي ٢: ١٠)

ومنهج بولس الرسول في الفضائل الأخلاقية، سواء في السلوك الديني أو خارج الكنيسة، يكاد يجمع كل شوارد المتطلبات لحياة التقوى والرقى الأخلاقي لأصغر وأفقر عضو في الكنيسة إلى أعلى مرتبة فيها. وهو لم يتدع الكنيسة تتلفت حولها لتستعير شيئاً من خارجها. فقد قدّمها بولس بحق لتكون عذراء عفيفة عروساً مزيّنة لعريسها، مدينة الله الحي أورشليم ذات الأساسات والقُمَد والأسوار والأبواب اللؤلؤية، جاهلاً خلاص، وبهاؤها تسبيح.

الفصل السابع

الكمال الأخلاقي

عند القديس بولس

أ — المسيح غودج الكمال الأخلاقي الذي نأخذ منه لنتحول إليه:

لم يشرّع بولس الرسول، لا لللاهوت المسيحي ولا للأخلاق المسيحية. بولس الرسول كان ينظر المسيح ويصفه، ويسمع المسيح ويعلمه. لم يضع بولس منهجه كأوامر منقوشة على لوح، بل عاشه كحياة، ومن الحياة صاغ بوعدها، كان المسيح فيها المرجع الوحيد، والمثل الأعلى، والنموذج الحي الذي يُحتذى، والجسد الحي الذي منه يُتحدى. وكان العرض الأسمى والنهائي عند بولس في رسمه للإنسان المسيحي هو، لا أن يصير شبيهاً بالمسيح، بل متحداً به، له فكره، وروحه، وحياته، وكل حركاته وسكناته، له أله وموته، وقره وقيامته، وله مجده.

لم يتموِّق منهج بولس في التطبيق بسبب كماله الفائق، بل نجح وامتد وعطى كل الكنيسة وكل الأرض، مع أن بولس لم يضع منهجه التراماً، بل طرحه نموذجاً وقدم نفسه مثلاً. إلا أن كل من اقتحمه والتزم به وعاش فيه، وعاش له ملايين من بني البشر، كان يمطي بحياته صورة صادقة منتهى الصدق لهذا الكمال. إلا أنه لم تأت قط صورة كالأخرى، لئيفي الكمال كمالاً لا ينقص أبداً، يؤخذ كله ويبقى كله، وهذه هي سمة النموذج حينما يكون إلهياً.

حينما قال المسيح: «يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، من استطاع أن يقبل فليقبل» (مت ١٩: ١٢)، جاء بولس ليترجم القول بالعمل: «أريد أن يكون جميع الناس كما أنا، لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله. الواحد هكذا والآخر هكذا.» (١ كو ٧: ٧)

واضح أن بولس الرسول سمع المسيح، فنادى، وبلغ نداؤه أقصى الأرض، فأطاعه الملايين ممن صاروا كبولس أو كقول المسيح. وكان الموهبة كانت بانتظار نُطق المسيح وبداء بولس أو بانتظار

هذه الملايين التي سمعت وانطلقت في طريق الملكوت لا يموتها عائق. وصارت البتولية في العالم منهجاً أخلاقياً بحد ذاته يشعُ الإنجيل، ويسند الكنيسة في صمت، ويشهد للنموذج الأكمل:

+ «... الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد، الذي فنّادي به منذرين كلَّ إنسان، ومعلّمين كل إنسان، بكل حكمة، لكي نُحْيِرَ كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع» (كو ١: ٢٧ و ٢٨)، حيث ليس الإنسان هو الذي يبلغ الكمال، بل إنه يبلغه في المسيح كعضو في جسد يستمتع بكمال الرأس.

وإن كان المنهج الأخلاقي يبدأ دائماً بالتمثّل بالمسيح، ولكنه سرعان ما ينكشف السرّ أن النموذج الذي طرحه لنا المسيح بذاته لا يبقى كثيراً نموذجاً يُحتذى به بل نموذجاً يُفْتَصَّبُ، بل يؤكل أكلاً: «أنتم فيّ وأنا فيكم» (يو ١٤: ٢٠)، «فمن يأكلني فهو يحيا بي» (يو ٦: ٥٧). فلماذا الاقتداء ولماذا التمثيل والتشبيه وقد وهب المسيح نفسه لكل مَنْ يؤمن به ويحبه؟

في الأول يأتي التغيير: «نحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغيّر إلى تلك الصورة عنها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح». (٢ كو ٣: ١٨)

ولكن بالنهاية يأتي الاتحاد: «فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ» (غل ٢: ٢٠)، «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في ٤: ١٣)، «... ليحلّ المسيح بالإيمان في قلوبكم» (أف ٣: ١٧)، «لأن كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح». (غل ٣: ٢٧)

هكذا ينتقل منهج الاقتداء السلوكي والأخلاقي بالمسيح إلى حقيقة الاتحاد وقيادة المسيح للحياة.

فالمسيحي في نظر بولس الرسول يأخذ في البداية هويّة الانتماء إلى المسيح، وبالنهاية يحوز على تحقيق شخصية هي شخصية المسيح التي يحيا بها. وهكذا كان ينظر بولس ويتقرّس في المسيح، ثم يعطي منهجه الروحي الأخلاقي.

+ «فيجب علينا، نحن الأقوياء، أن نحتمل أضعاف الضعفاء، ولا نُرضي أنفسنا. فلْيُرض كل واحد منا قريبه للخير لأجل البنیان، لأن المسيح أيضاً لم يُرض نفسه...» (رو ١٥: ٣-١)

+ «قَرَحاً مع الفرحين، وبكاءً مع الباكين». (رو ١٢: ١٥)

+ «بكى يسوع!» (يو ١١: ٣٥)

- + « فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح ... » (في ٢: ٥)
- + « والرب يهدي قلوبكم إلى محبة الله وإلى صبر المسيح. » (٢ تس ٣: ٥)
- + « أطلب إليكم بوداعة المسيح وجلمه ... » (٢ كو ١: ١٠)

ب - الفعل الإفخارستي يرقى إلى الكمال الأخلاقي:

إن السر التوحيدي الذي يوحد المسيحيين في جسد المسيح وروحه ليجعلهم واحداً بعد فرقة واتحاداً بعد تمزق، إنما هو فعل أخلاقي بالدرجة الأولى:

- + « احكموا أنتم في ما أقول: كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟ الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح،

فلإننا نحن الكثيرين، خبزٌ واحد، جسد واحد. لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد. » (١ كو ١٠: ١٥-١٧)

هنا تبقى عملية اتحاد المؤمنين اتحاداً روحياً عمالاً في شخص المسيح بجسده وروحه، هي منتهى أمل البشرية ورجائها التي بها تتحد القلوب والأفكار والمبادئ والأرواح أيضاً. إنها حلم الفلاسفة، ومنتهى ما يتناهى ويتخيلهُ المصلحون الاجتماعيون. ولكن هيهات، لأنه بدون المسيح لا توجد في العالم قوة توحد ما بين اثنين، حتى ولو كانوا متساويين في كل شيء، فما بالك حينما تكون الوحدة بين المتناقضات!

- + « ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حر، ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع. » (غل ٣: ٢٨)

- + « حيث ليس يوناني ويهودي ختانٌ وغُرَّةٌ بربري يَكْهَنِي ... بل المسيح الكل وفي الكل. » (كو ٣: ١١)

القديس يوحنا ذهبي الفم يشرح شركة سر الإفخارستيا هكذا:

[إن بولس لم يقل « مشاركة » participation (أي أن يأخذ كل واحد نصيبه من الجسد) بل قال « شركة » communion (ومعناها الحرفي co = معاً، union = اتحاد، أي عملية الاتحاد معاً). لأنه — أي بولس — قصد أن يشرح الاتحاد بصورة مقربة للذهن. لأنه حينما نتناول من الأسرار المقدسة communion، لا نقسم الجسد، أي المسيح، بل نتحد به. وفي الحقيقة كما أن الجسد متحد بالمسيح، هكذا بهذا الخبز نتحد بالمسيح، ولكن لماذا أنا أركز على شركة الاتحاد، لأن بولس يقول إننا نحن هذا الجسد عينه، لأن ما هو هذا الخبز؟ هو جسد المسيح، وماذا نصير نحن عند تناولنا هذا الخبز؟ نصير جسد المسيح لا أجساداً كثيرة

بعد، بل جسداً واحداً.](١)

هذا الاتحاد يعمل في الحال لحساب التقوى كما يقول القديس أغسطينوس:
[سر الإفخارستيا هو سر التقوى، هو الآية الفعالة للوحدة، فهو رباط المحبة.](٢)

وهكذا يبقى سر الإفخارستيا في عقيدة الكنيسة هو الفعل الأول للكمال المسيحي، والضمين
الثابت لهذا الكمال. إذ يوحد المؤمنين معاً ثم يوحدهم بمصدر قداسهم وتقواهم وحياتهم الأبدية:
«جسدي ماكل حق، ودمي مشرب حق». (يو: ٦: ٥٥)
أي امتياز هذا أن صار للإنسان أن يقتدي ويشرب الحق؟

وبخصوص منهج بولس الأخلاقي، فليس خافياً أن الشعوب الأوروبية ظلت تتشرب، فكان
لها المصدر الأمين في نشوء الأصول الأولى للتربية المسيحية، ومبادئ التشريع والحرية، والمدنية على
وجه العموم.

فما أعظم الذين الذي يدين به العالم لهذا الرسول!
أي تقى، أي مُرسَل، أي واعظ، أي معلّم لم يستمد قوة من فكره بل من روحه، أية نهضة،
أية توبة لم تستمد حركتها بل قوتها من كلماته!

1. F. Prat, *op. cit.*, vol. II, p. 351.

2. Ibid.

الباب السابع

أمور آخر الزمان عند القديس بولس

ESCHATOLOGY الأخريات

الفصل الأول

ما هي الإسخاتولوجيا

أ - معنى هذا الاصطلاح واستخداماته:

١ - المعنى العام لكلمة «إسخاتوس»:

ἐσχατος = «إسخاتوس» هو اصطلاح يُستخدم للدلالة على شيء أحير، سواء كان مادياً مثل ما جاء على لسان المسيح: «الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفي الفَلَس الأخير» (مت ٢٦: ٥)

أو للدلالة على المكان: «تكونون لي شهوداً في اورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أع ١: ٨)، حيث «أقصى» هنا تعني «آخر الأرض»؛

أو للدلالة على الزمن: «فتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله» (مت ١٢: ٤٥)؛

أو للدلالة على ترتيب الأشخاص: «اذبح الفعلة وأعطهم الأجرة متدناً من الآخرين إلى الأولين» (مت ٢٠: ٨)؛

أو للدلالة على مبدأ أو فكرة أو حالة: «فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى». (مت ٢٧: ٦٤)

ثم تتركز في الدلالة على اليوم: «وفي اليوم الأخير العظيم من العيد» (يو ٧: ٣٧)، كذلك في الأعمال: «وأن أعمالك الأخيرة أكثر من الأولى». (مؤ ٢: ١٩)

وأول مظهر لاهوتي لاستخدام الـ «إسخاتوس» جاء على لسان بولس الرسول وهو يصف نفسه كآخر الكل (وليس مجرد أخير) على مستوى استعلان القيامة: «وآخر الكل» كأنه للشَّقْطِ ظهر لي أنا. «(١ كو ١٥: ٨)

٢ - الاستخدام اللاهوتي لكلمة «إسخاتوس»:

والتميز بالـ «إسخاتوس» في المفهوم اللاهوتي يقيد نهاية أو ختام أو قفل نوع معين من تسلسل الحوادث، حتى إن بعد هذا الـ «إسخاتوس» لا يكون شيء من هذه الحوادث. وهذا يتضح من كيف يُستخدم هذا الاصطلاح في العهد القديم للدلالة على «يوم يهوه» = يوم الرب. فالنهاية بالنسبة لتسلسل حوادث العهد القديم تأتي في المسيحية بظهور المسيح: «الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة εσχάτου في ابنه» (عب ١: ٢٠١)؛ «معروفاً سابقاً قبل تأسيس العالم، ولكن قد أظهر في الأزمنة الأخيرة εσχάτου من أجلكم». (١ بط ١: ٢٠)

وهكذا، واعتماداً على أن مجيء يوم الرب وظهور المسياً هو «الإسخاتون» في العهد القديم، اعتبر المسيحيون الأوائل أنهم قد أصبحوا في يوم الرب نفسه وأنهم امتداداً به يعيشون «الإسخاتوس»، وذلك بعد أن تحققوا تماماً من حلول الروح القدس يوم الخمسين كعلامة محققة وبارزة أعطاهها العهد القديم للتعرف على بدء الـ «إسخاتوس»: «يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر» (أع ٢: ١٧). ومن واقع لاهوت الخير والشر، والنور والظلمة، والحق والباطل، والاعتراف والتجديف، فإنه بمجيء الحق بالمسيح بمجيء أيضاً وحتماً التجديف ومن هو ضد المسيح. فظهور الضد للمسيح أصبح هو الآخر علامة على آخر الأيام:

+ «ولكن اعلم هذا أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمة صعبة لأن الناس يكونون مُحَيَّنِينَ لأنفسهم، مُحَيَّنِينَ للمال ... مجتَهِين ...» (٢ تي ٣: ٢٠١)

+ «عالمين هذا أولاً أنه سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزون سالكين بحسب شهوات أنفسهم...» (٢ بط ٣: ٣)

+ «أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة، وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتي، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون، من هنا تعلم أنها الساعة الأخيرة.» (١ يو ٢: ١٨)

ولكن كما كان للعهد القديم رؤيا شفاقة صادقة مؤكدة لأواخر الأيام بمجيء «يوم الرب»، هكذا صار للعهد الجديد رؤيا مساوية وشفافة ومؤكدة لأواخر أيام قادمة تبدأ بظهور المسيح ثانية ومعه حوادث آخر الزمان الخطيرة:

+ «لأنه يجب أن يملك (المسيح) حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه، آخر εσχάτος عدو يبطل هو الموت.» (١ كو ١٥: ٢٥ و٢٦)

وسيكون لهذا اليوم علامة مسموعة: «في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير εσχάτη.

ويصاحبه مصاعب فائقة: «ثم رأيت آية أخرى في السماء عظيمة وعجيبة، سبعة ملائكة معهم السبع الضربات الأخيرة لأن بها أكمل غضب الله.» (رؤ١٥:١)

وينتهي هذا اليوم الأخير بالقيامة التي يُجريها الرب لمختاريه: «وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أُلْف منه شيئاً، بل أقيمُه في اليوم الأخير» (يو٦:٣٩)؛ حيث يعتبر القديس بطرس أن القيامة الأخيرة هي إعلان الخلاص الأخير: «أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان، خلاص مستعد أن يُقَلَّ في الزمان الأخير.» (١ بط٥:٥)

٣ - تعبيرات إسقاطولوجية أخرى:

وقد أعطى المسيح تعبير تكميل أو كمال أو نهاية أو ختام أو ملء الدهور συντελεία αἰῶνος وباللاتينية consummatio للإفادة عن تكميل آخر الزمان، التي جاءت ترجمتها باللغة العربية بتصريف: «انقضاء العالم»:

+ «والخصاد هو انقضاء العالم ... فكما يُجمع الزوان ويمرق بالنار هكذا يكون في انقضاء هذا العالم.» (مت١٣: ٤٠ و٤١)

+ «هكذا يكون في انقضاء العالم (كمال الدهر) يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار.» (مت١٣: ٤٩)

+ «قل لنا متى يكون هذا وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر (كمال الدهر).» (مت٢٤: ٣)

+ «وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر (كمال الدهر).» (مت٢٨: ٢٠)

وبالرغم من أن المسيح استخدم اصطلاح «كمال» أو «ملء» أو «ختم» أو «نهاية» الدهور للإفادة عن نهاية العالم، إلا أن بولس الرسول استخدم هذا الاصطلاح صيته συντελεία αἰῶνος للإفادة عن ظهور المسيح بالتجسد وعمل العداة: «إذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم، ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور συντελεία τῶν αἰώνων لِيُبْطِل الخطية بذبيحة نفسه» (عب٩: ٢٦). أي أن هذا الاصطلاح يعبر عن العصر الماسياني.

وهذا الاصطلاح يفيد نفس الإفادة التي يعبر بها الاصطلاح الآخر عند بولس الرسول وهو

τὸ πλήρωμα τοῦ χρόνου وهو «ملء الزمان»: «لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس.» (غل ٤: ٤)

كذلك الاصطلاح τὸ πλήρωμα τῶν καιρῶν وهو ملء الأزمنة: «لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما على الأرض في ذلك» (أف ١: ١٠)، تعبيراً عن أزمنة الخلاص الممتدة منذ الفداء حتى النهاية!

بطرس الرسول في رسالته الأولى، يضع بالكلمات الواضحة مفهوم الـ «إسخاتولوجيا» بالنسبة للإنسان الإيمان في العهد الجديد باصطلاح «نهاية كل شيء» πάντων δὲ τὸ τέλος: «وإنما نهاية كل شيء قد اقتربت. فتعقلوا واصحوا للصلوات.» (١ بط ٤: ٧)

وهي عند بولس الرسول أواخر الدهور τὰ τέλη τῶν αἰώνων «نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور» (١ كو ١٠: ١١)، بمعنى الدخول في العصر المسياني، أي في أواخر الدهور نفسها واستعلان دهر الخلاص. وإنجيل القديس يوحنا يستخدم «اليوم الأخير» و«الساعة الأخيرة» للتعبير عن إسختولوجيا الإنسان المسيحي المرتبطة بالقيامة الأخيرة والدينونة.

٤ — محاولة لحصر المعنى:

تحت كلمة «إسخاتولوجي» التي أصبحت لازمة من لوازم اللاهوت، تنحصر حالة الإنسان من بعد الموت حتى استعلان القيامة الأخيرة والدينونة وكل ما يصاحبها من حوادث وتغييرات ونتائج إلى تكميل نهاية كل شيء.

وهنا يتحتم التعرض لكلمة «أبوكاليفيسيس» ἀποκάλυψις التي تُرجمت «رؤيا» في سفر رؤيا يوحنا وأعطيت بالإنجليزية كلمة «استعلان» Revelation. والمعنى الأساسي لهذه الكلمة يفيد وصف حوادث الضيقة العظمى التي تختص بالعبادة والأخلاق والتي تسبق اليوم الأخير. وهي تصوّر الصراع رهيب بين قُوَى السموات والجحيم، والنقمة المصبوبة على الذين انضوا تحت لواء الشيطان، سواء كانوا بشراً أو ملائكة ساقطين. وهذه أيضاً تعتبر مقدمات الإسختولوجيا النهائية.

٥ — الدهر الحاضر والدهر الآتي:

اتفق الأنبياء على أنه بظهور المسيح يُشرق على الإنسان حقبة أو عصر جديد، وهكذا كان يُحسب أن هذا العصر سيكون «نهاية الأيام»:

+ «ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال، وتجري إليه كل الأمم، وتسير شعوب كثيرة ويقولون: هلمّ نصعد إلى جبل الرب إلى

بيت إله يعقوب فَيُعَلِّمُنَا مِنْ طَرَفِهِ وَنَسْلُكَ فِي سَبْلِهِ. لِأَنَّهُ مِنْ صِهْيُونَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ، فَيَقْضِي بَيْنَ الْأُمَمِ وَيُثَلِّفُ لَشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، فَيَطْبَعُونَ سِيوفَهُمْ سِكِّكاً وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لَا تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سِيفاً وَلَا يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِيمَا بَعْدَ. « (إش ٢: ٤-٢)

ويلاحظ أن نبوة إشعياء عن «نهاية الأيام» دخل فيها عصر المسيح ولا زالت تمتد لتشمل نهاية الأيام بالنسبة لنا أيضاً، لأن توقف الحروب هو أمل مستقبل الشعوب الآن.

وهكذا يتضح أن إسخاتولوجيا الأنبياء في العهد القديم (نهاية الأيام) شملت دون تفريق هذا الدهر والدهر الآتي في إسخاتولوجيا واحدة. أما إسخاتولوجيا المسيح والمسيحية فوضّحت الفارق وجعلت للدهر الآتي خصائصه، وهي القيامة والدينونة وما يلزمها من حوادث صعبة ثم حياة أبدية:

+ «فأجاب وقال لهم يسوع: أبناء هذا الدهر يزوجون ويترجون. ولكن الذين حُبِسُوا أَهْلًا لِلْحَصُولِ عَلَى ذَلِكَ الدَّهْرِ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ لَا يَزُوجُونَ وَلَا يَتَرَجُونَ. « (لو ٢٠: ٣٤ و٣٥)

+ «... إِلَّا وَيَأْخُذُ مِائَةَ ضِعْفٍ الْآنَ فِي هَذَا الزَّمَانِ τὸν καιρὸν τοῦτο ... فِي الدَّهْرِ الْآتِي الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ. « (مر ١٠: ٣٠)

٦ - أوضح تعبير عن الإسخاتولوجيا في العهد القديم يطابق إسخاتولوجيا العهد الجديد:

جاء على قم دانيال النبي: «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك، ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمة إلى ذلك الوقت. وفي ذلك الوقت يُنَجِّي شعبك كُلِّ مَنْ يَوْجَدُ مَكْتُوباً فِي السَّفَرِ. وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تَرَابِ الْأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هَؤُلَاءِ إِلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ وَهَؤُلَاءِ إِلَى الْعَارِ لِلْأَزْدَرَاءِ الْأَبَدِيِّ. وَالْقَامُونَ (الصَّالِحُونَ) يَضِيحُونَ كَضِيَاءِ الْجِلْدِ وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبَرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدَّهْرِ. « (د ١٢: ١-٣)

واضح هنا الدور الأول والمظلم والفريد الذي لا يُجَارَى لرئيس الملائكة ميخائيل في الإسخاتولوجيا عموماً، سواء بالمصهوم اليهودي أو المسيحي. وقد وضع ذلك في سفر الرؤيا الاستعلاني للقديس يوحنا اللاهوتي، ففيه يكون هو المنوط بالحرب مع الشيطان رأساً: «وحدثت حرب في السماء. ميخائيل وملائكته حاربوا التين وحارب التين وملائكته، ولم يقووا، فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطرح التين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ طَرَحَ إِلَى الْأَرْضِ وَطَرَحَتْ مَعَهُ مَلَائِكَتُهُ. « (رؤ ١٢: ٧-٩)

وواضح في نبوة دانيال:

- ١ - صورة الضيقة العظيمة التي تسبق «يوم الرب».
- ٢ - كذلك واضح من نجاة كل من كان مكتوباً في السفر أنه سفر الحياة.
- ٣ - كما وَضَّحت أيضاً القيامة العامة من الموت للأخيار والأشرار.
- ٤ - وكذلك الدينونة العتيدة.
- ٥ - والحياة الأبدية بأجهاها.
- ٦ - وما يقابلها من المار والإزدراء الأبدى بلا نهاية.
- ٧ - والهوة والحاجز اللذان يفصلان بينهما.

ونحن نعتقد أن القديس بولس اتخذ من قول دانيال: «وفي ذلك الوقت ينجى شعبك كل مَنْ يوجد مكتوباً في السفر»، وبعدها مباشرة يقول: «وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون»، اتخذ فكرة: «هَذَا سِرُّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لا نَرَقُدُ كُلُّنَا وَلَكِنَّا كُلُّنَا نَتَغَيَّرُ» (١ كور ١٥: ٥١)، لأن من واقع نبوة دانيال يتضح أن جزءاً سينجو بدون موت.

وفي نبوة إشعياء النبي يتضح لنا المقياس الإلهي الذي تُقاس به الأزمنة عند الله لتحديد ميعاد الافتقاد أو ميعاد الدينونة:

+ «عزّواً عزّواً شعبي يقول إلهكم، طيّبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل، أن إثمها قد غُفِيَ عنه أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها!!! صوت صارخ في البرية، أعدّوا طريق الرب قَوْمُوا في القفر سبيلاً لإلهنا ... فَيُعْلَن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم.» (إش ٤٠: ٥-١)

واضح من نبوة إشعياء:

أولاً: إلى أي مدى وزمان يترك الرب الإنسان تحت الضيق.

ثانياً: متى ولماذا ينزل الرب، ويولد المسيح للفداء.

فأورشليم كناية عن شعب الله الذي أفسد طريقه وسار في طريق الإثم، ولهذا تركها الرب تجاهد ضد عناصر مضادة كثيرة حتى رأى الرب أن جهادها صار فيه الكفاية، فعفى عن إثمها على أساس أن الرب أذبحها بثمان خطاياها ضعفين!! وحينئذ جاء ملء الزمان وأرسل الله روح إيليا في يوحنا المعمدان، ثم نزل الابن من السماء، حسب النبوات.

ب — قيمة التطلع نحو أمور الأخرويات:

ولا يخفى عن القارئ أن القيمة الحقيقية للتطلع نحو أمور الأخرويات كانت منذ الدهر محط أنظار ورجاء وحنين الآباء والأنبياء والقديسين وحتى إلى الآن.

ولكن إن كان مجيء المسيح وانفتاح أزمنة الخلاص وانسكاب الروح القدس بمباهج الفرح والحب الإلهي والإحساس بالسماء بل ومُعاشة أجماد الدهر الآتي قد أشبعت كثيراً وكثيراً جداً من الحنين الذي برّج بمشاعر الإنسان الروحي، إلا أنه لا تزال الأمور الأخروية، وإن كانت لا تقلق النفس النازلة إلى فوق، فهي تطرح أسئلة كثيرة تشتهي كل نفس أن تطلع عليها.

ثم لا يخفى أيضاً عن الإنسان الباحث في مدى صدق أو مصداقية الجري وراء الأمور الأخروية التي يحجزها الزمن أو يحجزها قعود الخبرات الروحية عن رؤيتها واللاحاق بها، أن العالم نفسه بوضعه العلماني سواء الفلسفي أو التقني الهندسي بكل فروع التكنولوجيا قد بلغ أوج البحث فيما هو في الأرض وتحت الأرض وما في السماء وما وراء السماء والقمر والنجوم والمجرات، ناهيك عن القوة التي أطلقها الإنسان سواء من الذرة أو غيرها، وما آلت إليه من تطورات شاسعة في البعد الزمني والمكاني بما يفوق تصور العقل وحساباته، أليس هذا امتداداً فعلياً نحو الأخرويات إنما على المستوى المادي؟

ثم لو طرحنا — فرضاً — سؤالاً على الإنسان منذ ألف سنة هل يوسع الإنسان أن يذهب إلى القمر ويتمشى فوقه لكان جوابه إن هذا من شأن الأخرويات !! وها نحن قد انطلقنا إلى القمر ذهاباً وإياباً وصرنا عليه وأكلنا فوقه وشربنا !!

وهكذا يعيش عالم اليوم أخرويات أمس. وحتماً سيعيش في غده القريب أخرويات اليوم !!

وعلى أي حال، لن يكف العالم عن البحث والفحص وبتّرجة شئون المستقبل — الأخرويات — بأقصى جهد وسبحصل بالفعل على الأعاجيب والمذهلات.

ولكن تبقى أخرويات الفكر والمادة سراياً وأحلاماً يستيقظ العالم منها بمد أن يحياها فيجدها حفنة تراب وقبضة ريح. أما أخرويات الروح، فبقدر ما فيها من شغ وجهد جهيد، فالقليل منها يُنعش روح الإنسان ويلاؤه بالرجاء الذي يبعد حياته وكأنه يُلد من جديد. إن أعظم ما تشتهي نفس الإنسان السوي أن يعرف ويتيقن أن هناك سعادة حقيقية تنتظره يوم يغمض عينيه لينيب عن هيئة هذا العالم الزائل! ناهيك أن يأخذ من الآن عربونها ويميش!

كذلك لا نبالغ في القول إذا علمنا أن سعادة حاضرننا وقدرتنا على استيعاب حقوقنا فيه ترتبط بالأساس بقدرتنا على إدراك مستقبلنا بوعي وروحي وثقة معايشة أسرار وأمجاده، كحقوق لا تُنال بالتمني بل بالانصباب: «ملكوت السموات يُفَصَّبُ والغاصبون يَحْتَظِفُونَهُ.» (مت ١١: ١٢)

وهكذا نقول بيقين إن سعادة الإنسان في نعيم الله تبدأ وتُقاش من الآن قبل مجيء الأخرىات، الجحيم كذلك يعيشه الخطاة هنا قبل أن يواجهوه هناك.

لأنه ليس لمخلوق قط أعطي أن يخترق الزمن والخلود إلا الإنسان! فهو الوحيد الذي أعطي له أن يحوّل الزمن إلى خلود! ويخترق الأخرىات! ويستحضر لنفسه ما هو ليس موجوداً! كما أنه هو الذي يُتمسّس قُدْرته بجهله، بأن يصنع له من تراب الأرض وشهوات الجسد جحيماً بقدر طوله ومرضه.

الإسختولوجيا (الأمور الأخرىة الآتية) لا تقوم على قواعد نظرية أو فكرية أو تأملية، ولكن تقوم على قاعدة صلبة في الإيمان المسيحي أن المسيح «مات وقام»، فموت المسيح هو الفعل الزمني للخلاص، وقيامته المسيح هي الفعل الأخرى الأبدي، وهذه الحقيقة شرحها المسيح عملياً بقوله: «إني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو ١٤: ١٩). وبولس الرسول حوّلها إلى قاعدة إيمانية: «لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مسترة مع المسيح في الله، متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (كو ٣: ٤٣)

هكذا يكشف بولس الرسول عن أعرق معاني الإسختولوجيا وهي وجود المستقبل محتبئاً في الحاضر بانتظار العلانية الأخيرة، بظهور المسيح. وهذا هو بعينه الخلاص الواقع في الحاضر الزمني الممتد للاستعلان في المستقبل الأبدي. وهكذا، فالإسختولوجيا في أبسط صورة لها هي فعل إلهي يُستعلن مرتين، المرة الأولى في عمق الزمن ليمسك به الإنسان بيديه: «امسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت» (١ تي ٦: ١٢)، التي ليست أكثر من أن يمسك بالصليب!! والمرة الثانية ليرتفع به الإنسان في دائرة الله. ولكن في الاستعلان الأول لفعل الخلاص الإلهي يظل الإنسان على مستوى موت المسيح، أي المعاناة والآلام في عمق الزمن بانتظار الاستعلان الثاني الذي هو على مستوى القيامة والظهور، أي لمسح كل دمعة وقبول شركة المجد. ولكن الاستعلان الثاني يبقى دائماً مرتبطاً رباطاً وثيقاً بالأول، وهكذا يحتل الإنسان الصليب من أجل السرور الموضوع أمامه!!

الفصل الثاني

النصوص الأخروية في رسائل القديس بولس

إذا رتبنا المواضيع اللاهوتية البارزة التي تزامت في قلب بولس الرسول وعبر عنها في مواضعها فكوّنت هيكل لاهوته، نجدها هكذا بحسب الأهمية عند بولس الرسول، حيث يجد الإسخاتولوجيا تأتي دائماً كتعميق وليست ذات أصالة في اللاهوت الفدائي:

أولاً: الفداء ومركزه الصليب.

ثانياً: القيامة ومركزها الحياة الأبدية.

ثالثاً: الإنسان الجديد ومركزه حرية البنين، في مقابل الإنسان العتيق ومركزه عبودية الخطية.

رابعاً: الجسد السري للمسيح ومركزه الكنيسة بصورتها العنصرية وامتدادها فوق الزمن.

خامساً: الأخرويات ومركزها المسيح.

ولكن بالرغم من أن الحديث عن الأخرويات يحجب في آخر المواضيع المهمة عند بولس الرسول إلا أنها استحوذت على قدر كبير من الكلام والتوضيح. والآيات التي ركّز عليها القديس بولس رؤيته للأمور الأخيرة هي كالآتي بحسب ترتيبها الزمني في تاريخ كتابة الرسائل:

(أ) «ثم لا أريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة الرافدين لكي لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم،

لأنه إن كنا نؤمن أن يسوع مات فكذاك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه،

فإننا نقول لكم هذا — بكلمة الرب — إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا

نسبق الرافدين،

لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة، وبوق الله، سوف ينزل من السماء.

والأموات في المسيح سيقومون أولاً،

ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء،

وهكذا نكون كل حين مع الرب، لذلك عزّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام.» (١ تس ٤ : ١٨-١٣)

(ب) «وأما الأزمنة والأوقات، فلا حاجة لكم أيها الإخوة أن أكتب إليكم عنها، لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب — كلص في الليل — هكذا يجيء. لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للخبيل فلا ينجون، وأما أنتم أيها الإخوة فليست في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص، جميعكم أبناء نور وأبناء نهار.» (١ تس ٥ : ١-٥)

(ج) «وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته،

في نار هيب مُغطياً نقمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطعمون إنجيل ربنا يسوع المسيح،

الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته،

منى جاء ليتمجد في قديمسيه ويُعجب منه في جميع المؤمنين، لأن شهادتنا عندكم صدقت في ذلك اليوم.» (٢ تس ١ : ٧-١٠)

(د) «لا تشزعزعو سريعاً عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا، أي أن يوم المسيح قد حضر، ...

لأنه لا يأتي إن لم يأت الارتداد أولاً، ويُستقلن إنسان الخطية ابن الهلاك، المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً، حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله مُظهراً نفسه أنه إله، ...

والآن تعلمون ما يحجز، حتى يستعلن في وقته،

لأن سرّ الإثم الآن يعمل فقط، إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجز الآن، وحينئذ

سيُستعلن الأثيم الذي الرب يُبيده بنفخة فمه ويُطّله بظهور مجيئه، الذي مجيئه —

أي الأثيم — يعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم

في المهالكين لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا، ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل

الضلال حتى يصدّقوا الكذب.

لكي يُدانَ جميع الذين لم يصدّقوا الحق بل سرّوا بالإثم.» (٢ تس ٢ : ١-١٢)

(هـ) «ولكن إن كان المسيح يُكْرَزُ به أنه قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم إنه ليس قيامة أموات،

فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل هو إيمانكم، ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يُقَمَّ إن كان الموتى لا يقومون، لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام، وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم، أنتم بعد في خطاياكم، إذا الذين رقدوا في المسيح أيضاً هلكوا. إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح فإننا أشقى جميع الناس،

ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين،

فإنه إذ الموت بإبسان بإنسان أيضاً قيامة الأموات،

لأنه كما في آدم يموت الجميع هكذا في المسيح سيُحيا الجميع،

ولكن كل واحد في رتبته، المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه،

وبعد ذلك النهاية، متى سَلَّمَ المُلْكُ لله الآب،

متى أبطل كل رياسة وكل سلطان وكل قوة.

لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه.

آخر عدو يُبطل هو الموت،

لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه،

ولكن حينما يقول إن كل شيء قد أخضع (لله)، فواضح أنه غير (المسيح) الذي أخضع له الكل.

ومتى أخضع له الكل فعينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل،

كي يكون الله الكل في الكل،

ولأفسادا يصنع الدين يعتمدون من أجل الأموات، إن كان الأموات لا يقومون لئلا

فلماذا يعتمدون من أجل الأموات؟

ولماذا نحاطر نحن كل ساعة؟ إنني باتخاركم الذي لي في يسوع المسيح ربنا أموت كل يوم.

إن كنت كإنسان قد حاربت وحوشاً في أفسس فما المنفعة لي إن كان الأموات لا يقومون؟

فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت.

لا تفصلوا، فإن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة. اصحبوا للبر ولا تخطئوا، لأن قوماً

ليست لهم معرفة بالله. أقول ذلك لتنجحكم.

لكن يقول قائل كيف يُقام الأموات وبأي جسم يأتون؟

يا غيبي، الذي تزرعه لا يحيا إن لم يَمُتْ،
والذي تزرعه لست تزرع الجسم الذي سوف يصير بل حبةً مجردةً. ربما من حنطةٍ أو أحد
البواقي،

ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد. ولكل واحد من البدور جسمه،
ليس كلُّ جسدٍ جسداً واحداً، بل للناس جسدٌ واحدٌ، وللبهائم جسدٌ آخر، وللسمك
آخر وللطيور آخر،

وأجسام سماوية وأجسام أرضية،
لكن مجد السمويات شيء ومجد الأرضيات آخر،
مجد الشمس شيء ومجد القمر آخر ومجد النجوم آخر،
لأن نجماً يمتاز عن نجم في المجد.

هكذا أيضاً قيامة الأموات، يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد، يُزرع في هوان ويُقام
في مجد، يُزرع في ضعف ويُقام في قوة. يُزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً. يوجد
جسم حيواني ويوجد جسم روحاني.

هكذا مكتوب أيضاً صار آدم الإنسان الأول نفساً حيةً وآدم الأخير روحاً مُحيياً،
لكن ليس الروحاني أولاً بل الحيواني وبعد ذلك الروحاني،
الإنسان الأول من الأرض ترابي، الإنسان الثاني الرب من السماء،
كما هو الترابي هكذا الترابيون أيضاً، وكما هو السماوي هكذا السماويون أيضاً،
وكما لبسنا صورة الترابي سنلبس أيضاً صورة السماوي.

فأقول هذا أيها الإخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد
عدم الفساد.

هوذا سرُّ أقوله لكم،
لا نرقد كلُّنا ولكننا كلنا نتغيَّر، في لحظةٍ في طرفة عيني عند البوق الأخير، فإنه سيُبوق
فَيُقامُ الأموات عديمي فساد ونحن نتغيَّر،

لأن هذا الفاسد لا بد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت،
ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت، فحينئذ نصير الكلمة
المكتوبة: ابتلع الموت إلى غلبة،

أين شوكتك يا موت؟ أين غَلَبَتِكَ يا هاوية؟
أما شوكة الموت فهي الخطيئة وقوة الخطيئة هي التاموس.
ولكن شكراً لله الذي يعطينا الغلبة بربنا يسوع المسيح.

إذا يا إخواني الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مُكثرين في عمل الرب كل حين.
عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب.» (١ كور ١٥: ١٢-٥٨)

(و) «لأننا نعلم أنه إن نُقِصَ بيت خيمتنا الأرضي فلنا في السموات بناء من الله، بيتٌ غير مصنوع بيدٍ، أبدئي،

فإننا في هذه أيضاً نحن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذي من السماء،
وإن كنا لابسين (الأصح: "حتى إذا لبسناها أو إذا صرنا لابسين") لا نوجد عِراءَ،
فإننا نحن الذين في الخيمة (الأصح: "إننا طالما كنا في هذه الخيمة") نحن مثقلين إذ
لسنا نريد أن نخلعها، بل أن نلبس فوقها لكي يُتِمَّعَ المائت (بواسطة πνεύμα) الحياة.
ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله الذي أعطانا أيضاً الروح كهربون (بحسب المعنى)،
إذا منحن واثقون (متشجعون) كل حين، وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد فتحن
متغربون عن الله،

لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان،

فتثق ونُسَرُّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب،

لذلك نحرص (فليكن طموحنا) أيضاً مستوطنين كنا (في الجسد) أو متغربين (في الرب)
أن نكون مرضيين عنده،

لأنه لا بد أننا جميعاً نُظْهِرُ أمام كرسي المسيح لئثال كل واحد ما كان بالجسد بحسب
ما صنع خيراً كان أم شراً.» (٢ كور ٥: ١-١٠)

(ز) «الروح نفسه يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله، فإن كنا أولاداً فإننا ورثة أيضاً، وورثة الله
ووارثون مع المسيح،

إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضاً معه،

فإنني أحسب أن آلام الزمان الحاضر لا تُقَاسُ بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا،
لأن انتظار (بخلق) الخليقة يتوقع (باشنياق) استعلان أبناء الله، إذ أخضعت الخليقة
للبُطْل، ليس طوعاً (بإرادتها) بل (بإرادة) الذي أخضعها على الرجاء،
لأن الخليقة نفسها أيضاً ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله،
فإننا نعلم أن كل الخليقة تن وتتمخض معاً إلى الآن،

وليس هكذا (الخليقة) فقط، بل نحن الذين لنا باكورة الروح، نحن أنفسنا أيضاً نحن في
أنفسنا متوقعين التنبّي فداء أجسادنا.» (رو ٨: ١٦-٢٣)

(ح) «فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر...، أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملؤ الأمم، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل.» (روا: ٢٥ و ٢٦)

(ط) «لأنكم قد مُثِّمَ حياتكم مسترة مع المسيح في الله.» (كو: ٣)

(ي) «الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع نفسه كل شيء.» (في: ٣ و ٢١)

(ك) «أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته،

اكرز بالكلمة، اعكف على ذلك، في وقت مناسب وغير مناسب،
وتُبَّح، انتهر، عِظْ بكل أناة وتعليم،

لأنه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح بل حسب شهواتهم الخاصة يجمعون لهم معلمين مُستحقَّةً مسامعهم فيصرفون سامعهم عن الحق وينحرفون إلى الخرافات،
وأما أنت فاضع في كل شيء، احتمل المشقات. اعمل عمل المبشِّر. تَمِّم خدمتك،
فإني أنا الآن أسكب سكيناً ووقت انحلائي قد حضر، قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان،

وأخيراً قد وُضِع لي إكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديَّان العادل،
وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (٢ تي: ٤ : ١-٨)

وإن كان القديس بولس لم يستوف موضوع الأخرويات من حيث التحقيق والتوضيح واكتفى بنظرات عاجلة أرغمته عليها أسئلة المؤمنين المستجدين من الأمم الذين لم يكن لهم تراث أخروي، فإننا أيضاً لا نجد الرب نفسه قد استوف مفهوم أمور الآخرة والأخرويات لأنه بالكاد استطاع سامعوه أن يستوعبوا البدايات والمداخل إليها: «إن كنتُ قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات.» (يو: ٣ و ١٢)

لذلك سوف نقتصر في معالجتنا لهذا الموضوع هنا من زاوية رؤية القديس بولس، مكثفين بالناحية الروحية التي تخص صميم وجودنا وإيماننا ورجائنا وتطلعاتنا القريبة والبعيدة من نحو ما ينتظرنا من جهة الموت وما بعد الموت والديونة وحياة الدهر الآتي.

هل تضارب الإسقاطولوجيا مع حركة الزمن عند القديس بولس؟

عندما نقرأ الآتي:

«هوذا يبرأ أقوله لكم لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نغيّر،

في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير، فإنه سيَبقُ فيقام الأموات عديمي فساد ونحن نغيّر.» (١ كور ١٥: ٥٢ و٥٣)

فإن هذا الفكر يتجاوز حقيقة الواقع ولا يتمشى مع منطق الأحداث، فلا بولس يغيّر ولا الأموات قاموا، فهل تزيّفت الرؤيا عند بولس؟ لا نعتقد قط! ولكن هي المضادة المؤلّفة بين الإيمان الحار الملتهب الذي يرتفع بالرؤيا في صدق الروح فيراها وكأنها تحققت أو وشيكة الحدوث، وبين الزمن الذي لا يخضع للإيمان كالمارد العنيد الذي يسخر بالروح والروحيات ويسير سيرته العرجاء لا يلوي على خير.

فبولس رأى نفسه بالفعل وقد تغيرت: «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت هوذا الكل قد صار جديداً» (٢ كور ٥: ١٧)؛ «ونحن جميعاً نأخوطين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نغيّر إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد كما من الرب الروح.» (٢ كور ٣: ١٨)

فمن ذا الذي يحصل على هذا القدر من التجديد في صميم خلقته والتغير في طبيعته ولا يقول قولة بولس:

+ «هوذا يبرأ أقوله لكم لا نرقد كلنا، ولكننا كلنا نغيّر!»

ولكن حرارة الإيمان ورؤية الروح الصادقة لا يعترف بها الزمان الجاحد الذي لا يتغير إلا إلى زوال!

وهكذا وكأن الزمان قد سخر من بولس وكذب رؤياه، ولكن: «فأجابني الرب وقال اكتب الرؤيا وانقشها على الألواح لكي يركض قارئها. لأن الرؤيا بعد إلى الميعاد وفي النهاية تنكلم ولا تكذب، إن تواترت فانتظرها لأنها ستأتي إتياناً ولا تتأخر.» (حب ٢: ٣ و٢)

وهكذا، عزيزي القارئ، يكون من الخطأ ومن الخطر أن ندخل عامل الزمن في التعرف على الأخرويات، فكل رؤيا هي في حقيقتها خروج عن الزمان وهي معه دائماً متضادة.

ولكن هل عندما ندخل في الأخرويات يحل لنا أن نتجاهل الزمن؟ هذا هو الخطأ الذي تمادى

فيه أهل تسالونيكى، ففى غمرة الفرح الروحى والإحساس بالخلاص والتجديد الذى حازوه، تجاوزوا تشجيعات بولس الرسول وإنجيله وألقوا باحتاراته وراء ظهرهم، إذ رأوا أنفسهم وقد بلغوا قيامة الأموات نفسها وأنهم حصلوا على حياة الدهر الآتى (أنظر ٢ تس ٢: ٢ و ٢ تي ٢: ١٨). فذلك على تنكُّبهم طريق الانتصاع، وتجاهل عنصر المسكنة، وإحناء الظهر للآلام ومواجهة الزمن الحاضر والصليب على الأكتاف.

وهذا مما حدا ببولس أن يكتب إليهم رسالته الثانية مخدراً من الخروج عن حق الإنجيل الذى تسلّموه حتى لا يقموا فى خديعة الشيطان (٢ تس ٢: ١٢).

وهكذا، عزيزى القارىء، يكون من الخطأ ومن الخطر فصل الإسخاتولوجيات عن واقع الزمن بفريضة آلامه التى صارت من عناصر الخلاص الأماسية. وبولس يربط أبصارنا الروحية بحركة الزمان القادرة لثلا تغطينا ظلمة هذا الدهر فلا نتيّن يوم الرب: «وأما الأزمنة والأوقات فلا حاجة لكم أيها الإخوة أن أكتب إليكم عنها، لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب — كلّص فى الليل — هكذا يجيء... فلا ننّم إذاً كالباقيين بل لنسهز ونصُحْ». (١ تس ٥: ١ و ٢ و ٦)

الفصل الثالث

الموت وما بعد الموت

عند القديس بولس الرسول

١ — قيمة الموت في الاعتبار الإسخاتولوجي عند القديس بولس:

يلزم أن ننتبه أن الذي يفصلنا الآن عن الإسخاتولوجيا، أي الأمور الأخيرة الآتية، أي القيامة والدينونة والحياة الأبدية، هو الموت!! فنحن الآن نرقد على رجاء القيامة العتيدة الآتية!

فما هو اعتبار الموت في ضوء هذه الأمور الآتية؟

معروف أن حكم الموت الواقع على الإنسان في مقابل البعدي على وصية الله هو الموت الروحي، بمعنى الخروج من لَدُن الله والحرمان من الحياة معه التي كانت هي حياة الخلود. والنتيجة الحتمية للموت الروحي هو توقُّف الامتداد لحياة الجسد الطبيعي حيث يُحرَم الجسد الطبيعي من قوة الحياة الفائقة — النعمة — التي كانت ترفعه إلى المستوى الروحي مع الروحانيين. وهكذا هبط الإنسان إلى مستوى الأحياء الطبيعية التي تستمد حياتها من أحكام الطبيعة، فدخل تحت سطوة الموت الجسدي وقانونه الطبيعي كأَي مخلوق جسدي.

أما بعد الفداء وحصول الإنسان على النعمة وعربون الحياة الأبدية الذي هو سُكْنَى الروح القدس، فقد تأهل الإنسان فقط للحياة الأبدية مرة أخرى ليكون كأحد الروحانيين ولكن بعد أن يخضع جسد الخاطئة؛ لأن الإنسان، وإن كان قد رفع عنه المسيح أحكام الموت الروحي، إلا أنه لا يزال يحمل جسد الخاطئة.

وهكذا، فالإنسان الذي قَبِلَ الفداء وقَبِلَ الروح القدس هو الآن، وإن كان مُستهدفًا للموت الجسدي، إلا أنه مهينًا بعد القيامة للحياة الأبدية مع الله مرة أخرى.

أما الإنسان الطبيعي الذي لم يَجْرِ عليه الفداء ولا قَبِلَ الروح القدس، فإنه بعد أن يُستهدف

لموت الجسد يبقى بعد القيامة في حالة الموت الروحي أي بعيداً عن الله.

والآن معروف عامة أنه يوجد موت جسدي، وموت روحي، وموت روحي أبدي، وموت جسدي يؤدي إلى حياة أبدية! أربعة أنواع من الموت وكلها من مخلفات الخطية: «لأن أجرة الخطية هي موت» (رو٢٣: ٦)، ولكن يقابلها في المسيح وفي لاهوت بولس «هبة النعمة للحياة الأبدية».

ولكن في لاهوت بولس الرسول يوجد نوع خامس للموت!! وهو موتنا السرائري في المعمودية الذي نجوزة بالإيمان وحرية الإرادة في موت المسيح ودفنه، وهو الذي ينشئ لنا «عدم الموت» الذي نستديمه ونوثقه في الإفخارستيا بتناول جسد الابن الوحيد ودمه لنحيا به، وهو ترياق أو دواء عدم الموت!!

وبهذا نُحَسَّب بحسب لاهوت بولس الرسول: «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض، لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله، متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه في المجد.» (٣: ١-٤)

ويؤكد ذلك بولس الرسول مرة أخرى باعتبار أننا جُزْنَا نوعاً من الموت بسر الإيمان هكذا: «لأن محبة المسيح تحصرنا، إذ نحن نحسب هذا أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع فالجميع إذا ماتوا.» (٢ كور ٥: ١٤)

ماذا صنع المسيح في الخطية والموت؟

عند بولس الرسول، الموت هو النتيجة الحتمية لسم الخطية وكان الخطية عقرباً أو ثعباناً، وشوكة العقرب في ذيلها وضرر الثعبان في فمه، فشوكة الخطية أو عضتها تنتهي فيمن تفتزمه بسرمان سُمها حيث تكون أعراض الموت! أما الشيطان فقد اتخذ الخطية هكذا سلاحه ليوسّع دائرة أتباعه وهم جميعاً قتلها!

فالخطية أصبحت هكذا للذين يعرفون من الذي يحركها ويدفعها، ويعرفون فاعلية سُمها رعباً، وخاصةً عند الذين تعرضوا لما فسلبتهم إرادتهم وقوتهم ومالهم وفرحهم وكرامتهم حتى آدميتهم!!! + «فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت (الذي مات به) ذلك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية.» (عب ٢: ١٤ و١٥)

فلما جاء المسيح وقهر الخطية، كسر شوكة الموت، أي انتزع من الخطية سلاحها المميت، كمن يقطع ذيل المقرب ويسحق شوكة، أو كمن يخلع صرس الثعبان ويحطمه. وهكذا عطل الفعل المؤدي للموت: «أي شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاربة» (١ كور ١٥: ٥٥)، بانتظار اليوم الذي يُبطل فيه الموت ذاته: «آخر عدو يبطل هو الموت.» (١ كور ١٥: ٢٦)

وهكذا إذ فقدت الخطية رعبها، وأخضع الموت للحياة، استطاع الإنسان في المسيح ومع بولس الرسول أن يقول: «لي الحياة هي المسيح والموت هوريج.» (١ ي ٢١)

٢ — وأين تذهب النفس؟ وماذا يكون حالها؟

لقد ذهب المفسرون ذوو المذاهب المتعددة كل مذهب، فمنهم من قال إنها تموت مع الجسد بانتظار القيامة الجسدية، ومنهم من قال إنها تكون بلا وعي وفي حالة نوم بلا حراك، ومنهم من قال بل تهيم كالأشباح ولا تدري ما تقول وما تعمل. ولكن الواضح من لاهوت بولس الرسول وبحسب الكنائس التقليدية أن النفس بعد الموت تصير مع المسيح في وضع واع: «لي اشتهاه أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (في ١: ٢٣). بل ويؤكد بولس الرسول أن الحياة مع المسيح تكون هي التي لها الوجود واليقين والاستظهار فوق الإحساس بالموت حينما يحل مياده: «لأن لي الحياة هي المسيح، والموت هوريج» (في ١: ٢١). ثم يعود ويؤكد ما يقول: «ولكن أن أبقى في الجسد ألزّم من أجلكم. فإذا أنا واثق بهذا أعلم أنني أمكث وأبقى مع جميعكم.» (في ١: ٢٤ و٢٥)

وفي موضع آخر يكشف بولس الرسول عن ماذا يحدث ليس بعد الموت بل مع الموت خطوة بخطوة:

+ «فإننا نحن الذين في الخيمة (الجسد) نحن مثقلين، إذ لسا نريد أن نخلعها بل أن نلبس فوقها (جسدنا السماوي)، لكي يُبطل المائت من الحياة (وصحتها بواسطة πνεύμα الحياة) ...، فإذا نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد نحن متغربون عن الرب ...،

فنثق ونُسَرُّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد (الموت) ونستوطن عند الرب.» (٢ كور ٥: ٤—٨)

كذلك فبولس الرسول عندما يقول عن الموت إنه «رقاد» كما قال المسيح تماماً، فهذا يعني ليس رقاد النفس بل رقاد الجسد بحسب الظاهر. ورقاد الجسد — كرقاد — معروف أنه لا يُبطل نشاط النفس، بل تكون النفس في حالة من الوعي المفتوح على الرؤى ومناظر السماوات والحديث

مع الله والوجود في حضرته، فهذه كانت ولا تزال حال الأنبياء والرئين.

كذلك، فالمسيح لما نادى لعازر الميت بالاسم وهوله أربعة أيام في القبر، سمعت النفس وهي في أعماق الهاوية وخرجت في الحال. كذلك بكل تأكيد كانت نفس المسيح في أوج قوتها ووعيتها ولاهوتها والجسد في القبر وذهبت تركز وتبشر الذين في الهاوية.

والسؤال: فهل تكمل سعادة الأبرار إذا انطلقوا ليكونوا مع المسيح بعد الموت؟ وبالتالي تتم محاكمة الأشرار وعقوبتهم؟ واضح أن لا سعادة الأبرار ولا شقاوة الأشرار تأخذ وضعها المنصوص عليه في الإنجيل إلا بعد استعلان الدينونة العامة ويقف الجميع «أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً.» (٢ كور: ٥: ١٠)

وفي النهاية نرى أن القديس بولس لم يُقِط لما بعد الموت منهجاً لاهوتياً يمكن أن نستوضح منه ماذا يحدث للنفس البشرية بعد فراقها الجسد، ولكن الذي أكّد عليه بولس الرسول بشدة أن الموت لا يفصلنا عن المسيح: «لأننا إن عشنا فللرب نعيش، وإن مُتْنَا فللرب نموت (ونحيا)، فإن عشنا وإن مُتْنَا فللرب نحن.» (روا: ٨: ١٤)

على أن القيامة التي نقومها الآن مع المسيح هي قيامة بالروح، لذلك يستحيل أن يسود عليها الموت الروحي. فالموت الجسدي يحجز الجسد عنها أما الروح فتنتقل لتحيها جزئياً إلى أن يُستعلن ملء القيامة العامة.

٣ - قيامة الأبرار:

يقول القديس بولس في سفر العبرانيين تعقيباً على تعاليم الرسل المستقرة في الكنيسة: + «لذلك ونحن تاركون كلام بداءة (كاتشزم) المسيح، لتتقدم إلى الكمال غير واضعين أيضاً أساس θεμέλιον^(١) التوبة من الأعمال الميتة والإيمان بالله، تعليم المعموديات ووضع الأيادي، قيامة الأموات والدينونة الأبديّة.» (عب: ٦: ١ و٢)

واضح هنا أن قيامة الأموات والدينونة الأبديّة هي من أسس تعليم الإيمان الرسولي في الكنيسة. هكذا اهتم بولس الرسول أن يكون التعليم بالقيامة من الأموات أساساً ثابتاً في تعليمه كنتيجة

(١) أساس θεμέλιον وهي كلمة يبيييل التي تستخدم في الحراسة الإنشائية على حجارة الأساس.

حتمية ملازمة لقيامه المسيح من الأموات (١ كور ١٥: ١-١٣). والآيات المحورية في هذا الأصحاح هي:

+ «فإن لم تكن قيامة أموات، فلا يكون المسيح قد قام. وإن لم يكن المسيح قد قام، فباطلة كرازتنا وباطل إيمانكم ... لأنه إن كان الموتى لا يقومون، فلا يكون المسيح قد قام ... ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقيين.» (١ كور ١٥: ١٣ و١٤ و١٦ و٢٠)

علماً بأن بولس الرسول تحمّل من أجل هذه العقيدة الإهانات والضربات والاضطهادات ولكنه لم يخذل المسيح في قيامته: «ولي رجاء بالله في ما هم أيضاً ينتظرونه أنه سوف تكون قيامة للأموات، الأبرار والأثمة» (أع ٢٤: ١٥). وهنا يتفق بولس الرسول تماماً مع التقليد اليهودي النبوي على أساس نبوة دانيال النبي، كما يتفق تماماً مع تعليم المسيح (لو ٢٠: ٣٧).

ولكن بالرغم من أن بولس الرسول هنا يذكر القيامة العامة للأبرار والأثمة، إلا أن تشديده هو على القيامة المنتصرة للأبرار التي هي أساس قيامة المسيح المنتصرة على الخطية والموت. وهذا كان موضوع ليس فقط إيمان بولس بل ورجائه وجهاده واشتياقه: «لأعرفه وقوة قيامته (المنتصرة) وشركة الآلهة متشبهاً بموته، لعلّي أبلغ إلى قيامة الأموات.» (في ٣: ١٠ و١١)

وبولس الرسول يؤكد أن رجاءنا في الحياة مع المسيح وقبول نعمته هي قمة سعادتنا، وهي تنتظرنا في القيامة العتيدة أكثر جداً مما نمارسها في هذه الحياة. بل إن سعادتنا بالمسيح في هذه الحياة لا تُحسَبُ أكثر من شقاء وبلاء إذا لم يلحقها السعادة الكاملة في القيامة، التي سترفع عنا كل ثقل واضطهاد وحزن وألم ودموع وتنهّد عانيناه في هذا الدهر:

+ «إن كان لنا في هذه الحياة فقط رجاء في المسيح، فإننا أشقى جميع الناس.»!! (١ كور ١٥: ١٩)

+ «ولماذا نخاطر نحن كل ساعة؟ إنني بافتخاركم الذي لي في يسوع المسيح ربنا أموت كل يوم. إن كنت كإنسان قد حاربْتُ وحوشْتُ في أفسس (في الدفاع عن الإيمان بقيامة الأموات) فما المنفعة لي. إن كان الأموات لا يقومون، فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت.» (١ كور ١٥: ٣٠-٣٢)

فقيامه الأبرار تأخذ عند القديس بولس قوتها من قوة قيامة المسيح نفسها: «... والله قد أقام الرب وسيقيمنا نحن أيضاً بقوته» (١ كور ٦: ١٤)، «وإن كان روح (الله) الذي أقام يسوع من

الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أجسادكم المائتة أيضاً بروحه الساكن فيكم» (رو ٨: ١١)، «عالمين أن الذي أقام الرب يسوع سيقيمنا نحن أيضاً بيسوع ويحضرنا معكم» (٢ كو ٤: ١٤). بل إن بولس الرسول يعتبر أن الروح القدس الذي هو روح القيامة، إنما أخذناه الآن كعربون وكعتم ختم على أرواحنا، ختم لا يقوى الموت على فسخه أو إفساده وهو باقٍ بقوة يعمل فينا ليوم الفداء لاستعلان تكميل الخلاص والفداء:

+ «ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتِمْتُمْ ليوم الفداء.» (أف ٤: ٣٠)

+ «الذي فيه أيضاً (الإنجيل)، إذ آمنتم خُتِمْتُمْ بروح الموعد القدوس الذي هو عربون ميراثنا، لفداء المُقْتَنَى لمجد مجده.» (أف ١: ١٣ و١٤)

وهذا الروح القدس نفسه يعمل في قلوبنا وضماننا وأرواحنا مؤكداً أننا مدعوون ليس لاستيطان الجسد، بل نحن مدعوون لاستيطان الرب عندما نخضع خيمتنا الأرضية ونتغرب عن هذا الجسد:

+ «ولكن الذي صنعنا لهذا عينه هو الله الذي أعطانا أيضاً عربون الروح. فإذا، نحن واثقون كل حين وعالمون أننا ونحن مستوطنون في الجسد فنحن متغربون عن الرب ... فننطق ونُسَرُّ بالأولى أن نتغرب عن الجسد ونستوطن عند الرب.» (٢ كو ٥: ٨-٥)

أما لماذا يهتم الروح القدس بنا هكذا، أي يختم على أرواحنا ويشهد فيها ببنوتنا لله ويشفع ويصلي ويصرخ ويعطي رجاء انتظار ما نتوقه بالصبر؟ فالسبب في لاهوت القديس بولس هو: لأننا صرنا هيكله، وهو الذي يتعهد بهذا الهيكل في عُربتنا على الأرض حتى يوصله إلى السماء. فهنا يكفيننا منه رشاش النعمة والعزاء بالدموع من يوم إلى يوم، أما هناك فإلى ملء قوة قيامة المسيح وحياته ينطق فينا بتسابيح المجد. هنا هو يعطي حرارة الاشتياق إلى ما ينتظرنا في قيامة الأبرار، وهناك فإنه يهبنا حينذاك من طبيعته علناً فرحة الامتلاك.

٤ — جسد القيامة:

بولس الرسول يوضح أن القيامة المتيدة ستكون قيامة الأحساد والأرواح، حسب التعليم الرسولي، لممارسة الحياة الأبدية. ولكنه يعطي تعليماً إضافياً أن جسد القيامة سيختلف عن جسدنا الأرضي الطبيعي مؤكداً أن: «لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله، ولا يرث الفساد عدم الفساد.» (١ كو ١٥: ٥٠)

وهو يحتاج للسؤال: ماذا لو حدث الاستعلان الآن وجاء المسيح وأعلنت القيامة؟
يرد بولس الرسول أنه لا بد لنا، نحن الأحياء، أن نجوز حالة تغيير من الفساد إلى عدم الفساد

لننْزِلَ للارتقاء والوجود مع المسيح: «لا مَرَقْدَ كَلْنَا، وَلَكِنَّا كَلْنَا نَتَغَيَّرُ فِي لِحْظَةٍ فِي طَرَفَةِ عَيْنٍ عِنْدَ الْبُوقِ الْآخِرِ. فَإِنَّهُ سَيَبْقَى، فَيُقَامُ الْأَمْوَاتُ عِنْدِي فِسَادًا، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ، لِأَنَّ هَذَا الْفَاسِدَ لَا يَدُ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فِسَادٍ وَهَذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ.» (١ كور ١٥: ٥١-٥٣)

أما جسد القيامة فقد وُضِّحَ بولس الرسول نوعيته أنه سماوي، أي من طبيعة قادرة أن تعيش في السماء مع السمايين.

وهو يرد على سؤال طرحه هو من نفسه: «لَكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ كَيْفَ يُقَامُ الْأَمْوَاتُ وَبِأَيِّ جَسَدٍ يَأْتُونَ؟» (١ كور ١٥: ٣٥). هنا يَفَرِّقُ بولس الرسول بين جسد البار في القيامة وبين جسد الأثيم، لأنه ولو أنهما كليهما يقومان، ويقومان ليرتفعا نحو السماء ليجوزا معاً الدينونة أمام الله على السواء، إلا أن جسد البار يُقَامُ في مجد:

+ «هَكَذَا أَيْضًا قِيَامَةُ الْأَمْوَاتِ، يُزْرَعُ فِي فِسَادٍ (الولادة على الأرض)، وَيُقَامُ (لِلوُقُوفِ أَمَامَ اللَّهِ) فِي عَدَمِ فِسَادٍ. يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ، وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي صَعْفٍ، وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. يُزْرَعُ جَسَدًا حَيَوَانِيًّا، وَيُقَامُ جَسَدًا رُوحَانِيًّا. يَوْجَدُ جَسَدٌ حَيَوَانِيٌّ وَيَوْجَدُ جَسَدٌ رُوحَانِيٌّ.» (١ كور ١٥: ٤٢-٤٤)

وكما قال الرب يسوع لنيقوديموس: «الْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ» (يو ٣: ٦)، هَكَذَا يَقُولُ بولس الرسول: «الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَرْضِ تَرَابِيٌّ، وَالْإِنْسَانُ الثَّانِي الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ. كَمَا هُوَ التَّرَابِيُّ — آدَمُ — هَكَذَا التَّرَابِيُّونَ أَيْضًا؛ وَكَمَا هُوَ السَّمَاوِيُّ — الْمَسِيحُ — هَكَذَا السَّمَاوِيُّونَ أَيْضًا، وَكَمَا لِهَسْنَا صُورَةَ التَّرَابِيِّ سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ.» (١ كور ١٥: ٤٧-٤٩)

فَمَا نَصْنَعُهُ الْآنَ هُنَا تَحْتَ يَدِ الْمَسِيحِ بِالسَّرِّ وَبِعَمَلِ الرُّوحِ الْقُدُسِ فِي الْمَعْمُودِيَّةِ، عَلَيَّ مَرَأَى مِنْ شُهَدَاءٍ وَأَشَابِينَ بِأَنْ نَخْلَعَ الْجَسَدَ الْعَتِيقَ الْآدَمِيَّ مَعَ حَطَايَاهُ وَنَلْبَسَ الْجَدِيدَ الَّذِي هُوَ عَلَى صُورَةِ خَالِقِهِ فِي الْمَجْدِ، فِي عَمَلَتَيْنِ سَرِّيَتَيْنِ هُمَا الْمَوْتُ وَالْقِيَامَةُ مِنْ دَاخِلِ مَوْتِ الْمَسِيحِ وَقِيَامَتِهِ؛ هَكَذَا سَيَتِمُّ لَنَا كُلُّ هَذَا فِي الْقِيَامَةِ الْعَامَةِ إِنَّمَا بِصُورَةٍ عِلْنِيَّةٍ عَلَى مَشْهَدٍ مِنْ رِبَوَاتٍ مَلَائِكَةٍ وَأُرُوحِ الْأَبْرَارِ الْمَكْتُومِينَ فِي الْمَجْدِ، بَعْدَ أَنْ نَحْلَعَ هَذَا الْجَسَدَ نَهَائِيًّا وَنَطْرَحَهُ فِي الْقَبْرِ لِيَتَلَّى. كَذَلِكَ فَتَحْنُ لَا نُقَدِّمُ فِي جِهَادِنَا الرُّوحِيَّ الْيَوْمِيَّ، بِحَسَبِ بولس الرسول، مِنْ مِمَارَسَةِ عَمَلِيَّةِ خَلْعِ الْإِنْسَانِ الْقَدِيمِ وَلِبْسِ الْإِنْسَانِ الْجَدِيدِ عَيْنَهُ، إِنَّمَا فِي حَيَازِ الْخُبْرَةِ الضَّيْقَةِ، حِينَئِذٍ نَارِسُ تَوْبَتِنَا وَتَجْدِيدِ عَهْدِنَا مَعَ اللَّهِ بِالصَّلَاةِ وَالصُّومِ وَالتَّسْكُّعِ وَالْبَذْلِ، وَكَأَنَّا نَحْدِّدُ وَنَجْعَلُ صُورَةَ جَسَدِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْآنَ.

الفصل الرابع

مجيء المسيح παρουσία

«يوم الرب» والظروف الملازمة له

١ — كلمة «باروسيا» παρουσία ومرادفاتها:

الـ «باروسيا» اصطلاح أطلق على استعمالن مجيء المسيح . واللفظة بحد ذاتها تفيد «الحضور»، وفي حالة المسيح فهو «الحضور الأسنى»، أو كما نقول بالسبى لعطاء الملوك «الحضرة السنية» عند ظهور أو مجيء الملك . غير أن الكلمة «باروسيا» استُخدمت أيضاً في مواقف ولأشخاص غير المسيح و«مجيء» المسيح أو «استعلانة» دوشأن كبير في العهد الجديد، وهو المَكِّيُّ عه في العهد القديم بـ«يوم الرب» أو «يوم يهوه»، وذلك كما جاء على فم الأنبياء .

وإليك بعض التعبيرات التي جاءت موارية للباروسيا أي ليوم الرب أو مجيء المسيح المرتقب:

المجيء: παρουσία

+ «لأن من هو رجاؤنا وفرحنا، وإكليل افتخارنا؟ أم لستم أنتم أيضاً أمام ربنا يسوع المسيح

في مجيئه παρουσία .» (١ تس ٢: ١٩)

+ «لكي يُثبَّت قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أبينا في مجيء ء παρουσία ربنا يسوع

المسيح مع جميع قديسيه .» (١ تس ٣: ١٣)

+ «فلإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب، إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء ء παρουσία

الرب لا نسبق الراقدين .» (١ تس ٤: ١٥)

+ «والله السلام نفسه يُقدِّسكم بالتمام . وتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم

عند مجيء ء παρουσία ربنا يسوع المسيح .» (١ تس ٥: ٢٣)

+ «ثم نسألکم أيها الإخوة من جهة مجيء ء παρουσία ربنا يسوع المسيح واجتماعنا

إليه. « (٢ تس ١: ٢)

+ « وحينئذ سيُستعلن الأثيم، الذي الرب يبسده بنفخة فمه ويُطله بظهور مجيئه
« . παρουσία (٢ تس ٨: ٢)

+ « ولكن كل واحد في رتبته، المسيح باكورة، ثم الذين للمسيح في مجيئه παρουσία .
(١ كو ١٥: ٢٣)

+ « فتأنوا أيها الإخوة إلى مجيء الرب ... » (يع ٥: ٧)

+ « فتأنوا أنتم وثبّتوا قلوبكم لأن مجيء الرب قد اقترب. » (يع ٥: ٨)

+ « لأننا لم نتبع خرافات مصطنعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع ومجيئه بل قد كنا معانيين
عظمته. » (٢ بط ١: ١٦)

+ « قائلين أين هو موعد مجيئه، لأنه من حين رقد الآباء كل شيء باقي هكذا من بدء
الخليقة. » (٢ بط ٣: ٤)

+ « منتظرين وطالين سرعة مجيء παρουσία يوم الرب. » (٢ بط ٣: ١٢)

+ « والآن أيها الأولاد اثبتوا فيه، حتى إذا أظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه في مجيئه. »
(١ يو ٢: ٢٨)

+ « قلّ لنا متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟ » (مت ٢٤: ٣)

+ « لأنه كما أن البرق يخرج من المشرق ويظهر إلى المغرب، هكذا يكون أيضاً مجيء ابن
الإنسان. » (مت ٢٤: ٢٧)

+ « وكما كانت أيام نوح، كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان. » (مت ٢٤: ٣٧)

+ « ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع، كذلك يكون أيضاً مجيء ابن الإنسان. »
(مت ٢٤: ٣٩)

يوم الرب:

و يلاحظ أن عوض « الباروسيا » أي « المجيء » للتعبير عن مجيء المسيح، تستخدم أيضاً كلمة
« يوم الرب »:

+ « الذي سيثبتكم أيضاً إلى النهاية بلا لوم في يوم ربنا يسوع المسيح. » (١ كو ٨: ٨)

+ « أن يُسلم مثل هذا للشيطان هلاك الجسد، لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع. »
(١ كو ٥: ٥)

+ « إننا فخركم كما أنكم أيضاً فخرنا في يوم الرب يسوع. » (٢ كو ١٤: ١٤)

+ « لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلّس في الليل هكذا يجيء. » (١ تس ٥: ٢)

- + «ولكن سيأتي كلُّ في الليل، يوم الرب، الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحلُّ العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها...، ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر.» (٢بط ٣: ١٠-١٣)
- + «منتظرين وطالبيين سرعة مجيء يوم الرب الذي به تحلُّ السموات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب.» (٢بط ٣: ١٢)
- + «تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم، قبل أن يجيء يوم الرب العظيم الشهير. ويكون كلُّ مَنْ يدعو باسم الرب يخلص.» (أع ٢: ٢٠-٢١)

يوم المسيح:

- + «لا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا، أي أن يوم المسيح قد حضر.» (٢تس ٢: ٢)
- + «واثقاً بهذا عينه أن الذي ابتداء فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح.» (في ١: ٦)
- + «متمسكين بكلمة الحياة لافتخاري في يوم المسيح.» (في ٢: ١٦)

ذلك اليوم:

- + «متى جاء ليتمجد في قديسه — في ذلك اليوم — ويُعجب منه في جميع المؤمنين، لأن شهادتنا عندكم صدقت (تصحیح الترجمة).» (٢تس ١: ١٠)
- + «أما أنتم أيها الإخوة، فلستم في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلُّ.» (١تس ٥: ٤)
- + «لكنني لست أخجل لأنني عالمٌ بتمن آمنت، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتي إلى ذلك اليوم.» (٢تي ١: ١٢)
- + «ليُغطيه الرب أن يجد رحمة من الرب في ذلك اليوم.» (٢تي ١: ١٨)
- + «وأخيراً قد وُضِع لي إكليل البر الذي يقهني لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل.» (٢تي ٤: ٨)

لأن اليوم سيبيته:

- + «فعل كلُّ واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبيته.» (١كو ٣: ١٣)

في اليوم الذي فيه يدين:

- + «في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلي بيسوع المسيح.» (رو ٢: ١٦)

اليوم يُقرب:

+ «غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة بل واعظين بعضنا بعضاً، وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يُقرب.» (عب ١٠: ٢٥)

اليوم العظيم، يوم الله:

+ «فإنهم أرواح شياطين، صانعة آيات، تخرج على ملوك العالم وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم، يوم الله القادر على كل شيء. ها أنا آتي كلُّس. طوبى لمن يسهر.» (رؤ ١٦: ١٤ و ١٥)

ظهور ربنا: ἐπιφάνεια

+ «أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ἐπιφάνειας ربنا يسوع المسيح.» (١ تي ٦: ١٤)

+ «أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح المتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته...» (١ تي ٤: ١)

+ «وليس لي قط؛ بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.» (١ تي ٤: ٨)

+ «منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح.» (١ تي ٢: ١٣)

+ «حينئذ سيُستعلن الأثيم، الذي الرب يبيده بنفخة فمه ويُنظِّله بظهور مجيئه
«τῇ ἐπιφανείᾳ τῆς παρουσίας αὐτοῦ.» (٢ تس ٢: ٨)

أبوكاليسيس (استعلان):

+ «وأنتم متوقعون استعلان ἀποκάλυψιν ربنا يسوع المسيح.» (١ كو ١: ٧)

+ «وإياكم الذين تنضايقون راحة معنا عند استعلان ἀποκαλύψει الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته.» (٢ تس ١: ٧)

+ «لكي تكون تركية إيمانكم ... توجد للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح.» (١ بط ١: ٧)

+ «فألقوا رجاءكم بالتام على النعمة التي يُؤتي بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح.» (١ بط ١: ١٣)

+ «بل كما اشتهرتم في آلام المسيح، افرحوا، لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضاً
«(١ بط ٤: ١٣) متهجين.»

عزيزي القارىء: كم هي مُفرحة ومُعزّية هذه التعبيرات التّقوية المخلصة التي نطق بها هؤلاء القديسون بالروح من حرارة متأججة في قلوبهم بانتظار يوم مجيئه العظيم.

لقد ورثتها الكنيسة في صلوات إفخارستية «الديداخي» التي للرسل القديسين، حيث تنتهي الصلوات بصراخ الكاهن والكنيسة معه: «فليثبّ العالم، تعالَ أيها الرب يسوع! ماران أنا».

وبهذا النداء التوسلي المملوء اشتياقاً ودالة، ينتهي أيضاً سفر الأبوكاليسيس، أي الاستعلان المسمّى بسفر الرؤيا هكذا:

+ «نعم أنا آتي سريعاً. آمين تعالَ أيها الرب يسوع!» (رؤ ٢٢: ٢٠)

٢ - قرب مجيء المسيح

+ «ولولوا لأن يوم الرب قريب، قادمٌ كحراب من القادر على كل شيء. لذلك تترنّمي كل الأيادي، ويدوب كل قلب إنسان، فيرتاعون. تأخذهم أوجاعٌ ومخاضٌ، يتلّون كوالدة، يسهتون بعضهم إلى بعض، وجوههم وجوه هليب.» (إش ١٣: ٦-٨)

+ «هوذا يوم الرب قادمٌ، قاسياً سحقاً وخموراً غضباً، ليجعل الأرض خراباً ويبعد منها خطياتها. فإن نجوم السموات وجبايرتها لا تُبرز نورها. تظلم الشمس عند طلوعها والقمر لا يلمع بضوئه وأعاقب المسكونة على شرّها والمنافقين على إثمهم، وأبطل تعظم المستكبرين، وأضع تخبر الثقات.» (إش ١٣: ٩-١١)

+ «آه على اليوم! لأن يوم الرب قريب، يأتي كحراب من القادر على كل شيء.» (يؤ ١٥: ١)

+ «اصبروا بالبوق في صهيون، صوّتوا في جبل قدسي ليرعد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم لأنه قريب. يومٌ ظلام وقساة، يومٌ غَمٍّ وصاب... يوم الرب عظيم ومخوف جداً، من يطيعه؟» (يؤ ١١: ١٦ و ١٧)

+ «تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم، قبل أن يجيء يوم الرب العظيم المخوف.» (يؤ ٢: ٣١)

+ «جاهير، جاهير، في وادي القضاة، لأن يوم الرب

قريب في وادي القضاء. الشمس والقمر يظلمان،
والنجوم تحجز لمانها. « (يؤ: ٣: ١٤)

+ «وويل للذين يشتهون يوم الرب. لماذا لكم يوم الرب؟
هو ظلام لا نور. أليس يوم الرب ظلاماً لا نوراً وقتماً
ولا نوراً له؟» (عا: ٥: ١٨ و ٢٠)

+ «فإنه قريب يوم الرب على كل الأمم.» (عو: ١٥)
+ «قريب يوم الرب العظيم، قريب وسريع جداً. صوت
يوم الرب. يصرخ حينئذ الجبّارُ مُراً. ذلك اليوم يوم
سخط، يوم ضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام
وقتام، يوم سحب وضباب، يوم بوق وهتاف.»

(صم: ١٤-١٦)

+ «هأنذا أرسل إليكم إيديا النبي قبل مجيء يوم الرب،
اليوم العظيم والمخوف، ميرد قلب الآباء على الأبناء
وقلب الأبناء على آباءهم، لئلا آتي وأضرب الأرض
بقلبي.» (مل: ٤: ٦ و ٥)

+ «وتهربون في جواء جبالي ... كما هربتم من الزلزلة في
أيام عُزّيّا ملك يهوذا. ويأتي الرب إلهي وجميع القديسين
معك (معه).» (زك: ١٤: ٥)

بدأ الترقّب المتفاعل مع الرجاء والشوق والإحساس الطاعني عند التلاميذ بعد القيامة وقبل
الصعود، حينما بدأ المسيح يعطي التعليمات الأخيرة لتلاميذه بأن: «لا يرحلوا من أورشليم بل
ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني ... أما هم المجتمعون فسألوه قائلين: يا رب هل في هذا
الوقت (أي عند حلول هذا الموعد من عند الآب) تردُّ المُلْكُ إلى إسرائيل؟» (أع: ١: ٦ و ٤)، فكان
جواب المسيح الذي صار الأساس الراسخ الذي يتحتم أن يُنتهى عليه كل شرح أو تفسير للأهوت
الأخروي: «فقال لهم ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه.»
(أع: ١: ٧)

ولكن كان التراث النبوي الذي استمر على مدى العصور الأخيرة على فم الأنبياء ذا أثر شديد
على فكر الرسل وبولس الرسول والكنيسة ككل في بداية تكوينها، وخاصة بعد أن تقبّلت الروح
القدس، وحيث شعر الجميع بتغيير جذري في طبيعة العلاقات مع الله. فكان لا بد أن تدخل هذه
النبوات بثقلها جنباً إلى جنب مع النبوات التي أنبأت عن المجيء الأول للمسيح، والتي أخذ بها
بحرارة وتصديق، خاصة بعد أن جعلها المسيح نفسه قاعدة أساسية يلزم الرجوع إليها لمعرفة كل شيء

عن كل ما تم في حياة المسيح وموته وقيامته، والتي دائماً تضيفها الكنيسة على هذه الحوادث الخلاصية حتى اليوم بقولها: «بحسب الكتب». وبمنظرة واحدة إلى هذه النبوءات الخاصة بالمجيء الثاني للمسيح المتكّني عنه بـ «يوم الرب»، ندرك مدى الضغط الروحي والإلحاح في تصوير هذا «اليوم» وهذا «المجيء» بالقرب الشديد والسريع.

فإذا رجعنا إلى التراث الشرحي للرّبيين عن تقدير الزمن بين مجيء المسيا الأول لحُكمه الزمني و«يوم الرب»، أي مجيئه الثاني لحكمه الأبدي، نرى أن الرّبيين كانوا أول من وقع تحت تأثير ضغط الأنبياء وإلحاحهم في هذا القرب وهذه السرعة. فإن البعض منهم قال — كما يحدثنا العالم F. Prat — بأنها فترة لا تزيد عن ٤٠ سنة وآخر سبعين، والبعض الآخر مائة، والبعض الآخر ستمائة سنة، وآخر ألف سنة أو يزيد؛ وإن حساباتهم تبدأ إما من بدء الحكم الزمني على الأرض أو من لحظة الانتهاء.

لقد ورثت الكنيسة هذا الإلحاح في تصوير سرعة مجيء الرب. ولكن في تقييمنا لسبب هذا التصوير بهذه الكيفية من اللهفة والسرعة في شكلها الدرامي عند الأنبياء، نقول، إنها لم تكن تزيفاً في الرؤيا ولا تهويلاً لها؛ بل هو ضياع البعد الزمني الحقيقي بحسب حركة التاريخ الإنساني من الرؤيا، سواء كان ذلك عند الأنبياء في العهد القديم أو عند الرسل أو بولس الرسول، فالرؤيا في طبيعتها أو حتى الحدس Intuition (وهو الاستضاءة الفكرية) هما من طبيعة روحية خارجة عن الزمن، تكون مصوّرة في الوعي الروحي الفائق على سطح واحد يجمع الحاضر والمستقبل بعيداً عن متناول تحديد العقل الحسي القياسي، حيث يستحيل على الرائي تحويل المنظر إلى مفهوم عقلي قياسي. وعندما تنتهي الرؤيا لا يبقى منها ما يقيسه العقل بالمخ البشري؛ بل يبقى مجرد إحساس روحي يصير قابلاً للخطأ المباشر إذا حاول الرائي أن يترجمه بالقياسات المادية.

وحينما قال الأنبياء بخصوص «يوم الرب» أنه قريب وقريب جداً وسريع جداً في مجيئه، كان ذلك محاولة منهم لترجمة الإحساس الروحي من صدق الرؤيا ووضوحها الشديد إلى ما يناسب العقل والواقع الزمني أنه قريب، وسريع المجيء جداً. هنا «شدة الوضوح» تُرجمت إلى «سريع جداً». والذي يتحتم أن نعلمه تماماً أن كل ترجمة للرؤى أو الحدس الذهني تأتي ناقصة غنّة مفلوطة، إذا نحن حاولنا توقيفها على الزمن.

ولكن الذي ينبغي أن يبقى في ذاكرتنا أنه طالما لم يحدد الأنبياء أو الرسل أو بولس الرسول هذه المسافة الزمنية بالأرقام واقتصروها على السرعة والبُطء، فإنه يكون قد جانبهم الخطأ واعتُبرت الرؤيا سليمة مائة بالمائة.

كذلك لا ننتظر من الرؤى توضيحات محددة لأعمال المسيح . فنجد في سفر الرؤيا كيف تنضبط أعمال المسيح فيظهر كمخلّص وذيّان ومُنقّم ومصدر فرح ومجد دون تحديدات مثل تلك التي يقدمها بولس الرسول مرتبة بالفكر اللاهوتي .

الشعور باختزال الزمن عند القديس بولس :

هذه إحدى الخصائص البارزة في لاهوت بولس الرسول في معالجته للأمور الأخيرة، ونحن نرى في هذا صحة لاهوتية مائة في المائة . فمعروف أن الإنسان الرؤيوي الكثير التطلع في الله ينسحب منه الإحساس بالزمن، فقانون التوازن بين زمن الإنسان وزمن الله معروف : «لأن ألف سنة (عند الإنسان) في عينك مثل يوم أمس بعد ما عبر وكهزيع من الليل» (مز ٩٠ : ٤ ، ٢ بط ٣ : ٨) . لذلك لا يُعاب على الإنسان الروحي، وخاصة إذا كان يرى بالروح، أن تضع منه التقديرات الزمنية حسب قياسات العقل المادي . على أن كل اختزال في الزمن إذا كان لحساب الله كان ذلك طيّر الإنسان والكنيسة بل والعالم . فعندما نسبح القديس بولس يقول :

+ « الرب قريب ، لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله » (في ٤ : ٦ و ٥) ؛

+ « فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا » (رو ١٣ : ١١) ، باعتبار أن الخلاص القادم هو بعينه مجيء الرب ؛

+ « فأقول هذا أيها الإخوة الوقت منذ الآن مُقَصَّر لكي يكون :

الذين لهم نساء كأن ليس لهم ،

والذين يبيعون كأنهم لا يبيعون ،

والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون ،

والذين يشترون كأنهم لا يملكون ،

والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه ،

لأن هيئة هذا العالم تزول ، فأريد أن تكونوا بلا هم » (١ كو ٧ : ٢٩ — ٣٢) ؛

فإنه يكون واضحاً أن عنصر اختزال الزمن ومعه الإحساس بزوال هذا العالم موجود في قلب بولس الرسول ، وأن هذا يكون لحساب المسيح . فماذا كانت النتيجة ؟ فلأن الرب قريب قلّترنم في أحضان الصلاة ، ولا نكف عن الدعاء للناس والشكر على كل شيء ، حتى تكون طلباتنا من أجل الكنيسة والآخرين ولأنفسنا مستجابة . ولأن هيئة هذا العالم ستزول وسريعا ، فلا يليق أن نحمل هموم العالم وهي بطبيعتها زائلة . إذأ ، فإحساس بولس الشديد بالقرب من المسيح والآب ، وهو الذي سرّب منه الإحساس بالزمن ، أنشأ تعليماً ونصحاً للكنيسة لتزداد هي الأخرى قُرْباً من الله

والمسيح؛ وفي كلا الحالين سواء عند بولس الرسول أو عند الكنيسة، يكون اختزال الزمن وعدم الاعتراف بالكثير به وكذلك الإحساس بزوال العالم، هما لصالح الحياة برمتها، للإنسان عامة وللكنيسة خاصة. أي أن الشعور باختزال الزمن وفقدان الإحساس بسيطرة العالم وهمومه، وذلك في التعامل مع الله، ينشئ قرباً صادقاً وحقيقياً وسريعاً مع الله!!!

هذا لم يكن مجهولاً لدى الرسل، فبطرس الرسول يحضننا ليس فقط على أن نترقب مجيء المسيح سريعاً في عبادتنا وحياتنا وصلواتنا؛ بل وأن نطلب سرعة مجيئه، مع العلم بأن ذلك بعينه كان حافزاً مستمراً لبطرس الرسول نفسه أن يزداد حرارة والتهاباً والتصاقاً بالله: «منتظرين وطالبن سرعة مجيء يوم الرب...» (٢بط ٣: ١٢). لأن ذلك الشعور إذا كان صادقاً وواقعياً يُدخلنا في الإحساس بتفاهة الزمن وبالتالي تفاهة العالم وضغوفه. وهذا كان بعينه صراخ إشعيا النبي: «ليتك تشق السموات وتنزل» (إش ٦٤: ١). والعكس صحيح، ويثبت هذه القاعدة أن التمسك بالعالم والارتواء تحت مطالبه والالتصاق بهومومه، أو بمعنى آخر الانجذاب إليه أو محبته، هو في حقيقته عداوة لله كما يقول بولس الرسول (رو ٨: ٧)؛ أما محبة المسيح والحياة في حضرته أو حياته فينا فهي بعينها أن يُصلب العالم لنا ونحن للعالم، أي أن ينتهي من وجوده الطاغى على أنفسنا وأرواحنا.

أما العامل الذي ينشط فينا الإحساس باختزال الزمن «الوقت مقصر»، والإحساس بفقدان سطوة العالم على كياننا الروحي والتيقن من زواله: «لأن هيئة هذا العالم تزول» (١كو ٧: ٣١)، فهو الروح القدس، فالروح القدس هو روح الخلود. وإذا زاد الإحساس بالخلود في أرواحنا انحصر الزمن في أقل حيز وضاع تأثيره المستبد. كذلك، فالروح القدس هو الضد المباشر للعالم: «ذاك يُبْهِتُ العالم» (يو ١٦: ٨). لذلك حينما تثبت في الروح ويسكن هوفينا، تنخفض قيمة العالم ويصغر الإحساس به، فيفقد العالم بريقه وسلطانه ويزول وجوده فينا حتى قبل أن يزول هو.

إذاً فلا تلوّس، أيها القارئ، القديس بولس وباقي الرسل والكنيسة الأولى — مثل هؤلاء العلماء غير المسوقين من الروح القدس — بأن الكنيسة الأولى كانت تعيش في إحساس عفيف بسرعة مجيء الرب وسرعة زوال العالم. فهذا كان سببه الوحيد والمباشر لحلول الروح القدس وشدة تأثيره على تلك الأرواح القديسة، وليس كما يظن هؤلاء العلماء أنها شطحة من شطحات التنبؤ لم يلازمها الحظ. على أن هذا الإحساس، في رأي هؤلاء العلماء، سرعان ما زال، واعتدلت الكنيسة في رؤيتها؛ مع أن هذا الاعتدال وهذه الصحة الوهمية في نظر هؤلاء العلماء هي التي كانت بعينها

نتيجة ضعف انسكاب الروح في الكنيسة وضياح إحساسها بالخلود الذي كانت تعيشه الكنيسة الأولى برسلها وأنبياؤها وقديسيها.

وليس من الصعب أن نلمح كيف أن بولس الرسول وهو منحصَر بالروح يرتفع إلى مستوى سرعة انتهاء الزمن والعالم، ثم عندما ينزل في رسائله إلى مستوى الأخطاء التي تعمل في الكنائس، وإلى تمرد بعض المؤمنين على وصايا التعقل والعفة، نراه يدخل في الزمن ويمتد به ويحسُّ على المشاورة على التوبة والصلاة والخضوع للرتاسات وتدريب النفس والجسد على طول المدى، فنحس من كلامه أنه يعايش الكنائس في عمق الزمن والعالم وواجباتهما.

أما العلماء فيرون في انحصاره بالروح وارتفاعه فوق الزمن والعالم أنه شطحة خرجت خارج الصحة اللاهوتية والتعقل، وأما النزول فيرونه عودة إلى الصحة والتعقل، مع أنه في هذه يكون في قمة صحوة الروح مع الروحيين، وفي تلك يكون قد خرج من دائرة الروح لمسيرة المنضوين تحت الزمن والزمنيات.

كذلك، فإننا نجد هذه المفارقة واضحة غاية الوضوح في أمر الزواج، فإنه وهو في حالة انحصاره بالروح والإحساس بقرب مجيء الرب يرى أن عدم الزواج أفضل لإنسان يريد أن يعيش بالروح وللرب وتقديس النفس والجسد:

+ «لأنني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا ... أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبشوا كما أنا ... الوقت منذ الآن مُقَصَّر لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم ... غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً ...» (١كو٧: ٧ و٨ و٩ و٢٩ و٣٤)

ثم إذ ينحدر بولس الرسول من هذا المستوى العالي ليرى الأزمنة الصعبة القادمة على المسيحيين، يسبق وينصح تيموثاوس «الشاب» أسقف أفسس:

+ «ولكن الروح يقول صريحاً إنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مُضَلَّةً وتعاليم شياطين في رياء أقوال كاذبة، موسومة ضمائهم، مانعين عن الزواج.» (١ تي ٤: ٣-١)

هنا بولس الرسول يمنع عن الزواج، وبأن واحد يرى أن المنع عن الزواج هو تعليم مزلّ وارتدادٌ عن الإيمان الصحيح. فبالفكر الساذج المعثري الإنسان أن في هذا مضادة، ولكن التعليل لهذه المفارقة مدهش في الحقيقة. فبولس الرسول يرى في نفسه، وهو في وضعه الروحي المنحصَر في الروح والمسيح وكان المسيح قريب وعلى الأبواب، يرى عزوفاً صادقاً وقوياً وثابتاً عن الزواج للتمتع

بالمسيح بتقديس الجسد والروح، فيحضر أولاده أن يكونوا مثله، إن كانوا مثله، على مستوى الروح وبإحساس أن الوقت مقصر، بمعنى أن السنين ما ينبغي أن تُفقد، وأن العمر قل أو طال ما يليق أن يُبَادَ ويُتلف في الجري وراء العالم. فهما كانت السنين وكان العمر، حتى ومع الشدة وفي حدود الثمانين، فهي أقل وأقصر جداً من أن تستوعب معرفة المسيح والوجود معه أوفيه. ولكن إن جاء قوم يحضون على المنع عن الزواج وعن تناول أطعمة... إلخ، لا لأنهم منحصرون في الروح ومرتبطين بالمسيح لتقديس الحياة له جسداً وروحاً؛ بل ليس من أجل المسيح أصلاً ولا لتقديس الحياة له ولا لحفظ الجسد والروح في القداسة، إذ ليس لهم إيمان بالمسيح بل تابعين أرواحاً مضلة؛ فحينئذ تكون هذه هي الأزمنة الأخيرة بعينها، بمعنى أيام الارتداد التي تسبق مجيء المسيح للدينونة.

وهكذا ينتهي بولس الرسول إلى إرساء قاعدة إيمانية: إن كنا في المسيح حقاً، كان امتناعنا عن الزواج حقاً هو. أما إذا كنا لسنا في المسيح، فيكون امتناعنا عن الزواج ضلالة.

كما وأنه إن كنا نحسُّ بقُرب المسيح حقاً، فإن الوقت يكون مقصراً حتماً؛ فإذا لم نكن نحسُّ بالمسيح أصلاً فتكون أيامنا والأيام الأخيرة سواءً، أي ارتداداً!!

وهكذا فإن رؤية بولس الرسول الأخروية صادقة، وهي لا تفقد صدقها وصلاحيتها بامتداد الزمن. فهي في أيام بولس الرسول رفعت بولس وكنائسه حتى إلى مستوى وجود المسيح وليس إلى ترجي وثُرْبٍ مجيئه وحسب، وهي هي إلى الآن تُدخلنا في هذه الحضرة ذاتها وبنفس إحساس قرب مجيئه وكأنه على الأبواب كلما انتصف الليل، كلُّ ليل! ثم أليس هذا بعينه هو إلحاح المسيح على ترقُّب ملكوت الله وانتظار مجيء العريس وأن: «اسهروا إذاً لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربُّكم». (مت ٢٤: ٤٢)

ثم إن هذا التعليم الذي يرتقي بالإسنان ليعيش على مستوى الروح والحق وتقديس الجسد والزمن، باعتبار أن الزمن مقصر وكل دقيقة فيه هي ذات اعتبار، وأنه ما ينبغي أن تُهدَر في السلبات الدنيوية، هذا التعليم هو تعليم يُقوِّم الإنسان والعالم ويدفع إلى مزيد من الإيجابية في كل شئون الحاضر الزمني.

لذلك يخطيء كلُّ مَنْ يقول بأن أخروية بولس الرسول في النظرة اللاهوتية، وفي انحصاره في قُرب مجيء المسيح، وفي حصر حياته ومُريدته في إطار البتولية قد أضعفت من قوة المسيحية في التحامها بالزمن على امتداده أو في حلِّ همِّ العالم. بل على النقيض، فقد أنشأت هذه النظرات

اللاهوتية الجادة والعملية قوة تجديد في العالم، ولا تزال تعمل على جميع المستويات.

وليس من بين كافة الآباء والأنبياء مَنْ حَمَلَ هَمَّ الخليفة بعد المسيح إلا بولس، وكأنه كان يسمع أنينها وهي تتمخض في عبوديتها، تنشبُ بالإنسان بانتظار تكميل فدائه وانعتاق جسده من عبودية الفساد، لتتال به ومعه انعتاقها الأخير، وتنعم من تحته بحرية التنبؤ.

٣ - الظروف المحيطة بالمجيء - الباروسيا : παρουσία

في البداية، واضح لنا مما سبق أن كل نبوة جاءت في القديم أو أي سرّ رؤيوي كرويا ἀποκάλυψις دانيال أو حزقيال أو إشعياء عن الأمور الأخيرة، كذلك كل ما جاء عن بولس الرسول، لا يمكن توقعه على الرمن وكأنها رؤيا تاريخية محددة، لذلك يصبح من الخطر بل ومن الخطأ الجسيم توقعها على التاريخ في وضعه المستقبلي. وحتى معناها يصعب أن يكون حرفياً، فهو يبقى دائماً في محيط السرّ حسب طبيعته.

لذلك فإن نظرات أو رؤى بولس الرسول فيما يخص الأخريات لا تزيد عن كونها صدقاً للرؤيا التي جاءت في القديم، لدانيال وإشعياء، وحزقيال والباقيين مع المزامير، مع توضيحات أكثر مأخوذة مما جاء في كلام المسيح عن الأمور الأخيرة وعلامة مجيئه بحسب الأناجيل، وما استلمه هو (بولس الرسول) من المسيح رأساً.

ولو حلّلنا مضمون هذه الرؤى نجدها مطابقة في جزئياتها لما جاء في الثلاثة الأناجيل الأولى، فهي لا تخرج عن الآتي:

أولاً: إطلاق صوت الدعوة الأخيرة:

+ «لأن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس ملائكة، وبوق الله، سوف ينزل من السماء. والأموات في المسيح سيقومون أولاً.» (١ تس ٤: ١٦)

(أ) هتاف κελεύσμα وتعني صرخة للإيقاظ كما يُصرخُ في أذن النائم ليستيقظ، أو عند اشتعال حريق، أو كما يصرخ البحارة للانتباه للخطر. ولكن مَنْ الذي يطلق الهتاف الأخير هذا؟

هنا الفاعل مستتر كما جاء في مثل المسيح والعشر عذارى: «... صار صراخ، هوذا العريس مقبل» (مت ٢٥: ٦). هل هو صوت الله الذي يسبق الاستعلان الأخير لابنه؟ أو صوت الحرس الملائكي في جوقته المحيطة بالمسيح كما حدث في الميلاد: «وظهر بفتة مع الملاك (المبشر) جمهور من الجنود السّموي مسبحين الله...» (لو ٢: ١٣)

(ب) صوت رئيس ملائكة: هذا الصوت غير محدد بكلام، والمعروف دائماً في التقليد منذ نبوة دانيال أنه صوت رئيس الملائكة ميخائيل.

(ج) وبوق الله: أي الصوت يرافقه «بوق الله»: «في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير» (١ كوه: ١٥: ٥٢)، «لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء.» (١ تس: ٤: ١٦)

وفي التقليد القديم يتضح أن استخدام البوق يلازمه دائماً استعلان ظهور الله:

+ «وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جداً، فارتعد كل الشعب الذي في المحلة، وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله ... وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار ... فكان صوت البوق يزداد اشتداداً جداً وموسى يتكلم، والله يجيبه بصوت!!!» (خر: ١٩: ١٦-١٩)

+ «عند إقبال الصبح، عجت الأمم، تزعزعت الممالك، أعطى صوته ذابت الأرض.» (مز: ٤٦: ٥ و٦)

+ «ويكون في ذلك اليوم أنه يُضرب ببوق عظيم ...» (إش: ٢٧: ١٣)

+ «اضربوا بالبوق ... ليرتعد جميع سكان الأرض لأن يوم الرب قادم لأنه قريب.» (يؤ: ٢: ١)

+ «ويُرى الرب فوقهم، وسهمه يخرج كالبرق، والسيد الرب ينفخ في البوق.» (زك: ٩: ١٤)

والمسيح يوضح ويؤكد:

+ «ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها.» (مت: ٢٤: ٣١ و٣٠)

ويبدو أن البوق يُسمى بحسب الصوت المسموع منه، فهو يُسمى ببوق الله لأن صوت الله هو الذي سُمِعَ منه.

ولكن أوصاف بولس الرسول لظروف وملابس ظهور المسيح تخلو من العلامات المدبرة في الطبيعة كما جاءت بصورتها المأساوية في تصوير بطرس الرسول من احتراق عناصر الأرض وذوبانها.

ثانياً: الذين يظهرون مع المسيح والمنظر المحيط:

(أ) الملائكة: «عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته.» (٢ تس ١: ٧)

وهي دائماً في موكب الله ومع المسيح في الدينونة كما في كلام المسيح: «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسي مجده.» (مت ٢٥: ٣١)

(ب) القديسون: «لكي يُثَبَّتْ قلوبكم بلا لوم في القداسة أمام الله أنينا في مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه» (١ تس ٣: ١٣). وهذا مطابق لما جاء في نبوة زكريا النبي: «ويأتي الرب إلهي وجميع القديسين معك (معه)» (زك ١٤: ٥). ولكن الواضح أن ما جاء في نبوة زكريا النبي يفيد الملائكة، أما في رسائل بولس فالقصد هو المختارون.

(ج) السحاب: «ثم نحن الأحياء الباقين سنُخَفَّفُ جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء» (١ تس ٤: ١٧). وهذا تقليد رسولي من فم المسيح نفسه: «وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء وحينئذ تنوح جميع قائل الأرض، ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير.» (مت ٢٤: ٣٠)

(د) وفار: «فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبيته، لأنه بنار يُستعلن، وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو» (١ كور ٣: ١٣)؛ «عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته، في فار طيب معطياً نعمة للذين لا يعرفون الله.» (٢ تس ١: ١٥ و١٧)

والنار تلازم استعلان الله منذ البدء. فهذه الأربعة مجتمعة لازمة من لوازم الظهور الإلهي دائماً: البوق، والصوت، السحاب، والنار (خر ١٩: ١٢ و١٣ و١٦ و١٨).

٤ — الضد للمسيح الذي بظهوره تبدأ النهاية:

أ — العائق الذي يحجز الآن ظهور الضد للمسيح ἀντὶ τοῦ χριστοῦ:

يشتمل القديس بولس عن كافة من تكلموا بخصوص أواخر الزمان والنهاية في موضوع لم يطرقه أحد غيره، وهو: من الذي يحجز الآن ظهور الضد للمسيح — أي المسيح الكذاب — الذي بظهوره تبدأ العلامات الأخيرة لنهاية الزمان؟

+ «والآن تعلمون ما يتحجز حتى يُستعلن في وقته، لأن سر الإثم الآن يعمل فقط إلى أن يُزَفَّعَ من الوسط الذي يحجز الآن. وحينئذ سيُستعلن الأثيم، الذي الرب يبيده بنفخة

فمه ويُبطله بظهور مجيئه، الذي يجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم في المالكين، لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا. » (٢ تس ٢: ١٠-٦)

«ما يحجز» τὸ κατέχον (نوع الجنس هنا محايد أي لا ذكر ولا أنثى):
وهنا «ما يحجز» يفيد نوعاً من القوة الوسيطة بين المسيح وأتباعه، أي المؤمنين، وبين الضد للمسيح، وهي تعمل مباشرة ضد هذه القوة لتمنعه من تنفيذ مخططة العدوان، وهي القوة التي حار علماء البروتستانت والكاثوليك في توصيها. ولكن هي في رأينا كما سيأتي أنها قوة الروح القدس العامل في المؤمنين والشاهد للمسيح والمُدافع.

«الذي يحجز» ὁ κατέχων (نوع الجنس هنا مذكر سالم عاقل):
وهو هنا يكون، في الحقيقة وبحسب رأينا أيضاً، شخص الروح القدس الذي يتكلم ويرشد ويدبر ويشجع المؤمنين لمقاومة كل إجماعات الإثم التي تعمل على مستوى السر ولا تقوى على مستوى الظهور العلني. فسر الإثم يعمل في الفكر ويحرك المشاعر دون أن يعرف الإنسان مصدره، حيث يتصادم بوضوح داخل الإنسان والكنيسة سر التقوى = τὸ μυστήριον τῆς εὐσεβείας ضد سر الإثم = τὸ μυστήριον τῆς ἀνομίας. فالأول تقوده قوة الروح القدس لحساب المسيح المتجسد، والثاني تقوده قوة الإثم لحساب العدو.

+ «عظيم هو سر التقوى الله طهر في الجسد.» (١ تي ٣: ١٦)

+ «لأن سر الإثم الآن يعمل فقط إلى أن يُرفع من الوسط الذي يحجز الآن.» (٢ تس ٢: ٧)

وصحة المعنى في ترجمة حرفية كالآتي: [الذي يتحتم عليه أن يعمل الآن في السر ويلزم أن لا يُستعلن حتى يُرفع الذي يحجز الآن من الطريق] (١).

+ «الروح الذي يعمل الآن في أبناء المعصية.» (أف ٢: ٢)

ولكن للأسف فإنه بالرغم من أن القديس بولس الرسول تعرّض لهذا الموضوع عن ثقة و يقين، إلا أنه عبّر عليه باعتباره أنه قد استوفاه شرحاً شافهاً لأهل تسالونيكي، واكتفى بالعبور على الموضوع كتابة دون توضيح. وهذا أوقع الشارحين لكتاباته والعلماء كافة في حيرة كبيرة من هذا الأمر وتضاربت أقوالهم بشدة. وقد انتحى البروتستانت نواحي غريبة في محاولة تحديد شخصية هذا الذي يحجز المسيح الكاذب الآن عن الظهور، مثل أنه ملك أو إمبراطور الرومان؛ كذلك تحديد شخصية

المسيح الكاذب مثل أنه بابا روما. وأما الكاثوليك فقد استقربعض لاهوتيههم على أن شخصية الذي يحجز المسيح الكاذب هو رئيس الملائكة ميخائيل^(٢)، وهذا معقول إلى حد ما لأنه هو الذي بدأ مقاومته للشيطان منذ العهد القديم كما جاء في سفر دانيال النبي:

+ «وإذا بيد لمستني وأقامتني مرتجفاً على ركبتي وعلى كفتي يدي وقال لي: يا دانيال أيها الرجل المحبوب ... فقال لي: لا تخف يا دانيال لأنه من اليوم الأول الذي فيه جَعَلْتُ قلبك للفهم ولاذلال نفسك قدام إلهك، سَمِعَ كلامك، وأنا أتيت لأجل كلامك. ورئيس مملكة فارس (كناية عن الشيطان) وقف مقابلي واحداً وعشرين يوماً. وهذا ميخائيل واحد من الرؤساء الأولين جاء لإعانتني ...» (١٠١: ١٠-١٣)

علماً بأن المتكلم هنا هو بحسب تعبير دانيال النبي «كمُنظر إنسان»، ويبدو أنه هو ابن الإنسان، الذي حاطبه في آخر الأصحاح بقوله:

+ «ولكنني أخبرك بالمرسوم في كتاب الحق، ولا أحد يتمسك معي على هؤلاء (رؤساء ملوك أشرار) إلا ميخائيل رئيسكم.» (٢١: ١٠١د)

فإن كان الرئيس العظيم ميخائيل هو الذي كان المنوط به آتئذ — في القديم — حراسة شعب إسرائيل، فهو هو لا يزال في موقع الحراسة بالنسبة للكنيسة، مع ابن الإنسان الذي تجسد واستعلن أنه ابن الله. وقد وضح عمل هذا الرئيس العظيم ميخائيل بالنسبة للشيطان في سفر الرؤيا:

+ «وحدثت حرب في السماء، ميخائيل وملائكته حاربوا التنين، وحارب التنين وملائكته ولم يقووا، فلم يوجد مكانهم بعد ذلك في السماء. فطُرح التنين العظيم، الحية القديمة، المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله طُرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته.» (١٢: ٧-٩)

ولكن في اعتقادنا أن المسيح ليس في حاجة إلى ملائكة ليدير كنيسته ويحرسها، فقد استودعها للروح القدس، فهي في يد الله نفسه يحفظها ويدبرها، فهي كنيسة الله التي اقتناها بدمه وأبواب الجحيم لن تقوى عليها، والمؤمنون هم جسد المسيح من لحمه ومن عظامه، وهم بنو العلي يُدْعَوْنَ، وأبناء الله الحي، ورعية الله، وأهل بيت الله. المسيح رأسها المدبر، والروح القدس يرشدها ويقتادها، والمسيح على الصليب صَفَى حساباً مع الرؤساء وسلاطين الظلمة فقد ظفر بهم وقضحهم، ولم يَعْذْ للشيطان سلطان على أولاد الله، ولا الخطية، إن هم تمسكوا بدم صليبه، فبمجرد إعلان

المقاومة ضد الشيطان يهرب منهم، وقد سلمهم المسيح أسلحة المحاربة الروحية القادرة بالمسيح على هدم كل حصون العدو واستئثار كل فكر ضلالة وإخضاعه إلى معرفة الحق في المسيح (راجع ٢ كو ١٠: ٧). فأين المكان الذي أعطي لملاك أو رئيس ملائكة؟

في اعتقادنا الراسخ أن الذي يحجز ظهور الضد للمسيح هو تقوى المؤمنين وصلاتهم وإيمانهم، وغيرتهم على الحق والقداسة، وتقديسهم لاسم المسيح، ومحبتهم، وبذلهم، ودماؤهم التي يطرخونها سهلة للسفك من أجل الشهادة، إذا جدّ جديدها، وهذه التقوى عينها بكل حرارة الإيمان والعبادة يؤازرها الروح القدس ويحرسها ويزكيها. فإذا توقفت هذه، وعُدم الإيمان المسيحي صلابته وسقط الحق وانعدمت المحبة بين المؤمنين، كان ذلك مدعاة للروح القدس أن يرفع يده، فهو الذي يحجز الآن في الوسط بين العدو المتربص الذي يجول يلتمس ابتلاع «نسل المرأة» — أي مولودي الإيمان بالذي نزل من السماء مولوداً من امرأة — وبين النهاية وظهور ابن الهلاك الأثيم، إنسان الخطية، الذي سيسلمه الشيطان كل قوته ليُضِلَّ العالم للدخول في الارتداد الكبير، الذي يكون آخر العلامات، والذي بعده تُستعلن الدينونة.

ب — ظهور الضد للمسيح «أنتي كريست = Antichrist» :

لقد وضع بولس الرسول علامتين مميزتين لنهاية الزمان، الأولى «الارتداد» والثانية ظهور الضد للمسيح (أنتي كريست) : «لا يأتي (هذا اليوم الأخير) إن لم يأت الارتداد أولاً ويُشتعلن إنسان الخطية ابن الهلاك.» (٢ تس ٢: ٣)

«الارتداد» : ἀποστασία

وتعني بحسب الكلمة اليونانية «الثورة». وفي هذا يكمن معنى أن حركة المقاومة للمسيح تأتي من الداخل وليس من الخارج، أي من داخل الجماعة، وهنا يحتمل المعنى اليهود أو المسيحيين المنشقين، ولا تحتمل بالتالي أن تأتي من الوثنيين أو من خارج الشعب اليهودي أو المسيحي.

«يُستعلن» : ἀποκαλυφθῇ

وهي نفس الكلمة المستخدمة في استعمال المسيح، ويلاحظ أيضاً أن كلمة «سر» مستخدمة لضد المسيح كما المسيح، مما يكشف عن أن «إنسان الخطية» هذا يحمل طبيعة فائقة نوعاً ما عن الطبيعة العادية للإنسان نجعله يحتاج إلى الاستعلان لكي يبدأ عمله.

«إنسان الخطية»: ὁ ἄνθρωπος τῆς ἀνομίας

«ابن الهلاك»: ὁ υἱὸς τῆς ἀπωλείας

الاصطلاح الأول يفيد صفة الطبيعة الأصلية والثاني يفيد نهايته البائسة، وهو تعبير عبري تقليدي نجده في سفر صموئيل الأول: «لأن ما دام ابن يسي حياً على الأرض لا تثبت أنت ولا مملكتك». والآن أرسل وأت به إليّ لأنه ابن الموت هو.» (١ صم ٢٠: ٣١). كما أطلق المسيح على يهوذا: «ابن الهلاك» (يو ١٧: ١٢)، وهو لفظ نبؤي يفيد نهايته المشومة.

ومن بقية تعبيرات بولس الرسول حول هذا الموضوع يتبين أن اصطلاح «إنسان الخطية» يفيد بصورة ما أن سِرَّ الإثم الذي يعمل في أبناء المعصية الآن — أي في أيام بولس الرسول وحتى اليوم — له علاقة بإنسان الخطية من حيث سريان الخطية، وذلك بانتظار أن يُرفع الذي يَحْجِز ظهور إنسان الخطية هذا، وحينئذ يظهر هذا الأثيم بكامل قواه الشيطانية لرفع درجة الضلالة والتمرد على الله والمسيح إلى أقصاها.

من هذا يتبين لنا أن «روح الخطية والإثم» إنما يتقمّص أشخاصاً كثيرين كمُسْحَاء كذبة كثيرين من جيل إلى جيل إلى أن يستقر في النهاية بكل ثقله في «الضد الأخير» للمسيح. لذلك فاصطلاح «إنسان الخطية» عند بولس الرسول يحتمل التعدّد ويحتمل المفرد، وهكذا لا يخرج عن مضمون ما قال به المسيح عن قيام مُسْحَاء كذبة كثيرين، وكذلك القديس يوحنا في رسالتيه الأولى والثانية. وهذا ينطبق بإحكام على الواقع التاريخي، فالعالم أَتَجَبّ بالفعل أضداداً كثيرين للمسيح حتى الآن، ومن المعقول أن ينبج في الآخر من يُحسب أقواهم لتكميل المَقْضِيّ به على الأرض حسب تعبير دانيال النبي (دا ١١: ٣٦).

أما قول بولس الرسول عن هذا الضد للمسيح بأنه «يُظْهِر نفسه إلهاً» فلا عجب في ذلك، فباطرة روما الذين عاصروهم بولس الرسول ظنوا في أنفسهم أنهم آله، وتوجد قطعة نقود مسكوكة ليولوس قيصر مطبوع على وجهها بجوار رأس الإمبراطور كلمة «Θεός». وفي الوجه الآخر اسم المدينة «تسالونيكي» التي كتب إليها بولس الرسول رسالته هذه (٣).

ولقد تميز القديس بولس بتحديد بعض الأسماء والصفات للمسيح الكذاب:

أ — إنسان الخطية، ابن الهلاك.

ب — المَقَاوِم، المرتفع على كل ما يُدْعَى إلهاً أو معبوداً.

ج — يجلس في هيكل الله كإله مُظهِراً نفسه أنه إله.

د — الأثيم.

هـ — مجيئه لعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة.

و — بكل خديعة الإثم في المالكين.

وبهذه الصفات حاولت الكنيسة منذ العصور الأولى، منذ القديس يوحنا الإنجيلي إسقاط بعض هذه الصفات على حال ظَلَمَة ظهوروا في التاريخ من أشخاص أو سحرة أو أباطرة ظالمين قساة مثل كاليجولا وسمعان الساحر أو نيرون. وقد اعتقد بعض الآباء، وبالتحديد العلامة جيروم والقديس أغسطينوس، أن القديس يوحنا الإنجيلي لم يَمُتْ لكي يشهد ضد نيرون عندما يعود إلى الحياة في هيئة الضد للمسيح^(٤) باعتبار أن نيرون نفسه هو الضد للمسيح.

وأول مَنْ قال بالضد — لله — بهذه الأوصاف تقريباً هو دانيال النبي، وتنطبق رؤياه على أنطيوخس الرابع الذي اغتصب عرش سوريا سنة ١٧٥ ق.م. وسُمِّيَ بالمجنون، وذلك بحسب غالبية الشراح:

+ «ويفعل الملك كإرادته ويرتفع ويتعظم على كل إله ويتكلم بأمر عجيبة على إله الآلهة وينجح إلى إتمام الغضب، لأن المَقْضِيَّ به يُجرى. ولا يبالي باله آباءه ولا بشهوة النساء وبكل إله، لا يبالي لأنه يتعظم على الكل.» (١١١د : ٣٦ و ٣٧)

ويأتي القديس يوحنا ليرى الضد للمسيح مشخّصاً في كل من ينكر المسيح:

+ «أيها الأولاد هي الساعة الأخيرة، وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتي، قد صار الآن أخمداد للمسيح كثيرون. من هنا نعلم أنها الساعة الأخيرة ... إن كل كذب ليس من الحق. مَنْ هو الكذاب إلا الذي ينكر أن يسوع هو المسيح، هذا هو ضد المسيح الذي ينكر الآب والابن.» (٢يو١ : ١٨ و ٢١ و ٢٢)

+ «لأنه قد دخل إلى العالم مُضِلُّون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتياً في الجسد هذا هو المضلُّ والضد للمسيح.» (٢يو٢)

وسفر الرؤيا حافل بأعمال الضد للمسيح في أصحاحات كثيرة: (رؤ١١ : ٤ — ١٣، ١٣ : ١٨ — ١٨، أصحاح ١٧ كله، ١٩ : ١١ — ٢١).

وفي إنجيل القديس مرقس وإنجيل القديس متى يذكر المسيح بوضوح المسحاء الكذبة الذين يأتون في آخر الزمان:

+ «حينئذ إن قال لكم أحد: هوذا المسيح هنا أو هناك، فلا تصدقوا. لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً.» (مت ٢٤: ٢٣ و٢٤)

+ «فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين: إني أنا هو، ويُضلُّون كثيرين.» (مر ١٣: ٦)

والقديس متى يذكر كيف ستكون من أهم علامات آخر الأيام كثرة «الإثم» (ἀνομία):

+ «ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين، ولكن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص.» (مت ٢٤: ١٢ و١٣)

وهي التي يقول عنها بولس الرسول: «لأن سر الإثم الآن يعمل فقط ... وحينئذ سيُستعلن الأثيم» (٢ تس ٢: ٧ و٨)

وقد أوضح داود النبي في مزمور ٨٩ موقف «ابن الإثم» من المسيح بوضوح:

+ «حينئذ كلمت برؤيا نبيك، وقلت: جعلت عوناً على قوتي، رفعت مختاراً من بين الشعب، وجدت داود عبدي، بذهن قدسي مسحته، الذي تثبت يدي معه، أيضاً ذراعي تشدده، لا يرغمه عدو وإن الإثم لا يذله، وأسحق أعداءه أمام وجهه، وأضرب مُبغضيه.» (مز ٨٩: ١٩-٢٣)

ولكن من أروع الأوصاف التي جمعت كل ما للإنسان والشیطان معاً في صورة الضد لله والمسيح، ما جاء في سفر حزقيال النبي:

+ «من أجل أنه قد ارتفع قلبك، وقلت أنا إله، في مجلس الآلهة أجلس، في قلب البحار، وأنت إنسان لا إله وإن جعلت قلبك كقلب الآلهة ... فارفع قلبك بسبب غناك، ... لذلك ها أنذا أجلب عليك غرباء، عتاة الأمم، فيجردون سيوفهم على بهجة حكمتك، ويدنسون جالك، يُنزلونك إلى الحفرة، فتموت موت القتل في قلب البحار. هل تقول قولاً أمام قاتلك أنا إله، وأنت إنسان لا إله ... موت الغُلف تموت ... لأنني أنا تكلمت يقول السيد الرب، ... أنت خاتم الكمال ملأٌ حكمة وكامل الجمال، كنت في عدن جنة الله ... أنشأوا فيك صنعة صيغة الفصوص وترصيعها يوم خُلقت، أنت الكروب المُنبسط المُظلل وأقمته، على جبل الله المقدس كنت، بين حجارة النار تمشيت. أنت كامل في طرقتك من يوم خُلقت حتى وُجِدَ فيك إثم ... ملأوا جوفك ظلماً فأخطأت، فأطرحك من

جبل الله وأبيدك أيها الكروب المظلل ... قد ارتفع قلبك لبهجتك، أفسدت جحمتك لأجل بهائك، سأطرحك إلى الأرض ... فأخرج ناراً من وسطك فتأكلك وأصيرك رماداً على الأرض ... ولا توجد بعد إلى الأبد.» (حز ٢٨: ١-١٩)

كثيرون يقولون إن الكلام هنا عن إبليس، ولكن واضح كل الوضوح أنه يكرر مراراً: أنت إنسان أنت إنسان!!

وبنفس الأوصاف يتكلم إشعيا النبي عن هذا الضد لله والمسيح في كلمات بلغت القمة في روعة التعبير الروحي عن كيف ارتفع وكيف سقط:

+ «كيف سَقَطْتَ من السماء يا زهرة بنت الصبح؟ كيف قُطِعت إلى الأرض يا قاهر الأمم؟ وأنت قُلت في قلبك: أصعد إلى السموات أرفع كرسي فوق كواكب الله وأجلس على جبل الاجتماع في أقاصي الشمال، أصعد فوق مرتفعات السحاب، أصير مثل القلي. لكنك انحدرت إلى الهاوية إلى أسافل الجب، الذين يَرَوْنَكَ يتطلعون إليك، يتأملون فيك: أهذا هو الرجل الذي زلزل الأرض وزعزع الممالك؟ الذي جعل العالم كَقَفْرٍ وهدم مدنه... فقد ظُرِحت من قبرك كَقُضِي أَشْتَع، كَيَاسِ القتل المضروبين بالسيف.» (إش ١٤: ١٢-١٩)

كذلك يصف إشعيا كيف يبید الله هذا المنافق (الأثيم) بنفخة شفتيه:

+ «يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإتصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق (الأثيم) بنفخة شفتيه.» (إش ١١: ٤)
+ «عندما يأتي العدو كنهرفنفخة الرب تدفعه.» (إش ٥٩: ١٩)

ومن هذه النبوات ومما ذكر في الأناجيل، يتبين لنا أن كل ما قاله بولس الرسول هو امتداد وكصدى لما دُكر في التقليد بقديمه النبوي وجديده المسيحي.

وقد انتبه الآباء الأوائل إلى أن الأوصاف المذكورة عن الضد للمسيح، سواء ما جاء منها في النبوات أو الأناجيل أو رسائل بولس الرسول وخاصة الرسالة الثانية إلى تسالونيكي الأصحاح الثاني، ليست خاصة بالشيطان ولكن بإنسان منحه الشيطان قوته وسلطانه ليضل العالم الضلالة الأخيرة.

وبحسب رسالتي القديس يوحنا الأولى والثانية، يُفهم تماماً أن الضد للمسيح تتركز صفاته — أيًا كان هذا «الضد» — في إنكاره لتجسد المسيح وبنوته للآب، لأن هذا يعني الإنهاء على الخلاص والفداء اللذين أكملهما الله بواسطة المسيح لحساب الإنسان والعالم.

كما نفهم من أقوال المسيح في إنجيلي القديسين متى ومرقس أن من أهم علامات آخر الزمان قيام مُسحاء كذبة يدعون صفة المسيح ورسائله وأعماله ليضلوا الناس — وإن أمكن المختارين أيضاً — عن خلاصهم بسبب شدة التزييف وعنف الاضطهاد.

ولكن يتفرد القديس بولس بالتركيز على شخصية واحدة ينعقد عليها لواء كل المسحاء الكذبة وكل الضلالة بل ويتمحور فيها «الأثيم» بصورة تكاد تكون تجسدية وكأن الإثم تجسد فيه، فيدعوه ليس الأثيم فقط بصفة التشديد بل و«إنسان الخطيئة»، ويعطيه الصمة التي أعطاها المسيح ليهوذا الذي خان المسيح وسلمه للموت!! «ابن الهلاك». كذلك يكشف عن أن الشيطان أعطاه ليس فقط قوته وسلطانه في صنع الآيات الكاذبة والمعجزات المضلة، بل وأعطاه أيضاً «الخديعة»، «خديعة الإثم»، وهي نفس السلاح الذي حارب به آدم وحواء وأسقطهما من مجدهما:

+ «ولكنني أخاف أنه كما خلدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.» (٢ كور ١١: ٣)

فالضد للمسيح هذا سألحه الشيطان بقوة عقلية فائقة على مستوى الحكمة الغاشة لإفساد ذهن وإيمان الناس، فوق قوة عمل الآيات والمعجزات الباهرة التي تسلب العقل وتغطي عليه. لذلك فإن هذا الضد للمسيح سيكون وبالأعلى العالم، فسلحه سيكون مناسباً لفلسفة الإنسان غير المتأصلة في المسيح، كما سيكون مناسباً لما بلغه العالم من استخدام القوة الفكرية لاختراع القوى والآلات المبهرة.

وإن كان الفلاسفة والعلماء اللاهوتيون الآن يستصغرون من فكرة الضد للمسيح ويعتبرونها خرافة موروثية، إلا أن فكرهم هذا ورأيهم هذا هو أحد المظاهر السرية الفعالة لبداية هدم الإيمان المسيحي الذي يدعوه بولس الرسول: «إن سر الإثم الآن يعمل فقط» (٢ تس ٢: ٧)، لأن من شأن هذا التعليم الذي يناقض الإنجيل صراحة، أن يُخفي معالم وسائل الهدم التي تعمل الآن من جهة نقد كل التراث الإيماني الذي سلّم مرة للقديسين. ومن هذا يحذر بولس الرسول، أي من جهة التعاليم الناقدة المضلة التي تلبس ثوب التعقل والحكمة العلمية والدقة اللفظية واليقينية الفكرية بقوله:

+ «ولا عجب، لأن الشيطان نفسه يغيّر شكله إلى شبه ملاك نور؛ فليس عظيماً إن كان خدومه أيضاً يُغيّرون شكلهم كخدّام للبرّ (الكاذب).» (٢ كور ١١: ١٤)

وهل ينسى هؤلاء اللاهوتيون ومعهم التاريخ والعالم كله، ما فعله أنطيوخس إبيفانس الرابع أو

كاليجولا أو سمعان الساحر أو نيرون، أو أولئك الذين رَوَّعوا البشرية بطغيانهم وظلمهم الوحشي من أباطرة وملوك ورؤساء، هل ينسى العالم ستالين، أو ينسى هتلر!! أليس هؤلاء جميعاً حلوا لواء «الأنتي كريست» وسَلَّموا الشعلة الحارقة المخربة بعضهم لبعض بانتظار من سيأتي ليجمع كل ما كان عند هؤلاء الطغاة من شذوذ شيطاني وعلو وكبرياء وغطرسة وترفع ونقمة.

وعليك، يا قارئ العزیز، أن تتصوّر إنساناً يجمع في نفسه صفات هؤلاء الجبابرة من فكر وحكمة وقدرة وسلطان وخديعة وجراً مع إحراز لما انتهى إليه العلم والتكنولوجيا الحديثة من أسرار القوى المدمرة الذرية وأسلحة الفضاء، ماذا سيكون!!

ج - كيف سيُظلم الرب؟

+ «وحيثُ سَيُستعملُ الأثيم، الذي الرب يبنيه بنفخة فمه ويُظلم بظهور مجيئه.»
(٢ تس ٢: ٨)

لقد اقتبسها بولس من إشعياء النبي: «يقضي بالعدل للمساكين، ويحكم بالإتصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويُميت المنافق بنفخة شفثيه.» (إش ١١: ٤)

يبنيه بنفخة فمه: ἀνελεῖ τῷ πνεύματι

هنا النفخة مأخوذة من (الروح). فهنا يختبئ نوع القوة التي يستخدمها الرب في إبادة «الضدّ للمسيح»، وهي قوة الروح بالكلمة الخارجة من فمه. فهي تشمل الأمر والتنفيذ معاً!!

ويُظلم: καταργήσει

هذه الكلمة ترجمت بالإنجليزية بمعنى «يفيه» أو «يحطمه». ولكنها باليونانية تفيد معنى إدخاله في التعتيم، في مَحَقِ الظلمة، أي يحسفه بمعنى يُفْقِدُه نوره (*).

وقد جاءت هذه الكلمة «يُظلم» في مقابل الإنارة: «وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذي أبطل الموت، وأُناَر الحَيَاة والمخلود»!! (٢ تي ١: ١٠)

فهنا إبطل المسيح لإنسان الخطية الأثيم ابن الهلاك هو على نوع من الإبطال أو الخسف أو الكتم، بمعنى أن لا يعود له فاعلية! وهذا يظهر بجلاء عندما ندرك الوسيلة التي سيُظلم الرب بها عمله وكيانه ووجوده، فهي ظهوره: «يُظلم بظهور مجيئه»، بمعنى أنه بظهور النور والحق يختفي حتماً

5. Lightfoot, *op. cit.*, p. 115.

ما كان نوراً مزيفاً وحقاً كاذباً. فظهور الرب بقدر ما سيكون للمختارين خلاصاً بأقصى عمله ومفهومه ومسح كل دمعة من العيون التي أضناها البكاء، فإنه سيكون للمضلل هلاكاً سريعاً وللرفوضين دينونة أخيرة وأبدية حيث البكاء بلا رجاء.

٥ - الدينونة الأخيرة:

مع الاستعلان ومجيء المسيح تبدأ الدينونة للأحياء والأموات:

+ «أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته.» (٢ تي ٤: ١)

وقوله: «يدين الأحياء والأموات» يعني أنه يدين البشرية برمتها ولا استثناء، ويدخل في ذلك بالضرورة حتى القديسون المتوط بهم هم أن يدينوا ملائكة: «ألستم تعلمون أننا سدين ملائكة» (١ كو ٣)، فلا مناص، إذ لا بد أن يدخلوا هم بدورهم في الدينونة ويقفوا أمام كرسي المسيح.

وبالأساس يلزم أن نعرف أن أحكام الدينونة هي أبدية لا استئناف فيها ولا رجعة ولا استثناءات بأي حال: «الدينونة الأبدية» (عب ٦: ٢).

أما المختارون فيكونون «كل حين مع الرب.» (١ تس ٤: ١٧)

أما الأشرار «سَيُعَاقَبُونَ بهلاك أبدي.» (٢ تس ١: ٩)

وبالرغم من التركيز الذي تميّز به القديس بولس بخصوص التبرير بالإيمان دون أعمال، وبالرغم من أن أعمال الناموس انتهت عند بولس الرسول إلى عدم استحقاق لأي شيء، إلا أنه من جهة الدينونة يُبرز الأعمال باعتبارها الميزان الذي بمقتضاه تكون المجازاة.

والدينونة عند بولس: دينونة للذين تحت الناموس، ودينونة للذين بلا ناموس، ودينونة للذين اعتقهم الرب من الناموس وحررهم من قضائهم! الكل لهم دينونة، والكل سيقف أمام كرسي المسيح:

أ - أما دينونة الذين تحت الناموس: «كل مَنْ أخطأ في الناموس فبالناموس يُدان.» (رو ٢: ١٢)

حيث تقوم الدينونة بحسب الناموس على أساس: «لأن ليس الذين يسمعون الناموس هم أبرار عند الله بل الذين يعملون بالناموس هم يُبررون.» (رو ٢: ١٣)

ب — أما الذين بلا ناموس فتقوم دينونتهم على أساس: «لأن كل مَنْ أخطأ بدون الناموس، فبدون الناموس يهلك» (رو٢: ١٢)، حيث ستكون أفكارهم وضمائرهم هي التي تقف مشتكية ضدهم ومحتجة في يوم الدينونة (رو٢: ١٥).

ج — أما الذين أعتقهم المسيح من الناموس وحررهم من قضائه، فقد رفع عنهم قضاء الدينونة تماماً كما رفع عنهم الناموس: «لا شيء من (قضاء) الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع»، ولكنه وبالتالي نقل الأعمال الجسدية التي كانت تُبرَّر بحسب الناموس إلى أعمال روحية تُبرَّر بحسب الروح، فيضيف قائلاً: «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح. لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.» (رو٨: ٢٠١)

وهكذا سيُدان جميع الناس سواء الذين كانوا تحت الناموس أو الذين بلا ناموس أو الذين أعتقوا من الناموس وتحرروا من قضائه — وذلك بمقتضى قانون الأعمال كالاتي:

أ — الذين تحت الناموس تُطلب منهم الأعمال الصالحة التي ينص عليها الناموس.

ب — الذين بلا ناموس تُطلب منهم الأعمال الصالحة بمقتضى الضمير والفكر.

ج — الذين أعتقهم المسيح من الناموس تُطلب منهم الأعمال الصالحة بحسب الروح، وهكذا يُدان الجميع بحسب الأعمال:

+ «الذي سيجازي كل واحد حسب أعماله، أما الذين بصبر في العمل الصالح يطلبون

المجد والكرامة والبقاء، فبالحياة الأبدية. وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون

للحق بل يطاوعون للإثم، فسخط وغضب؛ شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر

اليهودي أولاً ثم اليوناني، ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح اليهودي أولاً ثم

اليوناني، لأن ليس عند الله محاباة!!» (رو٢: ٦-١١)

وهذه أسماها بولس الرسول: «دينونة الله العادلة.» (رو٢: ٥)

وبهذا يتضح تماماً قانون بولس الرسول بالنسبة للدينونة بحسب الأعمال على الجميع، ولما مع

العلماء الدين قسّموا لاهوت بولس الرسول فيما قبل رسالة رومية بحسب الأعمال وفيما بعد

الرسالة بحسب الإيمان، وكأنه يغيّر رأيه ويصححه من رسالة لرسالة — هذا نعتيره للأسف شططاً

فكرياً عند هؤلاء العلماء المعظم الذين لهم وزنهم العالمي، سواء ليدزمان أو هـ. براون أو

ريدربوس^(٦).

6. Ridderbos, *Paul, An Outline of His Theology*, p. 178.

فالدِينُونَةُ عامَّةٌ، وهي بحسب الأعمال، مهما كان الإنسان؛ ولكن هذا يُطلَبُ منه العمل بحسب التاموس الذي يدين به، وهذا بحسب الضمير إذ ليس له ناموس، وهذا بحسب المسيح إذ صار تحت ناموس النعمة والروح.

وبولس الرسول يضع الوقوف بالنسبة لكل إنسان أمام المسيح الديَّان كحتمية لا استثناء منها قط، مهما كان إيمانه، ومهما كانت النعمة العاملة فيه، ومهما بلغت روحياته من القوة والنفاوة:

+ «لأنه لا بد أنَّا جميعاً نُظَهَّرُ أمام كرسي المسيح، لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً.» (٢ كور ٥: ١٠)

وبولس الرسول يكرر هذا المعيار الحتمي للدِينُونَةُ في مواضع كثيرة:

+ «لأنَّا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح.» (رو ١٤: ١١)

+ «عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير، فذلك يناله من الرب، عبداً كان أم حُرّاً.» (أف ٦: ٨)

+ «وكل ما فعلتم، فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس، عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث، لأنكم تحمدون الرب المسيح. وأما الظالم فسینال ما ظَلَمَ به، وليس محاباة.» (كو ٣: ٢٤ و٢٥)

هنا ينبغي أن نفرق بين الدِينُونَةُ بحسب الأعمال كقانون حتمي، وبين التبرير بالإيمان بالمسيح.

لأن بدون الإيمان بالمسيح، فالدِينُونَةُ ستكون بمقتضى التاموس أو بمقتضى الضمير والأفكار. وواضح أن أعمال التاموس، ثَبَّتَ أنه بالرغم من أن الذي يعمل بها يحيا بها وينال برَّ التاموس (وليس برَّ الله)، إلا أنه لم يستطع أحد قط أن يعمل بالتاموس وبالتالي يتبرر به، لأن الذي يخطيء في واحدة من وصايا التاموس يُعتبر أنه أخطأ في كل الوصايا. من هنا أغلق على الجميع في العصيان (رو ١١: ٣٢)، ولم يتبرر أحد بأعمال التاموس (رو ٣: ٢٠).

إذاً، بالتاموس لا يتبرر أحد أمام الله؛ بل يُدَانَ على أنه أخطأ للتاموس من جهة كل أعماله. لهذا، ولهذا فقط، جاء المسيح ليبرِّر بدون التاموس، يبرِّر بالإيمان، حيث البرُّ هنا هو برُّ الله المُعْطَى للإنسان مجاناً بالإيمان بالمسيح لأنه بَارٌّ، والبارُّ يبرِّر كل من يؤمن به.

هكذا يقف الإيمان بالمسيح في يوم الدِينُونَةُ ليرفع عنا كل الدِينُونَةُ بحسب أعمال التاموس، وَيَهَبْنَا برُّ الله بحسب الإيمان بالمسيح (على أساس الفداء الذي صنعه). إذاً، ففي الدِينُونَةُ العتيدة

يقف الذي آمن بالمسيح لينال أولاً جزءاً ما عمل من الصلاح بحسب الروح، لأن الإيمان بالمسيح له عمل خاص ليس كعمل الناموس في شيء:

+ «فإننا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء برٍّ، لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغزلة (تضرني في شيء)، بل الإيمان العامل بالمحبة.» (غل ٥: ٥ و٦)

+ «متذكرين بلا انقطاع عمل إيمانكم، وتعب محبتكم، وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح أمام الله وأبيناء.» (١ تس ١: ٣)

على أن عمل الإيمان في المسيح يملو في مفهومه وعمقه وهدفه كثيراً وكثيراً جداً عن أي عمل للناموس، فهو يشمل احتمال التألم والظلم والضيق، هذه التي تُحسب أعمالاً مؤهلة مباشرة للملكوت الله!!

+ «لأن إيمانكم ينمو كثيراً، ومحبة كل واحد منكم جميعاً بعضكم لبعض تزداد ...، وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحملونها بيئة على قضاء الله العادل (الدينونة) أنكم تؤهلون للملكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً.» (٢ تس ١: ٣-٥)

هكذا نرى أن أعمال الإيمان بالمسيح تبرّر وتؤهل للملكوت الله. في حين أن أعمال الناموس عاجزة عن أن تبرّر وبالتالي لا تؤهل للملكوت الله. أما بدون الإيمان بالمسيح وبدون الناموس، فأعمال الخطية تتقدم الخطاة للعقاب.

الإيمان والأعمال في الدينونة الأخيرة:

على أنه يتحتم علينا أن نفرق مرة أخرى بين الدينونة العتيدة والتبرير بالنسبة للإيمان والأعمال.

فالإيمان بالمسيح إذا دخل الدينونة يطالب بالأعمال الخاصة به: محبة، صبر، احتمال، بذل، شكر، اتضاع، التي بدونها لا يمكن أن يُحسب الإيمان بالمسيح إيماناً أصلاً.

ولكن الإيمان بالمسيح إذا وقف أمام تبرير الله، أي استعداد الله لإعطاء برّه الخاص، فإن الإيمان بالمسيح يخطفه خطفاً ويستحوذ عليه استحواداً: «ملكوت السموات يُفْتَسَبُ والغاصبون يخطفونه.» (مت ١١: ١٢)

فالذي لا يعمل يُدان، هذه حقيقة مطلقة!

ولكن «الذي لا يعمل ولكن يؤمن (بالمسيح) بالذي يبرّر الفاجر فإيمانه يُحسب له برّاً.» (رو ٤: ٥)

لأن العمل هو عمل الإنسان، وكل مَنْ يعمل بحسب مقتضى عمله ونِيَّته وضميره وأفكاره، هذا عدل.

ولكن الإيمان هو عمل الله وكل مَنْ يُؤَيِّب له أن يعمل عمل الله يتأهل حتماً لبرِّ الله!!
«هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذي هو أرسه.» (يو: ٦: ٢٩)
وهذا نعمة!!

فصل المختارين عن المرفوضين ونصيب كل منهما في الدينونة:

يقدم لنا بولس الرسول في رسالته الثانية إلى تسالونيكي صورة لما ستكون عليه الدينونة بالنسبة للمختارين إزاء المرفوضين:

+ «... من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم والضيقات التي تحملونها،

(أ) يئس على قضاء الله العادل أنكم تؤمنون للكوت الله الذي لأجله تتألمون أيضاً،

إذ هو عادل عند الله أن الذين يضايقونكم يجازيهم ضيقاً،

(ب) وإياكم الذين تتضايقون راحة معنا عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته في نار هليب،

(ج) مُعطي نعمة للذين لا يعرفون الله والذين لا يطيعون إنجيل ربنا يسوع المسيح،

(د) الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته،

(هـ) متى جاء ليتمجد في قديسيه.» (٢ تس ١: ٤-١٠)

ولكن بولس الرسول في هذه المنظومة المُحكَّمة إنما يطابق التقليد النبوي.

أ — ففي سفر الحكمة ليشوع بن سيراخ يعطي المطابقة من جهة المجازاة:

+ «لأن الرب هو القاضي وليس عنده محاباة الوجوه

يسمع تضرُّع المظلوم ولا يغفل عن طَلْبَةِ اليتيم والأرملة،

يحكم الصديقين ويصنع قضاءً،

الرب لا يُمهِّل، ولا يصبر عليهم، حتى يقصم ظهر عديمي الرحمة،

حتى يمحو القوم الشاكرين ويحطم عصي الظالمين

حتى يجازي كل واحد حسب أعماله وأفعال الناس وافتكاراتهم،

حتى يقضي قضاء شعبه ويفرح برحمته.» (يشوع بن سيراخ ٣٢: ١٢-١٩)

كذلك نجد في إشعياء النبي نفس المطابقة:

- + «لأن للرب يوم انتقام، سنة جزاء من أجل دعوى صهيون.» (إش ٣٤: ٨)
- + «قولوا لخائفى القلوب تشددوا لا تخافوا هوذا إلهكم، الانتقام يأتي جزاء الله، هو يأتي ويخلصكم.» (إش ٣٥: ٤)

كذلك إرميا النبي:

- + «لأن الرب إله مجازاة يكافئ مكافأة.» (إر ٥١: ٥٦)

ب — مجيء الرب مع ملائكته بلهيب نار:

- + «وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة.» (خر ٣: ٢)
- + «وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار.» (خر ١٩: ١٨)
- + «والجبل يضطرم بالنار إلى كبد السماء بظلام وسحاب وضباب، فكلمكم الرب من وسط النار.» (تث ٤: ١١ و١٢)
- + «من قبل رب الجنود تُفْتَقَدُ برعد وزلزلة وصوت عظيم، بزوبعة وعاصف وغيب نار آكلة.» (إش ٢٩: ٦)
- + «لأنه هوذا الرب بالنار يأتي ومركباته كزوبعة، ليردّ بحمى غضبه وزجره بلهيب نار، لأن الرب بالنار يعاقب...» (إش ٦٦: ١٥ و١٦)
- + «كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام. لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة.» (إش ٦٧: ٩)

ج — النعمة على الذين لا يعرفون الله:

- + «صوت ضجيج من المدينة، صوت من الهيكل صوت الرب مجازياً أعداءه.» (إش ٦٦: ٦)

د — العقاب بالهلاك الأبدي من وجه الرب:

- + «أولئك الأعداء يهلكهم هلاكاً ردياً.» (مت ٢١: ٤١)
- + «رُدُّ لهم جزاء يا رب حسب عمل أياديهم... اتبع بالغضب وأهلكهم من تحت سموات الرب.» (مر ٣: ٦٤ و٦٦)

هـ — متى جاء ليتمجد في قديسيه:

- + «وقال لي أنت عبدي إسرائيل الذي به أتمجد.» (إش ٤٩: ٣)
- + «فانتظم وأقدس وأعزف في عيون أمم كثيرة، فيعلمون أنني أنا الرب.» (حز ٣٨: ٢٣)

وهكذا نجد أن صورة الدينونة عند بولس الرسول تأتي مطابقة لأعمال الله في القديم، ولرؤى الأنبياء التي تنبأوا بها، إنما بتركيز وإيضاح يُفهم منه أن الله إنما سيُعيد بالدينونة حقوق المظلومين والمضطهدين التي فقدوها تحت سحق المتسلطين الأشرار الذين سيُكاث لهم بالكيل الذي كانوا به. لذلك فيوم الدينونة هو للأشرار «يوم غضب». وإن الملكوت إنما يورث بدون استحقاق من طرفنا، لأن حتى الأعمال الصالحة الله هو الذي سبق فأعدها لكي نسلك فيها (أف ٢: ١٠). أما حالة الأبرار في الدينونة فيصفها بولس الرسول: «راحة» و«مجد» و«تأهيل للملكوت الله» و«حياة في حضرة الله»، في مقابل الأشرار: «ضييقاً»، «نقمة»، و«الحرمان من وجه الرب ومن مجد قوته» الذي هو بعينه «الهلاك الأبدي».

وفي موضع آخر يصف بولس الرسول ما أعدّه الله لمختاريه، وهنا عجز فكره وفمه وقلمه عن أن يعبر عما رآه وعائنه وسمعه لأن حياة الخلود لا يحتملها فكر الإنسان مهما اتسع خياله وسما بيانه وارتقى إدراكه. شيء واحد وثقّ منه بولس: أن لا شيء بمستطيع أن يفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع (رو ٨: ٣٩)، وأننا سنراه في مجده (٢ تس ١: ١٠)، ونكون معه كل حين (١ تس ٤: ١٧).

الفصل الخامس

الدهر الذي يتبع مجيء المسيح

أ - ملكوت الله والمسيح

ثلاث نظرات للملكوت عند بولس الرسول، وكل نظرة منها لها عمقها واتساعها، ولكن لم يحاول أن يجمع بين هذه النظرات في منهج واحد، لأنه كان يعيش كلاً منها ويستمتع بها:

١ - الملكوت الآتي والمجد الأبدي:

- + «أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله؟ لا تضلّوا.» (١ كو٦: ٩)
- + «... أنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله.» (أع ١٤: ٢٢)
- + «فأقول هذا أيها الإخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد.» (١ كو١٥: ٥٠)
- + «فإنكم تعلمون هذا أن كل زان أو نجس أو طمّاع، الذي هو عابد للأوثان، ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله.» (أف ٥: ٥)
- + «من أجل صبركم وإيمانكم في جميع اضطهاداتكم ... بيّنة على قضاء الله العادل أنكم تؤهلون للملكوت الله ...» (٢ تس ١: ٥ و٤)
- + «أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح العتيق أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته.» (٢ تي ٤: ١)
- + «وسينقذني الرب من كل عمل رديء، ويخلصني لملكوته السماوي الذي له المجد إلى دهر الدهور آمين.» (٢ تي ٤: ١٨)

٢ - الملكوت باعتباره هو الكنيسة (في الأرض أو السماء):

- + «وبعد ذلك النهاية متى سلّم الملك لله الآب ...» (١ كو١٥: ٢٤)، (أي سلّم كنيسة المقدسين).

- + «شاكرين الآب الذي أهلكنا لشركة هيراث القديسين في النور، الذي أنقذنا من سلطان الظلمة، ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته.» (كو: ١٢ و ١٣)
- + «... ويسوع المدعوي سيطس الذين هم من الختان، هؤلاء هم وحدهم العاملون معي لملكوت الله الذين صاروا لي تسلياً.» (كو: ١١)
- + «ونشهدكم لكي تسلكوا كما يحق لله الذي دعاكم إلى ملكوته ومجده.» (١ تس: ٢: ١٢)
- + «والآن ها أنا أعلم أنكم لا ترون وجهي أيضاً أنتم جميعاً الذين مررت بينكم كازراً بملكوت الله.» (أع: ٢٠: ٢٥)

واضح في هذه الآيات أن ملكوت الله الذي أعطي لنا على الأرض أن نراه ونعيشه هو من داخل الكنيسة أو هو مُستَقَلٌّ لنا في الكنيسة، ونقصد الكنيسة بفهومها الاستعلائي: المسيح رأس، والقديسون أعضاء، والجسد يملأ السماء والأرض.

٣ - ملكوت الله باعتباره أنه هو روح المسيحية وروح الإنجيل:

- + «لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً، بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس.» (رو: ١٤: ١٧)
- + «لأن ملكوت الله ليس بكلام بل بقوة.» (١ كو: ٤: ٢٠)

١ - فإذا راجعنا الآيات السابقة نجد أن اهتمام بولس الرسول يتركز أكثر في مفهوم الملكوت الآتي، فكل أمله ورجائه في الحياة الحاضرة أن ينقذه الرب من كل عمل رديء ويخلصه لملكوته السماوي. هذا ما يختص بنفسه، أما فيما للآخرين فكل تعاليمه تقوم على أساس السلوك والأخلاق التي تتناسب مع ملكوت الله الذي إليه دُعينا، وأن نتحاشى الخطايا والعيوب التي تحرم الذين ينغمسون فيها من دخول ملكوت الله. فملكوت الله هو الهدف الأول والأعظم الذي نُؤزَّنُ الأعمال بمقتضاه.

كذلك، فإن الإيمان بالقيامة مربوط ربطاً شديداً بملكوت الله سواء في الحاضر أو الآتي. فالقيامة هي التمهيد والباب المفتوح على الملكوت، ولولا القيامة ما كان لملكوت الله معنى، ولولا الملكوت كفاية ما كان للقيامة بحسد آخر غير فاسد ضرورة.

كذلك لولا الملكوت الموضوع لنا في الزمن الآخر، أي بعد هذه الحياة، ما كان للآلام التي سعيها والضيق التي نجوزها في هذه الحياة معنى، بل لولا الملكوت الذي ننتظره مع المسيح وأن نوجد معه، لكثا أشقى جميع الناس بسبب شدة ما نعايه من أجل المسيح في هذا العالم.

٢ — كذلك لو تأملنا في تعاليم بولس الرسول من جهة القيامة من الأموات، كيف أننا أعطينا أن نجوزها بالسر الإلهي مع المسيح عندما نجوز الآلام والموت معه، لوضح أمامنا أننا مدعوون من الآن أن مارس حقنا في ملكوت الله باعتبارنا قد قمنا مع المسيح، ولسنا المسيح، وبننا خليفة جديدة مقدسة، ومبررة بدم المسيح وبروح إلهنا. فملكوت الله الذي نعيشه الآن هو بعينه الكنيسة. واستعلان القيامة في الحاضر الزمني إنما يتم من داخل الكنيسة، حيث ننال روح القيامة، وطعام عدم الموت. وعمل المسيح الآن مقصور على رعاية الكنيسة التي يملك عليها، فهي ملكوته الزمني الذي حينما يكمل استلانه فيها يسلمها برؤيتها مع التي في السماء لله الأب.

وبولس الرسول يرى نفسه وكل المؤمنين أنهم كانوا تحت سلطان ظلمة العالم ومُلكه الفاسد. والله بمقتضى رحمته الكثيرة ومحبته الألفية نقلنا من سلطان الظلمة إلى ملكوت ابن محبته في وضعه الزمني الآن، أي الكنيسة، تمهيداً للآتي عند استعلان ملكوته الأبدي!

والآن نحن نسعى ونعمل وبجاهد لنمو الكنيسة، لتكتمل ملكوت المسيح على الأرض، حتى يأتي المسيح. ولكن السعي والجهاد من أجل الكنيسة إنما يكون بمقتضى قانون الملكوت عينه. فالذي يجاهد لا يُكَلَّل إن لم يجاهد قانونياً، أي بحسب ما ورثته الكنيسة — كملكوت المسيح — من وصايا مَلِكِهَا المسيح، وكل كرامة الكنيسة هي بعينها كرامة بملكوت المسيح، وكراسة الملكوت هي كرامة الكنيسة.

٣ — وبولس الرسول يرى أن حياة المسيحي محكومة بطابع الملكوت. صيرتنا الآن التي نَحْطُهَا بأعمالنا وأقوالنا إنما هي مكتوبة في السموات. فنحن لا نعيش من أجل الجسد، ولكن الجسد يعيش من أجل الروح. فيلزم أن يكون طابع الحياة طابعاً ملكوتياً؛ فرح وسلام في الروح القدس.

وكيف أن التلاميذ لم يُسمح لهم بالكراسة بالملكوت إلا بعد أن نالوا قوة من الأعالي، كذلك ينتحتم أن خدمة الإنجيل، الذي هو بعينه روح القيامة والملكوت الذي نعيشه، تكون بقوة الروح لا بكثرة الكلام.

ويلزمنا أن ننتبه بخصوص الحديث عن الملكوت الذي هو عبد بولس الرسول: «الفاسيليا» βασιλεία، كيف كان بولس في الحديث عنه خَبراً أشد الحذر، لأن كلمة «الملكوت» هي ساليونانية «المملكة»، وهي نفس الكلمة التي تُطلق على المملكة الرومانية، مما يثير الحديث عنها فكر الدولة الرومانية كأن هناك دعاية لمملكة أخرى معادية، خاصة وأن الملك الذي هو «قيصر» في الاعتبار الحكومي والديني معاً هو إله أي الله!! لذلك كان بولس الرسول يطرح دائماً وبإصرار

التعبير عن ملكوت الله بعيداً عن الزمن، أي في الزمن الآخر أو الأخرى، فهو عملية تأمين للكراسة لإبعاد الشبهات. ولكن كان في صميم روح بولس الرسول وإيمانه أنه يعيش في ملكوت الله الذي إليه دُعِيَ، ومن أحله يُضَظْهَد، بل ومستعد أن يموت أيضاً، وإن مات فسيحيا له أكثر.

ب - نهاية كل شيء

+ « ... لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع. ولكن كل واحد في رتبته. المسيح باكورة ثم الذين للمسيح في مجيئه وبعد ذلك النهاية: متى سَلَّمَ الْمَلِكُ اللَّهُ الْآبَ، متى أبطل كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة، لأنه يجب أن يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه. آخر عدوٍّ يُبْطَلُ هو الموت! لأنه أخضع كل شيء تحت قدميه، ولكن حينما يقول إن كل شيء قد أخضع، فواضح أنه غير (المسيح) الذي أخضع له الكل، ومتى أخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل، كي يكون الله الكل في الكل. » (١ كو ١٥: ٢٢-٢٨)

واضح أن الله أرسل ابنه إلى العالم ليؤسس ملكوته على الأرض، فحينما تُكْمَلُ مملكة المسيح والله على الأرض يأتي المسيح ويرفعها إلى مستواها السماوي ويسلمها لله الآب، إذ تكون مهمة الابن في التأسيس قد انتهت، ولكن بعد أن يسلمها للآب يبقى الابن مع الآب كما كان المدبّر والمنقذ لكل مشيئة الآب يحكم مع الآب إلى الأبد، ويبقى الآب والابن معاً، الله، الكل في كل ما خلق وكل الوجود. من هذا كان استعلان مجيء المسيح « الباروسيا » هو نفسه استعلان كمال ملكوت الله وبالتالي بلوغ نهاية كل شيء.

نهاية العالم الحاضر:

حينما يقرن بولس الرسول القيامة الأخيرة للمسيح والذين للمسيح بالنهاية، لا يقصد أنها نهاية عمليات القيامة، ولكن يقصد أنه عندما تكمل خطة الخلاص برُمْتِها ويقوم ويحيا جميع الذين ماتوا، سواء في الإيمان أو على رجاء القيامة، تكون مهمة المسيح قد انتهت على الأرض وبالتالي يكون العالم قد بلغ نهايته ونهاية كل شيء فيه؛ لكي يبدأ عالم الله بالإنسان الجديد بسمائه الجديدة غير

المادية وأرضه الجديدة غير المادية!! وهذا من روح الإنجيل وكلمات الرب يسوع: «وَيُكْرَزُ ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم، ثم يأتي المنتهى!!» (مت ٢٤: ١٤)

وبولس الرسول يضع علامة لبدء هذه النهاية بفعلين عظيمين يتممهما المسيح:
أولاً: «متى سَلِمَ الملكُ لله الآب» كما يَسَلِّمُ المثلث للمثلث، لِنُسْتَعْلَنَ فيهما الوحدة القائمة بينهما.

ثانياً: «متى أبطل كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة»، بمعنى أن تبلغ كل سلبية توقُّفها وزوالها. ويستظهر المسيح على كل مخلوق وكل سلطة وكل قوة لِنُسْتَعْلَنَ سيادته على خلائق الله.

وعليه، فإنه بمجرد تسليم السُّلْكِ لله الآب وتوقُّف الصراع ضد السلبية، ينتهي العالم بالضرورة. لأن العالم هو في حقيقته أرض معركة بين الحق والباطل، النور والظلمة، الخير والشر، الموجب والسالب؛ فبتوقف الصراع بانهزام الباطل والظلمة والشر والسلبية، يتوقف فِعْلُ العالم واسمه. وهكذا يُستظهر ملكوت المسيح على الأرض و يبلغ نضجه النهائي ويُعدُّ للتسليم النهائي بالظَّفَرِ للآب.

إبطال كل رئاسة وكل سلطان وكل قوة^(١) ... حتى يضع أعداءه تحت قدميه:
«إبطال»: καταργεῖν سبق أن شرحنا هذه الكلمة صفحة ٦٠٥، وهي هنا تعني يُخْذِرُ الشيء إلى لا شيء و يُغْذِمه قوته وفاعليته وقيمته، يَمْحَقُه ويخسفه كما يُخَسِّفُ النور الكاذب ويصير إلى ظلمة.

والسؤال: مَنْ هؤلاء الأعداء؟

هم قوات سمائية أو أرضية. ولكن هل تعمل في الخارج أم في الداخل وما هونوع عداوتها؟
الإجابة سهلة ومختصرة، فهي كل قوة مشخّصة أو غير مشخّصة، سمائية أو أرضية، تعمل لتعويق تكميل عمل الله لخلاص الإنسان وإتمام مقاصده الأزلية لاستعلان ملكوته على الأرض وفي السماء.

وعليّنا أن ننتبه أن بولس الرسول أدخل الموت θάνατος بحد ذاته كقوة معادية «آخر عدو

(١) ولينتبه القارئ أن الرياسات والسلاطين والقوات منها الملائكي المقدس ومنها الساقط أعوان الشيطان.

يبطل هو الموت». هنا يتجاوز بولس الرسول شخص الشيطان ويركّز على الموت، فهو العدو الفعلي للإنسان الذي صارع منذ خروجه من لَدُن الله، وصرعه وأزّاه إلى التراب الذي أخذ منه. وهذه هي أقصى عملية تجريد للإنسان من أعزّ وأعظم ما أعطاه الله وهي «الحياة». فإذا زُفِع الموت من طبيعة الإنسان، استطاع الإنسان أن يدوس الشيطان تحت قدميه، فالإنسان بدون الموت أقوى من الشيطان ألف ألف مرة.

أما كيف يسقط الشيطان تحت قدمي المسيح إلى الأبد بل وتحت أقدام كل الذين آمنوا بالمسيح، فهو بأن يجرّد المسيح الشيطان من سلطان الموت. كيف؟ ذلك بأن يَهَبَ الحياة الأبدية بلا رجعة وإلى الأبد لكل الذين آمنوا به. هكذا يبطل كل عدو، ويبطل الشيطان، وتبطل الخطية، ويبطل الموت أول وآخر عدو، ليحيا الإنسان إلى الأبد!

الجزء الثالث
رحلات بولس الرسول التبشيرية
وظروف كتابة رسائله

تمهيد

ما أن مڈ هيرودس (أغريباس الأول) يده على الكنيسة التي في أورشليم وقتل يعقوب الرسول أننا يوحنا، وسجن بطرس الرسول وأعدّه للقتل تمادياً في إرضاء اليهود، حتى باغته ملاك الموت بضربة قاضية وهولابس الخلّة الملكية جالساً يخاطب الشعب (أع ١٢: ٢٣). هذا كان في سنة ٤٤ م حسب تحقيق العلماء^(١).

وحالاً تحركت السماء لتقوية أركان الكنيسة التي بدأت تتزعزع، ففي هذه السنة (٤٤ م) أتت لكل من بطرس وشاول المدعوبولس رسالة عاجلة من السماء، الأول ليخرج عن دائرة يهوديته ويذهب إلى قيصرية ليشرّ الأمم في شخص كرنيليوس وهو ضابط أممي برتبة كبيرة، وكان أول مَنْ آمَن واعتمد من الأمم. والثاني وهو شاول المدعوبولس وكان قد صعد إلى أورشليم مرة أولى سنة ٣٨ م لينضم إلى الرسل (ثلاث سنوات بالحساب اليهودي بعد قبوله الإيمان) (غل ١: ١٨)، ثم انطلق إلى إقليم سوريا وكيليكية (طرسوس وما حولها)، ثم في هذه السنة بالذات سنة ٤٤ م^(٢) صعد مرة ثانية إلى أورشليم حيث حضر ظروف قتل يعقوب وسجن بطرس وإيمان كرنيليوس (أع ١١: ٣٠ و ١٢: ٢٥). ولما رجع إلى أنطاكية في نفس السنة (٤٤ م) نال رسالة خاصة من الروح القدس ليكرز بالإيمان بعيداً: «قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه» (أع ١٣: ٢). وللوقت بدأ رحلته التبشيرية الأولى.

سنتان في عمر الكنيسة تنحصر بينهما أجل الأعمال التي عملت لبناء كنيسة المسيح في العالم:

سنة ٤٤ م يوم أن بُشّر العالم بميلاد كرنيليوس كباكونة الأمم على يد بطرس الرسول، وفي

١. Conybeare, *op. cit.*, p. 93, n.1.

(٢) يحقق بعض العلماء أن ظهور الرب لبولس الرسول حدث في سنة ٣٧ م، وآخرون أنه قبل ذلك. ونعتمد هذا التاريخ بالنسبة لسنة ٤٤ م (وهي تكاد تكون متفقاً عليها) يتوقف على المدة التي قضاها بولس الرسول يشر طرسوس أو سوريا وكيليكية. ولكن الذي يمكن الجزم به أن بولس تغير قبل سنة ٤٤ م مدة أكثر من ثلاث سنوات حتماً.

نفس السنة زيارة بولس الرسول لأورشليم وبدء رحلاته التبشيرية.

وسنة ٦٠م^(٣) يوم زَيْج فيلكس الوالي — قبل تركه اليهودية — بولس في السجن (أع ٢٤: ٢٧)، استعداداً لتقديمه لمحكمة روما بناءً على طلبه حتى يتخلص من مؤامرة اليهود وهؤلاء الولاة المرتشين الجبناء. وهكذا انتقل بولس من سجن إلى سجن إلى أن انتهى إلى حدّ السيف.

وهكذا حينما تقابلي القديس بولس مع القديس بطرس في أورشليم، كان لدى بطرس خبرة مؤسسة على دعوة سمائية لتبشير الأمم، ولدى بولس دعوة رسمية من المسيح من السماء للانطلاق بعيداً عن أورشليم لخدمة الخلاص لشعوب الأرض (أع ٢٢: ٢١). وشدّد كلٌّ منهما الآخر في أخطر عمل انبثق من العمق اليهودي التقليدي نحو خدمة المسيحية في العالم.

خدمة بولس الرسول قبل أن يبدأ رحلاته التبشيرية

بولس الرسول في أنطاكية:

أنطاكية قَبِلَت الإيمان بالمسيح على أيدي اليونانيين اليهود زملاء إستفانوس الشهيد ومريديه الذين تشبّثوا من أورشليم بسبب الضيق العظيم الذي أثاره شاول واليهود ضد الكنيسة الفتية من منتصرّي اليهود اليونانيين. فبلغت البشارة أنطاكية وقبرس والقبروان في شمال أفريقيا أيضاً: «أما الذين تشبّثوا من جرّاء الضيق الذي حصل بسبب إستفانوس فاجتازوا إلى فينيقية (لبنان) وقبرس وأنطاكية وهم لا يكلمون أحداً بالكلمة إلاّ اليهود فقط. ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرسيون وقبروانيون الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين (الأمم) مبشرين بالرب يسوع. وكانت يد الرب معهم فأمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب.» (أع ١١: ١٩-٢١).

«فيُسمع الخبر عنهم (أنطاكية) في آذان الكنيسة التي في أورشليم (بطرس ويعقوب ويوحنا وباقي التلاميذ)، فأرسلوا برنابا^(٤) لكي يجتاز إلى أنطاكية (ليرعى كنيسة اليونانيين المنتصرين) الذي لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يشبّثوا في الرب بعزم القلب. لأنه كان رجلاً صالحاً وممتلئاً من الروح القدس والإيمان.» (أع ١١: ٢٢-٢٤)

3. Conybeare, *op. cit.*, p. 93, n.2.

(٤) أوّسل المرسل برنابا بالذات، لأن معظم المنتصرين في أنطاكية كانوا من جزيرة قبرس، وكان برنابا مواطناً قبرسياً، فكان أكثر لياقة من غيره ليكرّر بالمسيح لمواطنيه. وبرنابا كان من وسط لاوي.

أما بولس الرسول فبعد فترة وجيزة من وجوده في دمشق، انطلق إلى طرسوس ومكث يكرز هناك. فلما وجد برنابا أن العمل في أنطاكية فوق طاقته: «خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول ولما وجدته جاء به إلى أنطاكية. فحدث أنهما اجتماعاً في الكنيسة سنة كاملة وعلماً جمعاً غفيراً ودُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً» (أع ١١: ٢٥ و٢٦). وهكذا دخلت هذه التسمية إلى العالم لأول مرة. وبذلك اجتمع في أنطاكية جماعة مبشرين على أعلى ما يمكن من الحماس والغيرة على الكرازة: «وكان في أنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان الذي يدعى نيبجر ولوكيوس القيرواني وقتاين الذي ترثى مع هيرودس رئيس الربع وشاول.» (أع ١٣: ١)

بولس الرسول في أورشليم سنة ٤٤ م:

أما حصر التاريخ الذي كان فيه بولس الرسول يخدم في أنطاكية فقد تحدد بذكر المجاعة التي جاءت على اليهودية:

«وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية. وقام واحد منهم اسمه أغابوس وأشار بالروح أن جوعاً عظيماً كان عتيداً أن يصير على جميع المسكونة، الذي صار أيضاً في أيام كلوديوس قيصر. فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم أن يرسل كل واحد شيئاً خدمة إلى الإخوة الساكنين في اليهودية (أكثر المناطق التي تضررت من جراء المجاعة). ففعلوا ذلك مُرسلين إلى المشايخ بيد برنابا وشاول.» (أع ١١: ٢٧-٣٠)

العودة من أورشليم:

مرقس مع برنابا وشاول:

«ورجع برنابا وشاول من أورشليم (إلى أنطاكية) بعد ما كثلا الخدمة وأخذوا معهما يوحنا الملقب مرقس» (أع ١٢: ٢٥). ويوحنا مرقس هو ابن أخت برنابا، وكاروز الديار المصرية. وبذلك صارت أنطاكية (*) هي مركز التبشير لبولس كما أورشليم للتلاميذ، يطلق منها ويعود إليها في كافة رحلاته.

وهذه الزيارة التي قام بها بولس الرسول إلى أورشليم للمرة الثانية يحددها زمن المجاعة التي وقعت بحسب يوسيفوس المؤرخ بين عامي ٤٤ م - ٤٦ م.

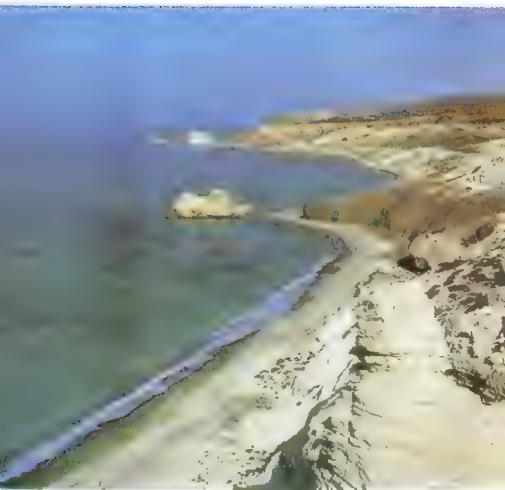
(٥) كانت أنطاكية تسمى آنذاك عاصمة الشرق وعروس الأمم ولها تقال كأمارة متوحة وتحت أقدامها نهر الأورس.

Conybeare, op. cit., p. 102

التقليد الروماني الكاثوليكي عن نشاط بطرس الرسول في أنطاكية ثم في روما:

هنا يرسم التقليد الروماني الكاثوليكي رحلة بطرس الرسول التبشيرية إلى أنطاكية التي مكث فيها سبع سنوات، ومن أنطاكية إلى آسيا الصغرى متجهاً إلى روما ومقابلته لسمعان الساحر. ومع بطرس انطلق باقي الرسل إلى جميع أقطار المسكونة، كلٌّ إلى القطر الذي حدده له الرب للكراسة. كما تحدت هذه السنة ٤٤م في التقليد بكتابة قوانين الرسل^(٦). وهذا التاريخ تأخذ به الكنيسة القبطية وتؤكد حادثة إلقاء هيروودس لبطرس في السجن، وتدخّل القوة الإلهية وإخراجه بمعجزة فائقة على التصور. والمعروف قطعاً أن بعدها انطلق بعيداً عن أورشليم يخدم في النواحي التي يذكرها التقليد. كذلك، فإن خروج القديس بطرس الرسول من أورشليم وقتل يعقوب الرسول كان كفيلاً بتشتت الرسل وتذكيرهم بأمر الرب ليذهبوا إلى أقطار المسكونة ليبشروا ويعلموا ويُتلمذوا جميع الأمم (مت ٢٨: ١٩ وأع ١: ٨).

6. Conybeare, *op. cit.*, p. 106, n.1.



«ولما اجتازا (بولس وبرنابا) الجزيرة إلى بافوس...» (أع ١٣: ٦)

بقايا مدينة بافوس، إحدى مدن جزيرة قبرص الرئيسية، وكان بها جالية يهودية. ويُقال أن هناك تلقى بولس الأربعين حلدة إلا واحدة.

وفي هذه المدينة كان مقر حاكم الجزيرة كلها «سرجيوس بولس» حيث قُتل أمامه بولس الرسول، وحيث ضُرب الساحر باريشوع بالعمى (أع ١٣: ٩).

(أنظر صفحة ٦٢٥)



«أما هما فنقصا غمار أرجلهما عليهم وأتيا إلى إيقونية.» (أع ١٣: ٥١)
حضر روماني قديم قائم في الطريق إلى «إيقونية» (المسماة الآن كونيا —
تركيا). لابد أن يكون القديس بولس قد عبر عليه وهو يغادر أنطاكية بيسيدية
متوجهاً إلى إيقونية.

(أنظر صفحة ٦٢٦)



«وتكلما بالكلمة في بَرْجة ثم نرلا إلى أَثَالِيَّة.» (أع ١٤: ٢٥)

ميناء أثاليه (أثالية القديمة)

التي مرَّ بها بولس الرسول وبرنابا في رحلتهم الأولى

(أنظر صفحة ٦٢٩)



«وبرنابا ... سافر في البحر إلى قبرص.» (أع ١٥: ٣٩)

دير القديس برنابا في سلاميس بجزيرة قبرص، أُقيم على اسم الرسول
رفيق القديس بولس في رحلته الكرازية الأولى.

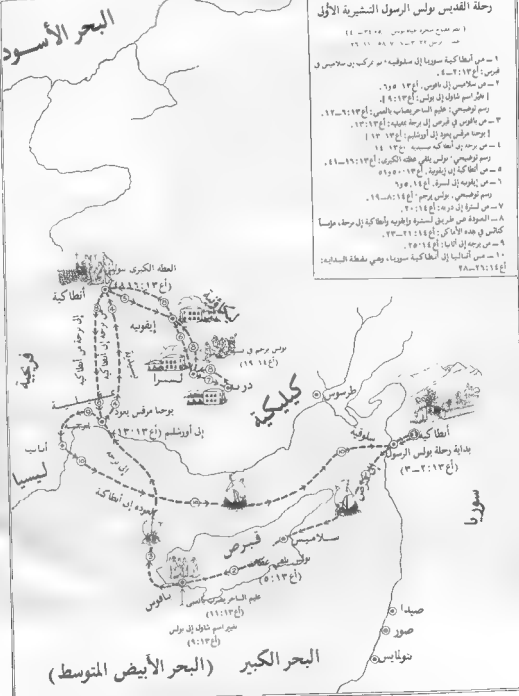
(أنظر صفحة ٦٣٣)

رحلة بولس الرسول التبشيرية الأولى

رحلة القديس بولس الرسول التبشيرية الأولى

(تم تصحيح سفره عام ١٠٥ - ١١٠ م)
 من ١١ - ١٢ م

- ١ - من أنطاكية سوريا إلى صقلية - تم تركب من صقلية في
 أفراس: أع ١٣: ٤-٥.
- ٢ - من صقلية إلى مالطا - أع ١٣: ٥-٦.
 | تغير اسم شاول إلى بولس: أع ١٣: ٩.
- ٣ - رسم ترويضه: عليم الساحر يصاب بالعمى: أع ١٣: ٦-١٢.
 | بولس في قبرص إلى برجة بانيه: أع ١٣: ١٣.
- ٤ - بولس يفرس يهود إلى أورشليم: أع ١٣: ١٤ |
 | من برجة إلى أنطاكية صيدية: أع ١٣: ١٥.
- ٥ - رسم ترويضه: بولس يلقى عقبة الكبرياء: أع ١٣: ١٦-١٧.
 | من أنطاكية إلى زيقونية: أع ١٣: ١٨-١٩.
- ٦ - من زيقونية إلى لسرة: أع ١٤: ١-٥.
 | رسم ترويضه: بولس يرمي: أع ١٤: ١٥-١٩.
- ٧ - من لسرة إلى درنة: أع ١٤: ٢٠.
- ٨ - العودة من طريق لسرة وأطروية وأنطاكية إلى برجة، مؤسسا
 كنائس في هذه الأماكن: أع ١٤: ٢١-٢٣.
- ٩ - من برجة إلى أنطا: أع ١٤: ٢٥.
- ١٠ - من أنطا إلى أنطاكية سوريا، وهي نقطة البداية:
 أع ١٤: ٢٦-٢٨.



البحر الكبير (البحر الأبيض المتوسط)

الفصل الأول

رحلة بولس الرسول التبشيرية الأولى

وهي تبتدىء من الأصحاح الثالث عشر في سفر الأعمال، وتبدأ بإعلان إلهي عام للكنيسة كلها المجتمعة:

«وبينما هم يخدمون الرب ويصومون، قال الروح القدس أفرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذ وصلوا ووضعوا عليهما الأيادي ثم أطلقوهما، فهذان إذ أرسلوا من الروح القدس انحذرا إلى سلوكية، ومن هناك سافرا في البحر إلى قبرس. ولما صارا في سلاميس ناديا بكلمة الله في مجامع اليهود وكان معهم يوحنا خادماً.» (أع ١٣: ٢-٥)

أما لماذا يُذكر شاول بعد برنابا، فلأن برنابا كان محسوباً من زمرة الأنبياء وشاول في عداد المعلمين، ورتبة المعلمين أقل في الترتيب الكنسي من رتبة الأنبياء. كما يلاحظ أن كلمة «وبينما هم يخدمون» λειτουργούντων تعني في لغة التقليد الكنسي إقامة سر الإفخارستيا. كذلك فإن وضع الأيادي بعد صوم خاص كان هو أول تقليد كنسي لرسماء الدرجات العليا للكهنة.

أما القول بأن يوحنا كان خادماً فتعني بحسب التقليد الكنسي أنه كان متوطناً به هبّاد المؤمنين.

وفي قبرس أجرى بولس الرسول معجزة واضحة مع عليم الساحر (باريشوع)، إذ قاوم هذا بشارة بولس لوالى الجزيرة — وكان اسمه سرجيوس بولس — لصده عن الإيمان بالمسيح، سواء بأقوال أو أعمال مسخرية مبهرة، ضربه بولس بالعمى: «وأما شاول الذي هو بولس أيضاً فامتلاً من الروح القدس وشخص إليه وقال: أيها الممتلئ كل غش وكل خبث، يا ابن إبليس، يا عدو كل برٍّ، ألا تزال تُفْسِدُ سُبُلَ الله المستقيمة؟ فالآن هوذا يد الرب عليك فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين. ففي الحال سقط عليه ضباب وظلمة فجعل يدور ملتصقاً من يقوده بيده، قالوا لي حينئذ لما

رأى ما جرى آمن مندهشاً من تعليم الرب. « (أع ١٣ : ٩-١٢)

وبعد هذه الحادثة نسمع دائماً أن شاول صار يأخذ اسم «بولس»، كما بدأ بولس يأخذ ترتيب الأولوية في كل الأعمال والرحلات.

بولس الرسول ومثله في برجة بفسيلية Perga Pamphylia :

من ميناء باغوس الغربي لجزيرة قبرس أبحر بولس ومثله نحو الشمال مباشرة باتجاه شاطئ آسيا الصغرى الجنوبي المطل على البحر الأبيض قاصدين مدينة «برجة»، وهي في مقاطعة بامفسيلية. كذلك بولس وبرنابا لم يكتفا في برجة إلا أياماً قليلة: «وأما هم فجازوا من برجة وأتوا إلى أنطاكية بيسيدية» (أع ١٣ : ١٤). أما يوحنا مرقس فقد فارقهما وعاد أدراجه إلى أورشليم.

بولس الرسول في أنطاكية بيسيدية Antioch Pisidia :

«واضطهاداتي وآلامي مثل ما أصابني: في أنطاكية، وإيقونية ولشتر، أية اضطهادات احتملت، ومن الجميع أنقذني الرب!!» (٢ تي ٣ : ١١)

وهي واقعة في منتصف هضبة آسيا الصغرى الوسطى.

لم يكتف بولس في أنطاكية بيسيدية إلا أياماً قليلة جداً ربما لا تزيد عن أسبوعين، وعظ فيها اليهود في مجملهم يوم السبت، وطلبوا منه المزيد السبت الثاني، وبعدها تألب عليه اليهود المتعصبون وقاوموه بشدة. وبالرغم من أنه آمن بكلامه كثيرون من اليهود الدخلاء وانتشرت الكلمة في كل النواحي، إلا أنهم تركوا أنطاكية بيسيدية: «فجاءه بولس وبرنابا وقالوا: كان يجب أن تُكلموا أنتم أولاً بكلمة الله، ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم.» (أع ١٣ : ٤٦)

وكانت الثورة ضد بولس يقودها النساء اليهوديات (٧): «ولكن اليهود حركوا النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة وأثاروا اضطهاداً على بولس وبرنابا وأخرجوهما من تخومهم، أما هما فنفضا غبار أرجلهم عليهما وأتيا إلى إيقونية.» (أع ١٣ : ٥٠ و٥١)

(٧) بقول المؤرخ «سترابو» إن النساء اليهوديات في الأيام الأولى للمسيحية كان لهن سلطة كبيرة على الرجال. وقد ورثت الكنيسة المجتلة هذا الوضع. وقد ظهر ذلك حتى أيام المسيح، إذ عُيِّنَ كوكب جماعة مهن لخدمة المسيح والتلمذة له، وقد تبوَّأ مركز الصدارة في خدمات الكنيسة منذ العصور الأولى حتى اليوم.

بولس الرسول في إيقونية - Konyeh - Iconium :

وهي بالقرب من أنطاكية بيسيدية في الاتجاه الشرقي الجنوبي. والمعروف أن مركز إيقونية المدني والديني والسياسي كان أرفع مستوى من أنطاكية بيسيدية. والمعروف في التاريخ أنها صارت مركز حركة الأتراك الغزاة وكانت عاصمة السلطان سلجوق، ولعبت دوراً كبيراً في قيام الدولة العثمانية، ولا تزال النقوش الإسلامية تملأ جوامع المدينة تشهد بانتصارات حكومة التتار الغزاة. ولكنها مناطق معطشة لا توجد بها أنهار.

وقد استغرقت إقامة بولس وبرنابا فيها مدة طويلة: «فأقاما زماناً طويلاً يباهران بالرب الذي كان يشهد لكلمة نعمته ويُعطي أن تُجرى آيات وعجائب على أيديهما.» (أع ١٤: ٣)

ولكن أثار اليهود المتعصبون مقاومة لتعاليمهما حتى أفسدوا نفوس الذين آمنوا من الأمم. وفي النهاية اتحد الأمم مع اليهود لمحاولة رجمهما: «فلما حصل من الأمم واليهود مع رؤسائهم هجوم ليبغوا عليهما ويرجوهما، شعرا به فهربا إلى مدينتي ليكاونية لسترة ودربة وإلى الكورة المحيطة وكانا هناك يبشران.» (أع ١٤: ٥-٧)

بولس الرسول في لسترة ودربة ليكاونية - Lycaonia - Lystra - Derba :

لسترة ودربة هما مدينتان في إقليم ليكاونية، وهما في السهول الممتدة نحو الجنوب من إيقونية. لم يكن فيهما مجمع لليهود، ولكن لم تغلُ المدينة منهم (اليهود) كما لا تغلُ المدينة من خرافات الوثنيين عُباد الإله جوبتر^(٨)، حامي المدينة، حيث يوجد له معبد بجوار باب المدينة من الخارج. ومعروف أن هرّمس هو خادم جوبتر وبقية الآلهة، ويرافق جوبتر على الدوام.

فتصوّر، عزيزي القارئ، هؤلاء القوم عُباد جوبتر حينما يظنون أن جوبتر دخل المدينة مع هرمس صديقه ليعتقد أهل المدينة التي تعدّه ٢٢ فما أن أقام بولس الرسول بكلمة وأسعد الرجل المُتقنّ العاجز الرجلين (شلل) من بطن أمه الذي لم يمش قط: «فشخص إليه (بولس) وإذا رأى أن له إيماناً ليشفى قال بصوت عظيم: قُم على رجلك منتصباً، فوثب وصار يمشي. فالجموع لا رأوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكاونية قائلين إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا، فكانوا يدعون برنابا زُفس (زيوس) وبولس هرّمس إذ كان هو المتقدم في الكلام. فأتى كاهن زُفس الذي كان

(٨) يلاحظ في أسماء الآلهة الرومانية ما يقابلها من الأسماء اليونانية.

اللاتينية: جوبتر، ميركوري، ديانا، فينيرفا.

المقابل اليوناني: زيوس، هرّمس، أرتيميس، آثين.

قدام المدينة بشيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع وكان يريد أن يذبح . فلما سمع الرسولان برنابا وبولس ، مزقاً ثيابهما (٩) واندفعا إلى الجمع صارخين وقائلين أيها الرجال لماذا تفعلون هذا؟ نحن أيضاً بشر...» (أع ١٤: ٩-١٥)، وابتدءا يعظانهم .

ولكن كما هي عادة اليهود: «ثم أتى يهود من أنطاكية وإيقونية وأقنموا الجموع فرجوا بولس وجروه خارج المدينة ظانين أنه قد مات.» (أع ١٤: ١٩)

تعميد تيموثاوس في لُسْتَرَة على يدي بولس الرسول، هو وأهل بيته في رحلته الأولى:

هذا يتضح من مطلع الأصحاح السادس عشر لسفر الأعمال وهو يصف رحلة بولس الثانية التي قام بها بمفرده: «ثم وصل (بولس وحده) إلى دربة ولسترة. وإذا تلميذ كان هناك اسمه تيموثاوس، ابن امرأة يهودية مؤمنة ولكن أباه يوناني وكان مشهوداً له من الإخوة الذين في لسترة وإيقونية» (أع ١٦: ١ و٢١). كذلك يتضح أكثر من رسالة تيموثاوس الأولى:

+ «إلى تيموثاوس الابن (ابني) الصريح في الإيمان...» (١ تي ١: ٢)

أي أن بولس هو الذي عمّده بنفسه.

+ «فتقّأنت يا ابني بالنعمة التي في المسيح يسوع.» (٢ تي ٢: ١)

كذلك واضح من (٢ تي ٣: ١٠ و١١) أن تيموثاوس عاين ورافق بولس الرسول في رحلته الأولى وهو يبشر في أنطاكية وإيقونية ولُسْتَرَة: «وأما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي وعبستي وصبري واضطهاداتي وآلامي مثل ما أصابني في أنطاكية وإيقونية ولسترة. أية اضطهادات احتملتُ، ومن الجميع أنقذني الرب».

ومن هذا يكون تيموثاوس أحد الذين شاهدوا بولس الرسول وهو يُرَبِّم ويجرونه خارج المدينة، وربما يكون هو مع الباقيين الذي أسعفه وأقامه وأتى به إلى بيته حيث استعاد صحته. فهذا واضح من تعليقه على إيمان أهل بيت تيموثاوس: «إذ أنذّر الإيمان العديم الرياء الذي فيك الذي سكن أولاً في جدتك لوثيس Lois = Λωδῆ وأمك إفنيكي Eunice = Εὐνίκη ولكني موثق أنه فيك أيضاً» (٢ تي ١: ٥). وهنا واضح أن القديس بولس عاش وسط هذه العائلة مدة، وتعرّف على أفرادها وكل دخالها.

(٩) هذا تشخيص لوصية يهودية من التاموس التي تقول إن من يسمع غيبياً على الله يرق ملابس نمسه شهادة عليه، كما صنع رئيس الكهنة قيصا لما سمع المسيح يقول: «وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء.» (مر ١٤: ٦٢)

إذاً، فقد خرج الإنجيل من محنة بولس في أنطاكية وإيقونية ولسترة بغنيمة للمسيحية؛ لأن تيموثاوس ظل مدة أسقفاً على كنيسة أفسس، وغالباً هو الذي سلّمها إلى القديس يوحنا الرسول.

طريق العودة إلى أنطاكية سوريا:

بعد أن بشر بولس وبرنابا في لسترة، ذهبا إلى دزّة: «وفي الغد خرج مع برنابا إلى دربة فبشرا في تلك المدينة وتلميذا كثيرين ثم رجعا إلى لسترة وإيقونية وأنطاكية (بيسيدية) (الطريق العكسي (الراجع) يشددان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا في الإيمان ... وانتخبا لهم قسوساً في كل كنيسة ثم صلّيا بأصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به.» (أع ١٤: ٢٠-٢٣)

ثم انحدر بولس وبرنابا نحو الشاطئ الجنوبي في مقاطعة بيسيدية وأتيا إلى بفيلىة: «وتكلّما بالكلمة في بروجّة (مرة أخرى) ثم نزلا إلى أتاليا (ميناء Atalia على الشاطئ). ومن هناك سافرا في البحر إلى أنطاكية (سوريا) حيث كانا قد أسلما (في البداية) إلى نعمة الله للعمل الذي أكملناه.» (أع ١٤: ٢٥ و٢٦)

«وأقاما هناك (في أنطاكية) زماناً ليس بقليل مع التلاميذ.» (أع ١٤: ٢٨)

ويقدر العالم كونيبيير أن بولس الرسول انطلق من بروجّة بعد ما بشرها هو وبرنابا أولاً في ربيع سنة ٤٨م، وعادا إليها في طريق الرجوع في نهاية الخريف من نفس السنة. ولكن يظن علماء آخرون أن هذه الرحلة استغرقت أكثر من سنة (١).

بولس في أورشليم سنة ٤٩م:

وهي الزيارة المحترمة في رسالة غلاطية (١: ٢) أنها الزيارة الثانية لأورشليم بعد أربع عشرة سنة من زيارته الأولى.

كان من جراء الشجاعات الباهرة في الكرازة بين الأمم ودخول الوثنيين للإيمان بالألوه في أنطاكية أن ابتدأت الروح اليهودية التمسّية تطلُّ بعينها: «وانحدر قوم من اليهودية (أورشليم) وجعلوا يعلمون الإخوة (المؤمنين من الأمم) أنه إن لم تحتثنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا.» (أع ١٥: ١)

ولما ابتدأت تشتد معارضة هؤلاء اليهود المنتصرين ضد الداخلين من الأمم وزادت الحاجة والنزاعات: «رغبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايع إلى أورشليم

من أجل هذه المسئلة» (أع ١٥: ٢). هذا معناه أن الموضوع الأساسي الذي عُرض على مجمع أورشلیم كان بخصوص الختان.

«فهؤلاء بعد ما شیعتهم الكنيسة، اجتازوا في فينيقية (لبنان الآن) والسامرة يُخبرونهم برجع الأمم وكانوا يسببون سروراً عظيماً لجميع الإخوة.» (أع ١٥: ٣)
«ولما حضروا إلى أورشلیم، قَبِلْتهم الكنيسة والرسل والمشايع، فأخبروهم بكل ما صنع الله معهم.» (أع ١٥: ٤)

وهنا تم قول الرب للاثني عشر وهو على بشر يعقوب: «ها أنا أقول لكم ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابيضت للحصاد ... أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه. آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم.» (يو ٤: ٣٥ و ٣٨)

وبعد مباحثات طويلة للرسل سببها المتنصرون من مذهب الفريسيين، الذين كانوا موجودين في كنيسة أورشلیم نفسها، وبعد دفاع بطرس الرسول — الذي ابتدأه بشجاعة وإقدام نذكره له نحن الأمم بالفضل والجميل — مُدافعاً عن صحة دخول الأمم دون أن يتحملوا نير الناموس، وذلك من واقع رؤياه وخبرته الخاصة، كذلك يعقوب الرسول؛ سَجَلًا (بولس وبرنابا) في محضر الجلسة (أع ١٥: ٦-٢١):

«حيث رأى الرسل والمشايع مع كل الكنيسة أن يختاروا رجلين منهم فيرسلوهم إلى أنطاكية، مع بولس وبرنابا، يهوذا الملقب بَرَسابا وسيلا رجلين متقدمين في الإخوة وكتبوا بأيديهم هكذا: الرسل والمشايع والإخوة يُهدون سلاماً إلى الإخوة الذين من الأمم في أنطاكية وسوريا وكيلىكية. إذ قد سمعنا أن أناساً خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلبين أنفسكم وقائلين أن تحتننوا وتحفظوا الناموس، الذين نحن لم نأمرهم، رأينا وقد صرنا بنفس واحدة أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم مع حبيبنا برنابا وبولس، رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح؛ فقد أرسلنا يهوذا وسيلا وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاهاً. لأنه قد رأى الروح القدس ونحن أن لا نضع عليكم ثِقْلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة: أن تمتنعوا عما دُبِع للأصنام وعن الدم (أكل اللحم دون تصفية دمه) والمخنوق (فيه دمه) والزنى (بمعنى زواج الأقارب) التي إن حفظتم أنفسكم منها فيعياً تفعلون. كونوا معافين.» (أع ١٥: ٢٢-٢٩)

وما أكثر الحُلف والمفارقة الصارخة بين اليوم وأمس البعيد!! فمنذ خمس عشرة سنة تماماً، خرج شاوول وهو يتقيد غيرةً وحاساً للناموس اليهودي ومعه خطابات توصية من رؤساء الكهنة

لتعذيب المسيحيين المؤمنين الخارجين عن الناموس وقتلهم! وهذا اليوم يحمل خطابات توصية من الرسل رؤساء الكنيسة للترفُّق بالوثنيين العائدين إلى إيمان المسيح حتى يُرْفَقَ من على كاهلهم يُقَلَّ الناموس!! وما أبعد أحكامك يا رب عن الفحص!

ولكن بحسب تتبعنا لخطوات بولس المسجلة في كل من أعمال الرسل والرسالة إلى غلاطية، نستطيع أن نقول إن هذه كانت الزيارة الثالثة لأورشليم، حيث:

الأولى: بعد أن ظهر له المسيح بثلاث سنوات، حينما أمضى مع بطرس الرسول خمسة عشر يوماً (غل ١: ١٨)، وذلك قبل سنة ٤٠ م ونجا من مؤامرة لقتله بصعوبة.

الثانية: كانت سنة ٤٤ م حينما جاء مع بعثة من أنطاكية لتقديم معونة لفقراء اليهودية أثناء المجاعة والتي بعدها عاد مسرعاً (أع ١١: ٣٠ و ١٢: ٢٥).

الثالثة: سنة ٤٩ م أو ٥٠ م (غل ٢: ١ وأع ١٥: ٢). وأما هذه المرة فقد حضر وعلى رأسه ابتهاج وفرح أبدي لنجاح إرسالته يُستقبل من الرسل استقبال الرسول المظفَّر، بسبب الحصاد الوفير الذي قدَّمه قرباناً على مذبح العرش السماوي. وقد حظي بولس في هذه الزيارة بيمين الشركة من الثلاثة الأعمدة التي كانت تقوم عليها كنيسة أورشليم، بطرس ويعقوب أخى الرب الملقَّب بالبايِّر ويوحنا الحبيب.

+ «ثم بعد أربع عشرة سنة صعدتُ أيضاً إلى أورشليم مع برنابا آخذاً معي تيطس أيضاً، وإنما صعدتُ بموجب إعلان، وعرضتُ عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم، ولكن بالانفراد على المعتبرين لثلاث أكون أسعى أو قد سعيْتُ باطلاً.» (غل ٢: ١ و ٢)

+ «فإن هؤلاء المعتبرين لم يشيروا عليَّ بشيء، بل بالعكس إذ رأوا أنني اؤمّنتُ على إنجيل الثُّرلة كسا بطرس على إنجيل الختان، فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيَّ أيضاً للأمم. فإذ علم بالنعمة المعطاة لي يعصوبُ وصعا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمده، أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان، غير أن نذكر الفقراء وهذا عينه كنت اعتنيتُ أن أفعله.» (غل ٢: ٦-١٠)

وهكذا تسجَّل بولس رسمياً بين الرسل، رسولاً وعموداً، يحمل اسم المسيح: «فأجعلهُ عموداً في هيكل إلهي ... وأكتب عليه اسم إلهي واسم مدينة إلهي أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند إلهي واسمي الجديد.» (رؤ ٣: ١٢)

على أي حال كانت هذه الوثيقة هي بحد ذاتها الباب المفتوح على مصراعيه لدخول الأمم إلى الإيمان المسيحي عبر التقليد القديم، بكل عهوده وأسفاره ومواثيقه، دون التقيّد بأي حرف من حروف الناموس! فكان هذا بمثابة العمود الفقري الذي بنى عليه بولس الرسول إنجيل الإنسان الجديد.

«فهؤلاء لما أطلقوا، جاءوا إلى أنطاكية وجمعوا الجمهور ودفَعوا الرسالة. فلما قرأوها فرحوا بسبب التعزية.» (أع ١٥: ٣٠ و٣١)



«أمسكوا بولس وسيلا وجروهما إلى السوق إلى الحكام.»

(أع: ١٦: ١٩)

السوق القديمة Agora وهي الميدان العام لفيلبي في مقدونية

(أنظر صفحة ٦٣٦)



آثار مدينة فيلبي بمقدونية

السرداب الذي يظهر مدخله عن يمين الصورة، يُعتقد أنه السجن الذي أمضى فيه القديس بولس وسبلا ليلة (أع ١٦: ٢٣-٣٤).
(أنظر صفحة ٦٣٦)

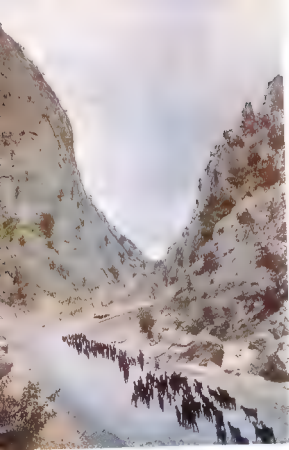


القلعة القديمة في تسالونيكي

«فائتوا إذا أيها الإحوة وتسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها

سواء كان بالكلام أم برسالتنا» (٢ تس ٢: ١٥)

(أنظر صفحة ٦٣٨)



«فاجتاز (بولس) في سورية
وكيليكية يُشدّد الكنائس.»
(أع ١٥: ٤١)

مرمواني كيليكية
للمبور من آسيا الصغرى إلى سوريا
(أنظر صفحة ٦٣٣)



بلاطة من الرخام مزينة بصليب مُزهر
اكتشف في إحدى كنائس العصور
الوسطى بأفسس

الفصل الثاني

رحلة بولس الرسول التبشيرية الثانية

قبل أن نبدأ بإرسالية بولس الرسول الثانية، يلزم أن نعرض لحادثين مؤسفين:
الأول: بين القديس بولس والقديس بطرس الذي كان قد حضر فجأة إلى أنطاكية لسبب لم يُذكر (غل ٢: ١١)، وكان سلوكه مع اليهود المنتصرين فيه مُرارةً إذ كان يخالط الأُمميين المسيحيين ويأكل معهم. ولكن لما حضر يهود منتصرون أفرز نفسه وامتنع عن مخالطة المسيحيين الأُمميين. فساء هذا التصرف في عين بولس الرسول وراجع فيه بشدة. ولكن كان بطرس الرسول وديعاً للغاية، واحتمل المراجعة ولم تحدث بينهما أية منازعة أو حتى ما يجرح المحبة الرسولية الصادقة (غل ٢: ١١-١٦).

علماً بأن برنابا أيضاً رآى مع بطرس وانحاز لليهود المنتصرين، مما أظهر ضعف موقفه تجاه بشارة الأُمم.

الثاني: عندما بدأ بولس الرسول مع برنابا الترتيب للرحلة الثانية، أراد برنابا أن يأخذ معهما يوحنا مرقس، ولكن بولس رفض هذا الاقتراح باعتبار أن مرقس لم يحتمل مشاق الرحلة الأولى وعاد من منتصف الطريق. وهكذا امتدت المنازعة حتى فارق كل منهما الآخر. فأخذ برنابا مرقس والطلق إلى قبرس، أما بولس فاختار سيلا الذي جاء من أورشليم حاملاً وثيقة الرسل وتعليمهم الشفاهي (أع ١٥: ٣٦-٤١).

الرحلة الثانية لبولس وسيلا:

الداعي لهذه الإرسالية يشرحه بولس الرسول هكذا: «ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا لنرجع ونفتقد إخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم.» (أع ١٥: ٣٦)

«أما بولس فاختار سيلا وخرج مُستودعاً من الإخوة إلى نعمة الله. فاجتاز في سوريا وكيليكية يشدد الكنائس.» (أع ١٥: ٤٠ و٤١)

بولس الرسول في ذربة ولسترة:

وهناك تقابل مع تيموثاوس الذي كان قد آمن، وهناك عمده في الإرسالية الأولى: «فأخذه وختنته من أجل اليهود الذين في تلك الأماكن لأن الجميع كانوا يعرفون أباه أنه يوناني». (أع ١٦: ٣)

الروح القدس يتدخل في توجيه مسيرة التبشير:

«وبعد ما اجتازوا في فريجية (غرباً) وكورة غلاطية (شرقاً) منهمم الروح القدس أن يتكلموا بالكلمة في آسيا (انحاء أفسس في الجنوب الغربي)». (أع ١٦: ٦)

المقصود هنا أن بولس وسيلابشراً في فريجية وغلاطية، واجتازاها، ولكن الروح منعهما. فهنا تم تأسيس كنيسة غلاطية في المرة الأولى التي زارها فيها، ولكنه مرض هناك إلا أنه تحامل على نفسه واستمر يركز وهو في حالة الضعف والمرض، وهذا نسمعه في رسالته إلى أهل غلاطية: «ولكنكم تعلمون أنني بضعف الجسد بشرتكم في الأول، وتجربتي التي في جسدي لم تزدروا بها ولا كرهتموها... لأنني أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعت عيونكم وأعطيتكموني» (غل ٤: ١٣-١٥). واضح هنا أن بولس الرسول بشر غلاطية في أول مرة عبر عليهم، وهذه المرة كانت في الإرسالية التبشيرية الثانية. كما أنه واضح أيضاً أنه كان مريضاً وفي حالة ضعف.

فلما أتوا إلى ميسيا بقرب الساحل الشرقي المطل على بحر إيجه وانحدروا إلى ميناء ترواس: «ظهرت لبولس رؤيا في الليل، رجل مكثوني قائم يطلب إليه ويقول أعبر إلى مكثونية وأعتا. فلما رأى الرؤيا، للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكثونية متحققين أن الرب قد دعانا لنبشّرهم». (أع ١٦: ١٠ و ٩)

بولس الرسول في فيليبي:

«فأقلمنا من ترواس (وهي ميناء) وتوجهنا بالاستقامة إلى ساموثراكي (وهي جزيرة متاحة للشاطئ)، وفي الغد إلى نيابوليس (وهي ميناء)، ومن هناك إلى فيليبي التي هي أول مدينة من مقاطعة مكثونية وهي كولونية». (أع ١٦: ١١ و ١٢)

و«مكثونية» مقاطعة كبرى في بلاد اليونان، وقد صيرها بولس معطاً ومراً في رحلاته من فيليبي إلى تسالونيك ثم إلى بيرثية ذهاباً وإياباً، حتى إنه بحسب قول أحد علماء الكتاب المقدس (كلارك) يكون بولس بذلك قد صير مكثونية أرضاً مقدسة.

هذه الرحلة تستغرق في الذهاب مدة يومين، ولكن في العودة وبسبب مضادة مسار الرياح،

تستغرق خمسة أيام^(١): «وأما نحن فسافرنا في البحر بعد أيام الفطير من فيليي ووافيناهم في خمسة أيام إلى ترواس». (أع ٢٠: ٦)

وساموثراكي جزيرة بها جبل عالٍ وهو أعلى جبل في المنطقة ولا يعلو عنها إلا جبل آثوس. وساموثراكي تُرى من شاطئ آسيا الصغرى عندما تكون الشمس وراءها في حالة الغروب.

ويلاحظ أن الميناء الذي نزل إليه بولس الرسول على شاطئ مكدونية هو ميناء نيابوليس، وهو الميناء المتاخم لمدينة فيليي، ونيابوليس الآن هي قالّا (وتُطلق بالتركية قَوْلَه وهي موطن محمد علي والي مصر). والقول بأن فيليي مدينة كولونيّة يعني أنها كانت تحت الرعاية الرومانية مباشرة؛ وأن للمواطنين فيها حقوقاً وامتيازات رومانية كأن لا يُجلّدون قط ولا يُقبض عليهم إلا تحت اشتراطات خاصة، ولهم الحق في رفع شكواهم من تحت تحقيق الحكام المحليين إلى الإمبراطور نفسه^(٢).

وكلمة «كولونية» من الوجهة السياسية تعني أن القوانين فيها هي طبق الأصل من القوانين التي تسري في روما نفسها، أي أن فيليي كانت روما مصغّرة.

و«فيليي» سميت هكذا بهذا الاسم على اسم الإمبراطور فيليب الثاني والد الإسكندر الأكبر الذي أسسها سنة ٣٥٧ ق.م. أما سبب مجدها التليد وحصولها على شرف التساوي مع روما نفسها في كل معاملات الدولة الرومانية مع مواطنيها فهو أن أغسطس قيصر المدعو أكتافيانوس سابقاً انتصر فيها بجيوشه على أعدائه سنة ٤٢ م. فوهبها شرف التبعية والتساوي مع روما. وهودا بولس الرسول يَحْتَظِفُها من يد قيصر ويهبها التبعية السماوية ويؤسس فيها إحدى أهم كنائسه ويُخلّدها برسالته. وهي مدينة حربية أكثر منها تجارية؛ لذلك فإن عدد اليهود فيها كان قليلاً. ولذلك أيضاً لم يكن فيها مجمع لليهود كمبنى للعبادة، بل صالة للاجتماع. وكانت تسمى «برسفكا» أي مصلى، وغالباً ما تكون بدون سقف^(٣). وللمحافظة على المزيد من الهدوء — أو ربما لرخص الأهالي أن يكون لليهود مكان للعبادة داخل المدينة — فلما كانت خارج أبواب المدينة وعلى جانب النهر حتى تتسنى التظاهرات الجسدية والغسل بالماء^(٤).

وقد اعتادت النسوة الاجتماع فيها والمواظبة أكثر من الرجال فكانت محصنة تقريباً لمن^(٥).

1. Conybeare, *op. cit.*, p. 219.

2. Ibid., p. 223,224.

3. Ibid., p. 225,226.

4. Ibid.

5. Ibid.

«فأقمنا في هذه المدينة (فيلبي) أياماً وفي يوم السبت خرجنا إلى خارج المدينة عند نهر (جاجيتاس Gaggitas) حيث جرت العادة أن تكون صلاة فجلسنا وكنا نكلم النساء اللواتي اجتمعن.» (أع ١٦: ١٢ و١٣)

بولس الرسول في بيت ليدية بياعة الأرجوان:

«فكانت تسمع امرأة اسمها ليدية بياعة أرجوان من مدينة ثياتيرا متعبدة لله، ففتح الرب قلبها لتصنى إلى ما كان يقوله بولس، فلما اعتمدت هي وأهل بيتها طلبت قائلة: إن كنتم قد حكمتم أنني مؤمنة بالرب فادخلوا بيتي وامكثوا، فالزمنا.» (أع ١٦: ١٤ و١٥)

ومعروف أن مدينة ثياتيرا هي في آسيا الصغرى وهي المذكورة في سفر الرؤيا (١١: ١)، وميناؤها المتاخم لها هو برجاموم Pergamum، والعلاقة بين فيلبي وثياتيرا علاقة تجارية كبيرة قائمة على شهرة ثياتيرا في إنتاج الأصباغ.

وكانت عظة بولس الرسول على إنجيل ربنا يسوع المسيح في صلاة اجتماع فيلبي لهاته الجماعة الصغيرة من النسوة هي أول عظة لرسول من رسل المسيح في أوروبا. وكانت ليدية أول امرأة تستضيف رسولاً في بيتها في هذه النواحي. وكان نهر جاجيتاس أول نهر تتقدس مياهه بمعمودية المسيح لها ولأهل هذا البيت.

بولس الرسول في سجن فيلبي:

لم يكن ممكناً لعدو الإيمان والإنجيل والمسيح أن يترك خدام الله في سلام يؤدّون الرسالة. فكما تبعت الشياطين المسيح صارخة أن هذا هو قدوس الله (مر ١٤: ٢٤)، هكذا تبعت الشياطين بولس ومن معه، سيلا وتيموثاوس وربما لوقا الذي يضع نفسه في الرواية هنا بقوله «نحن»: «وحدث بينما كنا ذاهبين إلى الصلاة أن جارية بها روح عرافة استقبلتنا وكانت تكسب مآاليها مكسباً كثيراً بعرافتها. هذه أتبع بولس وإيانا وصرخت قائلة: هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي الذين ينادون لكم بطريق الخلاص. وكانت تفعل هذا أياماً كثيرة. فضجر بولس والتفت إلى الروح وقال: أنا أمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها، فخرج في تلك الساعة.» (أع ١٦: ١٦-١٨)

وهكذا بدأ الشيطان مع الموالين المنتفعين بالانتقام إذ: «لما رأى مآاليها أنه قد خرج رجاء مكسبهم، أمسكوا بولس وسيلا وجروهما إلى السوق إلى الحكام ... فقام الجمع معاً عليهما ومزق الولاة ثيابهما وأمر أن يضربا بالعصي. فوضعوا عليهما ضربات كثيرة وألقوا في السجن وأوصوا حافض السجن أن يحرهما بضبط. وهو إذ أخذ وصية مثل هذه ألقاهما في السجن الداخلي وضبط

وفي التقليد الروماني القديم أن هذا السجن كان عبارة عن حوضين عميقين لتخزين المياه استخدموا مع التعديل ليكونا سجنًا، الخارجي للحبس الاحتياطي والداخلي للعقوبات^(٦).

بولس السجن في نصف الليل:

صورة من صور حياة بولس ذات البريق السماوي. بعد ضربات كثيرة عجنت عظامه بلحمه، وأصابته مه ما أصابت من جروح ومواقع، يقوم في منتصف الليل ليقود مع زميله خورس تسبيح للمسيح الذي نجاه من الخطية والموت. أما السجن وأما الألم المبرح الذي أصاب الجسد بالحمى والسهر فهو من أجل يسوع المسيح، وبالتالي فهو شرف وامتنياز يؤهله لشركة المجد في السموات الملا: «... فأنا أفضّل، في الاتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجن أكثر...» (٢ كو ١١: ٢٣)

ولكن لا بد لأنين المظلوم من استجابة تأتيه من الذي تألم بالظلم ولم يفتح فاه وهو إليه، فبإشارة من السماء: «ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصليان ويُسَبِّحان الله والمسجونون يسمعونهما. فحدث بفتة زلزلة عظيمة (هذه تعبير عن حضرة إلهية وخدمة ملائكة) حتى تزعزعت أساسات السجن، فانفتحت في الحال الأبواب كلها وانفكت قيود الجميع.» (أع ١٦: ٢٥ و٢٦)

كان من تقليد الشرف الروماني أن السجن الذي يخفق في ضبط سجنه أن لا ينتظر التحقيق والعقوبة بل يقضى على نفسه بيد نفسه: «ولما استيقظ حافظ السجن ورأى أبواب السجن مفتوحة استل سيفه وكان مزعماً أن يقتل نفسه ظاناً أن المسجونين قد هربوا.» (أع ١٦: ٢٧)

جراح بولس الرسول وقيوده تلد السجن هائلته:

«فنادى بولس بصوت عظيم هائلًا: لا تفعل بنفسك شيئاً ردياً لأنّ حيما هما. فطلب منهما واندفع إلى داخل وخرّ لبولس وسيلا وهو مرثد. ثم أخرجهما وقال: يا سيديّ ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص. فقالا: آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك. وكلّماه وجميع من في بيته بكلمة الرب.» (أع ١٦: ٢٨-٣٢)

ماذا حدث للولاء، هل أتاها ملاك نصف الليل وأفرعهم بالأحلام؟

«ولما صار النهار أرسل الولاة الجلادين قائلين أطلق ذَيْنِكَ الرجلين.» (أع ١٦: ٣٥)

6. In the footsteps of St. Paul, p. 91.

وفيلسبي لا تُنسى ولا يُنسى معروفها وفضلها على الكنيسة كلها، فقد آزرت بولس بالعطاء بسخاء دون جميع كنائس مكدونية، وهذا أمر يُدهش له: «وأنتم أيضاً تعلمون أيها الفيلبيون أنه في بداءة الإنجيل لما خرجت من مكدونية لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء (المالي) والأخذ (الروحي) إلا أنتم وحدكم.» (في ٤: ١٥)

بل وكما لا ينسى بولس، لا ننسى نحن أيضاً هذه النفوس السعيدة التي اشتركت في ضيق بولس لما اعتدي عليه: «غير أنكم فعلتم حسناً إذ اشركتم في ضيقي» (في ٤: ١٤)، بل ولغلاء القديسين الأتقياء الفخر في السماء لأنهم، وهم أصغر جمع عبر عليه بولس، اشتركوا في أعوازه الخاصة وهو يقدم أغنى المجامع وهو مجمع تسالونيكي: «فإنكم في تسالونيكي أيضاً أرسلتم إليّ مرة ومرتين لحاجتي ... قد امتلأت إذ قبلتُ من أتقُرُدُس الأشياء التي من عندكم نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله.» (في ٤: ١٦ و ١٨)

بولس الرسول في تسالونيكي:

«فاجتازا في أمفيبوليس وأبولونية وأتيا إلى تسالونيكي حيث كان مجمع اليهود.» (أع ١٧: ١)

هنا لهجة الكاتب تتغير فجأة من «نحن» إلى ضمير الغائب «اجتازا»، إشارة إلى أن الذين ارتحلوا من فيلبي هما بولس وسيلاف فقط، وهذا يعني أن كلًّا من لوقا كاتب الأعمال ومعه تيموثاوس تخلفا في فيلبي للعناية بالكنيسة الفتية التي بدأت بليدية وعائلتها والسجان وعائلته. ولكن سنسمع عن تيموثاوس يلتحق بالجماعة مرة أخرى في بيرثية: «فلما علم اليهود الذين من تسالونيكي أنه (بولس) في بيرثية أيضاً ... فحينئذ أرسل الإخوة بولس للوقت ليذهب كما إلى البحر وأما سيلاف وتيموثاوس فبقيا هناك.» (أع ١٧: ١٣ و ١٤)

أما لوقا فيغيب عن التسجيل حتى إلى أن وصل بولس إلى روما!! في ختام سفر الأعمال^(٧). ومن هذا التغيير نفهم أن الكاتب — الذي كان هو لوقا^(٨) — قد غاب عن التسجيل، والذي بدأ يكمل الرواية ليس شاهد عيان. لذلك يأتي الوصف مقتضباً وغير مدقق.

7. Conybeare, *op. cit.*, p. 240.

(٨) يُحتمل العالم كونيبي أن لوقا الطبيب كان يغيب ليمارس مهنة الطب والجراحة في المواقع التي تستلزم عمله. ويقول المؤرخ يوسابيوس والقديس جبروم أن القديس لوقا موطن من أنطاكية. وأنطاكية والإسكندرية كانتا مدينتين مشهورتين بدراسة الطب. ومعلوم أن القديس لوقا هو الوحيد الذي ظل أمياً ومراقباً لبولس حتى آخر لحظة من حياته: «لوقا وحده معي.» (٢ تي ٤: ١١)

Conybeare, *op. cit.*, p. 241

ولكن شاهد العيان يعود مرة أخرى فيروي عن رؤية وزمالة في رحلة العودة من فيليبي إلى ترواس: «هؤلاء سبقوا وانتظرونا في ترواس، وأما نحن فساغرنا في البحر بعد أيام الفطير من فيليبي ووافيناهم في خمسة أيام إلى ترواس.» (أع ٢٠: ٦ و ٥)

تسالونيكى:

سُميت هذه المدينة على اسم أخت الإسكندر الأكبر. وقبل أن تجعل القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية اليونانية شرقاً، كانت تسالونيكى هي العاصمة، وهي الآن ثاني أكبر وأهم مدينة في تركيا الأوروبية وذلك بسبب أهميتها الجغرافية. وهي منذ تأسست حتى اليوم لم تفقد أهميتها التجارية^(٩).

وتسالونيكى في المحيط المسيحي تُحسب ركيزة صيت وإنارة لكل أوروبا، فقد كانت بالنسبة لبولس الرسول مركز إشعاع ومعرفة. اسمه وهو يصف أهل تسالونيكى لأهل تسالونيكى:

+ «حتى صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون في مكدونى وفي أخائية. لأنه من قِيلَكم قد أذيعت كلمة الرب، ليس في مكدونى وأخائية فقط، بل وفي كل مكان أيضاً قد ذاع إيمانكم بالله، حتى ليس لنا حاجة أن نتكلم شيئاً.» (١ تس ١: ٨ و ٧)

وفي التاريخ المسيحي القديم لا يفوق تسالونيكى في الأهمية — كمدينة ذات كرمي بطريركي — إلا أنطاكية سوريا^(١٠). ومعروف لدى مؤرخي المسيحية الأوروبيين أن تسالونيكى كانت ذات اليد البيضاء في إدخال المسيحية إلى السلاف وإلى البلغار. ولقد فازت في العصور الوسطى باللقب «المدينة الأرثوذكسية»^(١١)، وفي مجمع سارديكا سنة ٣٤٧ م كان أسقفها حاضراً وذكر اسمه في قانون الإيمان الصادر عنه.

بولس الرسول في مجمع تسالونيكى:

وكالعادة بَشَّر بولس وسيلا وسط اليهود، وانحاز لهما جمع غفير خاصة من اليونانيين اليهود المتعبدين الحارين: «فاقتنع قوم منهم وانحازوا إلى بولس وسيلا ومن اليونانيين المتعبدين جمهور كثير ومن النساء المتقدمات عدد ليس بقليل.» (أع ١٧: ٤)

وكالعادة أيضاً هُجِّج اليهود المتعصبون الشعب، بل واستأجروا رجالاً لإثارة فتنة في

9. Conybeare, *op. cit.*, pp. 248, 249.

10. *Ibid.*

11. *Ibid.*

المدينة حتى سجنوها كلها مدّعين عليهما أنهما يعملان ضد أحكام قيصر وبأنه يوجد ملك آخر اسمه يسوع، فكان ما كان حتى قُبض عليهما. ولكن هنا ينكشف لنا مستوى الحكام من الوجهة القانونية الرومانية، إذ لم يُسأ إلى المتهمين بالزور، بل على العكس حُكم على ياسون رئيس المجمع بدفع كفالة وأطلق بولس وسيلا.

ومعروف أن تسالونيكي لم تكن محكومة مثل فيليبي على أنها «كولونية» بل كانت مدينة حُرّة Urbs Libera أخذت هذا الامتياز إزاء عمل من أعمال البطولة، مثل أنطاكية وترواس وأثينا. وتسالونيكي نالت امتياز «المدينة الحرة» بسبب اشتراك مواطنيها في الحرب في صف أوغسطس أكتافيانوس^(١٢). وكانت تسالونيكي تحكم نفسها بنفسها فلم تكن تحت حكم ولاية من خارجها.

وبفحص رسالتي بولس الرسول إلى تسالونيكي نكتشف حقيقة شعب هذه المدينة، فقد كانوا محتاجين إلى مزيد من العطف الأبوي من بولس بل ومن ترفّق الأم أيضاً، ولكن للأسف لم يشتركوا في احتياجاته الخاصة بل كانت هذه تأتيه من فيليبي، مما جعله يكرّز بالنهار ويشغل يديه بالليل على ضوء المصباح لكي يوفر قوت نفسه: «فإنكم تذكرون أيها الإخوة تعبنا وكذا، إذ كنا نكرز لكم بإنجيل الله ونحن عاملون ليلاً ونهاراً كي لا نثقل على أحد منكم» ؟؟ (١ تس ٢: ٩)، «ولا أكلنا حبزاً مجاناً من أحد بل كنا نشغل بتعبٍ وكذاً ليلاً ونهاراً لكي لا نثقل على أحد منكم.» (٢ تس ٣: ٨)

ويعتقد العالم بالي Pally أن بولس الرسول مكث في تسالونيكي ثلاثة أسابيع على الأقل. ولكن يعلق عالم آخر وهو بنسون Benson أنه إذا كانت قد جاءت إليه معونات متعددة من فيليبي، فكل مرة كانت تحتاج إلى ثلاثة أسابيع لكي تصل إليه من فيليبي إلى تسالونيكي، هذا بالإضافة إلى المدة اللازمة لجمعها من المتبرعين في كل مرة.

ومن روح الرسائلتين إلى تسالونيكي يظهر بوضوح أن جسم الكنيسة كان في جلته من الأمم، وأنه ليس فيهم يهود، لأن بولس شدّد التنكير على اليهود واقتضح أعمالهم جداً (١ تس ٢: ١٤-١٦).

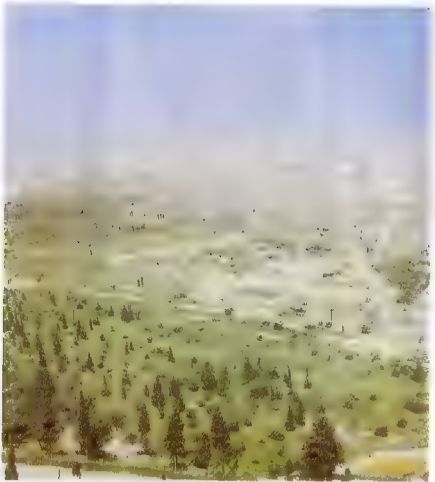
بولس الرسول وسيلا في بيرة Beren :

انطلق بولس الرسول وسيلا في طريقهما إلى بيرة ليلاً وسارا طول الليل، وأشرق عليهما النهار



«فأقلعنا من تَرُواس وتوجَّهنا بالاستقامة إلى ساموثراكي
وفي الغد إلى نيبوليس.» (أع ١٦: ١١)

نيابوليس القديمة) إحدى مواني مقدونية، التي عبر بها
القديس بولس إلى أوروبا للمرة الأولى.
(أنظر صفحة ٦٣٤)



الميدان العام للسوق Agora في أثينا

يرى من أعلى الأريوس باعوس . وفي المدن اليونانية كان السوق هو مكان التجارة وعقد الاجتماعات العامة . وفوق الأريوس باعوس كانت تُعقد المحاكمات للث في القضايا المستعصية وخاصة تلك التي تخص الأمور الدينية .

(أنظر صفحة ٦٤١)

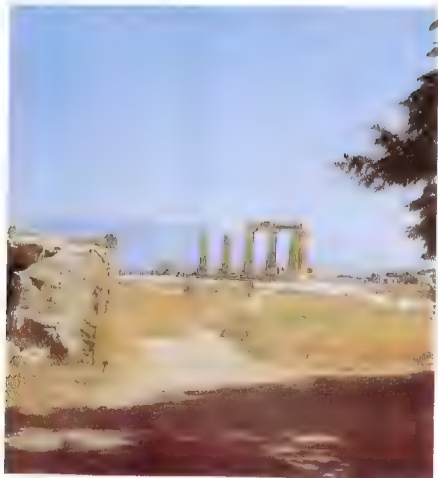
« ... في أثينا احتدّت روحه فيه إذ رأى المدينة مملوءة أصناماً. »

(أع ١٧: ١٦)

منظر الأكروبوليس في أثينا (ومعناه المدينة المرتفعة)، أُطلق في اليونان على القلاع المحصنة فوق التلال. اشتهر بينها أكروبوليس أثينا بهياكله الرائعة، ولاسيما معبد البارثينون.

وهذه أطلال تلك المعابد القديمة بأصنامها.





أطلال هيكل أبوللو في كورنثوس

كاتب كورنثوس في زمن القديس بولس مدينة عظيمة تشتهر بالحارة والصناعة وبالعلاهي، مما جعلها تجذب كثيراً من المهاجرين والعبيد والمحررين والأحرار. وكان يحكمها قائد روماني برتبة «قنصل إقليم»

.Proconsul

(أنظر صفحة ٦٤٤)

وهما في الطريق على مشارف السهول المتاخمة للجبال والغابات التي تملأ المنطقة. وبعد رحلة مُضنية وطويلة بلغا أبواب بيرية.

وكان لليهود في هذه المدينة جالية كبيرة وجمع. وكالعادة قصد بولس المجمع في السبت، وكان اليهود في هذه المدينة أكثر استجابة وأقل تعصباً وانفعالاً، فقد استمعوا لبولس وناقشوا معه الكلمة بتعقل:

«وأما الإخوة فللوقت أرسلوا بولس وسيلا ليلاً إلى بيرية، وهما لَمَّا وصلا مضيا إلى مجمع اليهود. وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي، فقبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم، هل هذه الأمور هكذا. فأمن منهم كثيرون ومن النساء اليونانيات الشريفات ومن الرجال عدد ليس بقليل.» (أع ١٧: ١٠-١٢)

أشرار اليهود في تسالونيكي يتعقبون بولس في بيرية:

«فلما علم اليهود الذين من تسالونيكي أنه في بيرية أيضاً نادى بولس بكلمة الله جاءوا يُهَيِّجُونُ الجُمُوعَ هناك أيضاً. فحينئذ أرسل الإخوة بولس للوقت ليذهب كما إلى البحر. وأما سيلا وتيموثاوس فبقيا هناك.» (أع ١٧: ١٣ و١٤)

ولو أن المسافة بين بيرية وتسالونيكي كبيرة — أكثر من ستين ميلاً (١٣) — وكان يمكن أن يبقى بولس الرسول شهوراً في بيرية يكرز ويعلم، إلا أن العنصر اليهودي في الموضوع كان خطيراً، فالتخاطب بين مجامع اليهود أشبه بتخاطب البحارة في السفن، فالإشارة يمكن أن تبلغ مئات الأميال في ساعة. لذلك لم تهنأ بيرية بمعلمها، ولا هنا بولس الرسول بكرازه بين هؤلاء القوم العقلاء المستجيبين والنشطاء. فعبّجوا بإخراجه من المدينة ناحية البحر ليساهر بحراً نحو أثينا منفرداً وحيداً متألماً: «والذين صاحبوا بولس جاءوا به إلى أثينا.» (أع ١٧: ١٥)

بولس الرسول في أثينا:

كانت أثينا عاصمة الحكمة، حكمة هذا العالم موضع فخر العقل البشري، ومقر خطماء هذا الدهر. تشبهاً بفلاسفتها الذين ملأوا العالم صيتهم، وتنفخ بشعرائها الذين بلغوا أوج المنطق والبيان، ولكن كانوا يجهلون حكمة الله كما كان الله يُجهِّل حكمتهم: «لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله» (١ كو ٣: ١٩)، «وأيضاً الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة، إذ لا يفترقون

لقد تربى اليهود على بنضة الأصنام، والتقي منهم يفرع من رؤياها. لذلك، فبدخول بولس الرسول أثينا انقبضت روحه فيه. فنحن لا نسمع عن أي نجاح له في الكرازة بين اليهود مع أنه ذهب مراراً إلى مجمعهم، وتعرف على كثيرين منهم في الطريق وبادهم الحديث. وحتى لما دعاه فلاسفتها للحديث الرسمي في مكان الشعر والخطابة وهو على أعلى قمة تل أريوس باغوس Areopagus حيث يُحاكّم أعظم الرجال وتُفحص آراء العظماء، وأعطيت له الكلمة — وهذا عندهم يُحسب تكريماً أشد التكريم — بل واستمعوا إليه كثيراً، ووعظ هو كثيراً، وأخيراً لم يخرج إلا بفيلسوف واحد هو ديونيسيوس الأريوباغي وامرأة اسمها داميّس وآخرين معهما، وتقرّظ لا يسر: «إنه مهذار.» ! (أع ١٧: ١٨)

لقد تعرف بولس على فلاسفتها وهم قسمان: الرواقيون stoics، وفيلسوفهم «زينون» وُلد في تاريخ مجهول في جزيرة قبرس، والأبيقوريون وفيلسوفهم إبيقوروس (وُلد ٣٤٢ ق.م.). المدرسة الأولى تؤمن بتعدد الآلهة والمدرسة الثانية لا تؤمن بالآلهة، وألقتها لو وُجدت لا يهمها شيء من أمور العالم. أما العالم عند الأبيقوريين فقد أوجد نفسه، أو هو وُجد صدفةً أو إثر حادثة. والعالم عندهم يشرح نفسه ولا يحتاج إلى قوة أعلى منه تُسيّره أو تشرحه. وهم يؤمنون بشيء أفضل مما هو كائن في العالم. والجسد عندهم والروح معاً ينتهيان إلى لا شيء. وهم الذين قال عنهم بولس الرسول: «إن كان الأموات لا يقومون (كما قال الأبيقوريون) فلنأكل ونشرب لأننا غداً نموت. لا تفضلوا...» (١ كو١٥: ٣٢). والأبيقوري الحق لا يضطرب لشيء ولا يهتم بشيء إلا بهدوء نفسه، وغودجه الأعلى هو الحيوان في ارتياحه لنفسه وغرائزه، وغايته العظمى أن يُمتع نفسه!!

وبينما الرواقي همّ الأول أن يقاوم الشر من حوله، فهُم الأبيقوري أن يُمتع نفسه بما حوله ولا يعبأ بالأمور عامة.

أما الرواقيون فيؤمنون بأن الله هو روح أو عقل العالم، والعالم محد داته هو كيان نفسي هائل، أوجد كل شيء بنفسه ويجريها لتنتهي إلى نفسه. فالمادة عندهم متحدة بالروح أو بالآلوهة. والله عند الرواقيين لم يخلق الطبيعة ولكنه يدبّرها وحسب. فالله نَسَّ القانون أو الناموس الطبيعي، والقانون في المادة التي هي في الحقيقة ذاته!! والعالم طهر إلى الوجود كحلقة من حلقات تطور الله (كذا) والروح أو النفس عند الرواقيين مادة وهي تحترق بالموت لتعود وتمتصها الله في نفسه. لذلك فالقيامة التي يشر بها بولس الرسول لهم هي منافية للعقل. وأعظم مثل للأخلاق عند زينون والرواقيين هو فضيلة إنكار الذات، وفضيلة عدم التأثر apathy حيث لا يتأثر قط بالانفعال البشري

ولا يهتز بتغيير الظروف والحوادث. فالمسرة في أوج حانها ليست شيئاً صالحاً والألم في أشد أحواله ليس شراً! فكل ما يحدث ويتوافق مع العقل فهو حسن. وكل فعل لا يتوافق مع العقل هو الشر! والرجل الحكيم يعيش وفق ما يقبله عقله، وهذا هو الكمال عند الرواقي. فهو يحكم بنفسه الأمور كملك أعلى ويبرر نفسه في عظمتة كإله. وهكذا يستمر الفكر الرواقي ليعتد كل ما هو ضد المسيحية على خط مستقيم!! فليس ما يُجنُّ الرواقي أكثر من أن تدعوه للخلاص!! فالرواقية مدرسة الكبرياء والتأله.

ولقد أعطت هذه المبادئ الرواقية لبولس الرسول انفعاله الروحي ليعلم المسيحية عن صحة لا يأتيها الضلال الرواقي أو الأبيكوري من اليمين أو اليسار!!

وبعد أن انتهى بولس الرسول من عظته اللاهوتية في وسط الفلاسفة وهم على أشد ما يمكن من الإصغاء، باعتبار الكلمات أنها جديدة عليهم، وهم يشقون الجديد، ليس بلذته ولكن كمادة للحديث والجدل ليس إلا! — كان انطباعهم على مستويين: مستوى منهم أنه إنسان لا قيمة لحديثه؛ والمستوى الآخر أعجبهم جدّة الكلام عن الإلهيات ليس إلا، فطلبوا منه المزيد ولكن فيما بعد. وطبعاً، لا يغيب عن ذهن القارئ انتساب رأي كل مدرسة لهذه النتيجة، فالأبيكوريون عزفوا عن السماع له جلة، وقطعوا بأن كلام بولس ليس فيه ما يفيد؛ أما الرواقيون فوجدوا في كلام بولس الرسول ما يثير تفكيرهم، فطلبوا فرصة للمزيد.

ولكن على أي حال، قال بولس الرسول كلمته وشهد بإنجيله من فوق قمة أريوس باغوس أو قمة فلسفة هذا العالم، وأشهّد السماء والأرض، وإن لم تسمعها أثينا يومها جيداً فقد سمعها العالم كله وسجلها في خزائن حكمته. أما خروجه بديونيسيوس الأريوباغي، من وسط زمرة هؤلاء الفلاسفة، خاضعاً لصوت المسيح، مؤمناً بصلبه، فهو تحفيق ما بعده تحقيق لقول بولس: «إذ أسلحة محاربنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون هادمين ظلوياً وكل ملجأ يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح.» (٢ كور ١٠: ٤ و ٥)

أما ديونيسيوس الأريوباغي فيقول التقليد إنه صار أول أسقف على أثينا. أما السيدة دامريس Damaris فيبدو أنها كانت سيدة ذات شأن، إذ كانت من بين السامعين في أريوس باغوس.

ربما قطع بولس المسافة من أثينا إلى كورنثوس في مركب شراعي، وهي رحلة لا تستغرق أكثر من بضع ساعات مبتدئاً من بيريوست ميناء أثينا إلى كنخريا ميناء كورنثوس.

والفرق بين روح أثينا وروح كورنثوس هو الفرق بين أكاديمية علمية وسوق مزدحم. وبشبهها أحد العلماء برحلة من أكسفورد إلى لندن (١٥).

ولكورنثوس رنة في أسفار العهد الجديد ومركز مرموق في حياة بولس وأهمية خطيرة في الإيمان المسيحي عامة، جملة وتفصيلاً. فالباديء والتعاليم واللاهوت والروح والأخلاق التي ازدحم بها الرسالتان إلى كورنثوس هي الآن جزء من حياة كل مسيحي.

والآن، فإن أهم ما يصادفنا في أعمال بولس الرسول في مدينة كورنثوس هو تفرغه لكتابة أول رسالة له. فمند أن وطأت قدما بولس أرض كورنثوس واختل إلى نفسه قليلاً، كان همُّ تسالونيكي الحديثة الإيمان قد قضى مضجعه. ومن لغة الرسالة وطابعها نفهم أنها كُتبت بعد كرازته فيها بزمان يسير جداً يتناسب والمدة التي قضاها في سفره منها إلى بيرية ثم أثينا ثم كورنثوس.

وأعجب ما نقابله في رسائل بولس الرسول أنها تحمل عواطف المحبة الأبوية وأرقّ المشاعر لمعلم نحو تلاميذه بروح المسيح التي تنضح من كل كلمة وكل تعبير وكل وصية وكل تعليم، في حين أنه كتبها أو كان يكتبها وهو يرزح تحت آلام وضيق وتهديد وحصار ومطاردة، هذا بحد ذاته أمر يُذهل له. فالتمزق الذي كان يعانيه بولس الرسول في خدمته يقابله في رسائله قوة هائلة إلّم شتات المؤمنين ولّم شتات النفس وضم الأعضاء وتقريب الكنائس، لا في عيظ خدمة بولس ولا لزمان وجوده وحياته فحسب، بل وإلى مدى الدهر لكل شعب ولكل كنيسة ولكل فرد يقرأ رسائل بولس الرسول.

الرسالة الأولى إلى تسالونيكي (في نهاية سنة ٥٢م):

كتبها بولس بعد ٦ شهور من غرس الإيمان المسيحي فيها. وهذه الرسالة تُعتبر أول أسفار العهد الجديد باستثناء رسالة القديس يعقوب (١٦). فإذا علمنا أن الكنيسة التي أنشأها بولس الرسول في

14. Pulpit Comm., p. vii.

15. Conybeare, pp. 297, 833.

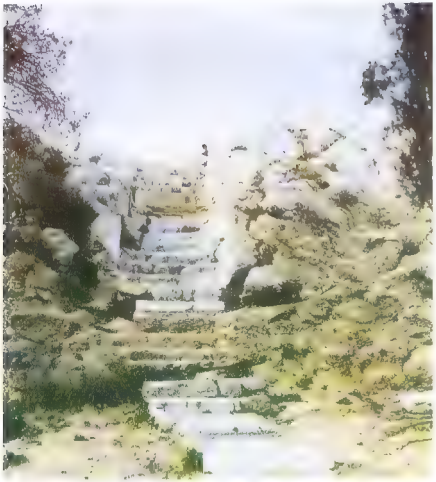
16. Pulpit Comm., p. viii.



« فلما علم اليهود الدين من تسالوبيكي أنه في بيرثة أبصاً نادى نولس
بكلمة الله... » (أع ١٧: ١٣)

فيرييا (بيرة القدية) مدينه صغيرة زراعية وتجارية، تقع أسفل محدر
جبل الأوليمب.

(أنظر صفحة ١٤٠)



السلم الأنري المساعد إلى الأريوس باعوس و أينا
 (أع ١٧: ١٥-٢٢) التي صعد عليها بولس ليكلم حكماء أثينا.
 «لذلك إذ لم يحمل أيضاً استحب أن يُترك في أثينا وحدنا. فأرسلنا
 سيمواوس.. حتى ينسكم ويعظكم لأجل إيمانكم» من رسالة بولس
 الرسول إلى كنيسة تسالونيكي (١ تس ٣: ١-٣).
 (أنظر صفحة ٦٤١)

تسالونيكي كانت من الأميين ولم يكن فيها عناصر يهودية متنصرة، أدركنا لماذا خلت هذه الرسالة من التعرض لقضايا اللاهوت التي تردُّ على معارضة اليهود المتنصرين كقضايا التبرير بدون الشاموس، مثلما حدث في غلاطية. بينما نجد أن الأخطاء والانحرافات الناتجة عن الاحتكاكات بجماعة الفنوسيين في كولوسي وأفسس أنشأت بدورها التأكيد على طبيعة شخص المسيح.

لهذا نواجه في رسالة بولس الرسول إلى أهل تسالونيكي البساطة مع التوعية ضد اليهود غير المتنصرين. فالرسالة تُعَبِّرُ خالية من طابع الدفاع والحاجة، ولكنها تحمل سمات التعاليم المميزة لبولس: سمو شخصية المسيح، الملكوت الذي أسسه بالروح في العالم، إنقاذنا من الغضب الآتي، عامل القداسة في الخلاص، حكم المسيح من السماء، قيامة الأبرار، مجيء المسيح الثاني، نصيب المؤمنين المبارك ومعاقبة الأشرار، كما أن موضوع القضاء من خلال آلام المسيح واضح منذ بدء الرسالة. والذي يلزم أن نتنبه إليه هو أن حالة الكنيسة الإيمانية والروحية ونوع مشاكلها هو الذي كان يحدد طبيعة الرسالة.

وبولس الرسول في رسالته الأولى إلى التسالونيكين يفتح قلبه بالعطف والحب كأُم تدلُّ أولادها، إذ كان على استعداد أن يقدم لهم كل ما يملك حتى نفسه في سبيل أن يوصل إليهم الإنجيل، وذلك بسبب تعلق روحه بهم في مقابل تعلق أرواحهم به. لذلك فهي قريبة الشبه من رسالته إلى أهل فيليبي الذين وجد فيهم ما وجد في هذه الكنيسة المباركة.

وعلى العموم فكنائس مكدونية، أي فيليبي وتسالونيكي، كانت ذات اعتبار خاص جداً في قلب القديس بولس.

والمنصر الوحيد الذي كان فيه مراجعة لعدم فهمهم وسلوكهم بمقتضى التعاليم الصحيح الذي قدّمه لهم، هو موضوع المجيء الثاني، وقد صححه لهم بالعدد الكافي.

وذهاب بولس الرسول إلى كورنثوس لم يأتي من انتقاء واحتيار من بولس، فالذي كان يشود بولس كما سبق وسمعنا هو الروح القدس بل المسيح شخصياً، فاسمع ما يقوله المسيح لبولس وهو خائف ومرتعج من شدة مقاومة اليهود وعنف تهديدهم: «فقال الرب لبولس برؤيا في الليل: لا تخف، بل تكلم ولا تسكت، لأنني أنا معك ولا يقع بك أحد ليؤذيك. لأن لي شعباً كثيراً في هذه المدينة. فأقام سنة وستة أشهر يعلم بينهم بكلمة الله.» (أع ١٨: ٩-١١)

إذاً، فالرب هو الذي اختار كورنثوس وحصر زمان الخدمة فيها. ولو تمخّن الباحث لماذا احتار

الرب كورنثوس، لوجد أنها ذات صلات شديدة وحيوية وباستمرار مع كل من روما والإسكندرية وأفسس، فإن تثبيت أقدام الإنجيل في كورنثوس جعلها تمتد إلى كل العالم غرباً وشرقاً وجنوباً. وكانت عين الرب على مجمع اليهود في كورنثوس، فهو وإن تربت فيه كلمة الإنجيل وأنت ثمارها فلا بد أن تأخذها الرياح لتبذرهما في كل الأقطار المحيطة.

ونحن نعلم أن أكبر عدد من اليهود كان قد تجمّع في كورنثوس بسبب نزوح كل يهود روما إليها بعد أن طردوا من روما بأمر الإمبراطور كلوديوس: «فوجد يهودياً اسمه أكيلاً بنطي الجنس (من شمال آسيا الصغرى) كان قد جاء حديثاً من إيطاليا وبريسكلا امرأته، لأن كلوديوس كان قد أمر أن يمضي جميع اليهود من رومية. فجاأ إليهما ولكونه من صناعتهما أقام عندهما وكان يعمل لأنهما كانا في صناعتهما خيّاميين». (أع ١٨: ٢ و ٣)

وكالعادة كانت نتيجة خدمة بولس في مجمع كورنثوس إيمان كثير من اليهود، وخاصة اليونانيين، وكان منهم رئيس المجمع نفسه: «وكريشئس رئيس المجمع آمن بالرب مع جميع بيته، وكثيرون من الكورنثيين إذ سمعوا آمنوا واعتمدوا» (أع ١٨: ٨)، إلى أن «قام اليهود بنفس واحدة على بولس وأتوا به إلى كرسي الولاية قائلين: إن هذا يستميل الناس أن يعبدوا الله بخلاف الناموس» (أع ١٨: ١٢ و ١٣). ولكن بتدبير الله العجيب كان والي أغانية، التي كانت كورنثوس عاصمتها، رجلاً حكيماً مقتدراً، وهو غالليون وكان أخاً لسينكا الفيلسوف المشهور. فلما فحص الأمر جلياً لم يعبأ بثورة اليهود المفتعلة وطردهم: «وإذ كان بولس مزعماً أن يفتح فاه، قال غالليون لليهود: لو كان ظلماً أو خبثاً ردياً أيها اليهود لكننت بالحق قد احتملتكم، ولكن إذا كان مسألة عن كلمة وأسماء وناموسكم فتنبضون أنتم لأنني لست أشاء أن أكون قاضياً لهذه الأمور. فطردهم من الكرسي». (أع ١٨: ١٤-١٦)

وكما سبق وقلنا، فإن بولس الرسول ظلّ يؤسس كنيسة كورنثوس سنة كاملة وستة أشهر، وقد وافاه سيلا وتيموثاوس في كورنثوس وأضافا إليه مزيداً من العزيمية في احتمال مكائد اليهود، وقد وصلا كورنثوس بينما كان بولس فعلاً منحصراً في الروح ونمت ضفوف، يحتاج ويعلم: «ولما انحدر سيلا وتيموثاوس من مكدونية كان بولس منحصراً (strained = مشدوداً) بالروح وهو يشهد لليهود بالمسيح يسوع». (أع ١٨: ٥)

وأوضح تعبير عن حالة بولس الرسول في كورنثوس يشرحه بولس نفسه لأهل كورنثوس: + «وأنا كنت عندكم في ضعف وخوف ورعدة كثيرة، وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام

الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة ...» (١ كور ٢: ٤٥)

ثم يضم خدمته في مكدونية على خدمته في كورنثوس ويقول لأهل كورنثوس:

+ «لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شيء من الراحة، بل كنا مكثبين في كل شيء. من خارج، رخصومات، من داخل مخاوف، لكن الله الذي يُعزِّي المتضيقين عزَّانا ...» (٢ كور ٧: ٦٥)

ولكن يلزم هنا أن نوضح أن بولس الرسول كان يتعزى جداً بأولاده حينما كانوا يوافونه من بعيد حاملين أخبار خدمته:

+ «الله الذي يُعزِّي المتضيقين عزَّانا بمجيء تيطس، وليس بمجيئه فقط بل أيضاً بالتعزية التي تعزِّي بها بسببكم. وهو يخبرنا بشوقكم ونوَّحككم وغيرتكم لأجلي حتى إني فرحت أكثر.» (٢ كور ٧: ٦٥)

+ «ومن هناك لما سمع الإخوة خبرنا خرجوا لاستقبالنا إلى هورن أبيوس والثلاثة الحوانيت. فلما رأهم بولس شكر الله وتشجع.» (أع ٢٨: ١٥)

وبينما كان بولس في أثينا، أرسل تيموثاوس إلى تسالونيكي ليفتقد الكنيسة هناك. فلما عاد تيموثاوس من هناك إلى كورنثوس استدعى هذا أن يكتب لهم رسالته الأولى التي سبق ودكرناها، والتي احتفظ بها الله لنا.

ولما رفض اليهود أن يسموا لبولس الرسول في المجمع، تركهم متجهين بقلبه وروحه للأهم، أي لليونانيين: «وإذ كانوا يقاومون ويحتفون، نفخ ثيابه وقال لهم: دمكم على رؤوسكم، أنا بريء، من الآن أذهب إلى الأمم. فانتقل من هناك وجاء إلى بيت رحل اسمه يوستس، كان متعبداً لله وكان بيته ملاصقاً للمجمع» (أع ١٨: ٦ و٧). وصار هذا البيت بعد ذلك مقر اجتماع المسيحيين ومقابلة بولس لهم.

أما الأشخاص الذين أصبحوا علامات خالدة في تاريخ كورنثوس والكنيسة كلها على مر الدهور، فقد ذكرهم بولس في رسالته، كل واحد بقلبه ومدحه:

١ — «أنتم تعرفون بيت إستفاناس أنهم باكورة أخائية (مقاطعة كورنثوس) وقد ربوا أنفسهم لخدمة القديسين (= ضيافة المسيحيين الغرباء).» (١ كور ١٦: ١٥)

٢ — «ثم إني أفرح بمجيء إستفاناس وفروتوناتوس وأخاليكوس، لأن نقصانكم هؤلاء قد جبروه، إذ أراحوا روحي وروحكم.» (١ كور ١٦: ١٧ و١٨)

٣ - «أشكر الله أنني لم أعتد أحداً منكم إلا كريسبُس وغايس.» (١ كو ١٤: ١٤)

٤ - «سَلِّمُوا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي، اللذين لست أنا وحدي أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم وعلى الكنيسة التي في بيتهما.» (رو ١٦: ٣-٥)

٥ - «سَلِّمُوا على أتيِنوثس حبيبي الذي هو باكورة أخائتي للمسيح.» (رو ١٦: ٥)

٦ - «سَلِّمُوا عليكم تيموثاوس العامل معي ولوكيوس وياسون وسوسيباترس أنسباني.» (رو ١٦: ٢١)

٧ - «أنا تريتوس (في كورنثوس) كاتب هذه الرسالة (الرسالة إلى روما) سَلِّمُوا عليكم في الرب.» (رو ١٦: ٢٢)

٨ - «سَلِّمُوا عليكم غايس مُضِيْفِي ومُضِيْفِ الكنيسة كلها.» (رو ١٦: ٢٣)

٩ - «سَلِّمُوا عليكم أراشثس خازن المدينة وكوارتس الأخ.» (رو ١٦: ٢٣)

١٠ - وأخيراً وهو الأول والأهم: «كريسبُس رئيس المجمع آمن بالرب مع جميع بيته وكثيرون من الكورنثيين، إذ سمعوا آمنوا واعتمدوا.» (أع ١٨: ٨)

ويلاحظ في رسالة كورنثوس الأولى أن بولس الرسول يقرر بشيء من الافتخار والمسؤولية أنه عهد رئيس المجمع هذا:

+ «أشكر الله أنني لم أعتد أحداً منكم إلا كريسبُس وغايس.» (١ كو ١٤: ١٤)

الرسالة الثانية إلى تسالونيكي من كورنثوس (أوائل سنة ٥٣ م):

لم تمر شهور كثيرة على كتابة الرسالة الأولى لأهل تسالونيكي وبولس في كورنثوس حتى بدأ يكتب لهم الرسالة الثانية. والسبب هو إحساس بولس مع الأخبار التي واثته على يد تيموثاوس، أن الكنيسة هناك متزعجة بسبب تأويل التعليم الذي قدمه بولس لهم بخصوص المجيء الثاني للمسيح. على أن الرسالة الأولى لم تقنهم وخاصة ذوي الفكر الضيق منهم الذين أثاروا تعاليفاً بأن المسيح قد أتى أو هو على الأبواب (٢ تس ٢: ٢).

وبولس الرسول يصف حالته بعد ما غادر تسالونيكي هكذا: «لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شيء من الراحة بل كنا مكتئبين في كل شيء» (٢ تس ٥: ٧)، لأن خدمته بين التسالونيكيين تخللتها مقاومات من هؤلاء غير المتزئين في انفعالاتهم ونهويلهم للأمور. وهو ما لمع عنه في رسالته الأولى لهم (١ تس ٥: ١-١١)، مُحذراً أن الرب نفسه حذر تلاميذه أن هذا اليوم وهذه الساعة لا يعلمها أحد ولا ملائكة الله التي في السماء إلا الآب وحده. وإنه وإن كانت

الكنيسة الأولى بمن فيها من الرسل أجمعين اعتقدوا بسرعة بمجيء الرب لأنه لم يكن قد فات على صعوده سوى عشرين سنة فقط، لذلك فقد انتظروا مجيئه في أثناء حياتهم، إلا أنَّ لا الرسل ولا بولس أخطأوا بتحديد الزمن بالسنة أو اليوم ولا أخطأوا باستقراء نتائج غير سليمة من إحساساتهم هذه، بل النتيجة الوحيدة كانت هي التهاب المؤمنين وترقيهم بشوق وفرح لملاقاة الرب، وهذا هو عين ما يفرِّج قلب المسيح أيضاً.

ولكن الذي حدث من تلاميذ بولس الرسول في تسالونيكي هو أنهم بتصورهم أن العالم هكذا سينتهي سريعاً فإنه لا داعي للهَمِّ والتعب والعمل فيه، فتركوا أعمالهم وأحملوا مسئولياتهم وتطفَّلوا على الآخرين في أكلهم وشربهم. وعلى هذا كان ردُّ بولس في رسالته الثانية أن مَنْ لا يعمل لا يأكل (٢ تس ٣: ١٠). كذلك بدأت الهلوسات والرؤى المزيَّقة بالنسبة لمجيئه تزداد، فاضطرب المجتمع المسيحي هناك بكثرة الإشاعات وأصبح على شفا الانحلال والتفكك، ونشأت فرص لمرضى العقول والنفوس بالادِّعاء برؤيتهم رؤى وأحلاماً وسماعهم كلاماً كأنها من الروح، بل وزيّفوا كلام بولس الرسول ليؤكدوا أوهامهم. وهذه هي تلميحاته التي دعت أن يكتب لهم هذه الرسالة سريعاً بعد مجيء تيموثاوس من هناك وإعطائه تقريراً عن الحالة:

+ «ثم نسألكم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعنا إليه. أن لا تنزعزعا سريعاً عن ذهنكم، ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها مثا (تزييف أقوال ورسائل)، أي أن يوم المسيح قد حضر. لا يخدعُكم أحد على طريقة ما (بأوهامه الخاصة).» (٢ تس ٢: ١-٣)

+ «ثم نوصيكم أيها الإخوة باسم ربنا يسوع المسيح أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذي أخذناه منا.» (٢ تس ٣: ٦)

+ «إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يُمثَّل بنا (من جهة عمل اليد لأكل الخبز)، لأننا لم نسلك بلا ترتيب بينكم ولا أكلنا خبزاً مجاناً من أحد، بل كنا نشغل بتعب وكدَّ ليلاً ونهاراً لكي لا نثقل على أحد منكم.» (٢ تس ٣: ٨ و٧)

+ «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً. لأننا نسمع أن قوماً يسلكون بينكم بلا ترتيب لا يشتغلون شيئاً بل هم فضوليون (متطفلون). فمثل هؤلاء نوصيهم ونعظهم بربنا يسوع المسيح أن يشتغلوا بهدوء ويأكلوا خبز أنفسهم.» (٢ تس ٣: ١٠-١٢)

وقيمة هذه الرسالة الثانية لأهل تسالونيكي بالنسبة لهم ولنا. أن بولس الرسول أعطى مرة أخرى بمحمل العلامات الأساسية التي تسبق مجيء الرب لتكون معياراً ثابتاً للتأكد من ميعاد مجيئه. وهذه

كان قد سبق وشرحها لهم بالتفصيل؛ أما هنا فمروراً سريعاً دون توضيح، ومن هنا جاءت غامضة نوعاً ما بالنسبة لنا. وهذا يحذرنا نحن أيضاً من أن نتمادي في تأويلها دون أن نعرف ما وراء الكلام. ولكن أخصّ ما تختصّ به هذه الرسالة الثانية إلى أهل تسالونيكي هو تحديد بولس للشخصية الأساسية التي ستسبق مجيء المسيح: «إنسان الخطية ابن الهلاك» (٢ تس ٢: ٣). بهذا التحديد والرسم الذي تركه بولس الرسول غامضاً بالنسبة لنا، مما حير العلماء والمفسرين، من يكون هذا الإنسان الذي تقمّص الخطية أو تقمصته الخطية؟ هل سيكون ملكاً؟ أو نبياً مدّعي النبوة، أو عالماً مدفوعاً بقوة خارقة؟ هل وُلد؟ أم سيولد؟ أم سيظهر فجأة؟ هل له علاقة بالميكيل؟ هل من المسيحيين؟ هل من اليهود؟

وهاتان الرسالتان لأهل تسالونيكي متشابهتان لغة وتعليماً ومشاعر، مما يوضح أنهما كتبتا متقاربتين زمنياً، وهما في الحقيقة حصيلة خدمة بولس الرسول في كلٍّ من إقليمي مكدونية وأخائية، والتي لم تقتصر على خدمة المدن الكبرى فيهما فيلبّي وتسالونيكي وكورنثوس، بل إن هذه المدن بما أسس فيها من كنائس كانت القاعدة التي ينطلق منها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ليؤسس كنائس عديدة. وهذا قول بولس الرسول لهم في رسالته الثانية: «حتى إننا نحن أنفسنا نفتخر بكم في كنائس الله» (٢ تس ١: ٤)، واسمع قوله لهم أيضاً في رسالته الأولى: «حتى صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون في مكدونية وفي أخائية، لأنه من قتلكم قد أذيعت كلمة الرب ليس في مكدونية وأخائية فقط بل في كل مكان أيضاً» (١ تس ١: ٨٧)، بمعنى أنه ليست مكدونية وأخائية فقط بل ومصر وكل أقطار العالم ...

لذلك فمن البلاد التي يلزم أن نضعها هنا بنوع من المراجعة، التي عبرنا عليها بالاسم فقط مع أنه أقيمت فيها خدمات وكنائس وشعب مؤمن بالمسيح هي كينخريا ميناء كورنثوس، مثل نيابوليس ميناء فيلبّي. و«كينخريا» اسمها الآن في اليونان كخريس Kichries، وهي من الموانئ الهامة التي لها اتصالات بحرية في خطوط تجارية عالمية مع أفسس والإسكندرية وأنطاكية وتسالونيكي وكل موانئ بحر إيجه، ولها نقود سُكّت باسمها. ومن هذا الميناء استقلّ بولس الرسول سفينة متجهاً إلى سوريا.

بولس الرسول في طريق العودة من كورنثوس إلى أنطاكية سوريا:

«وأما بولس فلبث أيضاً أياماً كثيرة ثم ودّع الأخوة وسافر في البحر إلى سوريا ومعه بريسكلا وأكيلا بعد ما حلق رأسه في كينخريا لأنه كان عليه نذر.» (أع ١٨: ١٨)

أما هذه الأيام الكثيرة فقد كانت بحسب تقدير العلماء ١٨ شهراً. أما حلق رأسه لأنه كان

عليه نذر، فالتص قد يشير إلى أن الذي صنع ذلك هو أكيلاً ولكن هذا يصعب قبوله لأن الذي عليه نذر لا يحلّه إلا بتقديم شعره في أورشليم في الهيكل، وأكيلاً لم يكن قاصداً أورشليم بل تحلّف في أفسس.

أما الرحلة بين كورنثوس وأفسس على الشاطئ الآخر من بحر إيجه فتستغرق في الأجواء المعتدلة عندما تكون الرياح مواتية حوالي من ١٣ إلى ١٥ يوماً^(١٧). وتخلّف كل من أكيلاً وبريسكلا في أفسس. وأما المركب فكانت وجهتها سوريا، فلم تمكث طويلاً في الميناء، ولكن بولس انتهاز هذه الفرصة القليلة ونزل ودخل المجمع وأخذ يحاججهم كالعادة فيما يخص الموعد الذي لهم والإيمان بالرب يسوع. وبالفعل أثار مشاعرهم وطلبوا منه أن يمكث معهم ويكلمهم بالمزيد. ولكن ألحّ الروح عليه بضرورة تكميل الرحلة لحضور العيد في أورشليم، أما هذا العيد فهو بحسب تحقيق العلماء هو عيد الخمسين؛ ويبدو أن ما زكّي الإلحاح هو وجود المركب المعدّة للإقلاع والوصول في الميعاد بحيث لو تخلّف عنها لتعذر وصوله إلى أورشليم في الميعاد. كما زكّاه أيضاً إحساسه الروحي بوجود فرصة للعودة والبقاء عندهم فترة أطول — حسب مشيئة الله — وهذا ما تم بالفعل في رحلته الثالثة، إذ مكث عندهم سنتين وثلاثة أشهر كاملة.

وسارت المركب في بحر إيجه وعبرت على بعض موانيه وانحدرت إلى رودس ثم قبرس وأقلمت منها، حتى أرست مراسيها في ميناء قيصرية.

ونحن لا ننسى قيصرية في رحلة إيماننا أيضاً، ففي هذه الميناء تمت أول معمودية للأمم من يد رسول هو القديس بطرس، الذي بينما كان يتكلم ويعظ أهل بيت كرنيليوس، حلّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة، وصار وتسبّل في سجلات الأرض والسماء أن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً.

ولكن مقدر ما حلت قيصرية هذه الأنهار المفرحة إلى بولس الرسول، حلت له أحراراً وآلاماً، حسبها إكليلاً من أجل الشهادة لاسم يسوع، فقد تمّ سجنه في هذه المدينة سنتين كاملتين من يولية سنة ٥٨ م حتى يولية ٦٠ م.

بولس الرسول في أورشليم على هامش الرحلة:

لم يذكر لوقا في تاريخه شيئاً عن غاية هذه الرحلة إلى أورشليم ومقصدها الذي من أجله بدأها بولس الرسول، وهو أن يمضي عيد الخمسين في أورشليم (أع ٢١: ١٨)، إلا كلمة واحدة ضعيفة

17. Conybeare, *op. cit.*, p. 331.

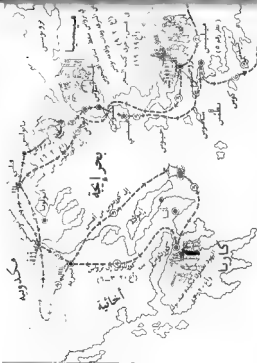
هزيلة مجردة من كل عمق لا يمكن أن نستقريء منها إلا أنه مرُّ بها مروراً دون ذكر كلمة «أورشليم»!! «ولما نزل في قيصرية صعد، وسلّم على الكنيسة ثم انحدر إلى أنطاكية» (أع ١٨: ٢٢). وغالباً لم يكن لوقا مع بولس الرسول في هذا الانتقال أو «الصعود» إلى الكنيسة!! وغالباً أيضاً ما كانت رحلته إلى أورشليم خالية من كل ما يمكن أن يُحسب تاريخاً، وهكذا تُركت بعلامة استفهام.

ثم انحدر إلى أنطاكية سوريا:

من أورشليم انطلق بولس الرسول مرة أخرى إلى قيصرية ثم شمالاً إلى أنطاكية. دون التعرّيج على أية كنيسة في الطريق. وكانت أنطاكية له، كما كانت أورشليم للأنثي عشر، مركز العمل ونقطة البدء لكل إرسالية.



شارع في الحي التجاري في كورنثوس
(أنظر صفحة ٦٤٤)



طريق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى البحر الأحمر

١. من مكة إلى جدة (١٢٠ كم) - ١٢٠ هـ
٢. من جدة إلى ميناء جدة (١٠ كم) - ١٢٠ هـ
٣. من ميناء جدة إلى ميناء جدة (١٠ كم) - ١٢٠ هـ
٤. من ميناء جدة إلى ميناء جدة (١٠ كم) - ١٢٠ هـ
٥. من ميناء جدة إلى ميناء جدة (١٠ كم) - ١٢٠ هـ
٦. من ميناء جدة إلى ميناء جدة (١٠ كم) - ١٢٠ هـ
٧. من ميناء جدة إلى ميناء جدة (١٠ كم) - ١٢٠ هـ
٨. من ميناء جدة إلى ميناء جدة (١٠ كم) - ١٢٠ هـ
٩. من ميناء جدة إلى ميناء جدة (١٠ كم) - ١٢٠ هـ
١٠. من ميناء جدة إلى ميناء جدة (١٠ كم) - ١٢٠ هـ



البحر الأبيض المتوسط



الطريق التي سلكها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم



آثار كنيسته القديس يوحنا في أفسس . تكلم هذا الرسول بأن دعت
العدراء مريم أمه هم المسيح (يو ١٩: ٢٦ و ٢٧) . كما أنه في مدينة
أفسس أعلن لقب العدراء أنها «تينوبوكس» (والدة الإله) . وذلك
في المجمع المسكوني الثالث عام ٤٣١ م .

الفصل الثالث

رحلة بولس الرسول التبشيرية الثالثة

خط سير الرحلة:

هنا أيضاً الاختصار، الذي يوحى بغياب القديس لوقا كمسجل للحوادث وشاهد عيان، يدمغ قصة هذه الرحلة من بدايتها:

«بعد ما صرف زماناً خرج، واجتاز بالتتابع في كورة غلاطية وفريجية يشدد جميع التلاميذ.» (أع ١٨: ٢٣)

من هذه الآية الواحدة المختصرة نفهم أنها كانت رحلة افتقاد للوقوف على كل كنيسة في خط السير كمحطة على الطريق للخدمة والوعظ وتشديد الإيمان.

المرافقون للرحلة:

لا نعثر في كل أخبار الرحلات المتتابة على اسم ميللا، ويبدو أنه تخلف في أورشليم. ولكن تيموثاوس من المؤكد — كما يبدو — أنه كان مرافقاً لبولس الرسول في هذه الرحلة الثالثة من أوفيا، ولكن بولس وهو في أفسس أرسله إلى مكدونيه ليرتب له ذهابه ومروره على كنائس مكدونيه:

«فأرسل إلى مكدونيه اثنين من الذين كانوا يخدمونه: تيموثاوس وأرسطوس. ولبت هو زماناً في آسيا.» (أع ١٩: ٢٢)

الكنائس المرجع أنه زارها في الطريق:

في خط سيره من أنطاكية سوريا، لا بد أنه مرَّ على كلٍّ من طرسوس إلى درية ثم إسترية وإيقونية، واستقر في أنطاكية بيسيدية فترة. بعدها انطلق نحو غلاطية في الشمال الشرقي وافتقد كنائسها إذ يبدو أن أكثر من كنيسة كانت هناك، بحسب ما نقرأ في مطلع الرسالة التي أرسلها إليهم: «بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من

الأموات وجميع الإخوة الذين معي، إلى كنائس غلاطية...» (غل ١: ٢٥)

«وأما من جهة الجمع لأجل القديسين، فكما أوصيتُ كنائس غلاطية هكذا افعلوا أنتم أيضاً.» (١ كور ١٦: ١)

ولكن الأمر المحير أنه لا يوجد في التاريخ الكنسي القديم أي ذكر جغرافي لمدينة تسمى غلاطية بل هي اسم مقاطعة، كذلك في الخرائط كلها قديمها وحديثها. لذلك يرجح العالم كونبيير أن هذه الكنائس التي تسمى باسم غلاطية تقع بالضرورة في أهم المدن القائمة في هذه المقاطعة، وأهمها اثنان: أنقرة Ancyra التي هي الآن عاصمة آسيا الصغرى التركية؛ ومدينة باسينوس، وكانت مركز تجمع قبائل الغلاطيين الذين كانوا يُسمون أيضاً باسم توليستوبوي Tolestoboi أو «الغلاطيون المغاربة».

كذلك كانت أنقرة أيضاً مركز عبادة سبله الحكيمة المسماة: «الأم العظيمة» Cybele the Great Mother أو أم الآلهة، وكان لها هيكل مشهور في مدينة أنقرة، وهي شخصية أسطورية ترجع عبادتها إلى القرن الثالث قبل الميلاد وكانت معتبرة إلهة الخصوبة.

أما الاتجاه الغربي نحو أفسس فلم يذكر لوقا في سفر الأعمال أي إشارة نحو أسماء مدن أو كنائس عبر عليها. ولكن من الرسائل، نجتمع أسماء يتحتم أن يكون قد عَبَر عليها، مثل كولوسي أباميا وبقوارها لاودكية وهيرابوليس وهما على حدود أفسس^(١). ولو أن القديس بولس في رسالته إلى أهل كولوسي يقول إنهم لم يروه بالوجه سواء في كولوسي أو في لاودكية، إلا أنه سعى من أجلهم وجاهد، ولكن لا نعلم أي جهاد كان هذا.

بولس الرسول في أفسس:

أفسس المدينة الوثنية:

أفسس فيما قبل المسيح كانت من كبريات مدن العالم، وهي عاصمة آسيا الصغرى طرّاً. والذي بناها هو أحد عظماء أثينا المدعو أندروكليس الأثيني، وكانت في مظهرها مدينة يونانية ولكن في طبيعتها وأهلها وعبادتها شرقية تقريباً. وكانت ملتقى الشعوب والحضارات. وأفسس مدينة ذات طبيعة غنية في أرضها وأنهارها ومينائها، فامتازت بالخصوبة والتجارة والمواصلات مع جميع أنحاء العالم.

1. Conybeare, *op. cit.*, p. 363.

وكانت أفسس مكتظة بالأنية الضخمة والفخمة التي كانت تفاخر بها أثينا، فمسرح المدينة الضخم الذي كان يسع الألوف، كذلك الملعب أو الإستاد يوم أو الإستاذ حيث كانت تتجهم المدينة كلها لتري الألعاب التي كانت تدعوها من أفاصي الأرض.

ولكن أعظم الأبنية بلا نزاع كان مبنى هيكل الإلهة أرطاميس Artemis وهي المعروفة باسم ديانا Diana، والذي كان يُرى من الميناء من على بُعْدٍ يتألق ببريق المذهبات والفضيات. وكان هيكل أرطاميس أو ديانا أحد عجائب الدنيا السبع، وكان يتفاخر به أهل أفسس بالقول أن الشمس لا ترى في مسارها من الشروق إلى الغروب أعظم من هيكل أرطاميس^(٢). والذي قام بتصميم بنائه هو المهندس ثيودوروس من ساموس Theodorus of Samos وتلاه في التنفيذ المهندس خرسيفون الذي من جنوساس Chersiphon of Gnossus ومن بعده ابنه ميتاجينيس Metagenes، وأكملته المهندسان ديمتريوس وباؤنيوس Paconius. وقد تضرعت لبائته جميع المدن اليونانية. ولكن ما أن أكمل بناؤه وارتفع نحو السماء حتى قام بحرقه المتعصبون، وقد اشتعلت فيه النيران يوم وُلِدَ الإسكندر الأكبر، وهذا يعطينا جدولاً متقناً لتاريخ عبادة ديانا الأفسسية. ولكن أعيد بناؤه بأفخر مما كان، وأكمل. فلما رآه الإسكندر الأكبر وطلب أن يُعش اسم عليه رفض الأفسسيون بإباء وشمم. وظل موضع اقتحار ومحت حماة الأفسسيين المتعصبين لعبادة ديانا حتى إلى أيام القديس يوحنا الرسول في ختام القرن الأول ومن بعده بوليكاربوس. ولكن اقحمه الغوطيون الذين نزحوا من وراء الدانوب وهدموه حتى الأساس. وامتحت معالمه بانتشار المسيحية، فلا يوجد له أثر ولا يُعرف موقعه تماماً. وقد استُخدمت بقايا أعمدته الرخامية — والتي كان فيها الكثير من الأحجار الكريمة — كأعمدة لكنيسة آجيا صوفيا بأسطنبول بتركيا (الآن جامع ومتحف)، وقُبُرها محمولة على قوائم من حجر الجاسبر Jasper، وهو يشب الأخضر، وبعض الكاتدرائيات في إيطاليا بُنيت ببقايا هذا الهيكل.

وكان طول هذا الهيكل ٢٥٠ قدماً وعرضه ٢٢٠ قدماً أي ١٤٠ × ٧٢ متراً تقريباً، وكان ارتفاع العمود ٦٠ قدماً أي ٢٠ متراً، وكان عدد الأعمدة ١٢٧ عموداً كل عمود منها أهدي إليها من أحد الملوك. وكان هذا الهيكل يحوي خزانة مملوءة بالجوهرات والذهب والفضة. ويقول عالم ألماني أن ما كان به من كنوز يوازي ما يوجد الآن في بنك إنجلترا. ولو أن تقالها بعد ذاته في داخل الهيكل بدائي ومثل إلهة الصيد، ولكن يُقال أنها كانت تعبر عن النيايح. والتمثال نفسه تغطيه بروزات عديدة بشكل الثديي تعبيراً عن خضب الطبيعة التي تُرضع الإنسان من فيض

2. Ibid., pp. 422-424.

ينابيعها. وقد سماها القديس جيروم بالاسم اللاتيني multimammeam وبال يونانية πολυμαστήν أي عديدة الأنداء. وكان يعتقد عبّادها أن هذا التمثال هبط من السماء.

وقد تبارى صنّاع الفضة في عمل تماثيل مُصَفَّرَة وهياكل مُصَفَّرَة من الفضة، يأخذها التُّبَّاد في بيوتهم والسَّيَّاح في ريارتهم. فكانت مكاسب الصنّاع وغنى أفسس يقومون على عبادة «ديانا» أو «أرطاميس التي للأفسسيين». «لأن إنساناً اسمه ديمتريوس صانع، صانع هياكل فضة لأرطاميس كان يُكسب الصنّاع مكسباً ليس بقليل، فجمعهم والفضلة في مثل ذلك العمل وقال أيها الرجال أنتم تعلمون أن سعتنا إنما هي من هذه الصناعة...» (أع ١٩: ٢٤ و ٢٥)

وهكذا، عزيزي القارئ، كان الشيطان قد أسس له مدناً وهياكل وأقام عليها آلهة لها عبّاد، ومرنٌ فيها صنّاعاً، يرتزقون برزقها، وثبت لها مبادئ وفلسفة، وزينتها بأشكال وجمال ألوان ليخلب لبّ الجُفَّال من بني الإنسان. ولو أمعن الفكر فيما كان الشيطان قد تحصّن به في العالم قبل أن يجيء المسيح لأصاب الإنسان الدوار وألّم به اليأس والقنوط. ولكن المسيح أقام لنفسه جماعة من صيادي سمك، وربّى له مُحارباً علّمه عند رجلي أحكم حكماء إسرائيل، وسلّحه بأسلحة الروح على مستوى الكلمة الحية، ليهدم ليس عظمة أرطاميس هذه بل وكل عظمة وارتفاع وغُلُو يرتفع ضد معرفة حق الله والمسيح، بل وليهدم حصون العدو ومعاقله ليس في المدن وحسب بل وفي داخل الإنسان.

وقد عُشر على نفوذ في أفسس في نفس مكان الهيكل وقد رُسم عليها هيكل أرطاميس على وجه ومن الوجه الآخر تبرز صورة نيرون، وكان الذي قتل أرطاميس أقام له الشيطان مَنْ يقتله (٣).

أما كنوز أفسس الحقيقية فهي ثلاثة هياكل أرضية تحوي هياكل سماوية، وكتاباً:

١ — قبر القديس يوحنا الرسول على جبل بريون Prion.

٢ — قبر تيموثاوس أول أسقف عليها بعد بولس الرسول، على نفس الجبل.

٣ — قبر القديسة العذراء أمّ المخلّص وأمّ النور، حيث تركته لنا فارغاً وأصعد حسدها على يد ملائكة.

٤ — أما الكتاب فهو إنجيل القديس يوحنا الذي كتبه تنسماً لهواء أفسس، مُستقبلاً شروق شمسها، ومودّعاً غروبها أياماً وأماييع وشهوراً وربما سنين إلى أن أكمله.

ولكن يا لحزننا على ملاك كنيسة أفسس إذ لم يستجب لتحذير المخلّص من السماء ولم يَتُبْ،

فتزحزحت منارته واندفنت تحت إحدى التلال ولا يعرف أحد حتى اليوم لماذا كان هذا وأين هي (رؤ: ٢: ٥).

وقد أقام بولس في أفسس من خريف سنة ٥٤م حتى ربيع سنة ٥٧م^(٤)، علماً بأن سنة ٥٤م هي السنة التي اعتلى فيها نيرون عرش الإمبراطورية الرومانية.

ويلزم أن نرجع قليلاً إلى الوراء قبل أن يصل بولس الرسول إلى أفسس، فقد كان وصلها رجل سيصبح من أعمدة الكنيسة حالاً وهو أبولوس الذي صار بالفعل نظيراً لبولس: «ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه أبولوس، إسكندري الجنس، رجل فصيح مقتدر في الكتب. كان هذا حبيراً في طريق الرب، وكان وهو حارُّ بالروح يتكلم ويُعلِّم بتدقيق ما يختص بالرب عارفاً معمودية يوحنا فقط. وابتدأ هذا يجاهر في المجمع، فلما سمعه أكيلّا وبريسكلا أخذاً إليهما وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق، وإذا كان يريد أن يجتاز (بحر إيجة) إلى أخائية (أي كورنثوس)، كتب (له) الإحوة إلى التلاميذ (هناك) يحضونهم أن يقلوه، فلما جاء (إلى كورنثوس) ساعد كثيراً بالنعمة الذين كانوا قد آمنوا (على يد بولس). لأنه كان باشتداد يُفصح اليهود جهراً، مُبَيِّناً بالكتب أن يسوع هو المسيح.» (أع ١٨: ٢٤-٢٨)

فحين دخل بولس الرسول أفسس، كان أبولوس في كورنثوس: «فحدث بنما كان أبولوس في كورنثوس، أن بولس بعد ما اجتاز في الواحي العالية (في آسيا) جاء إلى أفسس» (أع ١٩: ١). وأول ما استرعى نظر بولس في آسيا وجود تلاميذ غالباً لأبولوس، فابتدأ بولس يسألهم: «فإذ وجد تلاميذ قال لهم: هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم؟ قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم: فماذا اعتمدتم؟ فقالوا: بمعمودية يوحنا. فقال بولس إن يوحنا عهد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده، أي بالمسيح يسوع. فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع. ولما وضع بولس يديه عليهم حلَّ الروح القدس عليهم ففلقوا بتكلمون بلمات ويتنبأون. وكان جميع الرجال نحو اثني عشر.» (أع ١٩: ١-٧)

ومعروف بحسب حسابات العلماء أن أبولوس كان في أفسس سنة ٥٤م، أما بولس فدخل أفسس في رحلته الثالثة سنة ٥٤ أو سنة ٥٥م^(٥)، ومكث هناك ثلاث سنوات: «ثلاث سنين ليلاً ونهاراً لم أفر عن أن أنذر بدموع كل واحد.» (أع ٢٠: ٣١)

4. Ibid., p. 433 n.5.

5. Conybeare, *op. cit.*, p. 833. Oxford Dict. of the Christian Church.

بولس الرسول يحاجج اليهود في المجمع:

وكما دته وبكل غيرته وحرارته «دخل المجمع وكان يجاهر مدة ثلاثة أشهر مُحاجباً ومُقنماً في ما يخص ملكوت الله.» (أع ١٩: ٨)

وكالعادة عند ضيقي الفكر من اليهود «كان قوم يتقشرون ولا يقنعون شاقين الطريق أمام الجمهور» (أع ١٩: ٩). ولكن لما قبض الله لبولس في كورنثوس من يفتح بيته ليستقبل الكنيسة الفتية — وهويسطس المبارك من الله، هكذا دفع الله رجلاً يونانياً صاحب مدرسة — غالباً كانت لتعليم الأدب والفلسفة — ليقبل بولس وكنيسته وكأنه ملاك من الله. «اعتزل (بولس) عنهم وأفرز التلاميذ (أي فصلهم عن المجمع اليهودي) مُحاجباً كل يوم في مدرسة إنسان اسمه تيرانس Tyrannus (كان بولس قد عُدّه فصار مسيحياً)» (أع ١٩: ٩). وهكذا هبَّ الله لبولس الخدمة التي استمر فيها سنتين كاملتين: «وكان ذلك مدة سنتين» (أع ١٩: ١٠). وتعليق القديس لوقا عن خدمة بولس في أفسس كان هكذا: «حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في آسيا من يهود ويونانيين.» (أع ١٩: ١٠)

وقد امتازت خدمة بولس في أفسس — وبصورة ملحوظة جداً — بحضور الروح القدس بصورة فعالة ومعجزية، وهذا رأيناه في حلول الروح القدس على تلاميذ أبلوس وتنبؤهم وتكلمهم بالسنة. ثم مرة أخرى: «وكان الله يصنع على يدي بولس قوات غير المعتادة، حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى فتزول عنهم الأمراض وتخرج الأرواح الشريرة منهم» (أع ١٩: ١١ و١٢)، «وكان اسم الرب يسوع يتعظم» (أع ١٩: ١٧)، وذلك في مقابل «عظمة أراطاميس التي للأفسسيين» التي ما فتئت حتى سقطت وزالت، وارتفع اسم الرب يسوع فوق كل الربوع.

«وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع، وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفاً من الفضة. هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشده.» (أع ١٩: ١٩ و٢٠)

من هذا نفهم لماذا أعطى الله لبولس هذه القوة الفائقة غير المعتادة، ومصاحبة الروح القدس له بعلائية ومعجزات. فهؤلاء القوم في أفسس كانوا يحترفون السحر وكانت الشياطين تؤازرهم لتضليل الشعب ولصدّهم عن الإيمان بالمسيح، فلما استظهر بولس بهذه القوات الفائقة أخضعت هذه الحركة المتمردة الشيطانية وانفتح الباب للإيمان بالمسيح عن سعة. وأول من آمن هم هؤلاء السحرة أنفسهم الذين أحرقوا كتبهم شهادةً علنيةً على اندحار قوة الشيطان.

أما الشمن الذي قُذرت به هذه الكتب فهو يساوي بالجنه الإنجليزي في زمانها ألقين من الجنهات، حيث قطعة القضة تساوي عشرة بنسات^(١).

ولكن بسبب هذا الحريق الذي اندحر فيه الشيطان، دفع بولس ثمة بفادته أفسس التزاماً، إذ أقام عليه الشيطان زوبعة من عبّاد الأصنام وصُناع فضتها، وخرج بولس منها بشقّ الأنفس.

«وبعد ما انتهى الشَّخَب دعا بولس التلاميذ وودعهم وخرج ليذهب إلى مكدونيه.» (أع ٢٠: ١)

بولس الرسول في مكدونيه (فيلبي) لثالث مرة ويكتب لكورنثوس لثالث مرة:

+ «هوذا المرة الثالثة أنا مستعد أن آتي إليكم ولا أثقل عليكم...» (٢ كو ١٢: ١٤)
+ «هذه المرة الثالثة آتي إليكم، على فم شاهدين وثلاثة تقوم كل كلمة، قد سبقت فقلت وأسبق فأقول كما وأنا حاصر المرة الثانية، وأنا غائب الآن أكتب للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين أنني إذا جئت أيضاً لا أشفق.» (٢ كو ١٣: ٢ و ١)

لقد سقط من رواية القديس لوقا في سفر الأعمال زيارة ثانية لكورنثوس^(٧) قام بها بولس قبل هذه الزيارة الثالثة التي نحن بصدها، وهذا واضح جداً من الآيات السابقة والواردة في رسالته الثانية لكورنثوس.

والمعروف من سفر الأعمال ومن التحقيقات التاريخية أن بولس الرسول مكث في أفسس ثلاث سنوات: «لذلك اسهرُوا متذكّرين أنني ثلاث سنين ليلاً ونهاراً لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد» (أع ٢٠: ٣١)، كتب فيها الرسالة الأولى لكورنثوس في ربيع سنة ٥٧م. والمعروف أنه كتب رسالة قبلها إلى كورنثوس وقد فُقدت، بدليل أنه كتب في رسالته الأولى: «كتبْتُ إليكم في الرسالة أن لا تخالطوا الزناة ... وأما الآن فكتبْتُ إليكم ...» (١ كو ٥: ١ و ١١ و ٩)

ولكن يبدو أن هذه الرسالة أسقطت من حساب الرسائل لأنها كانت قصيرة للغاية ولم تحمل

6. Conybeare, *op. cit.*, p. 374.

(٧) المعتقد أن القديس لوقا تفاعى عن ذكر هذه الزيارة الثانية لكورنثوس في سفر الأعمال لأنها كانت قصيرة جداً، كما سترى، وكانت مجرد عبور، خصوصاً وأن القديس لوقا كان غائباً لمدة ثلاث سنوات، أثناء وجود بولس في أفسس. عن: Conybeare, *op. cit.*, p. 377.

سوى هذا الأمر الواحد: «أن ممنوع على أي واحد في كنيسة كورنثوس أن يخالط — يعني يتعامل مع — أي شخص معروف أنه زانٍ»، دون أن يشتبه بولس الرسول ويحدد أن يكون مسيحياً، فكان تدميرهم كيف لا يخالطون الزناة جملة بمعنى في العمل والسكن والمعاملة مع الوثنيين؟ فعاد بولس الرسول وصحح في رسالته المحسوبة عندنا أنها الأولى هكذا: «ليس مطلقاً زناة هذا العالم ... وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم، وأما الآن فكتبْتُ (اكتبْ) إليكم إن كان أحد مدعواً أخاً (في المسيح) زانياً أو طماعاً أو عابداً وثناً أو شتاماً أو سكيراً أو خاطفاً أن لا تغالطوا ولا تواكلوا مثل هذا.» (١ كور: ١١ و ١٠)

وهكذا إذ تم في رسالته الثانية تصحيح ما أرسله بولس في رسالته القصيرة الأولى أصبح لا قيمة لهذه الرسالة القصيرة المحسوبة أنها الرسالة الأولى المفقودة.

ثم كتب الرسالة الثالثة المعتبرة عندنا أنها الرسالة الثانية إلى كورنثوس وهو في مكثونية في خريف سنة ٥٧ م. وفي شتاء سنة ٥٨ م كتب الرسالة إلى أهل رومية^(٨).

أخبار حزينة من كورنثوس وبعثة في المقدمة:

بولس نفسه يصف لأهل كورنثوس أن زيارته الثالثة هذه إما ستكون زيارة حزينة لنفسه: «ولكنني جَزَمْتُ بهذا في نفسي أن لا آتي إليكم أيضاً في حزن، لأنه إن كنتُ أحرنكم أما فقس هو الذي يُفْرِحني إلا الذي أحرزته؟ وكتبت لكم هذا عينه حتى إذا حثت لا يكون لي حزن من الذين كان يجب أن أفرح بهم، ... لأنني من حزن كثير وكأبة قلب كتبتُ إليكم بدموع كثيرة لا لكي تحزنوا بل لكي تعرفوا المحبة التي عندي ولا سيما من نحوكم.» (٢ كور: ١٢: ٤—١)

والقصة هي أنه شاع في كل نواحي كورنثوس حتى بين الأمم أن المسيحيين فيها عادوا يفترون قبائح الزنى التي كانوا يمتادونها قبل إيمانهم، وهي قبائح كريهة لما سمعها الوثنيون سحروا من الذين في الإيمان.

+ «يُسمع مطلقاً أن بينكم زنى. وزنى هكذا لا يُسمى بين الأمم حتى أن تكون للإنسان امرأة أبيه، أفأنتم منتفخون وبالخري لم تنوحوا؟ ...» (١ كور: ٥: ١ و ٢)

وبولس الرسول لما سمع هذه الأمور في البداية أرسل أمامه بعثة تتحقق وتُصلح، «فأرسل إلى

مكدونية اثنين من الذين كانوا يخدمونه تيموثاوس وأرسطوس ولبت هورمانا في آسيا. « (أع: ١٩: ٢٢) ووصلته أخباراً أسوأ.

الأمور في كورنثوس أسوأ مما سمع:

وقبل أن يصل بولس الرسول إلى كورنثوس تحقق أن الأمور أسوأ مما سمع في الأول، واعتبرها بالنسبة لخدمته ونفسه أموراً مثدلة للنفس:

+ «أخاف إذا جئتُ أن لا أجدكم كما أريد ... أن توجد (بينكم) خصومات وعاسدات، وسخطات وعزوبات، ومنعات وغميمات، وتكبرات وتشويشات، أن يُدُلِّي إلهي عندكم إذا جئتُ أيضاً وأنوح على كثيرين من الذين أخطأوا من قبل ولم يتوبوا عن النعاسة والزنى والمهارة التي فعلوها. « (٢ كو ١٢: ٢٠ و ٢١)

ويبدو أن بولس الرسول قد سبق في زيارته الثانية التي لم يمكث فيها إلا فترة قصيرة جداً: «وسأجيء إليكم متى احتزت بمكدونية، لأنني أجتاز بمكدونية، وربما أمكثُ عندكم أو أشقي أيضاً لكي تُشجعوني إلى حيثما أذهب، لأنني لست أريد الآن أن أراكم في العبور. لأنني أرجو أن أمكثُ عندكم زماناً، إن أذن الرب. ولكنني أمكثُ في أفسس إلى يوم الخميس ...» (١ كو ١٦: ٨-٥)

من هذه الآيات يتضح أن زيارته الثانية كانت عوراً بهم، وكانت قصيرة، ولكن في هذه المرة (الثالثة)، لا يود أن تكون كالثانية مجرد زيارة عبور بل يود أن يُشقي (أربعة شهور) بينهم.

وبالفعل فإنه وصل كورنثوس في الزيارة الثالثة بعد مروره بمكدونية وقضاء طوال أشهر الصيف هناك لسنة ٥٧م، ومن هناك كتب رسالته الثانية لكورنثوس، ثم وصل كورنثوس في أول الشتاء سنة ٥٧م حيث كتب من هناك رسالته إلى أهل غلاطية، وترك كورنثوس في ربيع سنة ٥٨م بعد أن كتب رسالته إلى أهل رومية متجهاً إلى فيليب ثم إلى ميليتس حيث وصل أورشليم في الصيف سنة ٥٨م^(١).

البعثة التي انطلقت إلى مكدونية (فيلبي)

وأخائية (كورنثوس) قبل ذهاب بولس الرسول:

«أرسل إلى مكدونية اثنين من الذين كانوا يخدمونه تيموثاوس وأرسطوس (صحتها إراستس Erastus) « (أع: ١٩: ٢٢). وإراستس هذا هو القائم بوظيفة خازن مدينة كورنثوس، فسفره مع

9. Conybeare, *op. cit.*, p. 833.

تيموثاوس كان تحصیل حاصل لكي يقوم بخدمته الحكومية في كورنثوس. ويُستدل على ذلك من الاسم الذي ذكره بولس الرسول في رسالته إلى رومية التي كتبها في كورنثوس: «يَسَلِّمُ عَلَيْكُمْ غَايِسُ مُضَيِّفِي وَمُضَيِّفُ الْكَنِيسَةِ كُلِّهَا، يَسَلِّمُ عَلَيْكُمْ إِرَاسْتُسُ خَازِنُ الْمَدِينَةِ وَكَوَارِثُسُ الْأَح» (رو١٦: ٢٣). كذلك في الخطاب الذي كتبه بولس الرسول من رومية إلى تيموثاوس الذي كان آنشد قائماً بأعمال أسقف مدينة أفسس يقول له في الرسالة الثانية: «سَلِّمُ عَلَى قَرِيصْكَ وَأَكِيلَا وَبَيْتِ أَنْيَسِيفُورُوسَ، إِرَاسْتُسُ بَقِيَ فِي كُورِنْثُوسٍ ...» (٢تي ٤: ١٩)

وينبغي على القارئ أن يتذكر دائماً أن من مهام الرحلات التي قام بها بولس الرسول — وبالأكثر البعثات التي يرسلها أمامه — جمع الأموال والعطايا لفقراء اليهودية.

الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس:

+ «لَأَنِّي أُخْبِرْتُ عَنْكُمْ يَا إِخْوَتِي مِنْ أَهْلِ خُلُويِ Chloë = Χλόη أن بينكم خصوصيات» (١ كو: ١١)، وهي إحدى العائلات الكبيرة في كورنثوس. جاءوا إلى بولس الرسول كزيارة وهو في أفسس وأخبروه عن الانقسامات الحادة التي حدثت في كورنثوس بعد تركه إياها:

أولاً: جماعات جاءت من اليهودية ومن عند يعقوب الرسول ومعهم خطابات توصية قلبوا حال المدينة وصاروا يتحزبون لشخص بطرس الرسول، مُقَلِّينَ مِنْ قِيَمَةِ رَسُولِيَةِ بُولُسِ الرَّسُولِ. ثانياً: جماعة يتحزبون للمسيح رأساً بدون الانتماء لأحد ولا لبولس الرسول. ثالثاً: جماعة يتحزبون لأبولس الفيلسوف اليهودي الإسكندري الذي عنده أكيلَا وبريسكلا.

وهكذا انقسمت المدينة إلى ثلاثة أحزاب متناحرة، ولكن أخطرهم كان حزب أبولس، الذين بدأوا يفتخرون بعنصر الفلسفة (الحكمة) في تمسيرهم للإيمان المسيحي واستخدامهم اصطلاحات وألفاظ الفلاسفة، وكان هذا بداية حطر على الروح المسيحية التي لا تعتمد أصلاً على أفكار واصطلاحات الفلاسفة ذات الأصول الوثنية.

واليك صراخ بولس فيهم داخضاً كل حزب:

+ «واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لأبولس وأنا لصفَا (بطرس) وأنا للمسيح. هل انقسم المسيح؟ أَلْعَلْ بُولُسُ صُلِبَ لِأَجْلِكُمْ أَمْ بِاسْمِ بُولُسٍ اعْتَمَدْتُمْ؟...» (١ كو: ١٢ و١٣)

+ «... لا بُشْرَ لَا بِحِكْمَةِ كَلَامٍ لَثَلَا يَتَعَطَّلُ صَلِيبُ الْمَسِيحِ، فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ ... لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ سَأُبَيِّدُ حِكْمَةَ الْحُكَمَاءِ (فلسفة الفلاسفة) وَأَرْفُضُ فَهْمَ الْفُهَمَاءِ، أَيْنَ الْحَكِيمِ (الفيلسوف)؟ أَيْنَ الْكَاتِبِ؟ أَيْنَ مُبَاحِثِ هَذَا الدَّهْرِ؟ أَلَمْ يُجْهَلِ اللَّهُ حِكْمَةَ

(فلسفة) هذا العالم؟» (١ كور: ١٧-٢٠)

+ «فانظروا دعوتكم، أيها الإخوة، أن ليس كثيرون حكماء (فلاسفة) حسب الجسد...»
(١ كور: ٢٦)

+ «وأنما لما أتيت إليكم أيها الإخوة، أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة (الفلسفة) ...»
(١ كور: ١)

+ «وأما أنا فأقل شيء عندي أن يُحكّم في منكم أو من يوم بشر... الذي يحكم فيّ هو الرب. إذا لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سيثير خفايا الظلام (الموافرات التي تُحاك ضده في الظلام)، ويُظهر آراء القلوب (الخدمة المفروضة للإساءة إلى الآخرين)، وحينئذ يكون المدح (لبطرس أو يعقوب أو أبولس) لكل واحد من الله.» (١ كور: ٣-٥)

ولكن الحقيقة أن علاقة بولس الرسول بكل هؤلاء، وحتى بأبولس كانت في المسيح يسوع لا يشوبها شائبة. والعجيب أن أبولس هذا الذي بدأ يتعصب له قسم من أهل كورنثوس رفض أن يذهب مرة ثانية إليهم بالرغم من إلحاح بولس عليه: «وأما من جهة أبولس الأح فطلبت إليه كثيراً أن يأتي إليكم مع الإخوة ولم تكن له إرادة البتة أن يأتي الآن (بسبب ما سمعه من خصومات) ولكنه سيأتي متى توفّق الوقت.» (١ كور: ١٦: ١٢)

ولكن على العموم فالرسائل التي كتبها بولس الرسول لأهل كورنثوس، فإنه بالرغم مما فيها من ردود على الأمور المثقّلة للإيمان المسيحي في ذلك الوقت، إلا أن ردود بولس الرسول التي — وإن كانت في نظره ردوداً عاجلة وكأها حلول مؤقتة إلى حين أن يذهب ويعلم — فقد حفظت لنا مبادئ روحية وإيمانية ولاهوتية راسخة وأبدية هي لنا نور وحياة.

بقية الرحلة التبشيرية الثالثة من أفسس إلى شاطئ اليونان:

لقد ذكر بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس أنه بقي في أفسس حتى يوم الخمسين، وكان ذلك العيد لسنة ٥٧م: «وسأجيء إليكم (إلى كورنثوس) متى اجترأت بمكدونية لأنني أجتاز (الآن وقت كتابة الرسالة الأولى) بمكدونية، وربما أمكث عندكم أو أشقي أيضاً لكي تُشجعوني إلى حيثما أذهب. لأنني لست أريد أن أراكم في العبور. لأنني أرجو أن أمكث عندكم زماناً إن أُذِنَ الرب. ولكنني أمكث في أفسس إلى يوم الخمسين.» (١ كور: ١٦: ٥-٨)

إدأ، فقد غادر بولس الرسول أفسس بعد يوم الخمسين أي ربيع سنة ٥٧م متجهاً إلى الشمال: «وودعهم (في أفسس) وخرج ليذهب إلى مكدونية (برّا). ولما كان قد اجتاز في تلك النواحي وعظّم بكلام كثير جاء إلى هلاس (أي اليونان) فصرف ثلاثة أشهر.» (أع: ٢٠: ١-٣)

وهذا الوصف المختصر جداً والمتداخل والمقطوع الذي يجيء في سفر الأعمال، تكمّله الرسائل، ويكشف لنا بولس الرسول ما حدث في هذه المدة من فمه هو:

أولاً، بعد أن ترك أفسس انطلق إلى الشمال متنقلاً من مدينة إلى مدينة ومن جزيرة إلى جزيرة حتى جاء إلى تُروَاس، وذلك كما حدث في عودته في السنة التالية. ولا نعلم مَنْ الذي رافق بولس في سفره، ولكن نستقرئ من رحلة العودة من اليونان إلى شواطئ آسيا، أنه كان معه اثنان من أفسس وهما تيخيكس وتروفيمس، فهذا يعني أنهما رافقاه في الذهاب والعودة: «فراققه» (في رحلة العودة من اليونان) إلى آسيا سوباترس البيري (من بيرية) ومن أهل تسالونيكي أرسترخس، وسكوندس، وغايس اللّذبي (من دربة)، وتيموثاوس، ومن أهل آسيا تيخيكس وتروفيمس، هؤلاء سبقوا وانتظرونا في ترواس.» (أع ٢٠: ٥٤ و٥٥)

والملاحظ أن تيخيكس Tychicus، وتروفيمس Trophimus ظلّا تابعتين لبولس الرسول حتى النهاية، أمينتين غاية الأمانة، مُصحّحتين كل تضحية حتى إلى الموت. ولتابعة تيخيكس نقرأ الآتي:

+ «ولكن لكي تعلموا أنتم أيضاً أحوالي ماذا أفعل، يعرفكم بكل شيء تيخيكس الأخ الحبيب والخدام (الشماس) الأمين في الرب الذي أرسلته إليكم لهذا بعينه لكي تعلموا أحوالنا ولكي يُعزّي قلوبكم.» (أف ٦: ٢١ و٢٢)

+ «جميع أحوالي سيُعرفكم بها تيخيكس الأخ الحبيب والخدام (الشماس) الأمين والعبد معنا في الرب الذي أرسلته إليكم لهذا عينة ليتعرف أحوالكم ويعزّي قلوبكم.» (كو ٤: ٨ و٧)

+ «أما تيخيكس فقد أرسلته إلى أفسس.» (٢ تي ٤: ١٢)

+ «حينما أرسل إليك أرتيماس أو تيخيكس بادِر أن تأتي إليّ...» (ني ٣: ١٢)

أما عن تروفيمس فنقرأ كيف كان ملازماً لبولس الرسول في أخطر وقت في أورشليم:

+ «لأنهم كانوا قد رأوا معه في المدينة تروفيمس الأفسسي فكانوا يظنون أن بولس أذاعه إلى الهيكل.» (أع ٢١: ٢٩)

+ «أما تروفيمس فتركته في ميليتس مريضاً.» (٢ تي ٤: ٢١)

وهكذا يتضح لنا جهاد هذين الجندين اللذين أكملنا مع بولس الرسول وضع حياتهما لخدمة الإنجيل. وهكذا يليق بهما ويليق بنا أن نذكر ونُكرّم هذين القديسين ونحفظ اسميهما، بل جليلهما علينا وعلى الكنيسة كلها.

بولس الرسول في ترواس:

مع هذين الأخين الكرميين وغيرها جاء بولس الرسول إلى ترواس بحرراً. ونحن لا ننسى ترواس نقطة الانطلاق الأولى من آسيا إلى أوروبا في كرازة بولس بحسب تدبير نعمة الله وقيادة الروح القدس، ففيها رأى الرؤيا والمكدوني الذي يتوسل إليه: «أعبر إلينا وأعتنا» (أنظر صفحة ٦٣٤). لم يتوقف بولس الرسول كثيراً في زيارته الأولى لهذه المدينة، ولكنه وضع في قلبه، أو وضع الروح القدس في تدبيره، أن تكون كنيسة في هذه المدينة. لذلك صمم بولس هذه المرة أن يمكث فيها زماناً ليؤسس خدمة ثابتة للمسيح والإنجيل: «ولكن لما جئتُ إلى ترواس لأجل إنجيل المسيح وانفتح لي باب في الرب، لم تكن لي راحة في روحي لأنني لم أجد تيطس أخي، لكن ودّعتهُم فخرجتُ إلى مكدونية.» (٢ كور: ٢: ١٢ و١٣)

لماذا كان بولس الرسول في قلق على تيطس

لما جعله يسوع في ترك ترواس ويتجه إلى مكدونية؟

كان بولس الرسول قد أرسل تيطس من أفسس إلى كورنثوس لعدة أسباب، أهمها أن يطمئن على أحوال هذه الكنيسة التي أزعجت روحه، بسبب الانقسامات الشديدة والخصومات التي سببها ورود مؤمنين يهود من اليهودية متعصبين للقديس بطرس وللقدس يقفون ضد رسولية بولس بسبب تبشيره بإنجيل المسيح بلا ناموس ولا نختان، ومنازعات ومباحثات وانقسامات بسبب خدمة أبولس التي أسسها على مبادئ ونظريات فلسفية، وشناعات وملفات وقصائح بسبب الدين الخرج سيرتهم برائحتهما النجسة وسط الكنيسة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى مهمة للغاية تلك هي العهد والوعد اللذان قطعهما القديس بولس على نفسه أن يذكر فقراء القديسين في اليهودية بالمساعدات المالية، فكانت مهمة تيطس جمع ما يمكن جمعه من هذه الكنائس المتيسرة الحال لحساب قديسي الله في اليهودية. ويبدو أن بولس الرسول كان على ميّاد مع تيطس وأزف المهاد. ولهذا لمعت الأفكار بروح بولس الرسول خاصة أحوال الكنيسة الفانية لتلا يكون الشيطان قد فتك بها.

هذا لم يمنع بولس الرسول من بذل أقصى جهده في الكرازة بإنجيل المسيح في ترواس، خاصة لما ظهرت علامات القبول من اليهود والانضمام بغيرة ونشاط: «وانفتح لي باب في الرب».

وتحت ضغط القلق على تيطس ودّع أهل ترواس وادّعى في قلبه العودة إليهم؛ الأمر الذي تمّمه بالفعل بعد ذلك بكثير.

بولس الرسول في مكدونية (فيلبي)،

تنفّرج أزمته بحضور تيطس:

«وودعهم وخرج ليذهب إلى مكدونية.» (أع ٢٠: ١)

يُلاحَظ دائماً أن القديس لوقا يعني بمكدونية مدينة فيلبي بالأساس. إذا فقد أبحر بولس الرسول ومعه تسيخيكس وتروفيئوس من ترواس إلى نيابوليس وهي ميناء فيلبي متجهاً مباشرة إلى فيلبي. وكان من المنتظر أن ينطلق بعد ذلك مباشرة نحو كورنثوس التي هي مصدر قلقه، ولكن لأهمية فيلبي عند بولس الرسول مكث مدة فيها خاصة وأنه كان يحمل همّ جمع الأموال لأورشليم. ولكن تبدد القلق فجأة بوصول تيطس إلى فيلبي: «لأننا لما أتينا إلى مكدونية (فيلبي) لم يكن لجسدنا شيء من الراحة بل كنا مكثبين في كل شيء من خارج خصومات (كورنثوس)، من داخل مخاوف (في فكر بولس)، لكن الله الذي يُعزّي المتضعين عزّافاً بمجيء تيطس وليس بمجيئه فقط بل أيضاً بالتعزية التي تعرّى بها بسببكم، وهو يخبرنا بشوقكم ونوحكم وغيرتكم لأجلي حتى إنني فرحت أكثر، لأنني وإن كنت قد أحزنتكم بالرسالة لست أندم مع أنني ندمت.» (٢ كو ٧: ٨-٥)

ولكن يلاحظ أن فيلبي كانت سخيّة في عطاياها لبولس الرسول، بل كان بولس يأخذ من فيلبي ويصرف على الخدمة وعلى نفسه في كورنثوس!! اسمع ما يقوله لأهل كورنثوس: «سأبث كنائس أخرى آخذاً أجرة لأجل خدمتكم، وإذ كنت حاضراً عندكم واحتجت لم أثقل على أحد لأن احتياجي سدّه الإخوة الذين أتوا من مكدونية (فيلبي). وفي كل شيء حفظت نفسي غير ثقيل عليكم وسأحفظها.» (٢ كو ١١: ٨ و ٩)

وبالملاحظة لا بد أن يحس القارئ المدقّق بمشاعر بولس عامة من رسائله أن أهل فيلبي كانوا على أعلى مستوى من دماء الأخلاق واللطف والعطف والسحاء، حيّا الله أرواحهم في السماء!!! والفيلبيون كانوا من دون الكنائس جميعها ومنذ بدء خدمته لهم، الوحيدون الذين ضُغطوا على بولس الرسول وبإلحاح أن يقبل عطاياهم. وفي البداية وهو في تسالونيكي أرسلوا إليه مرتين من سخاء عطاياهم: «غير أنكم فعلتم حسناً إذ اشركتم في ضيقتي. وأنتم أيضاً تعلمون أيها الفيلبيون أنه في بداءة الإنجيل لما خرجت من مكدونية لم تشاركني كنيسة واحدة في حساب العطاء والأخذ إلا أنتم وحدكم، فإنكم في تسالونيكي أيضاً أرسلتم إليّ مرة ومرتين لحاجتي ... قد امتلأت إذ قبلت من أثفرودتس الأشياء التي من عندكم نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله. فيملاً إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع» (في ٤: ١٤-١٩). وسبق أن رأينا أن في

كورنثوس حدث نفس الشيء: «لأن احتياجي مدَّة الإخوة الذين أتوا من مكدونية (فيلبي).» (٢ كور ١١: ٩)

ولا يظن القارئ أن أهل كنيسة فيلبي كانوا أغنياء، فالقرينة تثبت أنهم كانوا فقراء، ولكنهم كانوا مسيحيين أسخياء. اسمع بولس الرسول وهو يصف فقرهم وغناهم بأن واحد وذلك للكورنثيين:

+ «ثم نعرفكم أيها الإخوة نعمة الله المعطاة في كنائس مكدونية، أنه في اختبار ضيقة شديدة (ألمت ببولس) فاض وفور فرحهم وفقرهم العميق، لغنى سخائهم!! لأنهم أعطوا حسب الطاقة، أنا أشهد ووق الطاقة، من تلقاء أنفسهم ملتحمين منا بطلبة كثيرة أن نسل النعمة وشركة الخدمة التي للقديسين...» (٢ كور ٨: ١-٤)

وإيمان أهل فيلبي اختبر بالنار، فُتقد أنهم اتَّهموا أمام القانون الروماني بتهمة خطيرة وهي: «إنشاء دين جديد ومحرَّم Religio nova et illicita». لذلك وقعوا تحت آلام الإيمان:

+ «لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح، لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله، إذ لكم الجهاد عينه الذي رأيتموه في» (إنشاء دين جديد محرَّم في نظر اليهود الذي بسببه وقع تحت الاضطهاد كل أيام حياته) و (إلى الآن نسمون في).» (في ١: ٢٩ و ٣٠)

الرسالة الثانية لأهل كورنثوس

يكتبها القديس بولس من فيلبي بيد تيطس:

على ضوء الرسالة الثانية لأهل كورنثوس التي كتبها بولس الرسول في فيلبي والتي كتبها بناءً على الأخبار التي استقها تيطس من أحوال الكنيسة هناك وسلمها لبولس الرسول، نستطيع أن نتبين ما قاله تيطس في عجالة:

أولاً: الأخبار المظلمة:

وهي أكثر من طيبة بالنسبة للذي كان ينتظره. فعالية الشعب في الكنيسة خضع للتوصيات والإنذارات، وقدموا التوبة الصادقة وبانفعال عن الخطايا التي كانوا قد اقترفوها، وقبلوا الحرم الذي أوقفه على الأخ الذي كان يمارس معاشرته زوجة أبيه، وأظهروا استعداداً سريعاً لجمع الأموال لفقراء أورشليم كما طلب منهم.

ثانياً: الأخبار الحزينة:

أما الأقلية التي بدأت بالمعارضة والمقاومة فازدادت في غيهاً وازدادت في مرارة سخطها، ولم تمأ بخضوع كل الجماعة وبالروح الإيجابية التي سرَّت بين الكنيسة كلها.

فقد بدأوا يتهمون بولس الرسول باتهامات صوّرها لهم الشيطان على يد أشخاص اندسوا في وسطهم، كانوا قد أتوا من أورشليم، يهود متعصبين للختان والناموس (١). ولكنهم إذ لم يجدوا فرصة لاستخدام هذه الأسلحة بدأوا يهدمون الخدمة من أساسها، مدعين أن بولس ليس من ضمن الرسل. واتهموه بالاحتيايل في خدمته، والذاتية والأنانية، والارتزاق منهم، باعتبار أن جمع الأموال هو أصلاً لحسابه؛ الأمر الذي احتاط له بولس إزاء اتهامهم القبيح والحسيس: «ومتى حضرتُ فالذين تستحسنونهم أرسلهم برسائل ليحملوا إحسابكم إلى أورشليم» (١ كو ١٦: ٣)، وأن بولس منتفعٌ «على الفاضي» وفظٌّ مع أنه ضعيف وجبان، دائماً يهدد ولا ينقذ، ويعدُّ دون أن يوفي، دائماً يلوح بأنه سيأتي إلى كورنثوس ولا يجزؤ أن يأتي، وهو متردد في تعليمه كما هو متردد في أعماله، يرفض أن يختن نيطس ثم يختن تيموثاوس، وبولس يكون يهودياً مع اليهود ثم أمياً مع الأميين (معهم معهم وعليهم عليهم).

وكان من الأمور المحزنة أن يتبين بولس الرسول الدوافع التي دفعت هؤلاء الأفراد إلى هذا السلوك، بل وأيضاً من الضرورة أن نعرفها نحن أيضاً بوضوح. فبولس الرسول استقر على أن:

(أ) هؤلاء يهود تماماً: «ألم عبرانيون فأنا أيضاً، ألم إسرائيليون فأنا أيضاً، ألم نسل إبراهيم فأنا أيضاً، ألم خدام المسيح أقول — كمختلِّ العقل — فأنا أفضل ...» (٢ كو ١١: ٢٢)

(ب) أن هؤلاء الأفراد تقودهم إرسالية أتت من فلسطين: «فإيه إن كان الآتي يكرز يسوع آخراً لم نكرز به أو كنتم بأخذون روحاً آخراً لم تأخذوه أو إنجيلاً آخر لم تقبلوه، محسناً كنتم تحتملون. لأنني أحسب أنني لم أنقص شيئاً عن فائقي (أفضل) الرسل.» (٢ كو ١١: ٥٤)

(ج) وأن هذا الرسول الآتي من أورشليم جاء ومعه خطاب توصية من كنيسة أورشليم: «أفنبديءُ فمدح أنفسنا، أم لعلنا نحتاج — كقوم — رسائل توصية إليكم أو رسائل توصية منكم.» (٢ كو ٣: ١)

(د) وأن هذا الرسول الآتي من أورشليم يفتخر بأنه كانت له علاقة بالمسيح نفسه (٢ كو ١١: ٢٢).
(هـ) يصفه بولس الرسول بالافتخار: «بما أن كثيرين يفتخرون حسب الجسد، أفتخر أنا أيضاً.» (٢ كو ١١: ١٨)

(و) أن هذا ابتداء يؤثر في نفوس الكورنثيين ويقنعهم بأهميته وتفوقه على بولس الرسول وذلك باستخدام الخداع والإغراء والتعالي والجرأة والشجاعة الوهمية الكاذبة، أي البشرية: «لأنكم

تحتملون إن كان أحد يستعبدكم، إن كان أحد يأكلكم، إن كان أحد يأخذكم، إن كان أحد يرتفع، إن كان أحد يضربكم على وجوهكم ...» (٢ كور ١١: ٢٠)؛ «ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحية حواء بمكرها، هكذا تُفسد أذهانكم عن البسطة التي في المسيح.» (٢ كور ١١: ٣)

وأخيراً يقرر بولس الرسول بحسب كل هذه الأوصاف من جهة أخلاق هؤلاء القادمين من أورشليم لهدم إيمان كنيسة كورنثوس أنهم: «رُسل كذبة، فعلة ما كرون مُغيرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح.» (٢ كور ١١: ١٣)

بعثة تحمل رسالة إلى كورنثوس وتكمل سعيها لجمع تبرعات لأورشليم:

ما أن أكمل تيطس تسليم إخباريته الدقيقة التي تحمل المنفرح والحزن، حتى شكّل بولس الرسول إرسالية بقيادة تيطس نفسه ليعود إلى كورنثوس ومعه الرسالة الثانية إلى أهل هذه المدينة: + «ولكن شكراً لله الذي جعل هذا الاجتهاد عينه لأجلكم في قلب تيطس، لأنه قَبِلَ الطلبة. وإذا كان أكثر اجتهاداً مهي إليكم من تلقاء نفسه وأرسلنا معه الأخ الذي قدّمه في الإنجيل في جميع الكنائس، وليس ذلك فقط بل هو محتجب أيضاً من الكنائس رغباً لنا في السفر ...» (٢ كور ٨: ١٦-١٩)

+ «وأرسلنا معهما أثنانا الذي اختبرنا مراراً في أمور كثيرة أنه مجتهد، ولكنه الآن أشدّ اجتهاداً كثيراً بالثقة الكثيرة بكم، أما من جهة تيطس فهو شريك لي وعامل معي لأجلكم. وأما أنخوانا، فهما رسولاً الكنائس وبمجد المسيح، فبينا لهم وقدام الكنائس بيّنة محبتكم وافتخارنا من جهتكم.» (٢ كور ٨: ٢٢-٢٤)

منّ ها هذان الرفيقان المدوحان؟ لا أحد يعلم!!

ولكن واضح من نص الرسالة إلى كورنثوس الثانية أنها أرسلت إلى كل كنائس أحتانية ما فيها سيسميون Cychon، وأرجوس Argos، وميجارا Megara، وسانتريا Patrea بما فيها أثينا أيضاً وكنخريا^(١).

ويتضح من الرسالة أنها تفيض بحبة وثقة واحتراماً للأغلبية الخاضعة المطيعة في المسيح والإيمان. وأيضاً فيها التحذير والإيدار والمهوم العنيف على المشايخين والمضللين والمزيفين، سواء المدسوسين من فلسطين أو الذين انضموا لهم وصاروا أدوات هدم شنيعة.

بولس الرسول يتعوق قصداً في تجواله في شمال اليونان — حتى إلى إليريكون —
للخدمة وبانتظار تهدئة الحال في كورنثوس:

بعد سفر تيطس على رأس البعثة إلى نواحي أخائية (جنوب اليونان)، انطلق هو يخدم باهتمام في شمال اليونان في منطقة مكدونيه وما حولها وشمالها، وكانت له فرصة مواتية أن يكمل ما ابتدأه في فيليبس التي اضطر إلى الخروج منها، في الرحلة الثانية، على عجل هرباً من إحكام الحصار عليه (أنظر صفحة ٦٣٤ — ٦٣٨)، كذلك تركه لتسالونيكي لنفس سبب الاضطهاد ثم تركه أيضاً إلى بيريّة والنزول في البحر سريعاً والاتجاه إلى أثينا (أنظر صفحة ٦٤٠ و٦٤١). فالآن، بولس الرسول يعوِّض عن نقص هذه الخدمة، فالوقت كان مهياً له.

وهناك إشارة واضحة في رسالة رومية أن في هذه الإرسالية الثالثة للكراسة في اليونان انطلق شمالاً وباتجاه بحر الأدرياتيك، واخترق سلسلة الجبال الشمالية ودخل نواحي مقاطعة إليريكون ومدن الساحل على بحر الأدرياتيك شمالاً: «لأنني لا أجسر أن أتكلم عن شيء مما لم يفعله المسيح بواسطتي لأجل إطاعة الأمم بالقول والفعل، بقوة آيات وعجائب، بقوة روح الله حتى إني من أورشليم وما حولها إلى إليريكون قد أكملتُ التبشير بإنجيل المسيح.» (رو ١٥: ١٨ و١٩)

وليس إليريكون فقط بل وإلى المنطقة الأبعد شمالاً، وهي دلماطية، وهذه مذكورة في رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس، وهذا يكشف تعدد الإرساليات التي أرسلها إلى هذه المناطق: «ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي، وكريسكيس إلى غلاطية، وتيطس إلى دلماطية» (٢ تي ٤: ١٠). ودلماطية، بحسب العالم كونيبيز، هي في شمال إليريكون.

ومعروف أن موقع مقاطعة إليريكون Illyricum هي في الشمال الغربي من مكدونيه (١٢) (أنظر الخريطة). ومعني الزمن ضاع اسم إليريكون وصارت كلمة «دلماطية» تفيد المنطقة بأكملها وهي التي صارت باسم البوسنيا وكرواتيا وألبانيا فيما بعد. ولكن من القول الذي قاله بولس الرسول بخصوص أنه ينوي أن يقضي الشتاء في نيكوبوليس، يتضح لنا أن إليريكون ممتدة نحو الجنوب على ساحل الأدرياتيك، لأن نيكوبوليس هي في مقاطعة إيروس Epiros المقابلة لمقاطعة أخائية غرباً (أنظر الخريطة): «حينما أرسل إليك أرتيماس أو تيخيكس بادر أن تأتي إليّ إلى نيكوبوليس لأنني عزمْتُ أن أشتي هناك» (١٢: ٣ تي). ومن نيكوبوليس يسهل على بولس الرسول الانطلاق شمالاً إلى إليريكون ودلماطية.

ولكن للأسف لا يمدُّنا سفر الأعمال ولا الرسائل بشيء عن خدمة بولس الرسول في هذه المناطق، مما جعل العلماء يحتزلون الجهد ويقولون إن بولس الرسول إنما ذكر هذه الأسماء دون أن يعني أنه دخلها أو خدم فيها، وهذا لا نوافق عليه. فالذي ضيَّعه التاريخ لا يضيِّعه الله.

وأخيراً بولس الرسول في طريقه إلى كورنثوس في بؤادر الشتاء:

كانت هذه أمنية من أمنيات بولس الرسول، أنه بعد أن يطمئن على كنائس مكدونية وأخائية ينطلق إلى اورشليم حاملاً هدايا الأمم لفقراء القديسين: «لأن أهل مكدونية وأخائية استحسنوا أن يصنعوا توزيعاً لفقراء القديسين الذين في اورشليم، استحسنوا ذلك، وإنهم هم مديونون. لأنه إن كان الأمم قد اشتركوا في روحياتهم يجب عليهم أن يخدموهم في الجسديات أيضاً. فمتى أكملت ذلك وختمتُ لهم هذا الثمر، فسأضفي ماراً بكم إلى أسبانيا.» (رو ١٥: ٢٦-٢٨)

وكان بولس الرسول كان على علم وإحساس أنها آخر زيارة للأمم وآخر زيارة لأورشليم، إذ يقول إنه: «يختم لهم هذا الثمر» أي يختم خدمته بين الأمم!! أما أسبانيا فرمما كانت في أحلامه قد اختلطت بأورشليم السماوية.

نعم، بولس الرسول كان على يقين أنه يختم أعماله في آسيا واليونان، فهو يخاطب أهل روما هكذا: «وأما الآن فإذا ليس لي مكان بعد في هذه الأقاليم، ولي اشتياق إلى المجيء إليكم منذ سنين كثيرة...» (رو ١٥: ٢٣)

شيء واحد كان ينقص حياة بولس الرسول حتى آخر لحظة من حياته: اليهود!! فهو يكتب إلى أهل رومية: «فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وعمية الروح أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله لكي أثقذ من الذين هم غير مؤمنين في اليهودية...» (رو ١٥: ٣٠-٣١)

بولس الرسول في كورنثوس:

كان قد دخل الشتاء لما دخل بولس بوابة كورنثوس من الغرب آتياً من رحلاته في الشمال. وكانت عبوسة الشتاء تضيف شيئاً على عبوسة الرؤيا في قلب بولس من جهة المعاندين الذين ينتظرونه والخطاة الذين لم يتوبوا. وهو الآن قادم، لا لعتاب على مستوى خطاب، بل مُهدداً بالعقاب: «قد سبقتُ فقلتُ، وأسبقُ فأقول، كما وأنا حاضر المرة الثانية وأنا غائب الآن أكتب للذين أخطأوا من قبل ولجميع الباقين، أنني إذا جئت أيضاً لا أشفق» (٢ كو ١٣: ٢)،

«ومستعدين لأن ننتقم على كل عصيان متى كملت طاعتكم.» (٢كو١: ٦)

سحابة قاتمة آتية من الشرق وصلت كورنثوس قبل أن يصلها بولس الرسول:

ما أن دخل بولس الرسول أبواب كورنثوس، إلا وقدموا إليه إخباريات وصلت على جناح السرعة غير أفسس في الشرق وآتية من غلاطية، تعيد أن الكنيسة انقلبت على مَرَّ فيها بواسطة بعثة نكدية أنت من اليهودية وقامت ببتِّ تعاليمها المضادة لكراتة بولس الرسول، وردَّتْهم عن الإيمان «بمسيح النعمة» ووضعوا بدلاً منه مسيح بل مُسَحَّاء الحُتَّان والناموس والخلال والسهب، ولا تُدَقُّ ولا تشم ولا قس، وغيرها من نوافل عبادة كانت قد شاخنت ودخلت حدود الاضمحلال.

والذي أحب نفس بولس جداً أن غالبية المؤمنين في غلاطية سطاء، وكلُّهم أميون، واليهود المنتصرون فيهم قِلَّة لا تُذكر. فالحسارة كبيرة وعسيرة على النفس التي تعبت فيهم حتى أحصرتهم أمام الله قديسين وبلا لوم في محبة المسيح: «لكن حينئذ إذ كنتم لا تعرفون الله استعبدتم للذين ليسوا بالطبيعة آله. وأما الآن إذ عرفتم الله بل بالحرى عُرفتم من الله، فكيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تريدون أن تُشعِّدوا لها من جديد. أتعظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين؟ أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً.» (غل ٤: ٨-١١)

ولم تكن الضربة التي صوبها هؤلاء اليهود الزاحفون من أورشليم هي مجرد صدمة نحو إيمانهم بالمسيح والنعمة والخللاص المجاني، بل بالأكثر والأساس هي موجّهة ضد بولس الرسول نفسه لتعطيم عناصر الإيمان المسيحي الذي يكرز به بين الأمم، كمحاولة لسحق خدمته، أو مسيحه إن جاز هذا، بل قد جاز في وُهمهم وعماهم وحقدهم.

وكل غلاطي ختنوه، حسوه فخراً لهم ونصراً لليهود وليس للناموس، وكأنهم اختطفوه من يد المسيح: «لأن الذين يحننون هم لا يحفظون الناموس بل يريدون أن تحتبوا أنتم لكي يفتخروا في جسدكم.» (غل ٦: ١٣)

بولس يكتب في بدء إقامته في كورنثوس لثالث مرة

أول خطاب للغلاطيين (١٣):

من فاتحة الرسالة يتبين بغاية الوضوح كيف أثرت في نفسية بولس الرسول هذه الردة عن الإيمان الصادق بالمسيح للعودة إلى عبودية الناموس والختان. فواضح عنصر العقبة التي بادربها بالكتابة

(١٣) سبق أن عرضنا ظروف كتابة هذه الرسالة في ص ٣٣٦ وما يليها.

قبل أن يستفحل الخراب، وعنصر الضيق بسبب تصرف المؤمنين هكذا سريعاً بعد عمق الإيمان الذي عاشوه وأحبّوه، بل وواضح أيضاً عنصر الشدة في الكلام بما يتناسب مع عنصر الجهالة التي استمالت قلوبهم إلى تبذّر الإيمان الصحيح: «إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر، ليس هو آخر — غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون أن يحوّلوا إنجيل المسيح.» (غل ١: ٧ و٦)

أعمال بولس الرسول الأخيرة في كورنثوس:

كان أول عمل فرض نفسه على القديس بولس بدخوله كورنثوس هو أن يحّد ويحصر نشاط المخالفين للإيمان إن استحال استمالتهم للحق. وقد كانوا فريقين: الفريق الأول: وهم الذين أحلّوا أنفسهم من أي قانون خلقي Antinomian، وبعد ذلك يدّعون أنهم روحانيون باعتبار أن القوانين إنما مفروضة على الجسد فقط فلا قيمة لها.

والفريق الآخر، وهو الأقل عدداً والأكثر بجاجة وفضاظة وتعدياً وهم المتهوّدون الجدد الذين بعد أن قبلوا المسيحية بالنعمة عادوا إلى الناموس، بتأثير البعثة من أورشليم التي اندثرت في وسطهم حاملة الدعوة إلى العودة للناموس بالنسبة لمسيحيي الأمم. وأساس محاربتهم يقوم على جحد رسولية بولس وشجب الإيمان الذي ينادي به باعتباره هرطقة يهودية.

والأسوأ من الكل والذي يؤكد بطلان دعوة كل منهما، أنهما (أي الفريقين)، وبالرغم من البعد الشاسع بين المبدأ المنحل عن الأخلاق والقانون (نوموس) وبين المبدأ المتمسك بالناموس والتدقيق في مفرداته، إلّا أنهما اتحداً معاً في مقاومة بولس الرسول كمحاولة للسيطرة على مجرى الأمور في الكنيسة.

وكان الشيء الذي وضعه بولس الرسول نُصَبَ عينيه هو أن يعيد الهدوء والنقاوة الإيمانية إلى الكنيسة بالنعمة التي وقرّها له الله بسخاء.

وهكذا ابتداءً أولاً يثبت صحة رسوليته وهكذا يُنْظَل ورقة الشغب التي يلعب بها المتهوّدون ضد الإيمان المسيحي، وهذا هو الأهم عند بولس الرسول:

+ «قد صرْتُ غيباً وأنا أفتخر. أنتم الزمّثوني. لأنه كان ينبغي أن أمدح منكم إذ لم أنقص شيئاً عن فائقي الرسل، وإن كنت لست شيئاً. إن علامات الرسول صُنعت بينكم في كل صبر بآيات وعجائب وقوای.» (١ كور ٢: ١٢ و١١)

+ «أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فيّ الذي ليس ضعيفاً لكم بل قويّ فيكم، لأنه وإن كان

قد ضُلب من ضعف، لكنه حيٌّ بقوة الله، فنحن أيضاً ضعفاء فيه لكننا سنحيا معه
بقوة الله من جهتك.» (٢ كو ١٣: ٤ و ٣)

هذا الكلام سبق وأن كتبه بولس الرسول لهم في رسالته الثالثة قبل أن يذهب إليهم وهو الآن
بينهم، ونحن أخذنا هذه الآيات كنموذج بالضرورة لما قاله بولس الرسول لهم في هذه الزيارة
الأخيرة لأنه لم يُسجل منها شيء على الإطلاق لا في سفر الأعمال ولا في الرسائل عامة.

وفي الحقيقة، فإن القديس بولس في موقفه هذا، كان يحتاج إلى موازنة سماوية تماماً كالتي
حصل عليها إيليا في مواجهة الأنبياء الكذبة المدسوسين عليه من إيزابل امرأة الشيطان. ولكن
سلطان الله أقوى من كل سلطان:
+ «فإنني وإن افتخرتُ شيئاً أكثر بسلطاننا الذي أعطانا إياه الرب لنيانكم لا لهدمكم، لا
أعجل.» (٢ كو ١٠: ٨)

لهذا نعتقد أن قوة غير عادية آزرت بولس الرسول في هدم هذا العلو المرتفع ضد معرفة الله
والمسيح، وأنه استطاع أن يستأسر فكرهم إلى طاعة المسيح بقوة الروح. أما هؤلاء المندسئون بينهم
من أورشليم لقلوب إيمانهم، فإن لم يكونوا قد انسحبوا قبل مجيئه، فحتماً لبسهم العار والحزني
وخرجوا مدحورين.

ونحن، وإذ كنا في غاية الاشتياق أن نعلم ماذا تم بعد رحلة بولس الرسول وأعماله الأخيرة في
كورنثوس، بينما سفر الأعمال لا يعطي إشارة، ولا الرسائل نفصح عن شيء، إلا أن الله قيض لنا
كليمندس الروماني زميل بولس الرسول في الخدمة والجهاد والدموع: «نعم أسألك أنت أيضاً يا
شريك المخلص ساعد هاتين اللتين جاهدتا معي في الإنجيل مع أكليمندس أيضاً وباقي العاملين
معي الذين أسماؤهم في سفر الحياة.» (١ تي ٤: ٣)

كليمندس هذا الذي اسمه بالحق في سفر الحياة يجبرنا الخبر اليقين أن كورنثوس بعد بولس
الرسول لبست حلة البهاء والمجد، قصار أهلها من أنقى المؤمنين عقيدة وإيماناً وشرفاً وطهارة،
واشتهرت نساء كورنثوس بالتعفف والطهارة، وسكنت الفضيلة كنيسة كورنثوس عوض الزنى
والرذيلة. ويقول كليمندس إن إيمان هذه الكنيسة بلغ من النضوج والصحة مبلغه المسيحي
الأمثل^(١٤). حيّاً الله أهل كورنثوس في السماء ومتهمهم ببولس في السموات العلا، ليكونوا برفقته

(١٤) راجع رسالة كليمندس الروماني.

وفي الحقيقة، ومن واقع تحقيقات رسائل القديس كليمنس الروماني، تكون كورنثوس قد أسست بالفعل نواة القداسة في أوروبا والإيمان الراجع الصحيح.

ولم تَدُم زيارة بولس الرسول لكورنثوس سوى ثلاثة أشهر بحسب سفر الأعمال (٢٠: ٣).

بولس الرسول يكتب من كورنثوس رسالته الكبرى إلى روما ويرسلها على يد فيبي (١٥):

بينما بولس الرسول يُحَضِّر لرحلة العودة لأورشليم، انتهاز فرصة قيام إحدى أعضاء كنيسة كنخريا البارزات «فيبي»، الأرملة ذات الشخصية والصيت والغنى، بالسفر إلى روما في عيطة أعمالها الخاصة وكتب رسالته إلى روما:

+ «أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة (شماسة) الكنيسة التي في كنخريا، كي تقبلوها في الرب كما يحق للقديسين، وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منهم، لأنها صارت مساعدةً لكثيرين ولي أنا أيضاً.» (رو١٦: ٢١)

أما الأمور المستعجلة التي قامت من أجلها فيبي إلى روما، وأما المساعدة التي كانت ربما تحتاجها من أهل رومية، فهي أمور خاصة بقضية من القضايا وذلك بحسب ما تُفَصِّر اللغة: «في أي شيء احتاجته منكم».

أما سبب كتابة هذه الرسالة إلى رومية، فهو أساساً ليعدّ له في نفوسهم مكاناً ويعدّ نفوسهم للإيمان الذي أحبه وصار حياته وعزاه وعمله ورجاه: «لنتعزّى بينكم بالإيمان الذي فينا جميعاً إيمانكم وإيماني.» (رو١٦: ١٢)

وكان قد تشاهى إلى علم بولس الرسول مستوى الإيمان العالي والسليم الذي كان عاملاً في قلوب كنيسة روما، لذلك بادهم عمقاً وعمق دون أن يعتبر نفسه متعالياً أو متطفلاً عليهم. ولكن، ليس هذا كان من رحمة الله علينا؟ لأن بولس الرسول كتب الرسالة إلى رومية وقدمه لم تَطَأ أرض الكنيسة هناك، بل من حَبَس إلى قبض إلى حبس إلى موت! لقد كتبها لكنيسة الأجيال، للكنيسة الخالدة. فهي أطول رسائله وأكثرها عمقاً وترتيباً وعرضاً للإيمان المسيحي من كل جوانبه، مع اختبارات إيمانية عالية.

(١٥) راجع ما جاء عن الرسالة إلى رومية في ص ٣٤٣ وما يليها.
وقد كتبنا شرحاً تفصيلياً لهذه الرسالة سيصدر عن قريب إن شاء الله.

لقد استجمع بولس الرسول لكتابة هذه الرسالة التي يَكُنْ لأهلها الاحترام والتوقير - معرفته العميقة بالمسيح، وعرض فيها خبراته الإيمانية في شكل عقيدة بإيجاز بليغ.

كما استلهم من الروح القدس كل الإعلانات التي يمكن أن تصلح لتكميل إيمان مسيحي موقلد الأركان. ففيها يعطي تفسيراً قوياً لعقيدة التبرير بالإيمان يكاد يكون كاملاً مكتملاً، ولأول مرة في محيط الفكر الكنسي؛

ثم يقدم عقيدة الاتحاد بالمسيح بالروح في موته وحياته؛

ويستقدم في خبرة الإيمان ليحصل على حلول المسيح نفسه في القلب بالإيمان، وأننا إذ تصالحنا بموت المسيح مع الله، وهو الآن حي، فنحن سنخلص حتماً بحياته، بل ونملك في الحياة معه بالنعمة الفائضة منه؛

وفي قيامته الممجدة استعلن أنه هو ابن الله الممجّد، الذي وهبنا بقيامته قيامة وحرية من عبودية قديمة، وأقلنا لشركة بنوته وميراثه الخاص كابن في الله، وذلك بشهادة تصديق ناطقة بالروح القدس بل صارخة في قلوبنا أننا أناء الله وقد صار لنا الحق في أبوته لكي نناديه يا أبا الآب؛ ولأننا في حرب مع العالم فلا بد أن تقلب أعضاء جسدنا كلها إلى أسلحة نحارب بها الخطيئة لحساب المسيح، فتصير أعضاؤنا بذلك مرّة من داخل الألم والمعاناة وصلب الجسد.

فنحن مدعوون من العالم وبواسطة اضطهاد العالم ورئيسه إلى نفس صليب المسيح الذي إذاً نجوز به بقوة صليب المسيح نحسب أننا ضلينا معه. وإذا تغلب بقوة غلبته، ننال قوة قيامته لبشارة حياة جديدة يصير فيها المسيح حياتنا. والذي لم يشفق على ابنه بل بدله فمات من أجلنا، كيف لا يهبنا معه كل ما للحياة؟ والذي أحبنا ومات من أجلنا، من ذا الذي وماذا يقدر أن يفصلنا عنه وعن محبته؟ حتى الموت مرحباً به لأنه لن يفصلنا عنه بل يوصلنا إليه. لذلك، نحن نموت كل يوم بدافع الحب له، لأننا من داخل موتنا نعرف على حياته التي تسري في موتنا فتحيينا.

وعوض ألوان وأشكال ذبائح العهد القديم البهيمية، هودا نحن نقدم أجسادنا ذبيحة ناطقة عقلية يومية بعبادة وتسبيح وشكر ترضي الله، ومقبولة عنده.

وإذا ساعنا الله عن خطايانا السالفة، كيف ندين نحن الآخرين، ونحن كلنا سنقف أمام عرش المسيح ليعطي كل واحد عن نفسه حساباً لله؟

المكيدة من اليهود والعودة السريعة من كورنثوس:

«فصرف ثلثة أشهر (في كورنثوس). ثم إذ حصلت مكيدة من اليهود عليه وهو مزعم أن يصعد إلى سوريا، صار رأي أن يرجع على طريق مكدونية.» (أع ٢٠: ٣)

وكان مع بولس الرسول والبعثة التي ترافقه كل ما جمعه هو والذين معه في كل البلاد المحيطة. وكان بولس الرسول سعيداً إذ توفّر له أن يقدم شيئاً يفرّج به ضائقة القديسين في أورشليم.

ولكن نّما إلى أذن بولس الرسول خبر مكيدة أحبكها اليهود مع المتهودين الذين ظلوا على عدائهم له. صحيح أننا لا نعلم خطوات وتدابيرات هذه المكيدة، ولكن المعروف أن اليهود يتزاحون على سُكنى المواني. فلا شك أنه بينما بولس مزعم أن يقلع من كنعخريا Cenchreae علم أن التريّص به سيكون في البحر. وليست الأموال المجموعة هي التي استهوت قلوبهم فقط، بل وحياة بولس كانت مطلوبة منذ أن طردهم غالليون Gallio من كرسية وأطلق بولس من أيديهم، بعد أن أحكموا الخطة للإنتهاء عليه بإعادته مقبوضاً عليه إلى أورشليم ليحاكّم بمقتضى شريعتهم لا حسب القانون الروماني الذي خذله وخذّلم فيه غالليون. وقد سبق لليهود وأن دبروا اغتياله في دمشق، وكان سقوطه في أيديهم يقيناً، لولا أنه تدلّى من السور في زنبيل وهرب من أيديهم ليؤسس الإيمان المسيحي في أوروبا وكل الأنحاء. ولا يزال مخطط الاغتيالات أمامنا مفتوحاً لنقرأ منه فصلاً أو فصلين في الصفحات القادمة.

والآن، استقر رأي الجماعة الأمينة المحيطة به على تغيير خط سير العودة، فبدل السفر بالبحر مباشرة إلى سوريا، يكون السفر من فيليبي ثم شاطيء آسيا.

ورحب بولس الرسول، إذ سيُتاح له رؤية الوجوه المُحِبّة، ويتملاً من أولاده المخلصين، ويودّعهم بالروح ويستودعهم لنعمة الله. سار الزَكْبُ والمركب حتى بلغوا نسالونيكي، ومنها إلى أبولونيا Apollonia، ثم أمفيبوليس Amphipolis، إلى النقطة التي حظّ فيها رِحالَه في أوروبا أول مرة.

وكانت الرفقة معه تجمع سوباتير Sopater ابن بيرروس Pyrrhus (أع ٢٠: ٤؛ روم ١٦: ٢١) وهو مواطن من بيرية Berea، وأريستارخوس Aristarchus، ويسكوندس Secundus الذي من نسالونيكي، مع غايس Gaius من دربة، وتيموثاوس، وآخرين من مسيحيي آسيا كانا قد رافقاه إلى اليونان: تيموثاوس وتروفيْمُس (أنظر صفحة ٦٦٤).

وواضح من الأسماء والمدن أن وراء هذه المجموعة مشروعاً لجمع الأموال بترتيب ودقة، الذي لا بد وأن كان قد بلغ غاية المطلوب.

والمعروف أن القديس لوقا كان ينتظرهم في فيليبي. وقد تخلف معه بولس الرسول في فيليبي، أما باقي المجموعة فسبقتهم إلى شاطئ آسيا، نحو ترواس.

تخلف بولس الرسول ولوقا معه ليحضرا عيد الفصح وبعيدا الفصح المسيحي في فيليبي. لم تعد عرفان وذبائح، ولا تذكارات للخروج والته، ولا أشباه السماويات وظللها، بل المسيح فضحنا قد دُبح لأجلنا. لقد عيّدت فيليبي مع بولس فصحا حقيقيا، وتناولوا على مائدته جسداً ودماً، واستقوا جميعاً روحاً واحداً، وتصالح الشعب مع الشعوب وصار الاثنان واحداً.

وإذا دققنا التفسير، لكان الفصح السالف للسنة السالفة من نصيب أفسس، فبولس الرسول وهو في أفسس دخل عليه زمن الفصح، وكان عصوراً في نقل معالم الفصح اليهودي إلى الفصح المسيحي بمفرداته وألح عليه الروح، فكتب في رسالته إلى أهل كورنثوس يقول:

«إذاً نفثوا منكم الخميرة العتيقة، لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير لأن فصحننا أيضاً المسيح قد دُبح لأجلنا. إذاً لثعيّد (كان زمن العيد بالضرورة) ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق.» (١ كور: ٥: ٨ و٧)

وقد تأخر بولس الرسول في فيليبي مع لوقا حتى بعد زوال قمر الفصح — أي بعد ١٤ نيسان — مع أنهم كانوا قلقين يطلبون أن يكونوا في أورشليم قبل عيد الخمسين: «لأن بولس عزم أن يتجاوز أفسس في البحر لئلا يعرض له أن يصرف وقتاً في آسيا، لأنه كان يسرع حتى إذا أمكنه يكون في أورشليم في يوم الخمسين.» (أع: ٢٠: ١٦)

ويمكننا عمل تفريفة للأيام نرى كيف نجح بولس الرسول في تحقيق وعده أو أملة:

- ١ — المدة كلها من الفصح إلى يوم الخمسين ٤٩ يوماً.
- ٢ — أيام الفطير هي سبعة أيام بعد عيد الفصح. هذه توقفها بولس في فيليبي.
- ٣ — خمسة أيام استغرقتها رحلة البحر إلى ترواس لأن الريح كانت مواتية.
- ٤ — سبعة أيام صرفها بولس في ترواس (أع: ٢٠: ٦).
- ٥ — أربعة أيام استغرقتها الرحلة من جزيرة خيوس Chios إلى ميليتس Miletus (أع: ٢٠: ١٣).

٦ — يومان صرفا في ميليتس في وداع أساقفة وقسوس كنائس أفسس.

٧ — ثلاثة أيام استغرقتها رحلة بولس إلى باترا Patara ، مروراً بكوس Cos وروُدس Rhodes (أع: ٢١: ١).

٨ — يومان كافيان للوصول من باترا إلى صور (أع: ٢١: ٣ و٢) (أنظر صفحة ٦٨٢).

٩ — ستة أيام بقي فيها بولس في صور (أع: ٢١: ٤).

١٠ — يومان قُصِيّا في السفر من بتولاييس إلى قيصرية (أع: ٢١: ٨ و٧).

بمجموع هذه الأيام هو ٣٧ يوماً. إذا تبقى لنا ١٢ يوماً هذه نجعلها في احتياطات التغيرات الطارئة واعتبار أن السفينة التي أفلح فيها بولس هي سفينة شواطئ وليست مآخرة محيطات، تقف كما تريد وتقلع كما تريد، ولم تكن دائماً تحت إرادة بولس. من هذا نرى أن حسابات بولس سليمة مائة بالمائة. ومقتضاها قام في الوقت المناسب وبلغ مقصده في الوقت المناسب، هذا نقوله لأن أقواماً من العلماء يستهينون بدقة بولس الرسول.

ترواس، والعلية، وإفتيخوس:

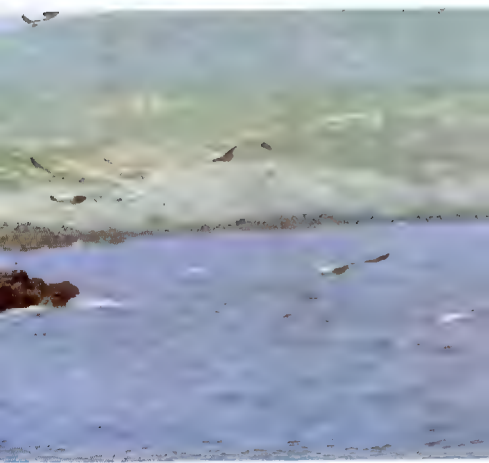
«هؤلاء سبقوا وانتظرونا في ترواس، وأما نحن فسافرنا في البحر بعد أيام الفطير من فيليبي ووافيناهم في خمسة أيام إلى ترواس حيث صرفنا سبعة أيام.» (أع: ٢٠: ٦ و٥)

هكذا بدأت ترواس تلبس حُلَّتْها المزيّنة، واجتمع الشعب حول بولس الرسول يحياه ويسمع منه.

«وفي أول الأسبوع (يوم الأحد) إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزاً خاطبهم بولس وهو مزعم أن يقضي في الغد، وأطال الكلام إلى نصف الليل.» (أع: ٢٠: ٧)

والملاحظ هنا، بحسب الطقس القديم لـ «عشاء الرب»، فإن اجتماع الكنيسة يبدأ في الغروب بعد السيت، وطقس كسر الخبز يبدأ مباشرة بعد الغروب. وهكذا يكون بولس الرسول قد استمر حوالي ٦ ساعات يتكلم مع المجتمعين، والشعب كان متمسكاً به، كما كان هو منعظاً نحوهم، لأنه كان مصمماً على السفر في الغد صباحاً، أي الأحد، لذلك أطال الكلام حتى منتصف الليل.

«وكانت مصابيح كثيرة في العلية التي كانوا مجتمعين فيها. وكان شاب اسمه إفتيخوس Eutychus جالساً في الطاقة مثقلًا بنوم عميق. وإذا كان بولس يُخاطب خطاباً طويلاً، غلب عليه (على الشاب) النوم فسقط من الطبقة الثالثة إلى أسفل وحُجِل ميتاً. فنزل بولس ووقع عليه واعتنقه قائلاً لا تضطربوا لأن نفساً فيه؛ ثم صعد، وكسر خبزاً، وأكل، وتكلم كثيراً إلى الفجر. وهكذا



«في اليوم الآخر وصلنا إلى ساموس ...» (أع ٢٠: ١٥)

«ساموس» جزيرة تشتهر بعظمة الصناعات اليونانية في بناء السفن وهندسة البناء والآلات.

توقف القديس بولس الرسول في هذه الجزيرة لمدة قصيرة، فقد قضى ليلة فقط فيها.

(أنظر صفحة ٦٨١)

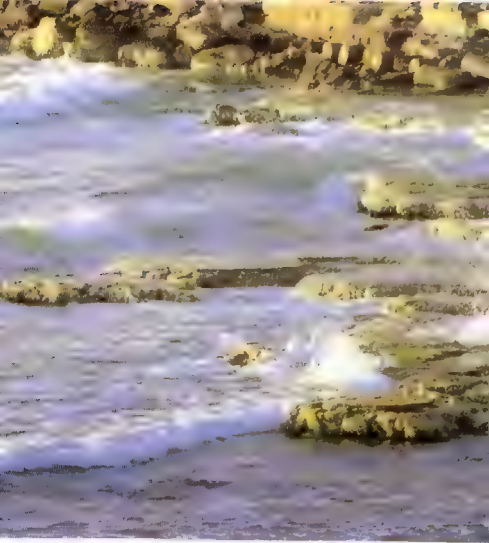


بقايا ميناء ميليتس حيث أرسل القديس بولس إلى أفسس واستدعى
قسوس الكنيسة ليودعهم قبل ذهابه إلى أورشليم (أع ٢٠: ١٧).
(أنظر صفحة ٦٨٢)



«ومن ميليس أرسل إلى أفسس واستدعى فسوس الكيسة.»
(أع ٢٠: ١٧)

أطلال ثياترو «مشهد» ميليس حيث استدعى القديس بولس الرسول
فسوس كيسة أفسس وألقى عليهم خطابه الوداعي المؤثر.
(أنظر صفحة ٦٨٢)



«ثم خرجنا في الغد نحن رفقاء بولس وجئنا إلى قيصرية.»

(أع ٢١: ٨)

(أنظر صفحة ٦٨٣)

مرفأ ميناء هيرودس في قيصرية. وقد تأسست قيصرية على يد
هيرودس الكبير عام ٢٢ قبل الميلاد وسميت على اسم صديقه
وصاحب الفضل عليه أوغسطس قيصر.

خرج. وأتوا بالفتى حياً وتعزوا تعزية ليست بقليلة.» (أع ٢٠: ٨-١٢)

هنا يلزمنا، أيها القارئ العزيز، أن نعطي اعتباراً كبيراً لهذه الحادثة، ليس في كونها معجزة جرت على يد بولس الرسول وحسب، بل ولأنها تعطينا تأكيداً أن الرواية بجمالها وقصة السفر بدقائقه هي بقلم شاهد عيان يذكر لنا ما رآه وأثر في نفسه وفي قلمه.

والملاحظ في ترتيب الكلام أن إقامة سر كسر الخبز بدأت مبكراً بعد الغروب، وتلاها الوعظ، وبعد ذلك، وبعد أن صلى بولس على الشاب وأعاد له الحياة، صعدوا وأكملوا عشاء المحبة.

ترتيب السفر من ترواس حتى أورشليم:

أقلمت السفينة من ترواس ومعها كل الذين كانوا في صحبة بولس الرسول، ولكن بولس نفسه تخلف، وربما السبب كان في أنه لا بد على السفينة أن تلت حول رأس منحني من الأرض لتأتي قبالة آسوس حوالي ٤٠ كيلومتراً في البحر بينما الطريق الأرضي أقل من ذلك. ولكن في ظننا أن بحساب الأقصر والأبعد لا يمكن حلُّ هذا الإشكال: لماذا تخلف بولس؟ لأن طريق البر إلى آسوس حتى ولو كان على ظهر حصان فإنه يأخذ ضعف الوقت الذي تستغرقه المركب. فالمسألة أن بولس الرسول تحت إلحاح بعض المسؤولين في ترواس أثر أن يمكث معهم بضع ساعات زيادة وعلى انفراد على أن تنتظره المركب في آسوس: «وأما نحن فسبقنا إلى السفينة وأقلعنا إلى آسوس مزعمين أن نأخذ بولس من هناك لأنه كان قد رتب هكذا مزعماً أن يمشي. فلما وافانا إلى آسوس أخذناه وأتيناه إلى ميتيليني.» (أع ٢٠: ١٣ و١٤)

ثم انطلقت السفينة نحو الجنوب تجاه جزيرة لسبوس Lesbos ومدينتها ميتيليني Mitylene، ووقفت المركب على ميناء الجزيرة — لأن هذا كان نهاية رحلتها — وساروا بأرجلهم حتى وصلوا ميتيليني ثم عادوا وأبحروا من ميتيليني في سفينة أخرى.

وأبحروا تجاه خيوس Chios في المضيق بين خيوس وشاطئ آسيا، وبعد يوم آخر من الإبحار وصلوا إلى جزيرة ساموس، واتجهوا نحو شاطئ آسيا ونزلوا وأقاموا في مدينة تروجيليون Trogyllium على الشاطئ بين أفسس شمالاً وميليتس جنوباً Miletus. ومن هناك أرسلوا إشارة إلى أفسس ليستدعوا قسوس الكنيسة، وبعد يوم وصلوا إلى ميتيليني: «لأن بولس عزم أن يتجاوز أفسس في البحر لئلا يعرض له أن يصرف وقتاً في آسيا، لأنه كان يسرع حتى إذا أمكنه يكون في أورشليم في يوم الخميس.» (أع ٢٠: ١٦)

«ومن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة.» (أع ٢٠: ١٧)

في ميليتس الوداع الأخير «لن تروا وجهي»:

حال وصول قسوس الكنيسة بعد رحلة من أفسس لا تقل عن ٢٠ ميلاً، ابتداء بولس يكلمهم ويوصيهم على الرعية التي تركها في رقابهم قائلاً آيته الذهبية الخالدة التي جمعت بين دم المسيح والله في كلمتين لتجعل من الدم عنصراً إلهياً فقالاً هكذا:

+ «لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه». (أع ٢٠: ٢٨)

وبعد أن ذكرهم بالثلاث السنين التي قضها بينهم، قدّم بولس طقس الوداع الذي استلمته الكنيسة منذ ذلك اليوم واحتفظ به الرهبان حتى هذه الساعة: «ولما قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلى». (أع ٢٠: ٣٦)

وغلبت على الجموع مشاعر التأثر البالغ: «وكان بكاء عظيم من الجميع ووقعوا على عنق بولس يُقبّلونه متوجّعين ولا سيما من الكلمة التي قالها أنهم لن يروا وجهه أيضاً ثم شِعّوه إلى السفينة» (أع ٢٠: ٣٧ و٣٨). وليلاحظ القارئ أن هذا الوصف هو للقديس لوقا كشاهد عيان.

إلى كوس ثم رودس وباترا:

وفي السفينة الصغيرة التي لخدمة مدن الشواطئ المحلية أبحروا نحو كوس، ومرّوا على جزيرة بطمس من على بُعيد. وبعد يوم وصلوا إلى رودس، ومن هناك اتجهوا مرة أخرى نحو الشاطئ. لينزلوا في باترا Patara، ومن باترا بحثوا عن سفينة كبيرة عابرة البحار فوجدوا واحدة متجهة نحو فينيقية Phoenicia — أي لبنان الآن — متجهين ناحية صور، والمسافة بين باترا وصور حوالي ٣٤٠ ميلاً تقطعها حسب القياس البحري في ٤٨ ساعة إذا كانت الرياح مواتية، ونحن في أبريل والرياح فيه في هذه المنطقة معتدلة. وفي الطريق رأوا جزيرة قبرس من على بُعيد في الاتجاه الشمالي الشرقي منهم: «فإذ وجدنا سفينة عابرة إلى فينيقية صعدنا إليها وأقلعنا، ثم أطلعنا على قبرس وتركناها يسيرة وسافرنا إلى سوريا، وأقبلنا إلى صور لأن هناك كانت السفينة تضع وشقّها (أي حملتها).» (أع ٢١: ٣ و٢)

سبعة أيام في صور، وإنذارات نبوية بالمخاطر المحدقة:

«وإذ وجدنا التلاميذ مكثنا هناك سبعة أيام وكانوا يقولون لبولس بالروح أن لا يصعد إلى أورشليم». (أع ٢١: ٤)

التوقف كان اضطرارياً وليس بالاختيار، فالركب كانت تفرّغ حولتها لكي تأخذ حولة أخرى، ولكن كانت فرصة لمسيحيّ صور ليستقبلوا بولس الرسول مثل ما حدث في ميليتس وبنفس المشاعر

والمناظر والعواطف. وهنا أيضاً نجد مواهب الروح القدس بالتنبؤ واضحة، فقد تقدم الموهوبون بالنعمة ليخبروا بولس الرسول بالمشقات التي تنتظره في أورشليم. وبسبب شدة المخاطر التي لحوها في رؤياهم ترجّوا بولس أن يتوقف عن الذهاب إلى أورشليم من أجل نفسه والخدمة. ولكن بولس الرسول كان يعلم هذا، وكان قد عزّزَ عزّزَ القلب أن لا يرتد جزعاً أو خوفاً من أي مصير مهما كان، وكان عليه أن يستمر في خطته لحضور يوم الخمسين في أورشليم.

«ولكن لما استكملنا الأيام خرجنا (من باب المدينة) ذاهبين (إلى الميناء) وهم جميعاً يُشيعوننا مع النساء والأولاد إلى خارج المدينة. فجنّونا على ركبنا على الشاطئ وصلينا. ولما ودّعنا بعضنا بعضاً صعدنا إلى السفينة، وأما هم فرجعوا إلى خاصّتهم.» (أع ٢١: ٦٥)

إلى بتوليس (عكا) ثم قيصرية:

«عكا» مدينة عديمة منذ أيام حكم القضاة في إسرائيل (قض ١: ٣١)، وإحدى مدن سبط أشير، لها صيت كبير منذ العصور الوسطى، فهي محطّ من المحطات الكبرى في الحروب الصليبية التي أسموها باسم القديس يوحنا: سان جان د'آكر St Jean d'Acre أي أكرّا، حيث بنوا فيها قلعة وحصوناً بحرية ضخمة.

وحينما زارها بولس الرسول كانت تسمى بتوليس Ptolmais نسبة لأحد ملوك البطالسة. وكانت في أيام بولس الرسول إحدى المدن الرومانية الحاضرة على الحكم الكولوني؛ وهي متاخمة لجبل الكرمل.

ونزل بولس الرسول في بتوليس (عكا) وسلم على الإخوة، مما يفيد وجود كنيسة مسيحية لها علاقة سابقة ببولس. وبقي عندهم يوماً واحداً ثم فارقوها إلى قيصرية.

بولس الرسول في قيصرية عند فيلبس الرسول المبشر، واحد من السبعة مع إستفانوس الشهيد:

نزل بولس الرسول وكل من معه في ضيافة ذلك الرسول المبارك الذي نسمع عنه في بكور انتشار الإنجيل كيف انتخب شماساً مع إستفانوس (أع ٦: ٥)، وكيف انتخبه الروح وحمله ليتقابل مع الخصي وزير كنداكة ملكة الحبشة (١٦) على الطريق الموصّل إلى غزة (أع ١٨: ٢٦-٤٠) وعمّده، ثم حمله الروح وأنزله كما من فوق الريح ووجد في أشدود.

(١٦) «والحبشة تسرع وقد يديها إلى الله.» (مز ٦٨: ٣١)

بولس الرسول يواجه النبوات عن مستقبله
في القبض والقيود والسجن ومحكمة الأمم بكل ثقة:

«وكان لهذا (لفيلبس) أربع بنات عذارى كُنَّ يتبنَّان» (أع ٢١: ٩). وكان النبوة تُسَلِّم من الأب إلى الابن وكأننا في عهد أولاد الأنبياء مرة أخرى، وهاته العذارى تنبأن بالضرورة على ما هو آيت في نصيب بولس المزدحم بالمآسي، ولكنه تفاوض.

«وبينما نحن مقيمون أياماً كثيرة انحدر من اليهودية نبي اسمه أغابوس» (أع ٢١: ١٠). وهو النبي الذي تنبأ، أثناء وجود بولس في أنطاكية، أن جوعاً عظيماً وشيك الحدوث على جميع المسكونة (أع ١١: ٢٨).

يلاحظ هنا أن في بكور العصر المسيحي وقبل نهاية أيام الرسل الأطهار المشمولين بنعمة الروح القدس، ظهرت جماعة الأنبياء، الذين استلموا من الرسل وخدموا الكلمة. وكان أغابوس من هذه الطائفة الموهوبة: «فجاء إلينا وأخذ يثبِّت بولس ويربط يدي نفسه ورجليه وقال: هذا يقوله الروح القدس: الرجل الذي له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود في أورشليم ويسلمونه إلى أيدي الأمم» (أع ٢١: ١١). وكأننا نسمع مقطوعاً من مقاطع الإنجيل عن المسيح، لهذا لم يجد بولس الرسول في هذا الوصف ما يفزع؛ بل وجد فيه تكميلاً لآلام المسيح وإعادة لمشهد من مشاهد الصليب: «فلما سمعنا هذا (لوقا يتكلم) طلبنا إليه نحن والذين من المكان أن لا يصعد إلى أورشليم.» (أع ٢١: ١٢)

أما بولس الرسول فرأى في انطلاقه إلى المسيح ما رأى المسيح من ضرورة الانطلاق إلى الآب. ألم يشع يوماً أن ينطلق ويكون مع الرب؟ «لي اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (في ١: ٢٣). والآن لما انفتح باب الانطلاق كيف يقفله بيده؟

هكذا الذين يعيشون مع المسيح هنا، يعتبرون الحياة معه هناك ربها: «لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح» (في ١: ٢١). «فأجاب بولس ماذا تفعلون تبكون وتكسرون قلبي، لأنني مستعد ليس أن أُرَبِّط فقط بل أن أموت أيضاً في أورشليم لأجل اسم الرب يسوع.» (أع ٢١: ١٣)

الفصل الرابع

بولس الرسول في أورشليم للمرة الأخيرة

بولس الرسول ينزل في أورشليم عند رجل قبرسي اسمه مناسون Mnason تلميذ قديم (من تلاميذ المسيح):
كان مشهداً مفرحاً لقلب بولس، فقد استقبله التلاميذ القدامى في أورشليم بفرح وذلك في بيت مناسون حيث التف حوله كل تلاميذه مع لوقا وبقية زملاء السفر.

بولس الرسول في حضرة تلاميذ الرب والرسل القديسين:
كان ذلك في عشية عيد الخمسين في ٢٧ مايو من سنة ٥٧م، لأن العيد في تلك السنة كان في ٢٨ مايو^(١):

«وفي الغد دخل بولس معنا (لوقا يتكلم) إلى يعقوب، وحضر جميع المشايخ.» (أع ٢١: ١٨)
يبدو أن بولس الرسول أرسل في الليل رسالة يُقْلِمُهُم بحضوره، وبطلبه الاجتماع معهم، وطبعاً سبقت بولس إليهم كل العطايا والهدايا والأموال التي جمعها طيلة هذه المدة ولا بد أنها كانت وفيرة، ولا بد أنها كانت موضع قبول وراحة ومسرة لدى الرسل. «فبعدما سلم عليهم، طفق يتحدثهم شيئاً فشيئاً بكل ما فعله الله بين الأمم بواسطة خدمته» (أع ٢١: ١٩). عامياً كلها دانت للمسيح، من أعلاها بنطس وبيشنية إلى أسفلها في هفلية وفرجيحة، ومن الشمال فيها في غلاطية وكبدوكية إلى اليمين في ميسيا وليكية.

وعرض لهم أسماء البلاد بكنائسها: أنطاكية بيسيدية وإيقونية وذربة وليسترة وغلطية وترواس وأفسس وميليتس، وغيرها من البلاد والكنائس التي سقطت من روايات سفر الأعمال.

1. David Smith, *Life and Letters of St. Paul*, p. 657.

ثم عرض عليهم قصة الرجل المكدوني واقتحامه شواطئ اليونان وجولاته في أعماقه من شماله إلى جنوبه. وعرض عليهم أسماء المدن بكنائسها، فيلبّي وتسالونيكي وبيريّة ونيابوليس وأبولونية، وحتى إلثيريكون (يوغوسلافيا) وثلاثيّة (ألبانيا) وكورنثوس وكنتخريا ونيكوبوليس، وغيرها من مدن وكنائس سقطت من الرواية كما جاءت في سفر الأعمال والرسائل. شيء يكاد لا يُعدّ ولا يُحصى، مؤمنون بالآلاف والربوات من أجناس ولغات وعوائد وعبادات باطلة جاءوا إلى المسيح زرافاتٍ ووجداناً يطلبون وجه الله ويعبدون الحي بالروح والحق:

«فلما سمعوا كانوا يمجّدون الرب.» (أع ٢١: ٢٠)

تمثيلية خاسرة، وخطة مبيّنة، وفريسيّة حاقدة متنقّرة
والذين صلبوا المسيح قتلوا بولس:

كانت كنيسة أورشليم عشوّة بشخصيات فريسيّة قبلت المسيح على دملّ الناموس. وكان بولس الرسول يجدد عليهم أوجاع أحقادهم المدفونة تحت عشرة الصليب. كانت آمالهم في إخضاع المسيح لمجد الناموس، ليرتفع اليهودي فوق هامة الرؤوس ويستذل الأمم بفخر إبراهيم. فإن كانت اليهودية قد عجزت عن أن تغزو الأمم بميراثها وتراثها وآبائها وأنبيائها، فليكر بالمسيح شكلاً وليبق كل ما كان كائناً لا يُمسّ. لقد بدّد هذا البولس آمالهم واستذلّ الناموس تحت أقدام الصليب وضّيع هبة الفريسيّة وأهان مجد إسرائيل!

لم يكن حقدهم ليهذا حتى ولو مات بولس، بل لا بد أن تموت معه كل أعماله وكنائسه وفي كل مكان من العالم.

أما الرسل والأعمدة الثلاثة فلم يحنثوا قط في يمين الشركة التي أعطوها له، ولا ندموا لحظة واحدة. لأن عمل الله رأوه وقد عمل به، وبرهان الروح نظروه وقد تجلّد فيه، والمسيح استغلّ له ونصّته بالرسالة إلى الأمم كما هم للختان. هذا كانوا قد انتهوا إليه واستوثقوا منه.

رغبة التعصب وقسوة الفريسيين المنتصّرين،
ملكّت على كنيسة أورشليم:

«وقالوا له أنت ترى أيها الأخ (بولس) كم يوجد ربوة (١٠٠٠) من اليهود الذين آمنوا وهم جميعاً غيورون للناموس وقد أخبروا عنك أنك تعلّم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلاً أن لا يحنثوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد، فإذا ماذا يكون؟ لا بد على كل حال أن يجتمع الجمهور لأنهم سيسمعون أنك قد جئت.» (أع ٢١: ٢٠-٢٢)

القديس يعقوب وتبرقة ذمته أمام الله وبولس الرسول:

«وأما من جهة الذين آمنوا من الأمم فأرسلنا نحن إليهم وحكمنا أن لا يحفظوا شيئاً مثل ذلك سوى أن يحافظوا على أنفسهم مما دُبِحَ للأصنام ومن الدم (اللحم الذي لا يصفى منه الدم) والمخنوق (أي الذي لا يُستفَرغ دمه منه) والزنا (الذي يتزوج من أقربائه غير المحللين له).» (اع: ٢١: ٢٥)

قالوا هذا لبولس ليُخلَّصوا ذمتهم أمامه أنهم ليسوا ضده في شيء. ولكن اقتصروا في تصرُّمهم هذا على الأمم فقط، مبيِّتين النية أن على اليهود بالتالي أن يحفظوا الناموس والختان والسبت والأعياد وكل العوائد كما هي دون أن تُمسَّ. وهذا هو ما يفرِّق بين إيمان بولس بالحرية الكاملة من الناموس لليهودي واليوناني على السواء.

علماً بأن كل البعثات اليهودية تحت اسم المسيح التي كانت تتعقَّب بولس في جميع الكنائس التي أسسها، كانت من هؤلاء الفريسيين المنتصرين الذين دَوَّخوا بولس وردُّوا كثيرين عن الإيمان القويم، وقلِّبوا الكنائس على بولس الرسول وشَتَّوا فكر الرعية، وأضلُّوهم عن النعمة. هؤلاء استغلُّوا طيبة يعقوب الرسول الذي حاول «بالجهد» أن يكون ناموسياً وحافظاً «لِلناموس الملوكي» (يع: ٢: ٨) لكي يرضيهم، فما رَضَوْا، واستغلُّوا اسمه واعتبروا أنفسهم موقَّدين من قِتله لصلِّ المؤمنين عن الإيمان. علماً بأن الله قَبَضَ هذا الرسول الطيب ليقود كنيسة أورشليم في أعصب الأوقات، وقد قادها بحكمة لتقف ملجأً لليهود المتمسكين بالعوايد والناموس وملجأً للأمم الراجعين لله حسب وعد الله سواءً بسواء. لقد قاد كنيسة قامت على جذر يهودي ولها أغصان من الأمم، فما أساء إلى الجذر ولا أهان الأغصان. إنها كانت كنيسة انتقال، دوراً ما كان لبطرس ولا يوحنا أن يتقوما به بدون يعقوب. وعلى القارىء أن يتبصَّر ماذا كان يمكن أن يصيب كنيسة المسيح في أورشليم لو لم يقيم المسيح لها يعقوب ليردَّ عن يعقوب الفجور، بشبه ما صنع المسيح.

ثم لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نستصغر الدور الكبير والفعال الذي قام به يعقوب في تحمُّله — شخصياً كممثل لكنيسة أورشليم بالدرجة الأولى — قبول بولس رسولاً رسمياً، وقبول كرازته «بالإيمان» المسيحي المؤسس على قاعدة موسى والآباء والأنبياء ومواعيد الله كلها غير منقوصة دون الناموس والختان وكل عوايد اليهود!!! ثم انظر معي، أيها القارىء العزيز، ماذا كان سيحدث لو فرضنا رَفَضَ يعقوب لإيمان بولس ورسوليته؟ إني أكاد أمسك بالقلم عن وصف ما كان سيأتي من نكبات ومآسٍ وخسارات وانقسامات لا يعلم إلا الله مداها.

حلٌ وَسَقَطَ لينجو بولس بجلده، وما نجى؛

والله دائماً يكره الوسط:

«ليشك كنت بارداً أو حاراً. هكذا لأنك فاطر ولست بارداً ولا حاراً، أما مزعم أن اتقيأك من عمي.» (رؤ: ١٦ و ١٥)

«فافعل هذا الذي نقول لك، عندنا أربعة رجال عليهم نذر، خذ هؤلاء وتطهر معهم وأنفق عليهم ليخلقوا رؤوسهم، فيعلم الجميع أن ليس شيء مما أخبروا عنك بل تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس.» (أع ٢١: ٢٣ و ٢٤)

ما المانع وقد صلى بولس الرسول، وطلب من أهل رومية أن يصلوا من أجله إلى الله: «لكي أنقذ من الذين هم غير مؤمنين في اليهودية، ولكي تكون خدمتي لأجل أورشليم مقبولة عند القديسين» (رو ١٥: ٣١). أما الجزء الثاني فعبّر بسلام وقبِلت خدمته وأعطى من أجلها المجد لله؛ أما أن يُنقذ من الذين هم غير مؤمنين من اليهودية فرحلتهم طويلة، طويلة جداً.

لم يكن يعقوب ولا بولس ولا نحن أيضاً مقتنعين بما خططنا. فهي خطة قائمة على الخوف، قائمة على فرض العداء ومحاولة استرضائه. وهنا الخطر، ولكن على أي حال، هو حلٌ يتناسب وعقلية الأغلبية القائمة في الكنيسة. وما العمل؟

ولكن هل نأخذ بالغاية التي تبرر الوساطة؟ إذ أن غاية بولس هي أن يُصالح كنيسة أورشليم لعله يكسب على كل حال قوماً. ألم يقل هو: «صرت للذين بلا ناموس كأنني بلا ناموس — مع إنسي تحت ناموس للمسيح — لأريح الذين هم بلا ناموس» (١ كو ٩: ٢١)؟ فما المانع أن يصير وبالعكس للذين يعبدون الناموس كأنه عبد للناموس ليكسب هؤلاء العبيد ويُحررهم لحساب المسيح؟ ربما!!!

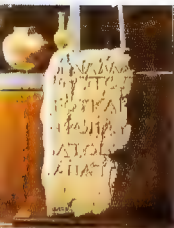
عيد الخمسين، دخول بولس الرسول الهيكل مع الثدراء: ٢٨ مايو ٥٧ م^(٢)

لقد أوفى بولس الرسول بالوعد: «حينئذ أخذ بولس الرجال في الغد وتطهر معهم ودخل الهيكل مُخبراً بكمال أيام التطهير إلى أن يُقرب عن كل واحد منهم القربان.» (أع ٢١: ٢٦)

ما هي كمال أيام التطهير؟



منى من العصور الوسطى مشيد على أساسات قلعه أنطونيا التي كانت
تطل على الهيكل. وقد قامت حاميتها بالقبض على القديس بولس
(أع ٢٢: ١-٢١). وقد تم اقتطاع جزء من الأكمة المجاورة لعمل
رواق للأحباب التي تظهر راويه الشمالية العربية في الصورة. باقي
الأكمة استخدمت كأساس للقلعة التي بناها هيرودس.
(أنظر صفحة ٦٨٩)



قطعة من نقش قديم جداً على الحجر شُتر عليها في اورشليم
تخطر على الأجانب الدحول إلى الأماكن المحصنة
لسى إسرائيل في الهيكل القديم (أع ٢١: ٢٧).
(أنظر صفحة ٦٨٩)



سفر القديس بولس الرسول إلى روما

كنيسة القديس بولس ذات الينابيع الثلاثة، بالقرب من مدينة روما
(أنظر صفحة ٧٠٣)

هي شريعة النذر، إن نذر اليهودي نذراً من أجل ضيقة أو طلب يطلبه وينذر من أجله، فيترك خُصَلَّ شعره تطول لمدة ٣٠ يوماً، وذلك بحساب التلمود وعلى أقوال يوسفوس المؤرخ (٢) — ولا يَذُقُ خمرًا أو مسكرًا (عد: ٦: ٢-٥)، لأن في هذه الأيام يُحتَسَبُ أنه قدوس للرب. وعند انتهاء المدة يأتي بذبائح النذير وهي فوق طاقة أي إنسان عادي، لذلك فإنه يلجأ إلى أحد الأغنياء ليصرف عليه ليكمل نذره. وهذا ما قيل لبولس: «تطهر معهم وأنفق عليهم»، فالذبائح هي: «فيقرب قربانه للرب خروفاً واحداً حلياً صحيحاً محرقة، ونعجة واحدة حولية صحيحة ذبيحة خطية، وكبشاً واحداً صحيحاً ذبيحة سلامة، وسلّ فطير من دقيق أفراساً ملتونة بزيت، ورفائق فطير مدهونة بزيت مع تقديمها وسكاثبها، فيقدمها الكاهن أمام الرب ويعمل ذبيحة خطيته ومحرقة ... ويخلق النذير لدى باب خيمة الاجتماع ... ويأخذ شعر رأس انتذاره ويعمله على النار التي تحت ذبيحة السلامة ... هذه شريعة النذير.» (عد: ١٤-٢١)

القبض على بولس الرسول داخل الهيكل،

«هذا هو الرجل» (أع ٢١: ٢٨) قارن مع يهو ١٩: ٥):

كان يوم العيد، عيد الخمسين، وجمهور اليهود من كل العالم مجتمع ومكتظ داخل الهيكل، وكان يهود آسيا وبالأخص أفسس يعرفون بولس جيداً، وهم أكثرهم حقداً وتربصاً بهذا الإسرائيلي المارق».

ودخل بولس الرسول الهيكل متجهاً نحو رواق الكهنة ليقدم نفسه متطهراً ومعه المتطهرون الأربعة ذوو النذر للاتفاق مع الكهنة على أثمان الذبائح التي ترهق كاهل أي إنسان عادي، وهو يعتقد أنه بظهوره وهو يقدم النذور عن الأربعة فرصة، كما حسبها يعقوب والآخرين، أن يُهايدن المتعصبين ضده من جهة الناموس، إذ يتممه في أدق وأصغر توصياته. فكان يمين في ظهور نفسه مع الكهنة والمتطهرين.

فما أن رآوه حتى لم يصدقوا عيونهم أن يروا غريهم أمامهم وتحت أيديهم بعد أن كان بعيداً عن متناول أيديهم وهو في الشتات مُحاطاً بأعوانه وحماية القانون الروماني، فوثبوا عليه جماعةً وبثّفس واحد يصرخون للمزيد من المحاصرة: «فأهاجوا كل الجمع وألقوا عليه الأيادي صارخين: يا أيها الرجال الإسرائيليون أعيثوا، هذا هو الرجل الذي يعلم الجميع في كل مكان ضدًا للشعب والناموس وهذا الموضع حتى أدخل يونانيين أيضاً إلى الهيكل ودنس هذا الموضع المقدس.» (أع ٢١: ٢٧ و٢٨)

بولس الرسول خارج الهيكل بين أيدي غُرَمائه،

فكانت ساعتهن وسلطان الظلمة (قارن مع لوقا ٢٢: ٥٣)، ونجدة أمير الكتيبة:

«فهاجت المدينة كلها، وتراكَضَ الشعب وأمسكوا بولس وجروه خارج الهيكل (الداخلي)، وللوقت أغلقت الأبواب (بين رواق الأسم وباقي الهيكل وذلك استعداداً لعملية القتل)»^(١)، وبينما هم يطلبون أن يقتلوه فما خبر إلى أمير الكتيبة أن أورشليم كلها قد اضطربت، فلولقت أخذ عسكرياً وقواد مئآت وركض إليهم. فلما رأوا الأمير والعسكر كفوا عن ضرب بولس». (أع ٢١: ٣٠-٣٢)

وعلى القارىء أن يعلم أن الشياح الآتين من الشتات كانوا أكثر تعصباً من سكان أورشليم، يذودون عن مدينتهم ودينهم بدمائهم وأرواحهم، بسبب شدة الحنين الذي كان يجذبهم في غربتهم نحو وطنهم بصورة مبرحة وعشاعر طاغية ومجنونة. فانظر، أيها القارىء، أية غيرة مجنونة وأي هوس للقتل والتنكيل هو باستعداد لوجود أية فريسة، وكانت فريستهم المنتقاة «بولس» الذي رؤّعهم في دينهم وناموسهم وآبائهم وعوائدهم حتى جرّدهم من كل فخرهم. وأخيراً هوذا يتجسّس هيكلهم، وقد أمسك في ذات الفعل. وهكذا التعصب للدين يُعمي العينين. ولكن لولا أن قيّض الله هذا الأمير على مستوى هذه اليقظة والسرعة في اقتحام المشاكل، لمزقوا بولس في مكانه.

أما قلعة أنطونيا Antonia التي أخذت هذا الاسم تكريماً لمارك أنطونيوس، فإن الذي بناها هو هيرودس الأول، وقد أقامها في الركن الشمالي الغربي من المنطقة المحيطة بالهيكل. وكانت القلعة تكشف كل ما يجري داخل الهيكل وكانت تفتح على الهيكل. وكانت القلعة بها قشلاقات تسع لحوالي ألف جندي، كان جزء منهم يتواجد بصفة دائمة وعلى أهبة الاستعداد في أية لحظة.

من هذه القلعة انطلق لسياس الأمير مع الذين تحت إمرته من الضباط والجنود المدرّعين، وفي لحظات كان في موقع التجمهر. وبكل الجهد أنقذوا بولس وحوه بدروعهم وحملوه على أكتافهم. وإذا كان الأمير قد خُذع من قبل، من ذلك المصري الذي قام بثورة سابقاً، ثم فر من بين أيدي جنوده، احتسرس لسياس هذه المرة وقَيّد بولس بسلسلتين، كل سلسلة بيده مربوطة بيد جندي. فاقتاده جنديان وهو مربوط من كلتا يديه، منظرٌ غير مألوف بالمرة!

«وأمر أن يُقَيّد بسلسلتين، وطلق يستخبر: ترى مَنْ يكون؟ وماذا فعل؟» (أع ٢١: ٣٣)

(١) الحكم بالرحم للقتل إما يتم داخل الهيكل الخارجي في «صالة الرحم» وهي المعروفة باسم «Gazith»، وهي الصالة التي رُبِم فيها القديس إسماعيل. وكان بولس واقعاً حارساً لياب الدين قتلوه.

تأثير بولس الرسول العجيب بشخصيته وحكمته على لسياس:

وفي لحظات بدأ بولس الرسول يتحدث مع لسياس بلغته التي كان يعتز بها كمواطن روماني اشتري المواطنة بثمان كثير، فلما عرفه بولس بنفسه أنه أيضاً مواطن روماني وُلِدَ في المواطنة ولم يشتريها، وأنه ليس هذا المصري الثائر المحتال الذي كان يظنه، بدأت تتكون علائق ود واحترام بين الضابط الكبير وبين بولس، كان لها الأثر الأعظم أولاً في نجاة بولس من المكيدة التي دبرها اليهود لقتله، وثانياً في إعطائه الفرصة لكي يخاطب الشعب من فوق سلم القلعة كأحد العظماء!!

بولس الرسول يخرج فوق أعلى سلم القلعة لدى الشعب
المتجمع خارج القلعة أسفل:

وهذه هي الشهادة الأولى التي لم يكن يعلم بها بولس الرسول، كيف يخاطب جميع طبقات الأمة اليهودية بكافة علمائها ورؤسائها وأتقيائها. وهنا تظهر شجاعة بولس النادرة ولباقته السياسية الفائقة واستملاؤه بالحق على كل هذه الأمة بلا منازع:

«وقف بولس على الدَرَج (السلم) وأشار بيده إلى الشعب فصار سكوت عظيم!!»
(أع ٢١: ٤٠)

يا لهيبتك يا بولس! حتى وأنت مربوط بسلسلتين، ويا لشموخ روحك وأنت ترفع يديك للشعب الذي أثقَبَ الله قبل أن يُثَبِّتَكَ، والذي لم يسمع ولم يُضَيِّغْ لنداء الله قط، فكيف أصغى إليك؟ «بسطتُ يدي طول النهار إلى شعبٍ متمرّد» (إش ٦٥: ٢)، «قد حوّلوا لي القفا لا الوجه!!» (إر ٣٢: ٣٣)

«فنادى (بولس) باللغة العبرانية قائلاً...» (أع ٢١: ٤٠)
وليتنبه القاري أن لغة عامة الشعب هي الأرامية، أما اللغة العبرانية فلا يتقنها إلا علماء اليهود والكهنة، فهي لغة العبادة والطقس فقط، وإن كان الشعب يفهمها تماماً ولكنها ذات مستوى أرفع من المستوى اليهودي الأممي!!
«فلما سمعوا أنه ينادي لهم باللغة العبرانية (لغة اليهود الأصلية، لغة التوراة والعظماء منهم) أعطوا سكوتاً آخر!!» (أع ٢٢: ٢)

«أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده ... لماذا تضطهدين!!»

أدلى بولس الرسول بشهادتين:

الأولى: عن ظهور الرب له من السماء مُحاطاً بنور عظيم يفوق نور الشمس، وإحساسه الشديد بهيبة يسوع المسيح: «مُسقِطٌ على الأرض»، «والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا!!»

وكان بولس يخاطب الشعب بصوت المسيح ويقول للشعب اليهودي المتجهم: «أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده، لماذا تضطهدي!!»

الثانية: ويضعها على لسان يهودي يعرفونه جيداً: «حنانيا»، رجل تقي حسب الناموس، مشهود له من جميع اليهود السكان (أي سكان أورشليم) فتر من الواقفين لا يعرفه؟: «أتى إليّ ووقف وقال لي: أيها الأخ شاول أبصر. ففي تلك الساعة نظرت إليه، فقال: إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته وتُبَصِّرَ البارَّ (مسيحاً المسيح) ونسمع صوتاً من فمه، لأنك ستكون له شاهداً لجميع الناس (بما فيهم اليهود) بما رأيت وسمعت، والآن لماذا تتواني؟ قُمْ، واعتمد، واغسل خطاياك داعياً باسم الرب» (أع ٢٢: ١٣-١٦). وكان بولس يتكلم بضم المسيح أيضاً للشعب المتجهم كله: لماذا تتواني؟ قُمْ أيها الشعب، واعتمد، واغسل خطاياك داعياً باسم الرب!!

شيء لم يحلم به بولس الرسول، أن يشهد للمسيح هكذا جهاراً وبكل يقين الرؤيا والسمع، ويوثق شهادته بشهادة حنانيا المعروف بتقواه بينهم!!

ولقد سُرَّ الرب بشهادة بولس هذه أيّما سروراً. اسمع ما قاله الرب لبولس:

«وفي الليلة التالية وقف به الرب، وقال: ثِقْ يا بولس، لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً.» (أع ٢٣: ١١)

ليس أمام ضابط ويهود بل أمام قيصر روما والعالم وكل عظماء وأشراف الرومان.

«خُذْ مثل هذا من الأرض، لأنه كان لا يجوز أن يعيش» (أع ٢٢: ٢٢):

تماماً تماماً، عزيزي القارئ، كما قالوها هي هي: «خُذْ خُذْ أَصْلَبْ» (يو ١٩: ١٥)، هكذا أيضاً قالوها للأمير وبنفس الحقد والتشفي وبنفس الجهالة العمياء: «خذ مثل هذا من الأرض لأنه كان لا يجوز أن يعيش». يا لحزنهم! كيف فلت من أيديهم ولم يمزقوه إِرْزاً إِرْزاً لِيُشْفَوْا غليلهم. قالوا هذا لما ابتدأ يتكلم عن كيف أرسله الرب للأمم: «فقال لي: اذهب فأني سأرسلك إلى الأمم بعيداً.» (أع ٢٢: ٢١)

عجيب حقاً هذا الشعب، لقد أصغوا إليه بانتباه وقبول حينما شهد للمسيح الذي ظهر له بنور عظيم في السماء، وأصغوا برضى وقبول حينما سمعوا كيف انتخبه الله ليعلم مشيئته ويُبَصِّرَ البارَّ أي المسيحيين - ويسمع كلمة من فمه ... ولكن أن يذهب إلى الأمم، فإلى هنا لا يجوز أن يعيش!! مع أنه لم يتنبأ نبي إلا ودَكَرَ الأمم وعودتهم إلى الله!!!

ولكن كبرياء الأمة اليهودية لا يحتمل أن يقف حتى من ورائها أمة على الأرض، فلما تخضع الأمم تحت أقدامها وإلا فإلى الجحيم يا كل الأمم!! ودون أسف! «لا يجوز أن يعيش»!!! إن هؤلاء الأمم الغُلف هم جميعاً كلاب ولا يُحْسَبون بين البشر!! والذي يُسَلَّم عليهم يبقى نجساً إلى المساء!! ثم عليه أن يتطهر.

«وإذ كانوا يصيحبون ويطرحون» (الترجمة الصحيحة «يمزقون»)

ثيابهم ويرمون غباراً إلى الجو...» (أع ٢٣: ٢٢):

عادة تمزيق الثياب كانت تسري على رؤساء الكهنة فقط وذلك حينما يسمعون تحديفاً على الله، ليكون في ذلك تبرؤاً من دم المجدِّف: «فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً قد جُدِّف. ما حاجتنا بعد إلى شهود، ها قد سمعتم تحديفه ماذا ترون؟ فأجابوا وقالوا إنه مستوجب الموت.» (مت ٢٦: ٦٥ و٦٦)

أما إلقاء التراب في الهواء فوق رؤوسهم فهذا تعبير عن ظلم أصحابهم وهم يستغيثون بالأرض والسماء والحكام، الأمر الذي أخالَ على الأمير، حتى إنه أمر أن يُفحص داخل القلعة بضربات ليعلم ما الذي كان يقوله لهم. ولما مدَّوه ليضرب بالسياط راجعهم أن في هذا مخالفة شديدة للقانون الروماني أن: «تجلدوا إنساناً رومانياً غير مَقْضِي عليه» (أع ٢٢: ٢٥)، دون أي أمر فحص ونطق قضاة؟ «واختشى الأمير لما علم أنه روماني ولأنه قد قيَّده» (أع ٢٢: ٢٩). وعجباً على هذا القانون الروماني الذي يُزْعَب هكذا أعتى القواد والولاة والملوك!!

وهكذا، وإن كان الرب قد سمح أن يسلمه لأيدي الأمم إلا أنه سبق وأن سلَّحه بامتيازات أعظم الأمم!! وإن كان قد سلَّمه لليهود فقد نَجَّاه من أيديهم بواسطة الرومان وبذات القيود!!

ولكن كانت خطة الله أنه بهذا التسليم هؤلاء وهؤلاء أعطي له الفرصة ليشهد للجميع تحت هذه القيود. فأصبحت القيود له حماية وفرصة للشهادة الحرة بلا قيود!! «ما أعظم أعمالك يا رب، كلها بحكمة صَنَعْتَ.» (مز ١٠٤: ٢٤)

والآن يمكنك أيها القارئ العزيز — وبلا أي حرج — أن تمسك القلم وتضيف على الرسالة الثانية لأهل كورنثوس وفي هامش أصحابها الحادي عشر، تضيف على مسلسل الآلام والأتعاب والضربات والجلدات والميتات الكثيرة، ما أصاب هذا الرسول الأوفر في الضربات والسجون، ما حدث له الآن أمام عينيك من اليهود، لأن بولس الرسول كتب رسالته إلى كورنثوس قبل أن يجيء إلى أورشليم هكذا ويحدث له ما حدث!!

بولس الرسول في غرفة المحاكمات بالهيكل (الجازيت)

للاستجواب أمام المدَّعين عليه: ٣١ مايو سنة ٥٧م (*)

لكي يستكمل لسياس الأمير عمله كمحقّق، ويرفع أمر بولس إلى القضاء، رأى أن يفحص بولس الرسول أمام المدَّعين عليه من اليهود رسمياً. وبولس الرسول نفسه هو الذي لفت نظره إلى مخالفة توقيع عقوبة عليه أو حتى القيود إلا بعد الفحص والمحاكمة ونُطق القاضي (الذي يمكن أن يكون هو لسياس نفسه):

«وفي الغد إذ كان يريد أن يعلم اليقين لماذا يشتكي اليهود عليه، حلّه من الرباط، وأمر أن يحضر رؤساء الكهنة وكل مجمعهم. فأختر بولس وأقامه لديهم.» (أع ٢٢: ٣٠)

وهكذا وفّر الله لبولس فرصة هادئة ليشهد أكثر للمسيح، ويشهد في الهيكل، ويشهد لدى رؤساء الكهنة أنفسهم الذين قتلوا المسيح، ويشهد له بالقيامة من الأموات!!!

طبعاً، احتاط الأمير وعصّد بولس بالحماية الكافية سواء بالضباط رؤساء المئات أو بالجنود المدرّعين خارج القاعة. ولكن كان لا بد من خدام رئيس الكهنة أن يكونوا أيضاً واقفين بجوار بولس الرسول. ولما أُعطيت الكلمة لبولس، طفق في البداية يتغرّس في الحاضرين ليتعرف على شخصياتهم لأن معظمهم رملاء، وحتى رؤساء الكهنة، فمن يد هؤلاء أخذ خطابات التوصية سابقاً لمطاردة المسيحيين.

ولما ابتدأ بولس الرسول يزكّي حياته السابقة التي عاشها تحت الناموس بكل تدقيق وبحسب الناموس والضمير: «... إني بكل ضمير صالح قد عشتُ لله إلى هذا اليوم. فأمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه. حينئذ قال له بولس: سيضربك الله أيها الخائن المبيّض. أفأنت جالس تحكم عليّ حسب الناموس وأنت تأمر بضربي مخالفاً للناموس.» (أع ٢٣: ١-٣)

فارق كبير بين بولس والمسيح؛ فأمام نفس رئيس الكهنة وربما نفس خدام رئيس الكهنة ضُرب الرب على وجهه نفس الضربة، وكانت العلة هناك هي نفس العلة التي تملأ بها هنا وهي عدم لياقة الكلام بصاحب العظمة والقداسة رئيس الكهنة! أما هناك وبنية صلب المسيح فكانت: «أهكذا تجاوب رئيس الكهنة؟» (يو ١٨: ٢٢)، مع أن المسيح لم يتكلم إلا بالصدق ومن واقع ما حدث، ولكن الصدق لا بد أن يلبس ثوب التزييف والتملق ليليق بمسامع رئيس الكهنة. أما هنا

وبنية قتل بولس، فما كان ينبغي أن يمتدح سيرته كهريسي بحسب الناموس أمام رئيس الكهنة إذ لا ينبغي أن يُمتدح أحد في محضر رئيس الكهنة إلا رئيس الكهنة!!

ولما اطمأن بولس الرسول أن الجانب الفرّيسي يفوق الجانب الصدّوقي عدداً، ألقى في وسطهم بما يمكن أن يجعلهم ينقسمون بعضهم على بعض، ويضمن لنفسه الجانب الأكبر نصيراً. فمعروف أن الفرّيسيين يؤمنون بالقيامة من الأموات، أما الصدوقيون فلا يؤمنون، لذلك بدأ بولس الحديث هكذا:

«ولما علم بولس أن قسماً منهم صدّوقيون والآخر فرّيسيون، صرخ في المجمع: أيها الرجال الإخوة أنا فرّيسيّ ابن فرّيسيّ. على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكمُ. ولما قال هذا، حدثت منازعة بين الفرّيسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة. لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح. وأما الفرّيسيون فيقرّون بكل ذلك. فحدث صياح عظيم ونهض كتبة قسم الفرّيسيين، طففوا يخاصمون قائلين لسا نجد شيئاً ردياً في هذا الإنسان، وإن كان روح أو ملاك قد كلّمه فلا محاربٌ لله.» (أع ٢٣: ٦-٩)

وللمعلم، عزيمتي القارىء، فإن الفرّيسيين يبغضون الصدوقيين بغضة شديدة، وبحسب الأبحاث والآراء الكثيرة للعلماء فإن بغضة الفرّيسيين للصدوقيين أشدّ تأصلاً في نفوسهم من مقاومتهم للمسيحيين، وأنت تعلم ما قاله غملائيل، وهو أب الفرّيسية وربّونها الأعظم، في شأن الدفاع عن المسيحيين الأوائل آبائنا الرسل الأماجد، وإليك نبذة مختصرة توضح سلوكه من نفس الموضوع:

«فقام رئيس الكهنة وجميع الذين معه الذين هم شيعة الصدوقيين وامتلأوا غيرة فآلقوا أيديهم على الرسل ووضعوهم في حبس العامة، ولكن ملاك الرب في الليل فتح أبواب السجن وأخرجهم وقال: اذهبوا قفوا وكلّموا الشعب في الهيكل بجميع كلام هذه الحياة ... فلما سمعوا حقوا وجعلوا يتشاورون أن يقتلوه. فقام في المجمع رجل فرّيسي اسمه عملائيل معلّم للناموس مُكرّم عند جميع الشعب وأمر أن يُخرج الرسل قليلاً. ثم قال لهم: ... والآن أقول لكم تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم، لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف يَنْتَفِضُ، وإن كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه لئلا تُوجدوا محاربين لله أيضاً. فانقادوا إليه، ودعوا الرسل وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلّموا باسم يسوع ثم أطلقوهم.» (أع ١٧: ٥-٤٠)

وهكذا يتبيّن الفارق الكبير بين هاتين الشيعتين، ومدى الجذبية والتعاطف بين الفرّيسيين والمسيحيين عندما يقعون في أيدي الصدّوقيين.

ولما رأى ليسيئاس الأمير أن قاعة محكمة اليهود صارت منقسمة على بعضها وتحولت إلى صراع داخلي بين اليهود بعضهم ضد بعض، أنهى الموقف بسرعة خاطفة: «ولما حدثت منازعة كثيرة، غشي الأمير أن يفسخوا بولس، فأمر العسكر أن ينزلوا ويختطفوه من وسطهم ويأتوا به إلى المسكر!!» (أع ٢٣: ١٠)

«ينبغي أن تشهد في روما»:

أُذِنَ لبولس الرسول إلى قلعة أنطونيا، وجلس وحيداً فريداً وليس من رفيق سفر ولا زميل عمل، ولا خطة ولا رحلات، وكان المستقبل انطفاً مصباحه وتخلفه الظلام. ولكن الذي كلمه في بيت أكيلا وبرسيكلا في كورنثوس بعد نهار عصيب من المقاومة في المجمع: «فقال الرب لبولس برؤيا في الليل: لا تخف بل تكلم ولا تسكت لأنني أنا معك ...» (أع ١٨: ١٠ و ١٩)، هو نفسه وقف به في مساء ذلك اليوم عينه: «وفي الليلة التالية وقف به الرب وقال ثق يا بولس، لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً.» (أع ٢٣: ١١)

المسيح لم يعب بولس بسقوط السلسلة من يديه، لأن القيود لم تكن تضايقه ولا قيدت الكلمة في فمه، ولكنه وعده بأنه سيشهد له في روما من تحت هذه القيود وهذا كان غاية أمله!

لم يكن بولس يخاف الموت بالسيف ولا بغيره، ولكنه كان يخاف أن يموت قبل أن يشتر قيصر في قلب روما، لأنه حينذاك سيكون قد بشر روح الإمبراطورية وفتح قلبها للمسيح. لذلك لما هاج البحر عليه وهو في طريقه إلى روما وانقطع كل الرجاء في النجاة، وقف به الرب قائلاً: «لا تخف يا بولس، ينبغي لك أن تقف أمام قيصر! ...» (أع ٢٧: ٢٤)

مؤامرة جديدة لاغتيال بولس الرسول:

بينما كان بولس الرسول ينام مِلَّةً جفنيه بعد أن طمأنه الله، كانت جماعة من اليهود قد دست صوماً بمعهد وقسم، وكانهم أشركوا يهوه فيه كشاهيد، أن لا ينوقوا طعاماً أو شرباً حتى يقتلوا بولس، وبذلك يكون قتله ذبيحة لله. وتم قول المسيح: «قد كلمتكم بهذا لكي لا تمثروا. سيُخْرِجُونَكُمْ من المجمع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله» (يو ١٦: ٢١ و ٢٢) حيث «يقدم خدمة» جاءت بصيغة «يرفع ليتورجيا» أي إصعاد ذبيحة!!

«ولما صار النهار صنع بعض اليهود اتفاقاً وحرموا أنفسهم (طقسياً) قائلين إنهم لا يأكلون ولا يشربون حتى يقتلوا بولس. وكان الذين صنعوا هذا التحالف أكثر من أربعين.» (أع ٢٣: ١٢ و ١٣)

ولكن الخطر والخطر في الموضوع أن رؤساء الكهنة والشيوخ اشتركوا في هذا المخطط الدموي اللاأخلاقي كمتقنين:

«فتقدموا إلى رؤساء الكهنة والشيوخ وقالوا قد حَرَمْنَا أنفسنا حرماً أن لا نذوق شيئاً حتى نقتل بولس. والآن أعلِمْوْا الأمير أنتم مع المجمع، لكي يُنْزِلَهُ إليكم غداً، كأنكم مزمعون أن تفحصوا بأكثر تدقيق عما له. ونحن قبل أن يقترب مستعدون لقتله.» (أع ٢٣: ١٤ و ١٥)

مغامرة ابن أخت بولس الصبي الشجاع النبيل:

هذا عرف بالمكيدة فذهب في الحال سراً إلى بولس في الحبس، وكان لبولس تصريح لمقابلة كل من يريد مقابله. فدخل الشاب وحدث خاله بما علمه، فأرسله بولس الرسول مع أحد القواد إلى الأمير، وكان الأمير أكثر ثبلاً وعطفاً على القضية من جهة العدالة والمسئولية. فصرف الشاب بتوصية أن لا يغير أحداً بالموضوع. وفي الحال أعد ثلة من أمهر من عنده من الخيالة، سبعين فارساً بأسلحتهم ودروعهم مع مائتي رامح — أي عسكري بالرمح — بقيادة قائدين من قواد المئات، وبولس الرسول كان معهم راكباً. انطلقوا في الساعة الثالثة من الليل، والأمر كان بأن يوصلوا بولس سالماً إلى فيليكس الوالي في قيصرية ومعهم رسالة توضح كل ما جرى بخصوص بولس الرسول. ووصل بولس إلى قيصرية في ٢ يولية سنة ٥٧م^(٦).

وصل العسكر إلى أنتيباتريس. وفي الغد تركوا الفرسان يذهبون معه، ورجعوا هم إلى العسكر (أع ٢٣: ٢٣-٣٥).

وقد حاول اليهود بذهابهم إلى قيصرية أن يؤثروا على فيليكس — الذي كان يعيش مع امرأة يهودية — ولكنه كان رجلاً جباناً مخادعاً.

بولس الرسول يعظ فيليكس الوالي، وامراته اليهودية الفاجرة: ٧ يولية سنة ٥٧م^(٧)
كان فيليكس هو الوالي على اليهودية، ومقره قيصرية، وكان يعيش في الحرام مع امرأة يهودية كزوجة:

«ثم بعد أيام جاء فيليكس مع ذُرَيْيلاً امرأته، وهي يهودية، فاستحضر بولس وسمع منه عن الإيمان بالمسيح. وبينما كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون، ارتعب فيليكس وأجاب: أما الآن فاذهب، ومتى حصلتُ على وقتٍ أستدعيك. وكان أيضاً يرجو أن يعطيه بولس

6. Ibid.

7 Ibid.

دراهم ليطلقه، ولذلك كان يستحضره مراراً أكثر ويتكلم معه. ولكن لما كملت سنتان، قيل فيليكس يوركيوس قسّوس خليفة له. وإذ كان فيليكس يريد أن يودع اليهود مئة، ترك بولس مقيداً. (أع ٢٤: ٢٤-٢٧)

أليس ذلك لأن اليهود هم الذين أعطوه الدراهم؟ ومتى يمكن أن يكون الزاني متعففاً أو ملتزماً بالحق أو بالواجب أو حتى بالإنسانية؟ ولكن كان باقياً على بولس أن يشهد أمام الوالي الجديد أيضاً.

سنتان في سجن قيصرية:

لم تذهباً سدى من حساب المسيح وخدمة الإنجيل والكراسة الأبديّة والرسائل. ففيها يُظن أن بولس كتب رسائله إلى أفسس وكولوسي وفليمون بحسب تقدير كثير من العلماء^(٨)، كما كتب لوقا إنجيله تحت سمع وبصر وفكر بولس، وكان إنجيل الأمم حاملاً روح رسول الأمم. هذا عدا المقابلات اليومية مع كل وجهاء الشعب وكل طبقاته والآتين من على بُعد. ولا يمكن للذي قال: «ما عدا الاهتمام بجميع الكنائس» (٢ كو ١١: ٢٨)، أن يكون قد توقّف اهتمامه، سواء بإرسال رسائل أخرى لا نعرفها أو رسلاً يفقدون ويأتون بالأخبار والرسائل. لأن بولس الرسول كان موضوعاً في الحبس بصفة ممتازة لأنه كان غير مقضي عليه في شيء. فكان حُرّاً، وكان يستقبل ويتكلم مع من يشاء.

قسّوس الوالي الجديد على اليهودية يتسلم من فيليكس:

كان ذلك في صيف سنة ٦٠م حسب تحقيقات العلماء^(٩). وما أن وصل أورشليم في مروره، باعتباره الوالي الجديد، ليعتدّف على البلاد والشعب الذي يحكمه، حتى بادره اليهود بإلحاح لاستعادة بولس إلى أورشليم للمحاكمة أمامه. ولكن قسّوس كان أعمد نظراً وأكثر حيلة، وكان رده أنه عليهم بالحرّي هم أن يذهبوا إلى قيصرية لسمع منهم شكواهم. فلا بد أنه قد اطلع على ملف بولس الرسول وعلم بالمكيدة وعرواغة اليهود وعدم صدقهم. كما أنه بحسب القانون الروماني، لا يُسلم من كان تحت الحبس للمشتكين عليه، فلا بد من المواجهة، ولا بد من الدفاع، ثم النطق بالحكم.

(٨) ويرى البعض الآخر من العلماء وهم الأكثرية وقد أخذنا برأيهم (انظر ص ٧١٧ وما يليها) أن هذه الرسائل كتبت من سخن روما.

9. Conybeare, *op. cit.*, pp. 835-838.

ولكن بحسب تحقيقات العالم الكاهن دافيد سميت كان ذلك في يولية سنة ٥٩م.

بعد حوالي عشرة أيام غادر قسثوس أورشليم متجهاً نحو قيصرية، وكان أن ذهب رئيس الكهنة وجمعه وكلُّ الشاكين خلف قسثوس، وفي نفس اليوم.

ولما أقاموا شكواهم على بولس فئدها بولس. ووقف قسثوس محترماً بين الاثنين، وعرض على بولس أن يُعَادَ فحص القضية أمامه في أورشليم استرضاءً لليهود الذين جاءوا إلى قيصرية. فأدرك بولس الرسول أن الحق قد غلت من يد قسثوس ولم يعد جديراً بأن يكون قاضيه بعدُ. فرفع بولس صوته ليرد للوالي صوابه كمحقق يقضي بمقتضى القانون الروماني وتحت هيبة قيصر:

«أنا واقف لدى كرسي ولاية قيصر، حيث ينبغي أن أحاكم. أنا لم أظلم اليهود بشيء كما تعلم أنت أيضاً جيداً. لأنني إن كنتُ آثماً أو صنعتُ شيئاً يستحقُّ الموت فلست أستعفي من الموت،

ولكن إن لم يكن شيء مما يشتكي عليَّ به هؤلاء، فليس أحداً يستطيع أن يسلمني لهم،

إلى قيصر أنا رافعٌ دَعَوَايَ!» (أع ٢٥: ١٠ و ١١)

لقد أسقط الوالي في يدي نفسه، وضاعت هيئته أمام اليهود وأمام المحكمة، واضطر أن يلجأ إلى مستشاريه القانونيين ليستفسر منهم عن كيفية التصرف إزاء هذا الوضع القانوني الحرج:

«حينئذ تكلم قسثوس مع أرباب المشورة، فأجاب: إلى قيصر رَفَعْتُ دَعَاكَ، إلى قيصر تذهب!» (أع ٢٥: ١٢)

وعلى القارىء أن يلاحظ أن قول بولس: «إلى قيصر أنا رافعٌ دَعَوَايَ» تأتي باليونانية: *Kaísara epikaloumai*، وهو اصطلاح قضائي روماني يفيد وقف الاستمرار في القضية في الحال وطلب رفعها لقيصر نفسه. فبهذا أوقف الوالي بكلِّ صلاحياته أن يتخذ أي قرار بخصوصه سوى رفع القضية لقيصر، أو ما يساوي عندنا القضاء العالي Supreme Court. وهذا الحق كان ممنوحاً فقط للمواطنين الرومانيين لكي يتحاشوا ظلم الولاة غير الرومانيين!

بولس الرسول يشهد للمسيح أمام أغريباس الملك وبرنيكي أخته وعظماء المدينة:

كان فسثوس الوالي في حيرة حقيقية بعد أن رفع بولس دعواه إلى قيصر، لأن فسثوس ليست أمامه القضية جاهزة، فلا اليهود استطاعوا أن يقيموا عليه دليلاً واحداً باتهام يميز مجرد عقوبته بأية عقوبة، وفي نفس الوقت هم عازمون على قتله، فإذا تركه لهم قتلوه وهو مواطن روماني، يُعْتَبَر الوالي

الروماني نفسه مسئولاً عنه كل المسئولية أمام القانون. وفي نفس الوقت فإن بولس يرفض أن يُحاكَم في محاكم اليهود الذين يتحرّقون شوقاً أن يحتملوا هم مسئولية قتله. لذلك، فبحضور الملك هيرودس أغريباس الثاني^(١٠)، وجد فستوس في أغريباس المُميّن الذي يمكن أن يستعين به في تقفيل محضر تحقيقات قضية بولس، بصفته خبيراً في شئون اليهود والمسيحيين. وقد قصّ باختصار كل ما عرفه وما عمله في قضية بولس، فرحّب الملك أغريباس بسماع بولس:

«ففي الغد لما جاء أغريباس وبرنيكي في احتفال عظيم ودخلا إلى دار الاستماع مع الأمراء ورجال المدينة المُقدّمين، أمر فستوس فأُتي ببولس. فقال فستوس: أيها الملك أغريباس والرجال الحاضرون معنا أجمعون، أنتم تنظرون هذا الذي توّسل إليّ من جهته كلّ جمهور اليهود في أورشليم وهنا صارخين أنه لا ينبغي أن يعيش بعد. وأما أنا فلما وجدتُ أنه لم يفعل شيئاً يستحق الموت وهو قد رفع دعواه إلى أوغسطس، عزمْتُ أن أرسله. وليس لي شيء يقين من جهته لأكتب إلى السيّد. لذلك أثبتُ به لديكم، ولا سيما لديك أيها الملك أغريباس، حتى إذا صار الفحص يكون لي شيء لأكتب. لأنني أرى حماقة أن أرسل أسيراً ولا أشير إلى الدعاوي التي عليه.» (أع ٢٥: ٢٣-٢٧)

**شهادة بولس الرسول للمسيح أمام أكبر حشد يجمع ملكاً ووالياً
وأمرأاً وأميرات وضباطاً عظاماً ورجال الدولة وكل عظماء
وأعيان مدينة قيصرية عاصمة البلاد السياسية:**

كانت فرصة بولس الرسول العظمى والأخيرة على أرض وطنه وبلاده. لقد استجمع كل مَلَكَاة الروح الذي فيه وانطلق يشهد للمسيح مبتدئاً: «بالوعد الذي صار من الله لأبائنا»، وبالرجاء الذي كان يعيش عليه أسباط إسرائيل الاثني عشر عابدين بالجهد ليلاً ونهاراً، وما هذا الرجاء إلا يسوع المسيح الذي جاء وتبرهنَ أنه المسيا بالقيامة من الأموات!

لقد شهد للوجه المنير بلمعان الشمس الذي ظهر له في السماء وناداه ودعاه لتبشير الأمم بالخبر

(١٠) وهو ملك مقاطعة خالكيس Chalcis، وقد تعين هناك سنة ٤٨ م. وقد عاش إلى سن السبعين ومات سنة ٩٩ م. وكان صديقاً للمؤرخ اليهودي المشهور يوسفوس، وكان آخر أمير في عائلة هيرودس، وله أختان بريكي ودروسلأ Berenice, Drucilla وقد حاصر أغريباس الثاني حراب أورشليم وعاش معاصراً للقديس يوحنا حتى نهاية القرن الأول. وللعلم فإن بريكي عاشت في الحرام مع تيطس الذي حارب أورشليم وغرّبت على يديه، وقد تحشم أن يتزوجها بسبب شرفه الروماني لأنها كانت امرأة حليلة، بحسب رواية يوسفوس (Ant. xx.73). أما دروسلأ أختها صارت سيرتها وعاشت مع فيلكس الوالي الذي حكمه بسبب ضائع ورشواوي.

المفرح بالقيامة من الأموات، ولردّ الأمم من الظلمات إلى النور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان به غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين.

وانطلق بولس الرسول يكرز أمام المحكمة لكل السامعين بالتوبة والرجوع إلى الله عاملين أعمالاً تليق بالتوبة.

كان بولس يتكلّم والسلاسل في يديه كأنها قِلَادَةٌ من نور، وكأنه ملكٌ والسامعون أمامه كموعوظين يعدّهم للمعمودية. وحينما راجعه الوالي، ليخفي خِزْيَ ضميره، وكان بولس يَهْذِي، راجعه بولس أشدّ مراجعة منبّهاً ضميره أنه يتكلّم إليه كلام الصُّخْر، لو صَحَّ ضميره! وحينما أراد الملك أن يتملّص منه كذلك بلباقة العظماء مُستَعْفِياً من السهم الذي صُوّبه إلى قلبه، ردّه إليه بولس بشجاعة الأنبياء مشفوعاً بدُعاء أن يقبله الله ليُصَيِّرَه مسيحياً على أن يعفيه من هذه القيود التي هي ضريبة ومجد الكارزين فقط!!

وَحَكَمَ الجميع ببراءة بولس، ولكن كانت العين منهم بصيرة، واليد فيهم قصيرة!

الفصل الخامس

السفر إلى روما

بولس الرسول في البحر من قيصرية إلى روما: أغسطس سنة ٥٩ م
أدوات الرحلة ومدى صلاحيتها^(١):

يؤسف القارىء أن يعلم، بتحقيق كبير عن كبار أدميرالات البحار وعلمائها، أن بَحَّارة القرن الأول المسيحي كانوا يجهلون استخدام البوصلة!! فكانوا يتفاضون عنها بالإلتجاء إلى السير بحذاء الشواطىء من مدينة إلى مدينة. وكانوا يرتعبون من الخوض في أعماق البحار المكشوفة إزاء الأنواء الهوجاء، ويتحاشون المسير في الليل ما أمكن. أما مِزْوَلَة قياس رُجِّع الزاوية (الكوادرنانت) فكانت بدائية، وأول من استخدمها هم الإسكندرانيون، وهي غير دقيقة ولا تعطي نتائج صحيحة، خاصة في البحر. ولم تكن مِزْوَلَة السكستانت (أي سدس الزاوية) قد اخترِعَتْ، وهي الآلة المضبوطة لقياس موقع السفينة من خطوط الطول والعرض. هذا وكانت آلة قياس الزمن (الساعة الرملية وغيرها) عديمة الكفاءة.

أما خرائط البحار فلم تظهر في الوجود إلا بعد سنة ١٥٠ م، وأول من استخدمها كانوا هم بَحَّارة مدينة صور، فهم أول من استخدم الهندسة البحرية. لذلك عندما كانت تختفي الشمس بالنهار والنجوم بالليل كان البَحَّارة لا يبرأون على السير في البحر: «وإذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيرة واشتد علينا نُوْءٌ ليس بقليل، انْتُرِجْ أخيراً كل رجاء في نجاتنا» (أع ٢٧: ٢٠). لذلك كان البحارة ذوي ذكاء وقدرة مدهشة على معرفة مواقع الموانئ واتجاهاتها

1. Conybeare, *op. cit.*, pp. 623-627.

اشترك في تقديم هذه المعلومات كلٌّ من الأدميرال سير تشارلس برورز Charles Penrose في المؤلف الذي يعرض حياته Murry 1851، والأدميرال مورسوم. ومن كتاب المؤرخ سميث:

J. Smith, "Voyage and Shipwreck of St. Paul", pp. 140-202

وانتخاب مواعيد الإقلاع وأزمنة الرياح والأنواء. وكانوا مهرة في قيادة سُفنهم الشراعية في المواقف العصبية.

علماً بأن فن بناء المراكب كان غير دقيق، سواء في نظم الأشرعة أو الدفة. وهذا لا يعطي السفينة القدرة المشالية للاندفاع إلى الأمام في خط مستقيم. كذلك غياب الآلات الميكانيكية اليدوية لتحريك الشراع بسرعة وانضباط أضقت كثيراً من قدراتهم.

وللملاحظة، كانت السفن الرومانية واليونانية تستخدم أكثر من هَلْبٍ — أي مرسى — واحد، إذ كان لكل سفينة اثنان من المراسي في كل جانب من مؤخرة السفينة. لذلك نسمع القديس لوقا يصفها بالجمع: «فلما نزعوا المراسي تاركين إياها في البحر...» (أع ٢٧: ٤٠)

أما عن حمولة المراكب الإسكندرانية كالتي ركبها بولس الرسول، فهي تتراوح ما بين ٥٠٠ وألف طن. لهذا نسمع من القديس لوقا أن المركب كانت محملة بالقمح وممها بالإضافة إلى ذلك ٢٤٦ نفساً.

رفيقا بولس في سفر البحر إلى روما:

كانا لوقا الإنجيلي، وأريستَرُخُسُ Aristarchus المكدوني الذي من تسالونيكي، وهو مذكور بصفته أسيراً مُرَحَّلاً مع بولس أيضاً إلى روما: «يسلم عليكم أريستَرُخُسُ المأسور معي...» (كو ٤: ١٠)، وربما لوقا أيضاً: «فلما استقر الرأي أن نساfer في البحر إلى إيطاليا سلّموا بولس وأُسرى آخرين إلى قائد مئة من كتيبة أوغُسطُس اسمه يوليوس.» (أع ٢٧: ١)

صيدون أولاً:

«فصعدنا في سفينة أدراميتينية وأقلعنا مزعين أن نساfer، مارّين بالمواضع التي في آسيا، وكان معنا أريستَرُخُسُ رجل مكدوني من تسالونيكي. وفي اليوم الآخر أقبلنا إلى صيدا، فعامل يوليوس بولس بالرفق وأذن أن يذهب إلى أصدقائه (مربوطاً بيد حارسه) ليحصل على عناية منهم» (أع ٢٧: ٣-١). أما السفينة الأدراميتينية فهي من مدينة أدراميتوم Adramyttium، وهي مدينة خاضعة للاسم والذكر واقعة في مقاطعة ميسيا Mysia وقد سبق ذكرها. وهي كانت قاعدة لبناء السفن، بحسب تحقيق العالم وستن Weston في المجلة الدورية التي كان يصدرها.

أما المسافة بين قيصرية وصيدا فهي ٦٧ ميلاً يمكن أن تقطعها المركب في أقل من أربع وعشرين ساعة. وطبعاً وهم في طريقهم إلى صيدا، مرّت السفينة على بُعْدٍ بمدينة عكا (بتوليس) وصور. أما صيدا فهي آخر ميناء على شاطئ فينيقية بالنسبة لرحلة بولس. وصيدا مدينة مشهورة



« حينئذ اقترب الأمير وأمسكه وأمر أن يقيّد بسلسلتين. »

(أع ٢١: ٣٣)

نحت من القرن الرابع

يصوّر القبض على القديس بولس

(أنظر صفحة ٦٩٤)



ميناء قبصريه حيث أفلح القديس بولس في القيود متحياً بحوروما
(أع ٢٣: ٣٣ و ٢٧: ١)
(أنظر صفحة ٧٠٣)



« وفي اليوم الآخر أقبلنا إلى صيدا، فعامل يوليوس بولس بالرفق. » (أع ٢٧: ٣)

مدينة صيدا في لبنان

وهي مدينة فيسقية قديمة كان يستخدمها البحارة كمرسى للمراكب.

جاز فيها الآباء الأولون على مدى التاريخ اليهودي، فهي على حدود أرض كنعان، بل ومذكورة منذ أيام الفيضان (تك ١٠: ١٩). كما ذُكرت في حروب يشوع خادِم موسى الأمين لما قسَّم الأراضي (يش ١١: ٨)، وهي المدينة الوحيدة التي لم يستطع الإسرائيليون أن يفزوها مدى حياتهم (قض ١: ٣١)، وهي مذكورة في الإلياذة والأوديسا Iliad and Odyssey، كما ذكرها هيرودوت المؤرخ ذاكراً أن ملاحها أمهر ملاحي كل فينيقية، ولقد حطم الفُرس حصونها ولكن ميناءها بقي بحاله.

ولا يمكن أن ننسى أن أقدام المسيح سارت على ترابها يشفي مرضاها ويعلم أولادها، وصنع فيها المعجزة للكنعانية وقصتها الحلوة مشهورة والكلام فيها كثير (مت ١٥: ٢١-٢٨).

والآن يهمننا أن بولس الرسول هو الذي أخبر يوليوس قائد المائة أن له أصدقاء في صيدا، فأذن له بزيارتهم، وكان هذا جيلاً ومعروفاً، محسوباً أنه أعطي لنا بالدرجة الأولى في شخص بولس الذي أثار عيون قلوبنا.

«تحت قبرس»:

«ثم أقلعنا من هناك وسافرنا في البحر من تحت قبرس، لأن الرياح كانت مضادة.» (أع ٢٧: ٤)

ومعروف أنه في هذا الموسم من السنة تهب على البحر الأبيض، خاصة جزئه الشرقي بما فيه شواطئنا المصرية، رياح غربية شمالية. فيمجرد أن أقلعوا من ميناء صيدا متجهين شمالاً بغرب نحو شواطئ آسيا، قابلتهم الرياح الشديدة، رياح الخريف الشمالية الغربية المضادة، فاضطروا أن ينحرفوا ليكونوا تحت قبرس نوعاً ما، ليتقوا الرياح العاتية الآتية من الشمال. ثم داروا حول جزيرة قبرس من شرق في قوس كبير مقابل شواطئ كيليكية، ثم بمغيلية، ومعاذاة الشاطئ ليتقوا الرياح المضادة، فأصبح اتجاههم غربياً تماماً حيث استخدموا نفس الرياح لتسوق المركب نحو أن تموجه.

الزول على أرض ميرا ليكية:

وتدعى باختصار «ميرا».

«وبعد ما عبرنا البحر الذي بجانب كيليكية ومغيلية، نزلنا إلى ميرا ليكية. فإذا وجد قائد المئة هناك سفينة إسكندرية مسافرة إلى إيطاليا، أدخلنا فيها.» (أع ٢٧: ٦٥)

لقد رتت السفينة الأدراميتية في ميرا ليكية وألقت مراسيها، كنهاية لرحلتها التجارية. فكان لا بد من البحث عن سفينة أخرى متجهة إلى إيطاليا، فوجدوا هذه الإسكندرانية مهتأة

بحمولتها للاتجاه المباشر لإيطاليا. وميرا لها سمعة مباركة ومكانة عظيمة في قلوب أهل اليونان، لأن القديس نيقولاوس شفيح اليونان وبالأخص البحارة، كان قد وُلِدَ في باتارا وُدِين في مدينة ميرا Myra. ولكن الروس سرقوا جسده وحملوه إلى مدينة سان بطرسبرج St-Petersburg أثناء ثورة اليونان وأرسلوا لهم أيقونة متقنة عوضاً عن جسده^(٢).

والجدير بالذكر أن ميناء ميرا، ويسمى أندرياس Andriace، هو من أعظم وأهم الموانئ على شواطئ آسيا الصغرى. وجميع سفن الشحن التي تقوم من الإسكندرية حاملة القمح إلى روما ترسو في هذا الميناء، لأن خط سيرها هو بحذاء الشواطئ من فينيقية إلى آسيا الصغرى. ومن هذا الميناء «أندرياس» ترحل السفن المحملة بالحمولات الكبيرة التي تبلغ ١٠٠٠ طن متجهة نحو شواطئ إيطاليا لأن التيار المائي يتجه من شاطئ هذا الميناء نحو الغرب بالإضافة إلى الرياح المساعدة. لذلك فوجود السفينة الإسكندرية في ميرا لم يكن مصادفة، ولكنها كانت في مسارها حسب الخط البحري الدائم.

إلى الموانئ الحسنة:

«ولما كنا نساغر رويداً أياماً كثيرة، وبالجهد صرنا بقرب كنيذس Cnidus». (أع ٢٧: ٧)

المسافة بين ميرا وكنيذس ١٣٠ ميلاً. وواضح أن السرعة كانت بطيئة، لذلك يقول «رويداً». وكنيذس ميناء على ساحل آسيا الصغرى في الاتجاه الغربي من ميرا. ومسيرتهم كانت بحذاء الساحل، لذلك فالبطء كان غالباً بسبب الرياح المعاكسة لأنهم كانوا يسرون في الاتجاه الغربي الشمالي، والرياح كانت آتية غربية شمالية. لذلك وصلوا في الحقيقة «بصعوبة» إلى هذا الميناء «ولم تُمكننا الريح أكثر». فكان عليهم تغيير الاتجاه مباشرة صَوْبَ الجنوب لتعطيلهم الريح نفسها دفعة قوية، مع أن خط السير الأصلي كان على أساس مساعدة تيار الماء ليكون الاندفاع مباشرة غرباً تماماً صوب شبه جزيرة المورة ومنها إلى إيطاليا مباشرة. ولكن تدخل الرياح المعاكسة أفقدهم ميزة التيار المائي الذي كان أهم مساعد لهم على الاندفاع السريع الآمن. وهكذا اتجهوا جنوباً نحو كريت وداروا حول رأس سلمون Salmon، أقصى نقطة في شرق كريت، وساروا تحت كريت بحذاء الشاطئ حتى وصلوا إلى ما يسمى الموانئ الحسنة Fair Havens: «ولما تجاوزناها (سلمون) بالجهد، جئنا إلى مكان يقال له الموانئ الحسنة التي بقربها مدينة لسائية». (أع ٢٧: ٨)

2. Conybeare, *op. cit.*, p. 635.

والصعوبة التي واجهتها السفينة هنا هي لنفس الأسباب التي واجهتها بين ميرا وكنيدس، أي الرياح الشمالية الغربية التي كانت تحاول أن تقذف بالسفينة ناحية الجنوب بعيداً عن حماية الشاطئ.

إنذارات من بولس الرسول ذي العينين الروحيتين المفتوحتين
لقائد المائة وللبحارة بلا فائدة:

كان توقُّع قائد المائة وكذلك بولس الرسول والتقيديس لوقا هو أن يصلوا إلى إيطاليا قبل موسم العواصف والأنواء، لأنهم أقلعوا في بكور الخريف. وهوذا الآن قد مرَّ عليهم زمانٌ كثيرٌ وهم لم يستعدوا عن شاطئ فينيقية إلا مسافة لا تُذكر. لم يذكر بولس الرسول كم من الوقت قضوه في الموانئ الحسنة بجنوب كريت، ولكن إحساسهم بمعنى الزمن كان كبيراً وغير متوقَّع.

ولكن الذي تسيطر على فكر بولس بل وإحساس روحي تنبؤي أن الإبحار في هذا الوقت في عرض البحر المكشوف هو بكل المقاييس مجازفة خطيرة، بل إنه لن يمرَّ بدون خسارة، ليس للسفينة وحدها بل ولهم أيضاً:

«ولما مضى زمان طويل وصار السفر في البحر خطراً، إذ كان الصوم أيضاً قد مضى، جعل بولس يُنذَرهم.» (أع ٢٧: ٩)

وقول القديس لوقا إن: «وقت الصوم قد مضى» اصطلاح يفيد أن هذا الميعاد من السنة لا يُبحر فيه؛ بل ولا يُستحبُّ فيه السفر أياً كان. فالوقت كان في هذه المرحلة قد بلغ بداية شهر أكتوبر. وكل الرحالة يؤكدون أن الإبحار في هذا الوقت مخاطرة.

أما وهم باقون في «الموانئ الحسنة» فهذه نعمة، وكان الواجب أن يلتزموا الإقامة بها حتى يضي زمن الشتاء. هذا كان رأي بولس محدداً أنهم إن جازفوا واستمروا في الإبحار فستحدث خسارة مزدوجة: «أيها الرجال أنا أرى أن هذا السعر عتيق أن يكون بضرر وخسارة كثيرة ليس للشحن والسفينة فقط بل لأنفسنا أيضاً» (أع ٢٧: ١٠). وينبغي أن لا ننسى أن بولس الرسول أصبح متمرساً في انكسار السفن والغرق في البحر وقضاء الليل والنهار في العمق (٢ كو ١١: ٢٥ و ٢٦)، فهو إحساس بالخطر قبل وقوعه. على أن مركز بولس الرسول في سفينة الإبحار هذه لم يتخذ مركز سجين تحت الاعتقال والترحيل بل قبطان متقاعد! ولكن الكل سدّ أذنيه، أو سدّها لهم صاحب سلطان الهواء الذي نوى أن يضيف على أتعاب بولس أتعاباً تليق بأن تُضاف إلى الأصحاب الحادي عشر من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس.

«ولكن كان قائد المثة ينقاد إلى ربّان السفينة وإلى صاحبها أكثر مما إلى قول بولس». (أع ٢٧: ١١)

فلا صاحب السفينة رثى لسفينته، ولا البحارة لفئهم ومستقبلهم، ولا قائد المثة حَسِبَ حساب سمعته ومسئوليته. ولكن أتى الوقت سريعاً الذي فيه ندم الجميع على استخفافهم بالمشورة، وخضع الكل وبلا استثناء لقيادة بولس كصاحب الكلمة العليا في إدارة الرحلة حتى أوصلها شاطئ الأمان بأقلّ خسارة!!

تركوا المواني الحسنة بعد فترة ليست بقليلة، والمعروف من الأبحاث والحفائر والدراسة الجغرافية أن بولس الرسول أقام في المواني الحسنة مدة عُمِد فيها كثيرين. وهناك آثار محفورة باسمه وبقايا دير يحمل اسم بولس^(٣).

العاصفة العاتية:

«ولكن بعد قليل هاجت عليها ريح زويعية يقال لها أوروكليدون Euroclydon. فلما خُطِفت السفينة ولم يمكنها أن تقابل الريح، سلّمنا، فصرنا نُحْمَل، فجرينا تحت جزيرة يُقال لها كلّودي Claudia، وبالجهد قدرنا أن نملك القارب». (أع ٢٧: ١٤-١٦)

توقفت الرياح الآتية من الشمال الغربي فجأة وهي التي كانت تقلقهم، وعوضاً عنها هبت ريح الجنوب لطيفةً بنسمات دافئة. وفي عُرف الذين يعرفون متى وكيف تهب الرياح الدافئة المضادة من الجنوب، يعرفون جيداً أنها لا تدوم، بل هي حركة تصحيح مؤقتة بسبب تغيير في الضغوط الهوائية. ولكن حركة الرياح السائدة في ذلك الوقت من السنة والتي تشتد لتصبح دائمة هي رياح الشمال الغربي الباردة؛ أمّا رياح الجنوب فمزيّقة لا تدوم إلا قليلاً حتى تعود وتكتسحها رياح الشمال بعنف! وهكذا فاز رئيس سلطان الهواء بخدعته إذ ظنّها البحارة القليلي التمرّس في طاعة المشورة أنها كافية لتوصلهم «إلى فينكس ليشثوا فيها» (أع ٢٧: ١٢)، فحلّوا المراسي وأقلّعوا على غير بركة الله!!

ظلت الرياح معتدلة والسفينة تتهادى إلى فينكس Phoenix وهي على بعد ٣٥ ميلاً من رأس الجزيرة الغربي.

وما أن مرقت السفينة بعيدة عن الشواطئ ودخلت في عرض البحر متجهة إلى الشمال

3. Conybeare, *op. cit.*, p. 641.

العربي، إلّا وانقضت عليها زوبعة من فوق قمم الجبال التي في طرف الجزيرة، وصدمت السفينة بعنف فخطمتها من مسارها وبدأت تدور حول نفسها دون القدرة على ضبط مسارها، وخابت حكمة التحكّم في دفة السفينة. وهنا يعطي القديس لوقا أوصافاً للريح تعبرُ فنياً عن أقصى عنف تبلغه ريح! وهو ما يسميه الأخصائيون بـ «التّوء الشديد hurricane أو Typhonic wind»؛ أما البحارة فقالوا عنها إنها «ريح Eurochlydon»، وهو تعبير يجمع بين عنف الرياح واصطدامها بالمياه لترفع أمواجها في عجاج مريع.

كان لا بد أن يسايروا العاصفة قليلاً حتى لا تشطر السفينة، فاتجهوا مع الريح جنوباً نحو جزيرة كلودي وهي تبعد عن كريت عشرين ميلاً ناحية الجنوب الغربي، وذلك ليختبئوا تحتها.

وبالجهد استطاعوا أن يملكوا زمام قارب النجاة لأنه كان على جانب السفينة، ولما رفعوه أصبحوا قادرين أن يحزموا السفينة بالسَّلَب (*) المتين: «وبالجهد قدرنا أن نملك القارب (من شدة وعنف حركة السفينة) ولما رفعوه طفقوا يستعملون معونات حازمين السفينة» (أع ٢٧: ١٦ و ١٧). وكانوا على حذر من أن تقع السفينة على أرض عالية تحت المياه (جُزف قاري) فتمزق السفينة: «وإذ كانوا خائفين أن يقوموا في السيرتس Syrtis، أرسلوا القلوع. وهكذا كانوا يُحْمَلُونَ» (أع ٢٧: ١٧). أما إنزال القلوع فهو ليمنع الرياح من أن تجرف السفينة عنوة نحو الجنوب، ولكن بإنزال القلوع تفقد المركب اتزانها وتصح تحت رحمة اللجج في البحر ترتفعها إلى أعلى وتحطها إلى أسفل بلا ضابط.

ولكن السفينة ثقيلة، وحولتها تزن ألف طن، فهذا معناه أنها وشيكة أن تتفشخ وتطمطها ضربات الأمواج العالية. فكان يتحتم تفريغ السفينة: «وإذ كُنَّا في نوء عنيف جعلوا يفرغون في المد» (أع ٢٧: ١٨). لقد ألقوا بجرء من حولة السفينة في البحر!!! ولكن لا رالت السفينة تلامطها الأمواج بعنف: «وفي اليوم الثالث وهبنا فأيلدينا أثاث السمين» (أع ٢٧: ١٩). وكان من ضمن تجهيزات السفينة أثقال حديدية تُستخدم في شتى المجالات، وها المتكلم والمُنقذ يدخل فيهم لوقا نفسه وبولس الرسول أيضاً، لأن الجميع بدأوا يتعاونون في عملية إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

لقد عمّ الجميع الفزع والهلع، الرياح بعويلها وصريها والسفينة ترتفع إلى فوق وتهبط إلى أسفل، فلا أحد يملك وقوفه ولا جلوسه، ولا حتى مشيه أو حركته، الكل يصطدم بالكل، والذي يقوم على قدميه تطرحه السفينة أرضاً على وجهه. صراخ وحركة مجنونة، الكل يعمل والكل لا

(*) الحبل المتين المقلوب من ألياف الشجر.

يعمل، الأجساد منهكة، العقول زائفة، الأعصاب متوترة، المياه ملأت السفينة، الكل مبتل^٤ والمطر^(٤) يجري مدراراً، والملابس تُعصر منها المياه، والرياح الباردة العنيفة تعصف بالأجسام المبتلة فتزيد من برودتها وتجعلها ترتعد ارتعاداً. فالوقت بكور الشتاء!! والسما معمة والسحب متكاثفة. لقد غابت الشمس عن الشروق أياماً وامتد الليل ليدخل في النهار، فلا نوم ولا نعاس، ولا أكل ولا شرب، ولا راحة ولا شبه راحة ولا بصيص من رجاء: «وإذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيرة واشتد علينا نوح ليس بقليل انتزع أخيراً كل رجاء في نجاتنا.» (أع: ٢٧: ٢٠)

بشرى النجاة:

لقد قطع جميع البحارة وجميع المسافرين على أنفسهم صوماً كل لإلهه. والله من فوق سمع ورأى وكتب أمامه سفر تذكرة.

«فلما حصل صوم كثير، حينئذ وقف بولس في وسطهم وقال: كان ينبغي أيها الرجال أن تُذعنوا لي ولا تقلعوا من كريت فتسلموا من هذا الضرر والخسارة والآن أنذركم (أبشركم) أن تُسروا، لأنه لا تكون حسارة نفس واحدة منكم إلا السفينة. لأنه وقف بي هذه الليلة ملاك الإله الذي أنا له والذي أبده قائلاً: لا تخف يا بولس ينبغي لك أن تقف أمام قيصر. وهوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك. لذلك سُروا أيها الرجال لأنني أؤمن بالله أنه يكون هكذا كما قيل لي ولكن لا بد أن نقع على جزيرة.» (أع: ٢٧: ٢١-٢٦)

واضح أن بولس الرسول يتكلم بالنبوة خاصة من قوله: «لا بد أن نقع على جزيرة»، وكأنه يراها رؤية.

وهكذا في زحمة المهرج والمرج، وصراخ هذا وذاك والكل قد أخذتهم الرعدة، كان بولس يصلي ويطلب الوجه الذي أشرق له من السماء يوماً طالباً أن يجد الرب اسمه وسط هؤلاء المنزعجين والغرقى بدون غرق. وقف به ملاك البشري وأعطاه وعداً بالنجاة، وأراه من على بُعْد الجزيرة التي ستحتضنهم!

بعد أربعة عشر يوماً:

«فلما كانت الليلة الرابعة عشرة ونحن نُحمل تائهين في بحر أدريا، طرّ النوتية نحو نصف الليل أنهم اقتربوا إلى برٍّ فقاؤوا (الفاطس) ووجدوا عشرين قامة، ولما مضوا قليلاً قاسوا أيضاً

(٤) «لأنهم أوقدوا ناراً، وقبلوا جميعاً من أجل المطر الذي أصابنا ومن أجل البرد.» (أع: ٢٨: ٢)

فوجدوا خمس عشرة قامة. وإذا كانوا يخافون أن يقعوا على مواضع صعبة رموا من المؤخر أربع مراسي وكانوا يطلبون أن يصير النهار.» (أع ٢٧: ٢٧-٢٩)

أما كيف أدرك البحارة أنهم اقتربوا من شاطئ، فهذه مهارة البحارة في إحساسهم بحركة احتكاك السفينة بالماء، إن كان الغاطس عميقاً أو ضحلاً، وهذا يتأتى بتدريب الحواس. ودخول السفينة هكذا بعنف على أرض صخرية معناه الهلاك للجميع.

حركة غرد للبحارة، أقمعت في وقتها:

«ولما كان النوتية يطلبون أن يهربوا من السفينة وأنزلوا القارب إلى البحر بعلة أنهم مزمعون أن يمدّوا مراسي من المقدّم، قال بولس لقائد المئة والعسكر: إن لم يتيقّ هؤلاء في السفينة فأنتم لا تقدرون أن تنجوا. حينئذ قطع العسكر جبال القارب وتركوه يسقط.» (أع ٢٧: ٣٠-٣٢)

«أخذ خبزاً وشكر»:

«وحتى قارب أن يصير النهار، كان بولس يطلب إلى الجميع أن يتناولوا طعاماً قاتلاً: هذا هو اليوم الرابع عشر وأستم منتظرون لا تزالون صائمين ولم تأخذوا شيئاً. لذلك ألتمس منكم أن تتناولوا طعاماً لأن هذا يكون مفيداً لنجاتكم لأنه لا تسقط شعرة من رأس واحد منكم. ولما قال هذا، أخذ خبزاً وشكر الله أمام الجميع وكسّر وابتدأ يأكل. فصار الجميع مسرورين وأخذوا هم أيضاً طعاماً. وكثّا في السفينة جميع الأنفس مئتين وستة وسبعين.» (أع ٢٧: ٣٣-٣٧)

مزید من تخفيف حمولة السفينة لإمكانية دخولها الشاطئ:

«ولما شبعوا من الطعام طفقوا يخفّفون السفينة طارحين الحنطة في البحر» (أع ٢٧: ٣٨). فقد شربت الحنطة من البحر ما شربت وما عادت تصلح لأكل أو تحارة.

«ولما صار النهار لم يكونوا يعرفون الأرض ولكنهم أصرّوا خلباً له شاطئ، فأجبعوا أن يدمعوا إليه السفينة إن أمكنهم، فلما نزعوا المراسي تاركين إياها في البحر وحلّوا رُبُط الدفة أيضاً رفعوا قلماً للريح الهابة وأقبلوا إلى الشاطئ. وإذ وقعوا على موضع بين بحرين شقّطوا السفينة فارتكز المقدم ولبث لا يتحرك وأما المؤخر فكان ينحلّ (يتفكك) من عنف الأمواج.» (أع ٢٧: ٣٩-٤١)

قائد المئة ينقذ حياة بولس الرسول:

«هكان رأي العسكر أن يقتلوا الأسرى لثلاث يسبح أحد منهم فيهرب. ولكن قائد المئة إذ كان يريد أن يخلص بولس، منعهم من هذا الرأي، وأمر أن القادرين على السباحة يرمون أنفسهم أولاً

فيخرجون إلى البر، والباقيين بعضهم على ألواح وبعضهم على قِطْع من السفينة. فهكذا حدث أن الجميع نجوا إلى البر.» (أع ٢٧: ٤٢-٤٤)
وكان وصول الرحلة إلى مالطة في بداية شهر نوفمبر سنة ٥٩ م.

وقفة قصيرة لتقييم الرحلة:

إن الإنسان ليتعجب كيف وصلت السفينة إلى مقصدها، وهي بعد قولهم ظلت تائهة في بحر أدريا أربعة عشر يوماً!! منذ أن جرى لها ما جرى تحت حذيرة كلودي، وهي فاقدة كل صلاحيتها تحت ضربات هذا النوء العنيف وغياب الشمس والنجوم!!
وكما سبق أن شرحنا لا بوصلة ولا ميزولة ولا ساعة ولا معرفة بخطوط عرض أو طول. لقد قطعت السفينة ليس أقل من ٤٨٠ ميلاً بحسابات رجال القياسات البحرية، ومعنى هذا أنها كانت تسير بسرعة ميل ونصف في الساعة! أي ٣٦ ميلاً في الأربع والعشرين ساعة.

وبمنظرة واحدة إلى الخريطة الخاصة برحلة بولس الرسول إلى روما، يدرك القارئ أن هذه السفينة إنما كان يقودها روح بولس وأنين قلبه وصلاته، فهي تكاد تكون متجهة الاتجاه الصحيح طول رحلتها الطويلة!!! أما هذه المفارغ والمروعات فهي هي نفسها "أعطيت ملاك الشيطان ليلطم سفيتي". ولكن النجاة كانت مرسومة قبل الإقلاع، أما الوقوف أمام قيصر فكان أمراً قد صدر من العلي القدير، وليست قوة على الأرض أو في السماء بقادرة أن تعطله أو تمنعه.

وبمنظرة واحدة إلى سلوك بولس الرسول على مدى هذه الرحلة، لا يصدق الإنسان أنه كان في موقع الأسير المرحل تحت القيود للمحاكمة؛ بل كبير القوم ومشيرهم وأباهم وراعي نفوسهم والساھر عليهم والمصلّي من أجلهم بل والذي يطمعهم في حينه الحسن.

ضيافة أهل مالطة:

«ولما نجوا، وجدوا أن الجزيرة تدعى مَلِيْطَة، فقدم أهلها البرابرة (ليسوا رومانين) لنا إحساناً غير المعتاد، لأنهم أوقدوا ناراً وقبلوا جميعنا من أجل المطر الذي أصابنا ومن أجل البرد.» (أع ٢٨: ٢٩١)

لا تكفي الكلمات ولا أي وصف يفيد شيئاً في هذا الترحاب بعد عناء قارب الموت، وليلاحظ القارئ أن القديس لوقا يتكلّم عن إحسان غير معتاد ثم يرفقه بأنهم أوقدوا ناراً ... وما قيمة النار في الضيافة؟ ولكن لقوم أضناهم برد الليالي المطيرة وسط أنواء وزوايع مستمرة وهم على ظهر سفينة في مواجهة السماء، مع إرهاق بلغ أقصى حدوده، وجوع واضطراب، نعم، فالنار لمثل هؤلاء بقيت



«ساعونا من عب كريت...» (أع ٢٧: ٧)

حينما غاكسب الريح السقية ساروا ببطء من جهد الشاطئ امواجه للريح .

أطلال هيكل كاستور وپوليكس المكرّتين على اسم التوامين
ديوسقوروس، وهما حاميان للبحارة. وتحت علامة تسمى «الجوراء»
(= التوام)، سافرت المركب الإسكندرائية حاملة القديس بولس من
مالطة إلى إيطاليا (أع ٢٨: ١١).

وفي مؤخرة الصورة، يرى قوس نبطس الذي أقيم لتخليد ذكرى
استيلائه على أورشليم عام ٧٠ م.

(أنظر صفحة ٧١٥)



في ذاكرتهم وكأنها أعظم ما يمكن أن يتمنوه وأعز ما يمكن أن يحتاجوه. لوقا يتذكر كيف اجتمعوا كلهم، ٢٧٦ فرداً معاً، ليصطلوا ناراً!

أي نار وما شكلها وحجمها وكيف اجتمعوا حولها، منظرٌ أخذ على كل حال يأخذ بمكامن القلوب التي أضناها صقيع الليالي في أنواء البحر العاتي ... يا لها من ضيافة ويا له من إحسان! لقد قدموا لهم الطعام والشراب بما يكفي، ولكن كانت النار هي التي علفت وحدها في ذاكرة لوقا. هكذا، عزيزي القارئ، تفصح كلمات لوقا القليلة عن مدى العناية الذي واجهوه.

«يحملون حيات، وإن شربوا شيئاً مميئاً لا يضُرُّهم» (مر ١٦: ١٨):

أليست هذه «علامات الرسول التي صُنِّعَتْ بينكم» على حد قول بولس الرسول (٢ كو ١٢: ١٢)؟

«فجمع بولس كثيراً من القضاة ووضعها على النار فخرجت من الحرارة أفسى ونشبت في يده فلما رأى البرابرة الوحش شُعلتْ بيده، قال بعضهم لبعض: لا بد أن هذا الإنسان قاتلٌ لم يَدَّعه المدل يمينا ولونجا من البحر، فنفض هو الوحش إلى النار ولم يتضرر بشيء رديء. وأما هم فكانوا ينتظرون أنه عتيد أن يتنفخ أو يسقط بغتة ميتاً، فإذا انتظروا كثيراً ورأوا أنه لم يعرض له شيء مضر، تغيَّروا وقالوا هو إله». (أع ٢٨: ٣-٦)

هكذا الذي يراه الناس نقمة يراه الله نعمة، والذي أرسله الشيطان في طريق بولس ليزيده المأ أو موتاً يجعله الله آية لتكريم بولس وسبباً لمجد الله بالنهاية، فهذه الحية انفتحت لبولس باب للخدمة في هذه الجزيرة النائية التي ما كان يحلم بزيارتها يوماً لرُدِّ مئآت وربما ألوف للإيمان بالمسيح، وشفاء أمراض وتفريغ قلوب الناس. ما أعظم أعمالك يا رب وما أبعد طرقك عن الفحص! لقد ظل بولس الرسول في هذه الجزيرة ثلاثة أشهر لم يكف عن خدمة أهلها، وكأنه أقلع من قيصريَّة لأجلها.

ومن الأمور العجيبة التي يلذ لنا أن نذكرها ويعلمها القارئ العزيز أن مالطة الآن تخلو تماماً من الحيات والثعابين، وشعبها يقول إن القديس بولس الرسول لعنها فاختفت مع نسلها إلى الأبد. وكمثل شجرة التين التي صادفها الرب قبل صليوته، هكذا حيَّة بولس.

بوبيوس اللطيف المضيف، و"يوم من أيام ابن الإنسان":

«وكان فيما حول ذلك الموضع (الذي نزلوا فيه من السفينة) ضياع لمقدم الجزيرة الذي اسمه بوبليوس، فهذا قبلنا وأضافنا بملاطفة ثلاثة أيام. فحدث أن أبا بوبيوس كان مضطجماً معترى

بحمى وسحج، فدخل إليه بولس وصلى ووضع يديه عليه فشفاه. فلما صار هذا كان الباقون الذين بهم أمراض في الجزيرة يأتون ويُشفون.» (أع ٢٨: ٧-٩)

وكاننا في أيام المسيح ومنظر الشعب يتقاطر على بولس الرسول، وكلُّ حامل مريضه يضعه بين يديه ليقوم معافى. وكل أنواع الأمراض وحتى المستعصية منها استجابت لدعاء بولس ولمس يديه. هذا حلم فريد من نوعه قال عنه الرب وقد كان: «ستأتي أيام فيها تشتهون أن تروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان» (لو ١٧: ٢٢). وكان ليس بولس الذي وقع على الجزيرة التي كانت تشتهيه سنين كثيرة، بل الرب يسوع.

لقد وُجد في حفائر هذه المنطقة حجرٌ منحوتٌ عليه اسم بوبليوس مقدّم الجزيرة^(٥).

في الطريق إلى روما محمّلين بالهدايا: في ٨ فبراير سنة ٦٠ م «وبعد ثلاثة أشهر أقلعنا في سفينة إسكندرية موسومة بعلامة الجوزاء Διοσκούροις (أي التوأمن حيث الجوزاء يعني زوج) ...، ولما أقلعنا زوّدونا ما يُحتاج إليه.» (أع ٢٨: ١١ و١٠)

ذكرى حسنة مألوفة باقية لها إلى الأبد. لقد أضافت الكنيسة في شخص بولس ولوقا، بل لقد أضافتنا معهم، حيث الله أهلها وقُدّس أرواحهم وقُدّس أرواح بوبليوس وكل مؤمنيه.

أما علامة «الجوزاء»، فـ«الجوزاء» ترجمة سقيمة للكلمة اليونانية ديوسقورس وهو ليس صفة بل اسم توأمين Castor and Pollux وهما شفيعا البحارة.

على جزيرة صقلية «سيسي»:

أرست السفينة في ميناء سيراكوسا على جزيرة صقلية في أول عطف لها بعد أن شئت في مالطة، وأقامت راسية ثلاثة أيام. كانت فرصة ذهبية لبولس الرسول ليزور مجعاً كبيراً لليهود في المدينة المشهورة بالتجارة مع الشرق، وبقينا أنه بشرهم بالأخبار السارة، لأن التقليد الكنسي في هذه الجزيرة يقول إن أول كنيسة في الجزيرة أسسها بولس الرسول نفسه.

في ضيافة أهل بوطيولي Puteoli: ١٨ فبراير سنة ٦٠ م «فنزلنا إلى سيراكوسا ومكثنا ثلاثة أيام ثم من هناك دُزنا وأقبلنا إلى ريفيون Rhegium.» (أع ٢٨: ١٢ و١٣)

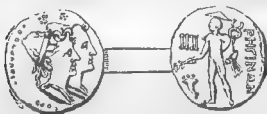
5. Conybeare, *op. cit.*, p. 660 n.3.

وللمصادفة الجميلة فإن شفع هذه المدينة «ريغيون» هو نفس التوأمن «ديوسقورس» المرسومين على مقدمة السفينة «The Great Twin Brothers» وهما في الحقيقة شخصيتان: كاستور وهو اسم القديس «قسطن» المعروف في المسيحية الآن، وبوليكس Pollux (أنظر صورتها على أحد النقود التي عُثِرَ عليها في المنطقة) (١).

وهنا مكشوا يوماً واحداً: «وبعد يوم واحد حدثت ريح جنوب فجثنا في اليوم الثاني إلى بوطيولي» (أع ٢٨: ١٣). و«بوطيولي» تُحسب مدينة درجة أولى في إيطاليا في ذلك الوقت. وكان أهل هذه المدينة مسيحيين، فأقبلوا على بولس ولوقا بالفرح والترحاب واستضافوهما: «حيث وجدنا إخوة فطلبوا إلينا أن نمكث عندهم سبعة أيام.» (أع ٢٨: ١٤)

وليس مصادفة أن يأتي المسيحيون بوصول السفينة، بل كان أهل مدينة بوطيولي كلهم حينما يرون سفينة إسكندرية محملة بالقمح تدخل الميناء يهرع الجميع لاستقبالها بالفرح والهناف ومعهم الذهب والفضة لشراء قوت الحياة. هنا تعرف المسيحيون على بولس واستضافوه مع لوقا.

والعجب، وليس عجباً، أن يسمح القائد يوليوس لبولس بالبقاء سبعة أيام في بوطيولي. ولكن ألم يكن هذا الأسير سبباً في إنقاذ حياته مع جنوده؟



العملة النقدية المحفوظة بالمتحف البريطاني،
وعلى أحد وجهيها (الأيس) صورة «التوأمن — ديوسقورس»
القديسين كاستور وبوليكس.

6. Conybeare, *op. cit.*, p. 666.

«وهكذا أتينا إلى روما» - الأسبوع الأول من مارس سنة ٦٠م:

في تصورات قلبه، رأى بولس الرسول روما وكأنه أتاها كارزاً حراً يدب برجليه حيشماً يشاء، أما في تصورات قلب الله فأن يأتيها مقيداً اليدين، كمخلّصه يوم عيد فصحته في أورشليم، فالذبيحة الحرة التي بلا لوم تُساقُ إلى الذبح مقيدة ليسهل ذبحها...

كان منتهى أمل بولس أن يشهد لمسيحه في روما بالكلمة،

ولكن الله كرمه بأن يشهد لابنه بالدم،

سيان إن كان داود قد قال: «العار قد كسر قلبي» (مز ٦٩: ٢٠) عن المسيح، أو عن بولس،

أو عن كل من حل الصليب!

فإن كان محرر البشرية قيّده، فالذي يتادي بحرية أولاد الله حتماً يقيدونه. والقيود في عين

النفس سخر وتذليل، أما في عين الروح فمجد وإكليل.

هكذا أتى بولس إلى روما بعد رحلة العذاب التي كانت تسجل أحداثها في السماوات أولاً

بأول، وحيث تكشّلت سيرته بإكليل المجد الذي يعطيه الله له في ذلك اليوم، حاملاً في جسده

الروحاني سمات تعاضيه بشبه المسيح وأثر الشوكة التي نغّصت حياته على الأرض.

فورن أبيوس والإخوة المُستقبلون على طريق أبيا (Apian Way) حتى مشارف روما:

«ومن هناك لما سمع الإخوة بخبرنا، خرجوا لاستقبالنا إلى فورن أبْيوس والثلاثة

الخوانيت.» (أع ٢٨: ١٥)

وهما على طريق أبيا المشهور، أما فورن أبيوس Apii Forum فهي مدينة مشهورة بفنادقها ذات

الطابق الواحد، وسوق للبجارة وهي مركز تجمع هائل لجميع الآتين من جميع أنحاء العالم، وحيث

كان يجد المسيحيون فرصة للتقابل والتعارف بالآتين من مشارق الأرض ومغاربها، وحيث كانوا

يستضيفون الغرباء ويقومون بخبز الشكر. ولولا هؤلاء المسيحيون، لبقيت قبائح هذه المدينة وشروطها

عاراً على الإمبراطورية.

وقد كان خبر مجيء بولس الرسول قد ملأ الأصقاع، فتقاطروا ليروه ويتعرفوا عليه. ولدهشة

بولس الرسول رأى فيهم كثيراً من أولاده الذين تمخض بهم يوماً وولدهم للمسيح. هؤلاء تقدّموا في

الطريق وقابلوه.

أما بخصوص المسيحيين في روما، فلم يستقر العلماء حتى الآن على مبتدأ تواجدهم في روما.

ولكن نحن نعلم من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية أن بعضاً منهم كان في المسيحية قبل أن يصير بولس مسيحياً: «سَلِّمُوا عَلَى أَنْدْرُونِكُسَ وَيُونْيَاسَ نَسِييَ الْمَاسَوْتَيْنِ مَعِي، الَّذِينَ هُمَا مَشْهُورَانِ بَيْنَ الرُّسُلِ وَقَدْ كَانَا فِي الْمَسِيحِ قَبْلِي» (رو ١٦: ٧). والملاحظ أن أكِيلا وبريسكلا عادا إلى رومية بعد أن كانا مع بولس حامليْن إلى روما كل تعاليم بولس ورسائله: «سَلِّمُوا عَلَى بَرِيْسَكْلَا وَأَكِيْلَا الْعَامِلَيْنِ مَعِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِينَ وَضَعَا عُنُقَهُمَا مِنْ أَجْلِ حَيَاتِي، الَّذِينَ لَسْتُ أَنَا وَحْدِي أَشْكُرُهُمَا بَلْ أَيْضاً جَمِيعَ كَنَائِسِ الْأُمَمِ، وَعَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتَهُمَا» (رو ١٦: ٣-٥). وطبعاً كان هؤلاء هم أول المستقبلين لبولس الرسول وأكثر المشجعين. وهكذا الكثيرون من المسيحيين في روما هم تلاميذ لبولس، ومعظمهم من يهود الشتات الذين خدمهم بولس في آسيا واليونان أثناء طردهم من روما على يد الإمبراطور كلوديوس، ثم رجعوا إلى روما مقرهم الأول وكوّنوا كنيسة المسيح في روما.

بعد منشور الإمبراطور كلوديوس سنة ٤٩م بطرد جميع اليهود واليهود المسيحيين من روما، أفرغت المدينة العظيمة من اسم المسيح. ولكن، وبعد ذلك بخمس سنوات، اعتلى نيرون عرش الإمبراطورية الرومانية فمات هذا المنشور بكل ما احتوى، وتدفّق اليهود واليهود المسيحيون، بل ومسيحيو الأمم إلى روما. وبمجيء سنة ٥٧م نسمع من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية المسيحيين في تلك السنة أن المسيحية كانت مزدهرة، والمعروف أنه منذ سنة ٥٤م بدأت المسيحية تنتعش في روما.

وبولس الرسول يشير إلى إيمان المسيحيين في روما: «أولاً أشكر إلهي يسوع المسيح من جهة جِمْكُمْ أَنْ إِيمَانَكُمْ يُنَادِي بِهِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ» (رو ١: ٨). ولكن يلاحظ أن رسالة بولس الرسول إلى أهل روما تخلو من كلمة «كنيسة روما»، فلم تكن الكنيسة قد تشكلت بالرغم من وجود مؤمنين متفرقين: «إلى جميع الموجودين في رومية أحبباء الله، مدعوّين قديسين» (رو ١: ٧). والواقع أن كل جماعة منهم كانت تعقد اجتماعاتها وصلواتها في بيت من البيوت مثل: «سَلِّمُوا عَلَى بَرِيْسَكْلَا وَأَكِيْلَا ... وَالْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتَهُمَا» (رو ١٦: ٥٣). والملاحظ في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية أنها دون جميع الرسائل يذكر فيها المؤمنين جماعات جماعات وذلك لعدم وجود الجماعة المتركرة في الكنيسة الواحدة، وبالتدقيق نجد أنه عيّن خمس جماعات في خمسة تجمعات:

١ — جماعة أكِيلا وبريسكلا والكنيسة التي في بيتهما (رو ١٦: ٥).

٢ — جماعة أهل أَرِسْتُوبُولُوس Aristobulus (رو ١٦: ١٠).

٣ — جماعة أهل نِيرِكِيْسُوس (رو ١٦: ١١):

ويلاحظ أن كلمة «أهل أَرستوبولوس» و«أهل نركيسوس» هو تعبير عن العبيد المحرَّرين وليس أفراد العائلة، فأَرستوبولوس هو أخو هيرودس أغريباس الأول الملك الذي كان يعيش كمواطن حر في روما وكان له هؤلاء العبيد أو الأتباع الذين حرَّروهم وصاروا مسيحيين. هذا، ولكي لا يتداخل المعنى في أشخاص العائلة الملكية ذاتها، قال بولس الرسول «الذين من أهل» وهي تشبه كلمة «أتباع». كذلك فإن «نركيسوس» هو طيبريوس كلوديوس نركيسوس، وهو أصلاً عبد مُحرَّر حرَّره طيبريوس. وهذا العبد كان قد حُكِم عليه بالإعدام بسبب قضية (تنصير) أم نieron سنة ٥٤م، التي أعدمها أيضاً نieron.

- ٤ - الجماعة الرابعة: أسينكريتس Asyncritus، فيلفون Phelgon، هرماس Hermas، بتروباس Patrobas، هرميس Hermes والإخوة الذين معهم! (رو ١٦: ١٤)
- ٥ - الجماعة الخامسة: فيلولوغس Philologus، جوليا Julia، نيريوس Nereus، وأخته أوليمباس Olympas وجميع القديسين الذين معهم (رو ١٦: ١٥).

وأما الباقون فقد كتب أسماءهم مفردة واحداً واحداً وواحدةً واحدة، لأنهم كانوا لا يتبعون جماعة معينة، فاضطر أن يذكرهم فرداً فرداً. كل هذا بسبب غياب كنيسة واحدة تجمعهم في روما. ولكن وبالرغم من تشرذمهم هكذا، فقد كانت تجمعهم روح واحدة حارة عابدة مخلصه. معنى هذا أن الرسالة إلى رومية لم تُقرأ على مسامع الكنيسة مرة واحدة بل مرَّت على كل بيت وكل عائلة وكل جماعة.

وينبغي أن نرفض أية فكرة بخصوص إمكانية زيارة بطرس الرسول لروما في الخمسينات قبل كتابة رسالة بولس إلى أهل روما. لأنه من غير المعقول أن يقرر بولس رغبته الملحة لزيارة روما ويقول: «لكي أمتحكم هبة روحية لثباتكم» (رو ١١: ١١)، ويكون بطرس الرسول فيها أو يكون قد أسس الإيمان فيها، بسبب المبدأ الذي قطع فيه بولس على نفسه أن لا يكرر على أساس لآخر: «... بقوة آيات وعجائب بقوة روح الله، حتى إني من اورشليم وما حولها إلى إلدير يكون قد أكملتُ التبشير بإنجيل المسيح. ولكن كنت محترصاً أن أبشر هكذا ليس حيث سُمِّي المسيح، لئلا أبني على أساس لآخر.» (رو ١٥: ١٩ و٢٠)

أما مدينة «الثلاثة حوانيت» The Three Taverns فهي تبعد عن فورن أبيوس بنحو عشرة أميال. والترجمة العربية محوَّة ولا تفيد المعنى؛ فالمقصود هو الثلاثة الخمارات أو «الحانات» وليس «الحوانيت»! وإلى هذه المدينة أيضاً أسرع إخوة آخرون لاستقبال سفير المسيح القادم في سلاسل: «فلما رأهم بولس شكر الله وتشجع.» (أع ٢٨: ١٥)

وسار الرفقة جميعاً معاً في نشوة الروح يتحدثون عن الأتعاب التي وانتهم والأعجاد الآتية بعدها .
لأن حديث المسيح لا يخرج عن الموت والقيامة بعدها ، أو الآلام ووراءها الراحة العليا ، أو عن
الدموع في الذهاب والمجيء بالأفراح ! وهكذا ظلوا يتحدثون سبعة عشر ميلاً أخرى حتى دخلوا إلى
مشارف روما ، يمشون ولا يتعبون لأنه كان على رؤوسهم فرح أبدي ، ألم يردوا كثيرين إلى البر؟

في روما تسليم وتسليم ، وتقديم التكریم للأسير:

«ولما أتينا إلى رومية سلم قائد المئة الأسرى إلى رئيس المعسكر . وأما بولس فأؤن له أن يقيم
وحده مع العسكري الذي كان يحرسه» (أع ٢٨: ١٦) . أينما ذهب بولس . كان ملاك الله يسبقه
ويعُد له مكانه في قلوب المسئولين على حراسته ، نعم كان أسيراً ولكنه أسر قلوب آسريه !

لم يكن قط متعلداً أو متداخلاً فيما لا يعني المسيح ، إنما كان فقط سارقاً لقلوب الناس
لحساب المسيح .

المكان الذي كان يقيم فيه بولس الرسول ، من مارس سنة ٦٠ حتى مارس سنة ٦٢ م :
بحسب تحقيقات العلماء ، هذا كان بالقرب من المعسكر العام في قلب روما المدعو البريتوريوم
Praetorium ، وهو بتحقيق العالم ويسلر Weiseler بجوار قصر البالاتين Palatine الذي كان
يقيم فيه القيصر . من هذا نفهم قول بولس الرسول في رسالته إلى فيلبي : «يسلم عليكم جميع
القدسين ولا سيما الذين من بيت قيصر» (في ٤: ٢٢) ، «كُتبت إلى أهل فيلبي من رومية على
يد أبفروودس» ، كذلك قوله أيضاً في نفس الرسالة : «حتى إنَّ وثُقي صارت ظاهرة في المسيح في
كل دار الولاية وفي باقي الأماكن أجمع» (في ١: ١٣) . هكذا كانت خدمة بولس الرسول في
رومية نشطة للغاية ، لم يكف عن الكرازة باسم المسيح مدة سنتين . وفي التقليد أنه عمّد زوجة
نيرون التي قتلها نيرون بعد ذلك . وعن طريق زوجة الإمبراطور استطاع أن يجذب الكثيرين من
أسرة نيرون : «كل دار الولاية» .

استدعى بولس الرسول وجوه اليهود:

«وبعد ثلاثة أيام استدعى بولس الذين كانوا وجوه اليهود .» (أع ٢٨: ١٧)

من أين ومتى جاء اليهود ليستوطنوا روما؟

بحسب تحقيقات تاريخ اليهود ، يُظن أن أول من وطأت أقدامهم روما هم من اليهود
المكابيين سنة ١٦٨ ق.م . وفي القرن الثاني تبعهم كثيرون كَوَنُوا لأنفسهم أول مجمع هناك وكان
لهم مَنْ يمشيهم في اورشليم الذين عُرفوا باسم مجمع الليبرتينيين Libertines ، أي «الأحرار» ،

ولكن هي في الحقيقة «المحرّرين» لأنهم أخذوا إلى روما كأسرى ثم حرّروهم الرومان (٧) (أع:٦٩). والذي أسرههم هو بومبي Pompey في غزوته للشرق سنة ٦٣ ق.م. وتحريرهم من الأشر يؤكد أنه فيلو اليهودي، ولكن أعدادهم زادت بعد ذلك من وراء التجارة. وكان معظمهم أغنياء جداً، وكانوا يرسلون المعونات إلى وطنهم بانتظام. وكثيرون منهم أخذوا المواطنة الرومانية مثل يوسيفوس المؤرخ نفسه؛ بل وبولس الرسول أيضاً. وكان لهم تأثير كبير على الفكر الروماني، فالفيلسوف سنيكا يقول: «إن المفهرين أعطوا الذين قهروهم القوانين» (٨). والمعروف أن اليهود هُودوا كثيراً من الرومانيين (٩).

ولكن المعروف والمتحقق أن اليهود كانوا مكروهين في روما وكل إيطاليا بصورة صارت تتزايد حتى أدت إلى طردهم ومعاملتهم بقسوة شديدة (١٠)، ولكنهم سرعان ما لعقوا جراحهم وعادوا إلى مواقعهم بمرونة يُتَجَب لها.

والواضح من سفر الأعمال أن اليهود في بداية حكم نيرون كانوا يتمتعون بالحرية والمساواة في الحقوق. وهذا واضح من دعوة بولس الرسول لأغنيائهم واجتماعه بهم علناً وفي مكان أشره وتحت بصر الجندي الروماني الذي يحرسه. وكان لليهود في ذلك الوقت سبعة مجامع في روما وحدها خُصّصت للسنتين ألف يهودي الذين سُمح لهم بالإقامة، وكانوا موضع سخرة السلطات الرومانية وسخطهم.

7. Conybeare, *op. cit.*, pp. 15,678; Joseph. *Ant.*, xviii.3.5.

8. *Ibid.*

9. *Ibid.*

(١٠) وتعمّد الكنيسة في المغرب في أول أغسطس عيد الشهداء الذين دُفوا بـ «السبعة وأهم» (وتعمّد كنيسة اقبليّة الأرثوذكسية تذكّار هؤلاء الشّهداء في اليوم الثامن من شهر مسرى)، وهم من يهود المكابيين الذين عوملوا بقسوة وماتوا أثناء الحرب، وهم المذكورون في سفر لمكابيين الثاني الأصحاح السابع ومطلع الأصحاح هكذا: «وقضى على سبعة إخوة مع أهم فأخذ الملك أنطيوخس يكرهمهم...». وقد أمانوا السبعة بعد تعذيب عسير ثم قتلوا أهم، وهي التي أشار إليها سفر العبرانيين في (١١: ٣٥ و ٣٤: ١١) «سبحوا من حد السيف، تقبّلوا من صعب، صابروا أشداه في الحرب، هزموا جيوش عرباء، أحدث نساء أمواتهن بقاءة، وآخرون عُذّبوا ولم يقلوا، نتجاة لكي يبالوا بقاءة أصل».

و يؤكد الأسقف العالم وستكوت في شرحه لسفر العبرانيين ص ٣٧٩، أن المقصود من ذلك هم السبعة المكابيين الذين تُعبد هم الكنيسة (٢ مك ٧). أما قول الآية في سفر العبرانيين أن ساء أحدث أمواتهن بقاءة، فالمعنى حسب الآية اليونانية يعود إلى الأم أحدث لجاءها الذين تعذبوا وماتوا بإيمان وسرور كأنهم في حالة قيامة.

وقد قال بذلك أيضاً آباء الكنيسة الألويد اقدس عريعر يوس الريرى (عظة ١٥)، والقديس أسعطينوس (العظة ٣٠: ٢). وهذا العيد الذي خلّاه السبعة الشّهداء بقاءة الكنيسة الرومانية في أول أغسطس أيضاً وتسميه Lammias Day، وهو العيد الوحيد في الكنيسة الذي تُعبد لشهداء في العهد القديم من غير الأنبياء.



طريق أينا

ملك الطرق الرومانية

ساحر القديس بولس الرسول في هذا الطريق وهو في طريقه إلى روما.

(أنظر صفحة ٧١٩)

«معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يُقاوم في كل مكان»:

بولس الرسول بدأ حديثه مع وُجَّهَاء اليهود، بأن شرح لهم لماذا هوي سلاسل، ولماذا هوهنا في روما. لقد دافع عن نفسه ليعبد فكرة أنه جاء ليشتكي شيئاً ضد أقتة أو ضد السنهديم؛ لئلا يُنظر إليه من جهتهم أنه يخون بلاده أو دينه. ثم ركَّز على العلة التي من أجلها قامت هذه الخصومة مع اليهود: «من أجل رجاء إسرائيل (أنا) مُؤثِّقٌ بهذه السلسلة» (أع ٢٨: ٢٠)، وأنه اضطر لرفع دعواه إلى قيصر لئلا لم يجد العدالة عند اليهود الذين طالبوا بقتله، أي من أجل مواعيد الله للأتبياء جميعاً، ولموسى أصلاً، عن المسيّا، الذي تحقق أنه يسوع المسيح الذي صُلب والذي قام من الأموات، فتبرهن أنه ابن الله ديثان الأحياء والأموات.

فكان ردُّ وجهاء يهود روما: «لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يُقاوم في كل مكان» (أع ٢٨: ٢٢)؛ وهذه إشارة ضمنية إلى عدم رضاهم عن هذا المبدأ الذي يتادي به، ولكنهم — وبنوع من الحكمة وعدالة الحكم — قالوا: «ولكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى؟» (أع ٢٨: ٢٢). أما من جهة بولس نفسه فطمأنوه أنهم حالوا البال مُسبقاً عن أي شيء ضده: «نحن لم نقبل كتابات فيك من اليهودية ولا أحد من الإخوة جاء فأخبرنا أو تكلم عنك بشيء رديء». (أع ٢٨: ٢١)

كان هؤلاء اليهود صادقين في تقريرهم عن بولس أنهم لم يتلقوا لا رسالة ولا خبراً من أحد عنه، لأن بولس الرسول وصل إلى روما ربما في أول سفينة تصل بعد الشتاء حيث كان البحر مقفلاً والسفر متوقفاً، ولأن بولس قضى سنتين في سجن قيصرية وكان هذا كفيلاً بتوقُّف الأخبار عنه من جهة الذاهبين إلى روما.

ثم «عَيَّنُوا له يوماً فجاء إليه كثيرون إلى المنزل». (أع ٢٨: ٢٣)

بولس الرسول يشرح لوجهاء يهود روما شاهداً بملكوت الله
بأمر يسوع من الصباح إلى المساء:

كانت هذه هي أمنية بولس، أن يشهد للمسيح في روما!! وقد حقق مبدأه الأساسي في الكرازة «لليهودي أولاً ثم اليوناني».

لقد أضافت السلسلة لشهادة بولس الرسول نوعاً من الجدية، وأصالة الإيمان المدفوع ثمنه، مع الاستهانة بكرامة الذات إزاء كرامة مَنْ يدافع عنه! كما خفّضت من روح النعمة عند المتعصّبين وضيقي الفكر، وشلّت حركة المسندعين المستعدين للإيذاء، فالذي يتكلم أمامهم «مضروب ومذلول»، فأى مزيد يمكن أن يكون؟

ولقد استغل بولس الرسول السلسلة ليتكلم بشجاعة غير هيّاب لعواقب، فهل بعد السلسلة من قيود؟ كان بولس يستمد من شهادة المسيح واعترافه «الاعتراف الحسن أمام بيلاطس البنطي» قوة ما بعدها قوة. فالموت الذي لم يرغب المسيح ولا أثناءه عن الشهادة، قد حصل بولس على سر قوته: «والموت هوريج» (في ١: ٢١). فلم يكن أمام بولس الرسول إلا الحياة، الحياة في المسيح الحي، والحياة التي يعيشها هو في المسيح. بولس الرسول كان يركز لليهود بالمسيح الحي أمام عينيه، ويعرفهم به باعتباره أخاهم البكر القائم من الأموات.

«ومقتماً إياهم من ناموس موسى والأنبياء» (أع ٢٨: ٢٣)، وكأنه حصل على تسجيل سماوي لِمَا قاله المسيح نفسه عن نفسه لتلميذَي عمواس (لوق ٢٤: ٢٧). كانت الحجة في فم بولس منطوقة، لا بفم الأنبياء وحسب؛ بل بفم الروح القدس، ومسموعة من المسيح.

«فاقتنع بعضهم بما قيل» (أع ٢٨: ٢٤). ولكن طيور السماء الشريرة جاءت واختطفت البذرة الملقاة في القلب الحجري، «وبعضهم لم يؤمنوا». وهكذا اثنتان تطحان على الرحى تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى!!

«فانصرفوا وهم غير متفقين بعضهم مع بعض» (أع ٢٨: ٢٥)، «فإني جئت لأفرّق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكثرة ضد حماها.» (مت ١٠: ٣٥)

نهاية كرازة المسيح هي بعينها نهاية كرازة بولس الرسول، تنتهي عند إشعياء!

إنجيل يوحنا (١٢: ٣٧ و ٤٠):

+ «ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به ليتم قول إشعياء النبي... قد أعمى عيونهم وأغلق قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم».

(أع ٢٨: ٢٥ - ٢٨):

+ «إنه حسناً كلّم الروح القدس آبائنا بإشعياء النبي قائلاً: اذهب إلى هذا الشعب وقُل ستسمعون سمعاً ولا تفهمون وستنظرون نظراً ولا تبصرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ وبآذانهم سمعوا ثقيلًا وأعينهم أغمضوها لئلا يبصروا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم».

بولس يكرّس الفاصل الدهري بين الذين يسمعون والذين لا يسمعون:

«فليكن معلوماً عندكم أن خلاص الله قد أرسل (بالفعل) إلى الأمم وهم سيسمعون!!! ولما

قال هذا مضى اليهود ولهم مباحثة كثيرة فيما بينهم. » (أع ٢٨: ٢٩) ولا تزال المباحثة جارية حتى الآن ولها من السنين ألفان!!!

سنتان وبولس الرسول يكرز وفي يديه السلاسل «بلا مانع»:

«وأقام بولس سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه، وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه كازراً بملكوت الله ومُعَلِّماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع. » (آخر سفر الأعمال)

لقد كانت فرصة هادئة وخصبة للغاية لخدمة بولس الرسول، لم يكن مُثْقَلًا بالعمل البدوي الذي كان يشغله الليل والنهار ليقيم أَوْذَه، فيده تعيقها السلاسل، والطعام والشراب يصل إليه بمقتضى القانون. كذلك لم يكن يحمل هموم السفر ومخاطره وأوقاته الضائعة ومخاوفه ومخاطره المقلقة للغاية، هما سنتان من وراء الدهر كحلم يقظة حيث كان الروح فعّالاً ونشطاً ليمنح القوة والنعمة والعزاء على قدر حاجة الخدمة التي كان يقودها الروح بنفسه، إذ كان يسوق له كل المعنيين في سفر الحياة ليقبلوا النجاة.

اسمعه وهو يقول في رسالته التي كتبها أو التي أملاها — على الأصح — إلى أهل فيليبي في روما: «ثم أريد أن تعلموا أيها الإخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل، حتى إن وُثِّقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية وفي باقي الأماكن أجمع» (في ١٢ و ١٣)، بل إن شجاعة بولس وجرائته على المتابعة باسم المسيح وهو مقيّد سلسلة إلى يد الجندي الروماني المكلف رسمياً بمراقبته وتزويد المسؤولين بأخبار يومية عن سلوك هذا المعتقل، هذا جعل كل الذين يسمعون كرازته يشتعلون جراءة وشجاعة بالمناداة بدورهم بالإنجيل. اسمعه وهو يعلّق على ذلك: «وأكثر الإخوة، وهم واثقون في الرب بوثقي، يجترئون أكثر على التكلّم بالكلمة بلا خوف.» (في ١٤)

الأسباب والظروف التي عطلت نظر القضية سنتين:

السبب الأول والأهم هو عدم مجيء مدّعي الاتهام. وفي القانون الروماني لا يجوز أن يُقدّم المتهم إلى المحاكمة إلا بحضور المدّعين، وتكون المحاكمة بينهما وجهاً لوجه. ومن حقيقة عدم معرفة يهود روما بأي شيء عن بولس الرسول وهو في أوائل الربيع سنة ٦٠م، استدل أنه لم يتحرك أحد من رؤساء الكهنة للحضور.

أما السبب الثاني، فهو عدم تفرُّغ القاضي المنوط به بحث القضية قبل تقديمها للقيصر، أو حتى بسبب انشغال القيصر نفسه عن هذه القضايا الصغرى. ونحن رأينا في فيلكس الوالي منتهى الإهمال

والتعمد في إذلال المتهم ببقائه في السجن سنتين وهو مقيّد دون أي مبرّر، إلاّ استرضاء لليهود ومن أجل الرشاوي التي كان يحصل عليها إزاء ذلك. فالمحاكمة في نظر القضايا هي جرّفة لدى القضاة المُفرضين.

أما هذه المرة، فاليهود يعرفون تماماً أن القضية ليست لصالحهم، ولا بد أنه قد بلغ مسامعهم الحكم القاطع من قسّوس وأغريباس الملك بأن بولس بريء، وأنه كان يمكن إخلاء سبيله لو لم يرفع دعواه لقيصر. هذا معناه أن قسّوس سجل ذلك حتماً في محضر التحقيق الذي بحث به إلى السيد الأوغسطس! ومن المعروف أن القانون الروماني يستجيب لطلب مُدّعي الاتهام بتأجيل القضية كييفضاً شاءوا، بحجة تجهيز الشهود واستحضارهم من أماكن نائية تبعد آلاف الأميال. فبولس الرسول مُتهم في سلوكه تجاه كل مجامع آسيا واليونان. ومن واقع دراسة محاضر قضايا ذلك الزمان عُرف أن فرصة التأجيل في المرة الواحدة تبلغ اثني عشر شهراً!

فإذا فرضنا أن أول بعثة اتهام لبولس الرسول وصلت روما في صيف سنة ٦١م لطلب رفع القضية، فإن نظر القضية عادة يكون في صيف سنة ٦٢م، والمدة بين الطلب والنظر في القضية، لإعداد القضية أمام القضاة، هي سنة.

وقد كان من أعجب الإجراءات القضائية في أيام حكومة نيرون وبحسب تعليمات القضاة أن يُنظر في كل رأس اتهام من الاتهامات بمفرده ويحكم فيه بمفرده قبل الدخول في أي اتهام ثاني^(١).

والمعروف أن اتهام السنهدريم الرسمي لبولس الرسول من واقع عريضة دعوى الاتهام يقع في ثلاثة رؤوس:

- أولاً: مهيج فتنة بين اليهود في كل أنحاء الإمبراطورية. وبحسب القانون الروماني، يُعتبر هذا الفعل مقاومة للإمبراطور نفسه.
- ثانياً: مقدّم شيعة (رأس ثورة) الناصريين.
- ثالثاً: شرّع (بالفعل) أن ينبّس الهيكل. (مخالفة رسمية للقانون الروماني الذي يحمي العبادة اليهودية رسمياً).

وأخيراً يشبّت ترتُّلس في عريضة الاتهام أن ليسياس الأمير تصرف ضد القانون الروماني، إذ

11. Suetonius (The Rom. Hist.) in Nero 15; cited by Conybeare, *op. cit.*, p. 685.

تعدى على سلطتنا في محاكمة المتهم بمقتضى قانوننا المصرح لنا باستخدامه لمحاكمة المخالفين لنظام عبادتنا: «... وقد شرع أن ينحس الهيكل أيضاً، أمسكناه وأردنا أن نحكم عليه (بالرجم طبعاً) حسب ناموسنا. فأقبل ليسيّاس الأمير بعنف شديد وأخذ من بين أيدينا وأمر المشتكين عليه أن يأتوا إليك (وهذا يكون تثقيلاً على المحكمة الرومانية ومخالفة لقوانينها).» (أع ٢٤: ٦-٨)

بهذا الاتهام القائم على ثلاث مخالفات ضد القانون الروماني تكون القضية ذات ثلاث جدسات لتفريغها من محتواها واتخاذ الأحكام المناسبة لكل واحدة منها، وهذا يقتضي أن القضية إذا كانت قد نُظِرَتْ في صيف سنة ٦١م، فلا بد أن تنتهي في صيف سنة ٦٣م، وهذا ما يتوافق مع رواية لوقا في سفر الأعمال.

وينبغي لنا شرح آخر آية سجلها لوقا المؤرخ والفديس الإنجيلي هكذا: «كارزاً بملكوت الله ومُعَلِّماً بأمر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع»، بمعنى أنه كان يبشّر ويعلم دون أن يمنعه أحد.

نشيد السلسلة:

آه يا بولس! مَنْ ذا كان يستطيع أن يسمعك ويراك
وأنت تعلم بحرارة الروح وترفع يدك المثقلة سلاسل الحديد
دون أن تهيج عواطفه فيسخّ الدموع سخاً؟
لقد كان صليل السلاسل في يديك يخطف القلوب خطفاً بل يخلعها من الصدور خلعاً...
لقد زينت صليب المسيح بسلسلتك وزدته صيدفاً وجمالاً وشموعاً...
حينما كان ثقل السلسلة يقعد يدك عن أن ترتفع إلى ما كنت تريد،
كانت القلوب ترتفع معها لتنتقل بخفة إلى السموات العُلى إلى قلب المسيح.
مَنْ ذا الذي كان يراك ولا يشتهي أن تُفكّ السلسلة من يدك
لترتبط في عنقه، ويكون هو الرابع؟
حينما كنت تقول: «لقد وهب لكم لا أن تؤمنوا به فقط بل أن تأملوا أيضاً من أجله»،
كان صليل السلسلة يقول آمين!
بل وكل ما قلت وكل ما علمت كانت السلسلة تُريده صدفاً وقيفاً.
حينما كنت تعلم بحرية أولاد الله والحرية التي حرّرنا بها المسيح والثبات في الحرية والسلاسل
في يديك،
أعطيت للحرية أسمى معانيها وأغلى توضيحاتها وأصدق ممارساتها.
الإنجيل كله، يا بولس، صيغ بمعنى جديد للحرية على صوت ربّ السلاسل في يديك.

وحينما دافعت عن مسيحيك أمام الولاة والملوك تمنيت لهم أن يكونوا أحراراً مثلك بلا قيود.
لقد حررت عبداً أبقاً بينما السلسلة في يدك: «أطلب إليك لأجل ابني أنيسيمس الذي ولدته
في قيودي.» (فل ١٠)
لقد صارت سلسلتك قِلادةً على صدر الإنجيل!!

المرافقون لبولس الرسول وهو في روما:

كانت تحيط به خليّة من خدام النعمة الذين كانوا يحيطون به إحاطة النحلة الأمانة حول ملكتها:

لوقا: (كو ٤: ١٤، فل ٢٤) الطبيب الحبيب الذي يقصر اللسان عن وصف أمانته لبولس صديق قلبه ورفيق رحلاته وطبيب أمراضه.

تيموثاوس: (فل ١، كو ١: ١٦، في ١: ١) الابن الصحيح الصريح.

تيخيكس: الأفسسي رفيق محبة وخدمة وسهر على حاجاته (كو ٤: ٧، أف ٦: ٢١).

مرفس: (فل ٢٤) الابن الذي استعد قليلاً ليبقى دائماً، النافع للخدمة، والإنجيلي فيما بعد، والذي ظل أميناً لبولس حتى النهاية (٢ تي ٤: ١١).

ديماس: زميل خدمة وجهاد، الذي ضحى بالزائل ليفوز بالأبدى (فل ٢٤، كو ٤: ١٤).

Aristarchus زميل سجن وقيود (كو ٤: ١٠، أع ١٩: ٢٩، أع ٢٧: ٢، فل ٢٤) الذي خاطر بحياته في أفسس أثناء ثورة صاغة أرطاميس (أع ١٩: ٢٩).

Epaphras زميل السجن والقيود والخدام للمسيح (كو ١: ٧، فل ٢٣). وهو مكدونى من تسالونيكي وزميل رحلات بولس، وقد أصرَّ على مرافقة بولس الرسول

في نفس السفينة إلى روما. وهو غير إنقراس الذي من كولوسي، وغير إفرودتس Epaphroditus الذي من فيلسبي، الذي حمل عطايا فيلسبي على يديه إلى حبيبها

بولس الذي لم تنساه قط في كل مكان ذهب إليه.

وأخيراً أنيسيمس ذاك العبد الآبق من سيده فليمون، الذي عثر عليه بولس الرسول ولا تعلم كيف وصل إلى روما، وكيف انتشلت يد بولس الخانية من لعنة أوساط العبيد الوثنيين، ورفعته بالروح ليكون سيّداً حراً وعبداً للمسيح بأن واحد. والعجب أن يرثه بولس إلى سيده برسالة استعطاف ليقبله، فتحظى الكنيسة برسالة من أجل الرسائل التي تحمل أدب المعاملة للعبيد. هكذا كانت رقة بولس واحترامه للحقوق والقوانين. وقد أرسله بولس الرسول مع تيخيكس الذي طلع برحلة افتقاد لأهل كولوسي بآسيا ومعه أنيسيمس Onesimos ليسلمه ليد سيده الذي يقيم في نفس المدينة.

الرسائل التي كتبها بولس الرسول وهو في الأسر الأول في روما حُمِلت من روما في سنة ٦٢ م

في السنتين اللتين قضاها بولس الرسول في روما تحت الحبس لم يكن فيهما بعيداً عن مشاكل اليهود والانقسامات والأخبار التي كانت تَرُدُّ إليه حاملةً أنباء انحراف كثير من المؤمنين نحو تعاليم فلسفية ووربانية منحرفة. فكانت هذه سبباً في كتابة رسائل على أعلى مستوى لاهوتي فيما يخص المسيح الذي هو ملء الله ويحل فيه كل ملء الله (كو٢: ٩)؛ وعلى كل ما في السماء والأرض (أف١٠: ٤)؛ الخالق الكل؛ والكلُّ ينجَم فيهِ (أف١٠: ١)؛ وفيه يقوم الكل (كو١٧: ١)، وكلها سلامية مملوءة محبة وفرحاً وحرارة روحية ونظراتٍ مشتتة نحو الوطن الأفضل (في٣: ٢٠) والاشتياق للانطلاق للمسيح (في١: ٢٣)، ولم تَحُلْ من حلولٍ لمشاكلهم على مستوى هادئ.

١ - الرسالة إلى فليمون:

أرسلت بيد أنسيمُس. ربما كانت رغبة بولس الرسول في إعادة أنسيمُس إلى سيده هي الدافع الأول لكتابة الرسالة إلى فليمون، وإلى كولوسي بآن واحد. كان لأنسيمس العبد الآبق من سيده مكانة في قلب بولس، ربما لبساطة هذا الإنسان وغيرته المقدسة في قبوله الإيمان والعماد. لذلك وجدها بولس الرسول فرصة ليعث به ومعه رسالة إلى سيده فليمون الذي كان بولس يعرفه ويتقدم كنيسته في بيته: «وإلى الكنيسة التي في بيتك» (فل٢). وقد نضحت الرسالة بالأدب الجم والرفقة والمعاطف النبيلة، وينكشف فيها خلق بولس وحرصه الشديد على عدم المساس بمشاعر كلٍّ من العبد المهارب وحقوق السيد على عبده المُشترى بحسب القوانين الرومانية، وفيها يستظهر الإحساس المسيحي فوق مستوى حقوق القوانين بالنسبة للعبيد. فهو يقدم أنسيمس بعد الإيمان إلى فليمون سيده باعتباره: «ابني أنسيمس الذي ولَدْتُهُ في قيودي» (فل١٠)، «لا كعبدٍ في ما بعد بل أَفْصَلَ من عبد: أحباً محبوباً ولا سيما إليّ، فكم بالحرّي إليك في الجسد والرب جميعاً» (فل١٦)، يا للجمال!!! «فإن كنت تحسبني شريكاً (شريكاً لك في الإيمان والأخوة) فاقبله نظيري» (فل١٧)، يا للسلاغة!!! «ثم إن كان قد ظلمك بشيء أو لك عليه ذنن فأحسب ذلك عليّ». (فل١٨)

بولس كان له رجاء واثق بأنه سينجو من الاتهام وينال حريته سريعاً: «أُعِدُّ لي أيضاً منزلاً

لأنني أرجو أنني بصلواتكم سأوهب لكم» (قل ٢٢). وكم كانت فرحة أنسيمس بعودته إلى سيده فليمون، حائزاً على الإيمان بالرب يسوع وصداقة بولس الرسول. وبوصوله مع تيخيكس، انطلق هو إلى سيده، أما تيخيكس فسلم الرسالة إلى كهنة كولوسي.

٢ - الرسالة إلى كولوسي سنة ٦٢ م:

أرسلها هي والرسالة إلى أفسس بيد تيخيكس، وكان أنسيمس يرافقه. وكان قد زار بولس في سجن روما أحد مؤمني كنيسة كولوسي وهو أبتراس (كو ١: ٨ و ٧)، وحمل إليه أخبار انحراف بعض المؤمنين وراء تعاليم الفلسفة المسيحية^(١٢) بخصوص توسط ملائكة وحلائق أخرى وتعاليم سرية مخلوطة بتعاليم اليهود الربيين النسكية المعروفة بالتيثوصوفية Theosophy من جهة السبب والأعياد، لكي تملأ الفراغ بين الله والإنسان. فكان هذا الخبر يشغل قلب بولس الرسول، ومن روما أرسل لهم رسالة بيد تيخيكس وأنسيمس يناقش موضوع هذه المهرطقة ويملأ كل الفراغ الذي في فكرهم بالمسيح، والمسيح فقط هو الذي يملأ كل فراغ بين الله والإنسان. فالمسيح هو المملء وهو:

«بكر (أي سابق) كل خليفة، فإنه فيه خُلِقَ الكل ما في السموات وما على الأرض، ما يُرى وما لا يُرى، سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين، الكل به وله قد خُلِقَ، الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل، ... لأن فيه سُرَّ أن يحل كل المملء، وأن يصلح به الكل لنفسه، عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطته، سواء كان ما على الأرض أم ما في السموات ... قد صالحكم الآن في جسم بشريته ... إن ثَبُتُمْ على الإيمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الإنجيل الذي سمعتموه المكروزه في كل الخليقة التي تحت السماء، ... السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أظهر لتقديسيه الذين أراد الله أن يعرفهم ما هو غنى مجد هذا السر في الأمم الذي هو المسيح فيكم رجاء المجد، الذي تنادي به مُنذرين كل إنسان وتُعلِّمين كل إنسان بكل حكمة، لكي تُحْفِزَ كل إنسان كاملاً في المسيح يسوع». (كو ١: ٢٨-١٥)

«... لمعرفة سر الله الآب (في) والمسيح المُذَخَّر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم (γνῶσις). وإنما أقول هذا لئلا يتخذكم أحد بكلام قَلِقٍ... انظروا أن لا يكون أحد يسببكم بالفلسفة وبغرور باطل حسب تقليد الناس حسب أركان العالم وليس حسب المسيح.

(١٢) يرحب بعض العلماء أن هذه الفلسفة هي لعيلو اليهودي، وهي مخلوطة بالتصوف بعض لربيين اليهود الإسكندرانيين أيضاً والتي عُرفت فيما بعد بتعاليم الكابالا Cabbala.

فإنه فيه يحمل كل ملء اللاهوت جسدياً وأنتم مملوون فيه.» (كو ٢: ١٠)

«فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة، وأما الجسد فللمسيح. لا يُخسركم أحد الجماعة رغباً في التواضع وعبادة الملائكة متداخلاً في ما لم ينظره منتفعاً باطلاً من قِبَلِ ذهنه الجسدي ... فلماذا كأنكم عائشون في العالم تُفَرِّضُ عليكم فرائض لا تمس ولا تُلَقُّ ولا تُجسُّ التي هي جميعها للفناء في الاستعمال، حسب وصايا وتعاليم الناس، التي لها حكاية حكمة بعبادة نافلة ... ليس بقيمة ما ...» (كو ٢: ١٦-٢٣)

٣ - الرسالة إلى أفسس (١٣)، بيد تيخيكس سنة ٦٢ م:

وهي ثالث رسالة يكتبها بولس الرسول من روما. لقد كان غرض بولس الرسول من مراسلة أهل أفسس هو كشف السر الأعظم المحفوظ عند الله منذ الدهور والمكتوم (أف ٣: ١)، ولم يُعرف به أحد إلا الرسل والأنبياء بالروح (أف ٣: ٥)، وهو السر المعلن في الإنجيل (٦: ٣). ويتلخص في خطة خلاص الناس بدون تفريق بين يهود وأمم، وذلك عن طريق اتحادهما معاً في شخص المسيح (أف ٢: ١٤-١٨) برباط سري إلهي لا ينحل، يجعلهما جسداً سرياً واحداً في المسيح، هو هو الكنيسة، حيث الكنيسة والمسيح يصيران كهروس وعريس (أف ٥: ٢٣-٣٢)، وهذا الاتحاد السري، كم لُفِّح عنه الأنبياء بل كم سُبِّحوا وألِّفوا المزامير والأناشيد، فكل مزامير داود تدور حول هذا السر، بل وسفر نشيد الأنشاد هو هتاف الحب المتبادل بين الكنيسة والمسيح.

وكلمات السر في هذه الرسالة التي تكشف عن خط فكر بولس الممتد في هذا الاستعلان الواحد هي: الكنيسة، الجسد، السر، الرأس. ويربط بولس الرسول بين المسيحيين والمسيح بحرف واحد يلح عليه كل الإلحاح وهو «σύν = مع» الذي هو باليونانية حرف التحام وتوافق يتغلغل الطابع حتى يوحدها.

(١٣) سم بشاً أن رمت ذهن القاريء بخصوص البحث في سم هذه الرسالة، فالتفت عليه الآن بين العلماء أن اسمها لأصل هو لرسالة إلى اللاودكيين Laodiceans. بل إن بولس الرسول أرسها إلى «لاودكيين» دون ذكر الاسم أصلاً حتى تُقرأ في كل تلك الواحي التي أرسل إليها تيخيكس ليمتددها فيكون معه هذه الرسالة لكل جماعة يمر بها. ولكنها استقرت في كيسة أفسس عشيت باسم الرسالة إلى أفسس.

و يُرتفع في ذلك إلى القديس ساسيليوس الذي قرر أنه رأى المخطوطات الأصوية بدون ذكر اسم أفسس. وأكد قول القديس ساسيليوس كل من القديس جيروم والقديس إبيبايوس وعلامة ترتليانوس.

كما ينحت اصطلاحاً خاصاً يعبر به عن التواجد المتبادل على مستوى الطبايع وهو «في المسيح
= εν Χριστῳ» على مستوى استعلان المسيح في إنجيل يوحنا: «أنتم فيّ وأنا فيكم.»
(يو: ١٤: ٢٠)

هذه الرسالة تشبه إلى حد كبير الرسالة إلى كولوسي، وهي تحمل نفس التعاليم الخاصة بتفوق
الرب يسوع المسيح على كل تصوّر، مهما علا، فهو كائن قبل تأسيس العالم، وفيه قد تم اختيار
كلّ المدعوين للحياة الأبدية (١: ٤)، بل وباركوا قبل أن يكونوا وقبل أن يكون العالم. وهنا،
فالصلة التي تربط المختارين بالمسيح والله هي فائقة على الرمز وكل الخلاق مهما كانت، دون
وسيط. كما أوضح فيها بولس الرسول سبقّ التعيين بالنسبة للذين أحبههم الله وتبناهم، في فكر الله
قبل الفعل، وذلك كله حينما يُستعلن بالتكميل الفعلي فيزداد المديح لمجد الله ولحكيمته وغناه في
المجد، وهذا يؤكد يعقوب الجليل في الرسل: «معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله.»
(أع: ١٥: ١٨)

ويكرر بولس الرسول كيف أنه بارتفاع المسيح فوق أعلى السموات، بعد أن أكمل الفداء بدمه
وضمن الخلاص والميراث لمختاريه، أخضعت كل القوات المعاكسة تحت قدميه، وصار المسيح رأس
«جسد» الخليقة الجديدة الذي سمّاه الكنيسة (١: ٢٢ و٢٣)، وهو في هذه الرسالة يذكر ويكرر أن
الخلاص الذي تم هو فوق تصوّر الإنسان، فهو نعمة تفوق كل أعمال الإنسان (٢: ٥)، ويكشف
بولس الرسول عن محبة الله (٢: ٤) التي نقلتنا من موت الخطية إلى الحياة مع المسيح، إذ جعلنا الله
بالإيمان به شركاء في موته وقيامته وصعوده وجلوسه في السموات (٢: ٦) لنأخذ ونشارك في مجده.

وهو يوضح للأمم أن المسيح صار واسطة اتحاد أبدي للإنسان، فلا يهودي ولا يوناني بل جسد
واحد ورعية واحدة لقلبي الله (٢: ١٩)، وكنيسة واحدة روحية مؤسّسة على المسيح والرسل
والأنبياء.

ثم يعلن عامة وللجميع عن السرّ الذي استؤمن عليه شخصياً (٣: ٣)، وهو سرّ الله من نحو
استعلان بنوّة المسيح لله وما صنعه في المسيح، سواء بتجسده أو موته وقيامته وحصولنا على شركة
عامة نحن المفدين — أمّا ويهوداً — في جسد المسيح وميراثه السماوي وحبّه. ثم يدعونا إلى سبّ
عُزّو محبته التي لا يمكن أن نصل فيها إلى قرار، فهي ممتدة حتى ملء الله (٣: ١٩).

ثم يختم الرسالة بتعاليم عن التواضع والوداعة والمحبة (٤: ٢) لتتم الوحدة والاتحاد معاً
وبالمسيح. ويوضح بولس الرسول في هذه الرسالة تعدّد مواهب الخدمة (٤: ١١) حسب قياس إيمان

كل واحد وحسب غنى عطاء الله للكنيسة لكي تخدم بكل المواهب في ألفة واتحاد لبلوغ ما هو للمسيح حقاً (١٢: ٤-١٦)، وفيها يحض بولس الرسول المؤمنين على الامتلاء بالروح القدس (١٨: ٥)، والترتيل الروحي وبالقلب من القلب (١٩: ٥)، لأن هذا هو عنصر التكميل الذي به تبلغ الكنيسة كمال سرّها وحبها في المسيح.

ويستكمل بولس الرسول عن سر الزيجة (٢٢: ٥-٣٣) ويكرّمه أعظم تكريم، ويجعله مسئولية كبرى على الرجل، فهو (إن كان يبدأ بحبة عاطفية ونفسانية وجسدية) يلزم ويتحتم أن يستمر على مستوى المحبة الروحية القائمة على البذل والتضحية، لا على العواطف الجسدية وحسب، حيث على الرجل البذل مع الحب والاحتمال، وعلى المرأة التفاهم والخضوع. فإن كان الرجل العنصر الأقوى فهو الأكثر عطاءً، وإن كانت المرأة هي الأضعف فهي الأكثر مسئولية للتوافق والمجاملة. على أن السرّ الذي يجمعهما هو سرّ ممتد ليس بطول الحياة فقط بل ويمتد إلى الأبد في النسل الذي يعمل آثار ونتيجة حبهما وبدلها وتوافقهما معاً. فسرّ الزيجة هو سر النسل المقدس والصالح المتجدّد من والممتد إلى الكنيسة، والكنيسة ممتدة بأولادها حتى إلى السماء، فهي كنيسة خالدة.

ولكن الذي يسترعي انتباه القارئ المدقّق هو الأوصاف الحربية التي يصف بها بولس الرسول الإنسان المسيحي بصفته جندياً ليسوع المسيح يحارب حروب الرب ضد الشيطان وأعوانه، وهو يصف كل المعدات والأسلحة التي يستخدمها الجندي للمسيح، بأسماء حربية ولكن بدلول روحي: كسيف الروح ودرع الإيمان وخوذة الخلاص... إلخ (١٤: ٦-١٧). ويستقرىء الشّراح من ذلك أن بولس الرسول كان متأثراً بمنظر الجندي الذي يرافقه يداً بيد ممسوكاً بسلسلة، وأمامه قشلاقات الجنود الرومان المحيطة بمقر الإمبراطور الحربي الذي اسمه البريتوريوم.

وطبعاً واضح من قول بولس الرسول في رسالته إلى فيلبي، أن مقر سكن بولس كان واقعاً في دات المنطقة، وأنه كان على مرمى من مقر الإمبراطور: «حتى إن وُنُفّي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية "البريتوريوم"» (في ١: ١٣). ودار الولاية كان هو المسمى باللاتينية Palatium، وهو أصلاً اسم التلّ المبني عليه، وصار معروفاً باللاتين Palatine، وعلى أيام بولس الرسول كان هذا الاسم أشهر وأحضر اسم على وجه الأرض، حيث منه كانت تخرج جميع الأحكام والقرارات التي كانت تهزّ العالم. وكان من أفخم العمارات الموجودة على وجه الأرض، وكان يوجد على قاعدته من أسفل الحجر الذهبي، مركز القياس الذي تخرج منه جميع طرق العالم Golden Mile-Stone واسمه اللاتيني Millarium-Autum، وقد اكتُشف وجوده حديثاً. ومن هذا المركز كانت تنطلق الرسائل البريدية الإمبراطورية، يحملها أسرع رجال البريد الفرسان إلى

كافة أقطار العالم لولاة الأقاليم والعواصم حتى أطراف الحدود الرومانية بنظام دقيق مُحَكَّم (١٤).

٤ — الرسالة إلى فيلبي بيد أبثروودتس سنة ٦٢ م:

وهي آخر رسالة يكتبها بولس الرسول أثناء سجنه الأول في روما. ومعروف أن بولس الرسول كتب هذه الرسالة بعد أن حضر إليه أبثروودتس من فيلبي حاملاً إليه تبرعات القديسين السخية للصرف منها على أعوازه والخدمة، لأنهم علموا أنه أسير ولا يستطيع العمل بيديه كالأول، فكانت هي الكنيسة الوحيدة التي لها مثل هذه الشرائع والصفات المسيحية. وقد أعطاها لأبثروودتس نفسه ليعود بها إلى كنيسته. وأبثروودتس كان من مقدمي الكهنة في فيلبي. ولقد عانى في رحلته مرضاً قارب فيه الموت: «ولكنني حسبْتُ من اللازم أن أرسل إليكم أبثروودتس أخي، والعامل معي، والمتجند معي، ورسولكم والخادم لخاصتي، إذ كان مشتاقاً إلى جميعكم ومغموماً لأنكم سمعتم أنه كان مريضاً، فإنه مرض قريباً من الموت لكن الله رحمه، ليس إياه وحده بل إياي أيضاً لئلا يكون لي حزنٌ على حزن. فأرسلته إليكم بأوفر سرعة، حتى إذا رأيتموه تفرحون أيضاً وأكون أنا أقل حزنًا. فاقبلوه في الرب بكل فرح، وليكن مثله مكرماً عندكم لأنه من أجل عمل المسيح قارب الموت مُخاطرًا بنفسه لكي يجبر نقصان خدمتكم لي..» (في ٢: ٢٥-٣٠)

وهكذا ذهب أبثروودتس بهذه الرسالة بعد أن سلّم بولس وديعة أهل فيلبي، لأن بولس الرسول لم يشأ أن يعطل أبثروودتس الكاهن عن خدمة كنيسته.

ووعدهم بإرسال تيموثاوس مرة أخرى ليعلم أحوالهم ويعطمئنه على كل ظروفهم: «عل أنني أرجو في الرب يسوع أن أرسل إليكم سريعاً تيموثاوس لكي تطيب نفسي إذا عرفت أحوالكم.» (في ٢: ١٩)

وقد جاءت هذه الرسالة خالية من الجدل والمناقشات. إذ كان فكره فيها متجهاً نحو مجيء الرب، لذلك سَمَتَ روحه وآماله للإقامة في السموات واستهان بالموت: «في الحياة هي المسيح والموت هو ربح» (في ٢١: ٢١) واشتهى الانطلاق:

+ «لي اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جداً» (في ١: ٢٣)؛

+ «أسمى نحو الغرض لأجل جماعة دعوة الله العليا في المسيح يسوع» (في ٣: ١٤)؛

+ «فإن سيرتنا نحن هي في السموات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح

الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده بحسب عمل استطاعته أن يُخضع لنفسه كل شيء» (في ٣: ٢٠ و ٢١)،
 + «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا ... لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعَلِّم طلباتكم لدى الله.» (في ٤: ٦ و ٧)

وفي هذه الرسالة وبدون مقدمات، أعطى بولس الرسول أحد أهم التعريفات الدقيقة والشاملة لتجسد المسيح ولاهوته ومساواته في الجوهر الإلهي بالآب وطاعته حتى الموت وارتفاعه إلى أعلى السموات ليملاً الكل بملكه الإلهي (في ٢: ٦-١١).

كما كان بولس الرسول واثقاً من تربيته وإمكانية استعادة أسفاره: «وَأَثِقُ بِالرَّبِّ أَنِّي أَنَا أَيْضاً سَأَتِي إِلَيْكُمْ سَرِيعاً.» (في ٢: ٢٤)

إن أهم ما بلغ نظرنا في هذه الرسالة (فيلبي) تصريح بولس الرسول بخصوص تعرفه على الحرس الذي يحيط به ونجاحه في نشر كلمة الإنجيل وتعميد مؤمنين جدد:
 + «ثم أريد أن تعلموا أيها الإخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل، حتى إن وُثِّقِي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية (علاقات المسكر الروماني المركزي في روما وكذلك مقر الإمبراطور العسكري) وفي باقي الأماكن أجمع. وأكثر الإخوة وهم واثقون في الرب بوُثِّقِي يجتربون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف.» (في ١: ١٢-١٤)

ولكن الرب آزر هذا الرسول القديس الأسير أن يخترق «بيت قيصر» ويعتمد فيه أشخاصاً مهمين، يسك عن أن يذكر أسماءهم. ولكنه يرسل نحيانهم إلى أهل فيلبي: «يسلم عليكم جميع القديسين ولا سيما الذين من بيت قيصر.» (في ٤: ٢٢)

ثم ينبغي أن لا يغيب عن بالنا أن الحارس الذي يحرس بولس يتميز بالودية، فربما في الأسبوع الواحد يستمر مرتين أو ثلاثة، وهكذا استلمهم بولس الرسول واحداً وراء الآخر حتى كوّن داخل المسكر المركزي إخوة على المستوى المسيحي وربما يكون قد عمّد منهم الكثير. كذلك لا يغيب عن البال أن بعض هؤلاء الحُرَّاس وصلت نوبتجيتهم إلى داخل بيت قيصر، فدخلت معهم العلاقات مع بولس الرسول، وهكذا صار لبولس معقدون مسيحيون داخل «بيت قيصر». وقصر الآن هو «نيرون». لقد نفذت صلوات بولس وترنيماته في الأسر إلى القلب الروماني الصخري وحوّلت إلى لحم يقطر عطفاً وحباً ومودة. ولو علم القارئ مستوى المساواة الأخلاقية المنحطة التي بلغ إليها الإمبراطور نيرون والمفاسد التي وصفها المؤرخون بكل عدم حياء التي يتقزز منها أي صمير لأي من

هؤلاء المحيطين بهذا السيد القذر، لتعلم ماذا يمكن أن تكون حالتهم وتصوراتهم وتفكيرهم وانذاهلهم بأخلاق بولس الرسول وتعاليمه عن السيد القدوس! بولس كان في روما كنبج عذب وسط بركة من الماء الأجاج، من استقى منها مرة عاد إليها ألف مرة.

ولكن هذه النفوس التي استقت وارتوت وفاضت أنهاراً حية سواء خارج القصر أو داخله، بعد أن شهدت شهادتها السرية، شهدت أيضاً شهادتها العلنية. فما أن جاء عام ٦٤م، حتى اكتشف نيرون سر هذه الخلايا التي تسرب إليها نور المسيح وحرية أبناء الله، فصنع منهم شموعاً تحترق بالشهادة إذ أشعل النار فيهم ليضيء بهم حدائق الفاتيكان في ذلك الزمان^(١٥). ولكن إن كان نور حريق أجسادهم قد خبا بعد ساعة أو بضع الساعة، فنور شهادتهم وأرواحهم قد مسّت قلب روما واشتعلت في أساسات البريتوريوم، وحتى جدران الفاتيكان التقطت النار الإلهية، وها هي تقيّد وستقيّد مهما امتد الزمان إلى المزيد والمديد.

والذي يشك في أثر بولس الطاغى على روما والعالم بعد روما، عليه أن يقرأ مدونات وحواليات المؤرخ الروماني الوثني المدقق كورنيلوس تاسيتس (٥٥-١٢٠م) الذي أُرّخ للعصر الروماني، والذي عاصر بولس في سجنه وكرازته من سجنه ليرى صورة المدينة الرومانية، آنذاك في أوج عصورها الفلسفية وهي تغوص في الفساد والوحل والنجاسة والبهيمية والقسوة الوحشية، ثم يلقي نظرة على المدينة المسيحية التي اكتست بها روما والعالم من بعد أن انتشر نور الإنجيل الذي كرز به بولس الرسول تحت جدران قصر البالاتين وبجوار أموار الفاتيكان.

15. Tacitus, *Annals*, xv.44 (year 64).

الفصل السادس

بقية حياة بولس الرسول

بعد نهاية سفر أعمال الرسل

الآن وقد ألقى القديس لوقا القلم وطوى صفحات الرقوق التي خطها تحت اسم سفر الأعمال، نكون قد فقدنا الشمعة التي أصاءت لنا المسير في إثر خطوات ذلك الرسول الذي ملأت خطواته أقطار العالم القديم.

ولكن علينا أن نتحسس خطانا، ليس بعد على نور إلهام الرسل والإنجيليين كاتبين ومؤرخين وكارزين ومعلمين، لأن هذا عصرهم، وهذا عصرنا فيما بعد الرسل الفاقدين للإلهام والإعجاز، ولكنه لا يفقد نور الله الذي يملأ القلوب ويقود الأفكار والأرواح.

والآن لم يتبق لنا من بعد انتهاء سفر الأعمال إلا ما نستقرؤه مما كتب بولس الرسول بعد ما انتهى إليه لوقا، وهما رسالتان لتيموثاوس ورسالة لتيطس، وبالشح أيضاً نضيف عليهما جملة واحدة فنتت من تحت يد كليمندس الذي كان تلميذاً لبولس الرسول وصار أسقفاً على كنيسة روما. كما نعرض على كلمات مبشرة داخل التقليد الكنسي الموروث تعيننا على السير في هذا الطريق.

متى أطلق سراح بولس الرسول؟ مارس سنة ٦٢م^(١)

آخر ما تلقينا من القديس لوقا في تتبعه لسجن بولس الرسول أنه قضى سنتين تحت الأشر في سجن روما (أع ٢٨: ١٦)، ثم تركنا حائرين في هل أكملهما بالإطلاق أم بالانطلاق؟ ولكن صوت الكنيسة في التقليد يقول إن دفاع بولس الرسول أمام قيصر انتهى بالبراءة والإفراج ولم تثبت عليه أي من الإدانات التي قدمها اليهود، وأنه قضى عدة سنين حرّاً يتنقل بين

1. David Smith, *op. cit.*, p. 660.

الكنائس، ولكنهم عادوا وألقوا عليه القبس وسُجن، ولكن ليس بعد تحت إداناة يهودية، ثم حُكِمَ عليه.

ومع أن الأدلة والإثباتات على ذلك ليست كثيرة ولكنها مُقنعة. وأحد هذه الإثباتات المأخوذ بها والتي يُعَوَّل عليها في عُزف الكنيسة وتقيدها، تلك الشهادة التي قدمها القديس كلمندس الروماني سنة ٩٤م في رسالته الأولى إلى كورنثوس الفصل الخامس، والتي يقرر فيها أن بولس الرسول «خدم حتى أقصى الغرب»^(٢). علماً بأن القديس كلمندس قال هذا وهو في روما، فكان يقصد بحسب فكر الكنيسة وبحسب سُبُق وعِد بولس الرسول بأنه سيذهب إلى أسبانيا بعد روما، أن بولس الرسول بعد أن نال الإفراج والحرية مضى بالفعل إلى أسبانيا. وأما بخصوص وعِد بولس الرسول بأنه يمضي إلى أسبانيا، فقد جاء ذلك في رسالته إلى رومية هكذا: «فعدما أذهب إلى أسبانيا آتي إليكم لأنني أرجو أن أراكم في مروري وتشيعوني إلى هناك ... فمتى أكممت ذلك (الخدمة في أورشليم) وحتمت لهم هذا الثمر فسأمضي ماراً بكم إلى أسبانيا» (رو ١٥: ٢٤ و٢٨). فيكون القديس كلمندس الروماني، بقوله المذكور هذا، قد اعتر أن بولس الرسول قد تم غرضه الأول بزيارة أسبانيا.

أما الشهادة الثانية فتأتي عَرَضاً في القانون الموراتوري الذي يرقى تاريخه إلى ١٨٠م الخاص بالكتب المقدسة، حيث تقول إنه: [بخصوص أعمال الرسل فإن لوقا يقص على ثاوفيلس الحوادث التي كان فيها شاهد عيان، كما في موضوع آخر أيضاً (كتب الرب لبطرس أي لو ٢٢: ٣١-٣٣) يشير على ما يظهر إلى استشهاد القديس بطرس ولكنه يُسْقِط رحلة بولس الرسول من روما إلى أسبانيا.]^(٣)

كما يقول المؤرخ يوسابيوس القيصري: «بعد ما دافع بولس عن نفسه بنجاح فإنه، بحسب ما ورد لنا بالتتابع، فإن الرسول ذهب ثانية يبشر بالإنجيل، وبعد ذلك جاء إلى روما مرة ثانية واستشهد تحت حكم نيرون» («التاريخ الكنسي» لبوسابيوس القيصري، II: 22).

بعد ذلك لدينا شهادة من القديس يوحنا ذهبي الفم الذي يقول إنها حقيقة تاريخية ثابتة في الكنيسة، أن بولس الرسول بعد إقامته في روما انطلق إلى أسبانيا. كما يمدُّنا العلامة جيروم بشهادة

2. 1 Clement, *Ad Corinth* 5:1-7

3. Cardinal L.A. Muratori 1740; cited by Bruce, *Paul, Apostle of the Heart Set Free*, p. 449.

هذه الوثيقة الهامة اكتشفت سنة ١٧٤٠م في مكتبة أمبرويوس في ميلان، وكانت غير معروفة، ولكنه يقول إنه رقيق يوس اسقف روما (١٤٣-١٥٧م)، وكتب في روما بعد موت بيوس، تقريباً سنة ١٧٠م.

مماثلة يقول فيها: إن بولس طرد من روما بواسطة نيرون وكان ذلك لكي لا يشر بالإنجيل في الغرب^(٤).

ولكن لعل أوضح شهادة جاءتنا من الأسقف ثيودور الذي من مبسوستا وقد عاش ما بين سنتي ٣٥٠-٤٢٨ م، وهو لاهوتي أنطاكي وشارح للإنجيل، وهو صديق ذهبي الفهم وزميل دراسة. وقد حاز على شهرة فائقة بعلمه، ولكنه كان يميل إلى البيلاجية^(٥)، وقد أدين في مجمع أفسس ٤٣١ م، وفي مجمع القسطنطينية ٥٥٣ م. ويقول عن بولس الرسول:

[القديس بولس زار روما مرتين أثناء حكم نيرون. المرة الأولى بعد المحاكمة أمام فستوس في اليهودية ... وسبق مكبلاً بالسلاسل إلى روما، وهناك بعد أن أطلق نيرون سراحه أمره أن يذهب بسلام، ومكث في روما سنتين وبعدها غادر روما، وقد وعظ وعلم كثيرين بعقيدة التقوى. ولكن في مناسبة ثانية زار روما وأثناء ما هو هناك حدث أن حوكم أمام نيرون وصدر ضده حكم العقوبة الكبرى كونه يعلم التقوى (المسيحية).]^(٦)

وإزاء هذه الشهادات الكنسية الموثوق بها، لم يَقم معترض ولا قَدَّم أحد برهاناً على عدم صحتها.

شهادة الكنيسة بإطلاق سراح بولس الرسول نصير معتمدة باعتقادها رسائله الراعوية أنها منسوبة إليه:

الكنيسة التقليدية اعتمدت صحة نسبة الرسائل الراعوية لبولس الرسول، وبذلك صارت هذه الرسائل أقوى الأدلة على إطلاق سراح بولس بالبراءة بعد الحبس الأول وخروجه من روما ليكرز عدة سنوات أخرى.

والآن إذا ما استقر بنا الرأي على صحة تاريخ كتابة هذه الرسائل الثلاث ليوافق تاريخ ما بعد انتهاء محاكمة بولس الرسول في روما في سجنه الأول، تكون هذه الرسائل بالفعل هي وثيقة تثبت صحة تقليد الكنيسة بأن بولس الرسول حوكم وأُخرج عنه واستأنف خدمته ورحلاته وكتابه رسائله!

4. Conybeare, *op. cit.*, p. 739 n4.

(٥) البيلاجية (نسبة إلى بيلاجيوس) هرطقة ظهرت في أوساط الكنيسة الغربية في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس. وتندحصر أفكارها في التأكيد على أن الإنسان يمكنه أن يحطو بحوالا خلاصه بمجهوداته البشرية الخاصة بمعدل من النعمة الإلهية. وقد أسكرت ما كانت تعلم به الكنيسة لغربية من أن خطيئة آدم قد انتقلت إلى البشرية بالولادة. وقد أدبت هذه الهرطقة في مجامع الكنيسة الغربية سنة ٤١١ م في مجمع عقد بقرطاجنة.

5. Theod. of Mops., *Ad Ephes. Argumentum*, cited by David Smith, *op. cit.*, p. 586.

تاريخ كتابة الرسائل الراعوية المنسوبة لبولس الرسول:

١ - في البداية ينبغي أن يعرف القارئ أن الرسالتين إلى تيموثاوس، والرسالة إلى تيطس كُتبت في تاريخ واحد. هذا يؤيده التشابه الكبير بين هذه الرسائل في اللغة، والموضوع، وسق الكتابة، وفي حالة الكنيسة التي يكتب لها القديس بولس. كما تتحد هذه الثلاث الرسائل في وجود عناصر خاصة بها غير موجودة في بقية الرسائل التي لبولس الرسول، علماً بأن هذه النقاط قد استقر عليها جميع العلماء وحتى النقاد والمعارضين.

إذاً، فنحن إذا استطعنا أن نثبت تاريخ أي من هذه الرسائل فتكون بقية الرسائل قد أُثبت تاريخها بالتالي.

٢ - هذه الثلاث الرسائل كُتبت بعد أن تعرف بولس الرسول على أبلّوس شخصياً، وهذا لم يتم إلا بعد أن غادر بولس الرسول أفسس، بدليل: «ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه أبلّوس، إسكندري الجنس، رجل فصيح، مُقتدر في الكتب» (أع ١٨: ٢٤). هذا كان بعد أن غادرها بولس، علماً بأن الذي عرف أبلّوس الإيمان المسيحي وعمّده في أفسس هما أكيلا وبريسكلا، والذي عرف هذين الإيمان المسيحي وعمّدهما هو بولس الرسول. ثم نسمع بعد ذلك بمدة طويلة، أن بولس الرسول بدأ يستخدم أبلّوس في الرحلات التبشيرية ليكرر بالإنجيل، ويتضح هذا من رسالة بولس الرسول إلى تيطس: «جهّز زيناس التاموسي وأبلّوس باجتهد للسفر حتى لا يعورهما شيء» (تي ٣: ١٣). فمتى كان ذلك؟

٣ - وبما أنه لم يُذكر هذا عن أبلّوس في سفر الأعمال كله، أي أنه يركز لحساب بولس وتدبيره، إذاً فهذه الرسالة إلى تيطس تكون قد كُتبت بعد انتهاء كل أعمال بولس المذكورة في سفر الأعمال.

٤ - كذلك لا يوجد في المسافة الزمنية بين ترك بولس الرسول لأفسس وبين القبض عليه وترحيله إلى روما، أي مكان أو فُسحة لكتابة هذه الرسائل سواء إلى تيطس أو إلى تيموثاوس.

٥ - لا توجد أية مناسبة تاريخية في رحلات بولس الرسول كلها تصلح أن تُدس فيها كتابة هذه الثلاث الرسائل معاً في وقت واحد. وواضح أن سجن بولس الرسول في روما هو الفَرَض الواضح المعقول في جميع الفروض المطروحة، لأن افتراض كتابة ثلاث رسائل في وقت واحد يفتقر الحقائق على أي فَرَض آخر طرحه العلماء وفشلوا في إثباته.

٦ - ولكن فترة سجنه الأول تحلو من هذه الإمكانية، كما رأينا كيف عظّت هذه الفترة كتابة

الأربع الرسائل السالفة فقط. والذي يؤكد ذلك، الاختلاف في اللغة والمضمون وحال الكنيسة وترتيب الرسالة في التأليف، وذلك بين الأربع الرسائل التي كُتبت في فترة سجنه الأول وبين الثلاث الرسائل التي كتبها بعد ذلك، مما يؤكد مرور فترة زمنية كبيرة لا تقل عن أربع أو خمس سنوات من التغيير في كل شيء حتى تتلاءم الرسائل مع حال الكنيسة ومتطلباتها بالصيغة التي كُتبت بها هذه الرسائل.

٧ — حالة الكنائس التنظيمية من حيث ترتيب رسامة أساقفة وكهنة وشمامسة، وتنظيم وتعبيد عمل كل فئة، وشروط رسامة كل فئة؛ كل هذا يوضح بجلاء صارخ أن الكنيسة امتدت في العمر وأصبحت ذات وضع وشكل يختلف تماماً عن الكنيسة الأولى التي كانت بلا تنظيم أو ترتيب. كذلك تدقيق بولس الرسول في الرسامات أن لا يكون الأسقف أو الكاهن حديث الإيمان، يوضح هنا أن الكنيسة دخلت في الزمن وصارت الخدمة والخبرة تُقاس بكثرة السنين. كذلك اكتساب الأراامل في كشف الكنيسة بحسب أقدميتهن وأعمالهن السابقة، وأن تكون الأرملة قد ربّت الأولاد، كم سنة؟ أضافت الغرباء، غسّلت أرجل القديسين، ساعدت المتضايقين اتّبعَت كل عمل صالح، كم من السنين؟ أما الأراامل الحدّثات فارفضهن!

٨ — المرطقات التي تعرّض لها بولس الرسول في الثلاث الرسائل واضح أنها مرطقات لا تتناسب مع عصور الكنيسة في البداية. فبولس الرسول يعرض مرطقة الغنوسيين التي اشتد ساعدها بمرور السنين وطلّت على الكنيسة في أواخر أيام بولس الرسول والعصر الرسولي بعنف، وبلغت أقصى تدميرها في القرن الثاني: «يا تيموثاوس احفظ الوديعة، مُعرّضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم (ψευδωνύμου γυναικός "الغنوسية" العلم المزيف)، الذي إذ تظاهر به قوم زاغوا من جهة الإيمان.» (١ تي ٦: ٢٠ و٢١)

وعلى هذا الأساس والتحقيقات، وضع العلماء تاريخ هذه الرسائل في حدود ما بعد سنة ٦٦م^(٦). على أن هذا التاريخ يحصره أولاً عمر تيموثاوس الذي يحاطه بولس الرسول بصفته قد صار أسقفاً على أفسس وهو حديث السن: «لا يشتِهْ أحدٌ بحدّثتك» (١ تي ٤: ١٢). والأسقف يُعتبر حديث السن إذا كان عمره في حدود الخمسة والثلاثين عاماً. فلو اعتبرنا أن تيموثاوس عندما تعرّف على بولس وهو عند والديه سنة ٥١م (أع ١٦: ١-٣)، كان لا يزيد آنذ عن ١٧ عاماً وليس أقل من ذلك، علماً بأنه انخرط في الخدمة حالاً مع بولس في مكدونية (٢ كو ١٩: ١)،

6. Conybeare, *op. cit.*, p. 830.

فتكون الآن محصورين بخدمة بولس الرسول التي انتهت رسمياً بانتهاء حياة نيرون سنة ٦٨ م، كما يقرر ذلك جيروم ويوسابيوس في تاريخه^(٧). وهكذا يكون افتراض عمر تيموثاوس صحيحاً: ٦٨-٥١ = ١٧ سنة. وبهذا تكون الرسالة التي أرسلها بولس الرسول إلى تيموثاوس معصورة فيما قبل سنة ٦٨ م بقليل جداً، وذلك عن التزام وضرورة تاريخية، أي بعد خروج بولس الرسول من السجن الأول بمدة طويلة. ومعروف أن بولس الرسول دخل السجن في روما سنة ٦١ م وظل يخدم سنتين، قُدِّم بعدها للمحاكمة سنة ٦٣ م حيث تم الإفراج عنه.

علماً بأن تقليد الكنيسة المسنود بتحقيقات كثيرة يؤكد أن بولس الرسول حُكِم عليه بالموت تحت حكم نيرون. وهذا يَحْتَمُّ أنه بعد أن أفرج عنه وتخدم وكرز وارتحل وزار الكنائس مدة أربع أو خمس سنوات، أُعيد القبض عليه وتم فيه الحكم الأخير!

ما ترقب على خروج بولس الرسول من السجن الأول:

من كل ما سبق يتضح أن بولس الرسول أفرج عنه ومارس كرازته الرسولية لمدة أربع أو خمس سنوات.

وزار أفسس: (١ تي ١: ٣): «كما طلبتُ إليك أن تمكث في أفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مكدونية».

وزار كريت: (١ تي ٥: ٥): «من أجل هذا تركتك في كريت، لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيئاً كما أوصيتك».

وزار مكدونية: (١ تي ١: ٣): «كما طلبتُ إليك أن تمكث في أفسس إذ كنتُ أنا ذاهباً إلى مكدونية».

وزار ميليتس: (٢ تي ٤: ٢٠): «أراسُس بقي في كورنثوس، وأما تروفيمُس فتركته في ميليتس مريضاً».

وزار نيكوبوليس: (١ تي ٣: ١٢): «حينما أرسل إليك أرتيماس أو تيخيكس، بادِرْ أن تأتي إليّ إلى نيكوبوليس، لأنني عزمت أن أشتي هناك».

وزار ترواس: (٢ تي ٤: ١٣): «الرداء الذي تركته في ترواس عند كاربوس أحضره مني جئت والكتب أيضاً ولا سيما الرقوق».

وأخيراً انتهى إلى سجن روما مرة أخرى: «لِيُعْطِ الرب رحمة لبيت أنيسيمُفُوس، لأنه مراراً

(٧) القديس جيروم والمؤرخ يوسابيوس هما وحدهما دون جميع المؤرخين والوثائق التي بين أيدينا هما اللذان يؤكدان تاريخ استشهاده بولس الرسول في سنة ٦٨ م. أنظر: Conybeare, op. cit., p. 741.

كثيرة أراحتني، ولم ينجل بسلسلتي، بل لما كان في رومية طلبني بأوفر اجتهد فوجدني» (٢ تي: ١: ١٦ و ١٧)؛ علماً بأن هذا الاسم لم يرد قط في سجن بولس الأول، كما أن سجن بولس الأول كانت تعرفه كنيسة روما جيداً، وكل مؤمن كان يزوره والكل يعرف الطريق إليه؛ أما في السجن الثاني فُمُنِعَ من الحرية التي كان يتمتع بها أولاً وأُلقي في الحبس العام حيث يصعب جداً معرفة مكان وجوده.

محكمة بولس الرسول الأولى والنطق بالبراءة:

بعد تأخير دام أكثر من سنتين، أعلن بولس الرسول بميعاد سماع المرافعة والتقاضى أمام نيرون. ولكن بحسب النظام الذي كان معمولاً به قبل نيرون، فإن القضايا الخاصة بالأقاليم في حدود القضاء المدني كانت من اختصاص لجان قضائية، وقد عيّن أغسطس قيصر لجنة لكل ولاية تختص بقضاياها. أما القضايا الجنائية فكانت تُقدّم للإمبراطور يسمع ويحكم فيها شخصياً مع المشيرين. وكان من عادة الإمبراطورين طيباريوس وكلوديوس أن ينظروا القضايا في محكمة «Forum» روما الشهيرة. ولكن بحجيء نيرون، حذا حذو أغسطس، فكان ينظر هذه القضايا في القصر الإمبراطوري. ولا تزال بقايا هذا القصر المنيف تملأ قمة جبل البالاتين Palatine.

كان قيصر يجلس في صدر قاعة رخامية ممتدة، وسط مشيريه، وكان عددهم عشرين وكانوا رجالاً من عليّة القوم وذوي صيت وكلمة وتأثير، وكان من بينهم اثنان من القناصل Consuls الحظام ثم قضاة يمثلون القضاء الروماني، والباقي شيوخ روما يُعيّنون بالقرعة. وفي هذا التمثيل القضائي العالي المُخجّم كانت تُدار آند شئون أعظم حكومة ملكية ظهرت على وجه الأرض، إذ كانوا هم الحكام الذين يحكمون العالم في ذلك الوقت.

ولكن للأسف، فإنه بسبب سفالة الإمبراطور نيرون وانحطاط أخلاقه فقد فقدت الهيئة القضائية المهية هيبتها بل نزلت إلى مستوى الاحتقار العام لدى عظماء الدولة، الأمر الذي انتهى بهذا الإمبراطور إلى تحطيم حياته وسمعته. وقد تسببت قسوته وتغلبه لمشورة الحكماء أن نكّل بأسرته أكثر مما أساء إلى دولته. ففي سن الخامسة والعشرين قتل زوجته البريئة، وأخاه المتبني، ولوث يديه بدم أمه!! وتصاغر في عين شعبه عندما كان يعتلي السيرك ويلعب الموسيقى أمام شعبه!! وصار انحطاط أخلاقه مصدر حزن عام عند شعبه، وبكاء عند مشيريه وحكمائه بل وعبده وخدامه^(٨).

8. Conybeare, *op. cit.*, p. 742.

أمام هذا الزاني الملقخ بالدماء، وقف بولس الرسول شاعراً يُحَاكِّمُ بمقتضى القانون الروماني، وهكذا شانه سيده أشدَّ المشابهة حينما وقف مقيّداً يحاكم لدى رئيس الكهنة حنان الذي لم يكن أفضل من هذا المستوى، أو هيرودس أو حتى بيلاطس.

اقتادوا بولس الرسول وهو مقيّد حتى وقف أمام العرش الإمبراطوري والهيئة القضائية من حوله، لم يهتز زبل لم يكثرث للمناظر من حوله لأن قلبه كان ساكناً في الأعالي لدى سيده الجالس في عرشه السماوي، أشياء لم تخطر على قلب بشر. وإذا كان قد سلّم حياته منذ زمن بعيد، بعيد جداً، في يد الادي وحده يُميت ويُحيي، بل كان قد أحياء وحفظه لحياة أبدية! فلم يكن نيرون في نظره إلا واحداً من هؤلاء العظماء الذين يُبطلون (١ كو ٢: ٦)!

وكان نظام المرافعة الرومانية كالآتي:

أولاً: سماع الاتهام من المدّعين.

ثانياً: فحص شهود الاتهام، استجواب شهود الاتهام.

ثالثاً: رد المتّهم (الدفاع).

رابعاً: استجواب شهود النفي (الدفاع).

وقد استحدثت الحكومة الرومانية استجواب الشهود من كلا الطرفين، وكان هذا عملاً قضائياً متجاوزاً كل إجراء جمهوري.

كل هذا على خلفية الإجراءات القانونية التي وصلت في ملف القضية كما استوفاهما المحقق الأول فسْتُوس.

وقد سبق أن شرحنا بنود الاتهام (أنظر صفحة ٧٢٤)، وهي باختصار:

أولاً: أنه أثار فتنة فيما يختص بالعبادة اليهودية بحسب ما منحهم القانون الروماني.

ثانياً: قيادة ثورة لجماعة الناصريين مما أزعج السلام في كل أنحاء الإمبراطورية، وهذه في حُرُف

القانون الروماني تحسب جريمة كبرى ضد الدولة، وعقوبتها الموت.

ثالثاً: تنجيس الهيكل.

وهكذا ابتدأت المحاكمة بسماع الاتهام وشهود الاتهام واستجواب الشهود، وقد جمع منهم اليهود الكثيرين، وتقدم رئيس الكهنة بلائسه التقليدية ومعه عماميه، وقال ما قال، وثقل الاتهام فوق ما يحتمله العقل حتى أضعف موقفه دون أن يدري. وهكذا أعطيت لبولس الرسول الكلمة،

ولم يكن معه إلا الرب من السماء. وقد دافع بلغته اليونانية الفصحى، إذ لم يكن في حاجة إلى مترجم. وحينما أمر أن يتكلم ويدافع عن نفسه أثته القوة من الأعالي؛ وفي هدوء العظماء ومنطق الحكماء ولغة القضاء، فتد اتهام اليهود وجعله كحفنة من تراب ألقاها على وجوههم وسط قاعة المحكمة. وانتهاز الفرصة، وقد واثته بالنعمة، لكي يشهد لسيدته كما اشتهى من كل قلبه وكما اشتهى له المسيح بفمه: «يق يا بولس لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضاً» (أع ٢٣: ١١).

لم يُتعب القضاء أنفسهم بأن يطلبوا مزيداً من التوضيح ولا حتى شهود انفي أي الدفاع، بل استقر رأيهم كما سبق لدى ليسياس وفيلكس وفستوس وأغريباس، وكما أوضحت المحاضر بكل جلاء أمامهم، أن البراءة تنطق من فمه وأن السرِّ يحيط بشخصه المهيّب، ونطقه يُزيدهم ثقة في براءته. وقد أوضح بفصاحته مدى احترامه لروما وللولاة، وكيف يصلي من أجلهم ليُلهمهم الله الحق والعدل، وكيف يدعو للإمبراطور في أدعيته كل يوم أن يزداد كرامة وعزاً وسطاناً. أما من جهة فئة «الناصريين» الذين كان يترعهم، والذين ألح اليهود إليهم، فقد رفع الغطاء عن الاسم ليُظهر المسيح الفادي الذي مات من أجل خلاص العالم وفداءً لمساكين الناس وخطاة كل شعوب الأرض.

والمعروف أنه بعد سماع الأقوال من المدّعين والمدافعين وشهادة الشهود، الأمر الذي يستغرق من الوقت كثيراً، اعتاد كل قاض أن يقدّم حكمه مكتوباً للإمبراطور، الذي بعد أن يكون قد سمع كل ما يدور في المحكمة، ينطق بالحكم من تلقاء فكره غير مُقيّد بالاستشارات.

وهكذا نطق نيرون ببراءة بولس الرسول من كل التهم المنسوبة إليه، وأمر بفتح قيوده وإعطائه الحرية كمواطن روماني. وانسحب اليهود ساخطين، وخرج بولس رافعاً يديه نحو السماء.

رحلات بولس الرسول بعد صدور الحكم ببراءته واستعادة حريته

كما سبق وألمحنا (صفحة ٧٣٦)، فإن بولس الرسول كان قد خطَّط في حالة الإفراج عنه أن يزور الكنائس التي تعاهدها، وكان مشتاقاً لتثبيت إيمانهم وإعطائهم المزيد من التحصينات ضد الهرطقات التي بدأت تنصبُّ في كأس المسيحية الصافي لتعكر صفاءه، سواء من جهة الفلسفة المسيحية (الغنوسية) أو الشيثوصوفية الربانية، أو الممارسات السحرية الآتية من الشرق (فارسية) (٩) Persian Magi.

والمعروف، من واقع الرسائل التي كتبها بولس الرسول، أنه زار كُلاً من مكدونية ونيكوبوليس ومدن آسيا وأفسس وكريت ومالطة (أنظر صفحة ٧٤٤ و٧٤٥).

كذلك معروف من التقليد، أنه زار أسبانيا وربما مكث بها سنتين. وعن هذا لا يوجد لدينا وثائق من الأسفار المقدسة، ولكن كل اعتمادنا على التقاليدات الكنسية وعلى معلومة محدودة مقيدة في الرسالة إلى أهل رومية (١٥: ٢٤ و ٢٨)، تفيد أن بولس الرسول كان قد عزم أن يذهب ليبشِّر أسبانيا أثناء مروره على روما، حيث يُستودعُ منهم إلى تلك النواحي.

ويقول القديس كلمنس الروماني في رسالته الأولى إلى كورنثوس كما سبق وألمحنا (٥: ٧): [إن بولس كرز للعالم كله وسافر حتى إلى أقصى الغرب. وبعد أن شهد أمام السلطات أخذ من هذا العالم وزَّحل إلى مكانه المقدس، مُبرهنًا بجهاده أنه أعظم مثل للكفاح] (١٠). ونعلم أن كلمنس الروماني قدَّم هذه الشهادة في سنة ٩٥ م التي تصرَّح ضمناً بوع من الإيهام أنه زار أسبانيا، كما توضح بجلاء أنه عاش من محاكمة ثانية في روما وأكمل استشهاده.

كذلك تعطينا وثيقة الموراتوري (سنة ١٨٠ م) ما يفيد هذا أيضاً، كما سبق وسجلنا: [إن آخر جزء في سفر الأعمال الذي يحكي عن مغادرة بولس لمدينة روما منطلقاً إلى أسبانيا كان قد قُيد] (١١).

9. Conybeare, *op. cit.*, p. 746.

10. Cited by Jerome Bibl. Comm. p. 222.

11. Ibid.



بوابة القديس بولس

سميت على اسم القديس بولس. وهي أقدم بوابة في أوستيا والتي عبر
منها القديس بولس وهم يفتادونه خارج المدينة في رحلته الأخيرة، إلى
حيث استشهد.

والطريق المؤدي إلى أوسيا، ميناء روما، يمر عبر هذه البوابة.

(أنظر صفحة ٧٦٢)

الساحة الرومانية أو «السوق»

«ولما سمع الإخوة بخبرنا خرجوا لاستقبالنا إلى فورن أبيوس.»

(أع: ٢٨: ١٥)

«الساحة» أو «السوق» كانت تشير قديماً إلى المكان الذي كان مخصصاً للاجتماعات العامة والمناظرات، وكان يؤمه القضاة والمحامون الرومانيون. وكانت الساحة هي أهم موضع في المدينة الرومانية قديماً، إذ كانت تعتبر أنها المركز الاجتماعي والسياسي المرموق، والمهد للحضارة الرومانية والذي تخرج منه الأوامر والتوجيهات الحضارية إلى كل الشعوب الخاضعة للإمبراطورية الرومانية.

وفي مثل هذه الساحة والمسماة «فورن أبيوس» استقبل المؤمنون القديس بولس وهو في طريقه إلى قيصر ليرفع دعواه.

«

(أنظر صفحة ٧١٨)



كذلك فإن المؤرخ يوسابيوس هو أول من ذُكر موضوع سجن بولس للمرة الثانية في روما واستشهاده في زمن نيرون هكذا: [بعد أن دافع بولس الرسول عن نفسه ذهب مرة أخرى في رحلاته التبشيرية. ولكن جيء به مرة أخرى إلى نفس المدينة واستشهد في زمن نيرون. وبينما كان في سجنه هذه المرة كتب رسالته الثانية إلى تيموثاوس، مُبيناً فيها أنه أكمل دفاعه الأول وأن استشهاده على الأبواب] (١٢).

كما أن يوسابيوس قد استشهد بديونييسيوس الذي من كورنثوس (سنة ١٧٠م) الذي قرر: [إن بطرس وبولس أكملتا استشهادهما في نفس الزمن] (١٣).

كذلك العلامة ترتليان يقارن في مؤلفه (١٤) بين وسيلة موت بولس بحد السيف وبين ما حدث ليوحنا المعمدان.

وأيضاً شهادة الأسقف ثيودور المبوستي التي أشرنا إليها.

رسائل بولس الرسول بعد خروجه من روما

الرسالة الأولى إلى تيموثاوس:

كُتبت في صيف سنة ٦٧م، كُتبت في مكدونية.

أرسل بولس الرسول من مكدونية الرسالة الأولى إلى تيموثاوس، إذ كان قد عُهِدَ إليه بإدارة شؤون كنيسة أفسس كأسقف (أو كناظر). ومعروف أن بولس الرسول كان يشعر بثقل المسؤولية على تيموثاوس، إذ كان لا يزال حَدَثاً (٣٥ سنة تقريباً)، فأراد أن يؤازره بالرسالة، خاصة وأنه كان قد دخل إلى أفسس مُفسدون أتوا من الإسكندرية بعلوم وممارسات سحرية مبدعة، فأراد أن يقوم إيمانه ويحثه على اليقظة ضد هذه البدع الدخيلة. وقد وضع له هذه قوانين يُعتبر أول قوانين كنسية لها صفة الرسولية لإدارة شؤون المؤمنين. كذلك أعطاه وصايا عامة لكيفية السلوك العام له وللمؤمنين. ونحن نقدم هنا توضيحاً لمحتوى هذه الرسالة الراعوية كنموذج لبقية الرسائل الأخرى.

١ - أول وصية يعطيها بولس الرسول لتيموثاوس في رسالته الأولى هي خاصة بصحة التعليم:

(أ) «لكي توصي قوماً أن لا يعلّموا تعليماً آخر» (١ تي ١: ٣): المقصود تعاليم الغنوسية.

12. Ibid.

13. Ibid.

14. Tert., *De praescrip.* 36.

(ب) «ولا يُضغفُوا إلى خرافاتٍ وأنسابٍ لا حدَّ لها» (١ تي ٤: ٤): المقصود تعاليم الرابين اليهود وقصص التلمود...
 (ج) «يريدون أن يكونوا مُعلَّمي الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون» (١ تي ١: ٧):
 التعاليم اليهودية القائمة على الناموس.

ثم يعود بولس الرسول وينبئ على تيموثاوس بخصوص تعاليم شيطانية آتية في المستقبل كمن يتنبأ:

(د) «ولكن الروح يقول صريحاً إنه في الأزمنة الأخيرة يرتدُّ قوم عن الإيمان تابعين أرواحاً مضلَّةً وتعاليم شياطين» (١ تي ٤: ١): وهذه كلها بالفعل صارت تعاليم الغنوسيين التي وصفها بعد ذلك القديس كلِّمَنْدَس الروماني كيف ظهرت واستشرت في أيامه، سواء عن الصوم أو الامتناع عن الزواج أو تحريم أطعمة... إلخ.
 (هـ) «وأما الخرافات الدنسة العائزية فارفضها، ورؤض نفسك للتعوى لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل» (١ تي ٤: ٨٧): والقصد هنا دخول ممارسات يهودية تقوم على أساس مبادئ خرافية وتمرينات جسدية كأنها تُنشِط الروح.
 (و) «إن كان أحد يعلم تعليماً آخر ولا يوافق كلمات ربنا يسوع المسيح الصحيحة... تجثب مثل هؤلاء» (١ تي ٦: ٣ و٥)

٢ - ثاني وصية خاصة بترتيب الصلوات الجهارية العامة للكنيسة المجتمعة كطقس يومي:

+ «فأطلبُ أول كل شيء أن تُقام طلباتٌ وصلوات وابتهالات وتشكرات» (١ تي ٢: ١)
 وهذه هي أنواع الصلوات التي تختص بها الليتورجيا:
 فالطلبات = *dehseis supplications* مثل «اطلبوا لكي يرحمنا الله»، محض لطلب الشيء.
 والصلوات = *προσευχάς prayers* مثل صلوات القداس «للصلاة قفوا»، فنحن نصلي من أجل شيء.
 والابتهالات = *εὐτελεύεις intercessions*، وهي الصلوات القلبية من أجل موضوع واحد، «نتهمل لكي...».
 وتشكرات = *εὐχαριστίας thanksgivings*، وهي الصلوات التي بلا أي غرض، بل للتسبيح والمجد.
 وبولس الرسول جعل هذه الأنواع الأربعة من الصلوات تقليداً كنسياً دائماً، وهي تُقدَّم لأجل

جميع الناس، ثم لأجل الملوك (أوشية الملك)، وجميع الذين هم في المنصب (الوزراء، ... إلخ).

٣ — الصلوات الخاصة:

(أ) «أريد أن يصلي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة» (١ تي ٢: ٨)، وهو طقس الصلاة الخاصة الفردية.

(ب) «كذلك النساء» على أن لا ترفع المرأة صوتها في الكنيسة.

٤ — نظام الرقاسات الكنسية:

(أ) شروط رسامة الأسقف، ١ تي ٣: ١-٧ (وقد شرحناها بتفصيل — انظر ص ٤٨٨).

(ب) شروط رسامة الشماس، ١ تي ٣: ٨-١٠ (وقد شرحناها بتفصيل — انظر ص ٤٩٢).

٥ — نظام التعليم اليومي في الكنيسة:

«لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك» (١ تي ٤: ١٦)، الذي يقوم أولاً على القراءة والوعظ والتعليم الذي أصبح معروفًا بقداس الموعوظين، ثم قداس المؤمنين.

٦ — الخدمة المسيحية:

(أ) خدمة ومعاملة الشيخ، والشباب، والسيدات المتقدمات في السن، والشابات بكل طهارة (١ تي ٥: ٢١).

(ب) الأراامل ونظام خدمتهن وإعالتهن (١ تي ٥: ٣-١٦).

٧ — القسوس المتقدمين (القمامصة):

«أما الشيوخ المدبرون حسناً فليخسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة، ولا سيما الذين يتعمبون في الكلمة والتعليم» (١ تي ٥: ١٧)، وهم القسوس المتقدمون المسؤولون عن ترتيب الكنيسة وتعليم الموعوظين.

٨ — مجلس تأديب وأحكام في الكنيسة:

(أ) «لا تقبل شكاية على شيخ إلا على شاهدين أو ثلاثة شهود.» (١ تي ٥: ١٩)

(ب) «الذين يخطئون ويُبْخَمُهم أمام الجميع لكي يكون عند الباقيين خوف.» (١ تي ٥: ٢٠)

أي تكون الأحكام والتصرفات خالية من الغرض (التحيز)، «وبلا محاباة.» (١ تي ٥: ٢١)

٩ — مدة اختبار المرشحين للرسامة:

«لا تضع يدًا على أحد بالتبلة، ولا تشترك في خطايا الآخرين.» (١ تي ٥: ٢٢)

١٠ - معاملة العبيد لأسيادهم:

في المسيحية كان يتحتم على العبد أن يُزيد من احترامه لسيده - إذا لم يكن السيد مؤمناً - حتى تزداد كرامة المسيح (١ تي ٦: ١). أما إذا كان مؤمناً أي صار السيد أخاً للعبد وليس سيّداً بعد، فهذا يلزم العبد أن يزيد الاحترام له وخدمته أكثر (١ تي ٦: ٢).

١١ - نصائح خاصة لتيموثاوس باعتبارها أسقف كنيسة:

- (أ) «وأما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا واتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة. جاهد جهاد الإيمان الحسن وامسك بالحياة الأبدية التي إليها دُعيت.» (١ تي ٦: ١١ و١٢)
- (ب) «أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح.» (١ تي ٦: ١٤)
- (ج) «يا تيموثاوس احفظ الودعة (الإيمان) مُفْرِضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم (الغنوسية).» (١ تي ٦: ٢٠)

من مكدونية إلى أفسس إلى كريت وكتابة الرسالة إلى تيطس:

حينما كتب بولس الرسول من مكدونية إلى تيموثاوس في الرسالة الأولى: «هذا أكتبه إليك راجياً أن آتي إليك عن قريب. ولكن إن كنت أبطىء فلكي تعلم كيف يجب أن تصرف في بيت الله الذي هو كنيسة الله الحي عمود الحق وقاعدته» (١ تي ٣: ١٤ و١٥). يبدو أنه كان ينوي السفر البعيد ربما إلى أسبانيا، ولكنه اتجه من مكدونية إلى آسيا، ولم يبقَ فيها إلا مدة قصيرة توجه بعدها إلى كريت ومعه تيطس.

أما في كريت، فالكنايس التي فيها لم يكن بولس الرسول قد أسسها؛ بل لم تكن على مستوى التأسيس الرسولي؛ بل نتيجة اجتهاد الأفراد، وكانت تعاني من المعلمين الكذبة ومن مناوأة اليهود، إذ كان فيها جاليات يهودية، كما يخبّرنا فيلوا الإسكندري اليهودي، وما نعلمه من سفر الأعمال في يوم الخمسين (أع ١١: ٢).

أما تيطس المرافق لبولس الرسول وصاحب الرسالة الموجهة إليه، فهو لم يُذكر في سفر الأعمال قط، ولكن ذكر اسمه في الرسائل إلى غلاطية وإلى كورنثوس الثانية وإلى تيموثاوس الثانية، حيث ابتداءً مع بولس الرسول كمجرد أخ مرافق، ولكنه تدرّج حتى سلّمه مهام كبيرة وأهمها مسئولية جمع التبرعات. ولكن بعد ذلك صار رفيق خدمة وأسفار كما ورد في رسائل بولس الرسول. وقد وصفه بولس الرسول هكذا: «ولكن شكراً لله الذي جعل هذا الاجتهاد عينه لأجلكم في قلب تيطس، لأنه قَبِلَ الطلبة، وإذا كان أكثر اجتهاداً مضى إليكم من تلقاء نفسه.» (٢ كو ٨: ١٦ و١٧)

وتقول التقاليد المحفوظة في كريت أن تيطس كان ابن أخت أحد القناصل فيها. وقد أقيمت كاتدرائية كبرى في كريت باسمه Megalo-Castron، وصار اسمه شعاراً لجزيرة كريت.

ولما توجه بولس الرسول مع تيطس إلى جزيرة كريت، رأى فيها كنائس متناثرة، كما رأى فيها معلمين كذبة. ولم يكن للكنيسة كيان وتنظيم، ولما لم يجد بولس الرسول لديه فرصة للوجود مدة في الجزيرة ليرتب أمورها، ترك تيطس فيها على أن يلاحقه بالرسائل من أجل تنظيم الخدمة والتعليم فيها.

لهذا، وبعد أن رحل بولس الرسول متجهاً إلى أفسس وقبل أن يغادرها إلى نيكوبوليس ليُشفي هناك، كتب لتيطس الرسالة الموعودة والتي هي على مستوى رسالته الأولى لثيموثاوس من جهة تنظيم العبادة والخدمة وإقامة القسوس والشمامسة وضبط وربط الكنيسة حسب التوجيه والوصية الرسولية.

+ «من أجل هذا تركتُكَ في كريت لكي تكمل ترتيب الأمور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخاً كما أوصيتك.» (تي ١: ٥)

وكان محذراً أيضاً من جهة التعاليم المضلة وخصوصاً بين الكريتيين:

+ «فإنه يوجد كثيرون متمردين يتكلمون بالباطل ويخدعون العقول ولا سيما الذين من الحثان الذين يجب سدّ أفواههم، فإنهم يقلبون بيتاً بجملتها معلمين ما لا يجب من أجل الربح القبيح ... فلهذا السبب وبخهم بصرامة لكي يكونوا أصحاباً في الإيمان، لا يصنون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق. كل شيء طاهر للظاهرين وأما للنجسين (غير المعمدين) وغير المؤمنين فليس شيء طاهراً؛ بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وصبرهم، يعترفون بأنهم يعرفون الله، ولكنهم بالأعمال يشكروبه.» (تي ١: ١٠-١٦)

وتستمر الرسالة على نمط الرسالة الأولى إلى ثيموثاوس من جهة ترتيب الكنيسة.

بولس الرسول بشّفي في نيكوبوليس ...

ولم يشت !! سنة ٦٧ م

سقرأ في الرسالة التي أرسلها بولس الرسول إلى تيطس: «بادر أن تأتي إليّ إلى نيكوبوليس، لأنني عزم أن أشفي هناك» (تي ٣: ١٢). ونحن نعلم أن الطريق الذي سلكه بولس الرسول إلى هذه المدينة كما ورد في (٢ تي ٤: ٢٠) هو من أفسس: «سلم على أكيليا وبريسكلا (ظريدا كيهود مرة أخرى من روما)، أراستس — وهو خازن المدينة سابقاً — بقي في كورنثوس وأما تروفيمس

فتركته في ميليتس مريضاً، بادر أن تحيي قبل الشتاء».

إذاً، واضح أن بولس الرسول قام من أفسس إلى ميليتس ثم إلى كورنثوس، وها هو ذا ذاهب إلى نيكوبوليس.

نيكوبوليس:

لها تاريخ مجيد بالنسبة للإمبراطور أغسطس قيصر، فهو الذي أنشأها تخليداً لذكرى انتصاره في موقعة أكتيوم، وترجمة اسمها «مدينة النصر». ويقول أهل نيكوبوليس: "نحن لا نفتخر بمدينتنا لأنها كانت موقعة النصر لقيصر ولكن نفتخر بالحري، لأن أسلافنا رأوا بولس الرسول وعاشروه لما نزل إلى شواطئنا" (١٥).

فنيكوبوليس الآن يلزم أن تكون مشهورة لدينا نحن الآن، ليس لأنها مدينة النصر لقيصر؛ بل مدينة النصر الأخير لبولس الرسول، ففي هذه المدينة قبض على بولس الرسول الذي كان تحت مراقبة عيون اليهود الذين اشتغلوا قنّاسة للمسيحيين الذين كانوا في روما وقت الحريق (يوليو سنة ٦٤م)، والذين أصبح مطلوباً القبض عليهم لمحاكمتهم في روما نفسها حسب نص القانون الروماني الذي يحدد ضرورة محاكمة المتهمين في مكان اقترافهم للجريمة — مع أن بولس الرسول غادر روما قبل نهاية سنة ٦٣م — والجريمة هي أن المسيحيين أشعلوا الحريق في روما، كما ادّعى ذلك نيرون، ليتخلص من جريمته هو لأنه هو الذي أشعل هذا الحريق، كما تحقق تاريخياً، وذلك ليبنى روما الجديدة وقصره الذهبي الجديد.

نص التسجيل التاريخي لمؤرخ معاصر لهذه الحوادث

تقرير لتاسيتوس سنة ٥٥-١٢٠م:

واليك أيها القارئ العزيز تقرير أكبر مؤرخ روماني وثني معاصر لنيرون ومعاصر لحريق روما (وهو تاسيتوس)، أعذناه من مؤلفه الحوَلَّات:

[ولكن لم يفلح هذا القيصر سواء في إقامة الحفلات الدينية أو بالهدايا السخية أن يمسح من أذهان الشعب (الروماني) الفكرة السائدة بأن روما أحرقت بناءً على أوامره!! إن فضيحة هذا العمل لا تزال لاصقة به، وهو لكي يحوّل هذه الجريمة نحو الآخرين، من أجل هذا ابتدأ يعاقب بعبادات أليمة جنساً من الناس كانوا مكروهين بسبب ممارستهم للشعر الذين يُستون باسم دنيء يُقال له: «المسيحيون». وهذا الاسم مأخوذ من المسيح الذي في أيام حكم

طباريوس حُكم عليه بالموت بواسطة بُتَيوس بيلاطس والي اليهودية، وعلى أثر هذا الحادث (الحكم بالموت) فإن الشيعة التي كوَّنها تلقت ضربة أوقفت إلى حين غو هذه الخرافة الخطيرة ولكنها انتعشت مرة أخرى سريعاً وانتشرت بقوة من جديد ليس في اليهودية وحدها موطن ظهورها بل وحتى في روما، البُلَاعة العمومية التي تستهوي كل ما هو خامل وكرهه لِيَصْبَ فيها من كل أقطار العالم.

ونبيرون شرع بحسه المهود أن يجد لنفسه مجموعة من المشهورين بالخلاعة والمستهترين والبؤساء الذين أوحى إليهم تحت الضغط أن يعترفوا (كذباً) أنهم مُدانون ودُسُّوا معهم المسيحيين (بالقوة)، ليس بناءً على أسباب واضحة، ولا لأنهم أشعلوا النار في روما، وإنما بسبب البغضة والاحتقار التي يَكْتُها الجنس الروماني لهم. وقدَّموا للموت بأقصى وحشية وأضاف نيرون على آلامهم الهزء والسخرية. بعضهم ألبسهم جلود وحوش برية وتركوهم للكلاب تنهشهم، وبعضهم صلبوهم، وعدد منهم أُحرقوا أحياء. وآخرون غطَّوهم بمواد ملتهبة وأشعلوا فيهم النار ليكونوا شُعَلات تضيء الليل؛ ولكي يُسَمِّع الشعب برؤية هذه المناظر المأساوية فتح للجمهور حدائقه التي تجري فيها هذه المناظر، وجعل معها ألعاب السيرك. وكان يشترك فيها بنفسه، فكان يقود عربته ذات العجلتين (كَرْبَتَة) ويختلط مع الدماء والرعاع وهو في ثياب العرجي.

ولكن هذه المناظر الوحشية ملأت كل الصدور بالشفقة وتغلبت الإنسانية بعنانها من نحو المسيحيين. وإن كانت أحوال هؤلاء المسيحيين تستحق بلا شك بسبب جرائمهم وخبثهم يد العدالة، ولكن من الواضح أنهم وقعوا ضحايا لا من أجل صالح الشعب بل لإشباع شَرِّهِ وحقدٍ وقسوة رجل واحد. [١٦]

و يقول المؤرخ بياتر أن الأمر لم يقتصر على روما من جهة اضطهاد المسيحيين زمن نيرون، مع أنه انحصر في روما في البداية، إلا أنه بصي الوقت تسحب إلى الولايات الأخرى في كل مكان من الإمبراطورية المترامية الأطراف، حيث سرى فيها هذا التيار المسموم لمحاصرة المسيحيين واضطهادهم وتمنييهم، خاصة وأن الديانة المسيحية كانت إلى ذلك الوقت مُتَبَتِّرة أنها ديانة غير قانونية بحسب القانون الروماني، مما جعل اسم «نيرون» عالقاً بأذهان المسيحيين إلى زمن طويل بحسابه الفُضْدُ للمسيح (Antichrist). وقد قامت عليه روايات أنه محتبئ وراء نهر الفرات وأنه

سيظهر مرة أخرى ويشتعل نفسه أنه الضئ للمسيح (١٧).

ولكن أليس المسيحيون هم بالحق الذين أشعلوا النار ولكن ليس في الأخشاب والأحجار لتحويلها إلى رماد؛ بل في قلوب أهل روما لتحويلها إلى قباب ومنازل ذهبية في أورشليم السماوية. لقد أسرع ولاية المدينة بترحيل بولس الرسول مقيّداً عبر الأدرىاتيك بالرغم من الشتاء حيث يُقفل البحر وتُمنع الرحلات (Mare Clausum)، ولكن أوامر قيصر تُنفذ دون اعتبار للموانع. وهكذا نقلوا بولس الرسول من شاطئ اليونان إلى شاطئ إيطاليا، من أبولونية إلى برنديزي (Brundisium) فوصل روما قبل الربيع!

كان القبض على بولس هذه المرة عنيفاً ومُرعياً للغاية، لأنه يشمل المسيحيين بالجملة، مما أربع قلوب رفقاء بولس، حتى المخلصين منهم: «بادر أن نجيء إليّ سريعاً، لأن ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي، وكرنسُس (هو الآخر) إلى غلاطية (هرباً)، وتيطس إلى دَلْمَاسِيَّة (هرباً). لوقا وحده معي» (٢ تي ٤: ١٠ و ٩)، «الجميع تركوني» (٢ تي ٤: ١٦). ويبدو أن الذي وثق به وقدم الشهود والإثباتات هو إسكندر النحاس صانع فضة الأوثان في أفسس: «إسكندر النحاس أظهر لي شروراً كثيرة ليجازي الرب حسب أعماله.» (٢ تي ٤: ١٤)

وهكذا تصفّت الجماعة، «اضرب الراعي فتتبدد الرعية» (مر ١٤: ٢٧)؛ فهو ليس أفضل من سيده، وتلاميذه ليسوا أفضل من تلاميذ الرب!!

كانت القيود وكان الاعتقال هذه المرة بلا رحمة، فالقيود والسلاسل الأولى كانت لأسير تحت الفحص، أما هذه المرة فتحت اتهام مباشر من قيصر بجريمة إحراق روما! ووضع بولس الرسول في سجن العامة في قلب روما، سجن المامرتين Mamertine بكهوفه المخيفة. وكان من المسير الوصول إليه: «ليُعطى الرب رحمة لبيت أنيسيفوروس، لأنه مراراً كثيرة أراحني، ولم يجعل بسلسلتي؛ بل لما كان في روما طلبني بأوفر اجتهاد فوجدني.» (٢ تي ١: ١٦ و ١٧)

ونحن يلزم أن ننتبه جداً، لأن الاتهام قائم مبدئياً على كل مسيحي يوجد في روما كلها، فما بالك إن وُجد مَنْ يتبادل العمل والمحبة والمواطف مع سجين منهم تحت الحبس: «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني، لا يُعْتَبَرُ عليهم.» (٢ تي ٤: ١٦)



أطلال القبر التقليدي للقدّيس لوقا في أفسس
(أنظر صفحة ٧٥٤)



نحت من القرن الرابع
القديس يُقْتاد لتنفيذ حكم الموت خارج أسوار روما
(أنظر صفحة ٧٦١)



استشهاد القديس بولس

كنيسة القديس بولس الرسول في روما حيث يظهر تمثال للقديس بولس، وهو يعمل في يده السيف الذي قتله به الوالي الروماني، وفي اليد الأخرى الإنجيل الذي بشر به.



كنيسة القديس بولس — روما
(خارج الأسوار)

فئة الكنيسة من الداخل وعليها رسم المسيح محاطاً بالرسل القديسين:
لوقا وبولس وبطرس وأندراوس.
(أنظر صفحة ٧٦٢)

كذلك لكي نكوّن فكرة صحيحة عن مدى صحة الاتهام الذي وقع فيه بولس الرسول، يلزم أن نعرف أن تهمة حريق روما الذي ابتلع نصفها تقريباً، كان على نيرون بحسب مهارته الشيطانية أن يُلصقه في جماعة ليس لها حيثيّة وتكون مكروهة من الشعب، فوجد أن أنسب من يلصق بهم التهمة هم المسيحيون أولاً لأنهم بلا حيثيّة بحسب تقرير بولس الرسول: «فانظروا دعوتكم، أيها الإخوة، أن ليس كثيرون حُكّماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقباء، ليس كثيرون شرفاء، بل اختار الله جُهلّ العالم ليُخزي الحكماء، واختار الله ضُعفاء العالم ليُخزي الأقوياء، واختار الله أدنياء العالم والمزقزى وغير الموجود، ليُبطل الموجود، لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه.» (١كو١: ٢٦-٢٩)

كذلك لا ننسى أن بولس الرسول مُسجّل في محاكم روما أنه مسيحي، وأن إحدى التهم التي أراد أن يُلصقها به اليهود أنه «مُقدّم شعبة الناصريين» (أع٢٤: ٥)، فهذه التهمة وحدها تشكّل الاتهام ضده وأخذ وضع الجرم، إراء الحريق الذي نُسب إلى المسيحيين! فاتهام بولس الرسول أنه مسيحي وأنه متهم سابق بقيادة (فتنة)، كان هو السبب الأساسي في القبض عليه وترحيله إلى روما.

ويقول المؤرخ إن مجرد أن يُعرّف الشخص أنه مسيحي، فقد كان هذا كفيلاً بتوقيع الاتهام، والقبض عليه. ولكن باعتبار أن بولس الرسول كان مواطناً رومانياً، فإن نظر القضية كان يستدعي بعض الاعتبارات القانونية المتبصرة، وهذا ما سنراه.

وفي الوقت الذي رُحّل فيه بولس الرسول إلى روما، كان المشتكون والشهود وراعه، وأغلب الظن أن وفد المشتكين والشهود كان بقيادة إسكندر النحاس. ولم تأخذ القضية وقها الطويل كالسابق، بل بمجرد وصوله كانت مهتأة للنظر. ويقول القديس كلمدس الروماني أسقف روما إن بولس الرسول حوكم هذه المرة أمام الولاة المحليين وليس أمام نيرون، لذلك لم تأخذ القضية وقتاً كثيراً. ولكن لم يكن للولاة المحليين سلطة إصدار الحكم بالموت، ولكن كان عليهم استيفاء كل المحاكمة بكل أصولها، ثم تحويلها هيئة القضاء الأعلى، الذين كانوا يُختارون بالقرعة من بين شيوخ مجلس السيناتو، الذين كانوا يعطون أصواتهم بالأوراق السرية للحكم إن بالإطلاق أو بالموت.

كانت المحكمة التي قُدّم لها بولس الرسول من هذا النوع، ولأن القضية كانت خطيرة، فلم يمرّ أحد حتى ولا أي محام أن يقبل الدفاع، ولا وكيل قضائي كان يمكنه أن يرتب له الدفاع. لذلك يقول بولس الرسول: «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني. لا

يُحَسِّبُ عَلَيْهِمْ. ولكن الرب وقف معي وقوّاني، لكي تتم بي الكرازة ويسمع جميع الأمم. فأثقت
من فم الأسد.» (٢ تي ٤: ١٧ و ١٦)

حينما يتجبرّ الرؤساء ويرزق قبح الافتراء، حينما يخذلنا جميع الناس، حينما يتخلّى الأخ والابن
والصديق، حينما تتكاثر سحب الغيوم لتسدّ عنا حتى نور الشمس، يشرق الوجه المبارك في سماء
القلب ويُسِرُّ لنا في أذن الروح: "تشدّد أنا معك!"

ولكن، عزيزي القارئ، لا يَفُتْ عليك ما يريد أن يقوله بولس الرسول هنا، فهو يقول:
«ولكن الرب وقف معي وقوّاني لكي تتم بي الكرازة ويسمع جميع الأمم» (٢ تي ٤: ١٧). بولس
الرسول يقصد هنا أن المحاكمة كانت فرصة لأن يركز بالإنجيل ويسمع كل الحاضرين في قاعة
البازيليكا الكبرى للمحاكمة، من قضاة وولاة وعظماء ووجهاء المدينة من كل الرتب والمناصب،
أن يسمعوا اسم المسيح بأعلى صوت، لا لكي ينفي عن نفسه تهمة حريق أو فتنه وحسب؛ بل
ولينفي عن الاسم العظيم ما ألحقه به اليهود من امتهان لصق بقول الرومان ... بالرغم من كل
هذا الاجترار: «فأثقتُ من فم الأسد» (٢ تي ٤: ١٧)!! بولس الرسول لا يقصد أنه يأمل
النجاة، ولكن يقصد أنه حقّق في المحكمة ذاتها تكميل كرازته!

وغالباً لم تستوف القضية أمام القضاة عناصر الاتهام التي تؤدي إلى الحكم بالإعدام. لذلك
أُجِّلَتْ لحين تكميل التحقيقات الجانبية من طرف المحققين.

ولكن الذي أثقتُ من فم الأسد كان هو بعد ذاته أسداً!! ولكن كان عليه أن يسلم الودعة،
لأن الأمر بالإقلاع قد صدره، وأن الألوان لتُحَلَّ مركبة الفضاء من قاعدتها لتنتقل برائد السماء
الأول والأعظم إلى السموات الغُلا: «فإني أنا الآن أسكب سكبياً، ووقت انحلالِي قد حصره قد
جاهدتُ الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيراً قد وُضِعَ لي إكليل الرّ، الذي
يَهَبُهُ لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل، وليس لي فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً.»
(٢ تي ٤: ٦-٨)

وكأنما، ومن قيود بولس الرسول الثقيلة وبثقلها عينه ويزيد، صَنَعَتْ له ملائكة السماء إكليلاً
ذهبياً أشدّ جمالاً من الذهب، باستعداد ذلك اليوم. وبقياس آلامه ويزيد، صنع له المسيح عرشاً
من مجد يجلس عليه بجواره كما وعد: «أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان
على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيّاً (عرشاً) تدينون أسباط إسرائيل الاثني
عشر.» (مت ١٩: ٢٨)

أصدقاء أيام السجن الأخير لبولس الرسول:

لوقا الطبيب الحبيب بل والمخلص الأمين الأول. لقد ثبت في تجربة بولس الرسول أيما ثبوت، فقد رافقه في هذه الرحلة الخطيرة تحت مشتمع وبصر الولاة الذين قيّدوه ورحلوه، ورافقه حتى السجن، وبقي بالقرب منه قدر ما كانت تسمح به القوانين، وهي ما كانت تسمح في مثل هذه المحنة إلا بقدر ما يحفظه المجترىء من أيدي هؤلاء الحراس!!

تيخنيكس الأمين الثاني رفيق الرحلات والمخاطر والعمر كله، الذي حل الرسالة إلى تيموثاوس إلى أفسس.

وصديق آخر أشرق فجأة في وسط سماء روما الملبدة، فأراح قلب بولس وعزاه عزاء، أيسيفورس الذي من آسيا، مخاطباً بنفسه، الذي جاهد في البحث عن بولس الرسول من معسكر لمعسكر، ومن قشلاق لقشلاق، حتى عثر عليه في سجنه: «لِيُغِيثَ الرب رحمة لبيت أيسيفورس، لأنه مراراً كثيرة أراحني ولم ينجب بسلسلتي، بل لما كان في روما طلبني بأوفر اجتهد فوجدني.» (٢ تي ١: ١٦ و١٧)

كما زار بولس الرسول في السجن كثير من الأصدقاء ذوي المراكز العليا ليتباركوا من اليدين المشغلتين بالسلسلة وليأخذوا زاداً من سجنه الرطب، ليُدْفَنَهم بالروح مدى الحياة: لينوس أسقف المستقبل لروما والأسقف الأول بعد القديسين بطرس وبولس في سجلات أساقفة روما، بحسب إيرينيئوس ويوسابيوس القيصري (ويعتدون له الآن في ٢٣ سبتمبر)، بودنس Pudens وهو ابن أحد شيوخ Senate روما العظام، كلاوديا Claudia وهي زوجة السابق ويحتمل أن تكون ابنة ملك إنجلترا (وهذه إشادة من المؤرخين أن بولس الرسول زار إنجلترا عندما زار أسبانيا، وهذا التقليد عيشه موجود في كنيسة إنجلترا ومدون في مذكرات الأسقف Burgess في سجنه الخاص بأصول كنيسة إنجلترا)^(١٨).

18. Conybeare, *op. cit.*, pp. 21-54, 77-83, 101-103, 771.

رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس:

ولكن لم يكن للقديس بولس الرسول اشتياق لأحد قدر اشتياقه لتيموثاوس الذي أرسل له خطابته الأخير لكي يسرع بالحضور حتى يعطيه البركة الأخيرة: «بادر أن تحييء إليّ سريعاً.» (٢ تي ٤: ٩)

«بادر = اعمل كل جهدك σπουδασον أن تحييء قبل الشتاء (قبل أن يقفل الإبحار)» (٢ تي ٤: ٢١). ولكن تيموثاوس كان بعيداً، وكان الخوف يداعب بولس الرسول على تيموثاوس لئلا ترعبه الاضطهادات ويخور في جهاده. كانت هذه الفكرة متسلطة عليه وهو يكتب له الرسالة الأخيرة، وكان محورها التشديد والتشجيع حتى لا يخور:

- + «لأن الله لم يُعطنا روح الفشل بل روح القوة والمحبة والنصح.» (٢ تي ١: ٧)
- + «فلا تحجل بشهادة ربنا ولا بي، أنا أسيره، بل اشترك في احتمال المشقات لأجل الإنجيل بحسب قوة الله.» (٨: ١)
- + «فتقوّ أنت يا ابني بالنعمة التي في المسيح يسوع.» (١: ٢)
- + «فاشترك أنت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح.» (٣: ٢)
- + «إن كنا قد مُثنا معه فسنحيا أيضاً معه، إن كنا نصبر فسنملك أيضاً معه، إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا.» (١٢ و ١١: ٢)
- + «احتمل المشقات، اعمل عمل المبشّر، تم خدمتك.» (٤: ٥)

هل جازف تيموثاوس وذهب إلى بولس الرسول في روما

وقُبِضَ عليه وسُجِنَ ثم أُفْرِجَ عنه؟

- + «اعلموا أنه قد أُظْلِقَ الأخ تيموثاوس الذي معه سوف أراكم إن أسي سريعاً.» (عب ١٣: ٢٣)

نعلم من جميع الرسائل السابقة بكل ظروفها وأزمعتها، أن تيموثاوس لم تُلقَ عليه الأيدي ولم يُسجن. والآن ليس أمامنا مفرّ أن نعتبر أن هذا قد حدث في روما وفي ذهاب تيموثاوس إلى هناك ليرى بولس الرسول في السجن، لأنه أعلن عن نفسه أنه صديق بولس لذلك وُثِّقَ به، وتم القبض عليه واستودِعَ السجن، ولكن لم تثبت عليه أية تهمة، فأُفْرِجَ عنه.

يقول الباحث المدقق والعالم كونيبيير Conybeare:

[هذا يقودنا إلى أن نفكر أن تيموثاوس وصل قبل الحكم على بولس الرسول بالموت، وإلا ما كان هناك ضرورة لكي يقرّر أنه قُبِضَ عليه هو أيضاً في روما. لأنه إن كان قد أتى متأخراً

كان يمكن أن يعود إلى آسيا في الحال، دون أن تشعر به السلطات في إيطاليا. لذلك نرجو أن تكون رغبة بولس الرسول العاطفية قد تحققت (في رؤية تيموثاوس). غير أنه إذا كان تيموثاوس قد أتى قبل صدور الحكم، فإن المدة التي قضاها مع بولس بعد مجيئه إلى روما تكون قصيرة جداً بالضرورة، لأن الرسالة لو فرضنا أنها وصلت في أول مارس، فإنه بالجهد يكون قد وصل إلى روما آتياً من أفسس في نهاية شهر مايو. ومعروف أن نيرون مات في يونية سنة ٦٨ م. إذاً، فيكون بولس الرسول قد تلقى الحكم ليس بعد أول شهر يونية بأي حال من الأحوال. وهذه التواريخ قد توصلنا إليها، وهي توفي بكل مطالب كل الظروف التي أحاطت بالموضوع [١٩].

الرسالة إلى العبرانيين:

الإلهام الرسولي والنبوي في هذه الرسالة يرفعها فوق كل الظنون:

لقد أثارت هذه الرسالة ومنذ القرن الثاني الميلادي كثيراً من المناقشات وطرح الآراء. ومن بين كل الأسفار لم يوجد سفر حدث بسببه مثل هذه المناقشات، كما لم يوجد سفر حل مثل هذه الإلهامات المضيفة والتي لا يختلف في علو شأنها اثنان.

ولكي يكون لدى القارئ فكرة عن مدى خطورة الحكم على أسفار الإنجيل بتسرّع، فليعلم أن كنيسة روما — بوزنها العالي رفضت الاعتراف بقانونية هذه الرسالة وبنسبها لبولس الرسول على مدى القرن الثاني والثالث والرابع كله! ثم قبلت واعترفت بقانونية هذه الرسالة ضمن الأسفار المقدسة ورقمتها بالرقم الرابع عشر في رسائل بولس الرسول.

وعلينا الآن أن نعطي القارئ فكرة متسمة عما واجهته هذه الرسالة على طول المدى من رفض وقبول من كافة الكنائس والقديسين والعلماء، لكي نلّم بخطورة هذه الرسالة ونسج مداركه في تقنية البحث العلمي والحكم على الأمور الروحية بفكر ثائب:

(أ) فباديء ذي بدء يلزم أن يعرف القارئ أن في كل العصور وباختلاف الأشخاص والآراء والأحكام والتعصب لم يوجد إنسان واحد قدم أدنى اعتراض على الإلهام الواضح المضيء في هذه الرسالة!

(ب) كذلك وبنفس التأكيد، اتفق جميع القديسين والباحثين والفاحصين والمعارضين أن كاتب الرسالة هو من عصر الرسل ومُتأخر بالضرورة لبولس الرسول (إن لم يكن هو بولس الرسول).

(ج) وأيضاً يتحتم أن يعرف القارئ القبطي أن هذه الرسالة استقبلتها الكنيسة القبطية والشرقية عموماً منذ البدء، باعتبارها رسالة قانونية من الأسفار القانونية، واقتصر النقاش فقط على كاتبها!

(د) ويوجد شخصيتان هما وزنهما العالي في المعرفة الروحية وعلوم الكتاب المقدس، وتقدمهما المرموق في اللغة وفحص الأسفار، هما أوريجانوس من الشرق وجيروم (إيرونيموس) من الغرب، هذان قالوا قولاً أقرب ما يكون من الصحة الإنجيلية وواقع الأمر:

١- فجيروم قال إنه لا يهم (الإنسان المسيحي) أن يكون كاتبها بولس أو لوقا أو برنابا طالما أنه اعترف بها أنها من نتاج العصر الرسولي، وظلت تقرأ في الكنيسة في خدمتها العامة منذ بدء الزمن: فهي رسالة رسولية.

٢- أما أوريجانوس، فقال بعد فحص كل الاحتمالات أن الذي أملاها هو بولس الرسول، وأن الذي كتبها هو أحد تلاميذه. لأن الفكر فيها هو فكر بولس الرسول، واللغة ليست لغة بولس الرسول.

وكأنما نحن أمام حيرة إسحق أبي الآباء: «الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو» (تك ٢٧: ٢٢). ولكن استقر في نفسه إلى أن يعقوب هو أخو عيسو، فالذي يتقدم منهما ينال البركة.

(هـ) والذين قالوا إن الرسالة إلى العبرانيين هي للقديس بولس الرسول هم: القديس كللمندس الإسكندري تابعاً في رأيه رأي معلمه القديس بنسيتوس مدير المدرسة اللاهوتية لهذا الزمان، أوريجانوس، القديس ديونيسيوس الإسكندري، القديس بطرس خاتم الشهداء، القديس ألكسندروس، القديس أثناسيوس الرسولي، القديس ديديموس، القديس كيرلس الكبير، القديس إيسيدوروس البلوزي أي الفرسي (مصري)، حتى أريوس المناق! مع آباء السريان ونسخة البشيتا وأفرام السرياني ويعقوب من نصيبين أي كل آباء الشرق القديسين، الكل بدون استثناء، قالوا إنها لبولس.

(و) وأما بخصوص المناقضات في الأسلوب والكتابة والألفاظ واللغة بين الرسالة إلى العبرانيين وباقي رسائل بولس الرسول، فقد حاولوا كل واحد من جهته أن يعطي أسباباً لذلك. فكللمندس مثلاً قال: [إن هذه الاختلافات الواضحة والشديدة ترجع إلى أن بولس الرسول كتبها بالعبرية، وترجمها آخر وهو القديس لوقا إلى اليونانية] (٢٠). ثم قال

أوريجانوس، لا بل إن: [بولس كان هو صاحب الفكر، أما اندي دُونها فهو آخر لا يعلمه أحد إلا الله] (٢١). ويضيف أوريجانوس في تقريره قائلاً: [إن الوثائق التاريخية التي انحدرت إلينا، أعطت أسماء مثل كلمندس أسقف روما، ولوقا كاتب الإنجيل والأعمال]، أسماء مقترحة لكتابة الرسالة إلى العبرانيين. ولكن المعروف والمتحقق أن أوريجانوس اقتبس من الرسالة إلى العبرانيين وأعطى اسم بولس لكتابتها.

(ز) ويوسابيوس القيصري المؤرخ صنع مثل هذا (أي أنه استشهد بها أنها لبولس الرسول)، بينما يضعها أحياناً تحت خانة الأسفار غير المتفق عليها.

(ح) جميع آباء الكنيسة اليونانية مع مجمع أنطاكية سنة ٢٦٤م وجمع لاوديكية سنة ٣٩٠م مع القديسين اغريغوريوس الشافعاتورغوس، كيرلس الأورشليمي، إبيفانيوس، باسيليوس، اغريغوريوس النازينزي والنيسي، وذهي الفم، وثيودور المبوسوتي. جميع هؤلاء اعتبروا هذه الرسالة لبولس الرسول.

ط — آباء الغرب:

عند هؤلاء من البدء، ومنذ أيام القديس كلمندس الروماني أسقف روما الثاني بعد لينوس في القرن الأول، لم تُحسب هذه الرسالة قانونية ولم تُعد أصيلة لبولس الرسول، وهكذا أيضاً حسبها وثيقة موراثوري، التي لم يُذكر فيها إلا ثلاث عشرة رسالة لبولس الرسول وأسقطت الرسالة إلى العبرانيين. كذلك هيبوليتس وإيرينيوس لم يعتبرها قانونية ولا أنها أصيلة لبولس الرسول. وحتى كبريانوس احنرس حتى إنه لم يقبس منها أصلاً!! ونخرج تيرتليان على ذلك فاعتبرها أنها لبرنابا وأنها غير قانونية.

وظل هذا الرفض من الآباء اللاتين حتى القرن الرابع — وحتى عند هيلري من ليرين Vincent of Lerins، وهيلاري من بواتييه Hilary of Poitiers، وأمبروسوس من ميلان Ambrose of Milan، ولوسيفوروس من كاجلياري Lucifer of Cagliari.

ولكن في جمع هيبو سنة ٣٩٣م، وجمع قرطاجنة سنة ٣٩٧م، سَجَّل الآباء المجتمعون الرسالة إلى العبرانيين مع الثلاث عشرة رسالة التي لبولس الرسول. وهكذا، وبناءً على هذا الإجراء،

(٢١) راجع كتاب: «التاريخ الكنسي»، ليوسابيوس القيصري ١١: ٢٥٦-١٣.

اعتبرها إينوسنت الأول Innocent سنة ٤١٧ م (بابا روما منذ سنة ٤٠٢ م) أنها قانونية بجراءة. وكان هذا البابا ذا رأي صائب وعزيمة وشكيمة وإخلاص وتقديس بالدرجة الأولى. وله الفضل، كل الفضل، في مناصرة القديس يوحنا ذهبي الفم ضد أعدائه والمناوئين له، ومناصرة جيروم أيضاً ضد مقاوميه. ومنذ أيامه ورسائل بولس الرسول القانونية صارت هي الأربع عشرة رسالة بما فيها الرسالة إلى العبرانيين. وهكذا ذابت واختفت بالتدريج كل الشكوك والرفض لرسالة العبرانيين عند الغرب عامة.

وانتهى آباء كل من الشرق والغرب على أن الرسالة إلى العبرانيين قانونية ومنسوبة لبولس الرسول حتى وإن كان بها ما يخالف شكلاً، سواء في الألفاظ أو النظام أو اللغة، باقي رسائل بولس الرسول.

أما نُقَاد العصر الحديث، فلم يستقروا على قرار، وتباعدت نظراتهم واقتراحاتهم ولم ينتهوا إلى حلٍّ سواء.

إلى مَنْ كتب بولس الرسول هذه الرسالة؟

أيضاً اختلفت الآراء سابقاً ولاحقاً وحتى اليوم. فمن قائل أنها كُتِبَتْ لكنيسة أورشليم، إلى قائل لا بل إلى روما نفسها، إلى مَنْ قال بل إلى الإسكندرية، لا بل أنطاكية، بل كورنثوس، بل تسالونيكى؛ حتى إلى مَنْ قال أنها أرسلت لرافنا Ravenna.

ولكن ألا يظهر من هذا أن بولس الرسول كتبها فعلاً لهذه الكنائس بل المجامع كلها، من أجل هذا أغفل اسم المُرْسَل إليه واسم الراسل حتى إن كل مَنْ يقرأها من اليهود لا يعثر في بولس الرسول كاتبها؟

أما تاريخ كتابتها فقد حددناه بدقة وهو أثناء سجن بولس الرسول لثاني مرة، وهي في آخر أيامه قبل أن ينطلق إلى راحته العليا. والذي يؤيد هذا بكل يقين أن ذِكْر الهيكل وطقوسه في الرسالة يُظهر بوضوح أن هذه كانت موجودة وقائمة وكانت ولا زالت قارِئاً، أي قبل سنة ٧٠ م — تاريخ خراب الهيكل وتوقُف العبادة فيه بل وانتهاء وجوده من على وجه الأرض — حيث «لم يُتْرَك فيه حجر على حجر لم ينقض» حسب قول الرب (لوقا ٢١: ٦).

كذلك فإن الكاتب، إذا لم يكن هو بولس الرسول وكان يكتب بعد سنة ٧٠ م، لكان ذكر انتهاء عصر الهيكل والذبائح حتماً لأنه يزكّي قيام الجديد الذي يصفه. ولكن اليهود المسيحيين



صورة لساحة رومانية Forum والقاعة التي كان يجتمع فيها مجلس
الشيوخ (السناتو) لمناقشة وإقرار القوانين الرومانية.
(أنظر صفحة ٧٤٠)

استشهاد القديس بولس الرسول

واحة السلام

دير الترايست باسم البنايع الثلاثة،

يرجع إلى القرن السابع.

هنا في هذا الموضع ولي مكان يسعد عن روما مسافة ثلاثة أميال،

أخذت رأس القديس بولس.

وغُلِّد المذبح المقام هنا ذكرى استشهاد الرسول.

(أنظر صفحة ٧٦٢)



الذين كتب لهم بولس الرسول هذه الرسالة رأوا بدء خراب الهيكل سنة ٦٧-٦٨ م، وحوصروا فيه فاضطروا لمغادرته والتحصن في مدينة بلا Pella؛ إلى هؤلاء كتب الرسالة ليشدد إيمانهم ويثبتهم في الهيكل السمائي الجديد، والذبيحة الوحيدة الإلهية ورئيس الكهنة الأعظم، الذي لا يمنعه الموت عن البقاء، والحجاب الجديد وطريق الأقداس والدم المرشوش على الضمير!

بولس الرسول يكتب لليهود المنتصرين، سواء في أورشليم أو اليهودية أو السامرة أو أقصى الأرض، الذين يواجهون إغراء الردة إلى اليهودية، وقد وقفوا على حافة الهوة بسبب الاضطهاد الذي يلاحقهم من الخلف والذي يداهمهم من الأمام، من اليهود المتعصبين ومن الرومان المستبدين والمتعظمين والمستراسين. بولس الرسول يحذّر من الارتداد عن الله الحي أولئك الذين ذاقوا المواهب وعاشوها وتقدسوا بالدم وتختّموا بروح الموعد القدوس، لأن ارتدادهم سيكون بلا توبة، بلا قيامة، بلا ذبيحة، بلا غفران، بلا رحمة، لأنه يكون على مستوى من داس دم ابن الله الذي هو بروج أزلي، وكمنّ ازدرى بروح النعمة، فلم يبق له بعد خلاص.

لقد صوّر بولس الرسول، ببراعة، ذلك الذي يرتد من المسيحية إلى اليهودية كمنّ ينتقل من الكامل إلى الناقص، من عهد النور والنعمة إلى الشبه والظل والعمّة. من ذبيحة الابن الوحيد إلى ماعز وتيوس وعجول؛ من رئيس كهنة عظيم بهذا المقدار حي إلى الأبد، اجتاز السموات ليراهي أمام الله من أجلسنا، إلى رئيس كهنة أرضي يحتاج إلى ذبيحة ثور ليتطهر ثم يبتلع الموت فيتنحس ويمتعه عن التطهير أيضاً وعن البقاء!

وبالأكثر جدأ، فإن كل من يرتد من المسيحية إلى اليهودية فهو لا يرتد بدون خسارة، بل هي أفدح خسارة، لأن بالمسيح صار لنا قبول لدى الله، فهو الوسيط الوحيد، لأنه الابن الوحيد والوسيط بين الله والناس. أما في اليهودية، فكانت الوساطة على يد كاهن وهو أضعف من الفضل يفتقر إلى عنزة أو تيس يذبحه ليتطهر حتى يتأهل للوساطة — عبد لعبد — ولكن الرب يسوع هو الوسيط الإلهي والأزلي، توسط بذبيحة نفسه، وبدم العهد طهرنا وقدمنا إلى الله بلا لوم في قداسه وبرّه وبثوته الأزلية كابن وحيد لأبناء متبئين.

والرسالة يقدمها بولس في ثلاثة عناصر أصيلة:

العنصر الأول: المفاضلة بين وساطة المسيح، ووساطة الآباء والأنبياء وموسى ويشوع (عب ١-٤).

العنصر الثاني: المفاضلة بين كهنوت المسيح الأزلي على طقس ملكي صادق، في مقابل الكهنوت اللاوي (عب ٥-٧).

العنصر الثالث: ذبيحة المسيح الكفارية، في مقابل ذبائح يوم الكفارة ومعها عقاب عدم الإيمان، في مقابل قيمة الإيمان وأمثله الشاهدة والحث على الجهاد والمثابرة (عب ٨-١٣).

والرسالة في جملتها مقارنة بين عهدين ومفاضلة بين نظامين.

نهاية السجْن الثاني لبولس الرسول حسب التقليد:

[لي اشتهاه أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذلك أفضل جداً.] (في ١: ٢٣) بولس الرسول.

لقد حان موعد الزفاف ووضع إكليل البر على الرأس المتعب المظفر.

بولس الرسول تألم خارج الباب:

إن مواطنة بولس الرومانية جُتِبَتْه حكم الموت بالتمذيب الذي وقع فيه كل المسيحيين زملائه الذين تقبلوا أحكام الموت في هذا الحادث الحزين. وهذا نتج عنه بحسب تدبير نعمة الله أن يتقبل بولس الرسول الموت كمواطن روماني بضربة سيف (٢٢). على أن المواطنين الرومانيين الذين كانوا يُعَذَّبون بالسيف كان يؤتى بهم إلى خارج المدينة.

وهكذا تمّ موت بولس الرسول خارج أسوار روما (٢٣)، تماماً تماماً كما أشار هو: «فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره» (عب ١٣: ١٣)، وكان هذا على طريق أوستيا (٢٤) (ميماء روما)، حيث سُيِّدَتْ فيما بعد كاتدرائية عظمى تخليداً لاستشهاده، بيد قسطنطين الملك؛ اسمها حتى الآن: «كنيسة القديس بولس خارج الأسوار» St-Paul Hors les Murs.

22. Conybeare, *op. cit.*, p. 781.

23. Ibid.

24. a. Caius (A.D. 200).

b. Tertullian.

c. Eusebius.

d. Jerome.

مات بولس! مات الرسول الإنجيلي والنبي والشهيد!

وسلم وثيقة ميراثه للكنيسة. أربع عشرة رسالة ووجه المسيح المضيء من السماء. هي أربع عشرة جوهرة متلاثلة بنور الله، أضاءت لنا طريق الحياة والخلود. مع قسط آلام وسلسلة وقيود ودماء مسكوبة على طريق أوستيا، صارت مُرشداً للسفر للكارزين، وزاداً يتزود به كل العابدين. مات بولس الرسول، وهو لا يزال يتكلم بعد. فليس بين كل مَنْ دعاهم المسيح وأرسلهم مثل بولس الرسول لا يزال صوته يرنُّ في جميع أنحاء العالم. يعزّي ويكثّر ويعلم ويشجع ويقم من الحضيض. كلماته سهام روحية مبرّرة تحترق كل الحواجز لتصيب مرماها بيقين. ألفان من السنين، وكلماته لا تزال تنبض بالروح كما نطقها. هزّت عروشاً ومنازل، وألهمت قلوباً وضمانات، وصنعت كارزين، أقامت من الحضيض ملايين من التائبين وجعلت منهم عظماء وشهداء وقديسين.

بولس الرسول، وعالم اليوم:

إن «حياة بولس» الرسول التي حازت بأعمالها وأخلاقها برهان حصوله على اتحاد قلبي وروحي وفكري بالمسيح واختبار وجوده حيّ مصلوباً وقائماً من الموت وناظراً من السماء، سجّلت للعالم بل وسلّمت باليد كلّاً من مسيح التاريخ ومسيح الدهر الآتي، حاضراً حضوراً حيّاً قنّالاً.

فمسيحية بولس التي سلّمها للعالم الأمم غيّرت الكنيسة بالإنجيل ليست ديانة فكر وكتاب وحسب، أو ديانة ناموس وقانون ونظام وحسب، بل ديانة المسيح الحيّ الحاضر والقائم، المنظور والمُتمّاش بالروح، صاحب إنجيل القوة، القادر على التضييق الأخلاقي وتجهيد الطبيعة وإعطاء النعمة العاملة للمؤمن حياة كل فرد بالفرح والقداسة والعبادة والتقوى العملية.

لقد استلم العالم من بولس الرسول مسيحية عملية لها قواعدها، غيّرتَه بالفعل وجلّدت طبيعته، خطّت فيه بقوة تاريخاً خاصاً بها، تاريخاً من قصص حياتية أخلاقية روحية فائقة، وقصص قداسة وتقوى صادقة وسمو روحي، وقصص كرازة وفداء وأعمال بذل وبطولة واستشهاد، كل ذلك على مستوى الفرد والجماعة والكنيسة في كل العالم، طبعت شعباً بأجمعها بروح المسيح، وأعطتها وأعطت العالم معها بالتالي سمات مسيحية تفلقت فيه كصفات.

وهكذا، فإن خبرة بولس الإيمانية في التصاقه بالمسيح كابن الله الحي، واكتسابه حياته الجديدة منه، والمتحدة به بالروح مع فعالية النعمة التي صنعت منه أقوى كارز كرز للعالم، هذه الخبرة الإيمانية كانت هي بدء حركة التاريخ المسيحي في العالم، الذي لا يزال يجمع ويسجل من الأفراد والجماعات والشعوب صورته الحية، حتى أصبح من المستحيل فصل العالم عن تاريخ المسيحية لأنها صارت صورة حية له.

حينما ظهر يسوع المسيح وابتدأ استعلان ذاته بقوله: «توبوا فقد اقترب منكم ملكوت الله»، كان المسيح هو تجسيد هذا الملكوت بعينه، وكان هو تجسيد هذا الاقتراب؛ اقتراب الله ذاته. فقد تقابل آنشد العالم مع المسيح في الله وجهاً لوجه!! ولكن لم يعرف العالم المسيح وأشاح بوجهه عنه ... فأشاح بوجهه عن الله دون أن يدري!!!

وعندما ظهر يسوع المسيح أولاً للتلاميذ، ثم لبولس حيث استعلن ذاته له من السماء بوجهه المشرق من العلاء واستعلن فيه الله، تقابل آنشد المسيح والله مع بولس وجهاً لوجه، فقبله بولس؛ فتغير إلى تلك الصورة عينها وظلّ يتغير بالروح من مجد إلى مجد، ومعه يهوديته والأمم التي دُعيَ لخدمتها. وهكذا دخل العالم بواسطة بولس الرسول وفيه إلى «مقابلة» صادقة مع المسيح والله وقبول، وتغيير ومجد، كان بولس يستشعرها جميعاً بكل يقين، اسمعه وهو يخاطب العالم: «نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا، نطلب عن المسيح:

تصالحوا مع الله!»

(٢ كور: ٥: ٢٠)

التهى

ويليه تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية

فهارس الكتاب

— ١ —

فهرس الآيات الواردة في نص الكتاب

اعمال التبرع:

اع

اع

اع

اع

اع

اع

اع

اع

اع

اع ١

اع ٢

اع ٣

اع ٤

اع ٥

اع ٦

اع ٧

اع ٨

اع ٩

اع ١٠

اع ١١

اع ١٢

اع ١٣

اع ١٤

اع ١٥

اع ١٦

اع ١٧

اع ١٨

اع ١٩

اع ٢٠

اع ٢١

اع ٢٢

اع ٢٣

اع ٢٤

اع ٢٥

اع ٢٦

اع ٢٧

اع ٢٨

اع ٢٩

اع ٣٠

اع ٣١

اع ٣٢

اع ٣٣

اع ٣٤

اع ٣٥

اع ٣٦

اع ٣٧

اع ٣٨

اع ٣٩

اع ٤٠

اع ٤١

اع ٤٢

اع ٤٣

اع ٤٤

اع ٤٥

اع ٤٦

اع ٤٧

اع ٤٨

اع ٤٩

اع ٥٠

اع ٥١

اع ٥٢

اع ٥٣

اع ٥٤

اع ٥٥

اع ٥٦

اع ٥٧

اع ٥٨

اع ٥٩

اع ٦٠

اع ٦١

اع ٦٢

اع ٦٣

اع ٦٤

اع ٦٥

اع ٦٦

اع ٦٧

اع ٦٨

اع ٦٩

اع ٧٠

اع ٧١

اع ٧٢

اع ٧٣

اع ٧٤

اع ٧٥

اع ٧٦

اع ٧٧

اع ٧٨

اع ٧٩

اع ٨٠

اع ٨١

اع ٨٢

اع ٨٣

اع ٨٤

اع ٨٥

اع ٨٦

اع ٨٧

اع ٨٨

اع ٨٩

اع ٩٠

اع ٩١

اع ٩٢

اع ٩٣

اع ٩٤

اع ٩٥

اع ٩٦

اع ٩٧

اع ٩٨

اع ٩٩

اع ١٠٠

اع ١٠١

اع ١٠٢

اع ١٠٣

اع ١٠٤

اع ١٠٥

اع ١٠٦

اع ١٠٧

اع ١٠٨

اع ١٠٩

اع ١١٠

اع ١١١

اع ١١٢

اع ١١٣

اع ١١٤

اع ١١٥

اع ١١٦

اع ١١٧

اع ١١٨

اع ١١٩

اع ١٢٠

اع ١٢١

اع ١٢٢

اع ١٢٣

اع ١٢٤

اع ١٢٥

اع ١٢٦

اع ١٢٧

اع ١٢٨

اع ١٢٩

اع ١٣٠

اع ١٣١

اع ١٣٢

اع ١٣٣

اع ١٣٤

اع ١٣٥

اع ١٣٦

اع ١٣٧

اع ١٣٨

اع ١٣٩

اع ١٤٠

اع ١٤١

اع ١٤٢

اع ١٤٣

اع ١٤٤

اع ١٤٥

اع ١٤٦

اع ١٤٧

اع ١٤٨

اع ١٤٩

اع ١٥٠

اع ١٥١

اع ١٥٢

اع ١٥٣

اع ١٥٤

اع ١٥٥

اع ١٥٦

اع ١٥٧

اع ١٥٨

اع ١٥٩

اع ١٦٠

اع ١٦١

اع ١٦٢

اع ١٦٣

اع ١٦٤

اع ١٦٥

اع ١٦٦

اع ١٦٧

اع ١٦٨

اع ١٦٩

اع ١٧٠

اع ١٧١

اع ١٧٢

اع ١٧٣

اع ١٧٤

اع ١٧٥

اع ١٧٦

اع ١٧٧

اع ١٧٨

اع ١٧٩

اع ١٨٠

اع ١٨١

اع ١٨٢

اع ١٨٣

اع ١٨٤

اع ١٨٥

اع ١٨٦

اع ١٨٧

اع ١٨٨

اع ١٨٩

اع ١٩٠

اع ١٩١

اع ١٩٢

اع ١٩٣

اع ١٩٤

اع ١٩٥

اع ١٩٦

اع ١٩٧

اع ١٩٨

اع ١٩٩

اع ٢٠٠

اع ٢٠١

اع ٢٠٢

اع ٢٠٣

اع ٢٠٤

اع ٢٠٥

اع ٢٠٦

اع ٢٠٧

اع ٢٠٨

اع ٢٠٩

اع ٢١٠

اع ٢١١

اع ٢١٢

اع ٢١٣

اع ٢١٤

اع ٢١٥

اع ٢١٦

اع ٢١٧

اع ٢١٨

اع ٢١٩

اع ٢٢٠

اع ٢٢١

اع ٢٢٢

اع ٢٢٣

اع ٢٢٤

اع ٢٢٥

اع ٢٢٦

اع ٢٢٧

اع ٢٢٨

اع ٢٢٩

اع ٢٣٠

اع ٢٣١

اع ٢٣٢

اع ٢٣٣

اع ٢٣٤

اع ٢٣٥

اع ٢٣٦

اع ٢٣٧

اع ٢٣٨

اع ٢٣٩

اع ٢٤٠

اع ٢٤١

اع ٢٤٢

اع ٢٤٣

اع ٢٤٤

اع ٢٤٥

اع ٢٤٦

اع ٢٤٧

اع ٢٤٨

اع ٢٤٩

اع ٢٥٠

اع ٢٥١

اع ٢٥٢

اع ٢٥٣

اع ٢٥٤

اع ٢٥٥

اع ٢٥٦

اع ٢٥٧

اع ٢٥٨

اع ٢٥٩

اع ٢٦٠

اع ٢٦١

اع ٢٦٢

آف ۱			آف ۲			آف ۳			آف ۴		
۱۵۱	۱۳-	۱۴:	۹۸	۱۹-	۱۸:	۲۰۱	۶:	۱	۲۰۱	۶:	۱
۷۳۱	۱۶-	۱۴:	۱۶۷	۲۲-	۱۸:	۲۱۹	۷:		۲۱۹	۷:	
۱۸۰		۱۴:	۳۲۹		۱۹:	۲۵۱	۷:		۲۵۱	۷:	
۳۵۸		۱۴:	۳۸۷		۱۹:	۲۵۵	۷:		۲۵۵	۷:	
۱۵۳		۱۵:	۵۰۰		۱۹:	۲۸۰	۷:		۲۸۰	۷:	
۱۵۱	۱۶-	۱۵:	۷۳۰		۱۹:	۱۷۶	۱۰-	۹:	۱۷۶	۱۰-	۹:
۱۷۱	۱۶-	۱۵:	۱۱۶		۲۰:	۲۳۹	۱۰-	۹:	۲۳۹	۱۰-	۹:
۲۸۲	۲۱-	۲۲:	۵۰۰		۲۰:	۱۸۲	۱۰:		۱۸۲	۱۰:	
۵۵۱		۲۸:	۱۵۶	۲۲-	۲۰:	۱۶۱	۱۰:		۱۶۱	۱۰:	
۲۲۱		۲۰:	۱۷۵	۲۲-	۲۰:	۵۶۲	۱۰:		۵۶۲	۱۰:	
۱۷۷		۲۰:	۱۸۳	۲۲-	۲۰:	۷۳۷	۱۰:		۷۳۷	۱۰:	
۵۸۰		۲۰:	۱۸۰	۲۲-	۲۱:	۲۳۹	۱۲-	۱۱:	۲۳۹	۱۲-	۱۱:
۲۷۵	۲-	۱:	۱۶۷		۲۲:	۱۸۰	۱۳:		۱۸۰	۱۳:	
۱۱۷		۲:	۷۳۰		۲:	۵۹	۱۴-	۱۳:	۵۹	۱۴-	۱۳:
۲۵۸		۲:	۸۸	۱-	۳:	۱۳۱	۱۴-	۱۳:	۱۳۱	۱۴-	۱۳:
۲۶۰		۲:	۵۰۰		۵:	۱۰۶	۱۴-	۱۳:	۱۰۶	۱۴-	۱۳:
۵۱۶	۵-	۳:	۷۲۹		۵:	۱۷۷	۱۴-	۱۳:	۱۷۷	۱۴-	۱۳:
۲۰۳		۵:	۱۷۱	۶-	۵:	۵۸۰	۱۴-	۱۳:	۵۸۰	۱۴-	۱۳:
۶۱۳		۵:	۱۷۶	۹-	۵:	۳۵۸	۱۵:		۳۵۸	۱۵:	
۳۹۱		۸:	۲۳۸	۱۱-	۵:	۵۳۵	۱۸-	۱۵:	۵۳۵	۱۸-	۱۵:
۱۷۷		۱۸:	۷۲۹		۶:	۵۲۳	۱۹-	۱۶:	۵۲۳	۱۹-	۱۶:
۷۳۱		۱۸:	۱۳۸		۷:	۵۲۵	۱۹:	۱۷:	۵۲۵	۱۹:	۱۷:
۱۸۹		۱۹:	۲۰		۸:	۲۳۷	۱۸:		۲۳۷	۱۸:	
۷۳۱		۱۹:	۹۶		۸:	۳۹۱	۱۸:		۳۹۱	۱۸:	
۹۷		۲۱:	۳۵۸		۸:	۸۹	۲۰-	۱۸:	۸۹	۲۰-	۱۸:
۳۶۱		۲۱:	۳۰	۱۱-	۸:	۳۹۸	۲۰:		۳۹۸	۲۰:	
۵۳۰	۲۱-	۲۲:	۷۵	۱۱-	۸:	۱۷۷	۲۱-	۲۰:	۱۷۷	۲۱-	۲۰:
۷۳۱	۲۳-	۲۲:	۱۷۶	۱۱-	۸:	۳۰۰	۲۲-	۲۱:	۳۰۰	۲۲-	۲۱:
۱۵۱		۲۳:	۲۰۰		۹:	۱۵۱	۲۳-	۲۲:	۱۵۱	۲۳-	۲۲:
۱۷۱		۲۳:	۲۱۲		۹:	۱۶۰	۲۳-	۲۲:	۱۶۰	۲۳-	۲۲:
۱۷۱		۲۳:	۷۲۹		۹:	۱۶۸	۲۳-	۲۲:	۱۶۸	۲۳-	۲۲:
۷۲۹	۲۲-	۲۳:	۱۵۵	۱۱-	۱۰:	۱۷۱	۲۳-	۲۲:	۱۷۱	۲۳-	۲۲:
۳۹۵		۲۵:	۹۸		۱۴:	۷۳۰	۲۳-	۲۲:	۷۳۰	۲۳-	۲۲:
۵۲۰		۲۵:	۳۵۹		۱۴:	۵۹۷	۲۴:		۵۹۷	۲۴:	
۳۹۶	۲۶-	۲۵:	۳۶۱		۱۴:	۷۳۶	۵-	۳:	۷۳۶	۵-	۳:
۳۶۰	۲۷-	۲۵:	۳۶۶		۱۴:	۷۳۰		۱:	۷۳۰		۱:
۳۸۸	۲۷-	۲۵:	۵۱۸	۱۶-	۱۴:	۲۳۷	۵-	۱:	۲۳۷	۵-	۱:
۳۹۵	۲۷-	۲۵:	۵۲۵	۱۷-	۱۴:	۲۱۰	۵-	۱:	۲۱۰	۵-	۱:
۱۵۷	۲۷-	۲۵:	۸۹	۱۹-	۱۴:	۳۰۷	۷-	۱:	۳۰۷	۷-	۱:
۱۱۳		۲۶:	۱۶۷	۱۹-	۱۴:	۲۶۱		۵:	۲۶۱		۵:
۱۰۷		۲۷:	۱۷۵	۱۷-	۱۶:	۳۷۸		۵:	۳۷۸		۵:
۱۱۸		۲۷:	۱۶۶		۱۷:	۷۳۰		۵:	۷۳۰		۵:
۵۳۰		۲۸:	۲۶۹		۱۷:	۳۰۲		۶:	۳۰۲		۶:
۱۱۶	۲۳-	۲۸:	۱۰۱		۱۷:	۱۵۳		۶:	۱۵۳		۶:
۲۶۸		۳۰:	۵۵۱		۱۷:	۷۳۰		۶:	۷۳۰		۶:
۱۱۱		۳۰:	۵۳۵	۱۸-	۱۷:	۳۵۸	۷-	۶:	۳۵۸	۷-	۶:
۱۵۱		۳۰:	۹۳	۱۹-	۱۷:	۲۶		۸:	۲۶		۸:
۱۵۹		۳۰:	۹۶	۱۹-	۱۷:	۵۲		۸:	۵۲		۸:
۱۵۷		۳۰:	۳۶۰		۱۹:	۳۱۹		۸:	۳۱۹		۸:
۱۷۰		۳۰:	۷۳۰		۱۹:	۲۳۷	۹-	۸:	۲۳۷	۹-	۸:
۱۱۲	۲۲-	۳۱:	۱۶۲		۲۰:	۳۲۲	۹-	۸:	۳۲۲	۹-	۸:
۵۳۱	۳۲-	۳۱:	۳۵۸		۲۰:	۳۶۹	۹-	۸:	۳۶۹	۹-	۸:
۱۵۸		۳۲:	۱۲۳		۱:	۳۷۰	۹-	۸:	۳۷۰	۹-	۸:
۵۳۱		۳۳:	۵۱۹	۳-	۱:	۳۸		۱۰:	۳۸		۱۰:
۵۳۰		۱:	۵۱۳		۲:	۲۳۹		۱۰:	۲۳۹		۱۰:
۵۳۰		۱:	۷۳۰		۲:	۶۱۲		۱۰:	۶۱۲		۱۰:
۶۰۸		۸:	۱۵۲	۱-	۳:	۱۲۲	۱۶-	۱۱:	۱۲۲	۱۶-	۱۱:
۱۳۰	۱۲-	۱۱:	۱۵۵	۶-	۳:	۹۸		۱۲:	۹۸		۱۲:
۵۱۱	۱۸-	۱۱:	۱۶۱	۶-	۳:	۹۸		۱۳:	۹۸		۱۳:
۷۳۱	۱۷-	۱۱:	۳۹۱		۵:	۲۵۵		۱۳:	۲۵۵		۱۳:
۵۱۷		۱۸:	۱۷۹		۷:	۳۱۱		۱۳:	۳۱۱		۱۳:
۵۱۹	۱۹-	۱۸:	۱۷۷		۱۰:	۱۵۲		۱۳:	۱۵۲		۱۳:
۷۲۶		۲۱:	۱۹۲		۱۰:	۳۲۸	۱۶-	۱۳:	۳۲۸	۱۶-	۱۳:
۶۶۱	۲۲-	۲۱:	۲۹۸		۱۰:	۵۰۱	۱۵-	۱۴:	۵۰۱	۱۵-	۱۴:
			۷۳۷		۱۰:	۳۱۱	۱۶-	۱۴:	۳۱۱	۱۶-	۱۴:
			۲۲۱	۱۱-	۱۰:	۱۶۶	۱۶-	۱۴:	۱۶۶	۱۶-	۱۴:
			۱۶۷		۱۱:	۷۲۹	۱۸-	۱۴:	۷۲۹	۱۸-	۱۴:
			۷۳۰		۱۱:	۳۱۶		۱۶:	۳۱۶		۱۶:
			۲۲۱		۱۲:	۲۵۰		۱۸:	۲۵۰		۱۸:

امثال (سفر)

۱۷۳ ۱۲: ۸ ام
۱۷۳ ۳۱- ۲۲:

٦٠٩	٧: ١	٢١٨	٢- ١: ٦١	٢٧١	٢٨: ١٠	ام
٢٧٥	٦: ٢	١٤٢	١١: ٦٢	٢٧١	١٧: ١٢	
٦٣٦	٨- ٧: ١	٧٩	٩: ٦٣	١٣٧	١٨: ٢٧	
٦٥٠	٨- ٧: ٢	٥٩١	١: ٦٤			
٢١٢	١٠: ١	٦٩١	٢: ٦٥			
١١١	٨- ٧: ٢	٦١١	٦: ٦٦			ايوب (سفر)
١٤٥	٨- ٧: ٢	١٤٥	٩- ٨: ١	٢٧١	٨: ١٧	اي
٦٤٠	٩: ١	٦١١	١٦- ١٥: ١			
١١٦	١١: ١					

بطرس (رسالة، الاولى)

٥٢٠	١٢: ١	٢٣١	٥: ١	١٢٤	١٠: ١	ار
٦١٤	١٢: ٢	٥٦١	٥: ٢	٣١٠	٢: ٢	
٢٦٨	١٣: ١	٥٨٦	٧: ١	١٤٦	٣- ٢: ١	
٦٤٠	١٦- ١٤: ١	٢٣١	١١- ١٠: ١	١٨٥	٢٥: ٧	
٢٣٢	١٦- ١٥: ١	٢٦٤	١٣: ١	٤١	٧: ١١	
١٣٥	١٦: ١	٥٨٦	١٣: ١	٤١	٩: ١	
٥٨٢	١٩: ١	١٩٥	١٤: ١	٤١	٣٠: ١	
١١٦	٢٠- ١٩: ١	٢٣٢	٢٠- ١٩: ١	٤١	٣٦: ١	
١٣٦	٨- ٧: ٢	٥٦٠	٢٠: ١	١٦١	٣٤: ٣١	
١١٤	٤- ٣: ١	١١٢	٥- ٤: ٢	٦٩١	٢٣: ٢٢	
١١٦	٩- ٨: ١	٥٢٩	١٥- ١٣: ١	٦١١	٥٦: ٥١	
٥٤٨	١٠: ١	٥٢٦	١٦: ١			
٢١٦	١١: ١	٢٦٣	٢٤: ١			
٥٨٢	١٣: ١	٤٣٦	٢٥: ١			
٥٩٦	١٣: ١	٤٨٧	٢٥: ١			
٥٤٦	١٦- ٣: ٤	٤١٧	٢- ١: ٤			
١٥٥	٨: ١	٥٦٢	٧: ١			
١٥٥	٩: ١	٥٨٦	١٣: ١			
٥٥٢	١٢- ١١: ١					
٥٦٨	١٨- ١٣: ١					
٥٨٢	١٥: ١					
١٥٨	١٦: ١					
٥٩٤	١٦: ١					
٥٩٥	١٦: ١					
٥٩٦	١٧: ١					
١٠٦	١٧: ١					
٦١٢	١٧: ١					
٢٦٨	١٨- ١٧: ١					
٢٧٦	١٨- ١٧: ١					
٥٦٨	٥- ١: ٥					
٥٧٤	٦- ١: ١					
٦٤٨	١١- ١: ١					
١٥٥	٧: ١					
٥٨٤	٢: ١					
١٥٥	٢: ١					
٥٨٥	٤: ١					
٢٩٤	٤- ١: ١					
١٥٦	٦: ١					
١٣٠	٨: ١					
٥١٢	٨: ١					
٥٢٧	٨: ١					
٥٣٤	٨: ١					
٢٥٠	٩: ١					
٢٥٥	١٠: ١					
٢٩٣	١٠: ١					
٤٩٣	١٤- ١٢: ١					
١٥٦	١٣: ١					
٥٥١	١٤: ١					
١٥٦	١٦: ١					
٥٤٧	١٨- ١٦: ١					
٤٧٧	٢٢- ١٩: ١					
٥٨٢	٢٣: ١					

اشعيا (نبوة)

٥٦٣	٤- ٢: ٢	٥٦٣	٤- ٢: ٢			
٢٨٤	٣: ١	٢٨٤	٣: ١			
١٤٢	٢- ١: ١١	١٤٢	٢- ١: ١١			
٦٩	٢: ١	٦٩	٢: ١			
٦٠٣	٤: ١	٦٠٣	٤: ١			
٦٠٥	٤: ١	٦٠٥	٤: ١			
٥١٤	٥: ١	٥١٤	٥: ١			
٤٠٨	٣: ١٢	٤٠٨	٣: ١٢			
٥٨٧	٨- ٦: ١٣	٥٨٧	٨- ٦: ١٣			
١١- ٩: ١		١١- ٩: ١				
٦٠٣	١٩- ١٤: ١٤	٦٠٣	١٩- ١٤: ١٤			
٢٩١	٤: ٢١	٢٩١	٤: ٢١			
٥٩٥	١٣: ٢٧	٥٩٥	١٣: ٢٧			
١٨٧	١٨- ١٦: ٢٨	١٨٧	١٨- ١٦: ٢٨			
٦١١	٦: ٢٩	٦١١	٦: ٢٩			
٣٠	١٠: ٣٠	٣٠	١٠: ٣٠			
٤٠٨	١٥: ٣٢	٤٠٨	١٥: ٣٢			
٦١١	٨: ٣٤	٦١١	٨: ٣٤			
٦١١	٤: ٣٥	٦١١	٤: ٣٥			
٢١٥	٥- ١: ٤٠	٢١٥	٥- ١: ٤٠			
٥٦٤	٥- ١: ٤٢	٥٦٤	٥- ١: ٤٢			
٢١٨	١: ٤٢	٢١٨	١: ٤٢			
٤٠٨	٣: ٤٤	٤٠٨	٣: ٤٤			
٩٦	١٥: ٤٥	٩٦	١٥: ٤٥			

بطرس (رسالة، الثانية)

٢٦٨	٤: ١	٢٦٨	٤: ١			
١١٨	١٦: ١	١١٨	١٦: ١			
٥٨٤	١٦: ١	٥٨٤	١٦: ١			
١٤١	١٨- ١٦: ١	١٤١	١٨- ١٦: ١			
١٤٦	٢١- ١٩: ١	١٤٦	٢١- ١٩: ١			
٤١٧	٢١- ١٩: ١	٤١٧	٢١- ١٩: ١			
٥٦٠	٣: ٢	٥٦٠	٣: ٢			
٥٨٤	٤: ١	٥٨٤	٤: ١			
٥٩٠	٨: ١	٥٩٠	٨: ١			
٥٨٥	١٣- ١٠: ١	٥٨٥	١٣- ١٠: ١			
٥٨٤	١٢: ١	٥٨٤	١٢: ١			
٥٨٥	١٢: ١	٥٨٥	١٢: ١			
٥٩١	١٢: ١	٥٩١	١٢: ١			
١٤١	١٩- ١٥: ١	١٤١	١٩- ١٥: ١			
٢٢٦	١٦- ١٥: ١	٢٢٦	١٦- ١٥: ١			

تثنية (سفر)

١٧٥	٦- ٥: ١	١٧٥	٦- ٥: ١			
٦١١	١٢- ١١: ١	٦١١	١٢- ١١: ١			
٢١٨	١٦- ١٥: ١٨	٢١٨	١٦- ١٥: ١٨			
١٣٧	٦: ٢٠	١٣٧	٦: ٢٠			
٥٤	٢٣: ٢١	٥٤	٢٣: ٢١			
١٣٧	٤: ٢٥	١٣٧	٤: ٢٥			
٢٧٨	٣٠- ٢٨: ٢٢	٢٧٨	٣٠- ٢٨: ٢٢			
٤١	١٢: ٢٣	٤١	١٢: ٢٣			
٤٢٩	٩: ٢٤	٤٢٩	٩: ٢٤			
١٩٣	١٥: ١	١٩٣	١٥: ١			
٢٢٨	١٦: ٤٨	٢٢٨	١٦: ٤٨			
٢٤٤	١: ٤٩	٢٤٤	١: ٤٩			
٦١١	٣: ١	٦١١	٣: ١			
٢٤٥	٥: ١	٢٤٥	٥: ١			
٢٢٨	٨: ١	٢٢٨	٨: ١			
١٤٥	١٥: ١	١٤٥	١٥: ١			
١٤٦	١: ٥٠	١٤٦	١: ٥٠			
٤٥٩	١: ١	٤٥٩	١: ١			
٢٧٧	٨: ١	٢٧٧	٨: ١			
٢٧٩	٣: ٥٢	٢٧٩	٣: ٥٢			
٢٦٧	١٠: ٥٣	٢٦٧	١٠: ٥٣			
٢٠١	١٢: ١	٢٠١	١٢: ١			
١٤٦	٦- ٤: ٥٤	١٤٦	٦- ٤: ٥٤			
٥١٣	١٧- ١٦: ٥٩	٥١٣	١٧- ١٦: ٥٩			
٥١٤	١٧- ١٦: ١	٥١٤	١٧- ١٦: ١			
٥١٤	١٧: ١	٥١٤	١٧: ١			
٦٠٣	١٩: ١	٦٠٣	١٩: ١			
١٤٢	٢٠: ١	١٤٢	٢٠: ١			
١٤٢	١: ٦١	١٤٢	١: ٦١			

تسالونيكي (رسالة، الثانية)

٥٢٥	٣: ١	٥٤٧	٣: ١	٢	٢	٢
٦٠٩	٥- ٣: ١	٦٧	٣: ١	٢	٢	٢
٦٥٠	٤: ١	٢١٦	٣: ١	٢	٢	٢
٦١٣	٥- ٤: ١	٣٦٠	٣: ١	٢	٢	٢
٦١٠	١٠- ٤: ١	٥٣٤	٣: ١	٢	٢	٢

تسالونيكي (رسالة، الاولى)

٥٢٥	٣: ١	٥٤٧	٣: ١	٢	٢	٢
٦٠٩	٥- ٣: ١	٦٧	٣: ١	٢	٢	٢
٦٥٠	٤: ١	٢١٦	٣: ١	٢	٢	٢
٦١٣	٥- ٤: ١	٣٦٠	٣: ١	٢	٢	٢
٦١٠	١٠- ٤: ١	٥٣٤	٣: ١	٢	٢	٢

٢ تمس ١

٥٨٦	٧:
٥٩٦	٧:
٥٩٦	٨-
٥٩٨	١٠-
٦٠٦	٩:
٥٨٥	١٠:
٦١٢	١٠:
٥٨٤	١:
٦٤٩	٣-
٥٦٨	١٢-
٥٧٤	٢:
٥٨٥	٢:
٦٤٨	٢:
٥٦٩	٣:
٦٥٠	٣:
٥٩٧	١٠-
٥٩٧	٧:
٦٠٤	٧:
٦٠٢	٨-
٥٨٤	٨:
٦٠٥	٨:
٥٧٤	١٢:
٢٣٨	١٣:
٢٤٠	١٣:
٢١٦	١٦:
٥٤٩	١:
٩٧	٥:
٢٧٥	٥:
٣٦١	٥:
٥٥٥	٥:
٦٤٩	٦:
٥١٩	٧-
٥٥٢	٧-
٦٤٩	٨-
٥٥٠	١٢-
٦٤٠	٨:
٦٤٩	١٠:
٦٤٩	١٢-
٤٩٨	١٥-

تكوين (سفر)

١٧٣	١:
١٩٦	٢٦:
٢٤٢	٢٧-
٤٠٨	٧:
٤٤١	٢٣-
٤٥٧	٢٣-
٢٢٥	٦-
٤٤٦	١٦:
٥٢٧	٩:
٧٠٥	١٩:
٢٥٣	٢٣-
٢٥٣	٦-
٢٥٣	١٨-
٤٢٥	١٨-
٥١٥	١:
٢٦٤	١٢:
٢٥٣	١٨-
٧٥٨	٢٢:
٥٥	١٣-
٤١	١٨-
٤١	١٨:
٤٣٠	٢٠-
٣٠	٢٦:
٦٦	٢٧:

تيطس (رسالة)

١ تي

٢٢٢	٢:
٤٣٨	٤:
٤٣٨	٥:
٧٤٠	٥:
٧٤٩	٥:
٤٨٨	٧-
٤٨٩	٩-
٤٩٠	٩-
٤٨٧	١٠:
٧٤٩	١٦-
٥٠٧	١٥-
٥٥٢	١٠:
٢٣٩	١١:
١٩١	١٣-
١٨٩	١٣:
١٩١	١٣:
٢١٥	١٣:
٥٨٦	١٣:
٢٣٠	١٤-
٢٦٠	١٤-
٢٧٩	١٤:
٢٨١	١٤:
٢٩٣	١٤:
٥٢٨	٢-
٥٤٣	٢:
٢٨٠	٣:
٢٣٩	٥-
٢٠٩	٦-
٢٢٣	٦-
٣٧٠	٥:
٣٦٥	٥:
٤٠٥	٥:
٢٥١	٦-
٤٠٨	٦-
٥٤٥	٩:
٤٩٨	١٠:
٤٩٤	١٢:
٦٦٤	١٢:
٦٧٠	١٢:
٧٤٩	١٢:
٧٣٨	١٢:
٧٤٠	١٣:

تيموثاوس (رسالة، ١ لاولي)

١ تي

٧٤	١:
٢٠٢	٢:
٦٢٨	٢:
٧٤٠	٣:
٧٤٠	٣:
٧٤٥	٣:
٤٩٤	٤-
٧٤٦	٤:
٥٠٦	٥:
٥٣٩	٥:
٧٤٦	٧:
٣٦٥	١٦-
٦٨	١٣:
٧٩	١٣:
٩٣	١٣:
١٧٨	١٥:
٣٦٣	١٦:
٤٣٥	١٨:
٤٣٩	١٨:
٤٩٤	١٨:
٥١٦	١٨:

١ تي ١

٥٠٦	١٦-
١٣١	١٩:
٧٤٦	١:
٥٤٨	٢-
١٣١	٣-
٢٣٩	٤-
٢٧٦	٤:
٢٤٤	٥:
٢١٣	٥:
٢٦٠	٦-
٢٥٦	٦:
٢٧٨	٦:
٢٨٠	٦:
٢٩٣	٦:
٥٤٨	٨:
٧٤٧	٨:
٤٤٦	١٤-
٥٢٢	١٥:
٧٤٧	٧-
٤٨٧	٢:
٤٣٧	٥-
٤٨٩	٧-
٤٩٠	٧-
٤٤٠	٧:
٥٠٦	٦-
٧٤٧	١٠-
٤٩٢	١٣-
٣٥٩	١٣:
٤٣٩	١٣:
٧٤٨	١٥-
٤٩٩	١٥:
٥٠٠	١٥:
١٧٨	١٦:
٢٠٢	١٦:
٢٠٣	١٦:
٢١٣	١٦:
٢٤٣	١٦:
٣٠٢	١٦:
٥٩٧	١٦:
٧٤٦	١:
٥٩٢	٣-
٤٣٩	٦:
٧٤٦	٨-
٢٢٩	١٠:
١١٩	١١-
٢٣٩	١٣:
٤٣٧	١٣:
٤٣٥	١٤:
٤٣٩	١٤:
٤٣٩	١٤:
٤٣٧	١٦-
٧٤٧	١٦:
٤٩٨	٢-
٧٤٧	٢-
٤٩١	٩:
٤٩٢	١٠-
٤٣٨	١٧:
٧٤٧	١٧:
٤٩٧	١٩:
٧٤٧	١٩:
٤٩٨	٢٠:
٧٤٧	٢٠:
٧٤٧	٢١:
٤٣٨	٢٢-
٧٤٧	٢٢:
٧٤٨	١:
٧٤٨	٢:
٧٤٦	٥-

٦٣٦	١١:	١	٦٣٨	١١:	٢	٥٤٥	٤:	١
٧١	١٦:		٧٢٦	١١:	٢	٥٣٥	١١:	
٨٠	١٨-	١٧:	٦٦٤	١٣:		٧٤٨	١٣-	١١:
٤٠٤	١٨-	١٧:	٧٤٠	١٣:		٥١٦	١٣:	١٢:
٦٥٧	٥:	٢	٧٥٢	١٤:		٥٣٦	١٣:	١٢:
٣٤٠	٩:		٧٥٢	١٦:		٥٦٦	١٣:	١٢:
٥٥٩	١٩:		٩٥	١٧-	١٦:	٥٨٦	١٤:	١٢:
٤٢٢	٤:	٣	٧٥٤	١٧-	١٦:	٧٤٨	١٤:	١٢:
٦٣١	١٣:		٧٥٤	١٧:		٧٤٨	٢٠:	
٦٨٨	١٦-	١٥:	٢٠٢	١٨:		٧٣٩	٢١-	٢٠:
٤٠٢	١٨-	١٧:	٦١٣	١٨:				
٣٨٤	٨:	٨	٦٦٢	١٩:				
٤٦٣	٩:	٥	٧٤٠	٢٠:				
٤٥٦	١٠-	٩:	٧٤٩	٢٠:				
٣٩٦	١٤:	٧	٦٦٤	٢١:				
٦٠١	١٣-	٤:	٧٥٦	٢١:				
٥٦٣	٩-	٧:						
٥٩٨	٩-	٧:						
٦٠١	١٨-	١٤						
٥٦١	١:	١٥						
٥٨٦	١٥-	١٤:						
٦٠١	٢١-	١١:						
٤٥٨	٢:	٢١						
٤٥٨	١١-	٩:						
٤٦١	١٤:							
١٧٨	٩:	٢٢						
٤٥٥	١٧-	١٦:						
٥٨٧	٢٠:							

تيموثاوس (رسالة، الثانية)

						١٢٤	٣:	٢
						٤٣	٥:	
						١٢٤	٥:	
						٦٢٨	٥:	
						٤٣٥	٦:	
						٤٣٦	٦:	
						٧٥٦	٧:	
						٢٧٥	٨:	
						٧٥٦	٨:	
						٢٣٢	٩:	
						١٩١	١٠-	٩:
						٢٣٩	١٠-	٩:
						٣١٨	١٠-	٩:
						٦٠٥	١٠:	
						٥٨٥	١٣:	
						٣٥٩	١٣:	
						٥٣٥	١٣:	
						٧٤١	١٧-	١٦:
						٧٥٢	١٧-	١٦:
						٧٥٥	١٧-	١٦:
						٥٨٥	١٨:	
						٦٢٨	١٩:	٢
						٧٥٦	١٩:	
						٣٨٧	٢:	
						٧٥٦	٣:	
						٥١٣	٥-	٣:
						٥١٦	٥-	٣:
						٢٤٤	٨:	
						٢٩٩	١١:	
						٧٥٦	١٣-	١١:
						٥٧٤	١٨:	
						٥٣٥	٢٢:	
						٥٤٣	٢٥:	
						٥٦٠	٢-	٣
						٦٢٨	١١-	١٠:
						٦٢٦	١١:	
						٤٣	١٥:	
						٣٥٩	١٥:	
						٢٨٢	١٦:	
						٥٨٦	١٦:	٤
						٦٠٦	١٦:	
						٦١٣	١٦:	
						٥٧٢	٨-	١٦:
						٤٣٢	٥:	
						٧٥٦	٥:	
						١٢١	٦:	
						٢٢٠	٨-	٦:
						٧٥٤	٨-	٦:
						٢٨٢	٨-	٦:
						٥١٦	٨-	٦:
						٥٨٥	٨:	
						٥٨٦	٨:	
						٧٥٦	٩:	
						٧٥٢	١٠-	٩:
						٦٧٠	١٠:	
						١٩	١١:	

هبلوق (سفر)

			٥٧٣	٣-	٢:	٢	حب
			٣٦٩	٤-	٢:		
			٣٤٥	٤-	٢:		
			٩٨		٢:	٣	

هزقيال (نبوة)

			١٤٦	٨:	١٦	حل
			٢٤٨	٤:	١٨	
			٢٩٠	٢٠:		
			٦٠٣	١٩-	١:	٢٨
			٦١١		٢٣:	٢٨

حكمة سليمان (سفر)

			٤٨	١٢-	٩:	٨	حك
			١٤٠	١٧-	١:	١٣	

خروج (سفر)

			٦١١		٢:	٣	خر
			٤٩٨	٥-	٤:		
			٣٨٣		٥:		
			٢٢٨	١٤-	١٣:	١٤	
			٢٢٨		٢٠:		
			٢٢٨		٢١	١٥	
			١٤٧	١٨-	١٧:	١٦	
			٣٧٨		٥:	١٩	
			٥٩٦	١٨-	١٣:		
			٥٩٥	١٩-	١٦:		
			٦١١		١٨:		
			٢٧		٧:	٢٣	
			٢٥٦		٨:	٢٤	
			٢٥٧		٨:		
			١٢٧		٣٢:	٣٢	
			٣١٠		٣٣:		
			٢٢٨		١٩:	٣٢	
			٩٩		٢٠:		
			١٤٩	٣٣-	٢٩:	٣٤	

دانيال (نبوة)

			٦١١		٩:	٧	د
			٥٩٨	١٣-	١٠:	١٠	
			٥٩٨		٢١:		
			٦٠٠		٣٦:	١١	
			٦٠١	٣٧-	٣٦:		
			٥٦٣	٣-	١:	١٢	

رؤيا (سفر)

٧٤	١:	١	رو
١٧٧	١:		
٣٤٥	٣-	١:	
٢١٢	٤-	١:	
٢٤٤	٤-	٢:	
٢٤٦	٤-	٢:	
١٨٣	٤:		
٣٠٢	٤:		
٧٠٧	٧:		
٢٤٤	٨:		
٧١٧	٨:		
١٧٤	٩:		
٥٤٨	١٠=	٩:	
٧١٨	١١:		
٣٤٤	١٢	١١:	
٦٧٦	١٢:		
٧٧٩	١٩:		
٢٤٤	١٦:		
٧٤٥	١٧	١٩:	
٣٩٩	١٧-	١٦:	
١٤٩	٢٠-	١٩:	
١٧٥	٢٠-	١٩:	
١٤٠	٢٥-	٢٠:	
٥٤٥		٢٩:	
١٥٣		١:	٢
١٦٠		١:	
٦٠٧		٥:	
٦٠٧	١١-	٦:	
٥٤٥		٨:	
٦٠٦		١٢:	
٦٠٧		١٢:	
٦٠٦		١٣:	
٥٠٦	١٥-	١٤:	
١٢٢	١٦-	١٤:	
٦٠٧		١٥:	
٥٨٥		١٦:	
٥٢	٢٤-	١٧:	

01A	1V:	6	30	TV0	9:	0	30	12V	2-	1:	2	30
2A0	19:			229	10-	9:		12V		7:		
23E	21:			212		10:		12V	10-	9:		
2EA	22:			200		10:		22V		10:		
0V1	23:			211		10:		22V		10:		
2E0	11	V		2V0		10:		22E		20:		
00E	21			200	11-	10:		220		20:		
22V	2-			212	11-	10:		20A		20:		
22V	2:			12E		12:		2E0	22-	21:		
00E	2:			222		12:		22V	22-	21:		
2E	2:			22E		12:		221	22-	21:		
222	2:			22E		1E:		221	22-	21:		
20	2:			2A0		1E:		2V0		22:		
222	2:			12E		10:		22V	2E-	22:		
222	10:			220		10:		200		2E:		
222	11:			202		12:		202		2E:		
220	1E-	11:		2A1	1V-	12:		20E	22-	2E:		
220	12:			12E		12:		221	22-	2E:		
220	12:			201		12:		20V		20:		
220	12-	12:		2V0		12:		20A		20:		
222	12-	12:		12E		1A:		202		20:		
222	12:			12E		1A:		211		20:		
120	1E:			202		1A:		2V1		20:		
2E2	1E:			12E		12:		2V1		21:		
222	1E:			202		12:		2V1		2A:		
222	2E-	1E:		211		12:		122	22-	2A:		
222	1V-	10:		202		12:		222	20-	22:		
220	12:			222		20:		220	21-	22:		
220	22:			222		20:		221		20:		
01	22-	22:		222		21:		222		20:		
222	22:			200		21:		2E0	20-	1:	6	
2A0	22:			202		21:		202		2:		
20	2E:			200		2:	7	22V		2:		
01	2E:			222	E-	2:		2V		0:		
222	2E:			222	0-	2:		202		0:		
002	2E:			20E	0-	2:		202		0:		
2E2	1:	A		022	2-	2:		22A		0:		
212	1:			222	V-	2:		212		0:		
22A	1:			221		E:		2V1		0:		
010	1:			2A1		0:		2VA		0:		
222	2-	1:		21A		0:		202		0:		
20V	2-	1:		22V	A-	0:		2V1		11:		
120	2:			22V		2:		22E		10:		
1V1	2:			2A0		2:		202		12:		
21A	2:			220		2:		2A0		12:		
2V0	2:			20E		2:		21E		12:		
022	2:			21A		2:		20E	22-	1A:		
212	2-	2:		22A		2:		22E	22-	20:		
2E0	E-	2:		212		2:		210	2E-	22:		
1V2	2:			22A		2:		202	20-	22:		
201	2E:			221		A:		212		2E:		
212	2E:			212		A:		201		20:		
2E2	2:			222		A:		200		1:	0	
222	2:			22A		2:		2A0		1:		
220	2:			A1	11-	2:		02E		1:		
220	E-	2:		22A	11-	2:		211	2-	1:		
222	E-	2:		202		11:		2V0	2-	1:		
221	E:			212		12:		02E		2:		
222	2:			222		12:		022	0-	2:		
021	2:			21A		12:		020		0:		
202	2:			010		12:		222	A-	2:		
222	2:			000		1E:		2E0		A:		
220	2:			012		1E:		2E0		A:		
02E	2:			22E		10:		221		A:		
212	10:			222		12:		21E	2-	A:		
2V0	10:			2A1	22-	12:		221		2:		
222	10:			012	22-	12:		200		2:		
222	11:			2A0		12:		200		2:		
2V0	11:			012		12:		22E		2:		

[illegible]

رو ١٦ : ٢٣ ٦٦٢
 ٢٣٢ ٢٥٢
 ٢٠١ ٢٧٢
 ٢١٥ ٢٧٢

عب ٩

٢٩٥ ١٢:
 ٢٨٥ ١٢:
 ٢٥٧ ١٤- ١٣:
 ٢٢٣ ١٤- ١٢:
 ٢٨٥ ١٤:
 ٥٠٧ ١٤:
 ٥١٠ ١٤:
 ١٤٦ ٢٤:
 ٢٨٥ ٢٤:
 ٥٦١ ٢٦:
 ٢٢١ ٢٨:
 ٢٨٠ ٢٨:
 ٤٢١ ٢٨:
 ٢٦٨ ٦:
 ٢٥٩ ١٠- ٩:
 ٢٥٨ ١٠:
 ٢٨٥ ١٠:
 ٢٥٨ ١٢- ١١:
 ٢٨٥ ١٩:
 ٥٢٥ ٢٤- ٢٢:
 ٥٢٦ ٢٢:
 ٥٨٦ ٢٥:
 ٢٢٢ ٢٨:
 ٢٨٥ ٢٩:
 ١٠٤ ٣١- ٢٩:
 ١١٩ ٢٤:
 ٢٧٦ ٢٤:
 ٢٨٢ ٢٤:
 ٢٦٩ ٣٨- ٢٧:
 ٥٢٢ ٢٨:
 ٥٢٦ ١:
 ٣٥٥ ٦:
 ٢٢٦ ١٢:
 ٢٥٥ ١٢:
 ٢٢١ ١٦- ١٢:
 ٢٦٦ ١٦:
 ٧٢٠ ٣٥- ٢٤:
 ١١٣ ٢:
 ٢٢٢ ٢:
 ٤٢٣ ٢:
 ٢٨٢ ٤:
 ٧٢ ١٩:
 ٤٨٢ ٢٣- ٢٢:
 ٢٩٥ ٢٤- ٢٢:
 ١٨٢ ٢٢:
 ١٤٤ ٢٩:
 ١٧٩ ٨:
 ٢٠٢ ٨:
 ٢٨٥ ١٢:
 ٧٦٢ ١٣:
 ٢٥٦ ٢٢:

زكريا (نبوة)

٥٩٥ ١٤: ٩
 ٢٧٩ ١٣- ١٢: ١١
 ٤٠٨ ١٠: ١٢
 ٥٨٨ ٥: ١٤
 ٥٩٦ ٥:

بن سيراخ (سفر)

٦١٠ ١٩- ١٢: ٣٢
 ٤٨ ٤- ١: ٣٩

صفنيا (نبوة)

٥٨٨ ١٦- ١٤: ١

صموئيل (١ لاول ، سفر)

٦٠٠ ٢١: ٢٠

صموئيل (الثاني ، سفر)

٤٢٦ ٩- ٥: ٦

عاموس (نبوة)

٥٨٨ ٢٠- ١٨: ٥

عبرانيين (رسالة)

١٨٢ ٢- ١:
 ٢٠١ ٢- ١:
 ٢١٣ ٢- ١:
 ٥٦٠ ٢- ١:
 ٢٠٠ ٢:
 ١٨١ ٢:
 ١٨٢ ٢:
 ٢٠١ ٢:
 ٢١٣ ٢:
 ٢٢٧ ٢:
 ٢٠١ ٥:
 ٢٠٢ ٦:
 ٢٤٤ ٦:
 ٢٠١ ٨:
 ٢١٣ ٨:
 ٢٠٠ ١٢- ١٠:
 ٢٠٢ ١٢- ١١:
 ٢٠٣ ١٢- ١١:
 ٥٧٦ ١٥- ١٤:
 ٥١٧ ١١:
 ٥٧٨ ٢- ١:
 ٦٠٦ ٢:
 ٥٨ ٥:
 ٥٣٥ ١١- ١٠:
 ١٣١ ١٩:
 ٢٢٤ ٢٥:
 ٢٨٥ ٢٦:
 ٢١٠ ٢- ١:
 ١٤٦ ٥- ٤:
 ٢٧٩ ١: ٩

عدد (سفر)

٦٨٩ ٥- ٢:
 ٢٨٤ ٨:
 ٦٨٩ ٢١- ١٤:
 ٤٢٤ ١٦: ١١
 ٣١٠ ١٢- ١١: ١٤
 ٢٥٨ ٤- ١: ١٥
 ١٨٦ ٦- ٥: ٢١
 ٤٢٩ ٢٢- ١٥: ٢٧

عوبديا (نبوة)

٥٨٨ ١٥: عو

غلاطية (رسالة)

٢٠ ١: ١ غل

غل ١

٧٤ ١:
 ١٨٧ ١:
 ٢١٦ ١:
 ٢٢٧ ١:
 ٢٥٤ ٢- ١:
 ٢١٦ ٢:
 ٢٦٠ ٤- ٢:
 ٢١٦ ٤:
 ٢٦٢ ٤:
 ١١٧ ٦:
 ٢٧٤ ٧- ٦:
 ٨٢ ١٢- ١١:
 ٨٤ ١٢- ١١:
 ٨٨ ١٢- ١١:
 ٦٨ ١٢:
 ٤٦٩ ١٢:
 ٤٩ ١٤- ١٢:
 ٤٨ ١٤:
 ٢٠ ١٥:
 ٢٠ ١٥:
 ٤٣ ١٥:
 ٢٧ ١٦- ١٥:
 ٨٨ ١٦- ١٥:
 ٩٣ ١٦- ١٥:
 ١٦٥ ١٦- ١٥:
 ٢٠١ ١٦- ١٥:
 ٢١٢ ١٦- ١٥:
 ٢٦٥ ١٦- ١٥:
 ٧٧ ١٧- ١٥:
 ١٢٤ ١٦:
 ٨٢ ١٨- ١٦:
 ٦٢١ ١٨:
 ٦٢١ ١٨:
 ٢٧٠ ٢٢:
 ٢٢١ ٢٤- ٢٢:
 ٨٤ ١١:
 ٦٢٩ ١٢:
 ٦٢١ ١:
 ٦٢١ ٢- ١:
 ٨٤ ٢:
 ٢٧٢ ٤:
 ٢٢٢ ٥- ٤:
 ٦٢١ ١٠- ٦:
 ١٤١ ٩- ٧:
 ١٢٨ ٩:
 ٢٢٤ ١٠:
 ١١٨ ١١:
 ٦٢٢ ١١:
 ٢٢٢ ١٢- ١١:
 ٩٢٢ ١٦- ١١:
 ٢٢٥ ١٤:
 ٢٥٠ ١٦:
 ٢٢٦ ١٦:
 ٢٥٨ ١٦:
 ٢٥٩ ١٦:
 ٢٧٦ ١٦:
 ٤٥٢ ١٧:
 ٢٢٦ ١٩:
 ٢٢٨ ٢٠- ١٩:
 ١٧ ٢٠:
 ٢٩ ٢٠:
 ٤٢ ٢٠:
 ٧٨ ٢٠:
 ٨٨ ٢٠:
 ٩٠ ٢٠:
 ٩٨ ٢٠:
 ٩٩ ٢٠:
 ١٠١ ٢٠:
 ١٠٥ ٢٠:

٧٢٦	١٠٥	٢١١	٧٢٥	٧٩٢	٢	٢	١٦٥	٢٠٢	٢	٢
٧٢٧	١٠٤	٢١٢	١٢٢	٧-	١١	١	١٦٦	٢٠٢		
٧٢٧	١٦٤	٢١٣	١٢٣	٥-	٢١		٢٦٠	٢٠٢		
٧٢٧	١٧٤	٢١٤	١٧٩	٢٤١			٢٦٩	٢٠٢		
٧٢٧	١٨٤	٢١٥	٢١١		٤٢		٢٨٧	٢٠١		
٥٤٩	٢٢٤	٢١٦	٥٦٢		٤٢		٢٩٠	٢٠٢		
٧٢٨	٢٢٤	٢١٦	٢٤١	٥-	٤٢		٢٩١	٢٠٢		
٥١٥	٢٢٤	٢١٦	٧٨٠	٥-	٤٢		٢٩٢	٢٠٢		
٧٢٦	٢٢٤	٢١٦	٢١٢	٦-	٤٢		٢٥٩	٢٠١		
١٩	٢٤٤	٢١٦	٤٧٩		٥١		٢٦٧	٢٠٢		
٧٢٦	٢٤٤	٢١٦	٢١٥		٦١		٢٨٨	٢٠٢		
			٢٢٤		٦١		٢٩٥	٢٠٢		
			٢٠٦		٦٤		٢٩٧	٢٠٢		
			٤٨٢		٦٤		٤٠١	٢٠٢		

فيلبي (رسالة)

٤٢٩	١٢	٢١١	٢٢٩	١٠-	٨١		٤٥٤	٢٠١		
٤٨٧	١٢	٢١٢	١٧٢	١١-	٨١		٥٥٤	٢٠١		
٧٢٦	١٢	٢١٣	١٢٤	١٥-	١٢١		٢٢٦	٢٠١	٢٠١	
٥٨٥	٦٢	٢١٤	١٢٩	١٥-	١٤١		٢٥٦	٢٠١	٢٠١	
١١٧	٨-	٧٢	١١٦		١٩٢		١١٧	٢-	١١	٢
٩٧		٨٢	١٤٥		١٩٢		٢٦٨		٢١	
٢٦١		٨٢	١٩٦		١٩٢		٢٢٧	٢-	٢١	
٥٤٨		٩٢	١١٧		٢٠١		٢٢٧		٥١	
٤٢	١٢-	١٢١	٤٤١	٢١-	٢٢١		٢٦٨		٥١	
٧٢٢	١٢-	١٢١	٢٤٠	٢١-	٢٢١		٢٦٥	٩-	٧١	
٧٢٢	١٤-	١٢١	٤٥٥		٢٦١		٢٧٦		٨١	
٧١٦		١٢١	٢٤٨		٢٠١		١٤٢	٩-	٨١	
٧٢١		١٢١	٥٠٤		١١		٢٢٤		١٠١	
٧٢٢		١٤١	٥٢٦		٨١		٢٢٥		١٠١	
٥٤٥		١٥٢	٢٢٩		٤٢		٢٢٨		١٠١	
١١٩	٢٠-	١٦٢	٢٤٧		٤٢		٢٤٦		١٠١	
٥٤٥		١٧٢	٢٧٦		٥١		٢٢٨		١١٢	
٥٤٦		١٩٢	٢٨٠		٥١		٢٦٩		١١٢	
٢٠		٢١٢	٥٢٤		٥١		٢٢٨	١٤-	١٢١	
٧١		٢١٢	٦٠٦	٦-	٥١		٦٨		١٢١	
٢٩٠		٢١٢	١١٧		٧١		٢٥٦		١٢١	
٥٧٧		٢١٢	١١٧		١٢١		٢٨٠		١٢١	
٦٨٤		٢١٢	٥٠٥		١٢١		٢٩٢		١٢١	
٧٢٢		٢١٢	٥١١		١٢١		٢٢٨	١٨-	١٢١	
٧٢٢		٢١٢	٥٢٦		١٢١		٢٢٢		١٩٢	
٦٨		٢٢٢	٥٢٩		١٤١		٢٢٩		٢١١	
٧١		٢٢٢	٢٤٩	١٨-	١٦١		٢٢٦	٢٢-	٢١١	
٥٧٧		٢٢٢	٥٠٥		١٨١		٢٢٧	٢٢-	٢١١	
٦٨٤		٢٢٢	٥٤٥		٢٠١		٢٢٩	٢٢-	٢١١	
٧٢٢		٢٢٢	٢٧٠		٢٢١		٢٢٢	٢٢-	٢١١	
٧٢٢		٢٢٢	٤٧٧	٢٢-	٢٢١		٤٤٢		٢٢١	
٧١٢		٢٢٢	٥٤٢	٢٢	٢٢١		٢٢٥		٢٢١	
٥٧٧	٢٥-	٢٢١	٢١٧		٢٢١		٢٥٦		٢٢١	
٤٢٢		٢٢١	٢١٩		٢٤١		٥٠٥		٢٢١	
٥٤٠		٢٢١	٢٦٨		٢٤١		٢٢٧	٢٥-	٢٢١	
١١٤		٢٢١	٤٧٩		٢٥١		٢٧٦		٢٤١	
١٨٤		٢٢١	٥٤٢		١١	٦	٢٢٢	٢٦-	٢٤١	
٢٥٩		٢٢١	١٠٧	٢-	١١		٥٠٢	٢٦-	٢٤١	
١٦٧	٢٠-	٢٢١	١٦٠		٢١		٢٥٨		٢٦١	
٥١٥		٢٠١	٥٠٥		٢١		٤٥٤	٢٧-	٢٦١	
١٥١	٤-	٢١	٥١٠	٥-	٢١		٤٠١	٢٨-	٢٦١	
١٠٢		٢١	٥١٩		٦١		٤٦٤	٢٨-	٢٦١	
٥٤٥		٢١	٦٧٢		١٢١		٢٦٦		٢٧١	
٥٤٢	٤-	٢١	٧١		١٤١		٤٠٠		٢٧١	
١٧١		٥١	٨٠		١٤١		٤٢٢		٢٧١	
٥٥٥		٥١	٥٠٥	١٦-	١٥١		٤٦٤		٢٧١	
١٥١	٨-	٥١	١١٤		١٧١		٤٦٩		٢٧١	

فليمون (رسالة)

١٩٨	١١-	٥١	٧٢٦	١٢	١٢	١٢	٤٤٧	٢٨١		
١٨٤		٦٢	١٢٠	٢-	١٢		٤٥٢	٢٨١		
٢١٢		٦٢	٥١٢		٢١		٤٦٤	٢٨١		
٢٢٥		٦٢	٥١٥		٢١		٥٢٦	٢٨١		
١٩٠	١٠-	٦٢	٧٢٧		٢١		٥٥٥	٢٨١		

١٩٤	١٠-	٦:
٧٣٣	١١-	٦:
١٧٩		٧:
٢٧٥	٨-	٧:
٣٢٥	٨-	٧:
٢٧٥		٨:
٢٦١	٩-	٨:
٢٩٨		٩:
٣٢٥	١٠-	٩:
١٧٧	١١-	٩:
٢٠٢		١٠:
٢١٣	١١-	١٠:
٧٩		١٣:
٣٩٤		١٥:
٥٨٥		١٦:
٧٣٣		١٩:
٧٣٣		٢٤:
٤٩٣	٢٥-	٢٤:
٥١٣		٢٥:
٥١٥		٢٥:
٧٣٣	٣٠-	٢٥:
٤٠		٥١
٤٩	٦-	==
١٢٥	٩-	
٥١		٦١
٣٢٣		٦١
٣٧٣		٦١
٥٠٦		٦١
٣٧٥	٩-	٨١
٣٥٦		٩١
٣٧٥		٩١
٣٧٧		٩١
٢١		١٠٢
٩٧		١٠٢
١٩٦		١٠٢
٣٦١		١٠٢
٣٩٩		١٠٢
٥٧٩	١١-	١٠٢
٩٦	١٤-	١٢١
٥٠٩		١٣١
١١١	١٤-	١٣١
٢٧١		١٤١
٧٣٣		١٤١
١١٦		١٨١
٥٨		٢٠١
٢٣١		٢٠١
٢٣٣		٢٠١
٧٣٧		٢٠١
٧٣٣	٢١-	٢٠١
٩٠		٢١١
٩٤		٢١١
٣١٩		٢١١
٥٧٢		٢١١
١١٧		٢١
٤٩٤		٢١
٦٧٥		٢١
٤٨٠		٢١
٧٣٣	٦-	٢١
٥٩٠	٦-	٥١
٥٤٧		٦١
٥١٢		٨١
٥١٢		٩١
٧٩		١٣١
٩٥		١٣١
٥٢٤		١٣١
٥٥٤		١٣١
٦٣٨		١٤١
٦٦٦	١٩-	١٤١
٦٣٨		١٥١

٣

٤

٦٣٨	١٨-	١٦:
٤٢		٢٢:
٧١٩		٢٢:
٧٣٣		٢٢:
القضاة (سفر)		
٧٠٥	٣١:	قضى ١
٤١	١٤١:	قضى ٥
كولوسي (رسالة)		
كو ١		
٧٢٦	١:	
٢١٦	٢:	
٣٥٩	٤:	
٥٣٥	٥-	٤:
٧٢٦		٧:
٧٢٨	٨-	٧:
٥٤٧		٩:
٥٢٠	١٠:	
٢٠٣	١١:	
٦١٤	١٣-	١٢١
٢٠١		١٣١
٢١٣	١٥-	١٣١
٤٥٢		١٤١
١٧٩		١٥١
١٩٦		١٥١
٢٠٠		١٥١
٢١٣		١٥١
١٩٧	١٧-	١٥١
١٧٢	١٩-	١٥١
١٧٦	١٩-	١٥١
٧٢٨	٢٨-	١٥١
٢٠٠		١٦١
١٨٠	١٧-	١٦١
٢١٣	١٧-	١٦١
١٨١		١٧١
٢٠٠		١٧١
٢٣٧		١٧١
٤٧١	١٨-	١٧١
١٩٢		١٩١
١٧٧	٢٠-	١٩١
٣١٣	٢٠-	١٩١
١٨٠		٢٠١
٢٥٥		٢٠١
٢١٦		٢٠١
١٢٢	٢٢-	٢٠١
٢٥٥	٢٢-	٢١١
٢١١	٢٢-	٢١١
٤٥٢		٢٢١
٤٦٣		٢٢١
٥٣٥		٢٣١
٢١		٢٤١
٩٧		٢٤١
١١٤		٢٤١
٢٨٣		٢٤١
٢٦٢		٢٤١
١٩٦	٢٧-	٢٤١
٢٢٩		٢٧١
٥٥٤	٢٨-	٢٧١
١٣٥	٢٩-	٢٧١
٥١٥		٢٩١
٥١٥		٢٩١
٧٢٩	١٠-	٢٩١
١٧٤		٣١
٢٣٧		٣١
٢٥٩		٥١
٥٥١		٥١
١٦١		٨١

٢

١٨٩	٩:	
١٩٢	٩:	
٢٠٣	٩:	
٢١٣	٩:	
٧٢٧	٩:	
٩٨	١٠-	٩:
٤٧١	١٠-	٩:
٤٨٢	١٠-	٩:
١٩٢	١٠:	
٣٥٨	١٠:	
٢٦٢	١٠:	
٩٧	١١:	
٣٦١	١١:	
٤٥٢	١١:	
٢٩١	١٢:	
٢٩٣	١٢:	
٤٠٠	١٢:	
٢٢٩	١٤-	١٣١
٥٠٣		١٤١
٤١٧		١٥١
١٤٦	١٧-	١٦١
٧٢٩	٢٢-	١٦١
٤٧١	١٩-	١٨١
١١٨	٢٣:	
٥٧٩	٤-	٢٣
٩٨		٢٣:
٩٨		٢٣:
٣٦٥		٢٣:
٥٧٢		٢٣:
٢٩٩	٤-	٢٣:
٥٦٦	٤-	٢٣:
٤٧٩		٤١
١٥٦		٥١
٤١٨		٥١
٥٢٣	١١-	٥١
١١٢	١٠-	٩١
٤٠١	١٠-	٩١
٤٥٣		١٠٢
٤٦٤	١١-	١٠٢
٤٥٥		١١١
٤٦٤		١١١
٥٥٥		١١١
١٥٧		١٣١
٥٤٢		١٣١
٥٣٩	١٤-	١٣١
١٥٦		١٣١
٤٠١	١٥-	١٤١
٩٧		١٥١
٣٦٥		١٥١
١٨٩	١٧-	١٦١
٥٣٠		١٨١
٥٣٠		١٩١
٥٣٠		٢٠١
٥٣٠		٢١١
٦٠٨	٢٥-	٢٤١
١٥٧		٢٤١
٥٤٨	٤-	٢٤١
١٥٧		٢٤١
١٥٧		٢٤١
٧٢٩		٢٤١
٦٦٤	٨-	٢٤١
٥١٥		١٠٢
٧٠٤		١٠٢
٧٢٦		١٠٢
٦١٤		١١٢
١٩		١٤١
٧٢٦		١٤١
٤٥٩		١٥١
٥٤٩		١٨١

٤

۱۳۰ A: ۱۶ ۱ کو ۲۱۷ ۱۶: ۱۰ ۱ کو

۱۳۰ A: ۱۶ ۱ کو ۲۱۷ ۱۶: ۱۰ ۱ کو

[illegible]

٢٨٣	٩١	١٢	٢	٢٨٩	٢٤-	٢٧٢	٨	٢	٢٠٢	١٠١	٥	٢
٩٦	١٠-	٩٢		٢٧	٤٢	١٠			٥٧٨	١٠٢		
١١٢	١٠-	٩٢		٩٧	٨٢				٦٠٨	١٠٢		
٢٥٨	١٠-	٩٢		١٥٢	٨٢				٢٤٠	١٢٢		
٢٨٣	١٠٢	٨٢		١٧١	٤٢				٢٤١	١٢٢		
٨٢	١٢-	١١٢		٢١٠	١٢				٨١	١٤٢		
١٧٤	١٢-	١١٢		٥٤٢	١٢				٩٦	١٤٢		
٢٤١	١٠-	١١٢		٥٥٥	١٢				٢١٤	١٤٢		
٧١٢	١٢٢	١٢٢		١٣٠	١٢				٢٩٢	١٤٢		
١٥٩	١٤٢	١٢٢		٥١٥	١-	٢١			٢٩٧	١٤٢		
١٢٢	١٦٢	١٢٢		١٤٢	٥-	٤١			٢٩٨	١٤٢		
٥٤٥	٢٠٤	١٢٢		٤٩٧	١-	٤١			٢٢٩	١٤٢		
٤٩٧	٢١-	٢٠٤		٩٧		٥٤			٢١٠	١٤٢		
٦٦١	٢١-	٢٠٤		٢٦١		٥٢			٢٨٧	١٤٢		
١٥٩	٢-	١٢		٥١٩		٥٢			٥٢٩	١٤٢		
١١٧	٢١-	٢٠٤		١٢٦	١-	٥٤			٥٧٦	١٤٢		
٤٩٧	٢١-	٢٠٤		١١٧	١٢	١٢			٢٩٦	١٤٢	١٥-	
١٧٧	٢١-	٢٠٤		١٢٢	١٢	١٢			٢٥٥	١٥١		
٢٠	٢١-	٢٠٤		٥٩٩	١٢	١٢			٢٩٢	١٥١		
٢٦٩	٢١-	٢٠٤		١٧٥	٨١	١٢			٢٩٤	١٥١		
٦٧٥	٤-	٢٠٤		٢٢	١٠٢	١٢			٢٩٧	١٥١		
٢٦٩	٥٤	٢٠٤		١٠٧	٢١	١١			٢٩٨	١٥١		
١٧٥	٥٤	٢٠٤		١٤٦	٢١	١٢			٢٠٢	١٥١		
٥٤٨	٧١	٢٠٤		٤٥٧	١٢	١٢			٤٥٢	١٥١		
١١٢	٩١	٢٠٤		٤٥٨	٢-	٢١			٨١	١٧١		
٤٩٧	١٠٤	٢٠٤		٢٢٢	٢١	٢١			٢١٥	١٧١		
٢٠٥	١٢١	٢٠٤		٢٢٥	٢١	٢١			٥٧٢	١٧١		
				٢٢٦	٢١	٢١			٥٢٢	١٨-	١٧١	
				١٠٤	٢١	٢١			٢١٥	٢٠-	١٨١	

لاويين (سفر)

٢٨٥	٢٥-	١٢	٤	٢٤٠	٤١	٢١			٢٨	٢٠٢		
٢٨٥	١٢-	٨١		٦٦٨	٥-	٤١			٢٦٦	٢٠٢		
٢٥٧	٢٥١	١٢		٢٠	٥١	٥١			٢٦٧	٢٠٢		
٤٢٦	٢-	١٢		٢٤٠	٥١	٥١			٥١٩	٢٠٢		
٤٢٦	٢١-	١٢		١٥٧	١٢	١٢			٧٦٤	٢٠٢		
٢٨٥	١١٢	١٢		٢٤١	١-	١٢			٢٤٤	٢٠٢		
٢٥٨	٢٧١	٢٢		٥١٥	٨١	١٢			٢٥٧	٢٠٢		
١٢٨	٢٩-	٢٢		٦٦٦	٩-	٨١			٢٥٧	٢٠٢		
٩٩	١٦١	٢١		٦٦٧	١٢	١٢			٢٧١	٢٠٢		
				٩٧	١٠٢	١٢			٢٩٢	٢٠٢		
				٢٦٦	١٠٢	١٢			٢٩٦	٢٠٢		
				٢٤٠	١٥-	١٢			٢٧٤	٢٠٢		

لوقا (انجيل)

١٦	٢-	١١	١	١٦٩	١٢	١٢			٢٤٢	١٢-	١١	٦
٢٨٥	٢٥١	١٢	٢	١١٧	١٤-	١٢			٢٨٢	٥-	٤١	
٥٩٤	١٢١	١٢		٢٢٦	٤١	٤١			٢٨٢	٧١	٧١	
٢٢٩	٢١-	٢٥١		١٠٤	١٤١	١٤١			٥١٥	٧١	٧١	
٤٦	٢٧-	٢٨١		٤٦٦	١٢١	١٢١			١١٩	١٠١	١٠١	
١٧	٢٢-	٢٩١		٦٦٨	١٨١	١٨١			٢٨٢	١٠١	١٠١	
٢٧	٢٤١	٢٢١		٦٦٩	٢٠١	٢٠١			٤٦١	١٦١	١٦١	
٢٢٩	٢٨-	٢٦١		٢٤١	٢٢-	٢١١			٤٧٥	١٦١	١٦١	
٥١٦	٨١	٤١		٦٦٨	٢٢١	٢٢١			٤٨٢	١٦١	١٦١	
١٤٢	١٨١	٤١		١١٥	٢٢١	٢٢١			٤٤٨	٥٢	٥٢	٧
٤٠٩	٢١-	١٨١		٦٢٧	٢٢١	٢٢١			٤٤٧	١-	٥٢	
٤٢١	٤٠١	٤٠١		١١٢	٢٧-	٢٢١			٦٦٦	٨-	٥١	
١٥٦	٢٢١	١٢		٧٠٧	٢٦-	٢٥١			١١٩	١-	٥١	
١٥٢	٢٨-	٢٧١		١٩٤	٢٨١	٢٨١			٦٤٧	٧-	١٢	
٢٢٩	٥٠١	٧		٥٥١	٢٨١	٢٨١			٢٤٢	١-	١٢	
٢٢٩	٥٠١	٧		٦٦٨	٢٨١	٢٨١			١٦١	١٠١	١٠١	
١٥٧	١٠١	٨		٢٢	٢٩١	٢٩١			٢٣٠	١٠١	١٠١	
١٨١	٤٦١	١٢١		٢٧	٢٩١	٢٩١			٦٦٧	٤-	١١	٨
٤٢١	٤٦١	١٢١		١٢٦	٢٩١	٢٩١			١٠٢	١١	١١	
٢٢٩	٤٨١	١٢١		٧٧	٢٢-	٢٢١			١٥٢	١١	١١	
٢٢٥	٢٤١	٩		٨٢	٢-	١٢	١٢		١٧١	١١	١١	
١٥٨	٧١	١٠١		٨٢	٤-	١٢			١٧٩	١١	١١	
٧٨	٨٦١	١٢١		٢٤١	١٢-	١٢			٢٤٢	١١	١١	
١٥٥	٨٦١	١٢١		٢٧٠	١٢-	١٢			١٤٨	١٥-	١٢١	
٢٢١	٢٨-	٢٥١		١١٢	١-	٧١			٧٤٨	١٧-	١٦١	
١٧٤	٤٩١	١١		٥٤٨	٨١	٨١			٦٦٩	١٩-	١٦١	
١٥٧	١٢١	١٢		٢٠٢	١-	٨١			٢١٥	١٩١	١٩١	

فهرس الاقتباسات من كتابات آباء الكنيسة

٥٥٥

إيرينيئوس

١٩٠ و ٣٣٥ و ٧٥٥ و ٧٥٩

إيسيدوروس البيلوزي

١٩٣ و ٧٥٨

إينوسنت الأول

٧٦٠

باسيليوس الكبير

١٩٠ و ٧٢٩ و ٧٥٩

برنابا

٤٨٦

بطرس خاتم الشهداء

٧٥٨

بثينيوس

٧٥٨

بوليكاربوس

٤٨٥ و ٤٨٦ و ٥٢٩ و ٦٥٥

ترتوليان

١٨١ و ١٩٠ و ٥٢٩ و ٧٢٩ و ٧٤٥ و ٧٥٩

ثاوفيلس الأنطاكي

١٨١ و ٥٢٩

إيوانيس

٤٧٨ و ٧٢٩ و ٧٥٩

أثناسيوس الرسولي

١٨١ و ١٩٠ و ٧٥٨

أثيناغوراس

٥٢٩

أغسطينوس

٣١ و ٣٧ و ٦٥ و ٧٩ و ١٨١ و ١٩٣ و ٣٣٥

٥٥٦ و ٦٠١ و ٦١٧ و ٧٢٠

إغناطيوس الأنطاكي

٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٨

أفرام السرياني

٧٥٨

ألكسندروس

٧٥٨

أمبروسيوس

١٩٠ و ٢٨١ و ٧٥٩

أوريجانوس

٣٧ و ٧٦ و ١٨١ و ١٨٧ و ١٩٠ و ٤٦٣

٤٩٣ و ٥٢٩ و ٧٥٨ و ٧٥٩

ثيودور المبسوطي

٧٣٧ و ٧٤٥ و ٧٥٩

كيرلس الإسكندري

١٨١ و ١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٧ و ٧٥٨

جيروم

٣٧ و ١٨٧ و ١٩٠ و ١٩٣ و ٢٤٣ و ٣٣٥

كيرلس الأورشليمي

٣٩٣ و ٧٥٩

٥٤٤ و ٦٠١ و ٦٣٨ و ٦٥٦ و ٧٢٩ و ٧٤٠

لوسيغوروس من كاجلياري

٧٥٨ و ٧٦٠

٧٥٩

ديديموس

٧٥٨

نوفاتيان

١٩٠

ديونيسيوس الإسكندري

١٩٠ و ٧٥٨

هيوليس

١٨١ و ١٩٠ و ٤١٨ و ٧٥٩

غريغوريوس الثاقفاتورغوس

٧٥٩

هيغيسيوس

٤٨٦

غريغوريوس الكبير

٣٣٥

هيلاري من بواتيه

١٩٠ و ١٩٣ و ١٩٧ و ٧٥٩

غريغوريوس النزينزي

٧٢٠ و ٧٥٩

يعقوب من نصيبين

٧٥٨

غريغوريوس النيسي

١٨١ و ١٩٠ و ٢٨١ و ٧٥٩

يوحنا ذهبي الفم

٣٧ و ٢٨ و ٧٤ و ١٨١ و ١٨٧ و ١٩٠

فنسنت من ليرين

٧٥٩

١٩٣ و ١٩٧ و ١٩٩ و ٢٣٥ و ٢٣٤ و ٢٣٥

٥٥٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٥٩ و ٧٦٠

كبريانوس

١٨١ و ١٩٠ و ٧٥٩

يوسابيوس

١٨١ و ٢٦٣ و ٦٣٨ و ٧٣٦ و ٧٤٠ و ٧٤٥

٧٥٥ و ٧٥٨ و ٧٥٩

كلمندس الإسكندري

١٨١ و ٣٣٥ و ٧٥٨

يوسين الشهيد

١٨١ و ٤٨٦ و ٥١٧ و ٥٢٩

كلمندس الروماني

٤٨٦ و ٤٩٤ و ٥٢٩ و ٦٧٥ و ٧٣٦ و ٧٤٤

٧٤٦ و ٧٥٩